سام. ب. كوانت

عملية السلام

بلوماسية الأمريكية
نزاع
ربي الإسرائيلي
نذ ١٩٦٧

PEACE PROCESS : AMERICAN DIF
CONFLICT SINCE 1967 by William
Brookings Institution, 1775 Massachusetts
the University of California Press, Berke
with The Brookings Institution.
ALL RIGHTS RESERVED.

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
جميع حقوق الطبع محفوظة
الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة
تليفون ٥٧٨٦٠٨٣ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

تصديـــر

قام كل من الرؤساء الستة السابقين للولايات المتحدة بدور مباشر فى الدبلوماسية التى اكتنفت النزاع العربى الإسرائيلى . ولا شك فى أن ذلك سيصدق على الرئيس بيل كلينتون أيضا . والرسالة المرتجاة من هذا الكتاب هى أن الولايات المتحدة ، إنْ قامت بكفاءة بدورها كوسيط ، تستطيع أن تسهم فى تسوية النزاع بين إسرائيل وجيرانها العرب . ولكن ، كما كان يحدث فى كثير من الأحيان ، أساء الرؤساء ومستشاروهم قراءة الحقائق فى الشرق الأوسط ، وانتهجوا سياسات معيبة وأسهموا فى زيادة النزاع سوءا . وهم قد فعلوا ذلك خاصة عندما نظروا إلى الشرق الأوسط من خلال عدسات الحرب الباردة .

ونورد هذه الدراسة وصفا تحليليا مفصلا للسياسة الأمريكية بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى بدءا من الأزمة التى انتهت إلى حرب عام ١٩٦٧ ، وتجرى تقييما للنهج الأوّلى الذى اتبعته كل إدارة بإزاء مشكلة صنع السلام - إلى جانب السياسة التى تطورت حين واجهت الحقائق العنيدة القائمة فى المنطقة ، وحقول الألغام المتمثلة فى الخلافات السياسية المحلية .

وإذا أخذنا فى الاعتبار الطابع المعقد للتحدى ، فقد برهنت السياسة الأمريكية على أنها اطّردت فى تجانس رائع وحققت صورا من النجاح تبعث على الدهشة . فمصر وإسرائيل تعيشان الآن فى سلام الواحدة مع الأخرى ، وكلتاهما صديق حميم للولايات المتحدة . ومنذ فترة أقرب ، شرعت أطراف عربية أخرى فى التفاوض مع إسرائيل تحت الرعاية الأمريكية . وثمة نقطة اتفق عليها رئيسا الحزبين السياسيين الكبيرين فى الولايات المتحدة ، وهى أن دور الولايات المتحدة فى تعزيز السلام العربى الإسرائيلى هو دور يتفق مع المصالح الوطنية للولايات المتحدة .

وقد أسهم وليام كوانت ، وهو من كبار الزملاء فى برنامج دراسات السياسه الخارجية فى مؤسسة بروكنجز ، فى عملية رسم السياسة بوصفه عضوا فى هيئة العاملين فى مجلس الأمن القومى فى إداره كل من نيكسون وكارتر . وهو يضع ثقل تجربته المباشرة فى تحليل الكيفية التى تتخذ بها القرارات حول قضية لها حساسيه خاصة من قضايا السياسه الخارجية .

وقد نشر كوانت فى عام ١٩٧٧ كتابا باللغة الانجليزيه عنوانه « **عقد من القرارات : السياسة الأمريكية بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى ، ١٩٦٧ - ١٩٧٦** » ، وقامت مطبعه جامعه كاليفورنيا بنشر هذه الدراسة . والكتاب الحالى هو فى جزء منه مراجعة لذلك الكتاب وتحديث له ؛ ويطيب لمؤسسة بروكنجز أن تشارك فى نشر طبعته الانجليزية مع مطبعة جامعه كاليفورنيا .

وعندما قام كوانت بمراجعة الفصول الأولى المتعلقة بإدارات جونسون ونيكسون وفورد ، استعان بعدد من المسؤولين الأمريكيين السابقين ، منهم : ألفريد آثرتون ، ولوشيوس باتل ، وريتشارد هلمز ، وروبرت أوكلي ، وريتشارد باركر ، وهارولد سوندرز ، وجوزيف سيسكو ، ويوجين روستو ، ووالت روستو . كما أن إفرايم إيفرون كان عونا بصورة خاصة بالنسبة لأزمة ١٩٦٧ .

أما بالنسبة لفترة كارتر ، فقد استعان المؤلف بزبجنيو بريجنسكي وجيمي كارتر وهرمان أيلتس وصموئيل لويس وجاري سيك وسيروس فانس . وفيما يتعلق بفترة ريجان ، انتفع بالأحاديث التي أجراها مع جفري كيمب ووليام كيربي ودانيال كورتزر وريتشارد ميرفي ونيكولاس فليوتس . وشارك جورج شولتز وزير الخارجية الأسبق بتقديم مسودة مبكرة من الفصول المتعلقة بالشرق الأوسط الواردة في مذكراته . أما بالنسبة لإدارة بوش ، فقد استعان المؤلف بريتشارد هاس وآرون ميلر ودنيس روس من جملة من استعان بهم . وكانت هيلينا كوبان ناقدة ومستشارة معوانة في جميع مراحل إعداد الكتاب .

ويطيب للمؤلف أن يزجي شكره أيضا إلى إليزا برسوم لمساعدتها الإدارية ؛ ولمارلين ديك وسوزان لين ودبورا ريفل للمساعدة في البحوث ؛ ولأنيسكا باشينسكا لقيامها بالتحقق من الوقائع والتواريخ ؛ ولليلى راشد لمراجعتها بروفات الكتاب ؛ ولكارولين لالير لتحريرها المخطوطة ؛ ولبيلار وايمان لإعداد فهرس الموضوعات . وقد قام البروفسير كارل براون ووليام كيربي وجون شتاينبرينر بإجراء مراجعات معينة للمخطوطة .

وتقر مؤسسة بروكنجز بالعرفان للمؤازرة المالية من جانب مؤسسة جون د . وكاثرين ت . مكارثر .

والآراء الواردة في هذا الكتاب هي آراء المؤلف ، ولا يجوز نسبتها إلى أي من الأشخاص الذين اعترف لهم بالفضل فيما تقدم ، ولا إلى أي من مصادر المؤازرة المالية ، ولا إلى أمناء مؤسسة بروكنجز أو مديريها أو غيرهم من هيئة العاملين فيها .

مارس ١٩٩٣ — **بروس ك . مكلوري**
واشنطن العاصمة — **الرئيس**

كلمة المؤلف

كنت على نحو أو آخر أدرس السياسية الأمريكية بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى منذ عام ١٩٦٨ وأكتب عنه . وكنت فى معظم الوقت متتبعا للأمور من الخارج ، أحاول أن استنبط الكيفية التى توضع بها السياسة من مراقبة النتائج ، وكنت أتحدث مع مَنْ هم فى مناصب تتيح لهم معرفة الأمور ، وأطالع السجلات متى توافرت . وكنت فى مرتين على مقربة من الأحداث ، إذ أتيح لى ، بوصفى عضوا فى هيئة العاملين فى مجلس الأمن القومى فى الفترة ١٩٧٢ - ١٩٧٤ وفى الفترة ١٩٧٧ - ١٩٧٩ ، أن أراقب العملية عن كثب وأن اضطلع بدور ما فيها .

وكان القصد من هذا الكتاب هو تنقيح وتحديث لدراسة سابقة لى صدرت باللغة الانجليزية عن مطبعة جامعة كاليفورنيا فى عام ١٩٧٧ عنوانها « **عقد من القرارات : السياسة الأمريكية بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى ، ١٩٦٧ - ١٩٧٦** » . وحوالى نصف المادة الواردة فى هذا الكتاب هى مادة جديدة ، والفصول من الرابع إلى التاسع هى وحدها التى بقيت دون اختلاف جوهرى عن نظيراتها فى الكتاب السابق . على أننى حتى فى هذه الفصول قمت بإدراج أية مادة جديدة نشرت ولا سيما فى المذكرات المختلفة للمشاركين فى أحداثها .

والفصل الأول هو فى جوهره مقدمة جديدة ، وإن كان النظام التحليلى الوارد فيه شبيه بما اتبع فى الكتاب السابق . وما زلت أرى أن التركيز على الرئيس وعلى دائرته الداخلية أمر ضرورى ، وإن كنت أؤكد الآن أكثر من ذى قبل على التعلم أثناء ممارسة العمل ، وهو الأمر الذى يبدو أنه يحدث ويحقق درجة من التقارب فى سياسات الإدارات الأمريكية المختلفة بعد أن تواجه حقائق منطقة الشرق الأوسط وحقائق واشنطن .

والفصلان المعقودان على حرب ١٩٦٧ (وهما الثانى والثالث) يكادان أن يكونا جديدين تماما . ففى السنوات الأخيرة أفرجت مكتبة ليندون بينز جونسون فى أوستن بولاية تكساس عن قدر كبير من المواد التى تساعد على الإجابة عن الاسئلة الماثلة حول جونسون وكيف كان ينظر إلى الأزمة . وقد ترتب على هذا أن جاء تفسيرى الحاضر لتلك الأحداث الهامة مختلفا نوعا ما عما كان عليه عندما نشرت كتابى فى عام ١٩٧٧ .

والفصول الثلاثة المعقودة على فترة كارتر (العاشر والحادى عشر والثانى عشر) مستمدة من كتابات سابقة لى فى هذا الموضوع ، هى أساسا كتاب « **كامب ديفيد ، صنع السلام والسياسة** » الصادر باللغة الانجليزية عن مؤسسة بروكنجز فى عام ١٩٨٦ ، وفصل عنوانه « الاستراتيجية

الأمريكية فى مفاوضات كامب ديفيد » فى الكتاب الذى حرره س . صيقلى و ر . بعلبكى و ب . دود بعنوان « **السعى للفهم : دراسات عربية وإسلامية فى ذكرى ملكولم هـ . كير** » (مطبعة جامعة بيروت الأمريكية ، ١٩٩١) . أما الفصل الثالث عشر المتعلق بسنوات ريجان الأولى ، فهو صورة منقحة تنقيحا كبيرا للفصل الذى نشر فى الكتاب الذى حررته ووضعت له عنوان « **كامب ديفيد ، بعد عشر سنوات** » وقد صدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة بروكنجز فى عام ١٩٨٨ (وصدرت ترجمة عربية له عن مركز الأهرام للترجمة والنشر) . والفصول الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر فصول جديدة تماما .

ولا معدى عن أن تكون الفصول الأخيرة فى كتاب من هذا النوع فصولا تتسم بشىء مس التكهن والتوقع . فلا يعرف إلا قدر قليل من المعلومات عن الكيفية التى كانت القرارات تتخذ بها فى إدارة ريجان وإدارة بوش . وسوف تدون مذكرات وتُسد الفجوات فى السنوات المقبلة ، ولكن لا بد فى الوقت الحالى من استمداد قدر كبير من المعلومات من المصادر المنشورة . وإنى مدرك أن هذا يحدث شيئا من عدم التوازن بين العلاج المعمق للفترات المبكرة ، والمعالجة الأقل تفصيلا للفترات التالية . ولكن بالنظر إلى أن قدرا كبيرا من المنطق الخاص بصنع السلام العربى الإسرائيلى ، والمناهج التى اتبعت فى هذا السبيل قد تمت صياغتها فى العهود من جونسون إلى كارتر ، فإننى أعتقد أن المعالجة المفصلة لهذه الفترات لها ما يسوغها .

وليام كوانت

إلى ابنتي لورنا

المحتويـــات

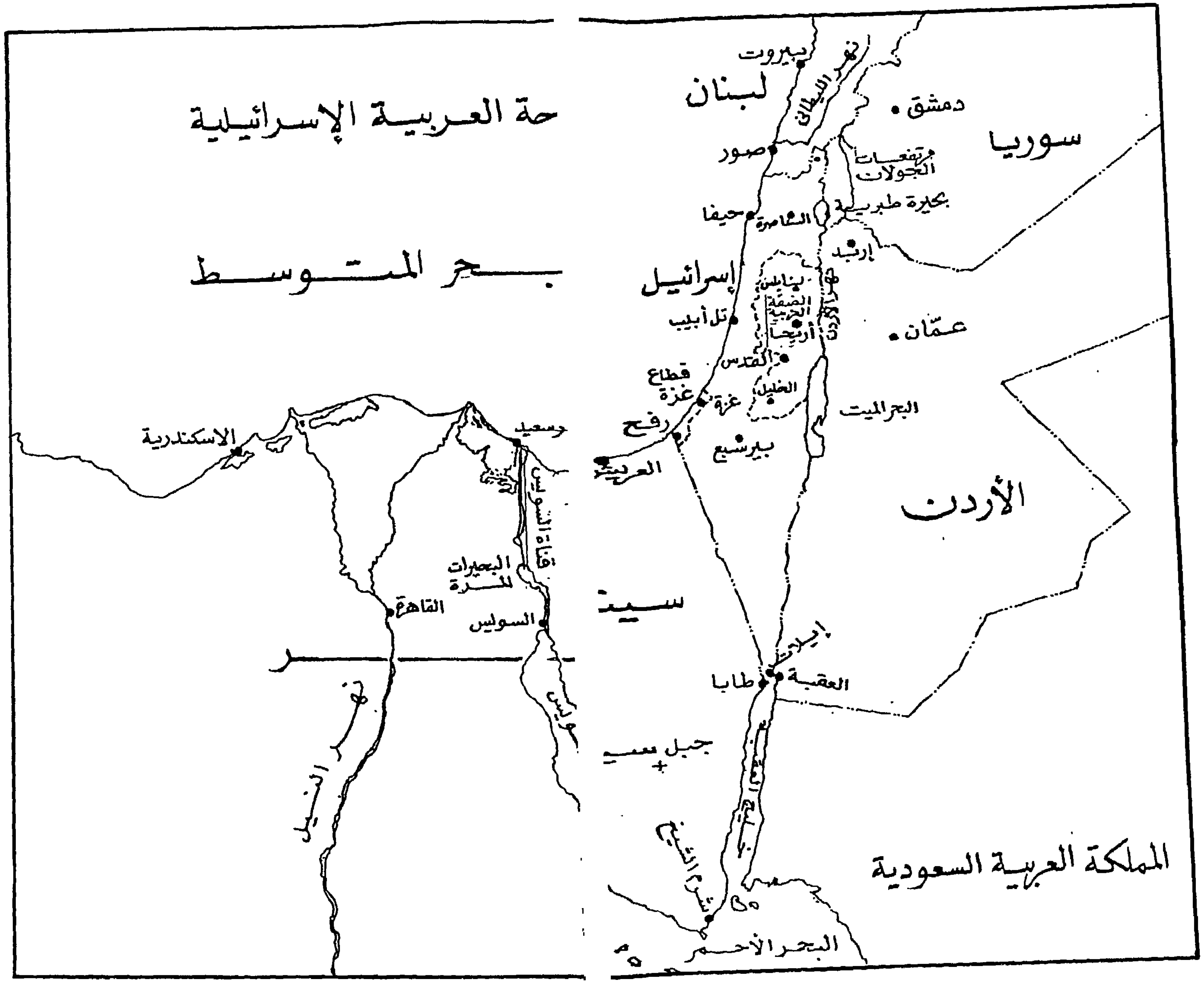
الصفحة

الصفحة

الصفحة

الباب الثامن

الملاحـــق



حة العربية الإسرائيلية
بحر المتوسط
بيروت
نهر الليطاني
لبنان
دمشق
سوريا
صور
مرتفعات الجولان
بحيرة طبرية
حيفا
الناصرة
إربد
إسرائيل
نابلس
الضفة الغربية
تل أبيب
أريحا
عمّان
القدس
قطاع غزة
غزة
الخليل
البحر الميت
رفح
بيرشبع
العريش
الأردن
الاسكندرية
بورسعيد
قناة السويس
البحيرات المرة
القاهرة
السويس
نهر النيل
إيلات
العقبة
طابا
جبل
شرم الشيخ
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر

الفصل الأول

مقدمـــــــــة

فى وقت ما من أواسط عقد السبعينات بدأت عبارة « **عملية السلام** » تستخدم على نطاق واسع لوصف الجهود التى تقودها الولايات المتحدة فى سبيل تحقيق سلام يجرى التفاوض عليه بين إسرائيل وجيرانها العرب . فالتصقت العبارة ، وصارت منذ ذلك الحين مرادفا للنهج الذى يتدرج خطوة خطوة فى سبيل تسوية نزاع هو من أكثر نزاعات العالم استعصاء .

وفى السنوات التى تعاقبت منذ ١٩٦٧ ، تحوّل التركيز فى واشنطن من تحديد عناصر « السلام » إلى « العملية » الموصلة إلى ذلك . وهذا الانحياز نحو الجوانب الإجرائية ، الذى يبدو فى كثير من الأحيان أن الدبلوماسية الأمريكية تتسم به ، إنما يعكس الجانب العملى ، بل الجانب الحرفى القانونى للثقافة السياسية الأمريكية . كما أن الإجراءات هى أقل مدعاة للخلاف من لب المشكلة ، وهى أكثر مدعاة للتراضى بشأنها فيكون من الأسهل على السياسيين التعامل معها . وينصب قدر كبير من النظرية الدستورية للولايات المتحدة على الكيفية التى يتعين بها حل المشكلات، أى على العملية - وليس على لب الموضوع - أى ما الذى ينبغى عمله .

وكلما تم إحراز تقدم صوب تحقيق سلام عربى إسرائيلى عن طريق الوساطة الأمريكية ، كان هناك على الدوام ارتباط بين لب المشكلة والإجراء . وقد هيأت الولايات المتحدة كلا من الإحساس بالاتجاه والآلية ، وكان هذا هو ما تدور حوله « عملية السلام » فى أحسن أحوالها ، وكان شعارا يستخدم فى أسوأ الحالات لإخفاء أن الوضع هو محلك سرّ .

الطريق المسدود قبل عام ١٩٦٧

تهيأ المسرح لعملية السلام العربى الإسرائيلى المعاصرة بفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ . فإلى ذلك الحين ، كان يبدو النزاع بين إسرائيل والعرب شبه مجمّد ، فلا يتجه صوب حل ولا صوب حرب . وكانت القضايا الظاهرية فى النزاع هى نفس القضايا التى تركت دون حل فى اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ ، وهى الاتفاقيات التى كان المتوقع فى ذلك الحين أن تكون مجرد خطوة صوب محادثات السلام النهائى . ولكن القضايا المتنازع عليها بدت أعقد من أن تنصاع لجهود الوساطة المتعددة التى بذلت فى أوائل عقد الخمسينات . وبحلول أواسط عقد الخمسينات كان التنافس المتمثل فى الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن قد جعل النزاع العربى الإسرائيلى معلقا فى مكان

ما بين الحرب والسلام . وأيا كان الحال ، فإن اتفاقيات الهدنة هيأت ما يشبه الاستقرار من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٦٧ .

وخلال هذه الهدنة الطويلة انشغل الإسرائيليون بأسئلة تتعلق بوجود دولتهم ذاته . فهل سيرتضى العرب فكرة قيام دولة يهودية فى وسطهم ؟ وهل يقترن الاعتراف بدولتهم بترتيبات أمن يمكن التعويل عليها ؟ وهل يصر العرب على عودة مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا من ديارهم فى عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، مما يهدد الطابع اليهودى للدولة الجديدة ؟ وهل يقبل العرب خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ باعتبارها الحدود المعترف بها ، أم يصرون على انسحاب إسرائيلى إلى الخطوط التى لا يستطاع الدفاع عنها لاتفاقية الأمم المتحدة للتقسيم لعام ١٩٤٧ ؟ وبالنسبة للتاكتيك ، هل تستطيع إسرائيل التفاوض على حدة مع كل نظام عربى ، أم هل يصر العرب على إتباع نهج شامل إلى صنع السلام ؟ وقد استقر لدى معظم الإسرائيليين شعور بأن العرب لن يسوقوا أجوبة مطمئنة عن هذه الأسئلة ، ولم يروا بالتالى أملا فى إجراء مفاوضات ناجحة ، سواء مع الملوك المحافظين أو مع الصنف الجديد من ضباط الجيش الوطنيين .

ومن المنظور العربى ، بدا النزاع كذلك صعب المراس ، ولكن مصالح الأنظمة القائمة لم تكن متطابقة بحال مع مصالح الفلسطينيين الذين حاقت بهم أكبر خسارة من قيام إسرائيل . وقد انبرت الأنظمة لموقف الدفاع عن حقوق الفلسطينيين وعودتهم إلى ديارهم أو تعويضهم عن خسائرهم ، وأمسكت عن الاعتراف بالدولة اليهودية ، وخاضت فى الحين بعد الحين حملات دعائية ضد « الكيان الصهيونى » . أما العرب الذين هم أميل إلى الروح النضالية المتشددة ، فقد قرنوا لهجتهم العنيفة بدعم هجمات الفدائيين على إسرائيل . أما الآخرون ، كالأردن ولبنان ، فقد قنعوا باتفاقيات الهدنة ، بل حرصوا على إجراء اتصالات بإسرائيل تحت المائدة . وكانت حالة « اللا حرب واللا سلم » مناسبة لهم تماما .

ولم يكن من الغريب أن يستخدم الفلسطينيون كل رأسمالهم الأدبى والسياسى لكى يحولوا دون اعتراف أى نظام عربى بالدولة اليهودية . وبحلول أواسط عقد الخمسينات وجدوا فى رئيس مصر جمال عبد الناصر مدافعا عن قضيتهم . ومن هذه النقطة فصاعدا ، أصبحت القومية العربية والمطالبة باستعادة حقوق الفلسطينيين أقوى أسلحة عبد الناصر فى سعيه لتوحيد صفوف العالم العربى . غير أن عبد الناصر سعى بدوره لسلوك سبيل بين الحرب والسلم ، ولو إلى الأيام المدلهمة فى مايو ١٩٦٧ . ثم مع ارتفاع حدة التوتر ، عمد الفلسطينيون الراديكاليون ، الذين كانوا يأملون فى جر الدول العربية إلى صراع مع إسرائيل بالنيابة عنهم ، إلى الالتفاف حول راية عبد الناصر ، وساعدوا بذلك على قطع الطريق أمام أى احتمال لرجوعه عن حافة الهاوية التى كان يتقدم إليها بسرعة .

الحد الفاصل فى ١٩٦٧

أدت حرب ١٩٦٧ إلى تحول هائل فى الوضع المتجمد للنزاع العربى الإسرائيلى . فقد تراءت إسرائيل بوصفها قوة عسكرية قادرة على التفوق على كل جيرانها . وبانتهاء الحرب قصيرة الأمد ،

كانت إسرائيل تسيطر على صحراء سيناء ، والضفة الغربية لنهر الأردن بما فى ذلك كل القدس الشرقية ، وغزة بما تعج به من معسكرات اللاجئين ، ومرتفعات الجولان ذات الأهمية الاستراتيجية . وصار أكثر من مليون فلسطينى تحت سيطرة العسكرية الإسرائيلية ، مما خلق لإسرائيل معضلة حادة . ولم يبق الآن من أراضى فلسطين التى وضعت تحت الانتداب البريطانى فى عام ١٩٢١ ما هو حر من السيطرة الإسرائيلية . وإذا احتفظت إسرائيل بالأراضى التى فتحتها حديثا ومنحت الشعب حقوقا سياسية كاملة ، لأصبحت إسرائيل دولة ذات جنسية ثنائية ، وهو ما لا يريده غير قلة من الإسرائيليين . أما إذا احتفظت بالأراضى ، ولكن دون منح حقوق سياسية للفلسطينيين ، لأشبهت فى ذلك القوى الاستعمارية الأخرى ، بنتائج يمكن التكهن بها . وأخيرا ، فإذا تخلت إسرائيل عن الأراضى ، لاحتفظت بطابعها اليهودى ، ولكن هل يمكنها العيش فى سلام وأمان ؟ تلك هى البدائل التى نوقشت فى ديمقراطية إسرائيل العنيدة والصاخبة فى كثير من الأحيان .

ونظرا لضخامة انتصار الإسرائيليين فى حرب عام ١٩٦٧ ، كان بعض الإسرائيليين يتوقعون ألا يكون أمام العرب عقب ذلك مباشرة إلا خيار السعى إلى السلام . ولكن هذا لم يحدث . ومن هنا قررت إسرائيل ، ثقة منها بتفوقها العسكرى ، وتأكدا من المساندة الأمريكية ، أن تنتظر ريثما يغير العرب موقفهم . ولكن ماذا عساه يحدث بالنسبة للأراضى المحتلة أثناء انتظار إسرائيل ؟ هل يُحتفظ بها كوديعة يتم مقايضتها بالسلام والأمن فى تاريخ مقبل ؟ أم هل يتم إدماجها فى إسرائيل بصورة متدرجة وانتقائية ، كما طالب بذلك اليمينيون من القوميين ؟ أما القدس على الأقل فلن تعاد . وعلى الفور تقريبا ، أعلنت إسرائيل من جانب واحد توسيع الحدود البلدية للقدس ، وضم الأجزاء الشرقية منها ، وأن يكون من حق الفلسطينيين المقيمين فيها أن يصبحوا مواطنين إسرائيليين ، وإن كانت قلة هى التى قبلت هذا العرض . وفيما عدا القدس ، أبدت إسرائيل استعدادها لإعادة معظم الأراضى المحتلة ، وإن كان ترادف الأيام وتغير الظروف قد أديا إلى تقلص هذا الموقف شيئا فشيئا .

كانت حرب ١٩٦٧ صدمة للعرب الذين اعتقدوا بأن فى وسع عبد الناصر أن يضع حدا لشعورهم بالضعف والهوان على أيدى الغرب . والواقع أن عبد الناصر قد اهتزت هيبته ، وإن امتد به العمر ثلاث سنين أخرى بعد الحرب . والقومية العربية بالصورة التى بشر بها ، لن تعود مطلقا إلى القوة التى كانت عليها . وعوضا عن ذلك ، بدأت الأنظمة تنظر إلى مصالحها الخاصة الضيقة بصورة أكبر ، وحذا الفلسطينيون حذوها بأن نظموا حركتهم السياسية الخاصة متحررة من سيطرة أية حكومة عربية . وكان من التطورات الديناميكية القليلة التى حدثت فى العالم العربى بعد حرب عام ١٩٦٧ قيام جيل جديد من الفلسطينيين يتصدر الكفاح فى سبيل حقوقهم .

ولم تلبث منظمة التحرير الفلسطينية التى أيدتها الأنظمة العربية فى البداية لإبقاء الفلسطينيين تحت السيطرة ، أن أصبحت قوة مستقلة فى المنطقة ترمز إلى آمال كثيرين من الفلسطينيين ، فأحدثت قدرا كبيرا من القلق لدى الأنظمة العربية المستقرة التى لم تعتد رؤية الفلسطينيين وقد أمسكوا بأزمّة الأمور فى أيديهم .

ومن الناحية النظرية ، كان من المتوقع أن تؤدى هذه التغييرات فى العالم العربى إلى فتح الطريق أمام التخفيف من حدة النزاع العربى الإسرائيلى . وقد حدث قدر معين من النقد الذاتى فى دوائر المثقفين العرب . وبدأت الواقعية السياسية تتحدى الشعارات الايديولوجية . ولكن أحدا لم يبذل جهد جاد فى سبيل السلام عقب حرب ١٩٦٧ مباشرة . وبحلول شهر سبتمبر من تلك السنة ، كانت الأطراف العربية جميعا قد اتفقت على أنه لا تفاوض مع إسرائيل ولا سلام معها ولا اعتراف بها . ولاح مرة أخرى أن حالة « اللا حرب واللا سلم » تعد احتمالا مقبولا من جانب كل من العرب والإسرائيليين .

الحاجة إلى وسيط

أما وقد تمسك كل طرف من طرفى النزاع بمواقف غير مقبولة من الطرف الآخر ، فقد لاح أن فرصة التحرك الدبلوماسى تتوقف على الغير ، ولا سيما الولايات المتحدة . وبسبب العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، كان العرب يتطلعون إلى واشنطن لكى تضغط على إسرائيل لتقدم تنازلات . وكان مثال الرئيس دوايت أيزنهاور ، الذى ضغط على إسرائيل لكى تتنازل عن مكاسبها من حرب السويس عام ١٩٥٦ ، ما زال حيا فى الذاكرة . وكانت هناك دائرتان أساسيتان لاهتمام العرب ، هما عودة الأراضى التى احتلت فى حرب ١٩٦٧ ، وتحقيق قدر من العدالة للفلسطينيين ، وكان المفهوم أن تحصل إسرائيل فى مقابل ذلك على شىء يقصر عن السلام ، ربما إنهاء حالة الحرب أو تعزيز اتفاقيات الهدنة .

وكانت الأنظمة العربية لا تزال تحجم عن أن تعد بسلام واعتراف كامل بإسرائيل ، إلا إذا تم إرضاء الفلسطينيين ، وهو ما يحتاج إلى ما هو أكثر من انسحاب إسرائيلى من الأراضى المحتلة . ومع مضى الوقت اكتسبت منظمة التحرير الفلسطينية ، مزيدا من المكانة ، وأصبح من الصعب على الدول العربية أن تتوخى مصالحها المحددة تحديدا ضيقا دون مراعاة للمطالب الفلسطينية . وكان العرب محجمين عن التعامل المباشر مع إسرائيل ، فإذا كان لا بد من إبرام صفقة ، فلا بد أن يكون ذلك من خلال جهود الدولتين العظميين - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - والأمم المتحدة .

وعلى النقيض من ذلك ، كانت إسرائيل تصر على أن الأراضى لن تُعاد إلا فى مقابل السلام والاعتراف والأمن ، وأن السبيل المؤدى إلى التسوية لا بد أن ينطوى على إجراء مفاوضات مباشرة من جانب كل طرف عربى مع إسرائيل . وكان معظم الإسرائيليين يرون أن مطالب الفلسطينيين يستحيل التعامل معها . وعلى أحسن الفروض ، يستطيع الأردن أن يحل محل الفلسطينيين الذين ينبغى لهم أن يقنعوا بأحد المشروعات التى تلقى تأييدا دوليا للتعمير والتعويض . وفوق كل شىء ، لن يسمح للفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم إلا فى حالات خاصة جدا لأغراض جمع شمل العائلات وبأعداد صغيرة جدا .

أمريكا بين نقيضين : المواقف والسياسات

تلقاء هذه المواقف المتضاربة ، أحجمت الولايات المتحدة عن المشاركة بعمق فى الدبلوماسية عربية الإسرائيلية . وكانت حرب فيتنام لا تزال مستعرة فى عام ١٩٦٧ ، وبدت حاجات الشرق لأوسط أقل إلحاحا من المطالب اليومية لحرب متواصلة فى جنوبى شرق آسيا . ومع ذلك ، كانت ولايات المتحدة منذ البدء قد اتخذت موقفا هو ، نوعا ما ، موقف وسط بين آراء الإسرائيليين العرب . وكانت تعتقد أن من حق إسرائيل أن تحصل على ما هو أكثر من العودة إلى ترتيبات هدنة القديمة ، وأنه ينبغى التوصل إلى نوع من التعاقد الملزم ينهى حالة الحرب مع إجابة إسرائيل ى ما يزعجها من ناحية الأمن . ومن ناحية أخرى ، فإن العرب إنْ كانوا على استعداد للوفاء بذه الشروط ، فالمفروض أن يستردوا معظم الأراضى التى فقدت فى عام ١٩٦٧ إن لم يكن كلها . قد أفصح الرئيس ليندون جونسون عن هذه الآراء بعد انتهاء الحرب مباشرة ، وهو ما صار أساسا قرار ٢٤٢ الصادر من الأمم المتحدة فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى أصبح منذ ذلك الوقت ، بكل ا فيه من غموض ، النقطة المرجعية الرئيسية لصنع السلام .

وفى السنوات من ١٩٦٧ إلى ١٩٩٢ انجذب كل رئيس أمريكى - ليندون جونسون وريتشارد بكسون وجيرالد فورد وجيمى كارتر ورونالد ريجان وجورج بوش - إلى تعقيدات النزاع العربى لإسرائيلى ، وكثيرا ما كان ذلك يتم بقدر يفوق ما يعتزم كل منهم ، وباتت الوساطة الأمريكية ضرورية للجهد الدبلوماسى .

وقد بقى الموقف الأمريكى الأساسى الذى اتخذ فى عام ١٩٦٧ ثابتا بدرجة ملحوظة . ومن ذلك ثلا أن كل رئيس أمريكى منذ عام ١٩٦٧ أبدى موافقته الرسمية على النقاط التالية :

- ألا يُطلب من إسرائيل التخلى عن الأراضى التى استولت عليها فى عام ١٩٦٧ دون مقابل ن جانب الأطراف العربية ينطوى على السلام والأمن والاعتراف . وهذا الموقف الذى أجمل ى صيغة « الأرض مقابل السلام » وهو الذى تمثل فى قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، ينطبق على ل جبهة من جبهات النزاع .

- أن القدس الشرقية تعد من الناحية القانونية أرضا محتلة ويتعين تسوية وضعها فى المستقبل ى مفاوضات السلام . وأيا كان الوضع السياسى النهائى للقدس ، فلا بد من عدم تقسيمها جغرافيا . انعكاسا للموقف الأمريكى القانونى بشأن المدينة ، بقيت السفارة الأمريكية، فى تل أبيب على الرغم ن وعود كثير من المرشحين للرياسة بنقل السفارة إلى القدس .

- أن المستوطنات الإسرائيلية الواقعة وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٦٧ - « الخط الأخضر » - هى عقبة فى سبيل السلام . وكانت المستوطنات إلى عام ١٩٨١ تعتبر غير مشروعة بموجب لقانون الدولى ، ولكن إدارة ريجان قلبت الموقف وأعلنت أنها ليست غير مشروعة . ولكن يجان ، وبصورة خاصة بوش ، استمرا فى الاعتراض على إقامة المستوطنات وعلى السماح لإسرائيل بأن تستخدم الأموال الأمريكية فيما وراء الخط الأخضر .

- وأيّا كان التعريف الذى يستقر عليه بشأن الحقوق الفلسطينية ، فهى لا تنطوى على حق العودة غير المقيدة إلى ديارهم داخل خطوط عام ١٩٦٧ ، ولا هى تنطوى على حق تلقائى فى الاستقلال . وقد اعترضت جميع الإدارات الأمريكية على إقامة دولة فلسطينية مستقلة تمام الاستقلال ، مؤثرة ضربا من ضروب ارتباط الضفة الغربية وغزة مع الأردن . على أن الخيار الأردنى ، أى فكرة قيام الأردن بالتحدث نيابة عن الفلسطينيين ، قد انتهى بمضى الوقت ، ووافقت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٨٨ على التعامل المباشر مع ممثلى الفلسطينيين .

- إن التفوق العسكرى الإسرائيلى ، وما لها من مزية تكنولوجية ، بالنسبة لأى ائتلاف معقول من جانب الأطراف العربية ، قد تم الإبقاء عليهما من خلال المساعدة العسكرية الأمريكية . وقد ارتضت كل إدارة أمريكية بصورة ضمنية وجود الأسلحة النووية الإسرائيلية ، على أساس أنه لن يتم التلويح بها ، وأن تعتبر مجرد رادع نهائى وليست سلاحا يستخدم فى ميدان القتال . كما أن المعونة العسكرية الأمريكية بالأسلحة التقليدية من أهدافها الاطمئنان إلى أن إسرائيل لن تضطر إلى الاعتماد على قدرتها النووية فى أى أغراض عدا الردع .

وقد اتفق كل رئيس ابتداء من ليندون جونسون وحتى بيل كلينتون - مع تعديلات يسيرة - على كل موقف من هذه المواقف ، فقد أعتبرت مواقف أساسية بدرجة يندر معها حتى أن تناقش . وسيكون تعديل أى من هذه المواقف أمرا له تكلفته على الصعيدين المحلى والدولى . وهى مواقف تمثل الاستمرارية والقابلية للتكهن بها ، وإن كانت لا تقرر السياسة على الدوام . فالسياسة ، على خلاف المواقف ، تتأثر بدرجة كبيرة باعتبارات تاكتيكية . وهنا يختلف الرؤساء ومستشاروهم مع بعضهم البعض ، ويختلفون أحيانا مع أنفسهم من لحظة إلى أخرى .

فالسياسات تنطوى على أحكام بشأن الأسلوب الذى ينتظر له النجاح ، وكيف يستطاع التأثير فى بلد ما على أفضل وجه ؟ وما هى العوامل المتوافرة التى تؤثر فى موقف ما ؟ وهل يتم عرض معونة أو الإمساك عنها ؟ وهل يكون بذل تأكيد متجدد أو التوسل بالضغط - أو كليهما - أكثر تأثيرا ؟ ومتى يكون الوقت هو الأمثل لطرح مبادرة ؟ وهل تتم علنا أو سرا ؟ وما هو القدر من المشاورات المسبقة الذى يتعين إجراؤه ، ومع مَنْ ؟ وليست هناك حكمة متوارثة مقبولة بشأن هذه الأمور ، وعلى كل رئيس أن يقيم مع كبار مستشاريه حقائق الشرق الأوسط ، والبيئة الدولية ، والجبهة المحلية ، والطبيعة النفسية البشرية ، قبل التوصل إلى أحكام ذاتية . ولئن كانت المواقف قابلة للتكهن بها ، فإن هذا لا يصدق على السياسات ، وهى المجال الذى يكون كل الفرق فيه من صنع الزعامة . وجزء من الزعامة هو إدراك متى تفشل سياسة ما ويتعين استبدال سياسة أخرى بها .

كيف يتم رسم السياسة : نماذج بديلة

كان النزاع العربى الإسرائيلى ينافس دائما على الاستئثار بالأولوية الأولى فى جدول أعمال السياسة الخارجية الأمريكية أكثر من أى نزاع إقليمى آخر . وتسعى هذه الدراسة إلى توضيح منزلة الصدارة التى احتلتها عملية السلام العربى الإسرائيلى فى دوائر السياسة الأمريكية منذ عام ١٩٦٧ ، وهى تهدف إلى تحليل الطريقة التى تفاعلت بها المصالح الوطنية مع الاعتبارات السياسية

المحلية لتضمن لعملية صنع السلام العربى الإسرائيلى أن تصبح مناط اهتمام الرئيس وأقرب مستشاريه .

ولأن الرؤساء ووزراء الخارجية - وليس البيروقراطيون المجهولون - هم الذين يضعون عادة المبادىء التوجيهية للسياسات المتعلقة بالنزاع العربى الإسرائيلى ، فمن المهم فهم كيفية توصلهم إلى الآراء التى يهتدون بها فى المسالك المعقدة للدبلوماسية العربية الإسرائيلية . ونجد فى هذا الصدد عدة نماذج جديرة بالاهتمام .

فهناك نموذج يدعونا إلى الاعتقاد بأن السياسات تنبعث من مداولات هادئة حول المصالح الوطنية . وهذا النموذج **الاستراتيجى** يفترض أن القرارات إنما يتخذها صانعو قرار عقلانيون ، وهو منظور يعنى ضمنا أن مسألة من الذى يحتل المكتب البيضاوى ، لا تهم كثيرا . وإن توافر درجة كبيرة من الاستمرارية فى طائفة من جوانب الموقف الأمريكى بإزاء النزاع منذ عام ١٩٦٧ ، لهو دليل على أن المصالح العريضة والسياسة الرشيدة هما العنصران الأساسيان فى رسم السياسات .

ولكن أى امرىء أمضى وقتا فى دوائر الحكم يشهد بأن رسم السياسة بعيد عن أن يكون عملا مرتبا وعقلانيا . وكما يتضح من نموذج **السياسات البيروقراطية** ، فإن الوكالات المختلفة يتنافس بعضها مع البعض الآخر ، والإجراءات التنظيمية الثابتة يصعب تغييرها ، والمعلومات التى يعول عليها عسير الوصول إليها . وهذا المنظور يعلق أهمية قصوى على المنافسات البيروقراطية وعلى « لعبة » رسم السياسة . ونتائج السياسة من هذا المنظور أقل قابلية للتكهن بها ، إذ يحتاج المرء إلى معرفة مَنْ الذى يؤثر فى مَنْ . وفى هذه الحالة يكون التحليل على المستوى الجزئى مطلوبا ، على النقيض من النهج النظامى العريض الذى يحبذه النموذج الاستراتيجى . وكثير من القيل والقال الذى يدور فى واشنطن يستند إلى مقدمة منطقية مؤداها أن المعول فى رسم السياسة هو على المهارة السياسية للأفراد الداخلين فى دائرة صنع القرار . وتبذل السفارات جهدها لإقناع الحكومات فى بلادها بأن النتائج السياسية السيئة هى فى كثير من الاحيان مجرد نتيجة لعملية الأخذ والعطاء فى الصراعات البيروقراطية اليومية ، والحلول الوسط ، والخروج على القواعد ، وتبادل مراعاة الخواطر الذى هو جزء من المسرح السياسى فى واشنطن . وإذا كان أصحاب نظريات التآمر يبنون مواقفهم على أساس النموذج الاستراتيجى - إذ لابد أن هناك تعليلا منطقيا لكل إجراء تتخذه الحكومة - فإن الساخرين من السياسة والمتفكهين بها يجدون مجالا فسيحا فى نموذج السياسات البيروقراطية(١) .

وثمة نموذج ثالث يؤكد أهمية **السياسة الداخلية** ، يدخل أيضا فى نطاق هذه الدراسة عن السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . وليس ثمة ريب فى أن رسم السياسة تجاه هذا النزاع فى واشنطن يقع فى شراك السياسة الداخلية . ففى كثير من الأحيان يستطيع الكونجرس - حيث يتعالى فيه عادة تأييد إسرائيل ، وحيث تنحو جماعات الضغط الممالئة لإسرائيل نحو تركيز جهودها - أن يفرض تأثيرا على السياسة الخارجية ، وذلك إلى حد كبير من خلال سيطرته على الموازنة الحكومية .(٢) ولئن كان بعض من أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب يراعون المصلحة

الوطنية دون ريب ، فإن الأمر بالنسبة للكثيرين غيرهم هو أن المواقف التى يتخذونها بشأن النزاع العربى الإسرائيلى لا تعدو أن تكون جزءا من استراتيجيتهم المحلية الخاصة بإعادة انتخابهم . وفى رأى بعض المحللين أن السياسة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط هى أساسا تعبير إما عن جماعات الضغط الممالئة لإسرائيل أو جماعات الضغط الممالئة لدوائر النفط ، وهو رأى متطرف قل أن يوجد دليل عليه ، وإن تكن جماعات الضغط مؤثرة فى بعض الظروف .

وفضلا عن مراعاة دور الكونجرس ، لا بد للمرء من أن يأخذ بعين الاعتبار أيضا تأثير دورة العمل فى النظام السياسى الأمريكى ، ولا سيما دورة السنين الأربع لانتخابات الرياسة . فهذه الدورة تفرض نوعا من الأنماط المنتظمة على عملية رسم السياسة ليس لها شأن يذكر بالنسبة للعالم الخارجى ، ولكن لها شأنا كبيرا بالكيفية التى يتم بها الوصول إلى السلطة والفوز بها من خلال الانتخابات .(٣) وليس من الغريب أن مسألة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس تبرز مرة كل أربع سنوات ، وأن موضوع مبيعات الأسلحة إلى البلدان العربية يُرجأ ، وأن المرشحين المتنافسين على الرياسة يبرزون فى برامجهم الأجزاء التى تتفق إلى أكبر حد مع مصلحة مؤيدى إسرائيل . كما لا يجوز للمرء أن يدهش عندما يلاحظ أنه بمجرد انتهاء الانتخابات ، تعود السياسة إلى مسار أقرب إلى عدم التحيز .

رأى الرئيس

مهما يكن لكل من هذه المناهج - أى الاعتماد على التحليل الاستراتيجى العقلانى ، أو على السياسة البيروقراطية ، أو على السياسة المحلية - من قدرة على توضيح جوانب الكيفية التى شاركت بها الولايات المتحدة فى عملية السلام العربى الإسرائيلى(٤) ، فإن أهم عامل - وفقا لتصور هذا الكتاب - هو الرأى الذى يتبناه الرئيس وأقرب مستشاريه بشأن النزاع وتحديد الموقف منه ، ومن هؤلاء المستشارين عادة وزير الخارجية . فالرئيس ليس مجرد الأول بين أنداد فى الصراع البيروقراطى أو فى المناقشات السياسية المحلية . كما أنه على وجه اليقين ليس مفكرا عقلانيا واستراتيجيا بصورة خالصة .

وما ينبغى أن يعرفه المحلل الدارس للسياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى أكثر مما عداه هو كيف يستخلص الرئيس - وبضعة الأفراد الأساسيين الذين يصغى إليهم - منطقا من الحجج الكثيرة ، ومن أكداس « الحقائق » ، ومن الادعاءات المتنافسة التى يستمع إليها كلما وجه اهتمامه إلى النزاع العربى الإسرائيلى . إذ يكون عليه ، إلى حد كبير ، أن يعرض نظاما حيث يلوح ألا نظام ؛ وأن يستخلص منطقا من أمور لا يكاد يفهمها ؛ وأن يقوم بالتبسيط حين يكون التعقيد هو الطاغى ؛ وأن يقرر تفويض الغير فى التصرف باسمه إذا كان غير مهتم بالقدر الكافى ، أو غير مؤهل بالقدر الكافى ، لصياغة الخطوط الرئيسية للسياسة .

فما الذى يستند إليه الرئيس وكبار مستشاريه إذن ، اللهم إلا أن تكون أفكارا عامة جلبوها معهم إلى المنصب ؟ فليس فى التاريخ الأمريكى أحد من كبار راسمى السياسة وصل إلى السلطة ولديه

فهم واضح للفروق الدقيقة بشأن النزاع العربى الإسرائيلى وتعقيداته التاريخية ، أو حتى معرفة كبيرة بأبطاله . وعلى أحسن الأحوال ، فإن راسمى السياسة يكون لديهم آراء أو أفكار عامة ، أو ميول أو انحيازات ، أو استعدادات ، أو أجزاء من معلومات . وتلعب « الأيديولوجية » دورا ما ، ولكن لم يكن هناك فى أى وقت اختلاف واضح بين الأحرار والمحافظين ، أو بين الديمقراطيين والجمهوريين ، بشأن النزاع العربى الإسرائيلى . ولم يحدث إلا عندما تعين التعامل مع الاتحاد السوفيتى كقوة فى منطقة الشرق الأوسط - حتى عام ١٩٩٠ - أن لاح أن الانقسام الأيديولوجى المصاحب للحرب الباردة بين المحافظين والأحرار يحدث فرقا ، والأدلة حتى فى هذا الصدد غير حاسمة .

على أن أى تناول لموضوع رسم السياسة لن يكون كاملا إذا اكتفى بتحديد الميول الأولية لصانعى القرار . فمع أهمية هذا فى تحديد المبادىء التوجيهية العريضة للسياسة لإدارة ما ، فإنه لا يفى بالمقصود . فالسياسة ليست ثابتة ، بمعنى أن ترسم مرة وتبقى بعد ذلك دون تغيير إلى الأبد . كما أن إعادة تقييم السياسة لا تحدث كل يوم ، ولكن الآراء تتغير مع الوقت ، فيحدث التعلم وتعدل السياسات . ومن نتيجة ذلك أن تحدث عملية تقارب ، وبمقتضاها فإن آراء كبار راسمى السياسة بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى تختلف مع آراء الذين سبقوهم بدرجة أكبر عند بداية توليهم المنصب ، ثم تميل إلى مشابهتها بنهاية فترة خدمتهم فى المنصب . لقد اختلف فورد وكارتر حول سياسة الشرق الأوسط فى ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، ولكنهما اشتركا معا فيما بعد فى كتابة مقالات عما ينبغى عمله لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى . وحتى ريجان بدا فى سنواته الأخيرة أقرب إلى وجهة نظر سلفه منه إلى نهجه الأول بشأن الدبلوماسية العربية الإسرائيلية .

وهذه العملية التى تتمثل فى التكييف والتعديل والتطويع بما يتفق مع حقائق الشرق الأوسط وحقائق واشنطن هى التى تتيح لكل إدارة أن تتعامل مع الشكوك ، ومع ما يحدث من تغيير . ولولا هذا التعلم الذى يتم تحصيله أثناء شغل المنصب ، لكانت السياسة الخارجية الأمريكية جامدة وهشة فى أحسن الأحوال .

فما الذى يفضى إلى التغيير فى المواقف ؟ هل عملية التعلم عملية تراكمية ، أم أن التغييرات تحدث فجأة بسبب أزمات أو بسبب فشل السياسات السابقة ؟ وعند حدوث تغيير ، هل تُستحضر القيم الجوهرية لأخذها فى الحسبان ، أم يقتصر الأمر على مراجعة التاكتيكات ؟ إن الأدلة المقدمة هنا تشير إلى أن التغيير نادرا ما يؤثر فى الآراء التى ترسخ الأخذ بها ، إذ يبدو الرؤساء ومستشاروهم مترددين فى التخلى عن معتقداتهم المحورية . فالمواقف الأساسية يتم التمسك بها بإصرار عجيب ، وهو ما يفسر الاستقرار فى المواقف المعلنة للولايات المتحدة بإزاء القضايا المتنازع عليها فى النزاع العربى الإسرائيلى ، وهى تمثل توافقا فى الآراء عميق الجذور . على أن السياسيين والدبلوماسيين لا يجدون مشقة فى إجراء تعديلات يسيرة فى فهمهم للنزاع العربى الإسرائيلى ، وهو ما يكفى فى كثير من الأحيان لإحداث تغيير جوهرى فى السياسة ، إن لم يكن فى المواقف الأساسية أو فى الاستراتيجية الشاملة . وكان تغيير بسيط فى الرأى - وهو أن مواقف الرئيس المصرى السادات ينبغى أن تؤخذ بجدية - كافيا لإجراء إعادة تقييم كبيرة فى السياسة الأمريكية فى خضم حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ولأن معظم عمليات السلام التى تولتها أمريكا كانت تنصرف إلى الإجراءات لا إلى الجوهر ، فإن قدرة كبار صانعي القرار على تجربة النهج المختلفة ، أضفت على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط صفة تشبه التجريب ، وذلك مع تزايد معرفتهم بأبعاد النزاع . وقد تم النظر تقريبا في كل التاكتيكات المتصورة ، وجُرِّب بعضها ، بل ونجح بعضها أيضا . وإن لم تفلح إحدى الإدارات ، فسيكون هناك فريق آخر في مكانها خلال بضع سنوات ، مستعدا لأن يجرب نهجا أخرى . ولئن كانت السياسة الخارجية الأمريكية تورث الحيرة فى بعض الأحيان من حيث فقدانها للتجانس ومن حيث قصر فترة الاهتمام ، فإن هذه القدرة على التخلى عن السياسات الفاشلة ومواصلة الطريق هى من أسباب النجاح .

ويبدو أن عملية رسم السياسة الخارجية تنطوى على تفاعل فيما بين المواقف الأصلية لراسمى السياسة ، والمعلومات الخاصة بالقضايا المحددة التى يجرى النظر فيها ، وتأثير التجمعات البيروقراطية ، وثقل الاعتبارات السياسية المحلية ، وتدبير عملية الانتقال من رئاسة إلى الرئاسة التالية لها ، وتأثير الأحداث في المنطقة المعنية . وكثيرا ما يحدث فى خضم الأزمات أن ترسم السياسات الجديدة ، وأن تظهر بوضوح أوجه القصور فى نهج ما ، وأن يفرض تعريف جديد للموقف . وتبلغ قوة الرئاسة ذروتها فى خضم الأزمات .

ونادرا ما يتم التنبؤ بالأزمات أو يؤخذ بسياسات جديدة لمنعها . ولهذا فإن السياسة الأمريكية كثيرا ما تبدو وكأنها مركبة تسير بتوجيه قائد آلى إلى أن يقع حدث مفاجىء يخرجها عن مسار القصور الذاتى ولا يكون لها سلطان عليه . والناقدون الذين يزعجهم هذا النمط ، لا يدركون مدى ما هناك من تعقيد فى الموازنة بين الرؤى المتنافسة التى تتبارى للظفر بتأييد المكتب البيضاوى ، وصعوبة رسم مسار يبدو جيد التصميم بحيث يحمى المصالح المتعددة لقوة عالمية مثل الولايات المتحدة - وأن يتم كل ذلك دون المخاطرة بحياة المرء السياسية .

المصالح الوطنية

وحتى يتسنى الإحساس بمدى الصعوبة ، لك أن تتأمل طبيعة المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط كما تتراءى من منظور البيت الأبيض . وهذه المصالح يتم تقييمها دائما فى بداية كل إدارة جديدة ، أو بمجرد قيام أزمة ، ظنا - وهو ظن لا مبرر له عادة - بأن الضوء سيلقى على ما ينبغى عمله لتعزيز احتمالات السلام العربى الإسرائيلى بأقل قدر من المخاطر للمصالح الأمريكية .

ويطيب للساسة ولبعض المحللين أن يثيروا موضوع المصلحة الوطنية باعتبار أنه يتعلق بدواعى القلق الملموسة الثابتة فى مقابل الاعتبارات الشعورية العاطفية . كما أن الحجة تبدو دامغة عند تغليف قرار ما بقناع من مصالح الأمن الوطنية ، وكأن الأمر لا يحتمل أى مناقشة أخرى .

وفى المجال الواقعى لرسم السياسات ، تجرى فعلا مناقشة المصالح ، غير أن معظم المسؤولين يدركون أن أى تعريف للمصالح الوطنية ينطوى على عنصر ذاتى قوى . وباستثناء مجالات محدودة من الشؤون الخارجية ، مثل السياسة التجارية ، يكون من الصعب اختبار المسارات التبادلية بمقياس موضوعى لتحديد مدى خدمتها للمصالح الوطنية .

وفى المناقشات الخاصة بالنزاع العربى الإسرائيلى ، هناك عدد من المصالح الوطنية المتمايزة - والمتنافسة فى كثير من الأحيان - التى تزيد من صعوبة ربط المصالح بالسياسة . ومن ذلك مثلا أن معظم راسمى السياسة حتى حوالى عام ١٩٩٠ كان من دأبهم أن يقولوا إن المصلحة الأمريكية الرئيسية فى الشرق الأوسط هى **احتواء النفوذ السوفيتى** فى المنطقة ، ومن ثم فهى مستمدة من استراتيجية أوسع للاحتواء ، وضعت أصلا لأوروبا ثم جرى تعميمها بالتدرج خلال الحرب الباردة .

وفى أوروبا ، أدت استراتيجية الاحتواء إلى تطبيق مشروع مارشال وإنشاء منظمة حلف شمال الأطلنطى (الناتو) . ولكن محاولة تكرار آلية الاحتواء المذكورة فى الشرق الأوسط فشلت ، وذلك جزئيا بسبب النزاع العربى الإسرائيلى الذى لم يتم حله .

ولهذا ، فمهما يكن القلق الذى انتاب راسمى السياسة الأمريكيين بإزاء نمو النفوذ السوفيتى فى المنطقة ، فإنهم نادرا ما عرفوا ما يتعين عمله بشأنه . وخلال فترة قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر فى ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، اعترضت الولايات المتحدة على الاعتداء الإسرائيلى الفرنسى البريطانى على مصر (حرب السويس) وأعلنت « مبدأ أيزنهاور » لتأييد النظم المعادية للشيوعية فى المنطقة ، وحملت إسرائيل على الانسحاب من سيناء ، وانتقدت مصر الناصرية لتدخلها فى شؤون البلدان العربية الأخرى . ولم يتضح فى أى وقت كيف أسهم هذا كله فى الهدف المتفق عليه ، ألا وهو الحد من النفوذ السوفيتى .

وعلى امتداد سنوات طويلة كان القلق من ناحية الاتحاد السوفيتى ، يبرر ولو جزئيا كثير من السياسات بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى . وكانت مبيعات السلاح تقبل أو ترفض توخيا لهذه المصلحة ؛ وكان السوفيت يستبعدون من المحادثات المتعلقة بالمنطقة أو يضمون إليها ، وكل ذلك باعتباره جزءا من هدف معالجة أمر النفوذ السوفيتى فى المنطقة .

وقد يحسب المرء أن استراتيجية مناهضة السوفيت فى المنطقة كانت حريّة بأن تفضى بالولايات المتحدة إلى اتباع سياسة المحاربة والتدخل كما فعلت فى جنوبى شرق آسيا ، ولكن الخوف من التدخل العسكرى السوفيتى الصريح فى الشرق الأوسط كان كبيرا ، ولا سيما اعتبارا من أواسط عقد الستينات فصاعدا . ومن هنا استقر الاعتقاد بأن أى تدخل أمريكى قد يواجه تحركا مماثلا من جانب السوفيت . وواقع الأمر أن الولايات المتحدة خشيت فى مناسبات عدة - فى حرب عام ١٩٦٧ ، وفى عام ١٩٧٠ فى الأردن ، وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وبدرجة أقل فى عام ١٩٨٢ فى لبنان - من احتمال حدوث مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفيتى . ومن هنا ، فأيا كانت حماسة المسؤولين الأمريكيين للحد من تقدم السوفيت ، فقد رغبوا فى القيام بذلك دون التعرض لمخاطر المواجهة العسكرية المباشرة مع موسكو . وجملة القول إن المسألة السوفيتية لم تبعد مطلقا عن أذهان راسمى السياسة الأمريكيين ، ولكن ذلك لم يساعد بشكل يذكر فى توضيح الخيارات . ومع انهيار الاتحاد السوفيتى فى ١٩٩٠ - ١٩٩١ اختفت هذه المصلحة بغتة ، مخلفة النفط وإسرائيل باعتبارهما الشاغلين الرئيسيين للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

ولقد كان **النفط** على الدوام سببا رئيسيا يحدو الولايات المتحدة إلى إيلاء الشرق الأوسط اهتماما

خاصا ، ولكنه لم يكن ظاهرا دائما فيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى . فقد كانت الشركات الأمريكية ناشطة فى استثمار موارد النفط فى المنطقة ، ولا سيما فى المملكة العربية السعودية ؛ وكان الغرب الصناعى يعتمد اعتمادا شديدا على نفط الشرق الأوسط ؛ ومن أوائل عقد السبعينات فصاعدا بدأت حاجات أمريكا إلى الاستيراد تنمو باطراد .(٥)

ومن اليسير فهم الحقائق الأساسية بشأن النفط فى المنطقة . فالمملكة العربية السعودية والعراق وإيران ، إلى جانب الدول الصغيرة على ساحل الخليج الفارسى ، قد تربعت على قمة ثلثى الاحتياطى المعروف من النفط فى العالم . كما أن الشرق الأوسط هو المكان الذى يتم فيه إنتاج النفط بأقل نفقة ، إذ كانت تكاليف الإنتاج منخفضة بدرجة مدهشة . وهكذا لاح أن استقرار الشرق الأوسط يسير جنبا إلى جنب مع إمكان الحصول على إمدادات من النفط قليلة الكلفة نسبيا.

وعلى مدى القسم الأكبر من عقدى الخمسينات والستينات ، كان نفط الشرق الأوسط متاحا بسهولة لتعمير أوروبا واليابان ، وحققت شركات النفط الأمريكية أرباحا طيبة . وكانت احتمالات قطع إمدادات النفط قليلة الأثر . ويلوح أن الجهد الواعى الذى بذل لجعل شؤون الخليج الفارسى بمعزل عن النزاع العربى الإسرائيلى قد أفلح .

ولكن مع حلول أواخر عقد الستينات قرر البريطانيون سحب وجودهم العسكرى من شرق السويس . فكيف يؤثر هذا على أمن إمدادات نفط الخليج ؟ هل تحاول الولايات المتحدة ملء الفراغ بقوات خاصة بها ، أم هل تحاول تعزيز قوى إقليمية مثل إيران والمملكة العربية السعودية ؟ وإذا بيعت الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية للمساعدة فى تأمين الحصول على إمدادات النفط ، ماذا يكون رد فعل إسرائيل والبلدان العربية الأخرى ؟ وماذا عسى السوفيت يفعلون ؟ وصفوة القول ، كيف يمكن ترجمة مصلحة ، يتفق الجميع على أهميتها ، إلى سياسات ملموسة ؟

وازدادت الحسابات الأمريكية بشأن النفط تعقيدا بكون الولايات المتحدة منتجة كبيرة للنفط وأيضا مستوردة كبيرة له . ففيما يتعلق بالمعنيين بزيادة الإمدادات المحلية ، كانت التكاليف المنخفضة لإنتاج نفط الشرق الأوسط تمثل تهديدا دائما . وكان منتجو النفط فى تكساس يطالبون بفرض نظام للحصص لحمايتهم من النفط الأجنبى « الرخيص » ، غير أن المستهلكين يريدون نفطا رخيصا ويقاومون بالتالى الضرائب والرسوم الجمركية المفروضة على البنزين ، كما يقاومون الحصص التى ترمى إلى تدعيم صناعة النفط المحلية . وليس بين رؤساء أمريكا من يعرف كيف يرد على السؤال بشأن السعر المناسب لنفط الشرق الأوسط . وإذا كان لا بد له من تقديم إجابة ، غمغم بشىء مثل « ألا يكون السعر شديد الارتفاع أو شديد الانخفاض » . ومن الناحية العملية ، فقد أعتبر استقرار إمدادات النفط وإمكان التكهن بها أهم من أى سعر معين ، وهو إدراك عزّز الرأى القائل بأن المصلحة الأمريكية الرئيسية تتمثل فى إمكان الوصول بأسلوب يعول عليه إلى نفط الشرق الأوسط ، وهى بالتالى مصلحة فى الاستقرار الاقليمى . ومع ذلك ، فلا سبيل إلى تجاهل السعر . وفى أوائل عقد التسعينات كانت فاتورة النفط المستورد من الشرق الأوسط سنويا تزيد على ١٠ مليارات دولار ، من فاتورة إجمالية لواردات النفط قدرها ٣٥ مليار دولار . وكل زيادة بمقدار دولار واحد فى سعر النفط معناها إضافة أكثر من مليار دولار إلى فاتورة واردات النفط .

أما المصلحة الرئيسية الثانية التى هيمنت على المناقشات الخاصة بالنزاع العربى الإسرائيلى فهى **الالتزام الأمريكى الخاص تجاه إسرائيل** . فقد كانت الولايات المتحدة مبكرة ومتحمسة فى تأييدها لفكرة قيام دولة يهودية فى جزء من فلسطين . وكان هذا التأييد متأصلا فى إحساس بالتزام أدبى تجاه الذين كتبت لهم الحياة بعد المحرقة النازية (الهولوكوست) ، كما كان متأصلا فى الارتباط الوثيق بإسرائيل من جانب اليهود الأمريكيين . وخلال عقد الثمانينات أضيف مبرر « استراتيجى » إلى القائمة التقليدية للأسباب الداعية إلى تأييد إسرائيل ، وإن لم يلق هذا الرأى القبول الإجماعى فى أى وقت .

ومما حفف دائما من تأييد إسرائيل ، الرغبة فى المحافظة على بعض المصالح فى البلدان العربية المحيطة بها ، إما بسبب النفط ، أو بسبب المنافسه مع الاتحاد السوفيتى . وكان من نتيجة ذلك أن درجت الولايات المتحدة خلال معظم السنوات من ١٩٤٩ إلى أواسط عقد الستينات على تقديم قدر محدود من الأسلحة ، وكميات متواضعة فقط من المعونة إلى تلك البلدان . وكما أوضح أيزنهاور فى عام ١٩٥٦ ، فإن تأييد إسرائيل لم يكن معناه منحها شيكا على بياض .

ومع أن كلا من هذه المصالح كان مقبولا من جانب الإدارات المتعاقبة باعتباره أمرا هاما ـ ولم يدر حول هذه المصالح جدل يذكر ـ فليس من الواضح ما كان لأية مصلحة منها ـ ناهيك عن الثلاث جميعا ـ من آثار بالنسبة للسياسات . ولنتناول أصعب الحالات : ما الذى يتعين عمله عندما يلوح أن مجموعة من المصالح تختلف مع مصالح أخرى ؟ لأيها يكون الثقل الأكبر : المصلحة الاقتصادية فى النفط ، أو المصلحة الاستراتيجية فى الحد من الزحف السوفيتى أو المصلحة الأدبية فى تأييد إسرائيل ؟

ومع انتفاء وجود مقياس مشترك ، كان من الصعب التوفيق بين تلك المصالح . فكيف يتأتى لإرسال الأسلحة إلى السعودية أو الأردن أن يتوافق مع تأييد إسرائيل ؟ وكيف يمكن وضع حد للتغلغل السوفيتى فى بلد مثل مصر ؟ وهل كان من الأفضل معارضة عبد الناصر لتلقينه درسا بشأن تكاليف الاعتماد على السوفيت ، أم كان يتعين بذل جهد لاستمالته حتى يبتعد عن الاعتماد على موسكو ؟ وما الذى كان كل من هذين النهجين يعنيه بالنسبة للعلاقات مع إسرائيل والمملكة العربية السعودية ؟

خلاصة القول أن المصالح الوطنية للولايات المتحدة كان لها بكل وضوح ضلع فى الشرق الأوسط ، وأن من شأن هذه المصالح أن تتأثر بكل خطوة فى عملية السلام العربى الإسرائيلى . ولكن لم يكن هناك اتفاق على ما الذى تعنيه هذه المصالح من زاويه سياسات محددة . وكان مؤيدو وجهات النظر المختلفة ـ كما سيتضح فيما بعد ـ على درجة متساوية من حيث البراعة فى استغلال موضوع المصالح الوطنيه لتأييد مسارات العمل التى يفضلونها . وكثيرا ما بدا أن الأفضليات السياسية تأتى فى المقام الأول ، ثم يثار موضوع المصالح لتبرير السياسة . وبسبب هذه الصعوبات على وجه التحديد ، لم يكن ممكنا أن تترك عملية رسم السياسة للبيروقراطيين . فالمخاطر كانت جسيمة جدا ، والأحكام كانت سياسية بصورة مغالى فيها . ولهذا كانت السياسة العربية الإسرائيلية

تعود دائما ، بتواتر مدهش ، إلى شخص الرئيس أو وزير خارجيته . وأصبحت شخصية الرئيس عنصرا حاسما فى عملية السلام العربى الإسرائيلى أكثر منها فى معظم قضايا السياسة الخارجية .

وكان السبيل الذى يراه الرؤساء ومستشاروهم لإنهاء التضارب المحتمل بين المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، هو فى النهوض بعملية السلام العربى الإسرائيلى . وهذه السياسة هى أقرب معادل لسياسة الاحتواء بإزاء الاتحاد السوفيتى ، وهى سياسة تحظى بتأييد واسع من الحزبين وتؤذن بحماية طائفة من المصالح الأمريكية الهامة . وكان الاعتقاد أنه إذا تحقق السلام العربى الإسرائيلى ، فإن النفوذ السوفيتى فى المنطقة سيقل ، وأمن إسرائيل سيتعزز ، والعلاقات الأمريكية مع البلدان العربية الرئيسية ستتحسن . وهكذا يستطاع بطريقة أيسر تحقيق الاستقرار الإقليمى ، وتصبح إمدادات النفط أقل تعرضا للتهديد . وواضح أن ثمة مصادر أخرى للمتاعب ستظل باقية فى المنطقة ، ولكن لم يكن هناك من ينكر استصواب تحقيق السلام العربى الإسرائيلى أو ينكر الحاجة إلى قيادة أمريكية لتحقيقه . أما الخلافات ـ ولقد كانت كثيرة ـ فقد دارت حول امكانية إجراء تسوية سلمية ، وحول التاكتيكات المناسبة . وكان هذا هو المجال الذى أسهم فيه الرؤساء أهم إسهام فى صياغة السياسة .

الدور الرئاسى ورسم السياسة

هناك افتراض قوى فى السياسة الأمريكية بأن ثمة أهمية كبيرة تعلق على شخص الرئيس . ولهذا تنفق مبالغ طائلة على الحملات الانتخابية لاختيار الرئيس ، ويحظى هذا المنصب باحترام وتوقير كبيرين . ومما يسلم به معظم كتّاب التاريخ السياسى للولايات المتحدة أن الرجل الذى يحتل البيت الأبيض قادر على تشكيل الأحداث . فهل تمثل هذه النظرة مجرد انعكاس للنزعة الفردية المتغلغلة فى الثقافة الأمريكية ، أم أنها تنطوى على حقيقة راسخة بصورة عميقة ؟

يستطيع المرء أن يتصور بسهولة أوضاعا يكون من العبث فيها شرح سياسة ما بتأمل الأفراد المسؤولين عن اتخاذ القرارات . فإن لم يكن هناك هامش حقيقى للاختيار فلن يعول على الأفراد كثيرا ، وستكون الأسبقية لعوامل أخرى . ومن ذلك مثلا أنه إذا ما أريد التكهن بكيف يتصرف أعضاء مجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك عند الاقتراع على مساعدة لإسرائيل ، لن يكون المرء بحاجة لأن يعرف أشخاصهم . وحسبك أن تعرف شيئا عن الدائرة الانتخابية ، وعن التأييد الطاغى لإسرائيل بين سكان نيويورك ، وعن انعدام أية ضغوط موازية لكى تتأكد من السياسة التى سيختارها كل عضو من أعضاء مجلس الشيوخ على حدة .

وإذا كان السياق يفسر السلوك ، فكذلك طبيعة المصالح أو الأهداف . فإذا كنا ندرس سياسات اليابان تجاه النزاع العربى الإسرائيلى ، لن يشغلنا بصورة خاصة من يكون رئيس الوزراء فى أية لحظة بعينها . والأفضل هو النظر إلى كون اليابان تعتمد على النفط العربى ، وأنه لا توجد لها روابط ثقافية أو اقتصادية هامة مع إسرائيل بحيث يمكن التكهن بأن اليابان ستتخذ سياسة ممالئة للعرب بصورة عامة . ومتى تلاقت المصالح حول سياسة واحدة ، تراجعت الاختيارات الفردية إلى الوراء .

وأخيرا ، فإذا كانت أمة ما غير قادرة على التصرف فى السياسة الخارجية ، فلن تعنينا آراء قادتها على وجه خاص . وإذا تساءلنا لم لا يقوم بلد أوروبى صغير بدور أكثر نشاطا فى النهوض بتسوية عربية إسرائيلية ، فلا يعوزنا أن ننظر إلى من هو المسؤول عن السياسة . وكل ما نحتاج إلى معرفته هو أن ذلك البلد يفتقر إلى وسائل هامة للتأثير فى سلوك العرب والإسرائيليين . وبلد بلا أرصدة اقتصادية أو عسكرية أو دبلوماسية هامة ليس له فعلا أى اختيار فى رسم السياسة الخارجية . وواضح أنه ليس بين هذه الحالات جميعا ما يصدق على الولايات المتحدة فى منهجها إزاء النزاع العربى الإسرائيلى : فالقدرة على التصرف متوافرة ، وطبيعة المصالح الأمريكية ، كما يدركها راسمو السياسة بصورة عامة ، لا تقرر سلفا مسارا واحدا للعمل . وبرغم القيود الواضحة التى يفرضها هيكل النظام الدولى والسياسات المحلية ، فإن الاختيارات متوافرة بالنسبة لمعظم القضايا ، حتى وإن كان هامش الاختيار ضيقا فى بعض الأوقات .

مجابهة التعقيدات وعدم اليقين

من المرجح بالنسبة لمعظم القادة السياسيين - دون أن يحدث تغيير يذكر فى الشخصية أو فى الدوافع النفسية - أن يغيروا عند نقطة معينة مواقفهم بإزاء قضايا السياسات . ويصور الباحثون هذه التغييرات فى كثير من الأحيان على أنها تصرف انتهازى أو ضرب من الاستهتار . ولكن هذه التغييرات قد تكون رد فعل إزاء وضع معقد ، مما يدل على أن الناس تتعلم كلما توافرت لديها معلومات جديدة . وعند معالجة أحداث معقدة واختيارات مبهمة بصورة خاصة ، فإن الناس قد يتحولون عن موقفهم تحولا مفاجئا ، دون أن يعنى ذلك تغيير فى الجوانب الأساسية لمناهجهم فى السياسة . وكما يقول ريمون بور « إن مشكلات السياسة من التعقيد بحيث تتصور الأغلبية الساحقة من الأفراد أو المنظمات - بالنظر إلى السمات الموضوعية فى الموقف - أن السياسة ينبغى أن تنتهى عند هذا الجانب أو ذاك من جوانب القضية » .(٦)

وكثيرا ما يتضح لراسمى السياسة أن من الصعب التمييز بين الاقتراح الجيد والاقتراح الردىء . وفى الظروف العادية ، ربما كانت المساومة والتراضى على حل وسط مسارين معقولين ينتهجهما السياسى ، ولكن الإقدام على ذلك يفترض أن القضايا قد تم وضع تعريف لها بناء على شىء من المعايير المفهومة . ولكن ماذا ينبغى عمله حين تكون هذه المعايير غير واضحة ؟

وبالنسبة لمعظم القضايا ذات الأهمية ، فإن راسمى السياسة يعملون فى بيئة تهيمن عليها التعقيدات وعدم اليقين . وعند التصدى لمستقبل غير معروف بناء على معلومات تفتقر إلى الكمال عن الماضى والحاضر ، يكون على راسمى السياسة أن يستعينوا بمبادىء توجيهية وتبسيطات مستمدة سواء من خبرتهم الخاصة ، أو من « دروس التاريخ » ، أو من توافق الرأى بين زملائهم . وكثيرا ما ينجم عن ذلك الأخذ بأسلوب حذر فى اعتماد القرارات التى لا تحدث سوى تغييرات جزئية وتدريجية فى السياسات القائمة .(٧) على أن تحولات مفاجئة فى السياسة قد تطرأ أيضا فى بعض الأوقات : فما تفسير هذين الموقفين المتعارضين ؟

نادرا ما تكون القيادة هى مجرد الاختيار بين السياسات الجيدة والرديئة . فأهمية القيادة ودورها كثيرا ما يتمثلان فى الاختيار بين حجتين متساويتين فى الوجاهة بشأن أفضل وسيلة يحقق بها المرء أهدافه . ومن ذلك مثلا أن معظم الرؤساء ومستشاريهم قد علقوا أهمية كبرى على التوصل إلى سلام فى الشرق الأوسط . ولكن الاهتمام لا يترجم إلى سياسة بسهولة . وعوضا عن ذلك ، فإن هناك عددا من البدائل المعقولة التى يحتمل أن تتنافس على الظفر باهتمام الرئاسة مثل الحجتين التاليتين :

- إذا أريد لإسرائيل أن تستشعر قدرا من الأمان يكفى لجعلها تقدم التنازلات الإقليمية المطلوبة للحصول على القبول العربى لشروط اتفاقية السلام ، فلا بد من استمرارها فى تسلم كميات كبيرة من الأسلحة والمساعدة الاقتصادية الأمريكية .

- إذا أفرطت إسرائيل فى الشعور بالقوة والثقة بالنفس ، فلن ترى حاجة إلى إجراء تغيير فى الوضع الراهن . ومن هنا ينبغى استخدام المعونة الأمريكية باعتبارها شكلا من أشكال الضغط .

وقد وافق الرؤساء نيكسون وفورد وكارتر وبوش على وجهتى النظر المتقدمتين فى أوقات مختلفة .

وتأمل بالمثل المقترحات التالية التى عنّت للرؤساء الأمريكيين على نطاق واسع فى الفترة التى سبقت تفكك الاتحاد السوفيتى :

- ليس للاتحاد السوفيتى مصلحة فى السلام فى الشرق الأوسط ، لأنه سيخسر نفوذه ، إلا إن استطاع استغلال التوتر فى المنطقة . ومن هنا لا يسع الولايات المتحدة أن تتوقع من الاتحاد السوفيتى تعاونا فى البحث عن تسوية .

- إن للسوفيت ، ولنا مثلهم ، مصالح متعارضة فى الشرق الأوسط . فهم يخشون من حدوث مواجهة ، وهم على استعداد بالتالى للتوصل إلى تسوية بشرط السماح لهم بالمشاركة فى العملية الدبلوماسية . وباستبعاد الاتحاد السوفيتى ، فإن الولايات المتحدة تقدم له حافزا لكى يخرب الجهد المبذول لصنع السلام . ومن ثم فإن اتفاق الولايات المتحدة والسوفيت سيكون ضروريا للتوصل إلى سلام فى الشرق الأوسط .

أما فيما يتعلق بالعرب ، فإن المرء قد يسمع رأيين مختلفين :

- لن يكون العرب على استعداد لعقد سلام مع إسرائيل إلا متى استعادوا احترامهم الذاتى وأحسوا بالقوة .

- إذا شعر العرب بأن الوقت فى صالحهم زادوا من مطالبهم ، وأصبحوا أكثر تطرفا . ولن يقتنعوا بأن إسرائيل وجدت لتبقى ، وأن عليهم أن يتوسلوا بالطرق الدبلوماسية لاستعادة أراضيهم إلا بهزيمة عسكرية حاسمة .

وقد طرح كل من هذين المقترحين بصورة جادة على الرؤساء ووزراء الخارجية الأمريكيين

القريبى العهد . ويكاد المرء يقول إن هذه المقترحات جميعا كان لها معتنقوها من بعض الأفراد فى أوقات شتى . والعنصر الرئيسى فى الاختيار بين هذه التفسيرات الوجيهة للواقع لا يقتصر على ممالئة المرء لإسرائيل أو للعرب ، أو على اتخاذ خط متشدد أو عدم اتخاذه فى العلاقات مع موسكو ، إذ أن هناك عملية تجرى أعقد من ذلك .

دروس التاريخ

عند الاختيار فيما بين المسارات الوجيهة للعمل - وإن فهمت فهما قاصرا - لا معدى لراسمى السياسة عن أن يلجأوا إلى عمليات تبسيط . وتستمد المبادىء التوجيهية من التجارب القريبة العهد ، والحالات التاريخية المشابهة ، والتعلل بالأمانى ، وتوافق الآراء فى الجماعة .[٨] ومن هنا تستنتج استنتاجات قاطعة ؛ والأحداث المربكة توضع فى هياكل يمكن فهمها ؛ ويتم تعريف الحقيقة تعريفا يسمح باتخاذ إجراء هادف . وتمثل الخبرة الحديثة مصدرا ذا قوة خاصة للتوجيه بالنسبة للمستقبل . فإذا نجحت سياسة ما فى حالة من الحالات ، رغب راسمو السياسة فى تجربتها فى سياق آخر أيضا . ومن ذلك مثلا أن وزير الخارجية هنرى كيسنجر اعتمد على خبراته فى التفاوض مع الصينيين والروس والفيتناميين عندما انبرى للمفاوضات مع العرب والإسرائيليين فى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، فكانت دبلوماسية الخطوة خطوة ثمرة لذلك .

و« دروس » التاريخ الأكثر عمومية تظهر واضحة فى تفكير راسمى السياسة عندما يواجهون مشكلات جديدة .[٩] فالرئيس هارى ترومان كان ميالا بصورة خاصة إلى الاستناد إلى الحالات التاريخية المشابهة . وقد أدرك إدراكا جيدا أن جوهر القيادة الرئاسية هو القدرة على اتخاذ القرارات فى مواجهة عدم اليقين ، وفى التعايش مع ما ينتج عن ذلك . واستطاع بالاستناد إلى التاريخ أن يؤكد أن قراراته تستند إلى أساس متين .[١٠]

وهناك مشابهات تاريخية متعددة كان لها تأثير هام فى تشكيل النظرة الأمريكية إلى الأمور . فقد أشير مثلا إلى دروس ميونيخ تكرارا على مدى السنين ، وخاصة فيما يتعلق بأن مهادنة الدكتاتوريين لا تؤدى إلا إلى فتح شهيتهم لمزيد من الغزو . وبالتالى فإن المطلوب هو معارضة حازمة للعدوان . وكانت « نظرية الدومينو »(*) وليدا مباشرا لهذا المنظور ، وكذلك كانت سياسة الاحتواء .

وثمة مجموعة ثانية من المبادىء التوجيهية التى استمدت من النقاط الأربع عشرة للرئيس وودرو ويلسون بعد الحرب العالمية الأولى ، ولا سيما تأكيده لحق تقرير المصير ومعارضته لمجالات النفوذ . وهذه المبادىء ، كما تجسدت فى ميثاق الأطلنطى لعام ١٩٤١ ، أثرت تأثيرا شديدا فى السياسة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية .[١١] ومنذ فشل السياسة الأمريكية فى جنوبى

(*) تعبير صاغه الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور فى ١٩٥٤ للدلالة على أن الدول المتجاورة شديدة الارتباط إحداها بالأخرى ، وأنها إذا واجهت خطرا واحدا فإن سقوط إحداها يؤدى إلى سقوط الدول المجاورة لها على التوالى . وقد طبق ذلك على الحرب بين فرنسا وفيتنام الشمالية فى ١٩٥٤ ، والحرب بين فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية فى ١٩٦٤ ، واستخدم كمبرر للتدخل الأمريكى . (المترجم)

شرق آسيا ، استخلصت ، دروس ، جديدة تحذر من الإسراف فى التورط ، ومن قطع الالتزامات فى مناطق هامشية ، ومن الاعتماد المفرط على القوة ، ومن مخاطر الاضطلاع بدور الشرطى العالمى . أما مسألة أن تظل هذه الدروس دروسا باقية كما كان درس ميونيخ ودرس مثالية ويلسون ، فإن غدا لناظره قريب ، ولكن تظل السياسة الأمريكية تناقش فى ضوء هذه التحليلات التاريخية .

وعندما تفشل الخبرة الحديثة والحالات التاريخية المشابهة فى حل الصعوبات المتعلقة بالاختيار ، فهناك آليات نفسية معينة قد تتدخل لإنقاذ الموقف . والتعلل بالأمانى وسيلة على درجة خاصة من القوة فى التغلب على عدم اليقين . فمتى عراك الشك ، ما عليك إلا أن تختار السبيل الذى يبدو أقل إيلاما ، والذى يتفق على خير وجه مع أمنيات المرء وتوقعاته ، فلعله يسفر بعد كل شىء عن أنه اختيار طيب . وعلى أى حال ، ففى وسع المرء فى جميع الأحوال تقريبا أن يبرر اختياره بعد أن يكون قد اتخذه . وفى الوسع الاهتداء إلى أسباب جيدة للتبرير حتى بالنسبة للسياسات الرديئة ، وكثيرا ما تكون القدرة على الإتيان بمبررات مقنعة عونا على التخلص من عدم اليقين .

وعدا هذه الجوانب المعروفة جيدا عن نفسية الفرد ، وإن فهمت فهما خاطئا ، فإن الديناميكية الاجتماعية لموقف ما كثيرا ما تعين على التخلص من عدم اليقين . وإذا تسنى لمجموعة ما أن تصل من خلال المناقشة إلى توافق للآراء حول الأسلوب السليم للعمل ، فالراجح أن يكتم الأفراد شكوكهم الخاصة . وفوق كل شىء ، فإن الرئيس عندما يشترك فى مناقشة مع مجموعة للتوصل إلى قرار ، فأرجح الاحتمالات أن يكون هناك ميل شديد إلى تحقيق توافق للآراء . وكما يؤكد بعض الباحثين ، فإن على الرؤساء أن يبذلوا قصارى جهدهم فى سبيل حماية أنفسهم من الآثار الضارة للميل إلى التوافق بين المجموعة فى محضرهم ، والميل الى مصادرة الآراء المخالفة(١٢) . فلا الذى درج عليه الرئيس جونسون من دعوة عدد كبير من المستشارين للتشاور معه ، ولا ما أخذ به الرئيس نيكسون من الاستعانة بمجلس الأمن القومى لموافاته بالبدائل ... لا هذا ولا ذاك يمثل ضمانا ضد تشوهات توافق الآراء لدى المجموعة ، وهذا راجع الى حد ما إلى أن الرؤساء يعتبرون توافق الآراء مخرجا من الشكوك .

وينحو الرؤساء ومستشاروهم الرئيسيون فى أية لحظة معينة نحو الاشتراك فى تعريف الواقع بتعريفات متشابهة ومستقرة . وأيا كان الأسلوب الذى تصدر عنه هذه التعريفات ، سواء أكان ذلك من خلال الاعتراف من التجربة أم الإحالة إلى التاريخ أم من خلال التعلل بالأمانى والتبرير المنطقى ، أم من خلال توافق آراء الجماعة ، فإن ذلك سيهيىء مبادىء توجيهية يستعان بها فى العمل إزاء عدم اليقين. أما التعقيدات ، فهذه يتم تبسيطها بالرجوع إلى بضعة معايير رئيسية . وفى حالة النزاع العربى الإسرائيلى ، فإن هذه التعقيدات تتصل عادة بحدة القضايا ومدى انقيادها للحل ، ودور الاتحاد السوفيتى (حتى أواخر ١٩٩٠) ، وأهمية المساعدة الاقتصادية والعسكرية للأطراف المختلفة .

الأزمات والطرح الجديد للقضايا

تلعب الأزمات دورا شديد الأهمية فى بلورة هذه المبادىء التوجيهية . وتنطوى الأزمات ، بتعريفها ذاته ، على عناصر المفاجأة والخطر وعدم اليقين المتزايد . وربما يتبين أن السياسات السابقة كانت سياسات معيبة أو مفلسة ، ولا تعود الحقيقة تتفق مع التوقعات السابقة . والأرجح فى مثل هذا الموقف أن يظهر هيكل جديد للرؤى ، وهو هيكل تظهر فيه وجهة نظر الرئاسة بقدر ما يشارك الرئيس فى معالجة الأزمة . فإن جرى حل الأزمة حلا مرضيا ، اهتدت السياسة لفترة غير قصيرة بمجموعة جديدة من الافتراضات ، وكثيرا ما تظل هذه الافتراضات ثابتة إلى حد كبير .

وفى كثير من الأحيان تحدث الأزمات تغييرات كبيرة فى السياسة دون أن تتسبب فى عملية شاملة لإعادة تقييم وجهات نظر صانعى القرار . وربما اقتصر الأمر على مزيد من الإحساس بإلحاح الموقف ، مما يتسبب فى تطبيق سياسة جديدة . وقد يكون الأمر مجرد تحول بسيط فى الافتراضات بشأن دور السوفيت مثلا ، أو بشأن جدوى اتباع سياسة أكثر ودا تجاه مصر . وربما تؤدى التعديلات البسيطة فى نظرة المرء ، وفى الوزن الذى يعطيه لمسألة دون الأخرى ، إلى إحداث تغييرات كبيرة فى المسائل التى ينصب اهتمامه عليها ، وفى النظر إلى بعض الفروق الدقيقة للقضايا ، وبالتالى فى الاجراءات العملية . ومرة أخرى فإن صانعى السياسة لا يتحولون بين يوم وليلة من مؤيدين لإسرائيل إلى مؤيدين للعرب ، ولكن الأزمات ربما تبرز علاقات جديدة بين القضايا أو تزيد من أهمية مصلحة معينة ، مما يؤدى إلى تغيير فى السياسة . فالقيم الأساسية تبقى ثابتة ، ولكن قد تتغير بسرعة وجهات النظر كما يتغير فهم العلاقات .

وفى دراسات الحالة التالية ، أقوم باستكشاف الدور الهام للأزمات فى تحديد القضايا لدى الرؤساء ومستشاريهم . وأحاول أن أعرض آراءهم ، وأن أفهم تفكيرهم ، وأن أنظر إلى المواقف من وجهات نظرهم . ويلاحظ أنه فى الفترة التى تمر بين الأزمات يكون من الصعب إحداث تغيير فى السياسات التى تجرى صياغتها فى خضم الأزمة وتحمل بصمة الموافقة الرئاسية .

هذا المنهج ينتقص من دور الكونجرس والرأى العام وجماعات المصالح ووسائل الإعلام والبيروقراطية . وهذه الأدوار جميعا تستحق الدراسة ، وقد أثرت دون ريب فى الدبلوماسية الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . ولن أعرض فى هذا الكتاب للأسباب التى دعت العرب والإسرائيليين إلى اتخاذ ما اتخذوه من قرارات . ولن أتناول ، إلا عرضا ، أطراف النزاع ، فأورد آراءهم ولكن دون إخضاعها لمثل التحليل الذى تستأثر به السياسة الأمريكية .

وهذا الكتاب إذ يبدأ بالدور الأساسى للرئيس ومستشاريه فى تشكيل السياسة ، ولا سيما فى لحظات الأزمة ، عندما تكون القيود المحلية والتنظيمية فى أدنى حالاتها ، فهو يبحث فى الكيفية التى تؤثر بها السياسة والعادات البيروقراطية فى صياغة السياسات وكذلك فى تنفيذها فى الأوقات العادية . ولكن محور هذه الدراسة هو تلك اللحظات النادرة التى يحاول فيها راسمو السياسة استخلاص شىء معقول من سيل الأحداث المربكة ، والتى يجاهدون فيها للربط بين العمل والغايات ، إذ عند ذاك تتجلى بصورة أوضح وعود القيادة وحدودها .

الباب الأول

فترة رئاسة جونسون

الفصل الثانى

الضوء الأصفر :
جونسون وأزمة مايو ـ يونيو ١٩٦٧

جلب ليندون بينز جونسون إلى الرئاسة مجموعة بارزة من المواهب السياسية . فقد بدا أن جونسون ، وهو رجل يتسم بالنشاط وقوة الانفعال، يستمتع بممارسة سلطته . وعندما كان زعيما للأغلبية فى مجلس الشيوخ ، تميز بقدرة على الإقناع لم تتح سوى لقلة من القادة الآخرين ؛ وكان من أقوى صفاته القدرة على تحقيق توافق للآراء من خلال تنازلات أعدت إعدادا حاذقا . إلا أن خبرته السياسية لم تشمل صنع السياسة الخارجية ، وهو مجال تطلب أن يوليه الاهتمام ، ولا سيما مع تزايد الدور الأمريكى فى فيتنام فى أواخر عام ١٩٦٤ وأوائل عام ١٩٦٥ .

وكان من حظ الرئيس الجديد أن الشرق الأوسط بدا فى أوائل عقد الستينات هادئا نسبيا . ولا شك أن المنازعات التى تقادم عليها العهد كانت لا تزال فى حالة جيشان ، إلا أنها بدت ـ بالمقارنة بالوضع المضطرب فى عقد الخمسينات ـ مسألة مقدورا عليها . وكانت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية قد تدعمت على يدى الرئيس كنيدى ، وكان واضحا أن جونسون على استعداد للمضى فى هذا الطريق مع زيادة المساعدة العسكرية ، وكانت مشاعره الخاصة بإزاء إسرائيل مشاعر حارة وتنم عن إعجاب . ومن الواضح أنه كان مرتاحا إلى الإسرائيليين الذين تعامل معهم ، كما أن كثيرين من أقرب مستشاريه كانوا معروفين بأنهم أصدقاء لإسرائيل . ثم إن علاقاته الشخصية بالطائفة اليهودية الأمريكية كانت وثيقة طوال حياته السياسية .(١)

غير أن إعجاب جونسون الصريح بإسرائيل لم يكن يعنى أنه على عداوة خاصة بالعرب ، ولكن من الإنصاف أن يقال إن جونسون لم يتعاطف مع الطراز الراديكالى من القومية العربية الذى كان الرئيس المصرى جمال عبد الناصر يدعو إليه . وكانت لديه حساسية تجاه الامارات الدالة على أن الاتحاد السوفينى يستغل القومية العربية فى إضعاف نفوذ الغرب فى الشرق الأوسط . وبدا أن جونسون ، شأن من سبقوه من صانعى السياسة الأمريكيين ، يتأرجح بين رغبة فى محاولة الوصول إلى تفاهم مع عبد الناصر ، وبين اعتقاد بأنه لا بد من تحجيم مكانة عبد الناصر ومطامحه الإقليمية . على أن الأهم من هذه الميول الشخصية أن جونسون فى انشغاله الطاغى بفيتنام ، كان يعالج قضايا الشرق الأوسط باعتبارها قضايا لا تستحق إلا أهمية ثانوية .

وكانت العلاقات الأمريكية المصرية قد تدهورت تدهورا مطردا بين ١٩٦٤ وأوائل ١٩٦٧ ، وهذا راجع فى جزء منه إلى الصراع فى اليمن ، وفى جزء آخر إلى الخلافات بشأن المعونة . وبحلول عام ١٩٦٧ ، عندما أصبحت فيتنام قضية ينقسم بشأنها الرأى العام فى الداخل . تخلى

جونسون إلى حد كبير عن مشكلات الشرق الأوسط لتتولاها وزارة الخارجية ، وكان القلق فى الوزارة لزيادة التوتر بين إسرائيل والدول العربية المحيطة بها قد أخذ يزداد بعد إغارة إسرائيل على قرية السموع الأردنية فى نوفمبر ١٩٦٦ ، ولا سيما بعد المعركة الجوية التى دارت بين سوريا وإسرائيل فى أبريل ١٩٦٧ وأسفرت عن إسقاط ٦ طائرات ميج سورية . وكان يوجين روستو ، وكيل الخارجية ، قلقا على وجه خاص إزاء اندفاع الأحداث ، مسترييا فى أن السوفيت إنما يسعون إلى الاستفادة فى الشرق الأوسط من انشغال واشنطن بفيتنام(٢) .

ومن دلائل هذا القلق المتزايد ، تقرير قدمه لوشيوس باتل السفير الأمريكى فى القاهرة بعد اجتماعه لآخر مرة مع عبد الناصر قبل العودة إلى واشنطن ليصبح مساعدا لوزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط فى ربيع عام ١٩٦٧ . فقد حذر من أن عبد الناصر يتطلع إلى القيام بمغامرة فى السياسة الخارجية لصرف الأنظار عن متاعبه الداخلية . وتكهن باتل بأن ذلك قد يتخذ شكل تصعيد أزمة اليمن ، أو محاولة تخريب النظام الممالىء للغرب فى ليبيا ، أو محاولة تسخين النزاع العربى الإسرائيلى ، وذلك أبعد الاحتمالات(٣) . وكان القلق بشأن الحالة فى اليمن قد بلغ حدا دعا مجلس الأمن القومى لأن يقرر عقد جلسة حول الأزمة فى أواخر مايو (مع تطور الأحداث ، عقد الاجتماع ، فى الموعد المحدد فى ٢٤ مايو ، ولكن التركيز فيه انصرف إلى الأزمة المتصاعدة بين مصر وإسرائيل) .

وإذا كانت التوترات على الحدود السورية الإسرائيلية قد هيأت الوقود للمراحل المبكرة من أزمة ١٩٦٧ ، فإن الشرارة التى أشعلت الوقود جاءت على هيئة تقارير سوفيتية خاطئة أبلغت لمصر فى ١٣ مايو مؤداها أن إسرائيل قد عبأت ما يتفاوت بين عشرة لواءات.وثلاثة عشر لواء على الحدود السورية . وإزاء خلفية تهديد إسرائيل باتخاذ إجراء لوقف إغارات الفدائيين من سوريا(٤) ، ساعدت هذه المعلومات الخاطئة على إقناع عبد الناصر بأن الوقت قد حان لكى تتخذ مصر إجراء تردع به أى تحركات إسرائيلية ضد سوريا ويستعيد عبد الناصر به صورته التى تلطخت نوعا ما فى العالم العربى .(٥) ويبدو أنه أقام حساباته على أساس أن السوفيت سيقدمون دعما قويا لموقفه .

وفى ١٤ مايو أقدم عبد الناصر على أول تحركاته المشؤومة ، إذ أرسل قوات مصرية فى عملية استعراض إلى داخل سيناء ، وبهذا كانت تحديا لإسرائيل لا سبيل إلى الخطأ فيه ، وإن لم تكن تشكل تهديدا عسكريا خطيرا لها . وسرعان ما أحس الرئيس جونسون ومستشاروه الرئيسيون بالخطر فى الموقف الجديد . وبسبب ما هو معروف عن جونسون من عطف على إسرائيل ، وبسبب شخصيته التى تتسم بقوة الشكيمة ، كان المتوقع منه أن يتخذ موقفا قويا لا لبس فيه تأييدا لإسرائيل من بداية الأزمة ، خاصة وأن مثل هذا الموقف كان حريا بأن يساعد على الحيلولة دون خطأ فى الحسابات العربية . يضاف إلى هذا أن التطمينات المتجددة لإسرائيل كان من شأنها أن تخفف من الضغط على ليفى إشكول رئيس الوزراء فى اللجوء إلى اجراء عسكرى وقائى . وأخيرا ، فإن اتخاذ موقف قوى فى الشرق الأوسط كان من شأنه أن يعطى إشارة إلى الاتحاد السوفيتى بأنه لن يستطيع استغلال التوتر هناك دون التعرض لمواجهة مع الولايات المتحدة .

إلا أن حقيقة سياسة الولايات المتحدة مع تطور أزمة الشرق الأوسط فى مايو ، كانت مختلفة عن ذلك تماما . فقد اتسم السلوك الأمريكى بالحذر ، وكان غامضا فى بعض الأوقات ، وكان فى نهاية الأمر عاجزا عن منع نشوب حرب وضح أنها تلوح فى الأفق . فَلِمَ كان الوضع كذلك ؟ هذا هو اللغز المحورى الذى يتعين حله عند دراسة رد فعل جونسون إزاء الأحداث التى أدت إلى حرب يونيو ١٩٦٧ . وعلى المرء أن يسأل أيضا : إلى أى مدى كان جونسون جادا فعلا فى محاولته جعل إسرائيل تتذرع بضبط النفس . لقد زعم البعض أن جونسون أعطى فى الواقع إسرائيل الضوء الأخضر للهجوم ، أو أنه تواطأ مع إسرائيل بصورة من الصور لاستدراج عبد الناصر إلى فخ(٦) . وهذه اتهامات تحتاج إلى تقييم دقيق . وما الدور الذى اضطلعت به الاعتبارات السياسية المحلية فى تفكير جونسون ؟ وهل أثرت فى آرائه الشخصيات الكثيرة الممالئة لإسرائيل فى حاشيته ؟ وأخيرا ما الذى ينبغى للمرء أن يستنتجه من الادعاءات المحددة من مصادر مجهولة بأن الولايات المتحدة أوفدت فريقا عسكريا إلى إسرائيل عشية الحرب قام بعمليات استطلاع على الجبهة المصرية بعد بدء الحرب ؟

ردود الفعل الأولى تجاه الأزمة

فُسِّرت تحركات عبد الناصر الأولى فى واشنطن تفسيرا سياسيا فى المقام الأول . فقد أُعتبر أن عبد الناصر - الذى كان يتعرض للهجوم من جانب نظامى الحكم الملكى المحافظين فى الأردن والمملكة العربية السعودية بأنه ليّن العريكة تجاه إسرائيل - يحاول استعادة هيبته بالظهور بمظهر المدافع عن النظام السورى الراديكالى المهدد والمتأهب للقتال . واعتقد مراقبو شئون الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية أنهم تلقاء نمط مألوف لهم . ففى فبراير ١٩٦٠ كان عبد الناصر قد بعث بقوات إلى سيناء واتخذت مواقعها لفترة ، وزعم أنه انتصر فى ردعه للخطط العدوانية الإسرائيلية المزعومة ، ثم تراجع عن ادعائه .(٨) وخلاصة الأمر أنه كان يريد انتصارا رخيصا ، ولم يكن هناك ما يمثل خطرا ذا بال على أحد . ومن ثم كان رد الفعل الأمريكى الأول لإيفاد عبد الناصر للقوات هادئا . وحتى الإسرائيليون لم يبد عليهم أى هلع بصورة خاصة .

إلا أن الأزمة اتخذت فى ١٦ مايو مظهرا أخطر ، عندما تقدم المصريون بطلبهم الأول لخروج قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة(٩) ، مما حدا بالرئيس جونسون إلى الاستفسار من الإسرائيليين عن نواياهم ، وإلى التشاور مع البريطانيين والفرنسيين . وفى ١٧ مايو بعث جونسون إلى إشكول بأول خطاب من ضمن عدة خطابات تم تبادلها أثناء الأزمة ، حث فيه على ضبط النفس وطلب بصورة خاصة إبلاغه قبل اتخاذ إسرائيل لأى إجراء . وقال : « ولا شك أنك تدرك بأنه لا يسعنى أن أتحمل أى مسؤوليات باسم الولايات المتحدة عن مواقف تنشأ نتيجة لأعمال لم نستشر فيها »(١٠) .

فلقد بدا إذن من أول الأمر أن جونسون يريد أن يتفادى الحرب ، وأن يتذرع الإسرائيليون بضبط النفس ، وأن يكسب تأييد الحلفاء لأى عمل قد يتخذ . وكان هناك مساران بديلان محتملان للعمل يلوح أنهما لم يبحثا بحثا جديا عند هذه النقطة ، كان أحدهما عدم التدخل ، وترك الإسرائيليين

يتصرفون وفقا لما يرونه ملائما ، ولو إلى حد المضى إلى حرب .(١١) وطبيعى أن الخطر الماثل هنا هو أن إسرائيل قد تتعرض لمتاعب ثم تتحول إلى الولايات المتحدة تطلب المساعدة . ويلوح أن جونسون كان يخشى هذا الاحتمال طوال الأزمة ، على الرغم من جميع تكهنات المخابرات بأن إسرائيل ستكسب الحرب بسهولة ضد مصر بمفردها أو ضد جميع البلدان العربية المحيطة بها .

أما البديل الثانى الذى لم يبحث عند هذه النقطة فهو اتخاذ إجراء أمريكى جرىء منفرد لاعتراض مساعى عبد الناصر لتغيير الوضع القائم . وتكون المشكلات فى هذه الحالة مضاعفة، لأن أى نزاع مع مصر قد يلهب الموقف ويضعف النفوذ الأمريكى فى جميع أنحاء العالم العربى . وكانت سابقة حرب السويس ، وما فعلته بوضع كل من بريطانيا وفرنسا فى المنطقة ، لا تزال جلية واضحة فى أذهان المسؤولين الأمريكيين الرئيسيين . ولم يعرف عن عبد الناصر أنه يتراجع أمام التحدى . يضاف إلى هذا أنه كان هناك التزام عميق بتكريس الرصيد العسكرى الأمريكى لفيتنام ، بحيث تم استبعاد الإقدام على مواجهة عسكرية شاملة مع مصر . ولكن حتى لو توافرت قوات أمريكية ، فلم يكن لدى الكونجرس ميل لقبول عمل عسكرى منفرد ، ولو تأييدا لإسرائيل . ومن ثم انصرف جهد الولايات المتحدة الأول إلى حمل إسرائيل على ضبط النفس ، وبناء إطار متعدد الأطراف لأى عمل أمريكى ، سواء كان دبلوماسيا أم عسكريا .

وصل رد إشكول إلى واشنطن على خطاب جونسون فى اليوم التالى ، ١٨ مايو . وفيه وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى اللوم إلى سوريا بسبب التوتر المتزايد ، وقال إن مصر ينبغى أن تخرج قواتها من سيناء . ثم وجه نداء مباشرا الى جونسون طلب فيه أن تعيد الولايات المتحدة تأكيد التزامها بالأمن الإسرائيلى ، وأن تبلغ الاتحاد السوفيتى بصورة خاصة بهذا الالتزام . فكتب جونسون خطابا الى أليكسى كوسيجين ، رئيس الوزراء السوفيتى فى اليوم التالى ، أكد فيه الموقف الأمريكى المؤيد لإسرائيل ، واقترح فضلا عن ذلك « اتخاذ مبادرة مشتركة من جانب الدولتين للحيلولة دون أن ينجرف الخلاف بين إسرائيل وج . ع . م . (الجمهورية العربية المتحدة - أى مصر) وسوريا إلى حرب » .(١٢)

بعد أن تقدمت مصر بطلبها الأول لسحب قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة بتاريخ ١٦ مايو - كان هناك احتمال أن يشتط عبد الناصر فيقوم أيضا باغلاق مضيق تيران أمام الإسرائيليين . وكان فتح المضيق أمام الملاحة الإسرائيلية الكسب الملموس الوحيد الذى حققته إسرائيل فى حرب عام ١٩٥٦ . وكانت الالتزامات الأمريكية بشأن الوضع الدولى للمضيق واضحة ، إذ اعتبر ممرا مائيا دوليا مفتوحا أمام حرية مرور سفن جميع الدول بما فى ذلك إسرائيل . وكان الإسرائيليون قد وعدوا بأن فى وسعهم الاعتماد على تأييد الولايات المتحدة للإبقاء على المضيق مفتوحا . ويؤخذ من مذكرة مؤرخة فى ١١ فبراير ١٩٥٧ قدمت إلى إسرائيل أن الولايات المتحدة تتعهد « بممارسة حق المرور الحر والبرىء [فى مضيق تيران] وأن تشترك مع الغير فى تأمين اعتراف عام بهذا الحق » . وفى إيضاحات تالية للموقف الأمريكى ، أقر وزير الخارجية جون فوستر دالاس بحق إسرائيل بموجب المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة فى استخدام القوة لفتح المضيق إذا ما أغلق بالقوة فى وجه السفن الإسرائيلية فى أى وقت .(١٣)

وكانت قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة قد وضعت وحدات فى شرم الشيخ منذ عام ١٩٥٧ ولم تتعرض الملاحة لعائق . أما إذا انسحبت قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، فسيتعرض عبد الناصر لضغط شديد لإعادة الوضع لما كان عليه قبل عام ١٩٥٦ . ولطالما أعلنت إسرائيل ان مثل هذا العمل سيعتبر سببا موجبا لإعلان الحرب .

وفى ضوء هذه الأخطار ، كان من المتوقع أن تتخذ الولايات المتحدة إجراء ما بعد ١٦ مايو يهدف إلى الحيلولة دون انسحاب قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة بصورة كاملة . ولكن لا أثر فى السجلات لأى اتصال عاجل مع يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة حول هذه المسألة . وبحلول مساء يوم ١٨ مايو كان يوثانت قد استجاب للطلب الرسمى المقدم من الحكومة المصرية بأن تغادر جميع قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة الأراضى المصرية .

إلا أن المضيق ظل مفتوحا مع ذلك . ومن المتصور أن التحذير القوى الذى وجهته إسرائيل أو الولايات المتحدة بشأن عواقب إغلاقه هو الدى ربما أثر فى الخطوة التالية لعبد الناصر . واعتبارا من ١٩ مايو وحتى ظهر يوم ٢٢ مايو ، لم يكن عبد الناصر قد اتخذ أى اجراء لإغلاق المضيق ولا هدد باتخاذ مثل هذا الإجراء . ومن المفترض أنه كان ينتظر رؤية رد الفعل من جانب إسرائيل والولايات المتحدة ، ضمن عيرهما ، بإزاء انسحاب قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة . ولم يحدث أى اتصال مباشر من جانب الولايات المتحدة بعبد الناصر إلى يوم ٢٢ مايو ، وهو اليوم الذى أعلن فيه فى النهاية إغلاق المضيق . ولم تصدر عن الولايات المتحدة أية بيانات علنية تعيد فيها تأكيد وجهة النظر الأمريكية وهى أن المضيق ممر مائى دولى ، ولا استجاب الرئيس المعروف بممالئته لإسرائيل لطلب إشكول إصدار بيان علنى بالتزام أمريكا بأمن إسرائيل .

وكان بعض الإسرائيليين قد تخوفوا من أن يرى عبد الناصر فى الموقف الأمريكى الحذر فى هذه الفترة الأولى دعوة للتعرض لحرية المرور فى المضيق(١٤) . إلا أن الموقف الإسرائيلى نفسه لم يكن عند هذه النقطة قويا بصورة خاصة ، كما اتضح من خطبة إشكول يوم ٢٢ مايو التى جعلت من موقف ضبط النفس الذى اتخذته أمريكا أمراً أيسر تبريراً . وعوضا عن ان تصرح الولايات المتحدة بموقفها من قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، ومن التهديد بإغلاق مضيق تيران فى الفترة بين ١٦ مايو و٢٢ مايو ، مضت تحذر إسرائيل من الإقدام على عمل منفرد . وتم إبلاغ الإسرائيليين بأن من الأفضل العمل داخل إطار الأمم المتحدة ، بما فى ذلك اقتراح باحتمال نقل قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة إلى الجانب الإسرائيلى من خطوط الهدنة .(١٥)

وفى اليوم السابق لخطبة عبد الناصر فى ٢٢ مايو فى بير جفجافة التى أعلن فيها إغلاق المضيق أمام الملاحة الإسرائيلية ، بعث جونسون بخطاب إلى إشكول أكد له فيه من جديد أن الاتحاد السوفيتى قد فهم التزام الولايات المتحدة بالنسبة لإسرائيل . على أن جونسون سعى فى الوقت عينه إلى تعليل السبب فى عدم قدرته على إذاعة بيان علنى عن عواقب حصار خليج العقبة . وأشار بصورة خاصة إلى أن بيانا صادرا عنه بشأن المضيق قد يعقد مهمة يوثانت الذى كان فى طريقه إلى القاهرة . على أن جونسون أشار إلى ضرورة اتخاذ تدابير مناسبة داخل الأمم المتحدة أو خارجها لمعالجة الأزمة .(١٦) وقد شعر أبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلى أن هذا الخطاب

لا يعبر عن الآراء الحقيقية لجونسون ، وأن الذى صاغه لابد أن يكون « بيروقراطيا رعديدا » .(١٧)

وأخيرا بعث جونسون فى ٢٣ مايو برسالة إلى الزعيم المصرى . وكان الاتجاه الرئيسى لهذه الرسالة هو تأكيد صداقة الولايات المتحدة لعبد الناصر ، مع حثه على اجتناب أية خطوة قد تفضى إلى حرب . يضاف إلى ذلك أن جونسون عرض إيفاد نائب الرئيس هيوبرت همفرى إلى القاهرة . وأنهى جونسون خطابه بعبارات أضافها شخصيا هى « إننى لأتطلع إلى وضع مشروع يكون مقبولا وبناء لشعبينا » . ولم يتم تسليم الرسالة من جانب السفير المرشح ريتشارد نولت إلا فى اليوم التالى ، وبحلول هذا الوقت كان قد أُعلن فعلا أن المضيق أغلق فى وجه الملاحة الإسرائيلية ، وفى وجه الشحنات الاستراتيجية المتجهة إلى إسرائيل .(١٨)

وأبلغ جونسون إشكول فى نفس اليوم بأنه سيكتب إلى الزعيمين المصرى والسورى لتحذيرهما من اتخاذ إجراءات قد تؤدى إلى الحرب .(١٩) يضاف إلى هذا أن رسالة أخرى أرسلت فى ٢٢ مايو من جونسون إلى كوسيجين ، كرر فيها جونسون اقتراحه بالعمل المشترك لتهدئة الموقف ، واستطرد قائلا « إن التحرش المتزايد بإسرائيل من جانب عناصر تتخذ مقرا لها فى سوريا ، مع ما يصاحب ذلك من ردود فعل فى إسرائيل وفى العالم العربى ، قد جعلت المنطقة قريبة من انفجار أعمال عنف شديدة . وإن علاقاتكم وعلاقاتنا بدول المنطقة من شأنها أن تعرضنا لمتاعب أثق بأن أحدا منا لا يسعى إليها . ويبدو أن الوقت مناسب لكل منا للتوسل بكل نفوذنا فى سبيل تحقيق الاعتدال ، بما فى ذلك تأثيرنا على العمل من جانب الأمم المتحدة » .(٢٠)

إن هذه الرسائل التى ربما كان يمكن أن تساعد على تهدئة الحالة قبل ذلك ، صارت بلا أى معنى بعد ما حدث من تصاعد كبير فى الأزمة .(٢١) وجاءت المبادرة الأمريكية التى توخت حسن القصد فى ٢١ ـ ٢٢ مايو ، ضعيفة ومتأخرة جدا . فبعد قليل من منتصف ليلة ٢٢ ـ ٢٣ مايو ، أذيع خطاب عبد الناصر الذى أعلن فيه إغلاق المضيق .

أزمة المضيق

وإذا كان جونسون قد خشى من احتمال لجوء إسرائيل إلى استخدام القوة من جانب واحد قبل ٢٣ مايو ، فإن الخطر صار الآن أقرب ما يكون إلى الأمر الواقع . ومن ثم طلب جونسون من إسرائيل ألا تقدم على أى خطوة عسكرية لمدة ثمانى وأربعين ساعة على الأقل .(٢٢) وخلال نهار ٢٣ مايو ، اتخذت ترتيبات لكى يقوم إيبان وزير خارجية إسرائيل بزيارة واشنطن لإجراء محادثات قبل اتخاذ أى إجراء منفرد . كما قرر جونسون الموافقة على طلب إسرائيل للحصول على مساعدة عسكرية بما قيمته نحو ٧٠ مليون دولار ، ولكنه رفض طلبا إسرائيليا لقيام مدمرة أمريكية بزيارة ميناء إيلات .(٢٣)

وشرعت الدبلوماسية الأمريكية فى العمل بكامل قوتها ، فأصدر جونسون بيانا علنيا عنيفا مؤداه أن الولايات المتحدة تعتبر الخليج ممرا مائيا دوليا ، وترى أن منع الملاحة الإسرائيلية عمل غير

مشروع وبالغ الضرر بقضية السلام . وإن حق المرور الحر البرىء فى الممر المائى الدولى هو مسألة حيوية للمجتمع الدولى » .(٢٤)

وفى تل أبيب كرر السفير الأمريكى وولوورث باربور المطالبة بمهلة ثمانى وأربعين ساعة قبل أتخاذ إجراء إسرائيلى منفرد ، وأثار احتمال الأخذ بفكرة بريطانية مؤداها أن تقوم قوة بحرية متعددة الجنسيات بحماية حقوق الملاحة فيما إذا أخفق الإجراء الذى تتخذه الأمم المتحدة فى حل الأزمة . وكان المقصود جزئيا من رحلة إيبان إلى واشنطن استكشاف مدى جدوى هذه الفكرة .

وفى واشنطن قابل السفير الإسرائيلى أفراهام هارمان والوزير إفرايم إيفرون وكيل الخارجية يوجين روستو الذى قال لهما « إن الولايات المتحدة وافقت على توجيه نداء إلى مجلس الأمن ... وأن الهدف هو الدعوة إلى إعادة الوضع إلى ما كان عليه ... قبل الإعلان عن الحصار » . وأوضح روستو أن « رد فعل الكونجرس يفرض على الرئيس اتخاذ هذا السبيل » .(٢٥) وقد قيل أن روستو أشار إلى الحقائق الناشئة عن حرب فيتنام عندما وصف نهج جونسون بإزاء الحصار .

وواضح أنه مع اتجاه السياسة الأمريكية إلى دراسة اتخاذ إجراء متعدد الأطراف لكسر الحصار فى خليج العقبة ، كان جونسون قلقا من ناحية الكونجرس ، وهذا أمر مفهوم . وفى ٢٣ مايو ألقى وزير الخارجية دين راسك بيانا موجزا على أعضاء لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ ، وعاد إلى جونسون يبلغه بأن الكونجرس سيؤيد إسرائيل ولكنه لا يوافق على عمل منفرد من جانب الولايات المتحدة .(٢٦) وفى محاولة من الرئيس للظفر بتأييد الرأى العام ، اتصل بالرئيس الأسبق ايزنهاور الذى أوضح أن الولايات المتحدة أكدت فى عام ١٩٥٧ أنه إذا ما استخدمت القوة لإغلاق المضيق ، سيكون من حق إسرائيل بمقتضى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة الرد باستخدام القوة .(٢٧) كما طُلب من جورج مينى رئيس الاتحاد الأمريكى للعمال أن يصدر بيانا مؤيدا لسياسة الحكومة .

وكانت العناصر الأساسية فى نهج جونسون بإزاء الأزمة فى ٢٣ مايو كما يلى :

- محاولة منع الحرب بحمل إسرائيل على ضبط النفس وتحذير المصريين والسوفيت .
- الظفر بتأييد الرأى العام والكونجرس لفكرة التوسل بجهد دولى لإعادة فتح مضيق تيران . (فقد استبعد القيام بإجراء أمريكى منفرد دون كثير بحث) .
- بذل مسعى من خلال مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لفتح المضيق ، فإن أخفق هذا المسعى ، كما هو متوقع ، أُعدّ إعلان متعدد الأطراف يؤيد حرية الملاحة ، على أن يجىء فى إثر ذلك ، كما اقترح البريطانيون ، مرور قوة بحرية متعددة الجنسيات فى المضيق .

وجدير بالملاحظة استمرار العزوف عن اتخاذ إجراء أمريكى منفرد أو « إطلاق العنان لإسرائيل » باعتباره خيارا ثانيا ، كما صار يعرف بعد ذلك . وقد استُبعد هذان البديلان استبعادا كاملا منذ البدء ؛ وحتى إغلاق المضيق لم يفض إلى إعادة تقييم هذه السياسة التى وضعت منذ

البداية . وعوضا عن ذلك ، فإن عنصرى السياسة الرئيسيين اللذين يرجع تاريخهما إلى ١٧ مايو قد اقتصر الأمر على تنميقهما مع تغير الظروف .

وقد وضعت خطة معقدة متعددة الأطراف كان من المؤكد أن تظفر بتأييد الكونجرس والرأى العام ، ولكن هل تسفر عن نتائج بالسرعة الكافية لضمان العنصر الآخر فى النهج الأمريكى - وهو ضبط النفس من جانب إسرائيل ؟ واضح أنه كانت هناك مشكلة . ولكى يتأتى منع إسرائيل من التصرف بمفردها ، حتى مع اعتراف الولايات المتحدة بأن من حقها أن تفعل ذلك لتعيد فتح المضيق ، كان لا بد من تقديم بديل مقبول . وكلما ازداد موقف الولايات المتحدة قوة وازدادت التزاماتها بالعمل حزما ، أمكن على الأرجح تحقيق ضبط النفس من جانب إسرائيل ؛ وقل - لنفس هذا السبب - احتمال أن يتخذ عبد الناصر خطوات أخرى فى الطريق الذى سلكه . ولكن اتخاذ موقف أمريكى قوى هو عمل لا يتفق مع الرغبة فى اتخاذ إجراء متعدد الأطراف ، يتعين - من وجهة نظر جونسون - تجربته ضمانا لتأييد الكونجرس والرأى العام ، وهو تأييد ضرورى فى وقت يثور فيه الجدل حول دور الولايات المتحدة فى فيتنام .

كان جونسون يعرف الضجة التى حدثت بسبب معالجته لحادث خليج تونكين فى عام ١٩٦٤ ، فقد تذرع فى ذلك الحين بحادث صغير لكى يوسع من سلطته للتصرف فى فيتنام بموافقة الكونجرس . إلا أنه اتهم بعد ذلك بالخداع وبتضليله الكونجرس بشأن الحادث ، وبإساءة استخدام السلطة التى منحت له . وفى أواسط عام ١٩٦٧ لم يكن جونسون مستعدا لكى يقود الولايات المتحدة إلى مغامرة أخرى قد تنطوى على استخدام القوة ، إلا إذا كان مؤيدا تأييدا تاما من الكونجرس والرأى العام . ومن ثم أصر على تجربة الاستعانة بالأمم المتحدة أولا ، ثم بعد ذلك يسعى إلى إصدار إعلان متعدد الأطراف من الدول البحرية وإرسال سفن تمر عبر المضيق . وكان جونسون ، بتحركه ببطء وحذر وبالتأييد التام فى الداخل ، يستطيع أن يقلل إلى الحد الأدنى من تعرض موقفه لمخاطر سياسية نابعة من عوامل داخلية .

لم يكن هناك تعارض بالضرورة بين هدف ضبط النفس من جانب إسرائيل وهدف التماس حل متعدد الأطراف ، إذا ما توافر وقت كاف . ولكى يتوافر الوقت ، ربما فى حدود أسبوعين أو ثلاثة ، فإن الموقف على الساحة ينبغى ألا يسمح له بالتغير تغيرا جذريا ، وألا يسمح لميزان القوى داخل إسرائيل بأن يميل ناحية المحبذين للحرب . وكان لا بد إذن فى الحد الأدنى أن يبقى عبد الناصر جاثما فى مكانه ، وأن يبقى الاتحاد السوفيتى بعيدا عن التدخل ، وأن يعُطى إشكول شيئا يكبح به جماح الصقور لديه . وإن لم يتحقق أى من هذه الشروط ، تداعت افتراضات السياسة الأمريكية ، وصار وقوع الحرب أمرا مرجحا .

وفى اجتماع لمجلس الأمن القومى عقد فى ٢٤ مايو ، استعرض دين راسك الاستراتيجية العريضة التى تقررت . وذكر أن مجلس الشيوخ يرى بالاجماع أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تعمل من خلال الأمم المتحدة وبصورة متعددة الأطراف . « ثم قال الرئيس إنه يود أن يستمع إلى وجهات النظر بشأن ما نفعله إذا أخفقت جميع هذه التدابير الأخرى . فعلينا أن نتوسل بالأمم المتحدة وبالجهود الأخرى المتعددة الأطراف إلى أن تُستنفد . إنى أريد أن ألعب بكل ورقة ممكنة فى

الأمم المتحدة ، ولكننى لم أعتمد عليها أبدا فى انقاذى عندما يكون من اللازم خوض القتال . وإنى أريد أن أرى ويلسون وديجول هناك وسفنهما مصطفة أيضا » . ولكن يحدث أحيانا أن تفشل كل هذه الوسائل . وأشار مثلا إلى التأييد المبكر الذى منحه الكونجرس للإجراءات التى اتخذها فى فيتنام . ولهذا يتعين علينا أن نتدبر ما نستطيع عمله إذا ما أخفقت جميع هذه المسارات الأخرى » .(٢٨)

زيارة أبا إيبان لواشنطن

كانت الزيارة المتوقعة من جانب وزير خارجية إسرائيل عاملا مساعدا فى إجراء تحديد أكبر لخطة عمل أمريكية لمعالجة موضوع إغلاق مضيق تيران . فإذا أريد منع إسرائيل من اتخاذ إجراء عنيف ، تعين إعطاؤها بديلا للحرب يكون ذا مصداقية . ولكن عملية الانتقال من المبدأين العامين - وهما ضبط النفس من جانب إسرائيل والعمل فى إطار متعدد الأطراف - إلى اقتراح أكثر تفصيلا ، كشفت عن تناقضات وغوامض كامنة ، وأوضحت كذلك وجود خلافات بيروقراطية عميقة الجذور بين الآراء . ومع ازدياد حدة الأزمة ، فإن توافق الآراء الواسع النطاق فيما بين كبار مستشارى جونسون حول كيفية معالجة الأزمة ، وهو توافق الآراء الذى كان ماثلا فى بداية الأمر ، أخذ يتفتت . وعندما كان جونسون فى حاجة ماسة إلى تأييد قوى لأسلوبه الذى يتسم بالحذر وضبط النفس ، ثارت الشكوك حول قدرة هذا الأسلوب على الاستمرار والبقاء .

كان مفتاح سياسة جونسون عشية زيارة إيبان يتمثل فى الفكرة البريطانية بشأن القوة البحرية المتعددة الجنسيات . وفى ٢٤ مايو اجتمع يوجين روستو بجورج طومسون وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية ، وبأميرال من البحرية الملكية لبحث الاقتراح البريطانى ، ووافقوا على فكرة إصدار إعلان عام عن حرية الملاحة فى مضيق تيران يوقع عليه أكبر عدد ممكن من البلدان ، ثم تنشأ قوة بحرية متعددة الجنسيات قوامها سفن من أكبر عدد ممكن من البلدان البحرية التى لديها استعداد للعمل ، وأسطول صغير سرعان ما عُرف باسم « ريجاتا البحر الأحمر » يقوم بعد ذلك بالمرور عبر المضيق .(٢٩) وتحدث روستو عن الخطة مع جونسون فى وقت لاحق من ذلك النهار ، ووجد من الرئيس استجابة لها .

وكان من المقرر قيام جونسون برحلة إلى كندا فى ٢٥ مايو ، فانتهز هذه الفرصة ليطلب تأييد رئيس الوزراء لستر بيرسون لفكرة الأسطول المتعدد الجنسيات .(٣٠) وفى الوقت عينه كلف البنتاجون بأن يعد خطة محددة لإنشاء قوة بحرية . وعند هذه النقطة بدأ توافق الاراء يعروه التآكل .(٣١) ورغم أن بعض المحللين فى البنتاجون ارتأوا أن الولايات المتحدة قادرة على إدارة الأزمة التى تنطوى على احتمال تدخل عسكرى فى الشرق الأوسط مع استمرار حرب فيتنام ، فإن الغالبية كانت ترى أن إسرائيل تستطيع أن تتعامل مع التهديد العربى بمفردها على خير وجه ، وأنه لا داعى للالتزام بقوات أمريكية ، وهى عملية مكلفة . وعلى أى حال ، فإن نقل القوات المطلوبة إلى مسرح الأحداث لتحدى حصار عبد الناصر يستغرق وقتا . وفى إحدى نقاط الأزمة مثلا صرح رئيس أركان الحرب المشتركة بأن الحاجة ستدعو إلى قدرات مضادة للغواصات ، وأن نقل السفن المناسبة إلى المنطقة يحتاج إلى أسبوعين .(٣٢)

لم تصادف فكرة إجراء استعراض رمزى لقوة الولايات المتحدة لإعادة فتح المضيق هوى لدى الكثيرين فى البنتاجون . فماذا عساه يحدث لو أطلق المصريون النار على سفينة أمريكية ؟ هل ترد الولايات المتحدة باستخدام القوة ؟ هل تهاجم المطارات المصرية ؟ هل يحتاج الأمر إلى قوات برية ؟ فإن كان الأمر كذلك فكم يكون عددها ؟ وإذا امتنع المصريون عن إطلاق النار ولكن دون أن يتراجعوا ، فإن بحرية الولايات المتحدة قد تجد نفسها فى الوضع المحرج ، وهو أن تضطر إلى خفارة المضيق إلى أجل غير مسمى فى ظل تهديد مدافع المصريين . لن يتم حل شىء بالطريق السياسى ، وستلفى الولايات المتحدة نفسها بكل بساطة وقد تورطت بالتزام آخر ترتب عليه تحويل قواتها بعيدا عن مصادر تهديد أخرى أساسية . يضاف إلى هذا أنه تلقاء الأعداد المتزايدة من القوات البرية المصرية المنتشرة بطول حدود إسرائيل ، ماذا عسى البحرية أن تفعل ؟

ومع أخذ كل شىء بعين الاعتبار ، فإن العسكريين لم يحبذوا استخدام قوات أمريكية . وكان السبب الجذرى للاعتراض أن المصلحة الذاتية البيروقراطية والسلوك الاحترافى يستلزمان عدم استخدام القوة إلا متى كان النجاح مؤكدا ، ومتى توافرت قوة متفوقة . والأسطول المتعدد الجنسيات هو بالنسبة للعسكريين كابوس . وما هكذا يقوم العسكريون بالتخطيط لمثل هذه العملية ، وهى عملية سياسية إلى أبعد حد . وعندما ارتأى العسكريون أن هذه العملية غير مستصوبة ، فإنهم لم يبذلوا جهدا لإمكان تحقيقها . وهكذا أصبح جونسون ، ربما بصورة غير ملحوظة ، محروما من أداته السياسية الرئيسية بسبب تشكك البنتاجون .

أما وزارة الخارجية ، ولو فى مستوياتها العليا على الأقل ، فكانت على النقيض من ذلك متحمسة للفكرة ، إذ أيدها الوزير دين راسك ، وأصبح وكيل الخارجية روستو كبير الداعين إليها . فقد رأيا أن الفكرة وإن كانت معيبة عسكريا ، فإنها جذابة فى جوانبها السياسية . فهى أولا تشرك دولا أخرى مع الولايات المتحدة فى الدفاع عن مبدأ هام - هو حرية الملاحة - وفى التمسك بالالتزام لإسرائيل . وهى ثانيا تضعف من هيبة عبد الناصر التى كانت آخذة فى الارتفاع مرة أخرى ، دون وضعه فى وضع مستحيل . فإذا رغب عبد الناصر فى التراجع عن المواجهة مع إسرائيل ، هيأ له الأسطول عذرا مشرفا للإقدام على ذلك . ومن هنا انبرت وزارة الخارجية تبحث عمن يشاركون فى التوقيع على الإعلان البحرى ، وعمن يتبرعون بسفن للأسطول . وكانت هذه المهمة ، وهى مهمة سياسية فى جوهرها ، منوطة بوزارة الخارجية - وهى خير من يضطلع بها ؛ أما إعداد الأسطول فكان مناط وزارة الدفاع . ومن سوء الاتفاق أن التنسيق بين الوزارتين كان مفتقدا .

وصل وزير الخارجية إيبان إلى واشنطن بعد ظهر يوم ٢٥ مايو ، وجرت محادثاته الأولى فى وزارة الخارجية فى الساعة الخامسة مساء . وكانت نتيجة ذلك بذر بذور الارتباك بين راسمى السياسة الأمريكيين الذين كانوا قد انتهوا توا من التكيف مع الأزمة ، واعتقدوا بأنهم تبينوا مخرجا منها . وكان إيبان قد غادر إسرائيل ولديه تعليمات ببحث الخطط الأمريكية لإعادة فتح مضيق تيران ، وعند وصوله إلى الولايات المتحدة وجد تعليمات جديدة فى انتظاره .(٣٣) فلم يعد مطلوبا منه أن يبرز مسألة المضيق ، لأن هناك خطرا أكثر إلحاحا غطى على موضوع الحصار ، ألا وهو الهجوم المصرى الوشيك . وطُلب من إيبان أن يبلغ أعلى السلطات بهذا التهديد الجديد للسلام ،

وأن يطلب بيانا رسميا من الولايات المتحدة بأن الهجوم على إسرائيل سيعد هجوما على الولايات المتحدة .(٣٤) وبرغم ما كان يعتور إيبان من شكوك خاصة ، فقد اتبع التعليمات فى أول اجتماع له مع وزير الخارجية راسك ووكيل الخارجية روستو ومساعد وزير الخارجية باتل .

وأنهى راسك الاجتماع على وجه السرعة حتى يتسنى له التشاور مع جونسون حول الوضع الجديد . واستؤنف الاجتماع مع إيبان فى الساعة السادسة مساء على عشاء عمل حضره ضمن المجموعة الأمريكية يوجين روستو ولوشيوس باتل وجوزيف سيسكو (مساعد الوزير للشؤون الدولية) وليونارد ميكر (المستشار القانونى) . وتم إبلاغ الإسرائيليين بأن المصادر الأمريكية لم تستطع تأكيد وجود خطة مصرية للهجوم ، ومع ذلك سيجرى تحذير المصريين من الإقدام على استخدام القوة ، وسيطلب من موسكو اتخاذ خطوة سياسية بالتوازى مع ذلك . ثم انتقلت المحادثات إلى الاقتراح البريطانى ، بما فى ذلك الإعلان الذى يصدر عن الدول البحرية ، والذى تؤيده الأمم المتحدة ، وموضوع الأسطول المتعدد الجنسيات . وحذرت الولايات المتحدة إسرائيل مرة أخرى من الإقدام على حرب وقائية .(٣٥) وكان الرأى الذى طرح من الجانب الأمريكى هو أن مصر لن تقاوم الأسطول عندما يحين الحين . ولكن لا بد من إصدار إعلان الدول البحرية أولا ، ومواصلة المناقشة العامة فى الأمم المتحدة ؛ وألا تتحرك السفن إلا بعد ذلك . وأبلغت إسرائيل بأن من الضرورى إقناع الرأى العام الأمريكى بأنه قد تم استنفاد جميع الطرق قبل اللجوء الى القوة .

ولا بد أن المناقشات اتسمت بشىء من البعد عن الواقعية . فالإسرائيليون مشغولون بالتقارير المتعلقة بهجوم مصرى وشيك ، فى حين يتحدث الأمريكيون عن إصدار بيانات ، وعن الأمم المتحدة ، وعن الكونجرس ، وعن قوات بحرية مفترضة .(٣٦) وبعد انتهاء المحادثات عاد السفير الإسرائيلى هارمان إلى وزارة الخارجية عند حوالى منتصف الليل ليؤكد مجددا حاجة إسرائيل إلى بيان ملموس محدد عن نوايا الولايات المتحدة .(٣٧) كما حذر من أن إسرائيل لن ترتضى أى خطة تقضى بفتح المضيق أمام جميع السفن باستثناء السفن الإسرائيلية .

وأمضى خبراء المخابرات الأمريكيون ليلة ٢٥ ـ ٢٦ مايو وهم يحللون الزعم الإسرائيلى بأن هناك هجوما مصريا وشيكا . وكان الإسرائيليون قد تقدموا بعدة وقائع محددة فى عرضهم لقضيتهم . وبحلول صباح ٢٦ مايو كان مجتمع المخابرات قد حلل كلا من هذه الاتهامات وانتهى إلى أنه ليس هناك هجوم وشيك .(٣٨) وقد عانى الإسرائيليون من فقدان المصداقية فى لحظة هامة ، وبدا أن جونسون صار يتشكك من تعرضه لضغوط حتى يلتزم بأمور إما أنه يعجز عن القيام بها ، مثل إصدار بيان باعتبار أى هجوم على إسرائيل هجوما على الولايات المتحدة ، أو أنه لا يريد القيام بها بعد ، مثل وضع خطة محددة بشأن الأسطول المتعدد الجنسيات . ويؤخذ من أقوال الذين عملوا مع جونسون فى تلك الفترة أنه لم يشأ أن يُحْمَل على شىء ، وأنه كاره للإنذارات النهائية والآجال المضروبة ، وأنه يرفض الضغط المتزايد حتى يتبنى التصور الإسرائيلى للموقف . وباعتباره الرئيس ، فعليه قبل كل شىء أن يهتم بموقف الاتحاد السوفيتى ، وبموقف الكونجرس والرأى العام ، بل وأيضا بالعلاقات الأمريكية العربية ؛ ولم يشأ أن يحمله الفزع على التسرع .(٣٩)

كان من الواضح أن جونسون متردد فى لقاء إيبان يوم الجمعة ٢٦ مايو ، إذ كان يعرف أن هذا الاجتماع سيكون اجتماعا هاما وربما حاسما . وكان من المقرر عقد اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى يوم الأحد ، والكلام الذى يقوله لإيبان قد يمثل الفرق بين الحرب والسلام . وكان الإسرائيليون يلحون فى طلب التزام محدد ، وخطة مفصلة ، ووعود بالتصرف وتفاهم فى حالة ما إذا أقدمت إسرائيل على التصرف من جانبها . وتلقاء هذه الضغوط اجتهد جونسون فى التأجيل كسبا للوقت . واتصل راسك بهارمان فى الصباح المبكر للاستفسار منه عما إذا كان فى وسع إيبان البقاء فى واشنطن إلى يوم السبت ، وهو ما يسمح لجونسون بأن يقف على نتائج بعثة يوثانت إلى القاهرة . لكن إيبان ، تأكيدا منه لأهمية اجتماع مجلس الوزراء يوم الأحد ، قال إنه مضطر إلى السفر إلى إسرائيل مساء الجمعة .(٤٠)

وفى صباح يوم الجمعة ٢٦ مايو ، توجه إيبان إلى البنتاجون حيث اجتمع بوزير الدفاع روبرت مكنمارا ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة إيرل ويلر ، ومدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ريتشارد هلمز . وهناك تم إطلاعه على نتائج الاستعراض الذى أجرته المخابرات فى الليلة السابقة .(٤١) فلا دليل هناك على أن مصر تخطط لهجوم . وقيل لإيبان فضلا عن ذلك بأن كلا من وكالة المخابرات المركزية والبنتاجون على اقتناع بأن إسرائيل تستطيع الفوز بسهولة فيما إذا بدأت الحرب ، أيا كان صاحب الضربة الأولى ، وأن القتال لن يستغرق أسبوعا . ولعل هذا الإفتراض كان أكثر طمأنة للعسكريين الأمريكيين العازفين عن دعوتهم إلى التدخل ، منه للإسرائيليين .(٤٢)

وفى الوقت عينه أعد وزير الخارجية راسك ووكيل الخارجية يوجين روستو مذكرة هامة لتقديمها إلى الرئيس . وتقرر عقد اجتماع فى الظهر لمناقشتها ثم للإعداد للاجتماع مع إيبان . واتصل والت روستو بإيفرون فى الصباح طالبا إرجاء اجتماع إيبان بالرئيس ، بدعوى أن جونسون مشغول بدراسة وثائق عام ١٩٥٧ بشأن الالتزام الأمريكى الخاص بالمضيق .(٣٤)

وقد بدأت مذكرة راسك للرئيس باستعراض محادثاته مع إيبان فى الليلة السابقة ، بما فى ذلك المعلومات الإسرائيلية عن هجوم مصرى وسورى وشيك ، والمطالبة ببيان علنى عن التأييد الأمريكى لإسرائيل فى مواجهة هذا العدوان . وقيل إن إيبان لن يلح على هذه النقطة مع جونسون ، وأن حديث الرئيس يمكن أن ينصب على الاقتراح البريطانى . وطرح راسك بعد ذلك خيارين أساسيين هما :

- « ترك الإسرائيليين يقررون ماهى أفضل السبل لحماية مصالحهم القومية فى ضوء النصيحة التى نقدمها لهم : أى « إطلاق العنان » لهم » ؛
- أو« اتخاذ موقف محدد ، دون التزام نهائى ، بشأن الاقتراح البريطانى » .

وأوصى راسك بشدة بعدم الأخذ بالخيار الأول . ولما كان راسك يعرف بأن مجلس الوزراء البريطانى سيجتمع فى اليوم التالى لبحث خطة الأسطول المتعدد الجنسيات فقد أيد الخيار الثانى الذى قام بعد ذلك باستعراضه بشىء من الإسهاب . وقد تضمن تلخيصه الفكرة القائلة بضرورة

مرابطة قوة للأمم المتحدة بطول الحدود الإسرائيلية المصرية على الجانبين . فإن رفضت مصر ، فقد تقبل إسرائيل .

وأوضحت مذكرة راسك حاجة إيبان إلى التزام قوى من جونسون . واستعرضت آراء الكونجرس ، كما أشارت بحذر إلى خيار قيام الولايات المتحدة بعمل منفرد . وأعد مشروع قرار مشترك من الكونجرس تأييدا لاتخاذ إجراء دولى بشأن المضيق . وفى الختام أشار راسك الى احتمال تقديم معونة اقتصادية وعسكرية إلى إسرائيل للمساعدة على مواجهة الضغوط الناشئة عن التعبئة المستمرة .(٤٤)

وفى يوم ٢٦ مايو عقد الرئيس جونسون بعد الظهر بقليل أهم اجتماع موسع مع مستشاريه عقد خلال الأزمة فى البيت الأبيض . وكان الحاضرون : نائب الرئيس همفرى ، ووزير الخارجية راسك ، ووزير الدفاع مكنمارا ، ومستشار الأمن القومى والت روستو ، ووكيل الخارجية يوجين روستو ، ورئيس هيئة الأركان المشتركة ويلر ، ومدير وكالة المخابرات المركزية هلمز ، ووكيل وزارة الدفاع سيروس فانس ، ومساعد وزير الخارجية باتل ، ومساعد وزير الخارجية سيسكو ، والسكرتير الصحفى جورج كريستيان ، ومستشارين غير رسميين وهم قاضى المحكمة العليا ايب فورتاس وجورج بول وكلارك كليفورد . وقد بدأ ويلر بتقديم بيان عسكرى موجز اشتمل على الأدلة المتاحة حول مواقف قوات كل من الطرفين . وأعرب عن تقديره بأن إسرائيل تستطيع البقاء بمستوى تعبئتها الحالى لمدة شهرين دون حدوث مشكلات خطيرة . وبالتالى فليس هناك استعجال من الناحية العسكرية . وتلاه راسك بأن استعرض الوضع الدبلوماسى ، ولاسيما محادثاته فى الليلة السابقة مع إيبان . وقال راسك للمجموعة إنه طلب من إسرائيل الحذر من شن ضربة وقائية . ثم تحدث مكنمارا عن جلسته الصباحية مع إيبان التى أثار فيها وزير الخارجية الإسرائيلى قضية الالتزامات الأمريكية التى قطعت فى عام ١٩٥٧ كجزء من المفاوضات التى أسفرت عن انسحاب إسرائيل من سيناء . وقوام هذه الالتزامات مذكرة تاريخها ١١ فبراير ١٩٥٧ وقعها وزير الخارجية دالاس جاء فيها أن الولايات المتحدة تعتبر مضيق تيران ممرا ملاحيا دوليا . وواضح أن إيبان يحاول توسيع نطاق هذا البيان ، وغيره من البيانات التى صدرت فى ذلك الوقت ، بحيث تتحول إلى التزام أمريكى باستخدام القوة عند الضرورة لإعادة فتح المضيق . ومن الجانب الأمريكى ، فإن أقصى ما أعُترف به هو أن دالاس قال إن الولايات المتحدة تعترف بحق إسرائيل بموجب المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة فى استخدام القوة لفتح المضيق إذا ما أغُلق بالقوة .

ثم أعرب كل من مستشارى جونسون ، الواحد بعد الآخر عن آرائه للرئيس . وانتقلت المناقشة إلى فكرة الأسطول المتعدد الجنسيات ، فأعرب مكنمارا عن عدم موافقته على الفكرة لاعتبارات عسكرية .(٤٥) ثم قدم راسك تقريرا عن محادثات يوثانت فى القاهرة التى انتزعت من عبد الناصر وعدا بعدم اتخاذ إجراء وقائى ، والتى أدت إلى بعض مناقشات حول الكيفية التى يمكن بها تعديل الحصار . ثم ساق عبارة كان مآلها أن توجه إلى الإسرائيليين بكثرة فى الأسبوعين التاليين ، وهى : « إن إسرائيل لن تكون بمفردها إلا إذا قررت أن تمضى بمفردها » .(٤٦) وكان من الواضح أن راسك يهتم بأى الطرفين يفتح النار أولا .(٤٧) أما جونسون ، الذى يبدو أنه اطمأن إلى التقدير

القائل بأن الوضع العسكرى لن يتدهور فجأة ، فقد تحدث موافقا على المحاولة البحرية ووصفها بأنها « الورقة الأساسية » فى محادثاته مع إيبان ، وإن كان يدرك أن هذا قد لا يكون كافيا لإيبان . وسأل مستشاريه عما إذا كانوا يعتقدون بأن إيبان قد يسيء تفسير ذلك ويعتبره « برودا وجفاء » من ناحيته . وأعرب جونسون عن اعتقاده بأنه لا يسعه أن يقدم التزاما واضحا باستخدام القوة ، بسبب الشعور العام فى الكونجرس .

واشترك فورتاس فى المناقشة قائلا إن المشكلة تتحصل فى منع إسرائيل من القيام بالضربة الأولى . وهذا يتطلب التزاما أمريكيا بأن تمر سفينة إسرائيلية عبر المضيق . وأوصى فورتاس بأن يقدم جونسون وعدا باستخدام أية قوة تكون لازمة . وقال جونسون إنه ليس فى وضع يطوع له أن يبذل مثل هذا الوعد ، فلن يحصل إيبان على كل ما يريده . وقال إن الكونجرس يقف بالإجماع ضد اتخاذ موقف أكثر قوة . وتساءل بصوت عال عما إذا كان سيعتريه ندم يوم الاثنين لأنه لم يعط اليوم لإيبان أكثر من هذا ، ثم غادر الاجتماع . وتحدث الآخرون بضع دقائق ، وكان موقف كل من مكنمارا وراسك موقفا قويا مؤداه أن إسرائيل ستكون بمفردها إذا ما قررت أن تضرب أولا . ورد فورتاس بأن جونسون لا يسعه أن يقول لإسرائيل إنها ستكون بمفردها . فليس أمام الرئيس خيار للوقوف موقف المتفرج .(٤٨)

وهكذا كانت بين مستشارى جونسون مدرستان رئيسيتان للتفكير تم عرضهما . وكان البادى أن الرئيس يميل إلى رأى مكنمارا وراسك ، ولكن الذى لا ريب فيه أنه أصاخ السمع أيضا إلى ما كان فورتاس يقوله . وكان المثير فى بضعة الأيام التالية فى دوائر السياسة الأمريكية ، هو تحول جونسون بالتدريج من تأييد رأى راسك بإعطاء « الضوء الأحمر » إلى الوقوف مع فورتاس الذى بدأ يقول إنه ينبغى السماح لإسرائيل بأن تتصرف منفردة إذا كانت الولايات المتحدة غير راغبة أو غير قادرة على استخدام القوة لإعادة فتح المضيق . وهو ما سمى وجهة نظر « الضوء الأصفر » .

وبحلول العصر كان الإسرائيليون قد أصبحوا متلهفين على تحديد موعد نهائى لمقابلة إيبان للرئيس .(٤٩) فقد اتصل الوزير إيفرون بوالت روستو الذى دعاه إلى المجيء إلى البيت الأبيض للتحدث معه . وقيل له إن جونسون لا يريد أن يتسرب شيء عن الاجتماع إلى الصحافة ، وأنه لا بد من مناقشة عدة تفاصيل عن الزيارة . وأثناء وجود إيفرون فى مكتب روستو ، اتصل الاخير بجونسون الذى دعا إيفرون عندما علم بوجوده إلى إجراء حديث غير رسمى . فقد كان جونسون يعرف إيفرون ويرتاح إليه ، والمعتقد أنه أحس بأنه قد يكون من المفيد نقل موقفه عن طريق إيفرون قبل الاجتماع بصورة رسمية مع إيبان . وبدأ جونسون حديثه بأن أكد أن أى إجراء أمريكى يحتاج إلى تأييد الكونجرس للرئيس ، وكرر هذه النقطة عدة مرات . وإذا كانت المحادثات فى الأمم المتحدة لا ينتظر أن تسفر عن شيء ، فهى جزء هام من عملية بناء التأييد . وأشار جونسون بعبارة أكثر إيجابية إلى الجهد المبذول فى سبيل الأسطول المتعدد الجنسيات . واعترف بأن من حق إسرائيل كدولة ذات سيادة أن تتصرف بمفردها ، وإن كانت الولايات المتحدة فى هذه الحالة لن تستشعر التزاما تجاه أية عواقب تنجم عن ذلك .(٥٠) وقال إنه لا يعتقد بأن إسرائيل ستقدم على مثل هذا

العمل المنفرد . وفى الختام أكد جونسون أنه ليس جبانا ، وأنه لم يرجع عن وعوده ، ولكنه لن يُحمل على الاندفاع فى مسار للعمل قد يعرض الولايات المتحدة للخطر لمجرد أن إسرائيل قد حددت يوم الأحد كموعد نهائى .(٥١)

وصل إيبان إلى البيت الأبيض دون إعلان فى الوقت الذى كان فيه إيفرون مع الرئيس . وبعد شىء من الارتباك بدأ اجتماعهم بعد الساعة السابعة مساء بقليل ، وكان الأمريكيون الحاضرون هم جونسون ومكنمارا ووالت ويوجين روستو وجوزيف سيسكو وجورج كريستيان . وردا على مناشدة من إيبان بأن تفى الولايات المتحدة بالتزاماتها الصريحة ، ذكر جونسون أنه وصف الحصار بأنه غير مشروع ، وأنه عاكف على خطة لإعادة فتح المضيق . وأشار إلى أنه لا يملك سلطة القول بأن أى هجوم على إسرائيل سيعد هجوما على الولايات المتحدة . ثم عاد فأكد الركنين الأساسيين فى السياسة الأمريكية وهما : أن أى إجراء لابد أن يظفر بتأييد الكونجرس ، وأنه لا بد أن يكون متعدد الأطراف . وقال لإيبان إنه على علم تام بما قاله الرؤساء الثلاثة السابقون ، ولكن بياناتهم « لا تساوى خمسة سنتات » إن لم يؤيد الشعب والكونجرس الرئيس .

وكرر جونسون مرتين العبارة التى صاغها راسك وهى : « إن إسرائيل لن تكون بمفردها إلا إذا قررت أن تمضى بمفردها » . وقال إنه لا يستطيع أن يتصور إقدام إسرائيل على قرار متهور . وفى حالة تشكك إيبان فى شجاعة جونسون الشخصية ، فقد أكد الرئيس بأنه « ليس فأرا هزيلا أو جبانا » . وسأل إيبان الرئيس مرتين عما إذا كان يستطيع إبلاغ مجلس الوزراء بأن جونسون سيبذل كل ما فى سلطانه للعمل على فتح الخليج أمام ملاحة جميع الدول ، بما فى ذلك ملاحة إسرائيل . فرد جونسون بقوله « نعم » .(٥٢) ثم قُدمت إلى إيبان مذكرة تحدد سياسة الولايات المتحدة ، وهى :

إن للولايات المتحدة إجراءاتها الدستورية ، وهى أساسية فى أعمالها المتعلقة بأمور الحرب والسلام . وأن الأمين العام للأمم المتحدة لم يقدم حتى الآن تقريرا إلى مجلس الأمن ، كما أن المجلس لم يوضح بعد ما الذى يستطيع أو يرغب فى عمله ، وإن كانت الولايات المتحدة ستصر على اتخاذ إجراء ناجز فى الأمم المتحدة .

وقد قمت فعلا بالتصريح علنا فى هذا الأسبوع بآرائنا بشأن سلامة إسرائيل وبشأن مضيق تيران . وفيما يتعلق بالمضيق ، ففى خطتنا أن نتخذ بكل قوة التدابير التى يستطاع اتخاذها من جانب الدول البحرية للتأكد من أن المضيق والخليج سيظلان مفتوحين أمام المرور الحر البرىء لسفن جميع الدول .

ولا بد أن أؤكد ضرورة ألا تجعل إسرائيل من نفسها مسؤولة عن بدء الحرب ، ولن تكون إسرائيل بمفردها إلا إذا قررت أن تمضى بمفردها . ولا يسعنا أن نتصور أنها ستتخذ هذا القرار .

وبينما كان إيبان يغادر البيت الأبيض ، التفت جونسون إلى مستشاريه وقال : « لقد فشلت ، وهم سيمضون فى طريقهم » .(٥٣)

التمهيد لحرب يونيو ١٩٦٧

واضح أن جونسون كان على وعى بعدم استواء السياسة التى يتبعها . فالمحاولة الخاصة بالأسطول المتعدد الجنسيات ستستغرق وقتا ، وحتى مع ذلك قد تصاب بالفشل لأسباب متعددة . أما البديل ، وهو العمل الأمريكى المنفرد ، فلم يبحث بحثا جادا . وواضح أن الكونجرس كان مصدرا رئيسيا للقلق ، ووراء الكونجرس تكمن الحقائق المتعلقة بالصراع فى فيتنام . وقد أدرك جونسون أن إسرائيل كانت تخضع لطائفة مختلفة من الضغوط ، وقد تضطر إلى المضى إلى الحرب . ولكنه قال إن هذا لو حدث ، فإن الولايات المتحدة لن تكون ملتزمة باتخاذ إجراء . ومن الواضح أنه لم ينفك يريد للإسرائيليين أن يمتنعوا عن العمل العسكرى ، ولكن يبدو مع مرور الوقت أنه صار يرتضى ترك الإسرائيليين يتخذون ما يرون ضرورته من الإجراءات . وفوق كل شىء ، لم يكن جونسون مستعدا لأن يعطى إسرائيل الشىء الوحيد الذى ربما تناها عن العمل بمفردها ـ ألا وهو إعطاؤها ضمانا أكيدا باستخدام القوة لإعادة فتح المضيق إذ لزم الأمر . ولقد كاد إيبان يستخلص هذا الوعد ، ولكن الواضح فى ذهن جونسون أن ذلك مقيد بالرجوع إلى إجراءات دستورية أمريكية و« باستخدام كل وسيلة فى حدود سلطتى » .

والذى طلبه جونسون هو مهلة من الوقت ـ مهلة حتى تبحث فكرة الأسطول ، ومهلة حتى تهدأ الخواطر ، ومهلة لاستقصاء الحلول الوسط . وحاول أن يستخلص من إسرائيل التزاما بمنحه مهلة أسبوعين ابتداء من حوالى ٢٧ مايو . وفى هذا اليوم أخبر السوفيت جونسون بأن لديهم معلومات بأن إسرائيل تخطط للهجوم . فقام جونسون بالرد على كوسيجين ، وبعث برسالة إلى إشكول بلغته يوم ٢٨ مايو ، كرر فيها المعلومات الواردة من موسكو وحذر إسرائيل من بدء الحرب .(٥٤) وفى الوقت عينه قرر الرئيس الشروع فى مزيد من الاتصالات بعبد الناصر . وفى سبيل ذلك أوفد السفير شارلز يوست إلى القاهرة لمساعدة السفير المرشح نولت فى تعاملاته مع المصريين ، كما طُلب من روبرت اندرسون الوزير السابق للخزانة أن يتحدث بصورة شخصية مع عبد الناصر حول العمل على ترتيب زيارات متبادلة على مستوى نواب الرئيس .

وأتبع راسك رسالة جونسون إلى أشكول برسالة منه بعث بها إلى السفير باربور لنقلها إلى الإسرائيليين ، جاء فيها :(٥٥) « أمّا وهناك تأكيد بوجود عزيمة دولية معقودة لبذل كل جهد فى سبيل بقاء المضيق مفتوحا أمام رايات جميع الدول، فإن العمل المنفرد من جانب إسرائيل يعتبر عملا غير مسؤول وله وقع الكارثة » . وبالتوازى مع رسالة جونسون إلى كوسيجين التى دعا فيها إلى جهد أمريكى سوفيتى لالتماس حل ناجز لقضية مضيق تيران ، بعث راسك برسالة إلى وزير الخارجية اندريه جروميكو دعا فيها إلى اعطاء انذار نهائى مدته اسبوعان بشأن إغلاق المصريين للمضيق . وقد حففت الرسالة إلى اشكول هدفها . ففى اجتماع مجلس الوزراء يوم الأحد ٢٨ مايو ، بدا المجلس منقسما انقساما متعادلا حول قضية الحرب ، وهل يتم خوضها . وقرر اشكول ، بعد إمعان التفكير فى خطاب جونسون وتقرير إيبان عن محادثاته ، أن ينزل على ما طلبه الرئيس .

ومند تلك النقطة فصاعدا ، بدأ كثير من المسؤولين فى واشنطن يتصرفون وكأن لديهم أسبوعان

على الأقل يعكفان فيهما على التماس حل . وكان الشعور السائد أن الفترة الحرجة تبدأ بعد يوم الأحد ١١ يونيو . ورغم أنه كان هناك ما يبعث على الاعتقاد بأن الإسرائيليين سيكفون أيديهم إلى ذلك التاريخ وفقا لما طلبه جونسون ، فقد كان واضحا أن هذا التعهد لن يظل ساريا إذا ما حدث تغيير جوهرى فى الموقف على الساحة أو داخل إسرائيل . ولقد حدثت فعلا تغييرات فى الأيام التالية .

خطوط اتصال غير رسمية

خلال هذه الفترة ، كان القاضى ايب فورتاس يوالى الاتصال بالسفير الإسرائيلى الوقور أفراهام هارمان ، والمعتقد أن ذلك كان يتم بمباركة من جونسون .(٥٦) وكان فورتاس وهارمان صديقين شخصيين حميمين ، وظلت اللقاءات منتظمة بينهما فى الجزء الأخير من شهر مايو والأيام الأولى من شهر يونيو . وكان فورتاس يتحدث تليفونيا مع الرئيس بقدر كبير من الانتظام . وكان لدى الإسرائيليين ما يدعوهم إلى افتراض أنهم يتعاملون مع واحد ممن هم موضع ثقة حقيقية من جونسون ، على الرغم مما قيل من أن هارمان لم يعتبر أن أحاديثه مع فورتاس تمثل قناة بديلة للتعامل مع حكومة الولايات المتحدة . ومن الطبيعى أنه هو وإيفرون ، وكان بدوره يتحدث مع فورتاس ، كانا يدركان أنهما إنما يتعاملان مع شخص قريب من جونسون وأن آراءه تستحق عناية بالغة . كما أنهما كانا يتعاملان مع رجل ملتزم التزاما عميقا بإسرائيل ، وهو يبدو مستريبا من وزارة الخارجية ومن دين راسك على وجه خاص ،(٥٧) وأن ما كانا يسمعانه من فورتاس هو قرينة جديدة يستطيعان استخدامها فى محاولة استقراء تفكير جونسون .

ولم يلق التقرير الذى أعده إيبان عن آراء جونسون قبولا عاما فى إسرائيل . فقد اعتقد البعض أنه أساء فهم مغزى عبارة « إن إسرائيل لن تكون بمفردها إلا إذا قررت أن تمضى بمفردها » . فهى لا تمثل حظرا مطلقا . والواقع أن جونسون اعترف بأن من حق إسرائيل أن تتصرف على مسؤوليتها . ولكنه ألح عليها بألا تفعل ذلك بصورة فورية على الأقل . وقد أوضح أنه لن يستطيع أن يقدم كبير مساعدة إذا ما تورطت اسرائيل فى متاعب . وعلى مدى بضعة الأيام التالية ، بذل الإسرائيليون جهدا ضخما فى سبيل معرفة أين يقف جونسون بالضبط ، وفى إطلاق إشارات بأن الوقت يعمل فى غير صالح إسرائيل . وكان العنصر المحورى فى هذا الجهد هو الزيارة التى قام بها مائير أميت رئيس إدارة المخابرات الإسرائيلية (الموساد) إلى واشنطن باسم مستعار فى ٣١ مايو .

وفى الوقت الذى كان الإسرائيليون يسعون فيه لتحديد كنة آراء جونسون على وجه الدقة ، قام هو بمغادرة المدينة لقضاء عطلة نهاية أسبوع طويلة فى ضيعته فى تكساس . ولم يرافقه أحد من مستشاريه فى السياسة الخارجية ، وإن كان فى وسعهم البقاء على اتصال منتظم معه بالتليفون والبرق . وقد أنفق الجزء الأكبر من وقته فى عطلة نهاية الأسبوع بمناسبة « يوم التذكار » ـ التى امتدت من السبت ٢٧ مايو وحتى عودته إلى البيت الأبيض فى وقت مبكر من صباح الأربعاء ٣١ مايو ـ فى رفقة آرثر وماتيلده كريم ، ومارى لاسكر ، وجيك جاكوبسون وهو مستشار قانونى سابق . وكانوا جميعا من المشتغلين بالسياسات الحزبية ، وكان كريم وزوجته والسيدة لاسكر من

كبار المتبرعين للحزب الديمقراطى . ولا بد أن جونسون كان فى عطلة نهاية الأسبوع تلك مشغولا بالتفكير فى الحزب ، إذ كان من المقرر أن يتحدث فى مناسبة لجمع التبرعات للحزب فى ٣ يونيو . وكان المفروض أن يرأس المناسبة فى تلك الليلة آرثر كريم ، ومن المؤكد أن جمهور المستمعين كان مهتما بما سيقوله الرئيس عن الشرق الأوسط وإسرائيل . وكان من المقرر أيضا أن يكون روبرت كنيدى حاضرا ، ولعل جونسون كان شديد القلق بازاء المحاولة التى يبذلها كنيدى لانتزاع الحزب منه .(٥٨) وصفوة القول أن ذهن الرئيس كان مشغولا بأكثر من الشرق الأوسط وفيتنام وهو يتجول مع ضيوفه فى أنحاء ضيعته .(٥٩)

قبل وصول أميت إلى واشنطن مباشرة ، حدث تغيير شديد الأهمية فى الوضع فى الشرق الأوسط . ذلك أن الملك حسين عاهل الأردن ـ تلقاء الضغط الشديد الواقع عليه للانضمام إلى التيار الرئيسى للقومية العربية ـ طار إلى القاهرة ووقع ميثاقا للدفاع المشترك مع عبد الناصر ، وعاد إلى الأردن وفى معيته قائد مصرى ليتولى القيادة العسكرية المشتركة . وقد اعتبر والت روستو هذا التطور نقطة تحول كبيرة ، وأكد ما يمثله إرسال جنود صاعقة من المصريين إلى الأردن من خطر عسكرى . واعتقد أن التصرفات العربية منذ هذه اللحظة فصاعدا ، من شأنها أن تجعل الحرب أمرا لا مندوحة منه . وما لم يتراجع العرب ، أو ما لم يكن هناك وقت كاف لاستشعار القوة الأمريكية ، فمآل إسرائيل أن تأخذ الأمور فى يديها .(٦٠)

وفى يومى ٣٠و ٣١ مايو أعطيت فى واشنطن إشارات مختلطة تتعلق على وجه التحديد بالقضية الحاسمة ، وهى هل لدى الولايات المتحدة الوسائل والإرادة ، سواء بمفردها أو مع آخرين ، لكسر الحصار حول مضيق تيران . وقد أطلع السفير الإسرائيلى على إعلان مشترك ، يقترح أن تصدره الدول البحرية ، ولكن دون أية إشارة إلى استخدام القوة إذا لزم الأمر لفك الحصار .(٦١)

وفى ٣٠ مايو أرسل إشكول ردا على خطاب جونسون المؤرخ فى ٢٨ مايو ، أشار فيه إلى أن التأكيدات الأمريكية باتخاذ « جميع التدابير لفتح المضيق » كان لها دورها فى القرارات الإسرائيلية بعدم المضى إلى الحرب وبالموافقة على الانتظار « أسبوعا أو أسبوعين » .(٦٢) وفى هذا الإطار الزمنى ألح إشكول بضرورة تحرك سفن حراسة عبر المضيق . وعندما أحيط جونسون علما بهذه الرسالة فى ٣١ مايو ساوره الغضب ، وقال إنه لم يعد إسرائيل بأن يستخدم « جميع التدابير » ؛ وأنه أكد بالأحرى بأنه سيبذل كل جهد فى نطاق سلطته الدستورية . وطلب من والت روستو الاتصال بإيفرون للتأكد من عدم وجود أى سوء فهم بشأن هذه النقطة . وأجاب إيفرون محذرا من عواقب ما لاح بأنه إضعاف لالتزام الولايات المتحدة .(٦٣)

وبعث يوست من القاهرة بتقرير فى ٣٠ مايو عن انطباعه بأن عبد الناصر « لا يسعه أن يتراجع ولن يتراجع » ، وأنه « ربما يرحب بمعركة عسكرية حاسمة مع إسرائيل ، لكن دون أن يسعى لذلك » ، وأن أى جهد أمريكى فى سبيل اقتحام المضيق « سيضعف إن لم يدمر وضع الولايات المتحدة فى جميع أنحاء العالم العربى » .(٦٤) وفى اليوم التالى اجتمع أندرسون بعبد الناصر ، وبحث معه إمكان قيام نائب الرئيس زكريا محيى الدين بزيارة لواشنطن فى ٧ يونيو .(٦٥) وتوقع بعض المسؤولين فى واشنطن أن عبد الناصر ربما يقترح إحالة النزاع حول المضيق إلى محكمة

العدل الدولية ، وهو اقتراح قد يكون من الصعب على الولايات المتحدة رفضه ؛ والمؤكد أن إسرائيل ستجده اقتراحا يستحيل قبوله .

وبدأت تروج في واشنطن شائعات في ٣١ مايو مؤداها أن الولايات المتحدة تبحث عن حلول وسط لإنهاء الأزمة .(٦٦) وكان هناك في الواقع قدر من البحث في هذا الصدد في وزارة الخارجية ، ولم تلبث مشاورات راسك مع الكونجرس حول هذا الموضوع أن وصلت إلى آذان الإسرائيليين وأثارت قلقهم .(٦٧) وفي هذا اليوم بالذات التقط الإسرائيليون تقريرا مؤداه أن راسك قال لأحد الصحفيين : « لا أعتقد أن من شأننا أن نحمل أحدا على ضبط النفس » ، وذلك عندما سئل عما إذا كانت الولايات المتحدة تحاول حمل إسرائيل على ضبط النفس .(٦٨)

هذا هو الجو الذي وجده أميت عندما قدم تقريره الأول عن نشاطه في جس النبض في واشنطن . وتحصلت نصيحته في الانتظار بضعة أيام أخرى ، ولكنه لاحظ أن الحالة المزاجية قد بدأت تتغير . وكان من رأيه أن فكرة الأسطول فكرة يزداد الميل إلى اعتبارها فكرة غير مجدية . وإذا رغبت إسرائيل في أن تتصرف على مسؤوليتها وأن تنتصر انتصارا حاسما ، فلن ينزعج أحد في واشنطن . ومما تجدر الإشارة إليه أن وزارة الخارجية أو الرئيس لم يكونا هما مصدر هذه الانطباعات . فقد انصبت أحاديث أميت في أول يونيو وصباح يوم ٢ يونيو على البنتاجون حيث اجتمع بمكنمارا ، وعلى وكالة المخابرات المركزية حيث تحدث مع هلمز وجيمس أنجلتون .(٦٩)

وفي أول يونيو انفجرت أزمة سياسية كانت تتجمع في إسرائيل . ففي آخر النهار عين موشى ديان ، بطل حملة السويس في عام ١٩٥٦ ، عضوا في الوزارة ليشغل منصب وزير الدفاع . وحينذاك باتت الحرب وشيكة في المستقبل القريب . وكان بعض القادة في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تواقين إلى الضرب سريعا ، لكن إيبان كان يدرك تجربة حرب السويس عندما دخلت إسرائيل الحرب دون مباركة من الولايات المتحدة . ولذا كان يريد تأييد جونسون ، أو على الأقل سكوته ، إذا ما أقدمت إسرائيل على عمل عسكري . وبناء على ما سمعه في ٢٦ مايو في المكتب البيضاوي ، وما عززته رسالة راسك الصارمة بتاريخ ٢٨ مايو ، فإن هذا التأييد لم يكن قضية مسلما بها إذا ما أقدمت إسرائيل على حرب وقائية .

ثم حدث في أول يونيو أن تلقى إيبان رسالة أسهمت في تغيير موقفه . كانت الرسالة تتضمن تقريرا عن اجتماع عقده الوزير إيفرون مع فورتاس ، ورد فيه قول فورتاس « إن إشكول وإيبان قدما خدمة كبيرة لإسرائيل بإعطائهما فرصة للولايات المتحدة لكي تبحث الخيارات الأخرى غير خيار استخدام القوة من جانب إسرائيل . ولو لم يفعلا ذلك لكان من العسير الظفر بتعاطف الرئيس » .(٧٠) وقد خلص إيبان من ذلك إلى أن هذه إشارة أقرب ما تكون إلى الضوء الأخضر الذي يستطيع الرئيس الأمريكي أن يعطيه وهو آمن . وقام إيبان بعد ذلك بزيارة الجنرالين إسحق رابين وآهارون ياريف لكي يخبرهما بأنه لم يعد يرى أي ضرورة دبلوماسية لمزيد من ضبط النفس العسكري .(٧١)

كان يوم ٢ يونيو هو الفرصة الأخيرة لبذل محاولة دبلوماسية جادة قبل أن تقرر إسرائيل القتال .

وكان من المقرر سفر السفير الإسرائيلى إلى إسرائيل فى أواخر ذلك النهار ، كما أن هناك اجتماع « مصيرى » آخر لمجلس الوزراء سيعقد فى ٤ يونيو . وفى حوالى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢ يونيو ، قام الوزير إيفرون بزيارة لوالت روستو فى البيت الأبيض دون تعليمات من القدس ، إذ رغب فى التأكد من أن جونسون يدرك أنه لم يعد ثمة وقت ، وأن إسرائيل قد تضطر إلى خوض الحرب . كما كان يسعى إلى الحصول على مزيد من التأكيد للانطباع الذى خرج به أميت ، وهو أن الولايات المتحدة لن تعترض بشدة إذا ما تصرفت إسرائيل على مسؤوليتها . وأكد إيفرون أنه لا ينقل رسالة رسمية من حكومته ، ولكن النقاط التى أبداها عوملت بجدية . ففى بادىء الأمر أكد أن الوقت يعمل فى غير مصلحة إسرائيل ، وأن التكلفة العسكرية للحرب مع مصر تزيد كل يوم . ثم سأل عما يكون عليه رد الفعل الأمريكى فيما إذا حاولت سفينة إسرائيلية كسر الحصار ، مما يحمل مصر على إطلاق النار ، ثم ترد إسرائيل بالهجوم على شرم الشيخ . هل تعتبر الولايات المتحدة أن ذلك يمثل حالة من حالات تأكيد إسرائيل لحقها المشروع فى الدفاع عن النفس ؟ وماذا الذى سيحدث إذا ما تدخل الاتحاد السوفيتى ؟

وقال روستو إن هذا السيناريو مختلف تماما عن السيناريو الذى نوقش مع إيبان ، ولكنه بديل يمكن بحثه . وقال إنه سيطلب رأى جونسون ، ثم سأل إيفرون عن مقدار الوقت الباقى ، فرد عليه إيفرون مشيرا إلى تاريخ ١١ يونيو ، وإن كان أشار إلى أن هذا التاريخ ليس فيه ماهو جازم .(٧٢) ولاحظ إيفرون ، وهو ما أكده روستو ، أن تقارير المخابرات ألمحت إلى أن عبد الناصر ربما يمتنع عن إطلاق النار على سفينة جس نبض تخفرها الولايات المتحدة عبر المضيق .(٧٣) ومن هنا فقد تبقى قضية الوصول الإسرائيلى إلى خليج العقبة معلقة إلى أجل غير مسمى .

ثم أشار إيفرون إلى التزام عام ١٩٥٧ مؤكدا أنه التزام من جزءين : التزام أمريكى بتأكيد حق المرور البرىء فى المضيق ، واعتراف بحق إسرائيل فى التصرف باستخدام القوة فى حالة إغلاقه . وقال إن هذا الشق الثانى هو الذى يستقصيه اليوم ، لأن الشق الأول نوقش مع إيبان . وأشار ضمن أمور أخرى إلى أن من الأفضل بالنسبة للعلاقات الأمريكية العربية والعلاقات الأمريكية السوفيتية أن تتصرف إسرائيل بمفردها ، عوضا عن الاعتماد على قيام الولايات المتحدة باستخدام القوة لفتح المضيق .(٧٤) وهى نقطة سبق لعدد من السفراء الأمريكيين فى البلدان العربية أن ذكروها ، ولم تفت روستو الذى حث جونسون على أن يبحث اقتراح إيفرون « على وجه السرعة » .

ورد فعل جونسون إزاء أفكار إيفرون ليس معروفا ، وإن كان يقال إنه بحثها مع راسك .(٧٥) لكن الخطاب الذى بعث به فى اليوم التالى إلى إشكول ليس فيه إشارة إلى نهج جديد . إلا أن إيفرون لاحظ أن الخطاب تضمن إشارة محددة إلى شخصه ، وانه اشتمل كذلك على العبارة التالية : « لقد تبادلنا الآراء بصورة كاملة ووافية مع الجنرال أميت » .(٧٦) والواقع أن جونسون أضاف العبارة الخاصة بأميت بنفسه بعدما تلقى فى ٢ يونيو مذكرة وافية من هلمز عن محادثاته مع أميت ، بالإضافة إلى تحذير بأن إسرائيل كانت على وشك بدء القتال .(٧٧) وفيما عدا ذلك ، فإن الخطاب الذى كان ردا على رسالة إشكول المؤرخة فى ٣٠ مايو ، يعد تكرارا فى معظمه لما سبق أن قيل

لإيبان . كما أنه اشتمل على النص الكامل للمذكرة الإيضاحية . ووعد جونسون بأن « يقدم كل ما يمكن من التأييد الأمريكى الفعال لصون السلام والحرية ، لأمتكم وللمنطقة » . وأشار ثانية إلى الحاجة إلى تأييد الكونجرس ، وإلى العمل من خلال الأمم المتحدة . وبعدما ذكر جونسون الإعلان من جانب الدول البحرية والحراسة البحرية أضاف قوله « إن قيادتنا مجمعة على أن الولايات المتحدة ينبغى ألا تتحرك منعزلة عن غيرها » .(٧٨)

وفى ٢ يونيو أجرى السفير هارمان آخر حديث مع الوزير راسك قبل سفره إلى إسرائيل . ولم يكن لدى راسك شىء جديد يبلغه للسفير . وكانت المساعى للظفر بمن يوافقون على الإعلان الملاحى مستمرة . ولم يكن الإطار المتعدد الأطراف اللازم لاتخاذ إجراء فى خليج العقبة قد وجُد بعد . وظلت مسألة الطرف الذى يطلق النار أولا مهمة إلى أبعد حد ، وقام راسك بتحذير هارمان من أى اجراء إسرائيلى .(٧٩)

ولكن نفس هذا التحذير لم يتكرر عندما قام هارمان بزيارة فورتاس قبل توجهه إلى المطار مباشرة . ويؤخذ مما قاله الكاتب القانونى لفورتاس ، الذى ترامت التعليقات إلى سمعه ، أن فورتاس الذى تحدث مع الرئيس فى وقت مبكر فى ذلك اليوم ، قال لهارمان : « إن راسك يتمهل بينما إسرائيل تحترق . فإذا كنتم تريدون إنقاذ أنفسكم ، فاعتمدوا على أنفسكم » .(٨٠)

وفى اليوم التالى ، ٣ يونيو ، أعلن فى القاهرة أن زكريا محيى الدين سيسافر إلى الولايات المتحدة لإجراء محادثات فى ٧ يونيو . وكان راسك قد أبلغ هارمان بهذه الزيارة المقررة فى اليوم السابق . وكان من الواضح أن الإسرائيليين منزعجون لأن هذه الزيارة لن تكون فى صالحهم . وفى إسرائيل قام كل من هارمان وأميت ، اللذين عادا معا ، بإبلاغ إشكول أنه لا أمل فى عمل أمريكى منفرد ، أو فى عمل ناجح متعدد الأطراف . وكانت النتيجة التى لا مهرب منها هى : أن على إسرائيل أن تعتمد على نفسها . وكان فى تقدير أميت أنه لا يسع الولايات المتحدة أن تعترض إذا ما قامت إسرائيل بفك الحصار بطريقتها الخاصة .(٨٢) وعندما شعر راسك بأن الوقت آخذ فى النفاد ، أبرق إلى السفراء فى العالم العربى محذرا بأن إسرائيل قد تتصرف على الفور ، وأكد الالتزام الأمريكى بالاستقلال السياسى ووحدة الأراضى بالنسبة لجميع دول المنطقة ، وذكّرهم بالالتزامات الأمريكية التى قطعت لإسرائيل فى عام ١٩٥٧ بشأن المضيق ، وحثهم على أن يوافوه بأية أفكار عن كيفية تفادى الحرب .(٨٣)

وفى نفس الليلة طار جونسون إلى نيويورك لحضور احتفال الحزب الديمقراطى الذى كان من الواضح أنه يستأثر بقدر كبير من تفكيره على مدى الأيام السابقة . وأشار إلى « قلقه العميق » بإزاء الوضع فى الشرق الأوسط دون أن يستطرد فى ذلك . وبينما كان جونسون يتناول العشاء جالسا بين ماتيلده كريم ومارى لاسكر ، قيل إنه أُبلغ بأن إسرائيل قد اتخذت قرار المضى إلى الحرب ، إذ مال عليه ايب فينبرج ، وهو من رجال البنوك البارزين ومن جامعى التبرعات للحزب الديمقراطى ، وهمس فى أذنه : « سيادة الرئيس ، لم يعد ممكنا وقفها أكثر من هذا ، فستقع (الحرب) أثناء الساعات الأربع والعشرين المقبلة » .(٨٤) وهكذا علم الرئيس بأن نشوب الحرب أصبح وشيكا .

وفى الساعات الأربع والعشرين الباقية ، قبل وقوع الهجوم الإسرائيلى ، لم يتخذ جونسون أى إجراء آخر . فالإسرائيليون لم يبلغوه رسميا بالقرار الذى اتخذوه ، ولكن لم يكن هناك ما يدعوه إلى الدهشة عند إيقاظه فى صباح يوم ٥ يونيو لإبلاغه بأن الحرب قد بدأت . وهو على كل حال كان قد اتخذ خطوات ليؤكد لإسرائيل بأن « الضوء الأحمر » ، الذى أوضحه فى ٢٦ مايو ، قد تحول إلى الأصفر . وفى حين كان جونسون بعيدا عن تحريض إسرائيل على الهجوم ، فقد كان يبدو أنه ليس لديه ما يقدمه لهم . وكان « الضوء الأصفر » الذى أشار إليه فى خطابه إلى إشكول بتاريخ ٣ يونيو ، والذى تردد فى ملاحظات أبداها فورتاس وجولدبيرج ، معناه « كن حذرا » و« لا تعتمد على الولايات المتحدة إذا ما تعرضت لمتاعب » . ولكن الضوء الأصفر ، كما يفهمه معظم قادة السيارات ، هو فى مرتبة الضوء الأخضر .

إن الشرق الأوسط لن يعود أبدا إلى ما كان عليه . فالحرب التى ربما كان فى الوسع تفاديها لم تلبث أن أحدثت تحولات فى سياسة المنطقة وخارطتها الجغرافية . وباتت السياسة الأمريكية تجاه المنطقة على أبواب إجراء مراجعة كاملة . والنزاع الذى حاولت واشنطن حفظه فى « ثلاجة » فى العقد الماضى ، لم يعد ممكنا تجاهله أو الحد من أهميته .

الفصل الثالث

الحرب ونتائجها

أدى اندلاع الحرب فى ٥ يونيو إلى إيجاد وضع مختلف اختلافا شديدا بالنسبة لراسمى السياسة الأمريكيين . فبين عشية وضحاها بطلت الافتراضات التى شغلت الأسابيع الثلاثة السابقة ، وأصبحت الأولوية لقضايا جديدة . فكيف يعالج جونسون المشكلات الملحة التى تواجهه الآن ؟ هل يعد إسرائيل مسؤولة عن الحرب الوقائية ، أم يعترف بأنه لم يكن هناك فعلا أى بديل ؟ وكان وزير الخارجية راسك قد قال للإسرائيليين مرارا إن الذى يهم هو من يبدأ بفتح النار ، ولكن جونسون ألمح إلى أنه لا يشاطره هذا الرأى . وماذا عن وحدة أراضى جميع بلدان المنطقة التى تعهدت الولايات المتحدة بالمحافظة عليها ؟ هل ينطبق هذا الآن على البلدان العربية التى خسرت أرضا ذهبت إلى إسرائيل ؟ وبصورة أساسية ، هل تهدف سياسة الولايات المتحدة إلى العودة الى شىء شبيه بالوضع السابق ، أم هل يبذل جهد لاستحداث أساس مختلف للعلاقات العربية الإسرائيلية فى المستقبل ؟ وخلاصة القول ، هل أصبحت اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ غير متقادمة الآن ؟ وإن كان هذا هو الحال ، فما هو البديل عنها ؟

إن جونسون لم يوجه مطلقا لوما إلى الإسرائيليين لأنهم بدأوا الحرب ، وإن كان قد أعرب عن « خيبة أمله » لأنهم لم يأخذوا بمشورته .(١) وفى اجتماع عقده جونسون مع مستشاريه يوم ٧ يونيو عندما أصبح النجاح الإسرائيلى فى الميدان واضحا للعيان ، أعرب عن تشاؤمه بأن تؤدى الحرب إلى حل للمشكلات المتأصلة جذورها فى المنطقة .(٢) وبعد ذلك بسنوات أكد والت روستو مستشار الأمن القومى للرئيس ، الذى كان طوال الأزمة ، يتحدث مع الرئيس بصورة متواترة أكثر من أى شخص آخر ، أن جونسون اعترض اعتراضا حازما على قرار إسرائيل شن الحرب .(٣)

فإن كان جونسون صادقا فى هواجسه بشأن لجوء إسرائيل إلى القوة ، لماذا أصبح مؤيدا متحمسا لإسرائيل على هذه الشاكلة بمجرد بدء القتال ؟ أكان يستجيب لضغوط من الرأى العام الممالىء لإسرائيل فى الولايات المتحدة ، أم كان يستجيب لتعاطفه الشخصى مع الدولة اليهودية ؟ من المؤكد أن العاطفة لعبت دورا ، مثلما فعلت حقيقة أنه كان يعرف أنه عاجز عن حل أزمة الإسرائيليين . فلم يكن يغل يد إسرائيل إلا التزام أمريكى مبكر باستخدام القوة لإعادة فتح مضيق تيران ، وهو أكثر مما كان جونسون على استعداد للتفكير فيه . لعل تجربته المريرة الخاصة فى فيتنام أورثته تشككا فى إمكان الاهتداء إلى حلول عسكرية للمشكلات السياسية المعقدة . صحيح أن جونسون لم يعط الضوء الأخضر تماما للإسرائيليين ، ولكنه أعفى تصرفاتهم من الفيتو . وكان قد أشار إلى

أنه لا تكرار لحرب السويس ، ولكن ماذا عساه يحدث ؟ هل تضمن الولايات المتحدة احتلال إسرائيل لمساحات كبيرة من الأراضى العربية إلى أجل غير مسمى ؟ هل تسعى إلى تسوية سياسية مبكرة ؟ فإن كان الأمر كذلك ، فبناء على أى شروط ؟ كل هذه القضايا سيكون من المتعين معالجتها خلال وقت قصير . ولكن بمجرد أن اتضح أن إسرائيل كسبت انتصارا ساحقا ، « حدث شعور عظيم بالارتياح » لأنه لن يكون على الولايات المتحدة أن تتورط عسكريا .(٤)

وسرعان ما حولت الولايات المتحدة اهتمامها إلى الحصول على وقف لإطلاق النار ، والتأكد من أن الاتحاد السوفيتى لن يتدخل . أما مسألة كيف بدأت الحرب ، التى استأثرت بشىء من الاهتمام فى الساعات المبكرة ، فلم تلبث أن تخطتها الأحداث (فقد قال وزير الخارجية الإسرائيلى إيبان للسفير الأمريكى باربور إن مصر بدأت بالهجوم . وبحلول ظهر يوم ٥ يونيو ، عندما عرف بالتأكيد أن إسرائيل وجهت الضربة الأولى ، لم تعد هذه المسألة تبدو ذات بال) .(٥)

وكان جونسون متلهفا على نقل الانطباع بأن الولايات المتحدة لم يكن لها ضلع فى القتال . فلعل هذا يقلل من الخطر الذى تتعرض له مصالح الولايات المتحدة فى العالم العربى ، ويقلل من احتمال حدوث تدخل سوفيتى ، ويسهل مهمة وقف إطلاق النار . ويبدو هنا أيضا أن ذكرى أزمة السويس تلعب دورا ، فالولايات المتحدة لا تريد أن ينظر إليها فى العالم العربى بوصفها شريكا فى التآمر مع إسرائيل كما كان الحال مع بريطانيا وفرنسا فى عام ١٩٥٦ . وعندما بدأت الحرب صدرت تعليمات لفريق الإنزال فى الكتيبة البحرية بالبقاء فى إجازة على الساحل فى مالطة .(٦) وكانت هناك حاملتان للطائرات ترابطان بالقرب من كريت ، ولكن لم يجر تحريكهما إلى موضع أقرب من ساحة الصراع . وبمجرد نشوب القتال ، فرضت الولايات المتحدة حظرا على اتفاقيات الأسلحة الجديدة إلى جميع بلدان الشرق الأوسط ، بما فيها إسرائيل . وظل الحظر نافذا إلى نهاية العام ، على الرغم من الطلبات الإسرائيلية الملحة لرفعه .

وصلت الأنباء الأولى عن القتال إلى جونسون فى ساعة مبكرة من صباح يوم ٥ يونيو . وبعد بدء القتال بثلاث ساعات بعث وزير الخارجية راسك ، بعد التشاور مع الرئيس ، برسالة بالقنوات العادية إلى موسكو ، أعرب فيها عن الدهشة لاندلاع الحرب ، وطالب بإنهاء القتال فى وقت مبكر .(٧) وفى الساعة السابعة وسبع وأربعين دقيقة صباحا ، رد رئيس الوزراء كوسيجين على « الخط الساخن » - وهو أول استخدام لهذه القناة الخاصة بالاتصالات فى أزمة . وأشار إلى الوضع الخطير ، وإلى الحاجة إلى تعاون أمريكى سوفيتى لتحقيق وقف لإطلاق النار . وجاء فى رد جونسون ، الذى أرسل بالخط الساخن فى الساعة الثامنة وسبع وأربعين دقيقة صباحا أن على الدولتين العظميين أن تبقيا خارج الصراع ، وأن تشجعا على وقف إطلاق النار . وإجمالا ، جرى تبادل عشرين رسالة على الخط الساخن خلال الأزمة .

ولم يلبث الموقف الأمريكى أن أصبح مؤيدا لوقف إطلاق النار ، ولكن الغموض أحاط بما إذا كان وقف إطلاق النار يقترن بنص خاص بالعودة إلى حدود ما قبل الحرب . وواضح أنه قد جرى استبعاد موضوع العودة المباشرة إلى الوضع القائم السابق فى ٤ يونيو ، إذ كان من شأن هذا إبقاء المضيق مغلقا ؛ ولكن انسحاب القوات الإسرائيلية بالتزامن مع رفع الحصار هو موضوع ربما لقى

تأييدا فى واشنطن لو أن السوفيت أو العرب ألحوا على هذه المسألة فى اليوم الأول .

ولكن بحلول يوم ٦ يونيو ، خرجت الولايات المتحدة بتحبيذها لمجرد تحقيق وقف لإطلاق النار .(٨) وكان كوسيجين قد اتصل بجونسون أثناء النهار حول الحاجة إلى وقف لإطلاق النار يقترن بانسحاب إسرائيلى ، ولكن بحلول نهاية النهار كان السوفيت قد ارتضوا الموقف الأمريكى . إلا أن المصريين رفضوا تحقيق وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه . وبحلول هذا الوقت لم يكن جونسون فى حالة نفسية تطوّع له مساعدة الرئيس عبد الناصر الذى وجه فى ذلك اليوم اتهاما كاذبا إلى الولايات المتحدة بأنها اشتركت بصورة مباشرة فى الهجمات الجوية على مصر . وكان من نتيجة اتهامه أن قطعت ست دول عربية علاقاتها الدبلوماسية مع واشنطن ، مما خلق قدرا كبيرا من المرارة تجاه عبد الناصر ، حتى بين المؤيدين للعرب فى وزارة الخارجية .

وعدا نفى الولايات المتحدة لاتهامات عبد الناصر ، واستمرارها فى تأييد وقف إطلاق النار ، فهى لم تعمل شيئا ذا بال فى اليوم التالى للحرب ، أى ٧ يونيو .(٩) ولكن حدث فى اليوم الثامن من يونيو أن هوجمت سفينة المخابرات الأمريكية المرابطة مقابل ساحل سيناء - وهى السفينة ليبرتى - من طائرة غير محددة الهوية ثبت بعد ذلك أنها طائرة إسرائيلية . وعندما وصل نبأ الهجوم إلى واشنطن ، خشى كل من وزير الدفاع مكنمارا وجونسون أن يكون الاتحاد السوفيتى هو المسؤول عن ذلك . ولفترة وجيزة سُمعت فى غرفة تقييم الموقف فى البيت الأبيض تكهنات قاتمة عن « حرب عالمية ثالثة » . وسرعان ما تكشفت هوية المعتدين ، وقام جونسون بإبلاغ موسكو على الخط الساخن بهذا الحادث ، وبأن طائرات من الأسطول السادس أرسلت إلى مسرح الاعتداء .(١٠)

وهذه الحادثة توضح إلى أى درجة غير عادية كان جونسون متنبها لسلوك السوفيت بمجرد بدء الحرب . وهو وإن كان مستعدا خلال أزمة مايو للنظر إلى النزاع باعتباره أساسا نزاعا عربيا إسرائيليا ، فبمجرد أن أصبح القتال دائرا ، انصب اهتمامه الأساسى على الاتحاد السوفيتى . أما وقد صارت إسرائيل بمأمن من إنزال هزيمة بها على يدى العرب ، فإن مسلك السوفيت هو وحده الذى يمكن أن يستثير ردا عسكريا أمريكيا مباشرا . فالصراع الإقليمى تضاءل فى الأهمية أمام خطر المواجهة بين الدولتين العظميين . ومرة أخرى لاح خطر حدوث تدخل سوفيتى قبل سريان وقف فعال لإطلاق النار على جميع الجبهات فى اليوم السادس للقتال ، أى ١٠ يونيو . وعلى الجبهة السورية ، حيث اشتدت كثافة القتال بصورة خاصة فى يومى ٩ و١٠ يونيو ، بدا أن الإسرائيليين قادرون على تهديد دمشق . ومع أن المسؤولين الأمريكيين كانوا واثقين من أن إسرائيل توشك أن توافق على وقف إطلاق النار بمجرد استيلائها على مرتفعات الجولان ، فإن السوفيت كانوا أقل تفاؤلا . وحوالى الساعة الثامنة وثمان وأربعين دقيقه صباحا بتوقيت واشنطن فى اليوم العاشر من يونيو ، بعث كوسيجين برسالة على الخط الساخن الى جونسون يحذر فيها من أنهم سيتخذون الإجراءات اللازمة « بما فى ذلك الإجراءات العسكرية » إذا لم توقف إسرائيل زحفها .(١١) فرد جونسون بأن أكد للسوفيت أن إسرائيل على استعداد للتوقف ، ثم أصدر تعليماته إلى مكنمارا بأن يحول الأسطول السادس صوب الساحل السورى للتأكد من أن الاتحاد السوفيتى لن يستخف بما

اعتزمه جونسون من مواجهة أى تحرك عسكرى سوفيتى بتحرك من جانبه . وتذكر ريتشارد هلمز مدير وكالة المخابرات المركزية الذى اشترك فى الاجتماع الذى عقد فى غرفة تقييم الموقف فى البيت الأبيض ، أن الأحاديث التى جرت فى بضع الساعات الأولى كانت تجرى بأخفض أصوات سمعها على الاطلاق فى اجتماع من هذا القبيل . فلقد كان الجو متوترا . ومع مضى النهار متثاقلاً ، استرخى الجميع نوعا ما إذ بدا واضحا أن القتال تخف وطأته ، وأن الدولتين العظميين النوويتين لم تكونا فى واقع الأمر مقدمتين على مواجهة .(١٢)

وبحلول الظهر كانت الأزمة قد انجابت تقريبا ، إذ سرعان ما دخل وقف إطلاق النار فى حيز التنفيذ ، وأوقف الأسطول السادس تحركه صوب الشرق . فقد انتهت الحرب . ومرة أخرى نشأ وضع جديد دعا إلى الأخذ بسياسات جديدة .

هل كان هناك تواطؤ أمريكى إسرائيلى ؟

وأعلن جونسون على الملأ بعد الحرب أنه قد عمل كل ما فى وسعه ليحول دونها ، كما أنه ادعى أنه اعترض على قرار إسرائيل دخول الحرب . وأكد راسك أنه صدم ، وأنه « غضب أشد الغضب » لأن الإسرائيليين شنوا هجومهم المباغت قبيل وصول نائب الرئيس المصرى إلى واشنطن . وأضاف قوله ، بملاحظة حذرة « في حدود علمي لم يكن هناك تشجيع مستتر من جانب الولايات المتحدة لبدء الحرب » .(١٣) ولكن آخرين طعنوا فى هذا التفسير ، كما أن السجلات الموثقة تثير تساؤلات جادة حول مدى دقته .

والحجة المتطرفة ضد رواية جونسون مؤداها أن الولايات المتحدة تواطأت مع إسرائيل أثناء الأزمة أملا فى إضعاف نظام عبد الناصر ، وربما حتى الإطاحة به . ويرى الناقدون أن أزمة عام ١٩٦٧ هى تكرار لأزمة السويس فى عام ١٩٥٦ ، ولكن مع قيام الولايات المتحدة بدور بريطانيا وفرنسا . ومن التفسيرات المصرية المؤيدة لهذا الرأى ، نظرية محمد حسنين هيكل الخاصة بالاستدراج إلى فخ ، ورواية محمود رياض لنفس الشىء ولكن بصيغة أقل تطرفا .(١٤)

وقد أسبغ ستيفن جرين على نظرية المؤامرة كثيرا من المصداقية عندما أكد أن الولايات المتحدة بعثت بطائرات استطلاع إلى إسرائيل قبل الحرب ببضعة أيام ، وأنها واصلت الطيران والحرب سجال . وفى رأيه أن هناك ما لا يقل عن ثلاثة مصادر تؤكد هذا العمل السرى ، ولكن ليس بينهم من سمح باستخدام اسمه ، ولا تم تقديم أية وثائق .(١٥) وقد ادعت إدارة « مكتبة جونسون » أنها فتشت فى ملفاتها فلم تخرج بشىء . يضاف إلى هذا أن كبار المسؤولين الأمريكيين الذين أجريت معهم أحاديث لغرض هذه الدراسة ـ وهم هلمز ومكنمارا ولوشيوس باتل وهارولد سوندرز (عضو مجلس الأمن القومى) ـ لم يوجد بينهم من كانت لديه أى دراية بالتورط الأمريكى المفترض فى حرب عام ١٩٦٧ . والمعتقد أن وزير الدفاع ومدير وكالة المخابرات المركزية كانا حريين بمعرفة هذه الأحداث حتى إذا لم يعرفها المسؤولون فى المستوى الأقل . ولا حتى أشار أى مصدر إسرائيلى إلى هذا التواطؤ على الإطلاق .

فما الذى خلق هذه القصة إذن ؟ كان لدى جونسون إنذار مسبق بأن إسرائيل توشك أن تدخل الحرب . وكان قد أعرب عن شيء من القلق من ناحية احتمال احتياج إسرائيل إلى مساعدة ، وكان قد أصدر فى ٢٣ مايو موافقة على صفقة مساعدة عسكرية . وربما رئى أن إرسال وحدة استطلاع صغيرة قد يكون طريقة مفيدة لمساعدة إسرائيل لا تحتمل معنى التدخل . ولكن أيا كان حظ هذه القصة من المنطق ، فهى لا تستوفى المعايير العادية للأدلة التاريخية . وفى غياب أية أسرار أخرى أفشى أمرها ، فلا بد من رفض هذه القصة باعتبارها تفتقر إلى البرهان .(١٦)

بعد دراسة وافية لجميع المصادر المتاحة ، وبعد المقابلات الكثيرة التى أجريتها ، فالنتيجة التى أخلص إليها هى أنه لم يحدث أى تواطؤ بين الولايات المتحدة وإسرائيل قبل الأزمة . ولا تقوم لنظرية « الاستدراج إلى فخ » أى قائمة . فإن كان هناك من حاول التحريض على أزمة فى الشرق الأوسط فى أواسط مايو ١٩٦٧ ، فهم السوفيت .(١٧) لقد كانت الولايات المتحدة منغمسة فى فيتنام . ولم يكن لعبد الناصر أصدقاء كثيرون فى واشنطن ، ولكنه لم يكن يمثل مشكلة كبيرة بالنسبة لجونسون أو لأى شخص آخر فى منصب رفيع إلى الحد الذى يجعله يحاول اصطياده .

وبمجرد بدء الأزمة حاول جونسون وبصورة خاصة وزير الخارجية راسك ، منع الحرب فى بداية الأمر . وظل هذا هو الموقف الذى اتخذه راسك على طول الخط .(١٨) ويبدو من سيل الرسائل المتجهة إلى إسرائيل من ١٧ مايو إلى ٢٨ مايو أنه لا شك فى أن جونسون كان جادا فى حث إسرائيل على ضبط النفس وفى المطالبة بمهلة . ولكن الإسرائيليين كانوا بدورهم على صواب فى استشعار تغيير فى النغمة - إن لم يكن فى الجوهر - بحلول أول يونيو . إذ يبدو أن جونسون ، بعد قضائه عطلة نهاية أسبوع طويلة فى ضيعته فى تكساس ، وبعد أن ربط الأردن مصيره بمصير مصر ، قد خلص إلى أن الحرب لم يعد فى الإمكان تفاديها . وأن أى محاولة لكبح جماح إسرائيل لن تكون مجدية . فإسرائيل حرة فى التصرف ، وإن كان ذلك على مسؤوليتها الخاصة . وهذا لا يستوى تماما مع الضوء الأخضر - وإن كان من المؤكد أنه لم يكن أحمر أيضا . وقد تأكد جونسون من أن الإسرائيليين قد فهموا أن الضوء قد تحول إلى الأصفر .(١٩) لم يكن هناك تواطؤ أمريكى إسرائيلى ، ولكن كان هناك تسليم بما صار جونسون يعتقده ، وهو أنه لا معدى لإسرائيل عن اللجوء إلى القوة لحل مشكلة لا تستطيع الولايات المتحدة أن تتقدم من جانبها بحل لها .

دبلوماسية ما بعد الحرب

كان جونسون ومستشاروه يضعون نصب أعينهم الكيفية التى تعامل بها أيزنهاور مع إسرائيل بعد حرب السويس . وكانوا عازمين على ألا يتبعوا نفس استراتيجية حمل إسرائيل على الانسحاب من الأراضى التى فتحتها فى مقابل تنازلات عربية محدودة .(٢٠) وهذا لا يعنى أن الولايات المتحدة تؤيد احتفاظ إسرائيل بالأراضى المحتلة إلى أجل غير مسمى ، ولكن أن يتم تبادل الأراضى باتفاقية سلام حقيقى ، وهو أمر افتقده الشرق الأوسط منذ قيام إسرائيل . وطبيعى أن هذا يحتاج إلى وقت ، ولكن الوقت كان يبدو فى صالح إسرائيل . وقد أوضح الإسرائيليون رسميا أنهم

لا يعتزمون توسيع نطاق حدودهم نتيجة للحرب .(٢١) وكانت الحاجة تدعو ـ كما تراءى للمسؤولين الأمريكيين ـ إلى إعداد مثل هذا الإطار للتسوية السلمية ، ثم السماح للوقت بأن يمضى إلى أن يصبح العرب مستعدين للتفاوض لاسترداد أراضيهم . وعدا المساعدة على تهيئة الإطار الدبلوماسى ، فإن الولايات المتحدة ليست بحاجة إلا إلى التأكد من أن الميزان العسكرى لن ينقلب ضد إسرائيل . على أن مثل هذا التغيير لم يكن يحتمل حدوثه فى المستقبل القريب لأن القوات المسلحة المصرية والسورية والأردنية كانت حطاما .

ومجمل القول إن تحولا هاما حدث فى السياسة الأمريكية فى الأيام التالية للحرب . ولكن ليس ثمة ما يثبت أن هذا التغيير اقترن بكثير من المناقشات العامة أو النظر فى مسارات العمل البديلة . وعوضا عن ذلك ، بدا أن الرئيس وكبار معاونيه قد افترضوا ببساطة أنه لن يكون فى وسعهم العودة إلى السياسة القديمة الفاشلة . ومن المحتمل أن النغمة القوية الممالئة لإسرائيل لدى الرأى العام ، وآراء الكونجرس ، ومسعى الكثيرين من أصدقاء جونسون اليهود فى الأبهاء والدهاليز واتهامات عبد الناصر المفتقرة إلى أى أساس ، كان لكل منها تأثيره . ربما كان الأمر كذلك . ولكن جونسون كانت لديه بدوره ذكرياته الخاصة عن حرب السويس . فقد عارض سياسة أيزنهاور فى حمل إسرائيل على الانسحاب من السويس دون أن يكون هناك سلام فى المقابل . وهو لن يقتدى بأيزنهاور الآن ، فلن يكون ذلك فى وقت بدا فيه أن قضية إسرائيل الأدبية والقانونية قد صارت أقوى بكثير منها فى عام ١٩٥٦ .

ويبدو أن جونسون لم ير أن من الواجب على الولايات المتحدة أن تبدأ على الفور فى بذل جهد مكثف رفيع المستوى لصنع السلام ، إما لأنه ارتأى أن هذه الخطوة لن يكتب لها النجاح نظرا للنفوذ المتدنى للولايات المتحدة فى العواصم العربية ، أو لأنه شعر بأنه لن يقوى على الاضطلاع بهذا الجهد فى وقت كانت فيتنام تستأثر بالقدر الأكبر من اهتمامه . ولم يبد مطلقا أن هذا الخيار أو ذاك قد بحث بصورة جدية . وعوضا عن ذلك ، اقترح جونسون خطوطا عامة للتسوية فى بيان هام عن السياسة ألقاه فى ١٩ يونيو عشية اجتماعه مع رئيس الوزراء السوفيتى كوسيجين فى جلاسبورو بولاية نيوجيرسى .(٢٢)

ففى بيان جونسون بتاريخ ١٩ يونيو ، وهو بيان صاغه إلى حد كبير مستشاره الخاص ماك جورج باندى ، وضع بكل وضوح التبعة الرئيسية فى الحرب على مصر ، واصفا إغلاق مضيق تيران بأنه « عمل أحمق » . ثم قال إن الولايات المتحدة لن تضغط على إسرائيل لكى تنسحب دون أن يتحقق السلام . وحدد خمسة مبادىء جوهرية لتحقيق هذا السلام هى : الاعتراف بحق الدولة فى الوجود ، وتحقيق العدالة للاجئين ، والمرور البرىء للملاحة ، وفرض قيود على سباق التسلح ، والاستقلال السياسى ووحدة الأراضى للجميع . وصفوة القول ، أن جونسون فكر فى تسوية كاملة لجميع القضايا الناشئة عن السنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ و١٩٦٧ .

وفى غضون الأشهر الخمسة التالية ، كانت المساعى الدبلوماسية الأمريكية تهدف إلى التوصل إلى قرار لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تندمج فيه نقاط جونسون الخمس . وسرعان ما برزت أوجه الخلاف الرئيسية بين إسرائيل والعرب ، وكذلك بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

فقد أصر العرب على الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى التى احتلت حديثا قبل انهاء العمليات العسكرية . ومن الناحية الأخرى طالبت إسرائيل بمفاوضات مباشرة ، و« بتسوية شاملة » لا يتم الانسحاب فيها إلا بعد توقيع اتفاقية سلام . وبصورة عامة أيد الاتحاد السوفيتى موقف العرب ، فى حين وافقت الولايات المتحدة إسرائيل على نهج « التسوية الشاملة » ، وإن كانت أقل منها إصرارا على المفاوضات المباشرة .

وفيما يتعلق بانسحاب القوات الإسرائيلية ، فقد تغير الموقف الأمريكى بين شهرى يونيو ونوفمبر .(٢٣) كانت الولايات المتحدة فى بادىء الأمر مستعدة لتأييد مشروع قرار مقدم من أمريكا اللاتينية يطالب إسرائيل « بسحب جميع قواتها من جميع الأراضى التى احتلتها نتيجة للصراع الأخير » . ولكن القرار رُفض ، كما رُفض مشروع مبدئى أمريكى سوفيتى مشترك أعد فى أواسط يوليو لم يجر النظر فيه مطلقا بسبب اعتراضات عربية جذرية على نصوص تدعو إلى إنهاء الحرب مع إسرائيل . وفى أواخر أغسطس ازداد الموقف العربى تصلبا فى مؤتمر الخرطوم حيث اضطر عبد الناصر والملك حسين عاهل الأردن ـ فى مقابل دعم من البلدان العربية المنتجة للنفط ـ إلى الموافقة على مبادىء توجيهية للتسوية السياسية مع إسرائيل تستند إلى عدم الاعتراف ، وعدم التفاوض ، وعدم عقد اتفاقية سلام ، وعدم التخلى عن حقوق الفلسطينيين .(٢٤)

وعندما استؤنفت المناقشة العامة فى الأمم المتحدة فى أواخر أكتوبر ، حدث تحول فى موقف الولايات المتحدة ، وهذا راجع فى جزء منه إلى المساعى التى بذلها إيبان لإقناع جولدبيرج ، فأصبحت تؤيد « انسحاب القوات المسلحة من أراض محتلة » . وكان غموض العبارة أمرا مقصودا ، وهو يمثل أقصى ما كانت إسرائيل على استعداد لقبوله . على أن الولايات المتحدة ، حتى مع هذا التغيير ، أوضحت فى محضر تفاهم وقع فى أوائل أكتوبر مع البريطانيين بأن العبارة « التى تشير إلى الانسحاب ينبغى أن تفهم بالمثل على أنها تعنى الانسحاب من أراض محتلة للجمهورية العربية المتحدة والأردن وسوريا ، على أن يتم وضع التفاصيل بين الأطراف مع أخذ الأمن بعين الاعتبار » .(٢٥) وأخيرا أقر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ حل وسط بريطانى يعرف بقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ (أنظر الملحق أ) . وقد تضمن جميع نقاط جونسون الخمس ، بالإضافة إلى مطالبة متوازنة قصدا « بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلت فى النزاع الأخير » ، و« إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء بها ، واحترام والاعتراف بالسيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى الخاصة بكل دولة فى المنطقة وبحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها » . وترضية للعرب أكدت عبارة الديباجة « عدم السماح بالاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب » . ولكن عبارات الديباجة فى وثائق الأمم المتحدة ليس لها أى أثر ملزم ، ولهذا لم يثر إيبان إلا اعتراضات سطحية .

وصفوة القول أن القرار جاء قاصرا عن مطالبة إسرائيل بالانسحاب من جميع الأراضى ، ومطالبة العرب بإجراء « سلام كامل » مع إسرائيل . ويلاحظ أنه لم يشر فى أى جزء من القرار إلى الفلسطينيين بالاسم ، وهو إغفال كان موضع تعليقات كثيرة فى السنوات التالية . ولكن الولايات المتحدة اتخذت منذ البدء موقفا مؤداه أن القرار ٢٤٢ لا يعنى أن لإسرائيل أن تغنم أى قدر ذى

بال من الأراضى وراء خطوط عام ١٩٦٧ متى ما أقر السلام .(٢٦) ودار قدر كبير من الدبلوماسية فى السنوات التالية حول الجهود الرامية إلى جعل هذه العبارة المتعمدة الغموض أكثر تحديدا وإلزاما . وقد دعا قرار الأمم المتحدة إلى وجود ممثل تعينه الأمم المتحدة للعمل مع الطرفين فى سبيل التوصل إلى حل ، وهى مهمة وقعت على كاهل جونار يارنج سفير السويد فى موسكو الذى كانت خبرته الوحيدة بالشرق الأوسط هى التخصص فى إحدى اللغات التركمانية وإقامته فى كاشجار فى عقد الثلاثينات ـ وما أبعد ذلك عن تقلبات النزاع العربى الإسرائيلى .

وخلال القسم الأكبر من عام ١٩٦٨ ، اضطلعت إدارة جونسون بدور متواضع نسبيا فى الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، تاركة ليارنج المهمة الأساسية . ودرج المسؤولون الأمريكيون على أن يقولوا للإسرائيليين فى مجالسهم الخاصة إن التسوية السلمية يجب أن تستند إلى الانسحاب الإسرائيلى الكامل تقريبا ، أما فى العلن فلم يقل شىء عن تعديل صياغة القرار ٢٤٢ . وواضح أن جونسون كان مشغولا بفيتنام ، ولا سيما بعد الهجوم على مدينة « تيت » فى فبراير . وفى أواخر مارس أعلن عن اعتزامه عدم ترشيح نفسه للرئاسة لمدة أخرى ، وهو قرار أثار حملة سياسية كثيفة داخل حزبه ، وأيضا بين كلا الحزبين بعد ترشيح هيوبرت همفرى . وفى هذا الجو ، لم يكن ينتظر طرح مبادرات هامة للسلام فى الشرق الأوسط . وعوضا عن ذلك ، عمل جونسون على التأكد من أن الوضع القائم بعد عام ١٩٦٧ ينبغى ألا يتعرض لقلقلة بسبب شحنات الأسلحة السوفيتية لسوريا ومصر . أما وهو مشغول بحرب فى فيتنام ، فلم يكن متلهفا على رؤية القتال وقد تجدد فى الشرق الأوسط . وفى يناير ١٩٦٨ أنهى الحظر على شحنات السلاح الجديدة إلى المنطقة .(٢٧) وقد انتفع بذلك كل من الأردن وإسرائيل ، وإن كان ذلك على نطاقين مختلفين تماما .(٢٨)

وفى يناير ١٩٦٨ اجتمع جونسون برئيس الوزراء الإسرائيلى إشكول لبحث طلبات الأسلحة المقدمة من إسرائيل . وكانت على رأس القائمة الإسرائيلية طائرة الفانتوم النفاثة « اف ـ ٤ » ذات الأداء العالى . لم تكن الولايات المتحدة قبل عام ١٩٦٧ موردا رئيسيا للمعدات العسكرية إلى إسرائيل ، وكان سلاح الطيران الإسرائيلى من أصل فرنسى ، ولكن فرنسا لم تعد موردا للأسلحة يعتمد عليه بسبب سياسة شارل ديجول تجاه العرب ؛ ومن هنا احتاجت إسرائيل إلى أسلحة أمريكية .

وقد قيل إن جونسون أكد لإشكول أن إسرائيل ستحصل على طائرات الفانتوم ، ولكنه ترك الشروط والتوقيت والظروف المحتملة دون تحديد .(٢٩) ورأى كثير من المسؤولين داخل الجهاز البيروقراطى أن الولايات المتحدة ينبغى أن تربط بين توريد الطائرات « اف ـ ٤ » وبين بعض التنازلات من جانب إسرائيل ، فتم بحث احتمالين هما : أولا ، حتى يتأتى إضعاف شهية إسرائيل المتنامية إلى الأراضى ارتأى البعض ضرورة مطالبتها بالموافقة على مبدأ الانسحاب الكامل فى إطار السلام مقابل الحصول على النفاثات ؛ وهناك آخرون كانوا يخشون من تطوير إسرائيل للأسلحة النووية فطالبوا بأن يشترط على إسرائيل توقيع معاهدة منع الانتشار النووى قبل أن تتسلم الأسلحة الأمريكية .

وقد بحثت قضية معاهدة منع الانتشار النووى باستفاضة مع الممثلين الإسرائيليين ، وأقصى ما قاله الإسرائيليون أنهم لن يكونوا أول من « يُدخل » الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط . وعند محاولة توضيح معنى ذلك ، اكتشف المسؤولون الأمريكيون أن السفير الإسرائيلى رابين فهم أن العبارة تعنى أن إسرائيل لن تكون أول من « يجرب » هذه الأسلحة ، أو من يكشف علنا عن وجودها . ومن هنا بعث بول وارنك مساعد وزير الدفاع برسالة إلى رابين أوضح فيها بجلاء ما يفهمه الأمريكيون من معنى عدم انتشار الأسلحة النووية ، ألا وهو : عدم انتاج الأجهزة النووية . وقبل حل هذه القضية بأية صورة ، أمر جونسون الجهاز البيروقراطى بالكف عن البحث عن تقديم مقابل للطائرات « اف ـ ٤ » . وكان الضغط يتزايد للحصول على رد إيجابى من الولايات المتحدة على الطلب الإسرائيلى . وكان جميع المرشحين السياسيين يؤيدون الموقف الإسرائيلى . وفى يوليو اتخذ مجلس الشيوخ قرارا يدعو إلى بيع الطائرات « اف ـ ٤ » إلى إسرائيل . وأخيرا ، أعلن جونسون فى ٩ أكتوبر على الملأ أنه سيسمح لإسرائيل بشراء طائرات الفانتوم .(٣٠) ووقع البلدان صفقة تتعلق بخمسين طائرة « اف ـ ٤ » فى أواخر ديسمبر ، نصت على تسليم ست عشرة طائرة فى أواخر عام ١٩٦٩ والبقية فى عام ١٩٧٠ .

وفى ٢ نوفمبر أقدم وزير الخارجية راسك بمبادرة شخصية منه ـ ولعل ذلك كان أملا فى إحباط رد الفعل السلبى العربى تجاه صفقة الفانتوم ـ على إبلاغ المصريين بأن الولايات المتحدة تحبذ الانسحاب الإسرائيلى الكامل من سيناء باعتباره جزءا من التسوية السلمية .(٣١) وبعد ذلك بسنة أعلن هذا الموقف على الملأ فى خطة روجرز ، ولكن الواقع أن ذلك كان على الدوام جزءا من توافق الآراء لدى المسؤولين الأمريكيين بشأن شروط عقد اتفاق إسرائيلى مصرى . ولكن هذا لم يكن له إلا أثر قليل فى كسب ثقة الإسرائيليين ، واتسمت الأشهر الأخيرة من إدارة جونسون ببرود ملموس بين البلدين .

وفى شهر ديسمبر ، عندما أصبحت إدارة ريتشارد نيكسون على شفا تولى الحكم ، بعث الاتحاد السوفيتى بمذكرة دبلوماسية إلى الولايات المتحدة حث فيها على البحث بصورة أنشط عن تسوية عربية إسرائيلية . وكانت بريطانيا وفرنسا بدورهما تسعيان لأن يكون لهما دور فى أى محادثات للسلام فى الشرق الأوسط . ولكن وقت رئاسة جونسون كان قد انتهى ، وستنتقل هذه القضايا إلى نيكسون إزاء خلفية من العنف المتصاعد والنشاط المتزايد للفدائيين الفلسطينيين على هيئة حرب عصابات .

تحليل سياسة جونسون بإزاء الشرق الأوسط

إن تطور السياسة الأمريكية قبل الحرب العربية الإسرائيلية فى يونيو ١٩٦٧ وفى أثنائها وبعدها ، يبرز أهمية مجموعة من الافتراضات الأساسية التى دان بها كبار صانعى القرار ، ولا سيما الرئيس ، فى كل مرحلة من مراحل الأزمة . لقد كان الموقف فى الشرق الأوسط فى مايو ويونيو ١٩٦٧ على درجة غير عادية من التعقيد . وحتى يتسنى لصانعى القرار أن يقيموا الأحداث المتدافعة ، فهم يحتاجون إلى بعض المبادىء الإرشادية ، وإلى بعض الافتراضات

المبسطة . ولم يكن من المستغرب أن يعثروا عليها ضمن « دروس الماضى » ، والاستنتاجات القاطعة التى أفادت على خير وجه فى ظروف أخرى . كما كان هناك قدر من التعلل بالأمانى . وهناك عدة مبادىء أساسية عملت معا للمحافظة على التوازن بين العناصر الداخلة فى عملية صنع القرار ؛ فأمكن ترتيب الأشياء حيثما كان ذلك مفتقدا . ولم تدر حول هذه الافتراضات الجوهرية مناقشة حقيقية .

ويمكن تلخيص المبادىء الأساسية التى انبعثت منها السياسة فى كل مرحلة من مراحل الأزمة على الوجه الآتى :

- حتميات ما قبل الحرب : محاذرة توريط القوات الأمريكية فى عمل منفرد ، وهذا أساسا بسبب الكونجرس .

- سياسة زمن الحرب : ردع السوفيت عن التدخل ؛ والسعى إلى وقف إطلاق النار (ولكن دون العودة إلى الوضع السابق الذى كان وضعا خطيرا وغير مستقر) .

- سياسة ما بعد الحرب : السعى إلى « سلام كامل » ؛ وعدم التفكير فى العودة إلى الوضع السابق على غرار حرب السويس ؛ والإصرار على أن تتم مقايضة الأراضى المحتلة فى خاتمة المطاف مقابل السلام ؛ والحفاظ على إسرائيل قوية من خلال شحنات الأسلحة .

وهناك عدة أمور بشأن عملية صنع القرار أثناء الأزمة تستحق الإشارة إليها . هناك أولا المنزلة البارزة للرئيس . فالأزمات بحكم طبيعتها تجىء بالرئيس إلى النقطة المحورية فى عملية صنع السلام ، وإدراكه للأمور يعمل على تحديد الموقف بالنسبة للآخرين ؛ واحتياجاته تعمل على الهيمنة على العملية . وكان هذا يعنى فى مايو ويونيو ١٩٦٧ قدرا كبيرا من الحساسية لآراء الكونجرس ، من حيث الرغبة فى عدم التورط فى حرب أخرى ، والأمل فى توفير الوقت اللازم للأخذ ببديل متعدد الأطراف ، وهو بديل أكبر مشقة وإن يكن مفضلا من الناحية السياسية . وعندما أخذت هذه السياسة تفقد مصداقيتها ، أشار جونسون بالسكوت عن إسرائيل عندما تتصرف على مسؤوليتها . وعندما بدأت الحرب فى ٥ يونيو ، كان الرئيس أيضا هو الذى قام أساسا بتحديد المخاطر التى تنطوى عليها المباراة الجديدة ، كما قام بذلك مرة أخرى بعد سريان وقف إطلاق النار فى ١٠ يونيو .

ورغم أن مستشارى جونسون لم يوافقوا موافقة تامة على السياسة خلال الأزمة ، فإنهم أبدوا مع ذلك قدرا من توافق الآراء يبعث على الاعجاب . فلم يكن بينهم من دعا إلى انفراد أمريكا بالعمل ؛ ولم ترتفع إلا قلة من الأصوات تأييدا « لإطلاق العنان لإسرائيل » ؛ ولم تدر إلا مناقشة محدودة حول سياسة إقرار وقف إطلاق النار فى الموقع ، وذلك على خلاف وقف إطلاق النار بالاضافة الى الانسحاب ؛ ولم يطعن أحد فى نهج « التسوية الشاملة » الذى برز بهدوء بعد الحرب . وعندما ظهر اختلاف فى التصورات ، بدا أن هذا الخلاف يرجع إلى المنافسات البيروقراطية قبل أى شىء آخر . فمن الناحية السياسية الدبلوماسية مثلا ، كان كل من وزير الخارجية راسك ووكيل الخارجية روستو يحبذ الأسطول المتعدد الجنسيات . أما مكنمارا والعسكريون المحترفون فقد

تشككوا فى فكرة الأسطول بناء على اعتبارات عسكرية ، ولا ريب فى أنهم لم يكونوا متلهفين على تحويل القوات من فيتنام أو من منظمة حلف شمال الأطلنطى لاستخدامها فى الشرق الأوسط . والبنتاجون لا يميل إلى تحبيذ الاستخدامات الصغيرة للقوات مدفوعة بدوافع سياسية .

ولم يحدث انقسام أساسى بين المستشارين حول الخط الممالىء لإسرائيل أو الممالىء للعرب . وواقع الأمر أن من الصعوبة بمكان تحديد مسار العمل ، وأى المسارات قد يكون أشدّ خطورة على المصالح الأمريكية فى العالم العربى . وكان بعض السفراء الأمريكيين فى العالم العربى ، وقد شعروا بأن الحرب لا مندوحة عنها ، يرجون أن تتصرف إسرائيل بسرعة ولكن على نطاق محدود حتى تكسر الحصار دون توريط الولايات المتحدة ، وهو رأى اقترب كثيراً من خيار « إطلاق العنان لإسرائيل » الذى كان الإسرائيليون يسعون إليه فى أواخر مايو . على أن وزارة الخارجية التى كان يُعتقد بأنها تميل عادة نحو العرب ، لم تحبذ هذا الخيار ، ولو على مستوى رسم السياسة من جانب راسك وروستو .

وثمة درس هام يستخلص من هذه الأزمة ، وهو كثيرا ما يظهر عند رسم السياسة المتعلقة بالشرق الأوسط ، وهو أن خيارات السياسة الأمريكية نادرا ما ينظر إليها على أنها مجرّد الميل لإسرائيل أو الميل للعرب . ومن هنا فإن بعض الأفراد ، مهما يكن تعاطفهم الخاص ، قد يلفون أنفسهم مؤيدين لسياسات تبدو للمراقب الخارجى متعارضة مع هذا التعاطف . أمّا فى حالة الأزمة ، فإن السياسة تتطور فى ظروف معقدة ، ويتم تحديدُها بناءً على توجيهات رئاسية ، ثم يجرى تبريرها منطقيّا بمبادىء يسهل على راسمى السياسة فى المستوى الرفيع أن يؤيدوها .

على أنه كان هناك أشخاص خارج دائرة المستشارين الرسميين للرئيس هم من حاشيته ، وهم ملتزمون لإسرائيل التزاما شديدا ، كما أنهم على صلة وثيقة جدا بزعمائها . فلقد كان جونسون يتحدث بصورة متواترة مع القاضى ايب فورتاس ، ومن المحتمل جدا أن يكون ذلك علما منه بأنه ينقل آراء جونسون إلى الإسرائيليين .(٣٢) وكان الإسرائيليون يعرفون أن لديهم أصدقاء كثيرين حول جونسون ـ هم السفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة آرثر جولدبيرج ، وفورتاس ، ونائب الرئيس همفرى ، ويوجين ووالت روستو ، وآرثر وماتيلده كريم ، وايب فينبرج ، والمساعدون فى البيت الأبيض جوزيف كاليفانو ، وهارى مكفرسون ، وجون روش ، وغيرهم .(٣٣)

أما الشىء الذى بدا مفتقدا فى عملية صنع السياسة أثناء الأزمة ، فهو بذل جهد خاص للربط بين السياسات والنتائج ، وهو ما يفترض فى صانع القرار الرشيد أن يفعله . وطبيعى أن النتائج قد بحثت بدرجة محدودة . ولكن يبدو أن أحدا لم يفكر فى العواقب الكاملة لدخول إسرائيل الحرب ، ولا سيما المشكلات التى قد تترتب على ذلك فى المدى البعيد . ولا شك أن المستقبل لا سبيل إلى معرفته ، ولكن المنتظر من راسمى السياسة أن يتدارسوا العواقب . وهم يعملون ذلك ، ولكن بطرق بسيطة جدا . ومن ذلك مثلا أن جونسون اهتم اهتماما جادا بحالة الاحتمال الضعيف جدا ، ألا وهى أن تُهزم إسرائيل عسكريا من جانب العرب ، وذهب اهتمامه إلى الحد الذى أصبح فيه سببا من الأسباب الرئيسية لما بذله من جهد فى سبيل حمل إسرائيل على ضبط النفس . لقد فطن إلى النتيجة الأرجح ، وتكهن بواسطة مجتمع المخابرات بالنصر الإسرائيلى السريع ، ولكنه لم يتدبر عواقب

ذلك تفصيلا . فلم يسأل أحد عما ستفعله إسرائيل بسيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان بعد انتهاء الحرب . وهل تعاد القدس الشرقية فى يوم من الأيام إلى الأردن متى تم فتحها حربا ؟(٣٤) وماذا عساه يحدث للفلسطينيين فى الضفة الغربية ؟ هذه جميعا أسئلة هامة ، وبدأت أهميتها تظهر بعد عام ١٩٦٧ ، ولكنها تضاءلت بالمقارنة بالسؤال الرئيسى ألا وهو : ماذا كان عساه يحدث لو أن إسرائيل واجهت الهزيمة ؟

وتجدر الإشارة هنا إلى جماعات المصالح الممالئة لإسرائيل وإلى لوبى النفط المقول بأنها جماعات قوية ، ولكنها كانت بلا أهمية خلال الأزمة . لقد كان جونسون متعاطفا فعلا مع إسرائيل ، ولم يكن فى حاجة إلى تذكيره بمصلحة أمريكا فى تأييد الدولة اليهودية . فلم يحفل باللوبى الرسمى الممالىء لإسرائيل ، ولكنه كان على اتصال مباشر بأمريكيين على صداقة بإسرائيل ، وبعضهم من كبار الشخصيات فى الحزب الديمقراطى . ولعل رغبته فى إبقاء جامعى التبرعات للحزب فى معسكره فلا ينجرفون نحو خصمه روبرت كنيدى ، كانت ذات تأثير ما فى تفكيره بشأن الأزمة . وخلال الأيام الحرجة فى أواخر مايو أمضى جونسون فى الصحبة الوثيقة لآل كريم مثلا ساعات أطول بكثير مما أمضاه مع أى من كبار مستشاريه . ونعرف من السجلات الرسمية أن ماتيلده كريم كانت تنقل إليه بصورة منتظمة رسائل ووثائق ومقترحات . وأقل ما يقال عنها إنها كانت صاحبة وجهة نظر قوية ممالئة لإسرائيل .

على أن الكونجرس كان أكثر أهمية بكثير من الشخصيات الممالئة لإسرائيل التى أحاطت به . فهذه هى المؤسسة التى أمضى فيها جونسون معظم حياته السياسية . والكونجرس لم يرد التزاما بلا حدود آخر منفردا يشمل قوات أمريكية . وهذه هى الحقيقة التى لاح أنها أثرت أكثر من أى حقيقة سياسية أخرى على جونسون ، فساعدت على تحويل هذه الشخصية التى تتسم عادة بالحيوية والاندفاع إلى زعيم حذر متردد فى الأزمة .

وبمجرد بدء الحرب ، وبصورة خاصة ما جاء فى أعقابها ، لعل النغمة المتطرفة لدى الرأى العام الأمريكى فى ممالأة إسرائيل ، مضافا إليها عداوة عبد الناصر ، هى التى سهلت لجونسون أن يتبنى سياسة التأييد المطلق لإسرائيل . أما عمليات السعى فى الأبهاء والدهاليز (اللوبى) فلم تكن عاملا ذا بال .

ولم تكن للنفط إلا أهمية هامشية فى رسم السياسة . ولقد كان واضحا فى أذهان بعض راسمى السياسة أن أى زيادة فى هيبة عبد الناصر من شأنها أن تضعف مواقف البلدان العربية الغنية بالنفط الممالئة للغرب ، مثل المملكة العربية السعودية وليبيا . كما أن بعض المسؤولين أدرك أن انفراد أمريكا باستخدام القوة لفتح المضيق من شأنه أن يضر بالمصالح الأمريكية فى البلدان العربية المنتجة للنفط . وخشى البعض أن يفرض حظر على النفط كجزء من الحرب العربية الإسرائيلية ، فتكون لذلك عواقب خطيرة على الحلفاء فى منظمة حلف شمال الأطلنطى وعلى اليابان . ولكن النفط ، عند موازنته بالعوامل الأخرى ، كان عاملا ثانويا إلى أبعد حد ضمن اعتبارات السياسة الرئاسية فى عام ١٩٦٧ .(٣٥)

وأخيرا ، هناك درس هام فى عملية رسم السياسة يمكن تعلمه من الأزمة العربية الإسرائيلية

فى عام ١٩٦٧ ، وهو : أن التحديد المبدئى للموقف ينحو نحو البقاء والاستمرار ، اللهم إلا إذا ظهرت دلائل مناقضة قوية من مصادر خارجية . وقد حرص جونسون وكبار معاونيه بين ١٦ مايو ونهاية الشهر على الاحتفاظ بنفس التصورات الأساسية فى جوهرها ، وأضافوا تفاصيل إلى الإطار الذى نشأ عن المراحل الأولى للأزمة دون أى تغيير جوهرى فى السياسة . ولكن الرئيس - على ما يبدو - بدل من آرائه فى أثناء عطلة نهاية الأسبوع الطويلة التى قضاها فى الضيعة ؛ وعلى الأقل ، فقد أخذت الإشارات التى شرع الإسرائيليون يتلقونها تتغير . ولكن ليس هناك دليل جلى على ما كان الرئيس يفكر فيه تحديدا كلما اقترب احتمال وقوع الحرب من أن يصبح حقيقة واقعة . على أن السجلات المتاحة تتفق بالتأكيد مع الاعتقاد الإسرائيلى بأن الضوء الأحمر الذى أضىء فى أواسط مايو قد استحال إلى ضوء أصفر بحلول أوائل يونيو .

وعندما وقعت الحرب فعلا ، أصبح من المطلوب إعداد تحديد جديد للسياسة . ولم يلبث هذا التحديد أن أعد . وليس مما يبعث على الدهشة أن الاتحاد السوفيتى قد اتخذ دورا أكبر بروزا بمجرد بدء الحرب .(٣٦) ثم مع اقرار وقف إطلاق النار ، برز الإطار الرئيسى الثالث الذى يؤكد الحاجة إلى المضى لعقد اتفاقية سلام كامل . وإلى حد كبير كانت هذه السياسة الأخيرة رد فعل للنهج الذى اتبع فى ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، وهو الضغط على إسرائيل لكى تنسحب على الفور . وقد دلت حرب ١٩٦٧ على أن قرار أيزنهاور لم يحقق السلام ؛ وكان جونسون قد اعترض إذ ذاك على ضغط أيزنهاور على إسرائيل ، وها قد صارت لديه الآن فرصة لمحاولة اتباع نهج بديل . وبقدر قليل من النقاش ودون معارضة واضحة ، ألفت الولايات المتحدة نفسها تؤيد قبضة إسرائيل على الأراضى التى فتحت مؤخرا ريثما يبدى العرب استعدادا لإجراء سلام . تلك هى قوة الدروس التاريخية التى ترسبت فى أذهان الرؤساء . وربما بدا للرئيس جونسون أن عبارة « لا تكرار لحرب السويس » مقبولة تماما مثل عبارة « لا مزيد من أزمات ميونيخ » ، ولكن لن يمضى وقت طويل حتى تصبح معضلات السياسة الجديدة واضحة جلية .

الباب الثانى

فترة رئاسة نيكسون

الفصل الرابع

أهداف متضاربة :
نيكسون وروجرز وكيسنجر ، ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠

أقل ما يقال عن ريتشارد نيكسون أنه كان رئيسا غير عادى . وبحلول الوقت الذى استقال فيه من منصبه مهدور الكرامة فى ٩ أغسطس ١٩٧٤ ، كان التأييد المحلى له قد اختفى عمليا . ففضيحة ووترجيت التى انكشفت تفاصيلها بصورة حادة فى الصحف وفى الكونجرس وأشرطة تسجيل محادثات الرئيس ، قد أبانت عن وجود رجل تحيطه الريب فى البيت الأبيض ، لجأ للكذب وكان انتقاميا وعاجزا عجزا غريبا عن اتخاذ قرار ، ويتسم بالتشوش كلما انبرى لمعالجة قضايا هامة متعلقة بالسياسة . وقد وجد كثير من الأمريكيين والأجانب أيضا صعوبة فى التوفيق بين هذه الصورة وبين صورة ريتشارد نيكسون الذى أعيد انتخابه بصورة كاسحة فى عام ١٩٧٢ للفترة الثانية ، وهو رجل أكسبته إنجازاته فى ميدان السياسة الخارجية تأييدا ضن به عليه كثيرون من معارضيه السابقين .

هذان الوجهان للرئيس نيكسون هما دون ريب جزء من نفس الشخصية المعقدة غير السعيدة ، ولكن الذى يهمنا هنا فى المقام الأول هو نيكسون بوصفه راسما استراتيجيا للسياسة الخارجية . وقد اعتبر نيكسون أن خبرته فى الشؤون الدولية هى أقوى أرصدته ، واعتبر العلاقات الخارجية ميدانا على درجة خاصة من الأهمية بالنسبة للعمل الرئاسى . وكان نيكسون ، بوصفه نائبا للرئيس أيزنهاور خلال ثمانى سنوات ، على هامش القرارات الهامة فى السياسة الخارجية التى اتخذت فى عقد الخمسينات . وقد اكتسب سمعة بأنه عدو للشيوعية ، واقعى النظرة وداعية لدور دولى قوى للولايات المتحدة .

وخلال الفترة التى ابتعد فيها عن اتخاذ قرارات سياسية أساسية ، من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٨ ، سافر إلى دول كثيرة ، وقابل كثيرين من رؤساء الدول . وتصادف أن كان فى المغرب أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ ، فبعث ببرقية إلى وزير الخارجية دين راسك تعطى لمحة عن آرائه التى أبداها فى تلك اللحظات التى تتحدد فيها السياسات ، والتى لم تتأثر بآراء المستشارين اللاحقين :

آمل مع اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية أن تستخدم حكومتنا كل نفوذ ممكن لتجعل جميع الدول الرئيسية تنهض بمسؤوليتها فى سبيل صون السلام . دعونا نوضح أن مفتاح السلام فى الشرق الأوسط هو الآن فى موسكو ، وأن مساعى السلام فى الأمم المتحدة والجهود المتعددة الأطراف قد عرقلها الاتحاد السوفيتى حتى الآن . كما آمل أنه عند بحثنا فى الإجراءات التى نتخذها فى هذا الموقف أن نتذكر أنه إذا كان للعرب جميعا مشاعر قوية بإزاء موضوع إسرائيل ، فهناك كثيرون

لا يتفقون مع عبد الناصر وأطماعه بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ولزعامة العالم العربى .

والذى أخشاه فى الظروف الحالية أننا إذا لم نبرهن على أن تمسكنا بالسلام هو تمسك غير متحيز ، سنكون قد أعطينا الاتحاد السوفيتى فرصة لا مثيل لها لكى يوسع نفوذه فى العالم العربى بما يضر بالمصالح الأساسية للولايات المتحدة والعالم الحر .(١)

ولا بد أن هذه الرحلات إلى الشرق الأوسط قد تركت انطباعا لدى نيكسون ، لأنه أكثر من الحديث عنها فى السنوات التالية . وكان فى المناقشات المتعلقة بالمنطقة يشير إلى أحاديثه مع القادة الإسرائيليين والمصريين والسعوديين ، مؤكدا معرفته الشخصية بالأشخاص الرئيسيين وبلادهم . أما خبرته فى الشؤون الخارجية ، أيا كان شأنها ، فقد استمدها إلى حد كبير من خلال تجاربه وأحاديثه المباشرة . وكان قليل الجلد على الدراسات الأكاديمية ، أو على مواد المذكرات المسهبة . لقد كان نيكسون انطوائيا إلى حد كبير ، وقل أن يسعى إلى الآخرين لمناقشة آرائه معهم .

ونيكسون ، على خلاف الرئيس جونسون ، لم يبد رغبة قوية فى الانغماس فى طوفان الأحداث والمعلومات اليومية ، وكان يباهى بعزلته عن ذلك وبقدرته التحليلية على أن يرى المشكلات فى سياقها الاستراتيجى العريض . وكان يُعجب بالقوة والصلابة ، ويعتقد اعتقادا جازما بأن السياسة الخارجية ينبغى أن تُرسم سرا ، وبالحد الأدنى فقط من مساهمات الكونجرس والرأى العام . وكان نيكسون يفاخر بأنه لا يدين بالفضل لجماعات الضغط الموالية لإسرائيل ، لأن قلة قليلة نسبيا من اليهود هى التى أعطته صوتها .(٢)

فريق نيكسون

كان واضحا منذ البدء أن الرئيس نيكسون يعتزم أن يتخذ بنفسه القرارات الأساسية فى السياسة الخارجية . ولضمان سيطرته على الجهاز البيروقراطى الواسع للسياسة الخارجية ـ الذى لم يكن يوليه ثقته باعتباره قلعة الديمقراطيين ـ فقد قرر تنشيط مجلس الأمن القومى .(٣) وقد تطور مجلس الأمن القومى الخاص بنيكسون تطورا كبيرا بمضى السنين ، ولكن كان مقصودا منه فى بداية الأمر تحقيق غرضين هما : تقديم بدائل أو خيارات صادقة بشأن السياسة إلى الرئيس ؛ وتوعية الجهاز البيروقراطى بالأفكار الجديدة لسياسة نيكسون الخارجية . وفى سبيل هاتين الغايتين ، طلب نيكسون عددا لا مثيل له من الدراسات المتعلقة بالسياسة فى بضعة الأشهر القليلة الأولى من تقلده منصبه ، وكان معظمها على هيئة مذكرات لدراسة الأمن القومى ، على أن تتم مناقشة هذه المذكرات من قبل مجموعة مراجعة رئيسية ،(٤) ثم تحال إلى مجلس الأمن القومى بكامله لاتخاذ قرار بشأنها ، ويتم بعد ذلك إصدار مذكرة بقرار مجلس الأمن القومى . وكان يشرف على هذا النظام المعقد الأستاذ السابق بجامعة هارفارد هنرى أ . كيسنجر ، مستشار نيكسون لشؤون الأمن القومى .

وكان كيسنجر معروفا بأنه محلل للسياسة الخارجية . وقد نال أول اعتراف عام عندما نشر كتابه المؤثر فى عام ١٩٥٧ المعنون « الأسلحة النووية والسياسة الخارجية » . وأصبح بعد ذلك مستشارا لكل من إدارتى كنيدى وجونسون ، ولكن أوثق صلاته كانت مع أول راع له ، نلسون روكفلر . وكان قبول كيسنجر لمنصب مستشار شؤون الأمن القومى لنيكسون غير متوقع تماما ، كما كان عرض نيكسون غير متوقع . فقد كان الرجلان ـ على ما يبدو ـ مختلفين اختلافا عميقا فى المزاج

والشخصية ، ولكنهما لم يلبثا أن أعترفا بانسجامهما الفكرى المرموق . فقد كان نيكسون يتصرف بالسليقة والحسم ؛ وكان كيسنجر تحليليا وذا دهاء . ومع ذلك ، فقد كانت لهما آراء متماثلة حول الدور الدولى للولايات المتحدة ، والحاجة إلى المزاوجة بين القوة والدبلوماسية ، والربط الوثيق بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ، وخطر الحرب النووية .

وخلال فترة وجيزة ، كان فريق نيكسون ـ كيسنجر يعمل بسلاسة ، وكان كيسنجر قد ارتفع من مكان مغمور فى بدروم البيت الأبيض إلى مكتب يقع فى الطابق الأول من الجناح الغربى .(٥) وكان لكل من نيكسون وكيسنجر إحساس عميق تجاه رموز القوة وأيضا حقائقها . ومع ذلك ، تعمد نيكسون فى السنة ونصف السنة فى بداية حكمه ، أن يحول دون هيمنة كيسنجر على سياسة الشرق الأوسط ولو جزئيا بسبب أصله اليهودى .(٦)

وبالنسبة لمنصب وزير الخارجية ، عين نيكسون صديقا شخصيا حميما ، هو وليام روجرز ، وهو محام بالسليقة عمل نائبا عاما فى وزارة أيزنهاور . ولم تكن له خبرة بصورة خاصة فى السياسة الخارجية ، ولا كانت شخصيته قوية آمرة ، إلا أنه كان لطيف المعشر فى أسلوبه بما يبعث على الطمأنينة ، كما أنه كان وقور الهيئة . ولعل هذه الصفات كانت كافية ، بالنظر إلى الدور المتواضع الذى ارتآه نيكسون له . ومع ذلك قرر نيكسون أن يعهد بملف الشرق الأوسط إلى روجرز ، ربما اعتقادا منه بأن النجاح فيه غير محتمل ، وأن الخلافات الداخلية حوله يمكن أن تنصب على وزارة الخارجية بدلا من البيت الأبيض .(٧)

ولئن بدا أنه من غير المحتمل أن يكون روجرز وزيرا للخارجية يتسم بالإقدام بصورة خاصة ، فإن بعض معاونيه فى الوزارة كانوا رجالا على قدر كبير من الموهبة والطاقة والطموح . فإليوت ريتشاردسون ، الذى عمل فترة قصيرة كوكيل للخارجية ، اضطلع بدور هام فى إدارة الوزارة وفى الإبقاء على القنوات مفتوحة مع البيت الأبيض . وخلافا لروجرز فإن ريتشاردسون لم يلبث أن أنشأ علاقة عمل وثيقة مع كيسنجر .

أما مساعد وزير الخارجية الجديد لشؤون الشرق الأدنى وجنوبى آسيا ، فقد كان شخصية مختلفا عليها . فجوزيف سيسكو ، الذى كان قبل ذلك مساعدا لوزير الخارجية لشؤون المنظمات الدولية ، كان ينتمى إلى الحزب الديمقراطى ولم يسبق له أن عمل فيما وراء البحار فى حياته العملية الطويلة فى وزارة الخارجية . أما معلوماته عن الشرق الأوسط ، فقد استقاها من سنواته فى واشنطن . ولقد كان سياسيا بيروقراطيا قلبا وقالبا ؛ وعرف دخائل وزارة الخارجية ومخارجها ؛ وكان رجلا قياديا ، ومتحدثا لبقا وتكتيكيا داهية . وكان يعمل معه بصورة وثيقة ألفريد آثرتون (الابن) ، أولا كمدير لمكتب الشؤون الإسرائيلية والعربية الإسرائيلية ، ثم كنائب لمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى . وكان آثرتون يمثل عنصر الاستمرار والتجربة والخبرة الاحترافية . وكان يتسم بالبرود حين يتسم سيسكو بالحدة . ولقد كان الاثنان ثنائيا رائعا فى دوائر رسم سياسة الشرق الأوسط .(٨)

سياسة نيكسون الخارجية

لم يلبث الرئيس نيكسون ، بمساعدة هنرى كيسنجر وبعض أقسام من وزارة الخارجية ، أن قرر مجموعة من الأولويات والمبادىء التوجيهية للسياسة الخارجية الأمريكية . وكان بعضها يمثل خروجا جديدا (عن السياسات السابقة) فى حين أن البعض الآخر كان يعكس عناصر الاستمرار وردود الفعل النمطية إزاء المشكلات التى طال أمدها . ولم يكن ثمة مناص من أن تتصدر فيتنام جدول أعمال نيكسون الخاص بقضايا السياسة الخارجية . وكان الشقاق الداخلى الذى شجر حول فيتنام قد قضى على فرص إعادة انتخاب ليندون جونسون ، وتسبب فى نشوب أزمة خطيرة للثقة وللضمير داخل الولايات المتحدة . ولا ريب فى أن نيكسون كان أقل من جونسون انخداعا بفرص « النصر » فى فيتنام ، ولكنه كان فى نفس الوقت معارضا بقوة للانسحاب المفاجىء للقوات الأمريكية .(٩)

وقد أعرب نيكسون وكيسنجر فى مجالسهما الخاصة ، عن تخوفهما من أن الانسحاب المتسرع من فيتنام والانتصار الشيوعى الذى يتلوه ، قد يؤديان إلى إثارة حركة ارتجاعية مكارثية يقوم بها الجناح اليمينى فى الولايات المتحدة تعزز مشاعر العزلة الكامنة . وكان من رأيهما أن الأسلوب الأمثل لمعالجة التورط فى فيتنام ، يتمثل فى فض اشتباك القوات الأمريكية بطريقة يتأتى فيها للولايات المتحدة ـ داخليا ودوليا ـ أن تظل قادرة على أن تدير سياسة خارجية فعالة فى أنحاء أخرى من العالم مثل الشرق الأوسط ، حيث تتعرض مصالح هامة للمخاطر .

وإلى جانب فيتنام ، فقد كان نيكسون وكيسنجر معنيين فى المقام الأول بالدول الكبرى الأخرى ، ولا سيما الاتحاد السوفيتى . وكان كلا الرجلين فى شغل شاغل بمخاطر الحرب النووية ؛ وكان كلاهما مأخوذا باحتمال إنشاء علاقة جديدة مع الاتحاد السوفيتى تساعد على ضمان الاستقرار العالمى وتقلل من مخاطر المواجهة ؛ وكان كلاهما مستعدا لتجاوز المنافسة الأيديولوجية الخاصة بالحرب الباردة ، وإقامة روابط مع الخصوم تستند إلى المصلحة المشتركة .

وكان جزء من استراتيجية نيكسون لإعادة هيكلة العلاقات بين الدول العظمى يتعلق بالصين . وفى أكتوبر ١٩٦٧ ، نشر نيكسون مقالا عنوانه « آسيا بعد فيتنام » .(١٠) كتب فيه يقول « إن أى سياسة أمريكية تجاه آسيا لا بد أن تنبرى بصورة عاجلة لحقيقة الصين » . صحيح أن الاهتمام العام بالصين كان قليلا خلال العامين الأولين لنيكسون فى منصبه ، ولكن الواضح من استعادة الأحداث الماضية أن الرئيس وكيسنجر كانا يضعان فعلا أساسا لانفتاح مثير على بكين . وإلى جانب المزايا الكامنة من وراء إعادة العلاقات الأمريكية الصينية بعد جيل من العداء ، فقد اعترف نيكسون بأن من شأن الصلة الأمريكية الصينية أن يكون لها تأثير ملطف على السياسة الخارجية السوفيتية . يضاف إلى هذا أن تحسين الروابط مع موسكو وبكين قد يساعد على إجراء تسوية فى فيتنام ، ويضمن أن عصر ما بعد فيتنام فى آسيا سيكون خاليا من الصراع بدرجة نسبية . وترتب على ذلك أن أصبحت فيتنام والاتحاد السوفيتى والصين ترتبط بوصفها اهتمامات لها أولوية فى إدارة نيكسون . ومما له دلالة أن العلاقات مع كل منها كانت تُدار من البيت الأبيض بصورة تكاد تكون

مقصورة عليه ، فالرئيس يعطى التوجيه العام ، ويضع كيسنجر وموظفوه التفاصيل الخاصة بالسياسات الجديدة ويشرفون على تنفيذها .

بقى موضوع يستأثر بالأولوية يتعين على وزارة الخارجية أن تعالجه ألا وهو : الشرق الأوسط . وكان النزاع العربى الإسرائيلى ينظر إليه بصورة عامة باعتباره ذا خطورة كامنة ، وإن يكن موضوعا معقدا ولعله أقل إلحاحا من مهام أخرى تواجه الإدارة . وفى عهد جونسون ، تحقق فعلا شىء من قوة الدفع ، كان فى الوسع إقامة سياسة معدلة حولها . وكانت وزارة الخارجية تتوق إلى الاضطلاع بدور قيادى ، وكان فى وسعها أن تعتمد على خبرة كبيرة . ومن هنا فإن نيكسون - ولديه شىء من التشكك من احتمال تحقيق نتائج مباشرة - فوض وزارة الخارجية فى إعداد سياسة أمريكية جديدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى ، والمضى فيها . فإن نجحت كان هناك من الفضل ما يكفى للجميع ؛ أما إن فشلت ، فإن نيكسون وكيسنجر ينجوان من اللوم نسبيا .

ويبدو أن آراء نيكسون الخاصة بالشرق الأوسط ، كما تراءت فى البرقية التى بعث بها إلى راسك فى اليوم الأول من بدء حرب يونيو ١٩٦٧ تمزج بين جرعة قوية من افتراضات الحرب الباردة بشأن دور السوفيت ، وبين اعتقاد صريح بأن فى وسع الولايات المتحدة أن تنافس موسكو أفضل منافسة « بعدم تحيزها » فى النزاع العربى الإسرائيلى . وكان قلق نيكسون من ناحية السوفيت شبيها بقلق كيسنجر ، ولكن « عدم تحيز » نيكسون كان أكثر قربا من الموقف التقليدى لوزارة الخارجية . وصفوة القول إن نيكسون جسّم فى مخيلته النموذجين المتنافسين بشأن أفضل السبل لمعالجة النزاع العربى الإسرائيلى . أما ما صار يعتبر معركة كبرى بين كيسنجر وروجرز ، فالواضح أنه كان يمثل بدوره مناقشات تدور داخل عقل نيكسون نفسه دون حسم .(١١)

ومن قبيل المفارقة أن كيسنجر كانت لديه آراء عن الشرق الأوسط جيدة الإعداد ، إن لم تكن جيدة الاطلاع على شؤونه . ولم يكن الشرق الأوسط جزءا من العالم الذى عرفه جيدا . وكان يميل إلى النظر إلى قضايا الشرق الأوسط من زاوية المنافسة العريضة بين الولايات المتحدة والسوفيت . ولعل آراءه تبلورت أثناء أزمة السويس عندما خلص إلى الرأى القائل إن سياسة أيزنهاور فى وقف التحرك البريطانى الفرنسى ضد عبد الناصر كانت سياسة سيئة التوجيه . وكان فى اعتقاده أنه لا يسع المرء أن يضعف الأصدقاء ، وأن يساعد الخصوم الذين يعتمدون على تأييد السوفيت .(١٢) وأدت حقائق عام ١٩٦٩ بكيسنجر إلى المطالبة بتقديم دعم قوى لإسرائيل إلى أن يحين الوقت الذى يقرر فيه العرب الانفصال عن موسكو . وكانت السليقة المعتادة لوزارة الخارجية فى طرح مبادرات تعتبر من حيث طريقته فى التفكير إثما ، وبذل كل ما فى وسعه لإقناع نيكسون بصحة آرائه . وفى السنة الأولى أو نحوها لم ينجح دائما فى تحقيق مراده ، ولكن هذا لم يثنه عن محاولة تقويض الاستراتيجيات المفضلة لوزارة الخارجية .

إن نهج نيكسون الأولى إزاء قضايا السياسة الخارجية لم ينصب على الشرق الأوسط . فالموضوعات الكبرى التى كانت تشغله كانت تهدف إلى الاضطلاع بتخليص أمريكا من فيتنام دون إحداث اضطراب فى ميزان القوى العالمى . وفى سبيل هذه الغايات أكثر من الحديث عن « الربط » (بين القضايا) وعن « هيكل السلام » ، وعن « الانفراج » وعن « المفاوضات » ، وهذا كله إزاء

خلفية تدعو إلى الإبقاء على الولايات المتحدة قوية ، واستعادة توافق الآراء المحلية تأييدا للأهداف العريضة للسياسة الخارجية .

وفكرة الربط (بين القضايا) كانت فكرة محببة لنيكسون وكيسنجر ، ويُقصد بها أن القضايا التي يجرى التفاوض عليها مع موسكو لا يعالج بعضها بمعزل عن البعض الآخر ، وإنما ينبغي للولايات المتحدة أن تهدف في محادثاتها مع الاتحاد السوفيتي إلى تسوية شاملة للقضايا . ولا بد من تحقيق تقدم شامل حول فيتنام ، ومحادثات الأسلحة الاستراتيجية ، والشرق الأوسط . وإن إجراء مفاوضات متزامنة حول كل من هذه الموضوعات معناه إمكان إجراء مفاضلات مما يزيد المفاوضات مرونة ودقة في الفروق . فإذا حدث تنازل سوفيتي بشأن فيتنام أمكن مقابلته بتحرك أمريكي في الشرق الأوسط . وقد يكون هذا سليما من ناحية المنطق الفكري ، ولكن من النادر أن يتحقق هذا من الناحية العملية . ومع ذلك ظل الربط طوال عام ١٩٦٩ من المفاهيم الرئيسية لسياسة نيكسون الخارجية .

وأصبحت « المفاوضات » مبدأ آخر في دبلوماسية نيكسون . وقد اشترك نيكسون وكيسنجر في الرأي القائل بأن القوة والدبلوماسية ينبغي أن يمضيا جنبا إلى جنب ، وهو ما يعني أن التفاوض مع الخصوم لا يتعارض مع التهديدات ، ولا مع الاستخدام الفعلي للقوة العسكرية . وكان كيسنجر بصورة خاصة مفتونا بعملية المفاوضات ، وقد برهن على أنه كان بكل جدارة مفاوضا ناجحا بدرجة مدهشة . وبعد تولي نيكسون منصبه بفترة قصيرة ، جرى البدء أو الإسراع بمفاوضات حول طائفة عريضة من القضايا - الشرق الأوسط وفيتنام والصين والأسلحة الاستراتيجية .

وكان الهدف من المفاوضات هو ايجاد « هيكل للسلام » - بلغة نيكسون وكيسنجر - مكوناته الرئيسية « الانفراج » الأمريكي السوفيتي ، والحد من الأسلحة ، وبعد ذلك تطبيع العلاقات الأمريكية الصينية ، على أن يتحقق هذا كله دون الإضرار بالحلفاء التقليديين - الشركاء في منظمة حلف شمال الاطلنطي واليابان - ودون كبير مراعاة للعالم الثالث حيث يستفاد من الانفراج في الحد من المخاطر التي تهدد السلام العالمي الكامنة في المنازعات المحلية .

ورغبة في انتهاج هذه السياسة الخارجية الطموحة في وقت حدثت فيه استفاقة شعبية عريضة ، سعى الرئيس نيكسون إلى الاستجابة إلى المطلب الداعي إلى عدم اضطلاع الولايات المتحدة بعد الآن بدور الشرطي العالمي ، في حين تتفادى العزلة المفرطة في الوقت نفسه . وهذا الوضع المتوازن توازنا دقيقا ، ألا وهو الأممية المنضبطة ، هو الذي صار يعرف باسم « مبدأ نيكسون » ، وكان من مظاهره الفتنمة - أي التدرج في فض اشتباك القوات المقاتلة في فيتنام ، مقترنا بتقديم مستويات عالية من المعونة إلى نظام سايجون ، والبحث بنشاط عن تسوية سياسية .(١٣)

وكان أمل نيكسون الكبير في فترة رياسته الأولى هو أن يكون قادرا على إعادة خلق توافق محلي في الآراء بالنسبة لأهداف سياسته الخارجية . وكان اختيار أسلوب وتوقيت كل خطوة رئيسية في السياسة الخارجية يتم ، وعين نيكسون على الرأي العام المحلي . وقد ساعدت الفتنمة وإنهاء التجنيد الإجباري على التخفيف من حدة الانقسامات الناشئة عن الحرب ، وتعززت شعبية نيكسون كثيرا باحتمال توقيع اتفاق سلام في فيتنام خلال عام ١٩٧٢ . ثم إن الانفتاح المدهش على الصين

الذى جرى بسرية كاملة وحركة مسرحية فائقة قد عزز بدوره من مكانة فريق نيكسون ـ كيسنجر . وأخيرا ، فإن الاتفاقية المنبثقة من محادثات الحد من الأسلحة الاستراتيجية (سولت) التى عقدت فى مايو ١٩٧٢ كانت ـ على ما يبدو ـ بشيرا بتحقيق الوعد بإنهاء سباق التسلح النووى .

وبدا أن نيكسون كان قلقا بإزاء الاحتمالات المتفجرة للنزاع العربى الإسرائيلى ـ وكان يكرر تشبيهها بالحال فى البلقان قبل الحرب العالمية الأولى . على أن الذى قلل من استعداد نيكسون لمعالجة النزاع العربى الإسرائيلى ما كان يموج من مناخ سياسى محلى مسموم نتيجة لحرب فيتنام . كما أن دبلوماسية الشرق الأوسط لم تكن تُضمر إلا احتمالا صغيرا فى استرداد توافق الرأى المحلى الممزق . بل على العكس ، فإن القيام بجهد جاد لحل الخلافات بين إسرائيل وجيرانها العرب حرىّ بأن يكون موضوع جدال . يضاف إلى هذا أن كبار مستشارى الرئيس لم يكونوا على اتفاق حول كيفية المضى فى هذا السبيل . وكان الرأى العام ممالئا لإسرائيل جدا ، ولم يبرح ينظر إلى الدولة اليهودية وكأنها البطل داود وهو يواجه جوليات العربى العدوانى الممالىء للسوفيت . ولا كان هناك سبب استراتيجى آمر يدعو إلى معالجة النزاع العربى الإسرائيلى ، لأن قضية النفط لم يكن ينظر إليها عموما باعتبار أن لها ضلعا فى الموضوع ، ولم يكن هناك اعتقاد بأن لدى العرب خيارا عسكريا جادا ، ومن هنا لم يبد أن المصالح الأمريكية معرضة لخطر مباشر . أما وهذه الحقائق المدركة نصب العينين ، فالبادى أن نيكسون لم يكن مستعدا إلا لأن يسمح لوزارة الخارجية بأن تجس نبض الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، ولكنه كان مترددا فى أن يلقى بالثقل الكامل لمنصبه وراء سياسة حركية نشيطة .

المناقشة العامة حول المصالح

فى أوائل عام ١٩٦٩ هيمنت على تفكير راسمى السياسة مجموعتان من أسباب القلق ، إذ كانت الإدارة وقتها تستعرض الموقف فى الشرق الأوسط للمرة الأولى . فقد بدا أن الرئيس وكيسنجر منزعجان بصورة أساسية إزاء العواقب العالمية للنزاع العربى الإسرائيلى . وكان نيكسون يكرر وصف المنطقة بصور متفجرة كثيرة الألوان . وجرى المرة بعد المرة ذكر موضوع المواجهة بين القوتين العظميين فى المناقشات المتعلقة بالشرق الأوسط ، ولقد قيل إن هذا هو الذى جعل النزاع العربى الإسرائيلى أشد خطورة من فيتنام .(١٤)

وكان المحترفون فى وزارة الخارجية يميلون إلى الاتفاق على أن الوضع فى الشرق الأوسط وضع خطير ، ولكن نظراتهم كانت أكثر تأثرا بالتهديدات المحتملة للمصالح الأمريكية الناشئة عن تيارات داخل المنطقة . وفى الخارجية ، كان المرء يسمع عبارات مثل « تآكل » النفوذ الأمريكى ، و« تدهور » الموقف الأمريكى و« اكتساب » العالم العربى « طابعا راديكاليا » و« الاستقطاب » . وكانت النظرة إلى المنطقة تتم من زاوية متشددة ومفرطة فى التبسيط على نحو ضار أحيانا : الولايات المتحدة مع إسرائيل والعرب « المعتدلون » معا ضد الاتحاد السوفيتى والعرب « الراديكاليون » . وكان هناك اعتقاد واسع بأن استمرار النزاع العربى الإسرائيلى من شأنه أن يؤول إلى صالح الاتحاد السوفيتى ، مما يؤدى إلى انعزال الولايات المتحدة وإسرائيل فى خضم

بحر من العرب الراديكاليين المعادين للأمريكيين . كما أن نهوض حركة الفدائيين الفلسطينيين النضالية فى عام ١٩٦٨ كان إيذانا بما هو آت : عنف وإرهاب متزايدان ، وتهديدات مباشرة لأرواح الأمريكيين ومصالحهم ، وعدم استقرار متنام ، وحرب أخرى فى نهاية الأمر .(١٥)

وكان البيت الأبيض ووزارتا الخارجية والدفاع منزعجين جميعا حول قضية أخرى ترتبط بالشرق الأوسط ، وهى : احتمال قيام إسرائيل باستحداث أسلحة نووية ، أو لعلها قد استحدثتها فعلا . وكان من شأن هذا الخوف أن جمع صفوف الذين كانوا منزعجين من الاتجاهات الإقليمية ، والذين كانوا معنيين بالقضايا الاستراتيجية العالمية . ولم يعرف أحد على وجه التحديد ما الذى يستطاع عمله إزاء الخيار النووى الإسرائيلى ، وإن كان ذلك زاد من الإحساس بأن الشرق الأوسط أخطر من أن يتم تجاهله .(١٦)

إن اجتماع هذه الاعتبارات الشاغلة للاهتمام أدى إلى وضع عدد من المبادىء التوجيهية المتصلة بالسياسة التى شكلت المسلك الأمريكى تجاه الشرق الأوسط من أوائل عام ١٩٦٩ إلى أغسطس ١٩٧٠ . والأهم هو توافق الرأى الواسع الذى تحقق - باستثناء كيسنجر - حول ضرورة تبنى الولايات المتحدة لدور دبلوماسى نشيط فى النهوض بتسوية سلمية تستند إلى المبادىء التى جسدها قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ . وقد اعتبرت جهود إدارة جونسون جهودا سلبية بأكثر من اللازم ، وجهود سفير الأمم المتحدة جونار يارنج جهودا حذرة بأكثر من اللازم . ومن هنا يتعين على الولايات المتحدة ، متضافرة مع القوى الرئيسية الأخرى ولا سيما الاتحاد السوفيتى ، أن تسعى إلى إشراك الأطراف الإقليمية فى عملية تفاوض ، تتمثل الخطوة الأولى فيها فى صقل مبادىء التسوية التى يتم وضعها من خلال محادثات بين الدولتين العظميين . صحيح أن النتيجة المرجوة ستكون أقل بكثير من تسوية مفروضة فرضا - وهو ما رفضته الإدارة - ولكنها ستكون شيئا مختلفا عن اتفاق سلام يتم التفاوض عليه بصورة مباشرة ، وهو ما كان الإسرائيليون يريدونه .(١٧)

ولقد دعت وزارة الخارجية منذ أمد طويل إلى اتباع سياسة « غير متحيزة » بإزاء النزاع العربى الإسرائيلى . وكان هذا يعنى فى جوهره تبنى موقف لا هو بالممالىء للعرب بصورة سافرة ، ولا هو بالممالىء لإسرائيل بصورة مكشوفة . وفيما يتعلق بشحنات الأسلحة إلى إسرائيل ، فإن سياسة عدم التحيز حثت على ضبط النفس ، وبالنسبة للانسحاب من الأراضى ، فقد حبذت إصدار إعلان واضح يعارض الاستيلاء الإسرائيلى على الأراضى نتيجة لحرب ١٩٦٧ . وفيما يتعلق بكنه اتفاقية السلام ، فإن المعايير التى تطبق على الالتزامات من جانب العرب لن تكون شديدة الصرامة . ومن المنظور الإسرائيلى ، فإن سياسة « عدم التحيز » الأمريكية إنما ترقى إلى ممالأة العرب . وعندما استخدم الحاكم وليام سكرانتون ، المبعوث الخاص للرئيس المنتخب نيكسون إلى الشرق الأوسط ، عبارة « عدم التحيز » فى ديسمبر ١٩٦٨ ، أحدث ذلك موجة من الصدمات فى إسرائيل .

ومن حسن الحظ بالنسبة للإسرائيليين أن كيسنجر كان متشككا فى فضائل « عدم التحيز » ، وبدأ الإسرائيليون فى وقت مبكر يتخطون روجرز مفضلين التعامل المباشر مع البيت الأبيض . وكان كيسنجر ، على خلاف روجرز وسيسكو ، يعتقد بأن الطريق الدبلوماسى المسدود الذى تظل فيه

إسرائيل قوية من شأنه فى خاتمة المطاف أن يقنع العرب بأنه لا معنى للاعتماد على التأييد السوفيتى ، وعندئذ سيتحولون إلى الولايات المتحدة طلبا للمساعدة ، وثمن ذلك هو الانفصال عن موسكو . ومن وجهة نظر كيسنجر أنه ينبغى عدم إعطاء العرب انطباعا بأن فى وسعهم الاعتماد على كل من الدولتين العظميين فى الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات ، اللهم إلا إذا كانوا على استعداد لتقديم تنازلات بعيدة المدى من ناحيتهم . وكان كيسنجر قليل الصبر إزاء الرأى القائل إن العرب سيبدون مزيدا من الاعتدال إذا ما ابتعدت الولايات المتحدة بعض الشيء عن المواقف الإسرائيلية ، وتذرعت بضبط النفس من حيث إمدادات السلاح إلى الدولة اليهودية .(١٨)

ويمكن إجمال الخلاف الأساسى بين وزارة الخارجية وكيسنجر بصورة سهلة جدا . فالخارجية ترى أن التوترات فى الشرق الأوسط ناشئة عن أوضاع إقليمية يستطيع السوفيت استغلالها لمصلحتهم . وكان رجال الخارجية يجادلون بقولهم إنه إذا ما أريد الإقلال من الخيارات السوفيتية ، فعلى الولايات المتحدة أن تجتهد فى حل المنازعات الكامنة وراء ذلك . وكان كيسنجر أقل تفاؤلا بشأن احتمالات حل الصراعات الإقليمية ، وكان يعتقد أن التورط السوفيتى فى المنازعات هو الذى جعلها خطيرة بصورة خاصة . وكان يرى من منظوره الخاص بتوازن القوى أن أول ما يتعين عمله هو الحد من الدور السوفيتى . ومما يبعث على الدهشة أن نيكسون كان - على ما يبدو - يتفق مع كل من مدرستى التفكير ، حسب الظروف .

رسم السياسة

فى يناير ١٩٦٩ أعرب الرئيس نيكسون عن وجهة النظر القائلة بأن الوضع فى الشرق الأوسط مآله إلى الانفجار . وقد تراءى تفكيره على خير وجه فى ردوده على أسئلة وجهت خلال مؤتمر صحفى عقد فى ٢٧ يناير ١٩٦٩ بعد أسبوع واحد فقط من تقلده منصبه :

> **الذى أبتغى عمله هو أن أتوخى أن تكون لنا محادثات حول الأسلحة الاستراتيجية بالأسلوب وفى التوقيت الكفيلين بتحقيق تقدم - إن أمكن - بشأن المشكلات السياسية المعلقة ، وفى نفس الوقت مثلاً ، بشأن مشكلة الشرق الأوسط وبشأن غيرها من المشكلات المعلقة التى تستطيع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى - اذ يعملان فيها معاً - أن يخدما قضية السلام ... وأعتقد أننا فى حاجة إلى مبادرات جديدة وزعامة جديدة من جانب الولايات المتحدة لتهدئة الموقف فى الشرق الأوسط الذى أعتبره برميل بارود شديد الانفجار يحتاج إلى نزع فتيله . وصدرى مفتوح لأى مقترحات من شأنها تهدئة ذلك والإقلال من احتمالات حدوث انفجار آخر ، لأن الانفجار التالى فى الشرق الأوسط يمكن - على ما أعتقد - أن ينطوى على مواجهة بين الدول النووية ، وهو مانريد تفاديه .(١٩)**

وفى أول فبراير اجتمع مجلس الأمن القومى لإجراء استعراض مسهب للسياسة فى الشرق الأوسط . وقد بحثت ثلاثة بدائل أساسية ، نوقش كل منها باستفاضة فى مذكرة دراسة الأمن القومى رقم ٢ ، ألا وهى :

- ترك البحث عن تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى للأطراف وللسفير يارنج .
- اتباع سياسة أمريكية أوفر نشاطاً ، من ضمنها محادثات أمريكية سوفيتية .
- افتراض أنه لا سبيل إلى تسوية ، وتركيز الجهود على أهداف لا تصل لحد التسوية .

وقد بُتَّ في البديل الثاني ، أما الثالث فقد بقي متاحاً باعتباره موقفاً يُركن إليه في حالة الفشل . وقد أسفرت مناقشات مجلس الأمن القومي عن تحديد عدة مبادىء ينبغي أن تهتدي بها سياسة الولايات المتحدة ، وهي :

- أن على أطراف النزاع أن تشارك في المفاوضات في نقطة ما من هذه العملية . ومع أن الولايات المتحدة لن تتردد في أن تسبق إسرائيل بعض الشيء ، فإن أي اتفاق نهائي لن يتم التوصل إليه إلاّ بمشاركة إسرائيل وموافقتها .
- أن هدف التسوية هو اتفاق ملزم ، وليس بالضرورة أن يكون في شكل معاهدة سلام ، وإنما ينطوي على شكل من أشكال الالتزامات التعاقدية . وكانت الإدارة مهتمة بالتوازن المفُتقد في التنازلات التي تُطلب من كل طرف . فالإسرائيليون يتنازلون عن أراضٍ ؛ والعرب يبذلون وعوداً باحترام سيادة إسرائيل .
- أن انسحاب القوات الإسرائيلية يجب أن يتم بالعودة إلى الحدود الدولية بين إسرائيل ومصر ، مع ترتيب خاص بالنسبة لغزة ، ويتعين تحقيق جلاء إسرائيلي من الضفة الغربية للأردن مع تعديلات يسيرة فقط في الحدود .
- أن بعض المناطق الحرجة ينبغي تجريدها من السلاح .
- أن يكون للأردن دور مدني وديني داخل مدينة القدس الموحّدة .
- أن تتم تسوية مشكلة اللاجئين .

كذلك بحثت قضايا تقديم ضمان لإسرائيل وتأمين الأسلحة لها . ثم بحث مجلس الأمن القومي استراتيجيتين دبلوماسيتين محتملتين ، هما : الأولى ـ تستطيع الولايات المتحدة أن تنفرد بالتقدم بخطة سلام ، وقد رفض هذا الموضوع . والثانية ـ تستطيع الولايات المتحدة أن تتبع نهج الخطوة خطوة وبمقتضاه يمكن إدخال عناصر معينة للتسوية في المفاوضات تدريجيا . وقد اعترف بأن الانسحاب وطبيعة اتفاقية السلام سيكونان قضيتين شديدتي الحرج . فلا بدَ من إيلاء أولوية لتهيئة قاعدة مشتركة في المحادثات الأمريكية السوفيتية ، رغبة في إصدار وثيقة مشتركة يمكن بعد ذلك إقرارها من جانب الدول الأربع وإعطاؤها إلى يارنج لتقديمها إلى الأطراف المحلية .(٢٠)

وفي ٤ فبراير اجتمع نيكسون مرة أخرى بمجلس الأمن القومي لدراسة موضوع الشرق الأوسط . وفي هذه المرة طلب إعداد دراسة تتضمن وصفاً للتسوية السلمية وتقييماً لمدى تقبلها من جانب الأطراف ، ودراسة لدور الضمانات الخارجية . كما سأل عن ماهية الروابط التي ستكون بين محادثات الدولتين ومحادثات الدول الأربع . وأخيراً سأل ما الذي يتعيّن على الولايات المتحدة أن تخطط لعمله إذا استحالت التسوية العامة . وفي اليوم التالي أعلن نيكسون أن الولايات المتحدة تعدّ مبادرة جديدة بشأن الشرق الأوسط على أساس متعدد الأطراف للحيلولة دون وقوع « حرب كبرى » . والتزمت سياسة الولايات المتحدة في بقية السنة التزاماً دقيقاً بالمبادىء التوجيهية التي وضعت في فبراير ، وكانت نتيجتها النهائية خطة روجرز .

طرح خطة روجرز

لم تلبث أن كانت هناك عدة جولات متزامنة من المفاوضات التى تجرى . وتواترت الاجتماعات الأمريكية الإسرائيلية مع سعى الادارة فى تبديد مخاوف الحكومة الإسرائيلية بعد ما تولتها رئيسة الوزراء جولدا مائير .(٢١) وبمجرد بدء المحادثات الأمريكية السوفيتية بروح صادقة ، أحيطت إسرائيل علماً فى بادىء الأمر بالتقدم المحرز فى المحادثات ، وإن كان نمط المشاورات عراه ضعف بحلول الخريف . وفى خاتمة المطاف صارت محادثات الدول الأربع تجرى فى نفس الوقت مع المحادثات الأمريكية السوفيتية .

ولم تلبث المحادثات الأمريكية السوفيتية التى تولاّها أساسا سيسكو والسفير السوفيتى أناتولى دوبرينين أن احتلّت مركز الصدارة . وقد اجتمعا بين ١٨ مارس و ٢٢ ابريل تسع مرات . وكان هدف أمريكا من هذه الجولة هو أن تتبين : هل هناك اتفاق على المبادىء العامة يكفى لتبرير محاولة التوصل إلى اقتراح مشترك ؟ وخلال هذه المرحلة حدّدت الولايات المتحدة موقفها الأساسى من التسوية فى وثيقة قدمتها إلى المشاركين فى محادثات الدول الأربع فى ٢٤ مارس . وكانت النقاط الرئيسية فى الوثيقة هى :

- الحدود النهائية يتم الاتفاق عليها بين الأطراف . ومن الممكن إجراء تعديلات يسيرة فى خطوط عام ١٩٦٧ .
- لن تكون هناك تسوية مفروضة فرضا .
- تعمل الدول الأربع مع يارنج ومن خلاله عن قرب .
- يتخذ الاتفاق النهائى شكل عقد يوقع عليه جميع الأطراف .
- يتم التوصل إلى السلام باعتباره جزءاً من تسوية شاملة .(٢٢)

وكان للبند الأخير ، الخاص بالحاجة إلى تسوية شاملة ، أهمية جوهرية ، إذ أن معناه ألاّ يتم أى انسحاب إسرائيلى إلى أن يتم التوصل إلى جميع عناصر الاتفاق على السلام على جميع الجبهات ، وهو ما يتعارض تعارضا صارخا مع إصرار السوفيت والعرب على أن تنسحب إسرائيل أولاً ، وبعد ذلك يمكن بحث موضوع إنهاء حالة الحرب وغير ذلك من القضايا .

وخلال شهرى مارس وابريل بدأ الموقف فى الشرق الأوسط يتدهور تدهورا كبيرا . فقد اندلع القتال بطول قناة السويس ؛ واشتدت حدة هجمات الفدائيين ، وأيضا الانتقام من جانب الإسرائيليين ؛ وفى أوائل ابريل أعلن عبد الناصر إلغاء وقف إطلاق النار ، وأقدم على ما بات يعرف بحرب الاستنزاف .(٢٣) وفى لبنان أعلنت حالة الطوارىء فى شهر إبريل على إثر مصادمات مع الفدائيين ، ولأشهر بقى لبنان بغير حكومة تقريباً .

وإزاء هذه الخلفية ، تسارعت خطى الدبلوماسية . وعقدت الدول الأربع ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا العظمى وفرنسا ـ أول اجتماع لها فى ٣ ابريل . وتواصلت هذه المحادثات على فترات منتظمة إلى شهر يونيو . وفى الوقت عينه شرعت الولايات المتحدة فى إجراء محادثات مباشرة مع طرفين من الأطراف العربية هما الأردن ومصر .

ففى ٨ أبريل اجتمع الملك حسين مع نيكسون وروجرز ، وكانت الإدارة متعاطفة مع الأردن ، ولكنها كانت تعرف أن الملك لا يستطيع أن يتحرك صوب تسويةٍ بدون عبد الناصر . فإن أريد مساعدة الأردن ، فلا بد أيضاً من مساعدة مصر . وقد جاء حسين ومعه تنازل من عبد الناصر من شأنه أن يمهد الطريق أمام العلاقات الأمريكية المصرية ، فقد أعلن الملك على الملأ أنه مُفوض بأن يقول إنه ستكون هناك حرية للملاحة فى قناة السويس أمام جميع الدول باعتبار ذلك جزءًا من التسوية .(٢٤)

وبعد ذلك بأيام اجتمع نيكسون بواحد من كبار مساعدى عبد الناصر ، وهو محمود فوزى الذى أكدّ هذه النقطة ، وأضاف فى جلسة خاصة أن مصر لن تستشعر أنها مغلولة اليدين بسبب معارضة سوريا للتسوية السياسية . وفى إيجاز ، لقد أعربت مصر والأردن عن استعدادهما لإجراء تسوية حتى إذا لم تكن سوريا على استعداد لذلك . إلاّ أن كيسنجر لم يقتنع بما قاله فوزى من أن مصر مستعدة لمزيد من المرونة الحقيقية .(٢٥)

ورغبة من نيكسون فى تقييم نتائج هذه المرحلة الأولى من محادثات الشرق الأوسط ، عقد اجتماعاً لمجلس الأمن القومى فى ٢٥ ابريل . وكان الموضوع الرئيسى الذى أُريد بحثه هو هل يتعين على الولايات المتحدة أن تتقدّم بمقترحات للتسوية تكون أكثر تحديداً . واتخذ روجرز وزير الخارجية الموقف القائل بأن المحادثات لم تصل بعد إلى « الحافة الفاصلة » ، وأشار إلى أن عبد الناصر « لغز » ، وإلى أن الإسرائيليين يُبدون ميلاً متزايداً إلى تعريف الأمن من حيث ارتباطه بالأرض . وتقرر أن يستأنف سيسكو محادثاته مع دوبرينين ، وأن يتقدم بمقترحات أكثر تحديداً متى كان ذلك ملائماً .(٢٦)

وبين ٦ مايو و ١٢ مايو نقل سيسكو إلى السفير دوبرينين النقاط الأساسية فى الاقتراح الأمريكى المتعلق بتسوية مصرية إسرائيلية ، وكان الموقف السوفيتى قد تطور بعض الشىء ، وكان أهم تغيير حدث فيه هو قبول فكرة التسوية الشاملة .(٢٧) وكان من وجهة النظر الأمريكية أن الوقت قد حان لكى يضغط الاتحاد السوفيتى على المصريين كى يقبلوا هذه النقاط . وفى مقابل ذلك ، فإن الولايات المتحدة على استعداد لاستخدام نفوذها لدى إسرائيل للظفر بتأييدها للمبادىء الأساسية المتفق عليها من جانب الدولتين العظميين .

وقد جرت مناقشات حاسمة داخل الإدارة الأمريكية حول دور الاتحاد السوفيتى . ورأى البعض فى وزارة الخارجية أن الاتحاد السوفيتى - لاعتبارات تتعلق بالاستراتيجية العالمية - سيكون مستعدًا للتعاون مع الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط حتى ولو سبب ذلك لموسكو شيئا من التوتر فى علاقاتها مع عبد الناصر . وواقع الأمر أن الأمل كان معقوداً بصفة شخصية على احتمال إضعاف السوفيت لموقفهم فى مصر بمحاولتهم حمل عبد الناصر على قبول المقترحات الأمريكية السوفيتية . أما كيسنجر فكان يشك فى استعداد السوفيت للتضحية بالمصالح الاقليمية فى سبيل تحسين العلاقات الأمريكية السوفيتية . وكانت حجته أن الاتحاد السوفيتى قد بذل جهداً كبيراً فى سبيل إقامة مركز نفوذ فى الشرق الأوسط ؛ وفى سبيل الإبقاء على هذا المركز ، اعتمد أساساً على توريد الأسلحة لعملاء رئيسيين ؛ فإذا ما أُقِرَّ السلام فلن تعود هناك حاجة إلى هذه الأسلحة

بكميات كبيرة . ومن هنا كانت لدى السوفيت مصلحة فى الحيلولة دون عقد اتفاق سلام حقيقى ، مفضلين عوضاً عنه حالة من « التوتر الخاضع للسيطرة » . ومن هذا المنظور كانت للمحادثات الأمريكية السوفيتية غاية واحدة ، كما تراءت لموسكو والقاهرة ، ألا وهى : حمل الولايات المتحدة على الضغط على إسرائيل لكى تنسحب من الأراضى العربية فى مقابل الحد الأدنى للتنازلات العربية فحسب . وقد بدا أن نيكسون يتشكك فى السوفيت ، وإنْ كان أحسّ بضرورة اختبارهم .

ومن الامارات المبكرة على نوايا السوفيت ، تلك الرحلة التى قام بها وزير الخارجية السوفيتى جروميكو إلى القاهرة من ١٠ إلى ١٣ يونيو . فبعد محادثات ذات مستوى رفيع جرت فى موسكو وضمت السفير دوبرينين ، تقدم السوفيت رسميا فى ١٧ يونيو باقتراح مضاد للموقف الأمريكى الذى عرضه عليهم سيسكو فى شهر مايو . صحيح أن الموقف السوفيتى ما انفكّ غير متفق تماما مع الاقتراح الأمريكى ، ولكن كان هناك اتفاق على الحاجة إلى اتفاقية سلام دائم وعلى التسوية الشاملة . يضاف إلى هذا أن السوفيت قالوا بأنهم أقنعوا عبد الناصر بالموافقة على محادثات مباشرة غير رسمية مع الإسرائيليين على غرار مفاوضات الهدنة فى رودس فى عام ١٩٤٩ .

وكان الاقتراح السوفيتى باعثاً على التشجيع بالقدر الذى يكفى للإقدام على مزيد من المحادثات . وبين ١٤ و ١٧ يوليو اجتمع سيسكو فى موسكو بالقادة السوفيت ، وقدّم إليهم فى ١٥ يوليو وثيقة تجسّد الاقتراحات الأمريكية السابقة بعد تعديلها لتتفق مع النقاط السوفيتية المؤرخة فى ١٧ يونيو .(٢٨)

وبانتهاء محادثات سيسكو فى موسكو ، صار موقفا الدولتين العظميين محددين تحديدا واضحا . وقد دفع كلاهما بعجزه عن اتخاذ خطوات أبعد فى غياب تنازلات من الطرف الآخر . وعلى وجه التحديد ، حثّ الاتحاد السوفيتى الولايات المتحدة على أن تكون أكثر صراحة حول خط الحدود النهائى بين مصر وإسرائيل . وكان سيسكو قد قال فى موسكو إن فى الإمكان اتخاذ موقف أمريكى أكثر وضوحا بالنسبة للحدود النهائية لو أن السوفيت استطاعوا أن يكونوا أكثر تحديدا بشأن التزامات مصر بالسلام وبالمفاوضات المباشرة . وأصرّت الولايات المتحدة بصورة خاصة على ضرورة إنهاء حالة الحرب بالتوقيع على اتفاقية وليس بإتمام الانسحاب الإسرائيلى ، كما أنها اتخذت موقفاً عنيداً هو أن السلام لا يستقيم مع استمرار نشاط الفدائيين .

ظل موقف الدولتين العظميين فيما بقى من أشهر الصيف مجمدا بصورة أساسية ،(٢٩) أما الموقف فى الشرق الأوسط فلم يكن هذا حاله . فقد حمى وطيس القتال بطول القناة ؛ وتقدمت إسرائيل إلى الولايات المتحدة بصورة غير رسمية فى يوليو طالبة طائرات إضافية عددها ١٠٠ من طراز سكاى هوك « أ – ٤ » ، و ٢٥ من طراز فانتوم « اف – ٤ » ، لتعويضها عن طائرات الميراج التى كانت فرنسا تأبى بيعها .(٣٠) ثم حدث فى أول سبتمبر أن أطيح بحكومة الملك إدريس ملك ليبيا ، وهى من أكثر الحكومات العربية محافظة وممالأة للغرب ، وذلك فى انقلاب قاده ضباط ناصريون شُبان فى الجيش . وأكد هذا ، مقترنا بالانقلاب الراديكالى الذى حدث فى السودان فى شهر مايو السابق ، مخاوف الذين كانوا يرون أن فى العالم العربى ميلاً إلى التطرف والعنف فى غياب أى تقدم صوب اتفاقية سلام .

وفى أوائل سبتمبر وصلت إلى إسرائيل أول نفاثات من طراز فانتوم « اف – ٤ » (وكان الرئيس جونسون قد وافق على تقديمها فى أواخر عام ١٩٦٨) . ولم تلبث هذه الطائرات أن أضحت رمزاً قويّا عند العرب على التأييد الأمريكى لإسرائيل ، ومن ثمّ بدأت حملة شعواء فى العالم العربى للحيلولة دون مزيد من أمثال هذه الاتفاقيات .

وفى ١١ سبتمبر عقد اجتماع آخر حول الشرق الأوسط لمجلس الأمن القومى . وحاجّ روجرز فيه بأن الوقت قد حان لكى تتحرك الولايات المتحدة إلى موقفها الذى يُركن إليه بشأن الانسحاب الإسرائيلى إلى الحدود الدولية الإسرائيلية المصرية . ويؤخذ مما قاله كيسنجر : « كانت حجة الداعين إلى مزيد من التنازلات هى أن الوقت يعمل فى غير صالحنا ؛ وأنه كلما طال أمد المأزق ، ازداد موقفنا فى العالم العربى تدهوراً . فأكدت بأن العكس هو الصحيح . فاستمرار المأزق هو فى صالحنا ؛ إذ هو يقنع مصر بمواجهة الحقيقة المتمثلة فى أن الوصاية السوفيتية والسياسة الخارجية الراديكالية هما عقبتان فى سبيل التقدم ، وأن الولايات المتحدة هى وحدها القادرة على تحقيق تسوية ؛ إنه يوضح العجز السوفيتى ، ولعله مع الوقت يفرض إعادة هيكلة رئيسية للسياسات الخارجية العربية ، وبصورة خاصة المصرية » . أما نيكسون الذى كان قد حُذِّر فعلا من « الجعجعة المحلية » التى تنتظره فيما لو أيد روجرز فى موضوع حدود عام ١٩٦٧ ، فقد انحاز إلى كيسنجر . وبالتالى لم يُفَوِّض روجرز بأن يميط اللثام عن موقفه الذى يُركن إليه فى أثناء محادثاته المقبلة مع جروميكو .(٣١)

وبين ٢٢ و ٣٠ سبتمبر اجتمع روجرز وسيسكو مع جروميكو ودوبرينين فى نيويورك فى الأمم المتحدة . وكان الرئيس نيكسون فى خطابه فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٨ سبتمبر قد أكد الحاجة إلى « التزامات ملزمة لا رجوع عنها » باعتبار ذلك جزءاً من اتفاقية سلام فى الشرق الأوسط . والسؤال الآن هو هل يستطيع السوفيت ، أو هل يرغبون فى انتزاع مثل هذه الالتزامات من مصر ؟.

وفى هذه الأثناء اجتمع نيكسون برئيسة الوزراء جولدا مائير فى ٢٥ سبتمبر ، وكانت مائير تعامل نيكسون وكأنه كان صديقا صدوقا للشعب اليهودى ، وفى مقابل ذلك أبدى هو تعاطفاً كبيرا مع ما يشغل بال إسرائيل . وطلبت مائير أسلحة إضافية ، و ٢٥ طائرة أخرى من طراز فانتوم « اف ـ ٤ » و ١٠٠ من طراز سكاى هوك « أ ـ ٤ » ، ومعونة سنوية قدرها ٢٠٠ مليون دولار للمساعدة على دفع قيمة هذه المشتريات . وكان جواب نيكسون غامضاً بعض الشىء ، إذ قال إنه سيقايض « المكونات المادية بمكونات غير مادية » ، وهو ما يعنى – على مايبدو – أن توريد الأسلحة سيكون رهناً بتنازلات سياسية .(٣٢)

وخلال زيارة مائير وافق نيكسون كذلك على إنشاء قناة مباشرة للاتصال بين الزعيمين ، تتخطى وزارة الخارجية . وكان نيكسون يهوى استخدام أمثال هذه القنوات الخلفية ، ولم يلبث أن أصبح هنرى كيسنجر والسفير الإسرائيلى اسحق رابين على اتصال بخط تليفونى خاص . وقد توسل رابين بهذا الأسلوب المحسّن للوصول إلى البيت الأبيض ليسوق حججا قوية بأن من الضرورى أن تكثف إسرائيل عمليات قصف عمق مصر بالقنابل . وحتى لو عمدت وزارة الخارجية إلى الالحاح فى

ضبط النفس ، ففى وسع رابين أن يقول إن مصادره كانت تحرّض إسرائيل على ذلك .(٣٣)

واستمرت وزارة الخارجية ، غير متأثرة - على مايبدو - بزيارة مائير ، فى الإلحاح على خطتها التي تدعو إلي التوصل إلى موقف مشترك بشأن المبادىء مع الاتحاد السوفيتى.وذكر جروميكو بأنه حقق شيئاً من التقدم فى محادثاته مع المصريين ، فهم - على ما يبدو - يوافقون على محادثات على غرار محادثات رودس . ولكن حدث بعد ذلك فى ١٠ أكتوبر أن نفت مصر موافقتها على أى شيء من هذا القبيل . وفى هذه الأثناء ، كانت الحملات على سياسة الولايات المتحدة تتصاعد فى الشرق الأوسط ، ولا سيما فى لبنان ، حيث كان قتال خطير يجرى سجالاً ، وبدا أن سوريا على شفا التدخل .

وفى مثل هذا الوضع المربك ، طلب روجرز تفويضا بأن يطرح موقفه الذى يركن إليه فى محادثاته مع السوفيت ، فوافق نيكسون . وفى ٢٨ أكتوبر سلّم سيسكو إلى دوبرينين الفقرة الأخيرة من وثيقة مشتركة مقترحة تتضمن الموقف الأمريكى الذى يُركن إليه فى شأن الانسحاب الإسرائيلى (انظر الملحق «ب١») . ولكن يؤخذ ممّا قاله كيسنجر أن الرئيس سعى بأسلوب متميّز « إلى التحوط للخسارة فى هذا الرهان بأن طلب من جون ميتشل وليونارد جارمنت - وهو مستشار للرئيس ومرجعه للشؤون اليهودية - بأن يدعا زعماء الطائفة اليهودية يعرفون بأنه يتشكك فى دبلوماسية وزارة الخارجية . وقد أوضح لهم نيكسون ضمناً وبصورة قوية بأنه سيحرص على ألاّ تسفر نفس المبادرات التى يفوّض بطرحها عن أى شيء » .(٣٤)

خطة روجرز واستقبالها

تألفت خطة روجرز - وهو الاسم الذى باتت تعرف به - من ديباجة موجزة تدعو إلى عقد « اتفاق نهائى ملزم بصورة متبادلة » بين مصر وإسرائيل ، يجرى التفاوض بشأنه تحت رعاية سفير الأمم المتحدة يارنج على غرار الإجراءات التى اتبعت فى رودس فى عام ١٩٤٩ ، ويستند هذا الاتفاق إلى النقاط العشر التالية :

١ - كجزء من تسوية شاملة تقوم مصر وإسرائيل « بتحديد الجدول الزمنى والإجراءات المتعلقة بانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضى جمهورية مصر العربية التى احتلت أثناء النزاع فى عام ١٩٦٧ » .

٢ - تنتهى حالة الحرب بين مصر وإسرائيل ، وتقام حالة رسمية للسلام . ويتعهد الطرفان بالحيلولة دون جميع أشكال الأعمال العدوانية من جانب أراضيهما ضد شعب الطرف الآخر وقواته المسلحة .

٣ - يوافق الجانبان على موقع الحدود المضمونة والمعترف بها بينهما . وينطوى الاتفاق على انشاء مناطق مجردة من السلاح ، واتخاذ التدابير الفعالة فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران والترتيبات الخاصة بالأمن والتصرّف النهائى فى غزة . وفى هذا الإطار ، « فإن الحدود الدولية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين الخاضعة

للانتداب ستصبح الحدود المضمونة والمعترف بها بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة » .

٤ – يقوم الجانبان بإعداد اتفاقية بشأن المناطق التى تجرّد من السلاح والتدابير الخاصة بضمان حرية الملاحة عبر مضيق تيران ، وتدابير الأمن الفعالة للتصرف النهائى فى غزة .

٥ – يوافق الجانبان على أن مضيق تيران ممر مائى دولى ، وعلى أن مبدأ حرية الملاحة يسرى على جميع الدول بما فيها إسرائيل .

٦ – فى ممارسة مصر لحق السيادة على قناة السويس ، فإنها تؤكد حق السفن التابعة لجميع الأمم ، بما فيها إسرائيل ، فى المرور بحرية عبر القناة دون تمييز أو تدخل .

٧ – يوافق الجانبان على الالتزام بالشروط المتعلقة بالتسوية العادلة لمشكلة اللاجئين طبقاً لما يتم التوصل إليه فى اتفاق نهائى بين الأردن وإسرائيل .

٨ – تتفق مصر وإسرائيل بصورة متبادلة على أن تحترما وتعترفا بالسيادة ووحدة الأراضى وحق العيش داخل حدود مضمونة ومعترف بها لكل من الطرفين .

٩ – يتم تسجيل الاتفاق النهائى فى وثيقة يوقع عليها الجانبان وتودع لدى الأمم المتحدة.وينص الاتفاق النهائى على « أن الإخلال المادى بالاتفاق من جانب واحد من الطرفين يخول للطرف الآخر أن يتذرع بالاخلال باعتباره سبباً للتوقف عن التنفيذ بالنسبة للكل أو الجزء » .

١٠ – يوافق الجانبان على أن يقدما الاتفاق النهائى إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للتصديق عليه .

وفى ١٠ نوفمبر تقدمت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بنص الخطة إلى مصر . وبعد ذلك بأيام بعث وزير الخارجية المصرى برد غير ملزم إلى روجرز أشار فيه إلى بعض العناصر الايجابية فى الاقتراح ، ولكنه امتنع عن أى التزام نهائى إلى أن يتم التقدم « بصيغة متكاملة » للتسوية الشاملة . وصفوة القول إن مصر لم تكن مستعدة للنظر فى صفقة ثنائية مع إسرائيل حتى ولو كان معنى ذلك استرداد جميع أراضيها .(٣٥) وبعد حوالى شهر دون أن يرد أى رد آخر من مصر ودون أى ردّ فعل رسمى من جانب الاتحاد السوفيتى ، قام الوزير روجرز فى ٩ ديسمبر بإيراد العناصر الأساسية فى الخطة فى خطبة علنية .(٣٦) وفى اليوم التالى رفضت إسرائيل اقتراحات روجرز ؛ واجتمع مجلس الأمن القومى لتناول الشرق الأوسط ، وفى الخلفية تحذيرات نُقلت فى اليوم السابق إلى نيكسون بشأن اتجاه الموقف فى المنطقة إلى مزيد من التدهور ، وذلك من جانب مجموعة من رجال الأعمال والرسميين السابقين البارزين ، وهم ديفيد روكفلر وجون ماكلوى وروبرت أندرسون .

وفى ١٨ ديسمبر قدمت الولايات المتحدة إلى الدول الأربع خطة موازية لإجراء تسوية أردنية إسرائيلية .(٣٧) وكان المأمول أن يقوى ذلك من موقف الملك حسين فى اجتماع للقمة العربية كان من المقرر افتتاحه فى الرباط فى اليوم التالى . وتضمنت الخطة كثيرا من النقاط نفسها التى وردت

في وثيقة ٢٨ أكتوبر مع إضافة أو تعديل بعض النقاط لتناسب الظروف الخاصة على الجبهة الأردنية .(٣٨) ومن ذلك مثلاً أن الحدود النهائية ستكون « مقاربة » لخط ترسيم الهدنة الذى كان ماثلاً قبل حرب ١٩٦٧ ، وإن كان ذلك يسمح بتعديلات استنادا إلى « الملاءمة الإدارية أو الاقتصادية » . يضاف إلى هذا أن النقطة الرابعة من وثيقة ١٨ ديسمبر أكدت أن إسرائيل والأردن سيقومان بتسوية مشكلة القدس ، مع الاعتراف بأن المدينة ستكون موحدة وأن البلدين سيشاركان فى المسؤوليات المدنية والاقتصادية لإدارة المدينة . ونصت النقطة الثامنة على المبادىء التى يسترشد بها فى تسوية مشكلة اللاجئين بما يسمح بالعودة أو إعادة التوطين مع تعويض . ويتم الاتفاق بين الطرفين على حصة سنوية للاجئين الذين تتم إعادتهم .(٣٩) وقيل إن الملك حسين كان سعيداً بالاقتراح الأمريكى .

وفى ٢٢ ديسمبر أصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى بياناً جاء فيه « أن إسرائيل لن يُضحَّى بها من جانب أى سياسة لقوة ما أو لما بين القوى ، وأنها سترفض أى محاولة لفرض حلٍ إلزامى عليها ... أما الاقتراح المقدم من الولايات المتحدة الأمريكية فلا يمكن تفسيره من جانب الحكام العرب إلاّ باعتباره محاولة لاسترضائهم على حساب إسرائيل » .(٤٠) وفى الوقت الذى كان فيه روجرز يستنكر استخدام إسرائيل لعبارة « استرضاء » ، قام السوفيت فى اليوم التالى بتسليم مذكرة رسمية رفضوا فيها اقتراحات روجرز بكاملها تقريباً .(٤١)

إن الرفض الاسرائيلى والسوفيتى لخطة روجرز وامتناع مصر عن قبولها وضعا نهاية مفاجئة لأول مبادرة عن الشرق الأوسط صدرت من إدارة نيكسون . وبموت هذه المبادرة تلاشى الأمل فى أن تساعد دبلوماسية « الربط » على توفير المفتاح للسلام فى هذه المنطقة . وقد أُجريت - وليس ذلك للمرة الأولى - عملية إعادة تقييم أساسية للسياسة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . ومع أن اقتراحات روجرز ظلت أوضح بيان عن التسوية السلمية التى يفضلها الأمريكيون ، فقد توقف اعتبارها أساسا عمليا للسياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . على أن مما يبعث على السخرية نوعاً ما أن اتفاقية السلام التى عقدت فيما بعد بين مصر وإسرائيل فى مارس ١٩٧٩ كانت على شبه مدهش بالمبادىء الواردة فى خطة روجرز .

إعادة التقييم

عندما تقصر السياسات الخارجية عن تحقيق التوقعات أو تفشل التنبؤات ، فقد تتم على وجه السرعة مراجعة الصور التى سبق التمسك بها والتى دعمت هذه السياسات ، ويحتمل أن تبرز على وجه السرعة « تعريفات جديدة للموقف » تتراءى فيها « الدروس التى تم تعلمها » من المرحلة السابقة لرسم السياسة ، كما يتراءى فيها التقييم الذى أجرى للوضع الجديد الذى تتعين معالجته .

وواضح أن مبادرة روجرز لعام ١٩٦٩ قد أخفقت ولو فى الوقت الراهن . ولم يكن هناك ببساطة من يقبل التحدى عدا الأردن . أما رد الفعل الإسرائيلى بصورة خاصة فكان مفرطا فى العداء . فما هو وجه الخطأ ؟ لقد اتفق معظم راسمى السياسة ، وهم يسترجعون الماضى ، على أن افتراض قدرة الولايات المتحدة على التفرقة بين الاتحاد السوفيتى ومصر أثناء عملية المفاوضات كان

افتراضا ساذجا . وكان المبرر للمحادثات بين القوتين هو أن من الأسهل التوصل إلى اتفاق على المبادىء بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عنه بين إسرائيل ومصر ، وأن القوتين تستطيعان معا استخدام نفوذهما استخداما بناء لتحقيق الاعتدال فى مواقف « زبائنهما » . وهذا المفهوم يتفق تماما مع تأكيد نيكسون على « الربط » و « الانفراج » و « المفاوضات » .

وحتى لو أمكن اقناع السوفيت بالتوقيع على خطة روجرز ، فلم يكن واضحا مطلقا أنه يمكن زحزحة إسرائيل . وكان كيسنجر يعارض الخطة معارضة نشيطة ، ويبدو أنه كان يبعث باشارات إلى رابين بأن واشنطن ترحب بحملة عسكرية إسرائيلية أشد شراسة ضد عبد الناصر . وما لم يكن نيكسون مستعدا لتأييد روجرز تأييدا كاملا - وواضح أنه لم يكن مستعدا - فلا يتصور من الإسرائيليين أن يمتثلوا . فالشقاق ببن روجرز وكيسنجر ، وتناقض نيكسون مع نفسه كان معناهما أن خطة روجرز لم تتهيأ لها مطلقا فرصة للنجاح .

وكان للسياسة المحلية فى الولايات المتحدة دور فى هذا الشأن . فقد كان كيسنجر ونيكسون يحترمان ما تلقاه إسرائيل من تأييد قوى فى الكونجرس ولدى الرأى العام بصورة عامة . كما أن كيسنجر تبين أن من سوء التوجيه وربما من الخطورة أن تحاول الولايات المتحدة تحسين علاقاتها مع خصمين - الاتحاد السوفيتى ومصر - بالضغط على صديقها الخاص وهو إسرائيل . ولئن أمكن القيام بمثل هذه الأمور فى سبيل التوصل إلى اتفاقية سلام حقيقى ، فلا يصح أن يكون ذلك جزءا من الأساليب التفاوضية النمطية الأمريكية . وعوضا عن ذلك ، ينبغى للسوفيت والعرب أن يدركا بأن نفوذ الولايات المتحدة لدى اسرائيل رهن بضبط النفس والاعتدال من جانبهما .

كانت الدروس المستمدة من فشل خطة روجرز لعام ١٩٦٩ واضحة وضوحا شديدا فى أوائل عام ١٩٧٠ . أولا - فما دام من المستحيل الفصل بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، فعلى واشنطن من الآن فصاعدا أن تتعامل مباشرة مع عبد الناصر متى دعت الضرورة إلى ذلك ، عوضا عن التعامل معه من خلال موسكو . ثانيا - ما دامت التنازلات الأمريكية لم تصادف تنازلات مقابلة لها ، فلابد أن تجيء الخطوة التالية من السوفيت أو المصريين ، إذ أن الولايات المتحدة لن تنفرد بتقديم أية تنازلات أخرى . وفى وسع الولايات المتحدة وإسرائيل أن تصمدا إلى أن يستكمل « الجانب الآخر » عملية إعادة التقييم الخاصة به ، وأن ينتهى من ذلك إلى أن المطلوب هو استئناف مفاوضات جادة . ثالثا - أن أى مبادرة أمريكية مقبلة ستكون أقل تقيدا بالحرفية القانونية فى نغمتها ، وأقل علنية ، وربما أقل طموحا . أما نهج التسوية الشاملة ، فهو وإن كان مغريا من الناحية النظرية ، إلا أنه ببساطة شديد التعقيد . وإن الفشل فى قضية بعينها سيحول دون إحراز تقدم فى أى مجال آخر . ومن الآن فصاعدا لن ينظر إلا فى مبادرات أكثر تواضعا .

وقد حدث تطوران هددا هذا التوافق الجديد فى الآراء ، ربما بنفس السرعة التى برز بها . أولهما - أن القتال فى الشرق الأوسط تصاعد بحدة خلال ربيع عام ١٩٧٠ ، ولاسيما بعد إدخال الصواريخ السوفيتية « سام ٣ » أرض - جو إلى مصر ، وإقدام إسرائيل على الاعتداء بالقنابل على العمق المصرى بجوار القاهرة ، وإيفاد عشرة آلاف مستشار سوفيتى أو أكثر إلى مصر ، وظهور الطيارين المقاتلين السوفيت وهم يقودون الغطاء الجوى فوق عمق الأراضى المصرية .(٤٢)

وثانيهما ـ أن الضغوط على إدارة نيكسون تصاعدت سريعا لكى تتخلى عن خطة روجرز وتوافق على طلب إسرائيل الحصول على ١٠٠ طائرة من طراز « أ ـ ٤ » و ٢٥ نفاثة من طراز « اف ـ ٤ » بصورة سريعة . أما وانتخابات الكونجرس تلوح فى الأفق ، فقد ارتفعت أصوات أعضاء مجلسى النواب والشيوخ بصورة خاصة تأييدا لإسرائيل .

وقد واجهت الإدارة حينذاك مشكلتين ملحتين فى النزاع العربى الإسرائيلى ، اتخذت إحداهما شكل مبادرة سياسية لإنهاء القتال والشروع فى محادثات بشأن التسوية . أما الثانية فتمثلت فى الاستجابة لطلبات السلاح الإسرائيلية ، ولاسيما مع تنامى التورط السوفيتى فى النزاع . على أن المسؤولين فى وزارة الخارجية أدركوا بصورة حادة أن هناك معضلة ماثلة . فإذا أرادت الولايات المتحدة أن تتخذ مبادرة سياسية ذات مصداقية هدفها عبد الناصر ، فعليها أن تظهر بمظهر عدم التحيز ، وهذا أمر عسير بدرجة خاصة فى وقت تقوم فيه نفاثات الفانتوم الأمريكية الصنع بإلقاء القنابل على مشارف القاهرة دون أن تلقى جزاء ، كما أن الإسرائيليين كانوا يعلنون فعلا أن هدفهم هو الاطاحة بنظام عبد الناصر . وفى الوقت عينه لم يكن فى وسع الولايات المتحدة أن تقف إلى أجل غير مسمى وتشاهد الأسلحة والأفراد السوفيت يتدفقون على مصر دون رد فعل . وهذه الحاجة إلى رد الفعل تتصل بالسياسة العالمية بمقدار اتصالها بالشرق الأوسط . وكان كيسنجر مصرا بصورة خاصة على هذه النقطة الأخيرة ، كما أن تأثيره على نيكسون كان آخذا فى الصعود . وإن هذه الطبيعة المنفصمة نوعا ما فى السياسة الأمريكية التى ظهرت فى الأشهر السبعة التالية إنما تعود بجذورها إلى هذه الثنائية البيروقراطية والفكرية .

استئناف الدبلوماسية وإرسال الأسلحة إلى إسرائيل

ظهرت البوادر الأولى للنغمة الجديدة للسياسة الأمريكية بإزاء الشرق الأوسط فى شهر يناير ١٩٧٠ بعد إحباط محاولة روجرز . وحاول الرئيس نيكسون فى عدد من البيانات العامة أن يصلح العلاقة الأمريكية الإسرائيلية ، وأن يحذر الاتحاد السوفيتى من عواقب سياسته غير التعاونية فى المنطقة . ومن ذلك مثلا أن الرئيس بعث فى ٢٥ يناير برسالة إلى اجتماع طارىء لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية ، أكد فيه من جديد تأييده للمفاوضات العربية الإسرائيلية ، وقال إن الولايات المتحدة تراقب التوازن العسكرى عن كثب . ثم فى مؤتمر صحفى عقد فى ٣٠ يناير ، فاجأ نيكسون العاملين معه والإسرائيليين بقوله إنه سيعلن قراره بشأن طلبات الأسلحة الإسرائيلية المعلقة خلال ثلاثين يوما ، فقد أصبحت قضية إرسال الأسلحة إلى إسرائيل قضية حادة بصورة خاصة بعد القرار الفرنسى ببيع أكثر من ١٠٠ نفاثة ميراج إلى ليبيا ، وكان بعضها مخصصا أصلا لإسرائيل .

وبينما كان نيكسون يحاول إصلاح الجسور مع إسرائيل ، كان الرئيس عبد الناصر يسعى لتصعيد تدفق الأسلحة والمعونة من الاتحاد السوفيتى . وفى أوائل يناير ، نزل الإسرائيليون أخيرا على نصيحة سفيرهم فى واشنطن ، وشرعوا فى حملة كثيفة لضرب عمق أراضى مصر بالقنابل ، والقصد الواضح من هذا هو إكراه عبد الناصر على نقل بعض قواته من منطقة قناة السويس

الحساسة ، وإن كان الهدف أيضا هو فضح مدى ضعفه أمام شعبه .(٤٣) وكان رد الفعل هو أن عبد الناصر قرر القيام برحلة سرية إلى العاصمة السوفيتية . ويؤخذ من المصادر المصرية أن عبد الناصر لم يقتصر على طلب دفاع فعال بالصواريخ لمواجهة طائرات الفانتوم الإسرائيلية وحسب ، بل طلب أيضا أفرادا وطيارين سوفيت للتأكد من أن شبكة الصواريخ تدار إدارة فعالة في الوقت الذى يكون فيه المصريون عاكفين على التدريب على المعدات الجديدة .(٤٤) وكان رد السوفيت إيجابيا ، وبحلول شهر مارس كانت كميات كبيرة من الأسلحة وعدد كبير من المستشارين يصلون إلى مصر . وفى أواسط ابريل شوهدت طلائع الطيارين السوفيت وهم يطيرون فى طلعات قتالية ردا على الإغارات الإسرائيلية .

لم يكن تصعيد الدور السوفيتي فى الصراع مفاجأة تامة فى واشنطن . ففى خطاب شديد الصراحة تاريخه ٣١ يناير أرسل إلى الرئيس نيكسون ، قال رئيس الوزراء كوسيجين :

هناك خطر فى المستقبل المباشر فى أن تصبح الأعمال العسكرية واسعة النطاق ... إلا أننا نرى أن من واجبنا أن نوجه اهتمامكم ياسيادة الرئيس إلى العواقب الشديدة الخطورة التى قد تترتب على الطريق الذى اختاره الزعماء الإسرائيليون من وجهة نظر الموقف فى الشرق الأوسط ، وكذلك من وجهة نظر العلاقات الدولية فى مجموعها .. ويهمنا أن نخبركم بكل صراحة بأنه إذا ما استمرت إسرائيل فى مغامراتها وضربت بالقنابل أراضى ج.ع.م.وغيرها من الدول العربية ، فإن الاتحاد السوفيتى سيضطر إلى العمل على أن تكون تحت تصرف الدول العربية الوسائل التى تساعدها على الرد الملائم على ما قد يقدم عليه المعتدى الأحمق .(٤٥)

وقد نقل كيسنجر خطاب كوسيجين إلى نيكسون مع إشارة بأن هذا هو أول تهديد سوفيتى لإدارة نيكسون . وأوصى كيسنجر بأن يكون الرد شديد اللهجة ، وهو الرد الذى كان منتظرا فى ٤ فبراير .(٤٦) وقد رفض نيكسون محاولة السوفيت إلقاء اللوم على إسرائيل وحدها عن القتال ، ودعا إلى إعادة إقرار وقف القتال دون إبطاء مع تفاهم على الحد من شحنات الأسلحة المرسلة إلى المنطقة . وفى الختام أشار الرئيس بقوله :

إن من بواعث الأسف أن عدم استجابة السوفيت لهذه الاقتراحات (الخاصة بـ ٢٨ أكتوبر و ١٨ ديسمبر ١٩٦٩) يوقف هذه العملية (عملية المفاوضات) ؛ والمطلوب هو رد سوفيتى بنّاء بدرجة أكبر إذا ما أريد إحراز تقدم صوب التسوية .

ونلاحظ رغبتكم فى العمل معنا على تحقيق السلام فى هذه المنطقة . ولسنا نعتقد بأن السلام يمكن أن يتحقق إذا ما سعى أى من الطرفين إلى مزية ينفرد بها .(٤٧)

وقد وردت هذه النقطة الأخيرة بصورة أقوى حتى من ذلك فى رسالة « حالة العالم » التى صدرت عن الرئيس فى ١٨ فبراير :

لقد أبدت هذه الإدارة استعدادها للعمل مع الاتحاد السوفيتى فى سبيل السلام ، وأن تعمل إلى جانب الاتحاد السوفيتى بالتعاون مع الأمم فى المنطقة سعيا إلى السلام . غير أن الولايات المتحدة ستعتبر أى محاولة يبذلها الاتحاد السوفيتى للسعى للهيمنة فى الشرق الأوسط أمرا يورث القلق الخطير .. وأى مسعى من قوة خارجية لاستغلال الصراع المحلى لمصلحتها أو للسعى للحصول على وضع خاص لها ، إنما يتعارض مع هذا الهدف (حرية الأمم الأخرى فى تقرير مستقبلها الخاص) .

ولهذه الأسباب فإن الإدارة لم تقتصر على تكثيف الجهود لاستعادة احترام وقف إطلاق النار

والمساعدة على الشروع فى عملية التفاوض لتحقيق سلام حقيقى ، وإنما قامت أيضا بالحث على عقد اتفاق للحد من شحن الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، باعتبار ذلك خطوة تساعد على حفظ الاستقرار فى الوضع فى غياب التسوية . على أننى أؤكد من جديد - فى نفس الوقت - نيتنا المعلنة ، وهى أن نظل نراقب بدقة ميزان القوى المسلحة ، وأن نقدم الأسلحة إلى الدول الصديقة كلما دعت الحاجة إلى ذلك .(٤٨)

ونلاحظ هنا خيوط السياسة الأمريكية على مدى بضعة الأشهر المقبلة : تحذير للسوفيت ؛ ودعوة إلى إعادة إقرار وقف إطلاق النار وإلى الشروع فى مفاوضات ؛ وسياسة غامضة بشأن إرسال الأسلحة إلى إسرائيل ، وذلك برفض موقف الانفراد بضبط النفس ، مع وعد بمراقبة التطورات العسكرية عن كثب . وفى الوسع الاستماع الآن إلى نغمة كيسنجرية متميزة .

ومع مراعاة جميع الاعتبارات ، فالبادى أن نيكسون أخذ يميل إلى اتخاذ قرار مبكر وإيجابى بشأن طلبات الأسلحة المقدمة من إسرائيل . وكان سائر الجهاز البيروقراطى يعترض بصورة عامة على توريد مزيد من نفاثات الفانتوم ، وحجتهم فى ذلك أن التفوق العسكرى الاسرائيلى ما زال مقطوعا به ، وأن شحنات الأسلحة السوفيتية كانت ردا على الحملة الاسرائيلية الطائشة باستخدام طائرات الفانتوم للتوغل والضرب فى العمق .(٤٩)

حل أجل الثلاثين يوما الذى فرضه الرئيس على نفسه لاتخاذ قرار بشأن الطائرات « اف - ٤ » ، ولكنه مضى دون إعلان . وهناك عدة عوامل يبدو أنها هى التى أملت الاستمرار فى ضبط النفس . أولا - ولعلها أهم العوامل - أن نيكسون لم يكن سعيدا بالطريقة التى عاملت بها الطائفة اليهودية الأمريكية الرئيس الفرنسى جورج بومبيدو أثناء زيارته فى أواخر فبراير .(٥٠) ويؤخذ من مصادر كثيرة أن الرئيس اغتاظ من المظاهرات ، ومن الافتقار إلى المجاملة أثناء زيارة بومبيدو حتى أنه أمر بتوجيه رسائل روتينية إلى الجماعات الممالئة لإسرائيل بالكف عن ذلك . ثانيا - استؤنفت محادثات القوى الأربع فى أواخر فبراير ، وألمح السوفيت إلى اتخاذ وضع أكثر مرونة . وفى اجتماع سرى عقد مع روجرز فى ١١ مارس ، صرح السفير دوبرينين بأن الاتحاد السوفيتى أفلح فى الحصول على تنازلات سياسية من عبد الناصر فى مقابل شحنات الأسلحة الجديدة التى بدأ حالا وصولها إلى مصر .(٥١) ثالثا - أن الوضع فى الأردن لم يكن مستقرا ، وأى قرار أمريكى بشأن الأسلحة لإسرائيل قد يزيد الملك ضعفا .

وفى الوقت الذى كان فيه روجرز يجتمع بدوبرينين ، كان كيسنجر يجتمع برابين لاعطائه إشارة عن القرار المقبل ، وهو إرجاء طلب إسرائيل الخاص بالحصول على طائرات . وفى الوقت عينه أخبر رابين بأن الامدادات الجديدة من الطائرات ستجيء فى حينه ، ولكن عمليات التسليم ينبغى ألا تقترن بكثير من الجعجعة . واجتمع رابين بعد ذلك بنيكسون الذى أعاد ترديد هده النقاط ، وألقى فى روع رابين بأن على إسرائيل أن تفكر فى مهاجمة صواريخ « سام ٣ » التى تم نشرها حديثا .(٥٢)

وأخيرا أعلن وزير الخارجية روجرز فى ٢٣ مارس أن الرئيس قرر إرجاء طلب إسرائيل للحصول على ١٠٠ طائرة من طراز « أ - ٤ » و٢٥ طائرة من طراز « اف - ٤ » ريثما تجد

تطورات فى المنطقة . ومن قبيل التعزية فقد عرض ائتمانات اقتصادية قيمتها ١٠٠ مليون دولار .(٥٣)

مفاتحة لمصر

فى محاولة من جانب الإدارة للاستفادة من المصداقية المحدودة لدى العرب نتيجة للقرار الخاص بطائرات الفانتوم ، قررت إيفاد جوزيف سيسكو إلى القاهرة لإجراء محادثات مباشرة مع عبد الناصر . وكان السوفيت قد قالوا بأن عبد الناصر على استعداد لتقديم تنازلات ، والأمريكيون يحاولون تبين ذلك بأنفسهم . وخلال إقامة سيسكو فى القاهرة من ١٠ إلى ١٤ ابريل دعا عبد الناصر بصورة أساسية إلى محاولة التعامل مع الولايات المتحدة باعتبارها وسيطا أمينا .(٥٤) صحيح أن عبد الناصر لم يكن لديه إلا قلة من الأسباب التى تدعوه إلى أن يرجو الشىء الكثير من الولايات المتحدة ، ولكنه كان يعانى من خسائر فادحة فى مواصلة القتال مع إسرائيل ، وكان اعتماده على الاتحاد السوفيتى يتزايد ، ولعل اتخاذ موقف إيجابى من الأمريكيين يحول دون إرسال شحنات جديدة من طائرات الفانتوم إلى إسرائيل . وجاء رد عبد الناصر على سيسكو فى خطبة ألقاها فى أول مايو دعا فيها الولايات المتحدة إلى أن تقدم على مبادرة سياسية جديدة .(٥٥)

سجلت زيارة سيسكو وخطبة عبد الناصر نقطة التحول فى جانب من جوانب الدبلوماسية الأمريكية ، وحدت بوزارة الخارجية على أن تبذل فى الأشهر الثلاثة التالية جهدا مكثفا لاعادة إقرار وقف إطلاق النار . وهناك خيط مواز ـ ومرتبط جزئيا ـ من خيوط السياسة يتعلق بكل من الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل والتورط المتزايد للسوفيت فى مصر . وقد تولى البيت الأبيض الإشراف على هذا الموضوع ، وكان نيكسون قد أنكر أن إمدادات السلاح ستستخدم كنوع من الضغط على إسرائيل ، وهى أسطورة انتهت فى الأشهر التالية .

وكان النصف الأخير من شهر ابريل فترة هامة فى الشرق الأوسط ، وبالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية عموما . ففى المنطقة حالت المظاهرات فى الأردن دون زيارة سيسكو لعمان ، وطلب الملك حسين استبدال السفير الأمريكى هناك . وفى مصر لوحظ الطيارون السوفيت لأول مرة وهم يقودون الدوريات المقاتلة فى ١٨ ابريل . وبعد ذلك بأيام شرع الرئيس نيكسون يخطط لتحرك عسكرى جرىء فى كمبوديا دار حوله جدل شديد . وقد بدأت العملية فى ٣٠ ابريل ؛ فقد اندلع العنف فى حرم الجامعات ؛ واستقال عدد من أقرب معاونى كيسنجر من مناصبهم . وكان الجو فى واشنطن متوترا بصورة غير عادية . وفى خضم هذا كله ، ومع طول انشغال نيكسون بقضايا أخرى ، فقد أمر أخيرا بإجراء تحقيق واف فى الدور السوفيتى المتسع فى مصر . وكان من الواضح أن من العسير المحافظة على سياسة ضبط النفس والحوار لمدة أطول من ذلك . وفضلا عن العداوة التى كانت تقابل بها سياسة الرئيس فى جنوبى شرق آسيا ، فإنه لم يكن يظفر إلا بالقليل من التأييد لسياسته فى الشرق الأوسط .

وفى ٢١ مايو اجتمع الرئيس نيكسون بأبا إيبان وزير الخارجية الإسرائيلى ، وأكد له الرئيس أن تدفق المعدات العسكرية على إسرائيل سيستأنف فى هدوء ، لكنه حث على عدم الإعلان عن

ذلك ولم يعطه أى التزام محدد بشأن الطائرات « أ - ٤ » و« اف - ٤ »، ولكنه أوضح بجلاء أن النفاثات الباقية على التسليم بناء على اتفاقية ديسمبر ١٩٦٨ سيتم تسليمها بلا شروط .(٥٦) وطلب نيكسون فى مقابل ذلك بيانا إسرائيليا علنيا يوضح درجة المرونة بشأن شروط التسوية . وكان هذا البيان وشيكا عندما أعلنت رئيسة الوزراء مائير رسميا فى ٢٦ مايو أن إسرائيل مستمرة فى قبول قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ باعتباره أساسا للتسوية ، وأنها ستوافق على شيء شبيه بصيغة رودس بالنسبة للمحادثات .(٥٧)

وجاءت الخطوة التالية من جانب الاتحاد السوفيتى . ففى ٢ يونيو اجتمع دوبرينين بروجرز وسيسكو ، وادعى بأن الاتحاد السوفيتى ظفر من عبد الناصر بتنازلين هامين ، أولهما أن مصر توافق على السيطرة على أنشطة الفدائيين الذين ينطلقون من الأراضى المصرية إذا ما سرى وقف إطلاق النار ، وثانيهما أن مصر توافق على إنهاء حالة الحرب بالتوقيع على اتفاقية .

وتمثل رد الفعل الأمريكى فى تجاهل الدعوة السوفيتية إلى اتخاذ مبادرة مشتركة ، والمضى - عوضا عن ذلك - فى الدعوة الأمريكية المنفردة لوقف إطلاق النار وإجراء محادثات جديدة . واجتمع مجلس الأمن القومى فى ١٠ و ١٨ يونيو لبحث موضوع الشرق الأوسط .(٥٨) وفوض الرئيس ، بموجب مذكرة قرار الأمن القومى ٦٢ ، روجرز فى أن يطلب من الأطراف الموافقة على وقف إطلاق النار ، ولو لمدة ثلاثة أشهر ، وتجديد المحادثات بإشراف السفير يارنج . وقد تم هذا فى ١٩ يونيو .(٥٩) وفى ٢٥ يونيو أماط روجرز اللثام بصورة علنية عن المبادرة .

وكان رد الفعل المباشر من جانب إسرائيل هو رفض النداء . إلا أن السفير رابين رفض تسليم مذكرة الرفض الرسمى ، وخلال الأشهر التالية خصص البيت الأبيض كثيرا من الطاقة فى سبيل إقناع الإسرائيليين بقبول المبادرات الجديدة .(٦٠)

وقد تمثلت الخطوة الأولى فى الحملة فى إعادة طمأنة الإسرائيليين بأن شحنات الأسلحة مستمرة ، وهو ما تم بموجب خطاب بعث به نيكسون إلى جولدا مائير بتاريخ ٢٠ يونيو . وبعد ذلك ، نقل عن هنرى كيسنجر قوله فى ٢٦ يونيو « إننا نحاول التوصل إلى تسوية على نحو يقوى الأنظمة المعتدلة دون الأنظمة الراديكالية . ونحاول إقصاء الوجود السوفيتى العسكرى ، فلا نحفل كثيرا بالمستشارين ، وإنما بالطيارين المقاتلين والأفراد المقاتلين قبل أن يستقروا استقرارا مكينا » .(٦١)

وفى حديث أدلى به الرئيس نيكسون إلى التليفزيون فى أول يوليو ، تحدث باستفاضة عن الشرق الأوسط . وبعدما أشار الرئيس إلى مصر وسوريا باعتبارهما « الجارتين العدوانيتين » لإسرائيل ، استطرد قائلا :

> **أعتقد أن الشرق الأوسط على خطورة مروعة الآن ، وهو شبيه بالبلقان قبل الحرب العالمية الأولى - حيث يستطاع جر القوتين العظميين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى مواجهة لايبتغيها أى منهما بسبب الاختلافات هناك ... والآن ، ماذا ينبغى أن تكون عليه السياسة الأمريكية ؟ سأجمل ذلك فى عبارة :**

أولا ـ أن الذى يعنينا هو السلام ووحدة أراضى كل بلد فى المنطقة .
ثانيا ـ نقر بأن إسرائيل ليست راغبة فى إلقاء أى من البلدان الأخرى فى البحر ، أما البلدان الأخرى فتريد فعلا إلقاء إسرائيل فى البحر .
ثالثا ـ ثم ، إذا تحول ميزان القوى إلى الناحية التى تصبح فيها إسرائيل أضعف من جيرانها ، وقعت الحرب ... وسنعمل ما يلزم للمحافظة على قوة إسرائيل بإزاء جيرانها ، لا لأننا نريد لإسرائيل أن تصبح فى وضع يطوع لها شن حرب ـ فهذا لا نريده ـ ولكن لأن هذا هو ما يردع جيرانها عن مهاجمتها .

ثم نأتى إلى الدبلوماسية . إن الدبلوماسية عسيرة بدرجة مروعة ، لأنه يتعين على جيران إسرائيل طبعا أن يعترفوا لإسرائيل بحق الوجود . ولا بد لإسرائيل من أن تنسحب إلى حدود ، حدود يمكن الدفاع عنها . وعندما ندرس هذه العوامل جميعا ثم تدخل فى اعتبارنا أن للروس ـ على ما يبدو ـ مصلحة فى التحرك داخل البحر المتوسط ، يتضح لكم من ذلك السبب فى أن هذا الموضوع هو على هذه الدرجة من التعقيد والصعوبة .(٦٢)

وبعد ذلك بعدة أيام ، أمر الرئيس فى ٤ يوليو بشحن معدات إلكترونية للتدابير المضادة لاستخدامها ضد صواريخ سام فى منطقة القناة .(٦٣) صحيح أن الادارة كانت لم تزل ممتنعة عن الالتزامات الجديدة بشأن الطائرات ، ولكنها أصبحت الآن مستعدة لمساعدة إسرائيل على مهاجمة صواريخ سام بمعدات متطورة جديدة . وفى ١٠ يوليو أمر الرئيس بشحن الطائرات « أ ـ ٤ » و « اف ـ ٤ » الباقية من العقد القائم إلى إسرائيل ، وبوتيرة متسارعة .(٦٤)

وكان الرئيس عبد الناصر قد سافر إلى موسكو فى ٢٩ يونيو طلبا للاستشفاء فى المقام الأول . وأثناء وجوده هناك ، بحث الاقتراح الأمريكى مع القادة السوفيت ، وقيل إنه أبلغهم بنيته فى قبوله .(٦٥) ومن شأن هذا ـ كحد أدنى ـ أن يتيح له فرصة لالتقاط الأنفاس حتى يستكمل بناء « حائط الصواريخ » . وبناء على ذلك ، فإن عبد الناصر قبل مبادرة روجرز المؤرخة فى ١٩ يونيو بغير شرط ، وذلك بعيد عودته من موسكو فى ٢٢ يوليو .(٦٦) وفى ٢٦ يوليو قبلها الأردن بدوره .(٦٧)

وكان على الولايات المتحدة الآن أن تحصل على رد فعل إسرائيلى إيجابى ، وإلا خاطرت بانهيار دبلوماسيتها الخاصة بالشرق الأوسط . فكتب الرئيس نيكسون رسالة إلى رئيسة الوزراء مائير فى ٢٣ يوليو يحث فيها على قبول إسرائيل للاقتراح ، وبذل عددا من الالتزامات الهامة . أولا ـ إن الولايات المتحدة لن تصر على أن توافق إسرائيل على التعريف العربى لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ . ثانيا ـ إن إسرائيل لن تكره على قبول تسوية لموضوع اللاجئين يكون من شأنها أن تغير بصورة أساسية من الطابع اليهودى للدولة أو تعرض أمنها للخطر . ثالثا ـ وهو الأهم فى هذه اللحظة بالنسبة للإسرائيليين ـ أنه لن يطلب من إسرائيل سحب أى من قواتها من المناطق المحتلة « إلى أن يتحقق اتفاق سلام تعاقدى ملزم ترضون عنه » . هذا هو الموقف الأمريكى النمطى المجرد بشأن « التسوية الشاملة » ، ولكن الإسرائيليين ـ على ما يبدو ـ رأوا فيه خطوة كبيرة تنأى عن خطة روجرز لعام ١٩٦٩ .(٦٨) وفضلا عن هذا ، وعد نيكسون باستمرار إمداد إسرائيل بالأسلحة .

وسعت رئيسة الوزراء مائير فى ردها إلى الحصول على تأكيدات بأن إسرائيل سيسمح لها بشراء صواريخ شرايك والنفاثات الفانتوم ، وبأن خطة روجرز سيتم سحبها ، وبأن الولايات المتحدة ستستخدم حق الفيتو ضد أى قرارات معادية لإسرائيل فى الأمم المتحدة .(٦٩) ولم تتلق إسرائيل إلا التزاما بشأن الأسلحة ، ولكن يبدو أن هذا كان كافيا لكى تقبل مائير ، مع تحفظات واضحة ، المبادرة الأمريكية فى ٣١ يوليو .(٧٠) وكان الطيارون الإسرائيليون قد أسقطوا فى اليوم السابق أربع طائرات سوفيتية من طراز ميج ـ ٢١ فوق مصر .

لم يصل الرد الإسرائيلى الرسمى المكتوب إلا فى ٦ أغسطس ، وقد تضمن بعض التعديلات فى الصياغة التى فوض يارنج فى استخدامها عند الإعلان عن وقف إطلاق النار . وتجاهلت الولايات المتحدة التغييرات الإسرائيلية ، وهو ما ساء رئيسة الوزراء مائير كثيرا ، وفى ٧ أغسطس دخل وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر فى حيز التنفيذ . مع اشتراط التوقف العسكرى التام فى منطقة عرضها خمسون كيلو مترا على كل من جانبى قناة السويس . وكان الشعور فى وزارة الخارجية شعورا عامرا بالبهجة ، ولكن ذلك لم يدم طويلا .(٧١)

خلاصـــة

بين يناير ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ مرت سياسة إدارة نيكسون الخاصة بالشرق الأوسط خلال مرحلتين . ففى السنة الأولى كان هناك توافق واضح فى الآراء حول ضرورة تصدر وزارة الخارجية لعملية التفاوض مع الاتحاد السوفيتى لوضع مجموعة من المبادىء التى تحدد بشىء من التفصيل شروط التسوية العربية الإسرائيلية ، واتخذت الإدارة ، كجزء من هذه السياسة ، وضع ضبط النفس بشأن اتفاقيات الأسلحة الجديدة مع إسرائيل .

وتنطوى هذه السياسة على مفهومين يضمران التباين ، أولهما يرى أن الشرق الأوسط هو فى المقام الأول قضية تتعلق بالسياسة العالمية ، وهو الرأى المأثور عن نيكسون وكيسنجر . وقد أبرز هذا الرأى خطورة المواجهة بين القوتين العظميين ، واستصواب إجراء محادثات أمريكية سوفيتية . أما المنظور الثانى ، فقد ركز على الاتجاهات الاقليمية بأكثر مما ركز على عمليات « الربط » العالمية . وأكد أن الموقف الأمريكى فى الشرق الأوسط يتآكل ، وأن طبع المنطقة بالطابع الراديكالى أمر لا مفر منه فى غيبة اتفاقية سلام . وما دام السوفيت بدوا متعاونين ، وأن الصراع الاقليمى بقى فى حدود مقدور عليها ، فإن هذين النهجين يأتلفان فى سياسة واحدة . وقد نسق نيكسون هدنة لم تكن سهلة بين وزارة الخارجية وكيسنجر أسفرت عن خطة روجرز فى ٢٨ أكتوبر و ١٨ ديسمبر . ولكن لم يكد يتم تقديم هاتين الوثيقتين حتى قام نيكسون ، بتحريض من كيسنجر ، بالانتقاص من سياسته الخاصة ، وذلك بإرسال إشارات إلى إسرائيل بعدم أخذ هاتين الوثيقتين بجدية .

أما المرحلة الثانية من السياسة تجاه الشرق الأوسط ، فقد بدأت بفشل خطة روجرز وتصاعد التورط السوفيتى فى مصر فى أوائل عام ١٩٧٠ . وكان التحول فى السياسة نتيجة لهذين التطورين فى الشرق الأوسط وللنفوذ المتنامى لهنرى كيسنجر فى سياسة الشرق الأوسط ، وهو قد كان طوال

الوقت ناقدا لطريقة روجرز في معالجة دبلوماسية الشرق الأوسط . وأدى تنامى الدور السوفيتى إلى جعل احتمال حدوث مواجهة مباشرة بين القوتين العظميين احتمالا واقعيا بصورة متزايدة ، وهو ما كان البيت الأبيض يريد تفاديه . وكانت هناك ثمة طريقة لمواجهة شحن الأسلحة السوفيتية إلى مصر ، ولتبيان أن عدم ضبط النفس من جانب السوفيت فى الشرق الأوسط لن يمر دون التفات إليه ، ألا وهى تزويد إسرائيل بالسلاح ، وهو قرار اتخذ من حيث المبدأ خلال الصيف ، ونفذ على نطاق واسع خلال بقية العام .

وأدى القتال المكثف بطول القناة ، والدور المتزايد الأهمية للفدائيين الفلسطينين فى الأردن إلى تأكيد أسوأ المخاوف لدى المتخصصين فى وزارة الخارجية . وكان من رأيهم أن أفضل سبيل لرد هذه الاتجاهات على أعقابها هو طرح مبادرة دبلوماسية جديدة ، وهى فى هذه المرة أقل طموحا فى مداها من خطة روجرز وأقل اعتمادا على التعاون السوفيتى . ومن هنا اقترحت على كل من الطرفين بصورة مباشرة فى ١٩ يونيو صياغة بسيطة هى « الكف عن إطلاق النار وبدء المحادثات » .

وقد تعرض هذان المنظوران لخطر الاصطدام بقضية واحدة ، ألا وهى إرسال الأسلحة إلى إسرائيل . فعقد اتفاقيات أمريكية إسرائيلية جديدة بشأن السلاح قد يدفع عبد الناصر إلى رفض المبادرة الأمريكية ، وقد يعطى حججا قوية للعرب الراديكاليين لاستخدامها ضد الولايات المتحدة . وقد أدرك نيكسون هذا الخطر ، ولهذا عالج مشكلة الأسلحة بتحرز .(٧٢) وحاول فى المحل الأول التأكد من أن يقترن إرسال الأسلحة بقبول إسرائيل للمبادرة الأمريكية الجديدة .

وفى ٧ أغسطس دخل وقف إطلاق النار في حيز التنفيذ ، ولاح كما لو أن كلا من وزارة الخارجية والرئيس يستطيعان الشعور بالارتياح لأن سياساتهما المفضلة قد أسفرت عن نهاية ناجحة . على أن شروط وقف إطلاق النار أصبحت تنتهك فى غضون أيام ، وأخذت أزمة جديدة تتكون . كما تداعى التوازن الرقيق الدقيق بين وزارة الخارجية وكيسنجر - الذى اعترض على مبادرة وقف إطلاق النار - بدوره .(٧٣) وبحلول الوقت الذى انتهت فيه الأزمة التالية ، كان كيسنجر قد اكتسب نيكسون إلى صفه . أما الذين كانوا يدعون إلى عدم التحيز من العاملين فى وزارة الخارجية ، فقد أبعدوا فعلا عن وسط مسرح الأحداث . ومن هنا جاءت أزمة الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ لتضع نهاية مناسبة للمرحلتين الأوليين فى دبلوماسية نيكسون فى الشرق الأوسط .

الفصل الخامس

أزمة الأردن ، سبتمبر ١٩٧٠

مع نزول الصمت على المدافع بطول قناة السويس فى ٧ أغسطس ١٩٧٠ بدأت مرحلة جديدة فى النزاع العربى الإسرائيلى . وتذرع بضعة من المتفائلين بالأمل فى أن المحادثات لن تلبث أن تبدأ وتفضى إلى حل ، ولو لبعض القضايا التى تمخضت عنها حرب عام ١٩٦٧ . وكان عبد الناصر قد ألمح إلى أنه على استعداد للنظر فى تسوية سياسية . أما الملك حسين ، فبرغم تآكل سلطته داخل الأردن ، فقد كان من المتوقع منه أن يضطلع بدوره . وبدت الولايات المتحدة متلهفة على استئناف مهمة يارنج .

إلا أن وقف إطلاق النار أطلق العنان لقوى سرعان ما قوضت الاحتمالات الخاصة بمحادثات السلام ، وأدت - عوضا عن ذلك - إلى أزمة بالنسبة لإدارة نيكسون غير مسبوقة من حيث خطورتها . ولئن كانت أزمة الأردن إقليمية فى أصلها ، فقد كانت فى ذروتها تتصل بالعلاقات الأمريكية السوفيتية أكثر منها بالنزاع العربى الإسرائيلى أو بالفلسطينين . وأيا كان الأمر ، فقد كانت هذه هى وجهة النظر فى واشنطن .

ولكى يتسنى للمرء فهم هذا الفصل المثير فى السياسة الأمريكية - فلا بد للمرء من أن ينظر إلى ما وراء القضايا الظاهرة للنزاع بين إسرائيل ومصر والأردن والفلسطينيين . وعند اندلاع أزمة الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ كان نيكسون يقترب من لحظة هامة فى رئاسته ، ألا وهى انتخابات الكونجرس فى نوفمبر . وكانت شعبيته قد أضيرت بالأزمة المتفاقمة السوء فى جنوبى شرق آسيا أثناء الربيع . وكانت سياسته الخارجية لم تزل سياسة كلام أكثر منها سياسة إنجاز . وكانت العلاقات الأمريكية مع الاتحاد السوفيتى متوترة . وكانت حرب فيتنام ماضية فى إزهاق أرواح الأمريكيين ، وكان سباق الأسلحة الاستراتيجية ماضيا دون أن يحده شىء ، وكان النزاع العربى الإسرائيلى قد وصل إلى نقطة شديدة الحرج . وكانت وزارة الخارجية قد عانت الأمرين فى سبيل تحقيق وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل ، وهو الذى دخل فى حيز التنفيذ ولكنه صار يهدد بالانهيار بعد ذلك مباشرة تقريبا .

وخلال شهرى أغسطس وسبتمبر ازداد انشغال نيكسون ومستشاره لشؤون الأمن القومى هنرى كيسنجر بالأزمة فى الشرق الأوسط . وكانت نظراتهما إلى نوايا السوفيت نظرة مستريبة بصورة خاصة . وعندما شرعا فى إعادة صياغة السياسة الأمريكية فى خضم الحرب الأهلية الأردنية ، كان المنظور الأمريكى السوفيتى يهيمن على تفكيرهما . وكان من نتيجة ذلك وضع تعريف جديد

لقضايا الشرق الأوسط ، وتكوين فكرة معدلة عن الديناميات السياسية فى المنطقة التى بات ينظر فيها إلى العلاقة الأمريكية الإسرائيلية بوصفها المفتاح لمحاربة النفوذ السوفيتى فى العالم العربى ولتحقيق الاستقرار .

وكان من وجهة نظر إدارة نيكسون أن أزمة الأردن قد عولجت علاجا ناجحا : فقد بقى الملك حسين فى السلطة ؛ وسحق الفدائيون المناضلون ؛ وعززت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ؛ وأكره الاتحاد السوفيتى على التراجع ، كابحا جماح زبائنه السوريين تحت الضغط الأمريكى الإسرائيلى . وأخيرا جاءت وفاة عبد الناصر ، تماما عند اقتراب الأزمة من نهايتها ، ففتحت الباب ـ على ما يبدو ـ لسياسة خارجية مصرية أكثر اعتدالا . ولكن تبين أن الصورة شائهة من كثير من النواحى ، ولكنها ظلت لما يقرب من ثلاث سنوات تستخدم لتبرير السياسة الأمريكية التى تهدف فى المقام الأول إلى الحد من النفوذ السوفيتى فى مصر ، وذلك أساسا من خلال توريد الأسلحة الأمريكية بسخاء إلى إسرائيل .

مقدمة للأزمة : الجدل حول وقف إطلاق النار فى أغسطس

أدى التوصل إلى وقف إطلاق النار فى ٧ أغسطس إلى تغرة فى الثقة الأمريكية الإسرائيلية ظلت تتسع فى الأسابيع التالية . وقبل أن تجد جولدا مائير رئيسة الوزراء وقتا للإفاقة من غضبها إزاء الأسلوب الذى تجاهلت به الولايات المتحدة جهود إسرائيل لتحديد شروط وقف إطلاق النار ؛ ثارت قضية جديدة من قضايا النزاع . كانت المصادر الإسرائيلية ترى أن مصر لا تحترم أحكام الكف عن أى تحركات الواردة فى اتفاقية وقف إطلاق النار . فقد كان يجرى تحريك الصواريخ داخل منطقة القناة ، وكان يجرى إعداد مواقع جديدة ، وكانت الصواريخ تنقل بالتناوب من مواقع نشيطة إلى مواقع كانت قبلا غير نشيطة .

ومما يؤسف له أن أحدا فى واشنطن لم يفكر فى مشكلة كيفية التحقق من الامتثال للاتفاقية . واستطاعت أنشطة المخابرات الأمريكية المعتادة أخيرا ، أن ترصد تغييرات كبيرة ، ولكن كان السؤال حينذاك هو هل قامت مصر بتحريك معدات جديدة داخل منطقة القناة بعد سريان وقف إطلاق النار مباشرة . وكان الأمر يقتضى إجراء رئيسيا لتقرير ما هو المسموح به وما هو غير المسموح به . إلا أن إسرائيل لم تكن راغبة فى السماح بطلعات جوية للطائرة « يو ـ ٢ » الخاصة بالاستطلاع بطول القناة بعد ما دخل وقف إطلاق النار فى حيز التنفيذ .(١) وكان قد تم فى الأسبوع الفائت التقاط صور بالأقمار الصناعية ، ولكنها لم تكن تصلح كنقطة للمقارنة ، لأن عمليات تكديس سريعة جدا جرت على جانبى القناة فى الأيام السابقة لوقف إطلاق النار مباشرة . ولم يحدث إلا فى ١٠ أغسطس أن حلقت طائرة « يو ـ ٢ » أخيرا فوق القناة ، ووفرت بذلك نقطة مراجعة يحتكم إليها فى أى تغييرات تالية فى نشر المعدات العسكرية .

وكان نيكسون وكيسنجر غاضبين من وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية لانهما لم تتوقعا المشكلة الخاصة بتحديد الانتهاكات . وكان الإسرائيليون يتقدمون بأدلة على أن المصريين يحركون الصواريخ . وكانت وزارة الخارجية ترفضها باعتبارها غير حاسمة ، كما كانت تطلب

من الإسرائيلين الكف عن إثارة هذه الجلبة ، وأن يمضوا إلى المحادثات التى يشرف عليها يارنج سفير الأمم المتحدة .(٢) وبحلول هذا الوقت كانت مصداقية إسرائيل لدى البيت الأبيض أكبر منها لدى وزارة الخارجية .

وفى ١٤ أغسطس ، وقبل أن تؤكد المخابرات الأمريكية الانتهاكات المصرية ، رخص نيكسون بإرسال صفقة من الأسلحة قيمتها ٧ ملايين دولار إلى إسرائيل ، وقوامها معدات عسكرية يمكن استخدامها ضد مواقع الصواريخ بطول القناة فى حالة انهيار وقف إطلاق النار . واجتمع ديفيد باكارد وكيل وزارة الدفاع بالسفير الإسرائيلى اسحق رابين لمحاولة التوصل إلى تفاهم حول كيفية استخدام الأسلحة ، وللتأكد من السرية التامة . إذ كان نيكسون ما زال غير راغب فى إثارة عبد الناصر بلا ضرورة ، أما إسرائيل فستتلقى معدات الكترونية متطورة وصواريخ شرايك ووحدات قنابل عنقودية مما يمكن استخدامه فى مهاجمة مواقع الصواريخ .

واستطاعت الولايات المتحدة شيئا فشيئا أن تجمع أطراف صورة لما كان يحدث بطول القناة بعد ٧ أغسطس . وفى ١٩ أغسطس اعترفت وزارة الخارجية بأنه قد جرى نشر لبعض الصواريخ المصرية فى مناطق أمامية ، ولكن كانت لم تزل هناك صعوبة فى الحصول على أدلة جازمة عن أعدادها ومواقعها . وبعد ذلك بثلاثة أيام ابلغت مصر والاتحاد السوفيتى بأن لدى الولايات المتحدة « أدلة لا تقبل الجدل على انتهاكات واضحة بصورة قاطعة » لاتفاقية الكف عن التحركات ووقف إطلاق النار .(٣) وردت مصر فى ٢٤ أغسطس مدعية الحق فى تحريك الصواريخ بالتناوب داخل المنطقة ، ونفت إدخال أى صواريخ جديدة . وأخيرا وجهت الولايات المتحدة فى ٣ سبتمبر مذكرة شديدة إلى مصر والاتحاد السوفيتى بشأن الانتهاكات ، وقدمت الدليل على أن ما لا يقل عن أربعة عشر موقعا للصواريخ قد تم تغييرها خلال شهر أغسطس . ولم تكن هناك أدلة قوية على وجود مواقع جديدة كل الجدة - فهذه قد شيدت بعد ذلك فى شهر سبتمبر - غير أنه تم التأكد من وجود عدد من الانتهاكات التقنية : فالمواقع التى لم تستكمل قد أكملت ؛ والمواقع الصورية قد تم تنشيطها ، وتم التخلى عن بعض المواقع الحية ؛ وظهرت بضعة من الصواريخ الجديدة فى منطقة القناة .(٤)

وكان من العسير تقييم الأهمية العسكرية للانتهاكات ، ولكن عواقبها السياسية كانت شديدة الأهمية . فهى تدل ، فى الحدود الدنيا ، على سوء النية ، من جانب عبد الناصر ، كما أنها عززت المطالبات الإسرائيلية بالحصول على تعويض من خلال شحنات الأسلحة الأمريكية الجديدة . ويبدو فعلا ، عند استعادة أحداث الماضى ، كما لو أن عبد الناصر قبل وقف إطلاق النار أصلا لكى يتمكن من استكمال بناء دفاعاته الخاصة بالصواريخ . ولكن نيكسون وكيسنجر استنتجا من هذه الانتهاكات خطة أكثر شؤما حتى من هذا ، ألا وهى أن مصر لم تكن تتصرف بمفردها . فتلك كانت صواريخ سوفيتية يجرى تركيبها بمساعدة الفنيين السوفيت . ومن هنا ، فإن الاتحاد السوفيتى كان يقوم بوضوح بمساعدة عبد الناصر وتشجيعه على انتهاك اتفاقية وقف إطلاق النار . وأكثر من هذا ، فإنه كان يحاول تخريب مبادرة روجرز التى كانت تهدف إلى بدء المحادثات من أجل تسوية النزاع . والذى لاح هو أن السوفيت كانوا يخافون من أن يضار وضعهم فى الشرق الأوسط بسبب السلام ؛ ومن هنا كانوا يعملون كل ما فى وسعهم لتخريبها .

وقد يعن للمرء أن يسأل عما يقع على الاتحاد السوفيتى من التزام بشأن احترام شروط لوقف إطلاق النار رتبها الأمريكيون ولم يكن هو طرفا فيها . وكانت دعوة السوفيت إلى الأخذ بنهج تعاونى قد رفضت فى أوائل يونيو ، ومضت الولايات المتحدة فى العمل وحدها . إلا أن نيكسون وكيسنجر لم يكونا سعيدين بشأن السوفيت ، وذلك لطائفة من الأسباب - جنوب شرق آسيا ، ومحادثات السلاح ، والشرق الأوسط .(٥) وشعرا بأن الوقت قد حان للوقوف فى وجه موسكو . وأوشكت الأحداث فى الشرق الأوسط على أن تهيىء فرصة غير متوقعة لهذا الغرض فقط .

ولعل السوفيت ظنوا أن نيكسون فى شغل شاغل بفيتنام بحيث لا يستطيع التصرف فى مكان آخر ؛ ولعلهم أساءوا فهم رد فعل الرأى العام ضد غزو كمبوديا واعتبروه افتقارا إلى إرادة استخدام القوة ؛ ولعلهم أساءوا فهم تذرع الأمريكيين بضبط النفس بشأن تسليح إسرائيل . فإن كانت تلك هى طريقة تفكير السوفيت - وهو مابدا أن نيكسون يؤمن به - فلا بد من تلقينهم درسا على خلاف ذلك . ومما يساوى هذا فى الأهمية أن الصينيين الذين كان نيكسون يرجو بدء علاقة جديدة معهم ، لا بد أن يدركوا أن لدى الولايات المتحدة الإرادة والقدرة على مقاومة الأعمال العدوانية السوفيتية ، وإلا فإن ماو لن يجد مبررا قويا يدعوه إلى التهاون فى نقائه الأيديولوجى بالانحياز الضمنى إلى الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتى . فلن تحفل قيادة بكين إلا بأمريكا قوية .

كما كان نيكسون يدرك أن قاعدة التأييد المحلى ستتأثر بأى أمارة على الضعف تجاه الاتحاد السوفيتى . وكان يعتقد أنه إذا اعتبر الانفراج استرضاء للسوفيت ، فإن سياسته الخارجية ستواجه متاعب . فلا ميونيخ نسيت ولا نسيت الحرب الباردة . والشجار المستمر مع إسرائيل حول الأسلحة ، كانت له خسائره بالفعل . وكان نيكسون على استعداد لتحمل ذلك لو أمكن الشروع فى محادثات السلام . أما الآن فقد أصبحت إسرائيل فى وضع له مايبرره من الناحية الأدبية ، إذ أن مصر قد انتهكت اتفاقية وقف إطلاق النار ، وواضح أن ذلك كان بعلم السوفيت وتسترهم . وكان تأييد الرأى العام والكونجرس لإسرائيل قويا . وكان الأمر يستدعى طبعا سياسة جديدة بشأن توريد الأسلحة .

وطوال السنة ونصف السنة من بداية رئاسة نيكسون ، توخى قدرا كبيرا من ضبط النفس فى الاستجابة لطلبات السلاح الاسرائيلية ، ولكنه أخفق فى إقناع الاتحاد السوفيتى بأن عليه أن يلزم حدودا مماثلة ، وهو ما اتضح بصورة لا تخطئها العين فى مسلكه من يناير إلى أغسطس ١٩٧٠ . كما أن ضبط النفس الأمريكى لم يحقق هدفه مع عبد الناصر . فقد لاح أن عبد الناصر ، شأنه شأن السوفيت ، يستغل وقف إطلاق النار على حساب إسرائيل . وبالتالى اجتمع نيكسون فى أول سبتمبر ١٩٧٠ فى سان كليمنت مع كيسنجر ، ووزير الخارجية روجرز ، ومساعد وزير الخارجية سيسكو لاستعراض السياسة فى الشرق الأوسط .(٦) واتخذ قرار ببيع ما لا يقل عن ثمانى عشرة طائرة نفاثة من طراز فانتوم « اف - ٤ » إلى إسرائيل على أن يتم إخطار مصر بعملية البيع ، ويعلل ذلك فى سياق انتهاكات اتفاقية وقف إطلاق النار . وقد أبلغ عبد الناصر بذلك فى ٣ سبتمبر . وفى الوقت نفسه كان مجلس الشيوخ قد وافق فى اليوم السابق على قانون خاص بالتفويض العسكرى ، مع تعديل تبناه السناتور هنرى جاكسون يمنح نيكسون سلطة غير محدودة فعلا لتقديم الأسلحة إلى إسرائيل بتمويل من جانب الولايات المتحدة .

وفى ٦ سبتمبر أعلنت إسرائيل بأنها لن تستطيع المشاركة فى محادثات يارنج ما دامت الانتهاكات المصرية للكف عن التحركات ووقف القتال لم يتم تصحيحها . وفى اليوم نفسه أذهلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين العالم باختطافها ثلاث طائرات دولية ، وتم توجيه اثنتين منها إلى مهبط صحراوى فى الأردن حيث احتجز الركاب كرهائن ، أما الطائرة الثالثة فقد اتجهت إلى القاهرة حيث نسفت بعد دقائق من نزول الركاب .(٧) وعلى حين غرّة ، غطى الوضع الجديد على محادثات يارنج وانتهاكات وقف إطلاق النار بطول القناة ، وهو وضع لم يلبث أن أتاح لنيكسون وكيسنجر فرصة مواجهة الاتحاد السوفيتى .

عمليات اختطاف الطائرات

عندما وافقت مصر والأردن وإسرائيل فى أواخر يوليو ١٩٧٠ على وقف إطلاق النار الذى أشرفت الولايات المتحدة على ترتيبه ، خرجت إلى الفدائيين الفلسطينيين إشارة بأن هناك خطرا . ومن فبراير ١٩٧٠ فصاعدا ، نجح الفدائيون فى الانتقاص من سلطة الملك حسين إلى الحد الذى أصبحوا فيه دولة داخل الدولة . وعندئذ أصبح موقفهم معرضا للخطر بعد ما بدا أن الرئيس عبد الناصر ، وهو ظهيرهم الأكبر ، قد انضم إلى حسين فى تسويه سياسية لن تكون إلا على حسابهم . وعارض قادة منظمة التحرير الفلسطينية مبادرة روجرز بكل همة ، وكان من نتيجة ذلك أن حرمهم عبد الناصر من حق استخدام إذاعة القاهرة .

وكانت حركة الفدائيين قد وصلت إلى منعطفات حاسمة فى أواخر أغسطس ١٩٧٠ عندما عقدت دورة طارئة للمجلس الوطنى فى عمان .(٨) وطالب بعض من المجموعات الأشد راديكالية بالإطاحة بالملكية الهاشمية ، ولكن حركة فتح التى تمثل التيار الرئيسى بزعامة ياسر عرفات تحايلت بعدم اتخاذ قرار كسبا للوقت . على أنه قبل تحقيق توافق للآراء ، قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الشاردة بزعامة جورج حبش بعمليات اختطاف طائرات فى ٦ سبتمبر . وفى ٩ سبتمبر اختطفت طائرة أخرى وجهت إلى مطار داوسن فى الصحراء الأردنية .(٩) وبلغ مجموع الرهائن الذين احتجزتهم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نحو خمسمائة ، كثيرون منهم من الأمريكيين .

وأعلنت الجبهة أن الهدف هو إكراه إسرائيل على إطلاق سراح السجناء الفدائيين المحتجزين فى إسرائيل . وفوق ذلك ، سعت الجبهة إلى سرقة الأضواء من الجماعات الفلسطينية الأخرى ، وذلك بالظهور بمظهر المتفوق فى النضال عليها . والأخطر من كل هذا ، أن الجبهة سعت إلى التحريض على مواجهة بين حسين وحركة الفدائيين ، مع إلقاء العراق وسوريا بثقلهما وراء الفلسطينيين . وكان للعراق ما يقرب من عشرين ألف جندى فى الأردن ، وكان الجيش السورى عبر الحدود مباشرة ، وسهل عليه أن يزحف إلى عمان فى يومين .

وكانت الولايات المتحدة منذ فترة منزعجة لضعف وضع حسين . وكان الموقف فى لبنان بدوره باعثا على القلق . ولا يستبعد مطلقا أن يستولى الراديكاليون على هاتين الدولتين العربيتين

المعتدلتين ، فى نفس الوقت الذى بدا فيه أن عبد الناصر مستعد للتحرك نحو إجراء تسوية مع إسرائيل . وفى ١٧ يونيو عقد اجتماع لمجلس الأمن القومى لمناقشة احتمالات التدخل العسكرى الأمريكى فيما لو هدد لبنان أو الأردن . ويؤخذ مما ذكره كيسنجر أن نيكسون تحدث عن الاحتمالات التالية : « فلنفرض أننا تلقينا فى أواخر الصيف طلبا من لبنان أو الأردن للمساعدة .. عندئذ يحين الوقت الذى تمتحن فيه الولايات المتحدة من حيث مصداقيتها فى المنطقة . والسؤال الحقيقى هو : هل نتصرف ؟ إن تصرفنا ينبغى أن يدرس فى ضوء هذا . علينا أن نكون مستعدين ... فهل تتحصل القضية فى كونها قضية عسكرية حقا ، أم تتعلق بمصداقيتنا كقوة فى هذه المنطقة ؟ »(١٠)

وبعد عدة أيام اجتمع فريق العمل الخاص فى واشنطن للتخطيط لهذه الطوارىء فى الشرق الأوسط . وكانت النتائج باعثة على الكآبة : إن الولايات المتحدة ستجد صعوبة فى إرسال قوة برية ضخمة إلى المنطقة ، إن لم تتوافر لها فرص الوصول لقواعد فى شرقى البحر المتوسط . ومن الممكن أن يوفر الأسطول السادس قدرا من الدعم الجوى إذا كان مرابطا ، وإلا ، فإن القدرات العسكرية الأمريكية لن تكون مؤثرة . فإن احتاج الأمر إلى خيار عسكرى جاد ، فإن إسرائيل هى فى وضع أفضل بكثير يطوع لها تقديم القوات البرية والغطاء الجوى على حد سواء ، ولاسيما فى حالة الإنذار القصير المهلة ، غير أن هذه المسألة حساسة من الناحية السياسية بالطبع .

فليس هناك نظام عربى يرغب فى أن تنقذه إسرائيل إن كان هناك بديل ما . إلا أن حسين كان واقعيا ، وقد ذهب إلى حد سؤال الولايات المتحدة فى أوائل أغسطس عن المجموعة الكاملة من الخيارات المتاحة ، بما فى ذلك التدخل الإسرائيلى إذا تحركت القوات العراقية ضده . وفى نهاية الشهر فى ٣١ أغسطس ، أبلغ الملك السفارة الأمريكية فى عمان بأنه ربما لجأ حالا إلى اتخاذ إجراءات حاسمة ضد الفدائيين ، وأنه يأمل فى أن يكون قادرا على الاعتماد على الولايات المتحدة .

وعندما ووجه حسين بتحدى اختطاف الطائرات ، احتال عسكريا لكسب الوقت ، ولم تكن لاختياراته جاذبية شديدة . فإن امتنع عن عمل شىء ، فإن الجيش الأردنى قد يتحرك من تلقاء نفسه ضد الفدائيين ، فيقضى بالتالى على سلطة الملك . وإذا أقدم على عمل ، فقد تتدخل سوريا أو العراق . وكان حسين يعرف أن جيشه قادر على أن يعالج أمر الفدائيين وحدهم ، ولكن ما الشأن بالنسبة لاصدقائهم ؟ ومن هنا اضطر حسين إلى التطلع إلى دعم محتمل ضد التدخلات الخارجية ، وهو ما يقصد به الولايات المتحدة وإسرائيل .

كان رد الفعل الأمريكى الأول تجاه اختطاف الطائرات حذرا . فقد شعر روجرز بأنه لا يستطاع عمل الكثير فى هذا الشأن . أما نيكسون فكان على النقيض من ذلك يريد استغلال الأزمة باعتبارها ذريعة لسحق الفدائيين ، ويبدو أنه ذهب إلى حد إصدار أوامره بقصف معاقل الفلسطينيين . وأفاد وزير الدفاع ملفين ليرد بأن الظروف الجوية ليست مناسبة لمثل هذه الهجمات ، ولم يعد نيكسون إلى إثارة هذه المسألة مرة أخرى . ولكن نيكسون كان فى بداية الأزمة مستعدا لاستخدام القوة الأمريكية أكبر من استعداده لتشجيع التدخل الإسرائيلى .(١١) وربما تبين - كحد أدنى - ضرورة إجلاء بضع مئات من الأمريكيين فى عمان . ولعل فرصة تسنح لإنقاذ الرهائن . وكان فى وسع نيكسون إذ ينظر إلى الأمام قليلا أن يرى الحاجة إلى استعراض قوى للقوة الأمريكية فى شرقى

البحر المتوسط ، باعتبار ذلك رادعا للتحركات السوفيتية أو السورية أو العراقية .

وكان المصريون والسوفيت يتصرفون بتحرز ، لم يكونوا يؤيدون الفدائيين فى الأردن علنا . وفى ٩ سبتمبر كلف عبد الناصر نفسه مشقة إبلاغ الولايات المتحدة بأنه ما زال مهتما بمبادرة السلام الأمريكية . فإن صح هذا ، فلعل من المستطاع احتواء الأزمة فى الأردن وحلها دون إشعال نيران صراع أوسع . إلا أن نيكسون كان مصرا على ألا تتم تسوية الأزمة وفقا للشروط التى وضعها الفدائيون . وهو لن يضغط على الإسرائيليين لإطلاق سراح السجناء باعتبار ذلك ثمنا لاستعادة الرهائن ، وحث البريطانيين على أن يتخذوا نفس الموقف الصلب . وكان هذا هو نيكسون فى أفضل حالاته : الحرص على القانون والنظام وعدم الاستسلام للابتزاز . ووافق كيسنجر مصرا على ألا تظهر الولايات المتحدة بمظهر المتعنت . غير أن كيسنجر اختلف مع نيكسون حول صواب استخدام قوات أمريكية . فإن احتاج تأييد الملك حسين إلى عمل عسكرى ، فالأفضل فى رأيه أن تتصدره إسرائيل .(١٢)

أما ونيكسون مصر على اتخاذ موقف صلب ، فقد أمر بسلسلة من التحركات العسكرية التى تتصاعد تصاعدا حثيثا ، باعتبارها إشارات متعمدة عن النوايا ، ولتوفير قدرة متواضعة على التدخل إذا لزم الامر . وفى ١٠ سبتمبر وضعت الفرقة الثانية والثمانون المحمولة جوا فى مدينة فورت براج بولاية نورث كارولينا فى حالة شبه تأهب ؛ كما طارت ست طائرات نقل من طراز « سى - ١٣٠ » من أوربا إلى قاعدة إنسرليك الجوية فى تركيا ، حيث يمكن استخدامها لاجلاء الأمريكيين من الأردن . وفى اليوم التالى ، بدأت وحدات من الأسطول السادس تبرح الميناء كجزء مما أطلق عليه البيت الأبيض اسم « احتياطيات روتينية فى مثل هذا الموقف لأغراض الإجلاء » . وطارت إلى تركيا أربع طائرات أخرى من طراز « سى - ١٣٠ » تخفرها خمس وعشرون نفاثة من طراز « اف - ٤ » . وفى نفس اليوم نسف الفدائيون الطائرة ، ونقلوا الرهائن الباقين وعددهم أربع وخمسون - ومنهم أربع وثلاثون رهينة من الأمريكيين - إلى مكان غير معلوم .(١٣)

وفى ١٥ سبتمبر قال الملك حسين للبريطانيين - الذين اتصلوا بعد ذلك بالولايات المتحدة - بأنه سيؤلف حكومة عسكرية بقصد التحرك ضد الفدائيين . وأشار إلى أنه قد يحتاج إلى دعوة الولايات المتحدة وسواها للمساعدة . وعندما وصل الخبر إلى واشنطن ، بادر كيسنجر بعقد اجتماع لفريق العمل الخاص فى واشنطن فى الساعة العاشرة والنصف مساء . وصدرت أوامر بإجراء مزيد من التحركات العسكرية ، فتتوجه حاملة الطائرات « ساراتوجا » إلى شرقى البحر المتوسط حيث تنضم إلى « اندبندنس » أمام الساحل اللبنانى ؛ وتوضع الوحدات المحمولة جوا فى ألمانيا الغربية فى حالة شبه تأهب ؛ ويطير عدد إضافى من الطائرات « سى - ١٣٠ » إلى تركيا . وبرغم هذه الاستعدادات ، فقد تقرر أن الولايات المتحدة لن تحاول بمفردها إنقاذ الرهائن ، وإن كانت الادارة مصممة على الابقاء على الملك حسين فى السلطة .(١٤)

الحرب الأهلية فى الأردن

مع اندلاع نيران القتال العنيف فى الأردن بين الجيش والفدائيين فى ١٦ و ١٧ سبتمبر ، واجهت الولايات المتحدة على حين غرة مجموعة من المخاطر الجديدة فى الشرق الأوسط . فمن ناحية ، قد يشعل الصراع فى الأردن فتيل حرب عربية إسرائيلية فيما إذا تدخلت إسرائيل مباشرة . ويمكن عندئذ جر رجل مصر والاتحاد السوفيتى ، وهو ما قد يؤدى إلى مواجهة أمريكية سوفيتية ، وكان الخوف من ذلك يستحوذ على نيكسون وكيسنجر طوال الوقت . ويقارب هذا فى الخطورة أن تتم الإطاحة بحسين ، وبهذا يكون صديق صدوق للولايات المتحدة قد هزم على أيدى القوات المسلحة الراديكالية بأسلحة سوفيتية . وحتى ولو لم يتورط الاتحاد السوفيتى مباشرة ، فإن الرمز الذى يشير إليه انتصار الفدائيين يؤول لمصلحة موسكو .

وكان نيكسون يرغب بوضوح فى أن يقوم حسين بسحق الفدائيين ، ولكنه كان يريد كذلك أن يظل الصراع محصورا داخل الأردن . أما الدور الأمريكى ، كما تراءى له ولكيسنجر ، فهو تشجيع حسين على التصرف مع حمل إسرائيل على أن تضبط النفس فلا تقدم على تحركات عسكرية طائشة . وفى الوقت نفسه ، فلعل إقدام الأمريكيين والإسرائيليين على استعراض القوة قد يساعد على ردع السوريين والعراقيين والسوفيت . وسيكون من الصعب المحافظة على التوازن بين حالة ضبط النفس وحالة الحرب ؛ فالاسراف فى أيهما من جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل يؤدى إلى نتيجة عكسية . وكان عنصر التوقيت ومراقبة الأحداث الجارية فى الساحة ضروريين ، كما كان تحقيق درجة عالية من التنسيق فيما بين الأردن و الولايات المتحدة وإسرائيل أمرا حيويا .

وكانت الخطوة الأولى من جانب نيكسون هى التحذير من أى تدخل خارجى . وفى ١٦ سبتمبر ألقى خطبة قوية عن القانون والنظام فى جامعة ولاية كنساس ، أدان فيها الفدائيين . ثم طار إلى شيكاغو حيث اجتمع بكيسنجر وسيسكو لمعرفة آخر الأخبار عن الأزمة . وكانت هناك آراء متضاربة فى مجتمع المخابرات بشأن احتمال حدوث تدخل سورى أو عراقى . وبصورة عامة ، استبعد ذلك كاحتمال .

إلا أن نيكسون ذهب إلى خلاف ذلك ، وفى ١٧ سبتمبر اجتمع مرتين مع رؤساء تحرير الصحف فى شيكاغو لمناقشة الأزمة فى الأردن . وفى ذلك المساء ، هرعت جريدة « صن ـ تايمز » بنشر موضوع يجمل آراء نيكسون . وقد جاء فيه أن الولايات المتحدة « مستعدة للتدخل المباشر فى الحرب الأردنية إذا مادخلت سوريا والعراق الصراع وأخلتا بالتوازن العسكرى لغير مصلحة القوات الحكومية الموالية لحسين » .(١٥) وكان فى تقدير نيكسون أن بقاء حسين لازم لجهود التسوية السلمية الأمريكية . أما التدخل الإسرائيلى ضد الفدائيين فهو عمل خطير ، وإذا حدث أن تدخلت سوريا أو العراق فى المعركة فستضطر الولايات المتحدة إلى التدخل . وقد ورد أن نيكسون أخبر الصحفيين بأنه لن يكون بالأمر السىء أن يعتقد السوفيت بأنه قادر على اتخاذ إجراء غير منطقى أو متهور .(١٦) فقد كانت تلك هى طبيعة نيكسون الأصيلة : كن صلبا ؛ واجعل خصومك فى حالة فقدان توازن ؛ وابق غامضا لا يمكن التنبؤ بتصرفاتك . فإن حالفك الحظ ، فإن أحدا لن يعمد عندئذ إلى اختبارك ليعرف ما إذا كنت تقوم بعملية خداع .

ولدى عودة نيكسون إلى واشنطن مساء يوم ١٧ سبتمبر ، اجتمع بمستشاريه مرة أخرى . وصدرت الأوامر إلى حاملة طائرات ثالثة هى « جون ف . كنيدى » بالتحرك من المحيط الأطلنطى إلى البحر المتوسط ، كما صدرت الأوامر لحاملة الطائرات الهليكوبتر « جوام » وعلى سطحها ألف وخمسمائة من مشاة البحرية بالتوجه بأسرع مايمكن من نورفولك إلى البحر المتوسط . كما ناقش نيكسون الاجتماع الذى كان مقررا له أن يعقده فى اليوم التالى مع رئيسة الوزراء ، مائير . لقد حان الوقت بوضوح لدعم العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، إذ ربما تعين على البلدين أن يعملا عن كثب أثناء الأزمة . ولهذا فوض نيكسون فى تقديم معونة عسكرية لإسرائيل قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ، ووافق على التعجيل بتسليم ثمانى عشرة طائرة من طراز « اف - ٤ » .

وفى ١٨ سبتمبر اجتمع نيكسون ومائير فيما وصفته « النيويورك تايمز » بأنه أهم محادثات بين الولايات المتحدة وإسرائيل فى اثنين وعشرين عاما . وكان قد حكم على العلاقات بأنها « فى مستوى منخفض بصورة غير معتادة » بسبب الخلاف على وقف إطلاق النار وعلى توخى ضبط النفس فى توريد الأسلحة .(١٧) والواقع أن الحقيقة كانت أقل من ذلك سوءا . فقد ساعد الوعد الذى بذله نيكسون بأنه سيولى طلبات المعونة الإسرائيلية « اهتمامه المتعاطف » على تهيئة المسرح لتحسن كبير فى الروابط بين البلدين فى بضعة الأيام التالية . وفى ضوء التطورات التالية ، لاح أن من المستغرب أن نيكسون لم يبحث مع مائير - على مايبدو - احتمال التدخل فى الحرب الأهلية الأردنية ، إذ ترك هذا الأمر لروجرز وسيسكو وكيسنجر ، لأنه احتمال لم ينفك يعتبر احتمالا بعيدا . إذ بدا أن الملك قد أخذ يظفر باليد العليا فى الأردن ، وأن السوفيت يتصرفون تصرفا حسنا .

لم تصل إلى واشنطن الأخبار الأولى عن التوغل السورى المدرع داخل الأردن إلا فى يوم السبت ١٩ سبتمبر .(١٨) وسارع الاتحاد السوفيتى إلى التحذير من أى تدخل خارجى فى الأردن ، وانظم إلى الرئيس عبد الناصر فى الدعوة إلى وقف إطلاق النار . وقام يولى فورونتسوف القائم بالأعمال السوفيتى فى واشنطن بإبلاغ وزارة الخارجية بأن السوفيت يحثون السوريين بالتذرع بضبط النفس ، وبأنهم هم أنفسهم ليسوا متورطين فى الهجوم بأى شكل . وقام كيسنجر بنقل هذه الأخبار إلى نيكسون فى كامب ديفيد ، ولكن نيكسون لم يتأثر بها وكان متشككا . فالسوفيت قد نفوا - بعد كل شىء - بأن لهم ضلعًا فى انتهاكات وقف التحركات وإطلاق النار بطول قناة السويس ، وها عميلتهم سوريا تبعث بالدبابات إلى الأردن . فهل يمكن حقيقة الاضطلاع بذلك دون أن يمنح السوفيت - على الأقل - بركتهم الضمنية ؟ وكان نيكسون يعتقد أن الأرجح أن السوفيت يحرضون السوريين على التقدم .(١٩) وأيا كان وجه الحق ، فإن التحركات الدبلوماسية والعسكرية الأمريكية منذ ذلك الوقت استهدفت حمل السوفيت على الضغط على السوريين لسحب قواتهم .

إدارة الأزمة

لم يصبح التدخل السورى نذيرا بالشؤم إلا فى يوم الأحد ٢٠ سبتمبر . ففى الوقت الذى كان فيه وزير الدفاع ليرد ينفى أى حاجة إلى تدخل أمريكى ، كان نيكسون يتأهب لهذا الطارىء المحتمل

على وجه التحديد . فقد كانت هذه الأزمة أزمته هو وليس أزمة ليرد أو روجرز . ولن يشارك في قرارات الرئيس مشاركة كاملة إلا كيسنجر .

وأوصى كيسنجر - وهو ماوافق عليه نيكسون - بزيادة حالة الاستعداد المعزز بالنسبة لبعض الوحدات العسكرية فى ألمانيا الغربية ، وصدرت الأوامر إلى الأسطول السادس بأن يتحرك إلى نقطة أبعد فى الشرق .(٢٠) وإلى جانب هذه الإشارات الموجهة إلى الاتحاد السوفيتى ، قام سيسكو بتسليم تحذير قوى إلى فورونتسوف بعد الظهر أكد فيه أن الاجراء الذى أقدمت عليه سوريا « يمكن أن يفضى إلى توسيع نطاق النزاع الحالى » .(٢١) وقام روجرز باستنكار « الغزو » السورى علنا .(٢٢)

وإلى جانب هذه التطورات ، كانت الدبلوماسية الأمريكية مشغولة فى ذلك اليوم بمهمتين حيويتين هما : أولا - ورد طلب عاجل من الملك حسين عن طريق معاونه المؤتمن زيد الرفاعى إلى السفير الأمريكى للحصول على مساعدة أمريكية ضد السوريين . وكان الوضع فى عمان تحت السيطرة ، ولكنه كان بالغ الخطورة فى الشمال . وفى ساعة متأخرة من ليل الأردن أمر الملك حسين الرفاعى بأن يبعث إلى السفير الأمريكى دين براون بطلب باللاسلكى للتدخل بالجو والبر من أى ناحية ضد الدبابات السورية .(٢٣)

وفى واشنطن اجتمع فريق العمل الخاص فى الساعة السابعة مساء للنظر فى نداء الملك غير المعتاد . ويؤخذ من أقوال كيسنجر « إن استعراضا سريعا للآراء المؤيدة والمعارضة للتدخل الأمريكى العسكرى عزز اقتناعنا بأن قواتنا تستخدم أفضل استخدام فى تشديد القبضة ضد التدخل السوفيتى فى العمليات الاسرائيلية . وعلينا ، إذا أردنا أن نكون فعالين من طرف واحد أن نشرك احتياطينا الاستراتيجى كله ؛ وعندئذ ستطول خطوطنا إلى ما يقرب من نقطة الانكسار فى مسرحين متباعدين تباعدا واسعا ، ونصبح مكشوفين إزاء أى طارىء جديد . فلا بد أن تدخل قواتنا بدون معدات ثقيلة وبدعم جوى فقط من حاملات الطائرات . »(٢٤)

واستدعى نيكسون كيسنجر من الاجتماع فى الساعة السابعة وخمسين دقيقة مساء ودعا كبار أعضاء فريق واشنطن للعمل الخاص إلى مكتبه فى الساعة الثامنة مساء . وبعيد ذلك ، تلقى نائب كيسنجر الكسندر م . هيج (الابن) مكالمة من السفير البريطانى تحمل أخبارا بأن الملك يطلب الان توجيه ضربات جوية مباشرة . كما أبلغ فريق واشنطن للعمل الخاص بأن مدينة إربد سقطت فى أيدى القوات السورية .(٢٥) ولمواجهة هذه التطورات ، أوصى فريق واشنطن للعمل الخاص بأن يوضع اللواء المحمول جوا فى ألمانيا والفرقة الثانية والثمانون المحمولة جوا فى أعلى درجات التأهب ، وأن تطير طائرة استطلاع من إحدى الحاملات إلى تل أبيب للحصول على معلومات عن الأهداف ولتوجه إشارة بأن العمل العسكرى الأمريكى قد يكون وشيكا .(٢٦)

وحوالى الساعة التاسعة والنصف مساء ذهب كيسنجر بصحبة سيسكو لمقابلة نيكسون الذى اتفق أن كان فى حديقة البولنج فى مبنى المكتب التنفيذى القديم . ووافق نيكسون على توصيات فريق واشطن للعمل الخاص ، ووافق على أهمية البقاء على اتصال بالسفير رابين .

وكانت جولدا مائير ورابين فى نيويورك فى تلك اللحظة فى عشاء مقام لجمع تبرعات . وفى الساعة العاشرة مساء نجح كيسنجر فى الاتصال برابين تليفونيا . وأبلغ رابين أن الملك قد طلب مساعدة ، ولكن الولايات المتحدة تحتاج بصورة عاجلة إلى معلومات المخابرات عن مواقع السوريين قبل أن تتمكن من الاستجابة . فهل فى وسع إسرائيل أن تطير طائرات استطلاع بمجرد طلوع الشمس ؟ وسأل رابين عما إذا كانت الولايات المتحدة تحبذ قيام إسرائيل بضربة جوية . فقال كيسنجر إنه يطلب أولا الاطلاع على نتائج الاستطلاع . ويقول كيسنجر إنه وصلت فى هذه اللحظة رسالة جديدة من الملك حسين فقطع المحادثة .(٢٧)

وقد تحدثت رسالة الملك الجديدة عن الوضع الذى يتدهور سريعا وعن الحاجة الملحة إلى توجيه ضربات جوية ، وربما دعا الأمر إلى قوات برية . وتحدث كيسنجر مع روجرز ، وقرر كلاهما التوصية لنيكسون بأن من الضرورى أن تؤيد الولايات المتحدة توجيه ضربة جوية إسرائيلية . وعاد سيسكو وكيسنجر إلى حديقة البولنج للحصول على موافقة الرئيس ، الذى كان مستعدا لذلك . وعاد كيسنجر إلى الاتصال برابين ليبلغه فى هذه المرة بأن الولايات المتحدة تنظر نظرة تحبيذ إلى قيام إسرائيل بهجوم جوى فيما إذا أكدت عمليات الاستطلاع أن سوريا تسيطر على إربد بقوات مسلحة ضخمة .(٢٨) وقبل منتصف الليل ، عاود رابين الاتصال لابلاغ رد مائير . فستقوم إسرائيل بإرسال طائرات استطلاع عند انبلاج الفجر . وقد لا تكون العمليات الجوية كافية ، ولكن إسرائيل لن تقدم على أى عمل آخر دون مشاورات .

كان يوم الاثنين ٢١ سبتمبر يوما حاسما فى الشرق الأوسط . فقد طلب الملك حسين معونة ، ولكنه أوضح بجلاء أن الكلمة الأخيرة بشأن نوعية التدخل يجب أن تكون للأردن . وهو يفضل اشتراك الولايات المتحدة أو بريطانيا العظمى وليس الاسرائيليين وحدهم .

وفى وقت مبكر من ٢١ سبتمبر اتصل رابين بالبيت الأبيض للقول بأن إسرائيل لا تعتقد بأن الضربات الجوية وحدها تكفى ، فربما دعا الأمر إلى عمليات برية أيضا . فاتصل كيسنجر بنيكسون ، وبعد فترة قصيرة من المداولات ، قام نيكسون بإملاء رسالة إلى رابين . ويؤخذ من أقوال كيسنجر أنه قال : « لقد قررت ذلك . لا تسأل أى شخص آخر . قل له « امض » . »(٢٩) ثم تشاور كيسنجر مع روجرز وليرد . وكانت لهما تحفظات ووافق نيكسون مترددا على عقد اجتماع كامل لمجلس الأمن القومى فى الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة صباحا . وحضر الاجتماع ليرد وروجرز وباكارد وتوماس مورر (رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة) وكيسنجر . واعترض مورر على التدخل البرى للولايات المتحدة ببساطة لأن القدرة على ذلك غير متوافرة . ومن هنا ، فإذا دعا الأمر إلى عمل برى ، كان على إسرائيل أن تتصرف . وقد ادعت تقديرات المخابرات الواردة من إسرائيل أن فى منطقة إربد ما بين ٢٥٠ و٣٠٠ دبابة سورية .(٣٠) وأخيرا قرر نيكسون أن يقوم سيسكو بابلاغ رابين بأن الولايات المتحدة وافقت من حيث المبدأ على العمل البرى من جانب إسرائيل ، بشرط معرفة رأى الملك والتشاور المسبق معه .(٣١)

وفى خلال النهار ، ومع تغير الموقف فى الساحة ، عدل الملك طلبه الأول عدة مرات . ففى أثناء الصباح ، أوضح الرفاعى أن الملك يفضل ضربات جوية فقط ، أما التدخل البرى فسيكون

مقبولا دون موافقة أخرى فيما إذا تعطل الاتصال . وفى ساعة متأخرة من بعد الظهر طلب الرفاعى تسديد ضربة جوية مباشرة لوقف الدبابات السورية الزاحفة . وفى المساء ، غير الملك موقفه مرة أخرى ، وحث على قيام إسرائيل بعمليات برية داخل سوريا ، ولكن مع استبعاد التدخل الاسرائيلى المدرع فى الأردن .

وبالنظر إلى الوضع المتحرج فى الأردن والحاجة الواضحة إلى عمل إسرائيلى ، فقد أسندت إلى كيسنجر مسؤولية موافاة إسرائيل بردود عن قائمة من الأسئلة التى تدور حول السياسة الأمريكية فى حالة اتساع نطاق القتال . ولم تكن هناك ضرورة - على مايبدو - لقرارات أخرى ، مادامت إسرائيل ماضية فى تعبئتها على أى حال ، ومادامت المعركة لن يتم الاشتباك فيها مرة أخرى فى الأردن إلا فى اليوم التالى .

ومع تطور الأحداث ، أعد الإسرائيليون خطة لارسال ٢٠٠ دبابة إسرائيلية فى اتجاه إربد إلى جانب الضربات الجوية . وتضمن إسرائيل أن قواتها ستنسحب من الأردن بمجرد انتهاء العمليات العسكرية . ونقل كيسنجر وسيسكو إلى رابين مايفضله الملك ، وهو أن تكون العمليات البرية الإسرائيلية داخل سوريا وليس الأردن . وهذا العمل ينطوى على خطورة أكبر بكثير بالنسبة للإسرائيليين ، وقد يستثير ردا عسكريا مصريا بطول القناة ، أو يحرض حتى على توجيه تهديدات سوفيتية بالتدخل . ومن هنا طلب رابين التزاما أمريكيا بالحيلولة دون التدخل السوفيتى ضد إسرائيل ، كما طلب وعدا بالمساعدة إذا ماقامت مصر بالهجوم .

وبنهاية النهار نقل رابين إلى كيسنجر قرار مجلس الوزراء بالتدخل إذا ما استمرت الدبابات السورية فى زحفها فى يوم الثلاثاء . وستقوم القوات الجوية الإسرائيلية بالضرب أولا ، ولكن إن لم يكن هذا كافيا ، أرسلت قوة من الدبابات داخل الأردن ، وربما داخل سوريا أيضا . إلا أن رابين أصر على « مظلة » أمريكية تتمثل فى التزام رئاسى باستخدام القوة اللازمة للحيلولة دون مهاجمة السوفيت لإسرائيل ، وتتمثل أيضا فى وعد بتقديم أسلحة . ووافق نيكسون على الفور على الطلب الخاص بالاسلحة ، وجرت مناقشة مسهبة حول التأكيدات الخاصة « بالمظلة » دون التوصل مطلقا إلى اتفاق رسمى .(٣٢)

كان اليوم التالى ، وهو الثلاثاء ٢٢ سبتمبر ، يوما حاسما . فقد كان على إسرائيل أن تقدم على عمل ، بتشجيع من الولايات المتحدة ولكن دون اتفاق ملزم . أما حسين ، وقد اطمأن إلى أن إسرائيل والولايات المتحدة وراءه ، فقد أصدر فى آخر الأمر أوامره إلى سلاحه الجوى الصغير لمهاجمة الدبابات السورية حول إربد ، وهو ماقام به بنتائج تبعث على الرضا .(٣٣) وبحلول فترة ما بعد الظهر ، كانت الدبابات السورية قد شرعت فى الانسحاب من الأردن ، وأصبحت الحاجة إلى تدخل إسرائيلى أقل إلحاحا ، وأبلغ الملك - وهو يتحدث بشفرة - السفير براون بأن التدخل الإسرائيلى كان عملا طيبا « فى الأعالى فوق » ولكن ينبغى توجيهه إلى « أسفل تحت » فى مكان آخر(٣٤) ، أى أن الضربة الإسرائيلية الجوية مازالت مطلوبة ، ولكن التدخل البرى ينبغى أن يوجه فقط إلى سوريا . ولم تكن إسرائيل راغبة فى الاقدام على عمليات برية فى سوريا ، وبانتهاء النهار كانت احتمالات التدخل الإسرائيلى أو الأمريكى قد انتهت فعلا .(٣٥)

وكان كيسنجر ونيكسون قد اجتمعا عدة مرات فى ذلك اليوم . وكانا يدركان بصورة ذكية مدى صعوبة إقدام الولايات المتحدة على التدخل .(٣٦) وحتى مع إمكان الوصول إلى القواعد البريطانية فى قبرص ، فلن يستطاع القيام إلا بخمسين طلعة جوية يوميا فوق الأردن . أما طائرات الأسطول السادس فستكون قادرة على القيام بمئتى طلعة إضافية ، ولكن حتى هذا لا يمكن أن يقارن بما تستطيع إسرائيل القيام به . وبقدر كبير من الارتياح علم الرئيس بأن الدبابات السورية شرعت فى الانسحاب . ورغبة من كيسنجر فى مجرد التحقق من أن الاتحاد السوفيتى لم يغير موقفه ، فقد تحمل فى تلك الليلة مشقة إبلاغ فورونتسوف فى حفل استقبال مصرى بأن على السوفيت أن يكبحوا جماح أصدقائهم . « فقد بدأتموها أنتم وعميلكم وعليكم إنهاءها » .(٣٧) وكانت وزارة الخارجية قد أعلنت فى وقت سابق من نفس اليوم أن السوفيت يزعمون أنهم يكبحون جماح السوريين ، وإن كان كيسنجر اعتقد - على مايبدو - بأن إضافة بضع كلمات جافة ليس منها ضرر .

وبحلول يوم الأربعاء كانت مرحلة حرجة من مراحل الأزمة الأردنية قد انتهت . وبعد العصر بقليل اجتمع نيكسون مع رُوجرز وكيسنجر فى المكتب البيضاوى . وأثناء مناقشتهم للأزمة تلقوا أخبارا بأن جميع الدبابات السورية قد غادرت الأردن . وسرعان ما صدر بيان عن البيت الأبيض يرحب بالانسحاب السورى ، كما طلب من سيسكو بأن يتصل برابين للحصول على تأكيد منه بأن إسرائيل لن تقدم على أى تحرك عسكرى .(٣٨) وكان الأردنيون قد سيطروا على الموقف ولم يعودوا يريدون تدخلا خارجيا . وأما بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل فقد انتهت الأزمة . وقد احتفل نيكسون بذلك بأن لعب الجولف يوم الخميس فى « نادى الشجرة المشتعلة الريفى » مع روجرز ، وجون ن . ميتشل النائب العام ، وجورج مينى رئيس اتحاد العمال الأمريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية . وفى اليوم التالى أعلن فى الأردن وقف القتال .

وكان نيكسون فخورا بالطريقة التى عالج بها أزمة الأردن . وقارن أسلوبه المتسم بضبط النفس - وإن يكن شديد البأس - فى استخدام القوة العسكرية بأسلوب جون ف . كنيدى فى أزمة صواريخ كوبا فى أكتوبر ١٩٦٢ . وأثنى كثير من المشتركين على إدارة كيسنجر لفريق واشنطن للعمل الخاص . وبصورة عامة ، كان الجميع ابتداء من نيكسون وإلى آخر السلم سعداء بالأسلوب الذى عولجت به الأزمة . وفى ٢٦ سبتمبر طار نيكسون إلى روما فيما يشبه « موكب النصر » ، ومن هناك توجه إلى حاملة الطائرات « ساراتوجا » حيث قضى ليلة ٢٧ سبتمبر .

وفى الوقت نفسه كان الرئيس المصرى عبد الناصر يحاول ترتيب وقف لاطلاق النار يكون مستقرا ، وصيغة جديدة للتعايش بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . وكان عبد الناصر قد اختلف مع الفدائيين فى معارضتهم لمبادرة روجرز وفى رغبتهم فى الاطاحة بالملك حسين ، ولكنه لم يشأ أن يرى منظمة التحرير الفلسطينية وقد سحقتها قوات حسين . ومن هنا دعا حسين وعرفات وغيرهما من القادة العرب إلى القاهرة لوضع اتفاقية تنظم وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن ، وتحول دون مصادمات أخرى ، وتم التوقيع على الاتفاقية فى ٢٧ سبتمبر . وفى اليوم التالى سقط الرئيس عبد الناصر مريضا أثناء توديعه لضيوفه فى المطار . وعاد إلى المنزل حيث توفى بأزمة قلبية بعد ذلك بعدة ساعات . وبوفاة عبد الناصر انتهت حقبة من حقبات السياسة العربية . ومن قبيل المصادفة أن ذلك توافق مع بدء علاقة استراتيجية أمريكية إسرائيلية جديدة .

فى أعقاب الأزمة

على نطاق واسع اعتبرت محصلة أزمة الأردن ، نتيجة ناجحة للسياسة الأمريكية . والمؤكد أن نيكسون وكيسنجر صوراها على هذا النحو ، وهو ادعاء يبدو سائغا فى ضوء الأهداف الأمريكية المعلنة . فقد أصبح الملك حسين مستقرا فى السلطة . وتعرض الفدائيون لاضعاف شديد ، وتم إنقاذ الرهائن جميعا . وقد رد الأردن التدخل العسكرى السورى على أعقابه دون تورط إسرائيلى أو أمريكى . وامتنع الاتحاد السوفيتى عن التدخل المباشر بمجرد إقدام الولايات المتحدة على إجراء استعراض هائل للقوة . وصارت العلاقات الأمريكية الاسرائيلية أقوى منها فى أى وقت على الاطلاق . أما وقد جاءت نتيجة الأزمة متفقة مع أهداف الولايات المتحدة ، فإن قلة قليلة هى التى حفلت بدراسة هذه التطورات وإلى أى مدى كانت التصرفات الأمريكية أو الاسرائيلية مسؤولة عنها ، كما لم تدرس عن كثب أركان السياسة الأمريكية . ويبدو أن السياسات الناجحة معفاة من نوع التمحيص النقدى الذى تستأثر به حالات الفشل .

وهكذا استطاع نيكسون وكيسنجر أن ينالا الفضل عن المعالجة الناجحة لأزمة دولية كبيرة . وكان الأردن الحلقة الأولى فى سلسلة من استعراضات السياسة الخارجية التى زادت نيكسون هيبة وشعبية ، وجعلت اسم كيسنجر ملء السمع . وجاء فى إثر الأردن الانفتاح على الصين ، واتفاقية الحد من الأسلحة الاستراتيجية ، ومفاوضات فيتنام . صحيح أن كلا من هذه المنجزات يبدو متواضعا نوعا ما إذا نظرنا إليه من منظور عقدين من الزمان ، ولكنها أسهمت فى ذلك الوقت إسهاما هائلا فى إعادة انتخاب ريتشارد نيكسون فى نوفمبر ١٩٧٢ . ولاح أن نظريات السياسة الخارجية - وهى المفاوضات والانفراج والهيكل الجديد للسلام استنادا إلى توازن القوى بين الأقطاب المتعددة - قد اكتسبت كلها قيمة جوهرية فى الفترة التالية لأزمة الأردن .

أما العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، التى كانت قد وصلت إلى الحضيض فى أواسط عام ١٩٧٠ ، فسرعان ما أدت أزمة الأردن إلى رفعها إلى مستوى عال غير مسبوق . وكان يجرى داخل الجهاز البيروقراطى جدل تطاول عهده حول السياسة التى تتبع تجاه إسرائيل . وكانت الحكمة التقليدية ، وبصورة خاصة فى وزارة الخارجية ، تتحصل فى أن التأييد الأمريكى لاسرائيل يمثل عقبة أمام العلاقات الأمريكية العربية ، وأن الولايات المتحدة بتقديمها معونة اقتصادية وعسكرية إلى عدو العرب قد هيأت للاتحاد السوفيتى فرصة لتوسيع نطاق نفوذه فى الشرق الأوسط . ولئن تساءلت قلة - فى حالة متطرفة - حول ما إذا كان ينبغى للولايات المتحدة الدفاع عن وجود إسرائيل ، فقد كان من رأى كثيرين أن اتباع سياسة « عدم التحيز » ، بحيث لا تأخذ الولايات المتحدة جانب إسرائيل دائما أو تقوم بدور المورد الرئيسى للأسلحة لها ، هو خير ضمان لمصالح الولايات المتحدة فى المنطقة . ومن مؤدى هذا الرأى أن إسرائيل تمثل إحراجا لسياسة الولايات المتحدة أكثر منها رصيدا استراتيجيا لها . وحتى ولو كانت إسرائيل قوة عسكرية مؤثرة ، فإن هذه القوة يمكن استخدامها فى الدفاع عن إسرائيل فقط ، وليس للنهوض بالمصالح الأمريكية فى أماكن أخرى فى المنطقة .

وقد استاء الاسرائيليون بصورة عامة من الفكرة القائلة بأن التأييد الأمريكى يرجع بأصوله فى المقام الأول إلى السياسات المحلية ، أو إلى ضرب من ضروب الالتزام الأدبى الذى يستشعر بطريقة مبهمة . وهم يرفضون منطق الذين يدعون إلى « عدم التحيز » الذين يعتبرون إسرائيل عبئا على الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط . وقد بدأ الاسرائيليون ولاسيما بعد الانتصار العسكرى المدهش فى يونيو ١٩٦٧ ، يسوقون الحجة القائلة إن إسرائيل القوية تمثل مصلحة استراتيجية أمريكية .

ولكن الحجة الاسرائيلية جاءت قاصرة عن تحقيق الاقناع الكامل ، ولاسيما بالنسبة للمتخصصين فى شؤون الشرق الأوسط المتمرسين فى الجهاز البيروقراطى . وعدا كون هذه الحجة تبدو محققة لمصلحة ذاتية ، فهى لا تتفق مع حقائق الموقف بعد يونيو ١٩٦٧ . فالنفوذ السوفيتى فى المنطقة لم يتناقص ؛ بل حقق عوضا عن ذلك مستويات جديدة ولا سيما فى مصر وسوريا والعراق . واكتسبت القوى الراديكالية فى العالم العربى قوة ، ولاسيما مع قيام حركة الفدائيين ، ومع الانقلاب الذى حدث فى العراق فى يوليو ١٩٦٨ ، ومع الاطاحة بالملكية المحافظة فى ليبيا فى سبتمبر ١٩٦٩ . وإذا كان الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية عارفا بفضل إسرائيل فى الحد من مطامح عبد الناصر ، فلقد كان له أسلوب عجيب فى إظهار ذلك . فقد كان من جملة الذين انتقدوا تأييد أمريكا لاسرائيل أشد انتقاد ، وساق الحجة القائلة إن مثل هذا التأييد قد استفاد منه الراديكاليون والشيوعيون والصهيونيون وغيرهم من العناصر ذات الخطورة . وحتى الملك حسين ، الذى كان يعتقد أكثر من أى زعيم عربى آخر بأن إسرائيل هى عنصر هام فى توازن القوى الاقليمى ، غضب بسبب المعونة الأمريكية لاسرائيل وبسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلى للأراضى الأردنية السابقة . وشاطر فيصل فى رأيه القائل بأن الانتصار العسكرى لاسرائيل فى عام ١٩٦٧ وماتلاه من تأييد أمريكى لإسرائيل ، من شأنهما أن يؤديا إلى استقطاب المنطقة وصبغها بالصبغة الراديكالية ، ولن يربح من هذا إلا السوفيت وأصدقاؤهم .

ولقد كان نيكسون مستعدا ، وإن كان بصورة حذرة ، للسماح لوزارة الخارجية بأن تتبنى المنطق الخاص بنهج عدم التحيز إزاء النزاع العربى الاسرائيلى حتى نقطة معينة ، وكان من نتيجة ذلك إعداد خطة روجرز ووقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ . إلا أن هذين المسعيين كان كلاهما معيبا ، إذ تقاعس الاتحاد السوفيتى عن التعاون ؛ وتحرجت العلاقات الأمريكية الاسرائيلية تحرجا شديدا ، ولم يسفر ذلك عن شىء يستحق الذكر ؛ كما أن العرب لم يظهروا من العرفان إلا أقله إزاء تبنى الولايات المتحدة لضبط النفس فى توريد الأسلحة لإسرائيل .

ومع تزايد الأبعاد السوفيتية فى النزاع العربى الاسرائيلى خلال ربيع عام ١٩٧٠ ، بدأ نيكسون يتقبل حجة كيسنجر القائلة بأن اسرائيل القوية هى وحدها التى تستطيع أن تتعامل مع الوجود السوفيتى المتنامى فى مصر ، لأنه لو سمح للاتحاد السوفيتى بأن ينجح فى مساعدة عبد الناصر على استرداد سيناء بقوة السلاح لكان معنى ذلك أن تطلب المعونة السوفيتية فى المنطقة بأسرها . ولا سبيل إلى حماية المصالح الأمريكية إلا بإحباط الخطة السوفيتية المصرية . ومن هنا فإن إرسال الأسلحة إلى إسرائيل كفيل بأن يخدم مصلحة عالمية هامة للولايات المتحدة .

أدت انتهاكات وقف إطلاق النار فى أغسطس إلى خلق الجو السياسى اللازم لنيكسون للتحول ـ بتشجيع من كيسنجر ـ إلى إسرائيل باعتبارها حليفا استراتيجيا . وقد بدا أن السوفيت والمصريين كانوا يتعاملون بالخداع ، ويحاولون استغلال سياسة ضبط النفس الأمريكية لدق إسفين بين إسرائيل والولايات المتحدة . وكان نيكسون حريّا ، حتى بدون أزمة الأردن ، بأن يوافق على معونة جديدة من الأسلحة لإسرائيل ، ولكن الأزمة أعطته المبرر المنطقى المقنع لسياسة تستند إلى تسليح إسرائيل باعتبارها رصيدا استرتيجيا للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . فعندما نشأت حالة طارئة ، كانت القوات الاسرائيلية جاهزة لحماية الملك حسين ، وهى مهمة كانت حريّة بأن تكون أصعب من ذلك بكثير بالنسبة لقوات الولايات المتحدة .(٣٩) ومجرد وجود إسرائيل جعلها تردع سلاح الطيران السورى عن دخول المعركة ؛ ولابد أن المدرعات الاسرائيلية التى تم حشدها فى مرتفعات الجولان قد ساعدت على إقناع السوريين بضرورة انسحابهم . ثم إن إسرائيل والولايات المتحدة ، بمساعدتهما أيضا فى إكراه سوريا على التراجع ، قد زادا من تلطيخ صورة السوفيت فى المنطقة فى حين أظهرا للنظم العربية المعتدلة بأن فى وسعها الاعتماد على تأييد أمريكى فعال . وتشى التفاهمات ـ مثلما تحققت ـ التى أجريت بين كيسنجر ورابين فى ٢١ سبتمبر ١٩٧٠ بإمكان إنشاء علاقة استراتيجية بعيدة المدى بين البلدين .

وقد ازدهرت العلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى السنين الثلاث التالية ، وقدمت واشنطن معونة من مستويات عالية بدرجة غير معتادة . ومما أثار ارتياحا لدى الطرفين أن المنطقة ظلت هادئة نسبيا ، وأن النفوذ السوفيتى بدا آخذا فى الانخفاض . وعندما قام الرئيس أنور السادات فجأة بطرد أكثر من عشرة آلاف مستشار عسكرى سوفيتى من مصر فى يوليو ١٩٧٢، فلا بد أن نيكسون وكيسنجر ومائير ورابين قد هنأوا أنفسهم جميعا بنجاح سياستهم المشتركة .

والواقع أن ماجاء فى أعقاب أزمة الأردن كان يمثل فترة موقوتة من فترات الاستقرار النسبى ، إذ ظل وقف إطلاق النار ساريا على جميع الجبهات ، ونجح الملك حسين فى إعادة إقرار سلطانه فى الأردن الذى طردت منه فلول الفدائيين فى يوليو ١٩٧١ . وازدهرت العلاقات الأمريكية الأردنية ، ووصلت إلى مستويات كبيرة من العون الاقتصادى والعسكرى . وأصبح الأردن يعامل بوصفه شريكا إقليميا للولايات المتحدة . وفى رأى الملك حسين أن المهمة الخاصة للأردن نيابة عن المصالح الأمريكية تتمثل فى النهوض بالاستقرار فى الدول العربية الصغيرة المنتجة للنفط فى الخليج بعد رحيل البريطانيين فى عام ١٩٧١ .(٤٠) وقد بذل نيكسون وكيسنجر شيئا من التشجيع للملك ، وزادا من المعونة للأردن تبعا لذلك . ووفقا لأسلوب مبدأ نيكسون ، فإن إسرائيل والأردن وإيران كانت ، من حيث وجهة النظر الرسمية لواشنطن ، تبرز باعتبارها حفظة السلام الاقليمى . وإن تقديم المعونة والأسلحة إلى هؤلاء الشركاء للولايات المتحدة من شأنه أن يقوم مقام البديل لحضور أمريكى عسكرى مكلف فى المنطقة ، أو البديل لتدخل عسكرى بغيض .

وفى أماكن أخرى من الشرق الأوسط ،فإن الاتجاهات التى ظهرت بعد أزمة الأردن بدت مواتية . ففى سوريا قام اللواء حافظ الأسد فى نوفمبر ١٩٧٠ بطرد جناح حزب البعث الذى كان له أكبر ضلع فى التدخل فى الأردن ، وتواتر أن زعماء سوريا الجدد هم أكثر اعتدالا ، أو فى

القليل أكثر حذرا ، من النظام السابق . أما السادات فقد ارتأت فيه واشنطن أنه يمثل تحسينا كبيرا بالمقارنة بعبد الناصر . وعلى أى حال ، فإن هيبة السادات فى العالم العربى كانت أقل مما دان لعبد الناصر ، وبالتالى فإن احتمال إثارته للمتاعب أقل . فلعله ينصرف إلى مشكلات مصر المحلية بدلا من أن يشجع على الثورة فى أماكن أخرى ، ولطالما كان هذا هو الأمل بالنسبة لراسمى السياسة الأمريكية ، كما كان هذا هو مبررا أساسيا لبرامج المساعدة المقدمة لمصر فى أوائل عقد الستينات .

كان السادات فى بادىء الأمر شيئا شبيها باللغز من حيث السياسة الخارجية . فلم تكن مشاعره معروفة بإزاء الاتحاد السوفيتى ، ولكن بحلول ربيع عام ١٩٧١ ، وبعدما نجح السادات فى البقاء إثر انقلاب نظمه أقرب معاونى عبد الناصر ، تجلت بصورة أوضح ميول السادات المعادية للسوفيت . وهكذا فإن الاتجاه حتى فى مصر بدا اتجاها مشجعا .

الدروس المستفادة

كانت النتيجة النهائية للتطورات الاقليمية التى نجمت عن أزمة الأردن تتمثل فى تغذية شعور بأن هناك تواطؤا بين إسرائيل والولايات المتحدة . أما المخاوف التى استحوذت على راسمى السياسة بين عالمى ١٩٦٧ و ١٩٧٠ بشأن انتشار الراديكالية والاستقطاب والمواجهة ، فقد تبددت بعد سبتمبر ١٩٧٠ . وبدت المنطقة الآن مستقرة نسبيا ، أما مفتاح هذا الاستقرار فهو التوازن العسكرى الذى حابى إسرائيل دون أى شك . وأما التهديد الرئيسى الباقى فمصدره الوجود العسكرى السوفيتى المستمر فى مصر وسوريا . ومن هنا أصبح الهدف الرئيسى للسياسة الأمريكية الاسرائيلية هو أن يوضح للسادات بأن الوجود العسكرى السوفيتى فى بلاده يمثل عقبة فى سبيل استرداده لسيناء ، وأى أسلحة سوفيتية تقدم لمصر ستقدم أسلحة أمريكية فى مقابلها إلى إسرائيل ، مما ينتفى معه الخيار العسكرى أمام السادات . وما دام الوجود العسكرى السوفيتى باقيا فى مصر ، فإن الدبلوماسية الأمريكية لن تبذل إلا محاولات فاترة الهمة فى سبيل إجراء تسوية .

أما الجذور الخاصة بهذا الرأى الذى هيمن على السياسة الأمريكية فى السنين الثلاث التالية ، فيمكن ردها إلى أزمة الأردن . فقد أقنع نيكسون وكيسنجر نفسيهما بأن إسرائيل اضطلعت بدور حيوى فى العمل على وقف الغزو السورى للأردن الموحى به من السوفيت ، وأنها ربما استطاعت الاضطلاع بدور مماثل فى إفساد خطط السوفيت فى مصر . إلا أن نيكسون وكيسنجر أخفقا فى إدراك بعدين حاسمين فى أزمة الأردن .

أولهما - وعلى المستوى الاقليمى - أنهما أساءا تفسير الغزو السورى ، وبالغا فى تأكيد الدور السوفيتى ، وقللا لأدنى حد من أهمية أن الغزو إنما نشأ عن سياسات سورية داخلية . والفرق كبير . فإذا كانت العمليات السورية ترتد بجذورها إلى السياسات السورية المحلية أصلا ، فإن أى سياسة موجهة إلى الاتحاد السوفيتى لا يرجى منها تأثير كبير . ولعل الانسحاب السورى من الأردن لم يكن له بالضغط السوفيتى إلا شأن قليل ، وكان له شأن أكبر بامتناع اللواء حافظ الأسد عن توريط سلاح الطيران السورى فى مغامرة خطط لها غريمه صلاح جديد . ولعل مفتاح التقهقر السورى

هو قوة الأردن مضافا إليها الخطر الواضح للتدخل الاسرائيلى ، وليس الخطوات التى اتخذها السوفيت فى الرد على التهديدات الأمريكية . وصفوة القول إن السياسة الأمريكية فى الأزمة ربما كان لها أثر قليل جدا على قرار سوريا بسحب مدرعاتها .

وثانيهما ـ أن نيكسون وكيسنجر بالغا فى البعد الأمريكى السوفيتى الشامل للأزمة . فلم يكن للسوفيت مصلحة كبيرة نسبيا فى الأردن ، ولم يكونوا على علاقات طيبة بصورة خاصة مع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تنتقد زبونهم الأول فى المنطقة ، وهو الرئيس عبد الناصر . وكانت سوريا تتلقى مساعدة عسكرية ولكنها كانت ترفض اتباع الخط السياسى السوفيتى بشأن التسوية . يضاف إلى هذا أن سوريا كانت تعانى من انقسامات بين الفصائل ومن عدم الاستقرار ، وأنها كانت داخلة فى عراك مع مصر والعراق ، كما كان من غير المستطاع التنبؤ أساسا بتصرفاتها . وبمجرد دخول وحدات سوريا إلى الأردن فعلا فى أزمة سبتمبر اتخذ السوفيت سياسة حذرة ، ولم يقوموا بأية تهديدات ، وقاموا ـ عوضا عن ذلك ـ بالتحذير من كل تدخل خارجى فى الأردن ، ودعوا إلى وقف إطلاق النار ، ثم اكتسبوا الفضل الواضح لأنهم قاموا بمساع فى دمشق لوضع حد للقتال .(٤١)

ولو كان الموقف السوفيتى مبنيا فى المقام الأول على الموقف القوى الذى اتخذته الولايات المتحدة ، ولو كانت الضغوط السوفيتية قد أثرت تأثيرا كبيرا فى مسلك سوريا فى الأزمة ، فلربما كان يحق لنيكسون وكيسنجر أن يستنتجا أن اجتماع التهديدات الأمريكية والاسرائيلية بالإقدام على إجراء هو الذى أثمر النتيجة المطلوبة . ولكن ليس ثمة دليل على أن هذا كان هو الحال . وليس معنى هذا أن نيكسون وكيسنجر كانا على خطأ فى قيامهما باستعراض عنيف للقوة فى أزمة الأردن . فلعل ذلك كان ـ ضمن أمور أخرى ـ إشارة مفيدة للسوفيت والصينيين . أما الخطأ فهو الخروج باستنتاج مؤداه أن نتيجة الأزمة كانت ترجع أساسا إلى ماعملته أمريكا ، وهذه النتيجة كانت فى القليل تقبل المناقشة . ولكنها أصبحت بدلا من ذلك بديهية فى المناقشات العامة اللاحقة بشأن السياسة .

ومع أن نيكسون وكيسنجر كانا على خطأ فى الأهمية التى نسباها إلى المسلك الأمريكى فى أزمة الأردن ، فهذا لا يعنى ضمنا أن دور الولايات المتحدة كان عديم الأهمية . ولعل المساهمة الأمريكية كانت ، ولو فى جانبين على الأقل ، ضرورية لتحقيق النتيجة الاقليمية . فأولا ، كان الملك حسين فى حاجة إلى تشجيع لكى يعتمد اعتمادا تاما على موارده العسكرية الخاصة ـ فقد كان ـ على مايبدو ـ خائفا من توريط سلاحه الجوى الخاص دون ضمانات بأن المساعدة الخارجية ستكون متاحة إذا ما تعرض لمتاعب . ولعل استعداده لأن يأمر بهجوم مضاد ناجح فى ٢٢ سبتمبر ـ وهو الذى انتفت معه الحاجة إلى عمل من جانب الولايات المتحدة وإسرائيل ـ كان نتيجة للتأكيدات التى تلقاها من الولايات المتحدة .

أما المسألة الثانية فهى أن الولايات المتحدة هى التى نسقت رد الفعل الاسرائيلى . فلو ترك الزعماء الاسرائيليون لشأنهم ، فربما اختلف رد فعلهم إزاء أزمة الأردن . ولكن إسرائيل ، وهى تعمل مع الولايات المتحدة عن كثب ، قد جعلت قوتها متاحة بالشروط التى يستطيع الملك حسين

قبولها بها . ولأنه لم يكن هناك اتصال مباشر بين اسرائيل والأردن أثناء الأزمة ، فكان من الممكن أن تحدث أخطاء خطيرة فى الحسابات . ولهذا كانت الولايات المتحدة على اتصال وثيق ومستمر مع الطرفين ، وكان فى وسعها أن تحث إسرائيل على ضبط النفس فى بداية الأزمة ونهايتها ، مع ضمان أن إسرائيل مستعدة للعمل فى اللحظة الحاسمة يوم ٢٢ سبتمبر . وحتى يتسنى للولايات المتحدة أن تضطلع بهذا الدور بصورة فعالة ، فقد كان عليها أن تفكر فى وضع قواتها الخاصة على الخط كاحتياطى محتمل للعملية الاسرائيلية .

ولو نظر إلى التصرف الأمريكى فى الأردن فى هذا الضوء ، لتبين بأنه لم يبرح أن يكون تصرفا ناجحا نسبيا . فقد تحمل حسين المخاطر الضرورية فى ٢٢ سبتمبر لأنه كان يعرف أن المساعدة ستكون فى متناوله إذا اقتضى الأمر . ومن هنا نجح فى استبعاد الحاجة إلى تدخل أمريكى أو إسرائيلى . والدرس المستفاد من الأزمة من هذا المنظور هو أن الدبلوماسية الأمريكية ساعدت ، من خلال مزيج من الدهاء وضبط النفس مقترنين بقوة تُرى رأى العين ، على خلق وضع استطاع فيه الأردن أن يعالج فيه مشكلاته الخاصة . إلا أن الدبلوماسية الأمريكية نجت بأعجوبة ، بسبب ما انطوى عليه الوضع من عدد من العناصر التى لا يستطاع التكهن بها ، مثل توازن الأجنحة الحزبية في سوريا وأمزجة الملك حسين المتغيرة . وسيكون من العسير تكرار التجربة الأردنية فى مكان آخر ، ولاسيما فى الحالات التى قد لا تكون المصالح الأمريكية والاسرائيلية متشابكة بمثل هذا الوضوح مع مصالح أى من النظم العربية الأخرى . وحتى فى هذه الأزمة ، فإن الولايات المتحدة وإسرائيل لم تكونا على اتفاق كامل فى الرأى . فقد وصف رابين الرد الأمريكى على « المظلة » التى طلبها بأنه يمثل « ورطة » مما قد يلمح إلى المشكلة التى يواجهها أى رئيس يعد باستخدام القوة بالنيابة عن دولة أجنبية دون موافقة الكونجرس .(٤٢)

ماهى المبادىء التوجيهية التى يمكن استخلاصها من هذه الأزمة لمعالجة المشكلات الخطيرة الخاصة بالنزاع المصرى الاسرائيلى ، أو الخاصة بالقضايا الأوسع المتعلقة بالوجود السوفيتى فى الشرق الأوسط ؟ ماهو الدرس المتعلق بدور التهديدات الأمريكية باستخدام القوة فى الأزمة ؟ وهل كانت هذه التهديدات فعالة حقيقة ؟ وضد من ؟ فالذى حدث بعد كل هذا هو أن التدخل السورى جاء بعد التهديد الذى نشر على نطاق واسع الذى صدر فى ١٧ سبتمبر من نيكسون ، وبعد التحرك الظاهر للعيان للقوات العسكرية الأمريكية فى اتجاه شرقى البحر المتوسط . فهل كان من المحتمل ألا يأخذ السوريون التهديدات مأخذ جد ، أم أنهم ثابوا إلى رشدهم عندما ووجهوا بالضغط السوفيتى وقوة إسرائيل ؟ تلك كانت أسئلة مشروعة ، تستحق فعلا أن تثار ، ولكن كان من الأيسر جدا على نيكسون وكيسنجر أن يعتقدا بأن القوة والدبلوماسية الأمريكيتين هما المسؤولتان عن النتيجة المواتية . وقد اعتبرت إسرائيل الشريك الصغير النافع فى الادارة الناجحة لاختبار عالمى خطير لارادات الدولتين العظميين .

وكانت نتيجة هذه الحقائق المدركة هى وضع سياسة أمريكية فى السنين التالية تركز بصورة ضيقة على إسرائيل والأردن والاتحاد السوفيتى . وكان التوازن العسكرى يعتبر مفتاحا للاستقرار ، إن لم يكن للسلام . وأولى إرسال الأسلحة إلى إسرائيل والأردن أولوية أعلى من أولوية مبادرات

السلام الجديدة . وقل الاهتمام بالتطورات السياسية فى المنطقة ، وبالاحباط المتزايد فى مصر وسوريا وبين الفلسطينيين ، ويتنامى نزعة التشدد لدى العرب الذين بدأوا يفطنون إلى القوة الكامنة التى يمتلكونها بفضل مواردهم البترولية .

وصفوة القول أن السياسة الأمريكية أصبحت أسيرة للنجاح المتصور فى معالجة الأزمة الأردنية . ولم يكن نيكسون وكيسنجر يهتمان - على مايبدو - إلا بالبعد العالمى للصراع ، فهو كل ما يعنيهما . ولقد كان تجاهلهما للاتجاهات الاقليمية سببا فى سوء تقديرهما لنفس القوى التى كانت حريّة بعد ثلاث سنين بأن تفضى إلى اندلاع حرب أخطر من ذلك بكثير . وفى هذه الأثناء أقدمت وزارة الخارجية على بذل عدة مساع دبلوماسية غير مجدية ، ولكن نيكسون وكيسنجر ، بعد ما اضطلعا بالمسؤولية عن سياسة الشرق الأوسط أثناء أزمة الأردن ، أحجما عن التخلى عن السلطة لروجرز وسيسكو . وكانت نتيجة ذلك سلسلة من المبادرات الفاترة الهمة من جانب وزارة الخارجية التى افتقرت إلى تأييد البيت الأبيض ، وأدت ببساطة إلى تعاظم مشاعر الاحباط بين العرب ، فى حين عززت الشعور باللامبالاة الذى أحس به فى إسرائيل وواشنطن .

وربما ضاعت عدة فرص هامة للسعى لتسوية سياسية للنزاع فى أثناء هذه الفترة ، وهى فرص غابت ملاحظتها عن نيكسون وكيسنجر اللذين كانا واقعين فى فخ من المدركات هو - إلى حد كبير - من صنعهما . وإن فترة « دبلوماسية المراوحة » (محلك سر) بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٣ لن تندرج فى حوليات السياسة الخارجية الأمريكية باعتبارها سياسة تتسم بالاستنارة . فلقد أسفر النجاح فى الأردن فى عام ١٩٧٠ - من نواح كثيرة - عن سلسلة من حالات الفشل فى السنين التالية كانت ذروتها حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الفصل السادس

كيسنجر : ديبلوماسية المراوحة ، ١٩٧١ ـ ١٩٧٣

مع استمرار وقف إطلاق النار فى قناة السويس ، واستعادة الملك حسين لسلطانه فى الأردن ، ووفاة الرئيس المصرى جمال عبد الناصر ، بدا لراسمى السياسة الأمريكيين أن الوضع فى الشرق الأوسط أقل خطورة وأسلس قيادا منه فى أى وقت منذ حرب عام ١٩٦٧ . فقد انتهى خطر المواجهة الأمريكية السوفيتية ، وخرجت المصالح الأمريكية سليمة من تلك الفترة العسيرة ، وقل الآن الالحاح على التقدم بمبادرات ديبلوماسية أمريكية جديدة .

قبل نشوب أزمة الأردن ، كانت وزارة الخارجية هى المسؤول الأول عن صياغة وإدارة السياسة تجاه النزاع العربى الاسرائيلى . ولكن منذ ذلك الحين صار نيكسون وكيسنجر يضطلعان بدور أهم ، وذلك أساسا من خلال تأكيدهما على البعد السوفيتى فى الصراع الاقليمى ، ورغبتهما فى إقامة علاقات وثيقة مع إسرائيل . وعلى مدى السنوات الثلاث التالية ، امتنع البيت الأبيض عن المشاركة اليومية فى ديبلوماسية الشرق الأوسط ، ولكنه راقب وزارة الخارجية بعين مفتوحة للتأكد من عدم قيامها بنشاط مبالغ فيه . وفى خاتمة المطاف نجح نيكسون وكيسنجر فى تقويض مبادرات وزارة الخارجية وفى فرض سيطرة تكاد تكون كاملة على السياسة إزاء الشرق الأوسط .

وكانت وزارة الخارجية بطبيعة الحال عازفة عن التنازل عن هذا المجال الأخير الباقى لها من مجالات المسؤولية الموضوعية . وعوضا عن ذلك ، حاول وزير الخارجية روجرز ومساعده سيسكو لمدة تقرب من عام إحياء المساعى الديبلوماسية الأمريكية . ففى بادىء الأمر ، ركزا اهتمامهما على استئناف المحادثات من خلال السفير يارنج . ومع تعثر هذا المسعى فى فبراير ١٩٧١ ، بدآ يستكشفان اتباع نهج مختلف يستند إلى فكرة إجراء « تسوية مرحلية » بين مصر وإسرائيل . وبحلول شهر أغسطس ١٩٧١ فشل هذا النهج بدوره . وعلى مدى العامين التاليين اختفى النزاع العربى الاسرائيلى من عناوين الصحف ، وبقى الديبلوماسيون الأمريكيون هادئين وسلبيين على خلاف طابعهم المميز ، وتعاظم الاحباط العربى بتناسب مباشر مع حرارة العلاقة الأمريكية الاسرائيلية . وحتى الخطوة الجريئة التى أقدم عليها الرئيس السادات بطرده ما يزيد على عشرة آلاف مستشار سوفيتى من مصر فى يوليو ١٩٧٢ لم تكن كافية لكى تؤدى إلى إعادة تقييم جادة للسياسة الأمريكية . وعوضا عن ذلك ، فإن الديبلوماسية الأمريكية ظلت تهدف إلى ما أسماه

كيسنجر فيما بعد « الاحباط الكامل » للعرب ، وهى سياسة اعترف فيما بعد بأنها كانت قصيرة النظر ولعلها أسهمت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن هنا تبدو الفترة من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٧٣ باعتبارها إحدى الفرص الضائعة لمنع الحرب والتقدم نحو إجراء تسوية . ومع مزايا الادراك المؤخر للامور ، ربما قال المرء بأن نوع الاتفاقية التى تم التوصل إليها بين إسرائيل ومصر فى يناير ١٩٧٤ كان فى الوسع التوصل إليه قبل ثلاث سنوات وبتكلفة أقل بكثير . ولكن هذا الاستنتاج قد يكون خاطئا ، لأنه يغفل أن يدخل فى الحساب ما كان يحط على كاهل راسمى السياسة فى ذلك الوقت من مشاغل أخرى ثقيلة . ولابد للمرء أن يضع السياق الذى تتخذ فى ظله القرارات فى اعتباره عندما يلقى نظرة إلى الوراء ويتدبر ماكان حريا بأن يحدث .

ولكى يتسنى فهم هذا الجزء غير الموفق من الدبلوماسية الأمريكية فى الفترة بين أزمة الأردن وحرب أكتوبر ، لابد للمرء أن يتذكر أن الادارة كانت فى شغل شاغل بنواح أخرى من العالم ، فانصرف راسمو السياسة عن الشرق الأوسط إلى مناطق ذات أولوية أعلى وهم يتنفسون الصعداء . فالحرب الفيتنامية كانت لا تزال مستعرة ، ولكن كيسنجر بدأ فى مايو ١٩٧١ سلسلة من المحادثات السرية مع ممثلين على مستوى رفيع لفيتنام الشمالية سعيا منه إلى التوصل إلى تسوية تفاوضية . وبالتوازى مع هذه المحادثات الهامة ، كان نيكسون وكيسنجر يخططان لانفتاح هام على بكين ، وهو مارمزت إليه رحلة كيسنجر السرية إلى الصين فى يوليو ١٩٧١ . وأخيرا ، كانت هناك مفاوضات جادة مع الاتحاد السوفيتى حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية .

وقد عولج كل من هذه المجالات الثلاثة بحيث يستطيع نيكسون فى عام ١٩٧٢ - وهو عام انتخابات الرئاسة - أن يشير إلى منجزات واضحة للعيان : زيارات إلى بكين وموسكو ، ونهاية مأمولة للحرب فى فيتنام . وفرضت هذه الحتميات المتعلقة بسنة الانتخاب عدم بروز الدور الأمريكى فى الشرق الأوسط .(١) فمع انعدام أية فرصة للتوصل إلى اتفاقية تفاوضية هناك ، ركز نيكسون اهتمامه على الابقاء على الميزان العسكرى فى مصلحة إسرائيل ، وبهذا يحول دون اندلاع قتال غير مرحب به ، فذلك يكسبه دون ريب عرفان كثيرين من مؤيدى إسرائيل فى الولايات المتحدة .

كانت الفترة من ١٩٧١ إلى ١٩٧٣ غنية بدروسها من نواح شتى . فهى توضح كيف أن قضايا الشرق الأوسط يمكن أن تتأثر بالتطورات العالمية وبالسياسات المحلية الأمريكية . فالسياسة الخارجية الأمريكية تجنح فى الفترات التى تنعدم فيها الأزمات على وجه خاص إلى أن تكون سياسة منعدمة الحساسية بإزاء التطورات الاقليمية ، ومستجيبة - عوضا عن ذلك - للمفاهيم الاستراتيجية والمنافسات البيروقراطية والضرورات الانتخابية . والمرجح أن يكون التأرجح الذى تتصف به السياسة الأمريكية فى كثير من الأحيان ، ولاسيما فى الشرق الأوسط ، أشد وضوحا فى أمثال هذه الأوقات . فالرئيس يكون أقل انغماسا منه فى أوقات الأزمات ، ومن هنا يترك للبيروقراطية أن ترسم السياسات التى قد تفشل فى آخر الأمر لافتقارها إلى تأييد الرئاسة .

ولم يبرز فى تلك الفترة إلا مفهوم واحد جديد بشأن السياسة بإزاء النزاع العربى الاسرائيلى . ذلك أن الولايات المتحدة ، استجابة منها لاقتراحات إسرائيلية ومصرية ، تخلت عن نهج « التسوية الشاملة » وبدأت تؤكد على صواب التوصل إلى اتفاقيات جزئية غير مرتبطة بخطة السلام النهائى . وفى ربيع ١٩٧١ طرحت مبادرة جادة وإن تكن معيبة ؛ انتهت بعد بضعة أشهر إلى الفشل . إلا أن مفهوم « الخطوات المرحلية » جرى إحياؤه فى نهاية المطاف فى قالب جديد من جانب هنرى كيسنجر ، وهو نفس الشخص الذى عارض مسعى عام ١٩٧١ ، وهو الذى كتب الشهرة لدبلوماسية الخطوة خطوة . وبحلول هذا الوقت طبعا لم يكن روجرز وزيرا للخارجية ، وأصبح سيسكو ، مهندس مبادرة عام ١٩٧١ ، وكيلا لوزير الخارجية كيسنجر وكبير المستشارين بشأن السياسة فى الشرق الأوسط .

محادثات يارنج والعلاقات الأمريكية الاسرائيلية

أثناء قيام المسؤولين الأمريكيين باستعراض للسياسة حول الشرق الأوسط بعد أزمة الأردن ، قاموا بدراسة عدة اتجاهات بديلة ، بما فى ذلك نهج يدعو إلى التعامل مع الفلسطينيين مباشرة قبل تقرير استئناف مبادرة روجرز التى توقفت فى شهر يونيو السابق .(٢) على أن تبقى العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وثيقة فى هذه المرة . وكان كيسنجر على وجه الخصوص يعتقد أنه إذا ما أقدمت إسرائيل فى أى وقت على إجراء تنازلات ، سيكون ذلك من موقف قوة وثقة فى النفس وليس بناء على ضغط أمريكى . ومن ثم ، اعتمدت سياسة ذات مرحلتين : أولاهما أن يتم التوصل إلى تفاهم مع إسرائيل حول النقاط التى تتناولها محادثات يارنج وحول المساعدة العسكرية الأمريكية ؛ وثانيتهما أن يتم تشجيع يارنج على الاضطلاع بدور أكثر فاعلية من دوره السابق فى السعى إلى اتفاق على المبادىء الأساسية لاتفاقية سلام . وأن تقوم الولايات المتحدة بتأييد جهود يارنج من خلال محادثات ثنائية مع كل من إسرائيل ومصر والأردن . وكانت وزارة الخارجية حريصة على أن يحاول يارنج إقرار المبدأ القائل بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة فى مقابل التزام العرب بالسلام ، وذلك - فى نهاية الأمر - جوهر خطة روجرز الأصلية .

وكانت الخطوة الأولى فى المبادرة الأمريكية الجديدة ، هى حمل إسرائيل على العودة إلى محادثات يارنج ، ومد أجل وقف إطلاق النار إلى ما بعد تاريخ انتهائه فى أوائل نوفمبر . وفى ١٥ أكتوبر وافق نيكسون على صفقة أسلحة لاسرائيل قيمتها ٩٠ مليون دولار ، قوامها أسلحة مضادة للدبابات وطائرات استطلاع وغير ذلك من المعدات الصغيرة .(٣) يضاف إلى هذا أن الادارة قررت أن تسعى لاعتماد مبلغ إضافى قدره ٥٠٠ مليون دولار لاسرائيل فى السنة المالية الجارية لتغطية نفقات الأسلحة .(٤) وكانت إسرائيل متلهفة بصورة خاصة على الحصول على ضمان بتوريد طائرات عالية الأداء فى عام ١٩٧١ ، وطلبت ٥٤ طائرة من طراز « اف - ٤ » و ١٢٠ طائرة من طراز « أ - ٤ » . كما بدأ الاسرائيليون يلحون فى عقد اتفاقيات عسكرية طويلة الأجل منعا لما اتسمت به السنتان السابقتان من التوقف الدورى فى توريد الأسلحة والمنازعات المتعلقة بذلك .

وبرغم القرار الأمريكي بإرسال كميات كبيرة من الأسلحة إلى إسرائيل ، وافق أنور السادات رئيس مصر الجديد على مد أجل وقف إطلاق النار فى أوائل نوفمبر لمدة ثلاثة أشهر . وتوقع أن تستأنف محادثات يارنج فى تلك الفترة وأن تسفر عن نتائج . كما بدأت مصر والاتحاد السوفيتى فى إبداء الاهتمام بالضمانات الخارجية باعتبارها جزءا من تسوية سلمية . فإذا تبنت الولايات المتحدة هذه الفكرة ، ربما تكون مستعدة للضغط على إسرائيل كى تتخلى عن الأراضى العربية في مقابل ضمانات من الدول الكبرى . وأيا كان الأمر ، فربما كانت هذه الفكرة تلقى قبولا لدى الأمريكيين .(٥)

على أن المشكلة المباشرة التى واجهت نيكسون كانت حمل الاسرائيليين على العودة إلى محادثات يارنج . وكانت ذكرى انتهاكات وقف إطلاق النار فى أغسطس والتأرجح الأمريكى قوية فى أذهان إسرائيل ، فقررت رئيسة الوزراء مائير أن تتقاضى ثمنا باهظا لاستئناف محادثات يارنج . وفى ٧ نوفمبر أبلغ إيبان وزير الخارجية الاسرائيلى روجرز أن إسرائيل قد تعود إلى محادثات يارنج فى المستقبل القريب ، ولكنها تحتاج أولا إلى تطمينات من الولايات المتحدة .

وفى أول ديسمبر كتبت رئيسة الوزراء مائير إلى نيكسون طالبة التزامات صريحة بشأن تسليم الطائرات بعد نهاية العام ؛ وبشأن تحرر إسرائيل من الضغط الأمريكى فى المفاوضات المقبلة ؛ وبشأن تأييد إسرائيل ضد التدخل السوفيتى فى الشرق الأوسط ؛ وبشأن استخدام الفيتو الأمريكى ضد أى قرار معاد لاسرائيل يعرض فى الأمم المتحدة .(٦) وبعد ذلك بيومين رد نيكسون بتطمينات عامة وبمطالبة إسرائيل بصورة قوية بأن تعود إلى محادثات يارنج . وقال نيكسون إنه لن يسمح بأن تكون إسرائيل فى وضع ديبلوماسى أو عسكرى فى غير مصلحتها إذا ما استؤنفت المحادثات .

وأصرت مائير على الحصول على مزيد من الايضاحات ، وعلى وجه التحديد طلبت من الولايات المتحدة أن تتخلى عن تأييدها لفكرة الانسحاب التام على الجبهة المصرية ومن جميع أجزاء الأراضى الأخرى المستولى عليها باستثناء أجزاء « غير جوهرية » منها .(٧) وأثار وزير الدفاع موشى ديان ، الذى وصل إلى واشنطن فى أواسط ديسمبر لاجراء محادثات ، مسألة الالتزامات العسكرية الطويلة الأمد . وردا على ذلك قيل له إن الولايات المتحدة مستعدة للمشاركة فى قوة متعددة الأطراف لحفظ السلام باشراف الأمم المتحدة باعتبار ذلك جزءا من التسوية .(٨)

ولم يكن هذا الانعطاف الجديد فى السياسة الأمريكية هو ماكان الاسرائيليون يرغبون فى سماعه . وفى ١٧ ديسمبر بعث نيكسون برده إلى رئيسة وزراء إسرائيل عما طلبته من مزيد من الايضاحات ، فذكر أنه لا يسع الولايات المتحدة أن تبذل أى وعد رسمى باستخدام الفيتو فى الأمم المتحدة ، ولكن فى وسعها أن تقدم تطمينات أعم بشأن عدم تعرض أمن إسرائيل للخطر . كما وعدت الولايات المتحدة بتسليم اثنتى عشرة طائرة من طراز « اف ـ ٤ » وعشرين من طراز « أ ـ ٤ » خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٧١ . ولما كانت رئيسة الوزراء لاتميل إلى تخفيف الضغط على الأمريكيين بغير ثمن باهظ ، فقد وصفت هذه الخطوة بأنها « خطوة إلى الوراء » وبأنها من « أشد الضربات » الصادرة عن الولايات المتحدة . على أن مشاعرها لم تلبث أن هدأت ، وفى ٢٨ ديسمبر أعلنت أن إسرائيل ستعود إلى محادثات يارنج .

ويؤخذ من أقوال مائير أن الولايات المتحدة قدمت التزامات للمحافظة على ميزان القوة فى الشرق الأوسط ، وأن إسرائيل سيسمح لها بأن تتفاوض بحرية دون خشية من أن تكون الولايات المتحدة طرفا فى أى جهد من جانب الأمم المتحدة لتقرير الحدود أو الشروط الخاصة بتسوية مشكلة اللاجئين . وزعمت أن الولايات المتحدة قد أيدت المبدأ الداعى إلى أن تكون لاسرائيل حدود يمكن الدفاع عنها ، وأن إسرائيل ينبغى أن تكون قوية ، وأن إسرائيل لن تكره على الانسحاب إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ ، وأن إسرائيل لن تكره على قبول الصيغة العربية بشأن تسوية مسألة اللاجئين . يضاف إلى هذا أن النزاع ينبغى أن يتم إنهاؤه بموجب التزام تعاقدى ملزم بالسلام . وإلى أن يتحقق هذا فلا ينتظر أن ينسحب جندى إسرائيلى واحد من خطوط وقف إطلاق النار . وأخيرا ينبغى عدم تعديل اختصاصات يارنج .(٩)

فإن كان هذا يمثل سياسة الولايات المتحدة حقا ، فمن العسير أن ندرك السبب فى الغضب الذى استبد على هذا النحو بمائير إزاء خطاب نيكسون بتاريخ ١٧ ديسمبر . فلعلها استشعرت الأزمة المقبلة بشأن مهمة يارنج ، وكذلك عدم ترحيب البيروقراطية الأمريكية بإعطاء شيك على بياض بشأن الأسلحة . ولعلها شعرت أيضا بأن إصرارها على عدم الانسحاب الاسرائيلى بدون سلام يضعفه موقف وزير دفاعها الذى بدأ من وقت مبكر يرجع إلى شهر نوفمبر فى الالماح إلى أنه قد يكون من الحكمة لاسرائيل ومصر أن تخففا من قواتهما بطول القناة ، بل ربما تقومان بسحبهما إلى مسافة معينة للسماح بإعادة فتح القناة .(١٠)

رد الفعل المصرى

فى الوقت الذى كان يتم فيه تبادل لرسائل بين نيكسون وإسرائيل ، كان نيكسون وروجرز على اتصال بالسادات أيضا . وكان السادات قد بعث برسالة مؤرخة فى ٢٣ نوفمبر إلى نيكسون بلغته يوم ١٤ ديسمبر أوضح فيها اهتمام مصر بمحادثات يارنج . فرد عليه نيكسون شفاهة من خلال محمود فوزى فى ٢٢ ديسمبر ، وبعد يومين بعث السادات عن طريق دونالد برجيس الوزير المفوض الأمريكى فى مصر بعبارة تفيد بأنه مهتم بالسلام اهتماما صادقا . وإذا كان المسؤولون فى واشنطن قد اعتبروا السادات فى بداية الأمر سياسيا غير ذى ثقل كبير ، فقد شرعوا الآن ينظرون إليه بجدية أكبر .(١١)

وفى ٥ يناير ١٩٧١ اجتمع يارنج فى الأمم المتحدة بممثلى إسرائيل والأردن ومصر ، وسافر فى اليوم التالى إلى الشرق الأوسط . وقدم الاسرائيليون إليه بيانا عن موقفهم مؤكدين الحاجة إلى التزامات صريحة ملزمة بشأن السلام . ونقل يارنج هذا الأمر إلى المصريين الذين ردوا بموافاته بمشروعهم الخاص فى ١٥ يناير .(١٢) وكما كان متوقعا ، أكدت مصر الحاجة إلى انسحاب إسرائيلى من جميع الأراضى التى احتلت فى عام ١٩٦٧ . وقام يارنج بإعادة صياغة الوثيقة المصرية نوعا ما وقدمها إلى الاسرائيليين فى ١٨ يناير ، فرد الاسرائيليون بتقديم مشروع جديد فى ٢٧ يناير .

وعند هذه النقطة بدأت الولايات المتحدة تحث يارنج على أن يتبع نهجا أشد مراسا ، وأن يتخلى عن دوره كحامل رسائل ، وأن يطرح ما يعن له من آراء خاصة . وكان الاسرائيليون يعترضون على هذا الاجراء ، ولكن وزارة الخارجية أيدته بقوة ، ولاسيما لأن الوقت كان آخذا فى النفاد . وكان السادات قد وافق فى شهر نوفمبر على تجديد وقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أشهر تنتهى بالتالى فى ٧ فبراير .

وكان روجرز على اتصال بمحمود رياض وزير الخارجية المصرى فى أوائل الشهر . وكان واضحا أن المصريين مهتمون بمعرفة ماهية الدور الذى ستكون الولايات المتحدة مستعدة للاضطلاع به ونوع التسوية التى تتصورها ، أكثر من اهتمامهم بتلقى مقترحات عن طريق يارنج . وذلك لأنهم منذ أمد طويل يعتقدون أن إسرائيل ما هى إلا امتداد للولايات المتحدة ، بحيث إنه إذا ماحبذت واشنطن انسحابا إسرائيليا كاملا كان على إسرائيل أن تنصاع لذلك .

وفى ٢٧ يناير بعث روجرز برسالة شفوية إلى رياض عن طريق برجيس ، ناشده فيها مد أجل وقف إطلاق النار ، واعدا بأن إسرائيل ستقدم « أفكارا موضوعية » جديدة تتعلق بالتسوية السلمية بعد ذلك مباشرة . وأكد روجرز أن الآراء التى أعرب عنها فى خطبته بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٦٩ مازالت سارية ، وأن الولايات المتحدة على استعداد لبذل « جهد شامل لمساعدة الأطراف على التوصل إلى تسوية فى هذا العام » . ونسب إلى نفسه الفضل فى حمل إسرائيل على التخلى عن طلبها إجراء محادثات وجها لوجه ، ونفى أن يكون لاسرائيل حق الفيتو على السياسة الأمريكية .(١٣)

وعندما صارت هذه التطمينات فى يد السادات ، أعلن فى ٤ فبراير أنه سيوافق على مد أجل وقف إطلاق النار شهرا . ومع أن السادات عنف الولايات المتحدة بسبب « انحيازها الكامل لاسرائيل » ، فقد تقدم مع ذلك « بمبادرة مصرية جديدة نعتبر الالتزام بها مقياسا حقيقيا للرغبة فى تنفيذ قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » . واستطرد فقال :

> **نطلب فى الفترة التى نمتنع فيها عن فتح النار أن يتحقق انسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس ، باعتبار ذلك مرحلة أولى فى جدول زمنى يوضع فيما بعد لتنفيذ الأحكام الأخرى الواردة فى قرار مجلس الأمن . وإذا تحقق هذا فى هذه الفترة ، سنكون على استعداد للشروع فورا فى تطهير قناة السويس وإعادة فتحها أمام الملاحة الدولية خدمة للاقتصاد العالمى . ونعتقد أننا بهذه المبادرة نكون قد حولنا جهود المبعوث يارنج من عبارات مبهمة إلى تدابير محددة .(١٤)**

والواقع أن مبادرة السادات لم تلبث أن حلت محل مهمة يارنج ، وإن كانت المبادرة لم تأت قبل أن يبذل يارنج آخر مسعى له . ففى ٨ فبراير قدم يارنج مذكرة إلى مصر وإسرائيل طلب فيها من الطرفين تقديم « التزامات متوازية ومتزامنة » . وطلب من إسرائيل الموافقة من حيث المبدأ على الانسحاب إلى الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين تحت الانتداب البريطانى ، مع مراعاة ترتيبات الأمن وحرية الملاحة فى قناة السويس ومضيق تيران . وطلب من مصر الدخول فى اتفاقية سلام مع إسرائيل ، بما فى ذلك إنهاء حالة الحرب ، واحترام استقلال إسرائيل وحقها

فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها ، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لاسرائيل .

وردت مصر فى ١٥ فبراير بقبول جميع النقاط التى أوردها يارنج ، وأضافت عددا آخر من النقاط . أما رد إسرائيل فلم يأت إلا فى ٢٦ فبراير . وقد رحبت إسرائيل بما أعربت عنه مصر بصورة غير مسبوقة من استعدادها للدخول فى اتفاقية سلام مع إسرائيل ، أما ردها حول مسألة الانسحاب الحاسمة فقد اتسم بالغلظة ، إذ قالت : « إن إسرائيل لن تنسحب إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ » . وعرضت إسرائيل عوضا عن ذلك التفاوض دون شروط مسبقة . على أن مصر اعتبرت رفض إسرائيل قبول مبدأ الانسحاب الكامل بمثابة شرط مسبق غير مقبول . وتلقاء هذه الظروف انتهت محادثات يارنج بصورة مباغتة .(١٥)

مبادرة الاتفاقية المرحلية للقناة

فى الوقت الذى كان فيه يارنج يبذل مسعاه الأخير لحمل الأطراف على الاتفاق على الخطوط الرئيسية لتسوية شاملة ، أخذ النهج البديل الذى يستند إلى إتفاق جزئى يتناول قناة السويس يظفر باهتمام متزايد ، ولهذا لم يترتب على انهيار محادثات يارنج فراغ فى المجال الديبلوماسى . بل إن فكرة « الاتفاقية المرحلية » التى ترددت بعض الوقت فى كواليس المسرح ، انتقلت الآن لتحتل مكان الصدارة فيه .

وكان وزير الدفاع الاسرائيلى ديان قد تحدث علانية فى نوفمبر ١٩٧٠ عن إمكانية قيام المصريين والاسرائيليين بالتخفيف المتبادل من قواتهما بطول قناة السويس . وكان ديان يرى أن هذه الخطوة تساعد على استقرار الوضع بطول القناة ، وتدعم وقف إطلاق النار الذى كان ساريا إذ ذاك . فإذا فتحت القناة وأعيد بناء المدن بطول ضفتيها ، سيكون واضحا أن السادات لن يستطيع استئناف القتال بغير تكلفة باهظة . يضاف إلى ذلك أن هذه الخطوة الصغيرة قد تعفى إسرائيل من الضغط الدولى المستمر لقبول مبدأ الانسحاب التام من الأراضى العربية .

لقيت أفكار ديان ردود فعل مختلطة داخل إسرائيل . فقد بدت رئيسة الوزراء غير متحمسة لها ، وجاهر آخرون بمعاداتها . على أن الفكرة صادفت القبول لدى القيادة المصرية . فبعد استئناف مبادرة يارنج بوقت قصير ، اتصل مسؤول مصرى رفيع المستوى بديبلوماسى أمريكى فى القاهرة فى ١١ يناير ١٩٧١ معربا عن الاهتمام بفكرة ديان القائلة بتخفيف القوات وإعادة فتح القناة . وبعد ذلك بعدة أسابيع قام مساعد الوزير سيسكو بنقل هذه الرسالة إلى السفير الاسرائيلى رابين . ثم قام السادات فى ٤ فبراير بإعلان مبادرته على الملأ : فى مقابل انسحاب إسرائيلى جزئى من القناة تبدأ مصر فى تطهيرها ثم إعادة فتحها . ولم ترد أية إشارة إلى تخفيف القوات ، ولا ذكر شىء بالتحديد عن الخط الذى تنسحب إليه إسرائيل .

وعلى الفور قامت واشنطن بحث الاسرائيليين على أخذ اقتراح السادات بجدية . وكانت مصر تلح فى الحصول على رد سريع . وفى ٩ فبراير صرحت جولدا مائير بأن إسرائيل على استعداد

للنظر في فكرة إعادة فتح القناة ، ولكن القوات الاسرائيلية لن تنسحب من خطوط وقف إطلاق النار الحالية مالم يتم التوصل إلى تسوية شاملة ، وانتقدت الأمريكيين عرضا لأنهم أكدوا الضمانات الدولية التي ترى أنها قد تكون ضمنا بديلا للسلام .(١٦) وبعد ذلك بثلاثة أيام طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة أن تنقل رسالة إلى مصر تكرر فيها اهتمام إسرائيل ببحث موضوع إعادة فتح القناة . وتم إرسال هذه الرسالة في ١٤ فبراير ، مع الاعراب عن الأمل في أن ترد مصر ردا إيجابيا على مبادرة يارنج ، وهو ماحدث في اليوم التالي .(١٧)

أما آراء نيكسون الخاصة ، كما صاغها كيسنجر ، فقد حددها في تقريره إلى الكونجرس عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في ٢٥ فبراير ١٩٧١ ، إذ وصف نيكسون الشرق الأوسط بأنه أخطر منطقة في العالم ، وذلك أساسا بسبب احتمالات المواجهة بين الدولتين العظميين . وبعدما أتى التقرير على وصف مبادرات السلام الأمريكية السابقة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ، دعا إلى إجراء مفاوضات فيما بين الأطراف لتحديد شكل السلام . وأكد أن الولايات المتحدة لن تفرض تسوية ما . ولم ترد إشارة محددة إلى فكرة التسوية المرحلية بشأن القناة ، ولكن ورد بدلا من ذلك تحليل مطول عن « التنافس بين الدول العظمى » . وأعلن نيكسون في تحذير مباشر للاتحاد السوفيتي : « إن أي محاولة من أي دولة كبرى للحصول على وضع مهيمن (في الشرق الأوسط) من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم المنازعات المحلية ، وتؤثر على أمن أوربا ، وتزيد من الخطر الذي يتعرض له السلام العالمي . ولسنا نسعى إلى مثل هذا الوضع ؛ ولا يسعنا أن نسمح للغير بأن يخلقوه » .(١٨)

وعلى النقيض من إصرار السادات على أن تقدم أمريكا مبادرة كبيرة وعلى الاتفاق الجزئي بين مصر وإسرائيل ، فإن نيكسون أبرز بصورة أكبر العلاقة الأمريكية السوفيتية في المنطقة ومسؤولية الأطراف المحلية في التفاوض على شروطها الخاصة بالتسوية داخل إطار شامل . إلا أن السادات لم تثبط له همة ، وظل يحاول جذب الولايات المتحدة إلى آرائه ، وأشار في إحدى المرات إلى أن على الولايات المتحدة أن « تعتصر إسرائيل » .(١٩)

وبعد رحلة سرية قام بها السادات إلى موسكو لمدة يومين في ١ و ٢ مارس ، بعث برسالة طويلة إلى نيكسون تاريخها ٥ مارس أورد فيها الأسباب التي دعته إلى عدم تجديد وقف إطلاق النار عند انقضائه بعد ذلك بيومين . والأهم ، أنه ناشد نيكسون أن يتقدم بمبادرة لتحقيق اتفاق مرحلي على غرار ماورد في خطبته بتاريخ ٤ فبراير . أخذ نيكسون طلب السادات مأخذ الجد ، وصدرت الأوامر إلى وزارة الخارجية للشروع في دراسة فكرة التسوية المرحلية بشأن القناة .

لم تكن إسرائيل سعيدة بالأمارات التي بدت عن النشاط الأمريكي . لقد جرى الترحيب بتقرير نيكسون إلى الكونجرس ، وماجاء فيه من تأكيد على الوجود السوفيتي في الشرق الأوسط ، ولكن هاهي وزارة الخارجية تظهر الآن أمارات على التأرجح . وكان الزعماء الاسرائيليون يسترِيبون في روجرز ، ويظنون أنه على استعداد للضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات باعتبار ذلك سبيلا إلى ترضية العرب . أما هل يؤيد نيكسون وكيسنجر هذه الخطوة أم لا يؤيدانها فهذا أمر مطروح للتساؤل . وبعد علاقة العمل الوثيقة مع البيت الأبيض التي نشأت خلال أزمة الأردن ، كان لدى

الاسرائيليين من الأسباب مايدعوهم إلى الأمل فى أن روجرز لا يعكس المشاعر الحقيقية لنيكسون .

وعندما بدأت المبادرة الأمريكية تأخذ طريقها ، شكا الاسرائيليون من أن اتفاقيات الأسلحة تتعرض للإرجاء كضرب من ضروب الضغط عليهم .(٢٠) وفى ١٣ مارس صرحت رئيسة الوزراء مائير بصورة علنية ـ وهى ترد على أسئلة عن خريطة السلام الاسرائيلية ـ بقولها إن إسرائيل يجب أن تحتفظ بشرم الشيخ وبطريق يفضى إليها ، وإن سيناء يجب أن تجرد من السلاح ، وإن الحدود حول إيلات يجب تعديلها ، وإن المصريين يجب ألا يعودوا إلى غزة ، وإن مرتفعات الجولان ستظل تحت السيطرة الاسرائيلية ، وإن القدس يجب أن تبقى موحدة ، وإن من الضرورى إجراء تعديلات فى الحدود على الضفة الغربية .(٢١) وبعد ذلك ببضعة أيام كان رورجرز يجرى محادثات مع وزير الخارجية الاسرائيلية إيبان ، فحث إسرائيل على أن تعتمد على ضمانات للأمن بدلا من اعتمادها على الأرض .

والذى يفهم من هذه الآراء المتبادلة أنه كان من العسير إبقاء الدبلوماسية منصبة على اتفاقيات محدودة جزئية تتعلق بقناة السويس وتخفيف القوات . فقد كان كل جانب راغبا فى الوقوف على رأى الجانب الآخر بشأن القضايا الأوسع ، وهى قضايا متى أثيرت أصبحت الهوة سحيقة ولاسيما حول قضية الأرض .

ومع ذلك كتب نيكسون فى ٣١ مارس إلى السادات مرحبا بالاقتراح الخاص بالقناة . وأدت هذه الرسالة إلى تبادل كثيف للآراء ، فقام السادات فى أول إبريل بإبلاغ الوزير الأمريكى المفوض فى مصر دونالد برجيس برأيه حول شروط التسوية السلمية . وكان إطاره المرجعى هو بيان جولدا مائير المؤرخ فى ١٣ مارس . وقال السادات إنه لن يقبل تجريد سيناء بالكامل من السلاح ، أو بقاء إسرائيل فى شرم الشيخ . أما المناطق المجردة من السلاح بصورة محدودة ، فلن تكون مقبولة إلا إذا كانت على جانبى الحدود .(٢٢)

وفى محاولة من جانب الولايات المتحدة لاعادة المحادثات إلى قضية قناة السويس والاتفاق الجزئى ، شجعت الاسرائيليين على توضيح موقفهم كتابة . وفى سبيل حملهم على ذلك ، أعلنت فى ١٩ إبريل أن هناك اثنتى عشرة طائرة أخرى من طراز « اف ـ ٤ » سترسل إلى إسرائيل .(٢٣) وفى نفس اليوم عرضت إسرائيل اقتراحا يتضمن النقاط التالية :

- بعد إعادة فتح القناة يتعين السماح للسفن والبضائع الاسرائيلية بالمرور فيها .
- يكون وقف إطلاق النار دون أجل محدد جزءا من أى اتفاق مقبل .
- تحتفظ إسرائيل بالسيطرة على خط بارليف بطول القناة .
- تخفف مصر من قواتها إلى الغرب من القناة .
- لا يعتبر خط الانسحاب المقرر فى الاتفاقية المرحلية هو الحدود النهائية .

وبالاضافة إلى هذا طلبت إسرائيل تأييدا أمريكيا كاملا لموقفها ، وتأكيدا مجددا لما ورد فى خطابى نيكسون بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٧٠ و ٣ ديسمبر ١٩٧٠ من تطمينات . وبعد ذلك بيومين

أبلغها نيكسون بالتطمينات المطلوبة ، ولكنه امتنع عن تقديم التأييد الكامل . وقيل للمصريين إن الاقتراح الاسرائيلي وصل ولكن محتوياته لم تعلن فورا .

وكان رد فعل السادات بشأن مانشرته الصحف عن الاقتراح الاسرائيلي أن اجتمع ببرجيس ومايكل ستيرنر الموظف المسؤول عن القسم المصرى فى وزارة الخارجية فى يوم ٢٣ إبريل ، وقال إن القوات المصرية ينبغى أن يسمح لها بعبور القناة ، وأن مصر لابد أن تسيطر على ممرى متلا والجدى لاهميتهما الاستراتيجية ؛ وأن من الممكن إنشاء مناطق مجردة من السلاح ؛ وأن اسرائيل تستطيع الاحتفاظ بشرم الشيخ فى المرحلة الأولى ، ولكن لا بد فى غضون ستة أشهر من التوصل إلى تسوية كاملة . وقال السادات إذا كانت إسرائيل غير مستعدة للتخلى عن الممرات ، فعلى الولايات المتحدة أن تنهى مبادرتها .

ولو أخذ بيان السادات بحرفيته لانتهى المسعى الأمريكى إلى التوقف . فمن الواضح أن إسرائيل لم تكن مستعدة لقبول هذه الشروط . وانتهى البيت الأبيض إلى نتيجة مؤداها أن هناك أملا صغيرا فى الاتفاق ، ولكن وزارة الخارجية لم تكن مستعدة للكف عن محاولتها بسهولة . وعوضا عن ذلك ، وأملا فى أن يجعل السادات موقفه معتدلا ، قرر روجرز السفر إلى الشرق الأوسط ، فكان أول وزير خارجية يزور مصر وإسرائيل منذ عام ١٩٥٣ .

وعند وصول روجرز إلى القاهرة فى ٤ مايو ، كان من الواضح أن الوضع السياسى الداخلى للسادات مهتز نوعا ما ، إذ أنه قبل يومين كان قد أقال على صبرى الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى . ولما كان المشهور عن على صبرى أنه موال للسوفيت ، فقد رحب الأمريكيون بإقالته ، وفى هذا الجو جرت المحادثات مع السادات بصورة طيبة . وكان السادات مهذبا ولطيفا وبادى الرغبة فى التحلى بالمرونة . وقد تردد أن روجرز امتدح اعتداله ، وأفهمه ضمنا أن الولايات المتحدة لا تطلب منه شيئا أكثر من ذلك ـ أو هذا هو ما قاله السادات فيما بعد .(٢٤)

وصادف روجرز صعوبة أكبر فى إسرائيل ، إذ كان الإسرائيليون يعاملون روجرز شخصيا ببرود ، ويشكون فى كونه ممالئا للعرب . ومع ذلك ، كانت محادثاته مسهبة ، وسرعان ما انصبت على القضايا الرئيسية . فكيف يمكن ربط اتفاقية مرحلية بتسوية سلمية شاملة ؟ لقد رفضت إسرائيل أى ربط ، فى حين أن السادات طلب جدولا زمنيا للانسحاب الإسرائيلى الكامل ، تكون الاتفاقية المرحلية مجرد خطوة أولى فيه . وإلى متى يستمر وقف إطلاق النار ؟ إسرائيل تطلب مده إلى أجل غير مسمى فى حين تفضل مصر تجديدا قصيرا . ومامدى انسحاب إسرائيل من القناة ؟ إلى بضعة كيلو مترات أو إلى منتصف سيناء أو أكثر من ذلك ؟ وكيف يتم الاشراف على الاتفاقية ؟ وهل يسمح للقوات المصرية بعبور القناة ؟ وهل يسمح للسفن الإسرائيلية باستخدام القناة بعد فتحها ؟ كان الطرفان متباعدين حول كل من هذه النقاط . وأحس وزير الدفاع الإسرائيلى ديان بأن هناك خطرا من التوصل إلى طريق مسدود ، فأورد فى محادثاته مع سيسكو بعض تعديلات على الموقف الإسرائيلى ، مؤداها أن إسرائيل مستعدة لقبول مدنيين وفنيين مصريين على الضفة الشرقة للقناة ، ولكنها لا تقبل وجود قوات عسكرية . ومتى أعيد فتح القناة ، فإن إسرائيل توافق على أن تتحدث

عن سحب قواتها .(٢٥) وقد فوض سيسكو فى العودة إلى مصر لبحث هذه الأفكار مع السادات وابلاغ إسرائيل بنتيجة محادثاته .

عرض سيسكو فى القاهرة عددا من الأفكار التى كان يأمل أن تسد الفجوة بين الطرفين .(٢٦) وأوضح السادات استعداده للبحث فى أن تكون هناك قوة مصرية محدودة فقط على الضفة الشرقية للقناة ، ووعد بإيفاد مساعده المؤتمن محمود فوزى إلى واشنطن حاملا رده على مقترحات سيسكو الأخرى . وبعد ذلك ببضعة أيام ، وبعدما انتهى السادات من عزل بعض من وزرائه الأساسيين الذين تآمروا عليه(٢٧) ، طلب إيضاحا لبعض النقاط التى أثارها سيسكو : هل من الصواب افتراض أن الإسرائيليين قد ينظرون فى خط للانسحاب شرق الممرات ؟ ورد سيسكو فى ١٨ مايو قائلا إن مثل هذا الخط ليس مستبعدا وأن هناك شيئا من المرونة فى الموقف الإسرائيلى .

ولابد أن روجرز وسيسكو أدركا أنهما فى وضع شديد الحرج . فلقد كانا يحاولان مع المصريين تقديم المقترحات الإسرائيلية باعتبارها أكثر استعداداً للتعاون مما هى عليه فعلا . أما مع الإسرائيليين ، فكانت البيانات المصرية تطرح فى شكل جديد لتجيء فى أحسن صورة ممكنة . ولكن بدلا من أن يحقق روجرز وسيسكو نجاحا فى إقناع أى طرف بالنوايا الطيبة للطرف الآخر ، لاح أنهما يفقدان المصداقية ، ولاسيما مع الإسرائيليين . أما الوضع مع المصريين فقد بدا أفضل ، ولكن الاحساس بالخداع كان فى نهاية الأمر على نفس الدرجة من الضخامة . وفى الوقت نفسه كان التأييد لروجرز وسيسكو فى البيت الأبيض قد أخذ يتضاءل بسرعة .(٢٨)

وفى ٢٠ مايو اجتمع وزير الخارجية محمود رياض مع برجيس لتقديم رد مصر على نقاط سيسكو بتاريخ ٩ مايو . وكان برجيس واثقا من أن البيان المصرى كان على درجة من السلبية فى لهجته تجعل المسعى الدبلوماسى ينهار . وعلى أى حال كان معروفا عن رياض معارضته للتسوية المرحلية ، ولكن ربما وافق السادات على أن يكون البيان عن الموقف المصرى ألطف لهجة .(٢٩) وبعد ذلك بثلاثة أيام عاد برجيس لمقابلة نائب رياض ومعه إعادة صياغة لورقة وزير الخارجية ، وقد قدمها باعتبارها اقتراحا حول الكيفية التى تستطيع بها مصر عرض موقفها بصورة أكثر إيجابية . وأكد أنه أعاد الصياغة بمبادرة شخصية منه ، وأنه لم يتم إبلاغ حكومته بذلك . وكتب نائب رياض باللغة العربية على أعلى الورقة أن هذه النقاط مقترحة بصورة غير رسمية من جانب دونالد برجيس .

وفى الوقت نفسه كان السادات يحاول تعزيز قبضته الواهنة على السلطة فى أعقاب الهزات الداخلية فى شهر مايو . وكان الاتحاد السوفيتى غير مرتاح لغياب بعض أصدقائه من مناصبهم الرئيسية . وفى ٢٥ مايو وصل إلى القاهرة الرئيس السوفيتى نيكولاى بودجورنى وفى يده مشروع معاهدة لكى يوقع السادات عليه . وبعد يومين من المحادثات وافق السادات ، وفى ٢٧ مايو تم التوقيع على معاهدة صداقة مصرية سوفيتية مدتها خمسة عشر عاما .

وبادر السادات بإبلاغ الأمريكيين بأن المعاهدة لم تغير شيئا ؛ ولكى يوضح اهتمامه المستمر بالاتفاقية المرحلية اجتمع فى ٣٠ مايو ببرجيس لبحث شروط مصر الخاصة بالتسوية . وكان مازال

مصرا على أن يحصل على الممرات وعلى إرسال دبابات عبر القناة . ثم قام السادات فى ٤ يونيو بتسليم برجيس اقتراحا مصريا رسميا تضمن هذه النقاط وسواها ، وكان فى واقع الأمر مطابقا للورقة التى أعدها برجيس فى ٢٣ مايو .

ولابد أن السادات كان يتوقع ردا إيجابيا مبكرا على اقتراحه ، فهو - فوق كل شىء - شبيه جدا بورقة برجيس ، ومن المفترض أن السادات قد ظن أن برجيس يعبر بغير شك عن التفكير الأمريكى الرسمى . حمل برجيس وثيقة السادات بتاريخ ٤ يونيو إلى روجرز مباشرة ، ولكن لم يكن هناك أى رد فعل .(٣٠) ومضى شهر دون وصول رد أمريكى . وكان روجرز قد سأل نيكسون عما إذا كان فى وسعه أن يعيد طرح مبادرته ، ولكن نيكسون مانع فى ذلك . وبكل بساطة لم يبد أن هناك أساسا لأى اتفاق . وأى خلاف مع إسرائيل فى هذا الوقت لن يخدم أى غرض وإنما قد يضر الإدارة فحسب . يضاف إلى هذا أن الوقت الحالى هو الوقت الذى يحتاج فيه نيكسون إلى كل تأييد يستطيع الظفر به . وكان كيسنجر ، بدون معرفة الرأى العام ، قد بدأ يجرى محادثات سرية مع ممثلى فيتنام الشمالية فى باريس ، وكان نيكسون راغبا فى أن يركز اهتمامه على القضايا الكبرى مثل فيتنام . كما كانت هناك مفاجأة أخرى مدخرة . ففى ٩ يوليو طار كيسنجر سرا إلى بكين من باكستان ، ولم يعلن عن هذا الانفتاح على الصين إلا بعد ذلك ببضعة أيام . وكان الشرق الأوسط بالمقارنة بهذه التطورات المثيرة ، يعد عملية متعبة تصرف الاهتمام عن المسائل الرئيسية .

وعند عودة كيسنجر من رحلة الصين اجتمع نيكسون وروجرز وسيسكو فى سان كليمنت لاستعراض السياسة الخارجية ، وناقشوا موضوع الشرق الأوسط . وكان من الواضح أن السادات مازال مهتما بالاتفاقية المحدودة ، ولكن صبره كان يوشك أن ينفد ، فوافق نيكسون على سفر سيسكو إلى إسرائيل لمعرفة ما إذا كان الإسرائيليون على استعداد للتخلى عن اعتراضهم على وجود قوة مصرية رمزية على الضفة الشرقية للقناة . إلا أنه رفض بحزم أن يعد باستخدام أى ضغط على إسرائيل إذا ما واجه سيسكو أية صعوبة . وموجز القول أن سيسكو كان يعتمد على قدرته فحسب . وقد استطالت محادثات سيسكو فى إسرائيل من آخر يوليو إلى الأسبوع الأول من أغسطس .(٣١) ولكن إسرائيل لم تتزحزح عن موقفها ، ولم يكن فى وسع سيسكو إلا أن يقر بالهزيمة . بل إنه لم يتوقف فى القاهرة ، بحيث ترك الأمر لبرجيس لكى يجمل المحادثات لمحمد حسنين هيكل .

وأقل ما يقال هو أن المصريين أصيبوا بخيبة أمل . وفى أسوأ الفروض ، فقد جعل الأمريكيون من السادات أضحوكة ، إذ كان قد أعلن بأن سنة ١٩٧١ ستكون « سنة الحسم » ، إما حربا أو سلما .(٣٢) وكان قد تقدم فى فبراير بتنازلات غير مسبوقة ، ثم حاول مرة ثانية فى يونيو أن يلبى التوقعات الأمريكية ، كما أنه عرّض علاقاته مع الاتحاد السوفيتى للخطر بانقضاضه على مؤيديه ومساعدته على سحق انقلاب شيوعى فى السودان فى يوليو . ولم يقتصر الأمر على أنه أخفق فى كسب الأمريكيين إلى صفه ، بل إن الأمريكيين كانوا يدرسون توقيع اتفاقيات جديدة للأسلحة مع إسرائيل . فقرر السادات ، وهو فى حالة إحباط وإذلال أن ينصرف عن فكرة التسوية المرحلية . وكان من نتيجة ذلك أن مر عامان والطريق الدبلوماسى مسدود .

كيسنجر يتولى زمام الأمور

أدى فشل التسوية المرحلية بشأن القناة إلى النهاية الفعلية لروجرز وسيسكو باعتبارهما راسمى السياسة بشأن الشرق الأوسط . فإن كان لابد من مبادرات أمريكية جديدة ، سيكون نيكسون وكيسنجر المسؤولين عنها .(٣٣)

وكان كيسنجر شديد الانتقاد للأسلوب الذى اتبعته وزارة الخارجية فى معالجة موضوع الشرق الأوسط منذ بدايته . وكان قليل الاعجاب بالوزير روجرز ، وغير متحمس للخطة التى حملت اسمه . أما موقفه من سيسكو فكان أكثر تعقيدا . فقد كان يضمر إعجابا صادقا بطاقة مساعد الوزير وذكائه ، ولكنه أحس بأنه على درجة كبيرة من النشاط ، وبأنه تكتيكى أكثر منه استراتيجيا ، وأنه أكثر اهتماما بالاجراءات منه بالموضوع . إلا أنه ربما كان أكبر أخطاء سيسكو أنه لم يخضع بالقدر الكافى لسلطة كيسنجر .

وفيما يتعلق بالمسعى الخاص بالتسوية المرحلية ، فقد استخلص كيسنجر عدة دروس اهتدت بها ديبلوماسيته الخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . فقد كان يعتقد أن الولايات المتحدة قد تورطت فى مضمون المفاوضات بسرعة فائقة . وعندما حدث هذا ، صار دور المفاوض غير المتحيز فى خطر . فلا يصح للولايات المتحدة أن تتقدم بتوصيات فى الموضوع إلا عندما يصبح الأطراف قريبين من الاتفاق . كما أن كيسنجر كان يشعر بأن روجرز وسيسكو لم يكونا صريحين صراحة كاملة مع مصر وإسرائيل . صحيح أنهما حاولا تلطيف المواقف الفعلية للطرفين ، ولكنهما لم ينجحا إلا فى إثارة آمال كاذبة ولا سيما من ناحية السادات .

وكان كيسنجر يعتقد اعتقادا قويا بأنه إذا ما أريد للمفاوضات أن تنجح فلا بد من إجرائها سرا ، وهو أمر صعب دائما مع كل من العرب والإسرائيليين ، ولكن روجرز وسيسكو تعمدا إجراء كثير من المفاوضات فى أضواء الإعلام الساطعة . وعندما تم الحرص على السرية ، كما حدث أثناء محادثات روجرز فى القاهرة ، كان البيت الأبيض هو الذى بقى فى الظلام لكتمان المحادثات عنه ! ولم يعرف كيسنجر مطلقا ما الذى قاله روجرز للسادات على وجه التحديد ، ولا عرف شيئا عن مذكرة برجيس إلا عندما أميط عنها اللثام علنا فى نهاية يونيو .(٣٤)

صادفت فكرة عقد اتفاقية مرحلية غير مرتبطة بشروط التسوية النهائية هوى شديدا من جانب كيسنجر . فلقد كان متلهفا بصفة خاصة على مثل هذا الاتفاق إذا ما ضمن مغادرة المستشارين العسكريين السوفيت من مصر . أما من الناحية العملية ، فإن نهج الاتفاقية المرحلية لم يلبث أن انحرف عائدا إلى مفهوم التسوية الشاملة مع الانسحاب من القناة باعتباره المرحلة الأولية فقط من مراحل الاتفاق الشامل . ومن هنا بدأ اهتمام كيسنجر الأولى بالنهج يخفت بحلول شهر ابريل ، ومع مجىء الصيف كان مستعدا لأن يرى هذه الفكرة وقد ماتت ميتة شائنة ، ولو بتعريض العلاقات الأمريكية المصرية لشىء من الخطر .

كما اختلف كيسنجر مع منطق وزارة الخارجية القائل إن حجب الأسلحة عن إسرائيل كفيل

بإقناعها بأن تتخذ موقف الاعتدال فى مفاوضاتها . وكانت حجة كيسنجر أن الإقدام على هذا العمل من شأنه بكل بساطة أن يزيد عدم إحساس الإسرائيليين بالأمان ، ويصبحون بالتالى أكثر تصلبا ، كما أنه يزيد من آمال العرب ، ولا سيما لأن الأسلحة السوفيتية كان يجرى تسليمها إلى مصر وسوريا بكميات كبيرة . ولن تكون إسرائيل معقولة فى المفاوضات إلا إذا أحست بأنها قوية ، ولن يتحول العرب إلى الدبلوماسية تحولا جادا إلا إذا تبينوا أن الأسلحة السوفيتية لا تبشر بحل عسكرى . واعتقد كيسنجر أخيرا أن الإسرائيليين يقفون على أرض صلبة برفضهم تقديم تنازلات لمصر مادام الوجود العسكرى السوفيتى هناك باقيا بهذه الضخامة . فليطرد السادات السوفيت ؛ وعندئذ يمكن الشروع فى محادثات السلام .(٣٥)

وقد قوى أمل كيسنجر فى احتمال إضعاف وضع السوفيت فى الشرق الأوسط منذ نشوب الحرب الأهلية فى الأردن . فقد بدأ السادات بالتحرك ضد مستشاريه الذين يقال إنهم ممالئون للسوفيت فى شهر مايو ؛ ثم تخلص الأردن من فلول منظمة التحرير الفلسطينية الباقية فى البلاد . بل ما هو أهم من ذلك هو أن الانقلاب الشيوعى فى السودان فى شهر يوليو قد رد على أعقابه بفضل التدخل المشترك من جانب مصر وليبيا .

ولكن الذى أفسد هذه التطورات المرغوب فيها هو المعاهدة المصرية السوفيتية ، والزيادة التى طرأت على تدفق الأسلحة السوفيتية على مصر وسوريا . وكان السادات قد صرح فى مناسبات شتى بأن المستشارين السوفيت فى بلاده سيخرجون بعد المرحلة الأولى من الانسحاب الإسرائيلى ، ولكن إلى أن يحدث هذا فهو حريص على أن يبقى ارتباطاته العسكرية دون تغيير . وقد أصبح كيسنجر يأمل الآن فى إقناع السادات بأن التخلص من المستشارين السوفيت يجب أن يسبق المرحلة الأولى من الانسحاب .

وسرعان ما أدرك السادات أنه لم تعد هناك فائدة بعد الآن فى التعامل مع روجرز وسيسكو . وبعد المحادثات التى جرت فى سبتمبر ١٩٧١ بين روجرز ورياض ، أخذ السادات من ذلك الوقت فصاعدا يتصل بكيسنجر ونيكسون من خلال وسطاء ، منهم حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومى .(٣٦) وهذه الصلة ، التى تخطت وزارة الخارجية باعتماد كل بلد على قنوات المخابرات . ندر استخدامها فى الشهور التالية ، ولكنها كانت متاحة إذا لزم الأمر .

ومع ذلك استمرت وزارة الخارجية الأمريكية تحاول الوصول إلى اتفاقية مصرية إسرائيلية وفى ١٤ أكتوبر ١٩٧١ تحدث روجرز فى الأمم المتحدة فأجمل ستة مجالات للخلاف بين الطرفين ظهرت فى المحادثات الخاصة بتسوية مرحلية بشأن القناة . واقترح روجرز أن توفد مصر وإسرائيل مسؤولين من مستوى رفيع إلى الولايات المتحدة للاشتراك فى « محادثات عن قرب » يقوم فيها سيسكو بدور الوسيط و « العنصر المساعد الحفاز » .(٣٧) وقد قبل السادات ذلك ، إذ كان لايزال يأمل فى إحراز شىء من التقدم قبل انتهاء « سنة الحسم » .

وكانت إسرائيل أقل تحمسا للمحادثات عن قرب . فقد كانت تريد قبل العودة إلى هذا المحفل الخاص بالمحادثات أن يكون هناك تفاهم أساسى مع الولايات المتحدة بشأن توريد السلاح ، وبشأن دورى الولايات المتحدة والسوفيت فى المفاوضات المقبلة . وفى أول نوفمبر ١٩٧١ وقعت الولايات

المتحدة وإسرائيل مذكرة تفاهم هامة بشأن المعونة الأمريكية لإسرائيل لتعزيز اكتفائها العسكرى الذاتى .(٣٨) وكانت إسرائيل تعتزم تصنيع مقاتلة نفاثة على غرار نموذج طائرة الميراج الفرنسية ، وتم تهريب مجموعة كاملة من تصميمات الطائرة من خلال سويسرا .(٣٩) إلا أنه لم يكن فى وسع إسرائيل إنتاج المحرك ، ومن هنا وافقت الولايات المتحدة من حيث المبدأ على توفير المكونات الناقصة .

ومنذ أواسط العام امتنعت الولايات المتحدة عن توقيع أى اتفاقيات جديدة خاصة بالأسلحة مع إسرائيل ، وهو ما فعلته اقتناعا منها بأن الميزان العسكرى مازال فى صالح إسرائيل ، وأملا منها فى أن تظفر بتأثير قوى على السياسة الإسرائيلية . يضاف إلى هذا أن وزارة الخارجية لم تشأ أن تضعف موقف السادات أثناء المفاوضات المرحلية بشأن القناة .

وفى أوائل ديسمبر ١٩٧١ زارت رئيسة الوزراء مائير واشنطن للبحث فى اتفاقية جديدة للأسلحة مع نيكسون . وكانت حجتها أن إسرائيل تحتاج إلى أن تكون واثقة من التدفق المستمر للطائرات والمعدات الأخرى إلى ما بعد عقد السبعينات بكثير . فالسوفيت لا يترددون فى مساعدة أصدقائهم ، ولم إذن يصر الأمريكيون على معاقبة إسرائيل باحتجازهم للأسلحة ؟ ليس من شأن هذا إلا أن يزيد العرب تصلبا . ومن شأن عقد اتفاقية طويلة الأمد أن يقنع السوفيت والعرب بأنهم لن يستطيعوا فصل الولايات المتحدة عن إسرائيل ، وأن يجعل الحل العسكرى مستحيلا ، كما أن من شأن هذه الاتفاقية أن تسمح لإسرائيل بالتفاوض من مركز قوة .

وقد اتفق نيكسون وكيسنجر بصورة أساسية مع النقاط التى أبدتها مائير .(٤٠) فمن شأن الاتفاقية الطويلة الأمد أن تساعد أيضا على الحيلولة دون الخلافات الدورية بشأن اتفاقيات جديدة للأسلحة . ففى كل مرة تُطلب شحنة جديدة من الأسلحة تدور مجادلات بين الولايات المتحدة وإسرائيل حول الشروط والتوقيت . وكان العرب يرون فى هذه المنازعات أمارات مشجعة ، ولكنهم يفجعون بعد ذلك عندما يرون الولايات المتحدة تورد الأسلحة فى خاتمة المطاف . ولم يشأ نيكسون ، ولاسيما فى سنة الانتخابات ، أن تحدث مواجهة مع إسرائيل حول الأسلحة . وإذا ثبت أن مبادرة دبلوماسية ممكنة بعد انتخابات الرئاسة لعام ١٩٧٢ ، فلن يُساء إليها بمجادلات حول اتفاقية جديدة للأسلحة إذا أمكن عقد صفقة فى أواخر عام ١٩٧١ تغطى سنوات متعددة . ومن ثم أعلن فى ٣١ ديسمبر أن الولايات المتحدة قد وافقت من حيث المبدأ على استئناف شحنات الطائرات « اف ـ ٤ » إلى إسرائيل .

ويماثل هذا فى الأهمية أن نيكسون ومائير توصلا إلى تفاهم بشأن الاستراتيجية والتاكتيكات المتعلقة بمساعى السلام المقبلة ، إذ يتخليان عن السعى لتحقيق اتفاقية شاملة فى الوقت الحالى ، وأن ينصب الاهتمام الآن على عقد اتفاقية مرحلية مصرية إسرائيلية . وسيحاول سيسكو ترتيب « المحادثات عن قرب » بين الطرفين ، أما « المفاوضات الحقيقية » بعبارة كيسنجر « فتجرى بين السفير الإسرائيلى رابين وبينى وكذلك بين دوبرينين وبينى » .(٤١)

وقد أنفق الجزء الأكبر من شهر يناير ١٩٧٢ فى مناقشة شروط صفقة الأسلحة الجديدة مع

الإسرائيليين . وتواترت اجتماعات سيسكو ورابين لوضع القواعد الأساسية للمحادثات عن قرب . وأسفر ذلك عن مذكرة تفاهم أخرى تاريخها ٢ فبراير ١٩٧٢ وافقت الولايات المتحدة بمقتضاها على أن تبيع لإسرائيل اثنتين وأربعين طائرة من طراز « اف ـ ٤ » واثنتين وثمانين طائرة من طراز « أ ـ ٤ » على مدى السنوات المقبلة . ولن يضطلع الاتحاد السوفيتي بدور موضوعي في المحادثات عن قرب . والأهم هو أن الولايات المتحدة لن تكون لها مبادرة في المحادثات ما لم تكن هذه المبادرة قد بحثت أولا بحثا وافيا مع إسرائيل . وإذا أخذت المذكرة بنصها الحرفي ، فمعناها أن الولايات المتحدة قد ربطت نفسها ربطا يكاد يكون كاملا بالموقف الإسرائيلي .(٤٢) وبعد ذلك بأربعة أيام وافق مجلس الوزراء الإسرائيلي على فكرة المحادثات عن قرب ، ولكن مصر رفضتها حينذاك . ولم يتحقق أى تقدم دبلوماسى آخر .

إلا أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية كانت أقوى منها فى أى وقت سابق . وطوال عام ١٩٧٢ أفلح نيكسون فى أن يظهر إدارته بمظهر المؤيد المكين لإسرائيل . فقد نُسيت جميع الخلافات السابقة ، واقترب السفير رابين كثيرا من تأييد ترشيح نيكسون للرئاسة ضد منافسه الديمقراطى .

وخلال عام ١٩٧٢ ، لم تزد سياسة الولايات المتحدة بشأن الشرق الأوسط كثيرا عن كونها تأييدا سافرا لإسرائيل . وقام البيت الأبيض بإبلاغ وزارة الخارجية صراحة بألا تفكر فى أى مبادرات جديدة إلى ما بعد الانتخابات . وفى هذه الأثناء كان نيكسون يعد نفسه لاجتناء ثمار المفاوضات التى أجراها كيسنجر مع الصينيين والسوفيت ، فقد كان من الواضح أن السياسة الخارجية الناجحة ستكون عنصرا رئيسيا فى حملة إعادة الانتخاب .

وفى استعراض السياسة الخارجية الذى قدمه نيكسون إلى الكونجرس فى ٩ فبراير ١٩٧٢ أبرز الدور السوفيتى فى الشرق الأوسط ، واستشهد بما قاله هو نفسه من أن المصالح الأمريكية والسوفيتية « على طرفى نقيض إلى أبعد حد » فى منطقة الشرق الأوسط ، باستثناء الرغبة فى تفادى المواجهة .(٤٣) ثم استعرض المبادرات الأمريكية السابقة ، مؤكدا العقبات التى تعترض إبرام اتفاقية عربية إسرائيلية . ونوقشت بصراحة عيوب كل من نهجى الاتفاقية الشاملة والتسوية المرحلية ، ولكن العنصر الرئيسى فى ملاحظاته تمثل فى الحاجة إلى ضبط النفس من جانب الدول العظمى :

> **إن سعى الاتحاد السوفيتى إلى استخدام النزاع العربى الإسرائيلى لاستدامة وضعه العسكرى فى مصر وتوسيع نطاقه كان مبعث قلق فى الولايات المتحدة . فقد استغل اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية اعتماد مصر المتزايد على الإمدادات العسكرية السوفيتية لكى يظفر باستخدام مرافق بحرية وجوية فى مصر . وهو أمر له آثار خطيرة بالنسبة لاستقرار ميزان القوى محليا وإقليميا فى شرقى البحر المتوسط وعالميا . ولا يسع حلف الاطلنطى أن يتجاهل الآثار المحتملة لهذا التحرك بالنسبة لاستقرار العلاقة بين الشرق والغرب ...**
>
> **ونأمل أن يدرك الاتحاد السوفيتى أنه يستطيع خدمة هذه المصلحة [فى تفادى صراع كبير فى الشرق الأوسط] على خير وجه بتوخى ضبط النفس فى توريد الأسلحة ، والامتناع عن استخدام هذا النزاع فى سبيل تعزيز موقفه العسكرى الخاص ، والتشجيع على إجراء مفاوضات السلام .**

وعدا كون نيكسون قد حث الأطراف على الشروع فى مفاوضات جادة ، فهو لم يتقدم بأى اقتراحات حول الكيفية التى يستطاع بها حل النزاع . إلا أنه أضاف قوله : « إن إقحام المنافسة الاستراتيجية العالمية داخل المنطقة لا يتفق مع سلام الشرق الأوسط ولا مع الانفراج فى العلاقات الأمريكية السوفيتية » .(٤٤)

ديبلوماسية القمة

صوب أواخر فبراير ١٩٧٢ سافر الرئيس نيكسون إلى بكين لإجراء محادثات مع الرئيس ماوتسى تونج ورئيس الوزراء شواين لاى . ولم تكن المناسبة ذات أهمية تاريخية بالنسبة للعلاقات الأمريكية الصينية وحسب ، بل كانت لها أيضا أهمية أوسع من ذلك ، إذ كان نيكسون وكيسنجر يجتهدان فى تغيير العلاقات فيما بين الدول العظمى لمصلحة الاستقرار ولتفادى حرب نووية . وقد افترضا أن الاتحاد السوفيتى سيبقى هو الخصم الرئيسى للولايات المتحدة وسيمثل أعظم تهديد للمصالح الأمريكية . وكانت الولايات المتحدة مستعدة ـ فى سبيل العمل على حمل الاتحاد السوفيتى على ضبط النفس ـ لأن تنشىء علاقات مع منافس موسكو الرئيسى وهو الزعامة فى بكين . لقد كانت هذه ضربة تقليدية فى سياسة توازن القوى ، وإن نجحت أدت إلى إضفاء معنى جوهرى على سياسة الانفراج التى كان نيكسون وكيسنجر يضطلعان بها على نطاق واسع . ومن هنا كانت بكين محطة هامة فى الطريق إلى موسكو حيث كانوا ينتظرون نيكسون فى مايو .

وبين قمتى بكين وموسكو تحولت التطورات فى فيتنام تحولا ينذر بما هو أسوأ . فقد بعث الفيتناميون الشماليون بقوات عبر المنطقة المجردة من السلاح فى ٣٠ مارس ، وحققت القوات الشيوعية لعدة أسابيع مكاسب كبيرة . وردت الولايات المتحدة على ذلك بتكثيف الضرب بالقنابل ، وبتقديم تنازل هام للفيتنامين الشماليين أثناء محادثات كيسنجر فى موسكو فى أواخر ابريل .(٤٥) وفى ٨ مايو اتخذ نيكسون قرارا كان مثار جدل يتمثل فى استئناف إلقاء القنابل بكثافة على فيتنام الشمالية وزرع الألغام فى ميناء هايفونج ، أملا فى أن تؤدى هذه الاجراءات إلى منع تدفق الأسلحة على هانوى . وكان يدرك بأن هذا قد يضع الولايات المتحدة فى صراع سافر مع كل من الاتحاد السوفيتى والصين . وكان كثيرون من مستشاريه واثقين من أن بريجنيف سيضطر إلى إلغاء مؤتمر القمة المقبل . إلا أن نيكسون صمد فى موقفه ، وابتلع السوفيت كبرياءهم واستقبلوا نيكسون فى موسكو فى ٢٢ مايو .

وكان من الآمال الكبيرة التى تهدف إليها السياسة الخارجية لنيكسون وكيسنجر أن يكون هناك انفراج بين الدولتين العظميين تستخدمه السياسة الأمريكية لتحقيق مصالحها فى أماكن أخرى . ويبدو أن مؤتمرات القمة أكدت الاعتقاد بأنه لا الصينيون ولا السوفيت سيسمحون للتطورات فى فيتنام بأن تقف فى طريق مصالحهم عند التعامل مع الولايات المتحدة . وربما أمكن إقناع موسكو بأن تُخضع سياساتها فى الشرق الأوسط لمقتضيات الانفراج . وأيا كان الحال ، فقد كان نيكسون وكيسنجر على استعداد لاستقصاء هذه الامكانية باعتبارها سبيلا من سبل الحد من فرص المواجهة

بين الدولتين العظميين فى الشرق الأوسط ، وداعبهما الأمل فى أن ينتقصا من النفوذ السوفيتى فى مصر .

كان هذا يمثل فى جوهره عودة إلى فكرة الربط التى اهتدت بها مبادرة روجرز - سيسكو لعام ١٩٦٩ ، أما الآن فقد توافرت عناصر أكبر يمكن البناء عليها فى العلاقة الأمريكية السوفيتية ، ولاسيما مع التوصل إلى معاهدة للحد من الأسلحة النووية الاستراتيجية . ويساوى هذا فى الأهمية ، من وجهة نظر كيسنجر ، أنه هو نفسه ، وليس روجرز أو سيسكو ، الذى سيضطلع بالمحادثات مع الروس حول الشرق الأوسط .

كان الهدف الظاهر لكيسنجر هو التوصل إلى اتفاق مع الزعامة السوفيتية حول مجموعة من المبادىء التى يمكن أن تشكل إطارا لتسوية سلمية عربية إسرائيلية . أما المرحلة التالية فهى أن يظفر بتأييد الزعامة السوفيتية للشروع فى عملية تفاوض خطوة خطوة استنادا إلى تلك المبادىء ، ولكن مع ترك القضايا الرئيسية مثل الحدود النهائية للتفاوض عليها من جانب الأطراف نفسها .

والذى لم تعرفه وزارة الخارجية هو أن كيسنجر ووزير الخارجية أندريه جروميكو قد توصلا إلى اتفاقية عمل تمهيدية بشأن ثمانية مبادىء . فقد كانت الدولتان العظميان على اتفاق حول النقاط التالية :

- أن تكون الاتفاقية شاملة ولكن يمكن تنفيذها على خطوات .
- أن تتضمن الاتفاقية أحكاما عن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ .
- أن أى تعديلات فى الحدود ينبغى أن تنشأ عن اتفاق يتم بين الأطراف طواعية .
- أن ترتيبات الأمن يمكن أن تشتمل على مناطق مجردة من السلاح ، وقوات للأمم المتحدة فى شرم الشيخ ، وضمانات دولية بمشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .
- أن تؤدى الاتفاقية إلى إنهاء حالة الحرب وإقرار السلام .
- أن يتم تأكيد حرية الملاحة عبر مضيق تيران وقناة السويس ، ويكون هذا متفقا مع سيادة مصر على القناة .
- أن الاتفاقية يجب أن تتضمن الاعتراف باستقلال جميع الدول فى الشرق الأوسط وسيادتها بما فيها إسرائيل .
- ارتأى السوفيت أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين يجب أن تحل على أساس عادل طبقا للقرارات المتعلقة بذلك للأمم المتحدة .
- ارتأت الولايات المتحدة أن إنجاز الاتفاقية يجب أن ينطوى على مفاوضات بين الأطراف .(٤٦)

ورغم أن الاتفاقية التمهيدية بقيت سرا ، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أعلنا فعلا عن الاتفاق على مجموعة من المبادىء الأساسية .(٤٧) وقطعت الدولتان العظميان على نفسيهما التزاما بأن تقوم علاقاتهما على أساس التعايش السلمى (المادة الأولى) ، وبأن « تحولا دون نشوء مواقف من شأنها التسبب فى تفاقم خطير فى علاقاتهما .. وأنهما ستتذرعان على الدوام بضبط النفس فى

علاقاتهما المتبادلة ، وتكونان مستعدتين للتفاوض وتسوية الخلافات بالوسائل السلمية » (المادة الثانية) . « وعلى الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مسؤولية خاصة ... فى عمل كل ما فى طاقتهما بحيث لا تنشأ نزاعات أو مواقف تؤدى إلى زيادة التوترات الدولية » (المادة الثالثة) .

وفى البيان المشترك الذى صدر فى ٢٩ مايو أكدت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من جديد تأييدهما لقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ولمهمة يارنج ، وأن تسوية النزاع العربى الإسرائيلى « من شأنها أن تهيىء الامكانيات لتطبيع الموقف فى الشرق الأوسط ، وتسمح بالنظر فى الخطوات الأخرى الكفيلة بتحقيق الاسترخاء العسكرى فى هذه المنطقة » .(٤٨)

ويبدو أن المبادىء الأساسية والبيان المشترك عند الاطلاع عليهما فى القاهرة قد أكدا أشد مخاوف السادات . ذلك أن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد وافقا على تجميد الوضع فى الشرق الأوسط خشية الإضرار بعلاقاتهما الخاصة . وتحت ستار الانفراج أقنعت الولايات المتحدة السوفيت بالإقلال من تأييدهم للعرب ، وهو ما يفسر إحجام السوفيت عن تقديم الأسلحة المتطورة ، ويفسر عمليات التأخير فى الشحن ، وهو ما كان يثير ثائرة السادات على مدى شهور .

وكان السادات يعى تماما أن الأمريكيين يعتبرون الوجود السوفيتى فى مصر عقبة فى سبيل التسوية السلمية . وكان روجرز قد أثار هذه القضية فى شهر مايو . أما الآن ، وقد توافرت المعلومات عن النتائج التى أسفر عنها اجتماع القمة ، فقد بدا واضحا أمام السادات أن السوفيت ليسوا مستعدين للضغط على الأمريكيين دفاعا عن مواقفه . ولم يقتصر الأمر على أن وجودهم فى مصر كان مصدر قلق للأمريكيين والإسرائيليين ، بل إن ضباطه أنفسهم كانوا يشكون من ذلك . ثم فى شهر يونيو قدم الأمير سلطان وزير الدفاع السعودى تقريرا عن محادثاته مع نيكسون وكيسنجر ، ومؤداها أنه إلى أن يتم التخلص من الوجود السوفيتى فى مصر ، فإن الأمريكيين لن يضغطوا على إسرائيل لتقديم تنازلات .(٤٩)

فأى من هذه العوامل كان أكثرها تأثيرا فى السادات ، هذا أمر غير معروف ، ولكنه قرر فى أوائل يوليو أن يتصرف . ففى ٨ يوليو أبلغ السادات السفير السوفيتى بأنه يطلب رحيل معظم المستشارين والفنيين السوفيت الموجودين فى مصر . وفى ١٨ يوليو أعلن السادات قراره على الملأ ، وغادر مصر أكثر من عشرة آلاف سوفيتى ، تماما كما كان كيسنجر والإسرائيليون يأملون .

رد الفعل لطرد المستشارين السوفيت

إذا كان الدافع الأول للسادات من إعلانه عن طرد المستشارين السوفيت الموجودين فى مصر هو تهيئة السبيل أمام دور ديبلوماسى أمريكى نشيط ، فقد اختار وقتا غريبا لاتخاذ هذه الخطوة الضخمة .(٥٠) فقد كان نيكسون فى خضم حملة انتخابية ، ولم يكن مستعدا لتعريض تفوقه الكبير على السناتور جورج ماكجفرن للخطر بالإقدام على سياسة للشرق الأوسط هى مثار جدل . إلا أنه أدرك هو وكيسنجر أهمية الخطوة التى اتخذها السادات ، وقاما من خلال « القناة الخلفية » بإبلاغ

الرئيس المصرى بأن مبادرة جديدة ستطرح بعد انتهاء الانتخابات الأمريكية . وفى هذه المرة ستكون المبادرة بإشراف البيت الأبيض .

والمفروض أن الرئيس الذى يعاد انتخابه يكون محصنا من ضغوط السياسة الداخلية . وكانت مكانة نيكسون فى الذروة ، وكانت سمعة كيسنجر متزايدة ، ولعلهما يستطيعان معا أن يرتبا تسوية فى الشرق الأوسط .

فى منتصف صيف عام ١٩٧٢ لم يكن هناك من يتوقع أن تتأثر قدرة نيكسون على إدارة السياسة الخارجية ، بل بقاؤه بعد ذلك فى المنصب ، تأثرا شديدا بسبب حادث وقع فى ١٧ يونيو وبدا قليل الأهمية . ففى ذلك اليوم ضُبط خمسة رجال داخل مكاتب مقر الحزب الديمقراطى فى مجمع ووترجيت فى واشنطن . وتبين من التحقيق أن من قاموا باقتحام المكان للسطو على ما فيه كانوا على اتصالات وثيقة بوكالة المخابرات المركزية وبلجنة إعادة انتخاب الرئيس . ربما كان بعض الجمهوريين المتحمسين قد خرجوا على القانون ، ولكن أحدا لم يشك فى أن الرئيس نفسه قد يكون متورطا . إلا أنه اتضح فى ٢٣ يونيو ١٩٧٢ من محادثة بين نيكسون ورئيس أركانه هـ . ر . هالدمان أنه صار متورطا فى فضيحة ووترجيت ، وذلك بأنه أمر وكالة المخابرات المركزية بأن توقف تحقيقات مكتب التحقيق الفيدرالى فى الحادث لأسباب سياسية . وكانت المحادثة قد سُجلت على شبكة تسجيل الأشرطة السرية للرئيس . وعند اكتشاف هذا الأمر بعد أكثر قليلا من عامين ثبت أنه ضربة قاتلة لنضال نيكسون فى سبيل البقاء فى منصبه بعد ووترجيت . على أن نيكسون ومعاونيه لم يكن لديهم فى تلك اللحظة سبب للخشية من عدم إمكان احتواء فضيحة ووترجيت .

وعشية إعادة انتخاب نيكسون بذل جهدا كبيرا فى سبيل التحدث عن خططه بشأن الشرق الأوسط ، فقال : « ستكون للشرق الأوسط أولوية من درجة عالية ، لأن الشرق الأوسط وإن بقى طوال العامين الأخيرين فى فترة هدنة قلقة أو الهدنة المسلحة أو ما شئت من تسميات ، فإنه قد ينفجر فى أى وقت » .(٥١) أما الرسالة الموجهة إلى السادات فتتحصل فى أن عليه أن يتذرع بالصبر لفترة أطول قليلا ، ولن يلبث أن يجىء دوره بعدما تسوى قضية فيتنام .

وقد أعيد انتخاب نيكسون بأغلبية ساحقة فى ٧ نوفمبر ، وظفر بـ ٦٠,٨ فى المائة من الأصوات الشعبية و ٩٧ فى المائة من أصوات المجمع الانتخابى . ولكن « السلام الذى فى متناول اليد » فى فيتنام ظل مراوغا . ولم تستأنف المفاوضات إلا بعد حملة كثيفة لضرب فيتنام الشمالية بالقنابل فى ديسمبر . وبعد طول انتظار عقدت محادثات باريس الناجحة فى ١٣ يناير ١٩٧٣ ؛ وفى ٢٧ يناير تم التوقيع على الاتفاقية النهائية .

استراتيجية كيسنجر

بانتهاء القتال فى فيتنام ، أصبح كيسنجر مستعدا لتحويل اهتمامه إلى الشرق الأوسط . وكان فى السابق قليل الاحتفال بما كان يعد له من تلخيصات بشأن المنطقة ؛ أما الآن فقد طلب دراسات ، واطلع على مذكرات مسهبة مدروسة ، وشرع فى إعداد استراتيجية تفصيلية خاصة به .

وكان كيسنجر راغبا فى تفادى المناقشات اللا نهائية حول معنى القرار ٢٤٢ ، وخطة روجرز ، ومذكرة يارنج . فاتباع نهج يتقيد بالحرفية القانونية مآله الفشل السريع . فقد صيغت المطالب الرئيسية للطرفين بعبارات متناقضة تماما . فالإسرائيليون يطلبون السلام والاعتراف ؛ والعرب يطلبون الأرض والعدالة . وعوضا عن أن يحاول كيسنجر التوصل إلى اتفاق مبدئى حول هذه الأهداف النهائية ، عقد الأمل على التحرك بسرعة لتحقيق اتفاقات عملية ، وإن كان أدرك أهمية إعداد صياغة ما تتناول النتيجة النهائية لعملية التفاوض . ولم تعجبه صيغة يارنج ، وهى « السلام » مقابل « الانسحاب » ، وفضل عليها صيغة أوصى بها معاونوه وهى إيجاد توازن بين « السيادة » و « الأمن » . وتتمثل مزية هذه الصيغة فى أنها تفتح الباب أمام طائفة عريضة من نتائج التفاوض . ومن ذلك مثلا أنه قد يكون مستطاعا الاعتراف بسيادة مصر على سيناء فى وقت مبكر ، وفى الوقت عينه توضع ترتيبات خاصة بالأمن تسمح للإسرائيليين بالاحتفاظ بوجود لهم فى مناطق هامة أثناء فترة انتقال طويلة . فإذا تسنى التوصل إلى اتفاقية حول هذه الصياغة العامة ، أمكن عندئذ الشروع فى مفاوضات حول قضايا محددة كالتى تم تحديدها أثناء مفاوضات التسوية المرحلية بشأن القناة .

أتيحت لكيسنجر فرصة اختبار أفكاره فى شهر فبراير ، إذ وصل الملك حسين إلى واشنطن فى ٦ فبراير لإجراء محادثات مع نيكسون وكيسنجر . وكان فى الربيع السابق قد اقترح خطة تفتقر إلى الشعبية باقامة المملكة العربية المتحدة التى تتألف من الضفتين الشرقية والغربية للأردن بشرط الموافقة عليها فى استفتاء يجرى بين الفلسطينيين . لم تلق هذه الفكرة إلا تأييدا قليلا فى العالم العربى ، وكان رد الفعل من جانب مصر وسوريا معاديا . ومع ذلك لم يبرح حسين معنيا باسترداد الضفة الغربية ، كما كان يتطلع إلى المعونة الأمريكية كعهده دائما . يضاف إلى هذا أنه كان فى حاجة إلى زيادة كبيرة فى المساعدة الاقتصادية والعسكرية . وكان نيكسون على استعداد لإرضائه لأنه يرتاح إلى الملك ويعجب به .

ومع ذلك ، لم يكن هناك إلا القليل الذى يستطاع عمله لإجراء تسوية بين الأردن وإسرائيل دون أخذ مصر بعين الاعتبار . وكان الزائر التالى لكيسنجر هو حافظ اسماعيل ، مستشار الأمن القومى للسادات ، فكانت له بالتالى أهمية غير عادية . وكان اسماعيل أول مسؤول مصرى من مستوى عال يقابل نيكسون منذ فترة ما . وقد تم ترتيب الزيارة من خلال « القناة الخلفية » ، ولم تبلغ وزارة الخارجية بها إلا فى اللحظة الأخيرة . واجتمع نيكسون بحافظ اسماعيل فى ٢٣ فبراير ، وكان يبدو مستريح البال واثقا من النفس . وأجمل نيكسون استراتيجية التفاوض على مستويين : الأول يضطلع به كيسنجر سرا ، كما كان الشأن فى فيتنام ، والآخر يتم علنا وتشارك فيه وزارة الخارجية .(٥٢) كما أن نيكسون أشار إلى صيغة السيادة والأمن .

إلا أن الغرض الحقيقى من زيارة اسماعيل لواشنطن كان يتمثل فى التشاور مع كيسنجر . وخلال اليومين التاليين اجتمع حافظ اسماعيل ومعاوناه إيهاب وهبه وأحمد ماهر بكيسنجر الذى كان يرافقه رجلان من مجلس الأمن القومى هما بيتر رودمان وهارولد سوندرز ، وتم الاجتماع فى ضيعة خاصة فى كونتيكت .(٥٣) ورأى كيسنجر ضرورة قبول فكرة التوصل إلى تسوية تنفذ على مدى

فترة طويلة . وأشار ضمنا إلى أن السيادة المصرية على سيناء يمكن الاعتراف بها فى وقت مبكر ، ولكن الحاجة قد تدعو إلى ترتيبات أمنية خاصة لفترة طويلة . وبدا اسماعيل مهتما بالمحادثات التى لاح أنها تسير سيرا طيبا . وقد أشار إلى أن تطبيع العلاقات مع إسرائيل قد يكون مستطاعا فى خاتمة المطاف ، وأن الأردن قد يكون له دور يضطلع به فى تسوية قضية الفلسطينيين ، ولكنه كان عنيدا بشأن الانسحاب الإسرائيلى التام من سيناء والجولان ، مشيرا إلى شىء من المرونة فيما يتعلق بالضفة الغربية .(٥٤)

ثم نوقشت التفاصيل الخاصة بالالتزامات التى تتعهد بها مصر وإسرائيل باعتبارها جزءا من اتفاقية سلام ، وبالعلاقة بين الاتفاقية المصرية الإسرائيلية وحل مشكلة فلسطين ، وبترتيبات الأمن المحددة بشأن إسرائيل فى سيناء . وعندما تعذر على كيسنجر واسماعيل الاتفاق على جميع هذه القضايا ، وافقا على معاودة الاجتماع فى وقت مبكر . ولم يكن كيسنجر متعجلا ، وقال لاسماعيل إنه لا يمكن إحراز إلا القليل قبل الانتخابات الإسرائيلية التى كان محددا لها أواخر أكتوبر ١٩٧٣ .

وبعد ذلك بثلاثة أيام ، أى فى ٢٨ فبراير ، وصلت جولدا مائير إلى واشنطن للاجتماع بنيكسون وكيسنجر ، وتم إبلاغها بالمحادثات التى جرت مع حسين واسماعيل . وألحت ، كالعهد بها ، فى قضية حصول إسرائيل على مزيد من المساعدة العسكرية . وكان هناك فى تلك اللحظة قرار معلق بشأن شحنة جديدة من الأسلحة . وفى الاجتماع الذى عقده نيكسون معها فى أول مارس حثها على أن تكون أكثر إقبالا على التقدم بأفكار بشأن عقد اتفاقية حول الجبهة المصرية . وإزاء إلحاح مائير على مزيد من الأسلحة ، وافق نيكسون من حيث المبدأ على جدول جديد لتسليم الطائرات ، وإن كان قد حاول جعل الاتفاق سريا .(٥٥)

وعندما كان حافظ اسماعيل عائدا من رحلته إلى واشنطن ، نشرت مقالة فى الصحف مؤداها أن الرئيس الأمريكى قرر تقديم معونة جديدة من الأسلحة لإسرائيل . ولاح أن توقيت المقالة كان مقصودا به إحراج حافظ اسماعيل ، كما أنها أثارت فى القاهرة شكوكا جدية حول نوايا الولايات المتحدة . وبادر كيسنجر بإبلاغ اسماعيل - بصورة تفتقر إلى الكياسة نوعا ما - بأن المقالة تفتقر إلى الصحة . على أنه حدث بعد ذلك بوقت قصير أن نشر فى الصحف تقرير صحيح أكد أن القرار بشأن الأسلحة الجديدة قد اتخذ .(٥٦)

كان الهدف من المسعى الدبلوماسى الذى بدأ فى فبراير هو إنشاء « إطار للتفاوض » بين مصر وإسرائيل . وكان كيسنجر يرى أن هذا المسعى متمم للاتفاق الأمريكى السوفيتى بشأن مبادىء التسوية المستندة إلى ما تم إعداده بصورة مؤقتة فى موسكو فى شهر مايو السابق . وكان يدرك أن جمع شمل كل هذه الأجزاء يحتاج إلى وقت .

ولكن حدثت فى الربيع عدة أحداث صرفت اهتمام راسمى السياسة عن الجبهة المصرية الإسرائيلية ، وأولها اغتيال كليو نويل السفير الأمريكى فى الخرطوم ونائبه جورج مور . وتلقت وكالة المخابرات المركزية إخبارية تقول بأن حركة أيلول الأسود ، الجناح الإرهابى لفتح ، هى المسؤولة عن ذلك وأن عرفات ربما أمر بعمليات القتل .(٥٧) جاءت اغتيالات الخرطوم فى أعقاب العمل الوحشى الذى حدث فى ميونيخ فى سبتمبر السابق عندما قُتل أحد عشر رياضيا إسرائيليا

فى الألعاب الأوليمبية أثناء هجوم إرهابى فلسطينى ، وفى أعقاب اغتيال وصفى التل رئيس وزراء الأردن فى نوفمبر ١٩٧١ على أيدى حركة أيلول الأسود ، فأثارت انشغالا مكثفا بالإرهاب الفلسطينى . ولم تكن هذه اللحظة مناسبة لطرح مبادرات تهدف إلى تحسين العلاقات الأمريكية العربية .

أما الشاغل الثانى للإدارة الأمريكية فكان « أزمة الطاقة » التى تزايد ظهورها فى الأفق ، إذ ارتفع سعر النفط ارتفاعا سريعا منذ عام ١٩٧١ ، وكان الانتاج الأمريكى راكدا وطاقة معامل التكرير الأمريكية غير كافية للوفاء بالطلب ، وربما استشعر نقص فى البنزين وزيت الوقود فى آخر السنة . وكانت شركات النفط تتسم بالعصبية . ولم يكن لدى الرئيس أية سياسة عدا الظهور بمظهر المسيطر ، فى حين أنه كان يبحث عن شخص يتولى الأمر . وبدأ الزائرون للمملكة العربية السعودية يروون أن الملك فيصل صار يتحدث للمرة الأولى عن استخدام سلاح النفط للضغط على الولايات المتحدة ما لم تكره إسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية .

تلقاء هذه الخلفية ، تصاعدت التوترات فى الشرق الأوسط تصاعدا حادا فى أواسط ابريل . وطرح لبنان فى خضم أزمة بالإغارة الإسرائيلية على قلب بيروت التى قتل فيها ثلاثة من كبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية . وأخطر من هذا كله أنه مع انتهاء الشهر كانت استعدادات مصر للحرب بطول قناة السويس تتخذ شكل الاصرار .(٥٨) كما وردت تقارير للمخابرات بأن سوريا قد استكملت إعداد خطة حرب تفصيلية ، وأنها مستعدة لمهاجمة إسرائيل من غير إعطاء مهلة كافية للاستعداد . وقد أخذت إسرائيل هذه الأمارات مأخذ الجد ، وأمرت بتعبئة جزئية . وبحلول أواسط مايو ، كان جو الأزمة قد انقضى .

وفى هذه الأثناء ، كانت قضية ووترجيت المكبوتة قد اشتعلت . وفى ٢١ مارس أبلغ جون دين - وهو محام شاب يعمل فى البيت الأبيض - نيكسون بمدى تورط المستويات العالية فى التغطية على ووترجيت ، وأنذر نيكسون بأن هناك « سرطانا » ينمو فى الرئاسة . وبعد أسابيع من هذه المحادثة ، كان دين يروى قصته للمحققين فى مكتب التحقيق الفيدرالى الذين كانوا يتولون موضوع ووترجيت . ولم تلبث الأدلة أن تجمعت وأمسكت بخناق أقرب معاونى الرئيس - جون ميتشل وهالدمان وجون إرليشمان . واضطر نيكسون بصورة متزايدة إلى الانصراف بوقته وطاقاته لأزمة ووترجيت . وفى ٣٠ ابريل قَبِل استقالة هالدمان وإرليشمان ، ولم يبق من أقرب مستشاريه إلا كيسنجر .

حاول كيسنجر أن يُبقى السياسة المتعلقة بالشرق الأوسط على نفس الخط الذى رسمه فى فبراير ، ولكن ذلك كان متزايد الصعوبة بسبب تضاؤل مكانة نيكسون . وفى ٣ مايو بعث نيكسون إلى الكونجرس برسالته الرابعة عن « حالة العالم » التى عبرت بوضوح عن استراتيجية كيسنجر . وفى القسم المعنون « الوضع اليوم » حث نيكسون على إجراء مفاوضات جادة بين الأطراف المحلية فى الشرق الأوسط ، مؤكدا أن أى تسوية مفروضة لن تدوم . ووصف السيادة والأمن بأنهما قضيتان أساسيتان . ومضى نيكسون يتوسع فى فكرة المفاوضات قائلا :

مازال نهج الخطوة خطوة يبدو أفضل أسلوب عملى ، ولكننا ندرك تماما أن خطوة واحدة بمفردها لن تحقق سلاما . فهناك أولا علاقة بين أى خطوة أولى صوب السلام وبين الخطوات التالية صوب تسوية أوسع . وذهننا مفتوح بإزاء الكيفية التى يمكن بها إقامة هذه العلاقة فى عملية تفاوض ، وبشأن ماهية الدور الذى قد تضطلع به الولايات المتحدة .ولكن لا سبيل إلى تجاهل العلاقة . ولابد ثانيا من التصدى لجميع الجوانب الهامة للنزاع العربى الإسرائيلى فى مرحلة من المراحل ، بما فى ذلك المصالح المشروعة للفلسطينيين . ويمكن التنفيذ على مراحل ، وليس من المستبعد أن يتم حل بعض القضايا والمنازعات بناء على أولويات . ولكن التسوية الشاملة يجب أن تشمل جميع الأطراف وجميع القضايا الأساسية .

فالقضايا ضخمة ومتشابكة ومثقلة بالعواطف . ولا يستطاع الاهتداء إلى حلول فى المبادىء العامة وحدها ، بل لابد من تجسيدها فى ترتيبات ملموسة يتم التفاوض عليها . ولن يتم خداع الأطراف بإجراءات مصطنعة لكى يتخذوا مواقف التراضى على حلول وسط . ولكن هناك مجالا للمواءمة ، وهناك حاجة طاغية للسعى إليها .(٥٩)

بدأ كيسنجر يفكر فى الكيفية التى يستطيع بها حمل الاتحاد السوفيتى على التعاون معه فى مساعيه للشروع فى عملية للتفاوض . ورغب فى أن تؤيد موسكو علانية مجموعة من المبادىء التى تكون مبادىء توجيهية فى التسوية . ولعل الاتحاد السوفيتى يكون أميل إلى التعاون إذا أمكن إقناعه بأن الوضع الراهن ليس فى مصلحته فى الشرق الأوسط . لقد كان طرد المستشارين السوفيت من مصر فى عام ١٩٧٢ تطورا صادف ترحيبا أمريكيا . وداعبت كيسنجر فكرة محاولة إضعاف السوفيت فى العراق واليمن الجنوبى أيضا ـ ربما بمساعدة إيران والمملكة العربية السعودية . وكان من رأيه أن هذه التحركات المعادية للسوفيت فى الشرق الأوسط لا تتعارض مع هدفه وهو الظفر بتأييد السوفيت للمفاوضات بشرط أن تبقى المشاركة الأمريكية سرا .

وفى ٤ مايو وصل كيسنجر إلى موسكو للاعداد لاجتماع القمة الثانى بين نيكسون وبريجنيف . وأثناء وجوده هناك تلقى وثيقة جديدة من جروميكو تتضمن تسعة مبادىء بشأن التسوية العربية الإسرائيلية . وعلى خلاف وثيقة مايو السابقة ، دعت وثيقة جروميكو إلى الانسحاب الإسرائيلى الكامل إلى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ ، كما أشارت إلى « الحقوق المشروعة » للفلسطينيين . وقد تضمنت ملاحظة جديدة مؤداها : أن تقاعس أى من الطرفين عن تنفيذ أى جزء من الاتفاقية يخول للطرف الآخر حق الامتناع عن الوفاء بالتزاماته . وبصورة عامة ، فإن كيسنجر فضل عنها كثيرا وثيقة مايو ١٩٧٢ .(٦٠)

أخفيت هذه المحادثات عن وزارة الخارجية ، مما زاد إلى حد كبير من حالة الإحباط لدى الوزير روجرز . وكانت هيمنة كيسنجر على السياسة الخارجية الأمريكية متزايدة الوضوح مع انحصار نيكسون داخل أزمة ووترجيت . إلا أن منزلته لم تسلم من التحدى ، ففى ١٥ مايو ١٩٧٣ أشار روجرز بمبادرة أمريكية جديدة لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى ، فاقترح قيام الولايات المتحدة بجهد « استكشافى » قد يساعد على تحقيق الاستقرار فى المنطقة ، حتى وإن لم يسفر عن نتائج مباشرة . واقترح اتباع نهج ذى مسارين يكون أحدهما علنيا والآخر سريا . أما المسعى العلنى فيركز على اتفاقية القناة ، مثلما حدث فى ١٩٧١ ، فى حين يهدف المسعى السرى إلى إجراء محادثات مصرية إسرائيلية مباشرة حول القضايا الأوسع . ورغبة منه فى الخروج من الطريق

المسدود الذى ووجه قبلا ، أوصى بأن تحاول الولايات المتحدة إقناع الأطراف بأن القرار ٢٤٢ لا يؤيد العودة إلى الخطوط السابقة ليونيو ١٩٦٧ ولا يمنعها . وإذ كان كيسنجر غير متحمس لذلك ، فإن نيكسون لم يقدم لروجرز أى تشجيع بناء على اقتراح من كيسنجر .

وازداد سخط روجرز بدرجة أكبر عندما علم مصادفة أن كيسنجر كان يعتزم الاجتماع مرة ثانية بحافظ اسماعيل . وفى هذه المرة أصر على أن يكون واحد من ممثليه الخاصين حاضرا ، فلما اجتمع كيسنجر وإسماعيل سرا خارج باريس فى ٢٠ مايو ، كان ألفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى جزءا من الفريق الأمريكى .

وفى أثناء هذه المحادثات كان حافظ اسماعيل أقل احتفالا بالمضمون مما كان فى فبراير . وعوضا عن ذلك ركز أسئلته على الدور الذى تعتزم الولايات المتحدة النهوض به . وأى نوع من مشاركة البيت الأبيض تستطيع مصر توقعه ؟ ولماذا تواصل الولايات المتحدة تسليح إسرائيل بمثل هذا الإغداق ؟ وكيف يتسنى جعل السيادة المصرية فى سيناء سيادة حقيقية لا مجرد سيادة رمزية ؟ ونوقشت القضايا التى لم تحل منذ فبراير ولكن دون حسم . وأصر اسماعيل على أن السلام النهائى بين مصر وإسرائيل رهن بحل المشكلة الفلسطينية .

وأوضح كيسنجر لاسماعيل استراتيجيته التى تتحصل فى محاولة التوصل إلى اتفاق أمريكى سوفيتى حول المبادىء ، تتلوه مفاوضات سرية بين الاطراف . ولبضع دقائق تحدث كيسنجر مع اسماعيل على انفراد ، وأحس بأنه يحرز شيئا من التقدم . ثم أشار إلى أن من المرغوب فيه إجراء مزيد من المحادثات ، فوعد اسماعيل بإرسال رد مبكر ، وعندما جاء الرد فى ٣ يونيو ، كان ردا متحفظا يفتقر إلى الحماس . فلعل المصريين قد بدأوا يتشككون فى قدرة نيكسون على تحقيق نتائج بالنظر إلى قاعدته الداخلية المتداعية . وأيا كان الأمر ، فإن النغمة المبشرة بالخير فى شهر فبراير كانت مفتقدة فى شهر مايو .(٦١)

زيارة بريجنيف

كانت العلاقات الأمريكية المصرية تبدو آخذة فى الركود ، وهو ما لا يمكن أن يقال عن الروابط الأمريكية السوفيتية . وكان كيسنجر قد عومل فى الاتحاد السوفيتى بكثير من المجاملة والاهتمام فى شهر مايو ، وها قد وصل الآن السكرتير العام ليونيد بريجنيف فى شهر يونيو فى أول زيارة له إلى الولايات المتحدة . وقد انصبت المحادثات الخاصة بالشرق الأوسط على وثيقة مايو ١٩٧٢ مع بعض إضافات من مشروع أحدث أعده جروميكو . إلا أن الصيغة السوفيتية حول الانسحاب التام و « حقوق » الفلسطينيين لم تكن مقبولة لدى الولايات المتحدة .

ناقش نيكسون وبريجنيف ومعهما كيسنجر وجروميكو والعاملون معهما موضوع الشرق الأوسط مناقشة مسهبة . وحذر بريجنيف من أن المصريين والسوريين عازمون على خوض الحرب ، وأن الاتحاد السوفيتى ليس فى وسعه منعهما . ولا سبيل إلى منع الحرب إلا بمبادرة أمريكية جديدة ، ولا سيما بالضغط على إسرائيل لكى تنسحب .(٦٢) أما البيان المشترك الذى صدر فى ٢٥ يونيو

١٩٧٣ فلم يعط إلا فكرة ضئيلة عن مضمون المحادثات . بل إن السوفيت رفضوا الإشارة إلى القرار ٢٤٢ إلا إذا أشير أيضا إلى وثيقة يارنج لشهر فبراير ١٩٧١ . ومن هنا اقتصرت الصياغة النهائية على القول بأن « الطرفين اتفقا على المضى فى بذل جهودهما للوصول إلى تسوية فى الشرق الأوسط بأسرع ما يمكن ، وأن تكون هذه التسوية طبقا لمصالح جميع الدول فى المنطقة ، وأن تتفق مع استقلالها وسيادتها ، وأن تدخل فى حسابها المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى » .(٦٣)

بعد محادثات القمة فى شهر يونيو ، دخلت سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط فى حالة الخمود الصيفى . وعلى أى حال ، لم يكن فى الوسع عمل شىء ذى بال إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية ، حسب قول كيسنجر . ووواضح أن العرب كانوا فى حالة إحباط ، ووصف السادات الولايات المتحدة فى ٢٣ يوليو بأنها « أكبر بلطجى فى العالم » ، وكان الملك فيصل يربط علنا بين النفط والنزاع العربى الإسرائيلى .(٦٤) كما أن السادات بدا عازما على إكراه الولايات المتحدة على كشف موقفها المناوىء للعرب بمطالبته بمناقشة أزمة الشرق الأوسط فى الأمم المتحدة ثم بإلحاحه فى الاقتراع على قرار يدين إسرائيل إدانة قوية . وللمرة الخامسة فى تاريخ الولايات المتحدة قامت باستخدام حق الفيتو . فكان رد الفعل فى العالم العربى غاضبا . وتعجب كيسنجر من السادات ، ولماذا كان يسعى إلى مواجهة . أتراه كان يبذل مجرد محاولة لإكراه الولايات المتحدة على القيام بدور أنشط ؟

وخلال الأسبوع الثالث من يوليو ١٩٧٣ ، وقف كيسنجر جزءا كبيرا من الوقت على الشرق الأوسط ، ولاسيما على موضوع المشاركة السوفيتية . وأزعجه أن ميل وزارة الخارجية إلى حل الصراعات جعل الولايات المتحدة « تتكىء » على أصدقائها . وكان هو يفضل البناء على هذه الصداقات لرعاية المصالح الأمريكية فى المنطقة .

وقد تحدث كيسنجر إلى الصحافة عن خلفية النزاع العربى الإسرائيلى ، كما تحدث إلى العاملين معه ، فطور هذا المنظور بشأن النزاع . أما مبادرات السلام الامريكية بشأن الشرق الأوسط التى نشرت على نطاق واسع ، فقد نعتها بأنها « كارثة » . فعندما خرجت أمريكا بأفكارها إلى العلن ، هوجمت من جانب إسرائيل ومن جانب اللوبى الإسرائيلى ومن جانب العرب ، وهكذا أمسك بتلابيبها الجميع . وفى رأيه أن الولايات المتحدة افتقرت إلى وسيلة للتأثير فى الشرق الأوسط من النوع الذى كان لها فى فيتنام . وعليها قبل أن تتحرك فى العلن بأية مبادرة جديدة أن تجعل واحدا من الجانبين واقفا فى صفها « بحيث نستطيع أن نتحرك ضد الآخر » ، وبهذه الكيفية لا تتعرض الولايات المتحدة لهجوم من الطرفين . يضاف إلى هذا أنه لا يسعها أن تعزل نفسها عن إسرائيل عزلا شديدا دون أن تبدى إشارات خطيرة للاتحاد السوفيتى .

وكان فى اعتقاده أن الموقف التفاوضى العربى موقف « مستحيل » . فالعرب يطالبون بالانسحاب الإسرائيلى الكامل فى مقابل إنهاء حالة الحرب ؛ ثم يتعين على إسرائيل ، حسبما يقوله المصريون ، أن تتفاوض مع الفلسطينيين للتوصل إلى سلام نهائى . كما أن موقف مصر شديد الغموض بشأن الفرق بين إنهاء حالة الحرب وإقامة السلام النهائى . ولا يسع الولايات المتحدة ببساطة أن تطلب من إسرائيل الانسحاب وبعد ذلك تتحدث إلى الفلسطينيين . يضاف إلى هذا أن

مصر لم تكن واضحة بشأن الملك حسين ، وهل يستطيع أن يتحدث بالنيابة عن الفلسطينيين .

وكانت حجة كيسنجر أنه من غير المستطاع إكراه إسرائيل على قبول حل شامل على الفور . ومن الضرورى تقسيم المفاوضات إلى أجزاء تستطيع إسرائيل خلالها تدبر أمرها ، ويتعين بعد ذلك أن تمضى المفاوضات خطوة خطوة . وكان إحساسه أن مصر تسهل على إسرائيل تحقيق غرضها لأن إسرائيل كانت مهتمة أساسا بإضاعة الوقت . ومن ناحية أخرى ، فإذا أمكن الشروع فى عملية تفاوض ، فإن التاريخ يساعد على السير نحو التسوية .

وواصل كيسنجر محاولته الفصل بين السيادة والأمن . وكان يدرك أن السادات يرى فى هذه التفرقة شقشقة لسان ، ولكنها كانت أفضل بالنسبة لمصالح مصر من المواقف السابقة . كما كان كيسنجر يعتقد بأن إقدام الولايات المتحدة على تبنى سياسة أكثر توازنا لن يكون مفيدا . فالعرب يريدون من الولايات المتحدة أن تتخذ مواقف ، ولكن ذلك لن يكون مجديا . وكان كيسنجر يريد ، بدلا من ذلك ، الاحتفاظ بالنفوذ الأمريكى لدى إسرائيل إلى أن يحين الوقت الذى يؤدى فيه اتخاذ موقف منفصل إلى نتائج ملموسة . وقد سعت الولايات المتحدة إلى الأخذ بسياسة متوازنة ، ولكن هذا كان يحتاج إلى « نقطة ارتكاز لتحريك الموقف » . فلا يسعها أن تؤيد الحد الأقصى للموقف العربى فى المفاوضات ، ولكن متى بدأت المفاوضات فعلا ، أخذت إسرائيل فى التراجع ، وسارت عملية التفاوض فى طريقها . وكان من رأى كيسنجر أن زحزحة الإسرائيليين من أى مكان آخر فى سيناء أسهل من زحزحتهم من خطوط وقف إطلاق النار .

هذه الأفكار هى تلخيص جيد لآراء كيسنجر بشأن النزاع العربى الإسرائيلى كما كانت فى أواسط عام ١٩٧٣ . وتبرز فى هذه الآراء أهمية العلاقة الأمريكية الإسرائيلية ، وانشغال كيسنجر بالاتحاد السوفيتى . أما دروس الأزمة الأردنية فكانت لاتزال ماثلة فى الذهن بعد ما يقرب من ثلاث سنوات .

وفى ٢٢ أغسطس أذاع نيكسون بيانا مفاجئا بأنه سيعين هنرى كيسنجر وزيرا للخارجية محل وليام روجرز ، مع احتفاظ كيسنجر بمنصبه كمستشار للرئيس لشؤون الأمن القومى . ولم يعد كيسنجر يخشى من قيام وزير الخارجية بإضعاف استراتيجيته .

وفى ٢٥ سبتمبر ، بعد ثلاثة أيام من تولى كيسنجر منصب وزير الخارجية ، اجتمع بمعظم السفراء العرب فى الأمم المتحدة ، وحاول أن يرسخ أوراق اعتماده كوسيط ذى مصداقية ، وكان يمزح من ناحية أنه من أصل يهودى .(٦٥) ووعد بأن يعمل على تحقيق تسوية ، ولكنه حذر السفراء من توقع معجزات . فهو لن يعد إلا بما يستطيع تقديمه ، ولكنه سيقدم كل ما وعد به . وقد صارت هذه عبارة شائعة تتكرر فى محادثات كيسنجر مع العرب .

وعلى مدى الأسبوعين التاليين ، تحدث كيسنجر عدة مرات مع وزراء خارجية الدول العربية واسرائيل الذين شهدوا اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك . واقترح - وهو ما لاح أنهم وافقوا عليه - إجراء محادثات جادة بين مصر وإسرائيل تقوم فيها الولايات المتحدة بدور الوسيط وتبدأ فى نوفمبر . وفى ٥ أكتوبر اجتمع بالزيات وزير الخارجية المصرى لتأكيد هذه

الترتيبات . وبصورة عامة كان راضيا عن نتائج أول غزوة له لدبلوماسية الشرق الأوسط بوصفه وزيرا للخارجية .

وفى اليوم التالى ، يوم الغفران اليهودى (يوم كيبور) شنت مصر وسوريا هجوما عسكريا مشتركا على القوات الإسرائيلية فى مرتفعات الجولان وسيناء ، فانهالت الانقاض على سياسة كيسنجر بعدما فاجأته الحرب التى كان بين حين وآخر يبدى خشيته منها ، ولكنه لم يكن يتوقع حدوثها فعلا . وكانت النقطة المحورية فى سوء تقديره لنوايا العرب أنه كان يعتقد بأن فى الوسع تفادى الحرب بالمحافظة على الميزان العسكرى لصالح إسرائيل . وهذا الرأى ، الذى تكون فى خضم أزمة الأردن ، كان رأيا مضللا بدرجة خطيرة .

خلاصـة

كانت الفترة بين أزمة الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ فترة هدوء خادع فى الشرق الأوسط ، إذ فى عدم وجود أزمة حادة ، لم يولى راسمى السياسة الأمريكيون المنطقة إلا اهتماما قليلا نسبيا . وكان الإطار المرجعى الأساسى ، الذى أعده نيكسون وكيسنجر ، يؤكد على المنافسة الأمريكية السوفيتية ، وعلى الحاجة إلى المحافظة على ميزان للقوة يكون فى صالح إسرائيل . وحاولت وزارة الخارجية بصورة دورية طرح مبادرة جديدة - محادثات يارنج ، التسوية المرحلية بشأن القناة ، المحادثات عن قرب - ولكن البيت الأبيض كان ، على أحسن الفروض ، يؤيدها تأييدا يسيرا ، وكان فى بعض المناسبات سلبيا تماما . وتجسمت المنافسات البيروقراطية فى العراك بين روجرز وكيسنجر . وبصورة عامة وقف نيكسون إلى جانب كيسنجر .(٦٦) وترتب على ذلك أن كانت سياسة الولايات المتحدة خلال هذه الفترة سياسة غير فعالة وغير متناسقة .

وفى أثناء محادثات التسوية المرحلية بشأن القناة ، كانت السياسة معيبة بصورة خاصة ؛ أما وساطة روجرز وسيسكو ومذكرة برجيس فقد خلفت فى إسرائيل ومصر والبيت الأبيض مذاق مرا . وخلال هذه الفترة التى خلت من أزمات ، بدأت السياسات الداخلية بدورها تتدخل بصورة ملحوظة فى رسم السياسة . وبسبب حتميات سنة الانتخابات فى عام ١٩٧٢ ، لم تطرح أية مبادرات ، ولا حتى تجاوبا مع طرد السادات للمستشارين السوفيت . ثم بدأت ووترجيت فى عام ١٩٧٣ تصرف اهتمام الرئيس عن المنطقة التى كان قد وعد بأن يوليها أعلى أولوية فى سياسته الخارجية .

ومع شروع كيسنجر فى التركيز على الشرق الأوسط ، أخذت تداعبه فكرة السعى إلى اتفاق أمريكى سوفيتى حول المبادىء باعتباره خيطا من خيوط سياسته ، فى حين أنه كان يتحدث أيضا مع مصر وإسرائيل حول خطوات مرحلية ومبادىء لتحقيق تسوية شاملة . ومن الغريب أن كلا من هذه الأفكار سبق لروجرز أن جربه وفشل . ولم يكن كيسنجر بأنجح منه ، ولكن بدا أن هدفه الكبير هو جعل العرب يعانون من الإحباط بحيث ينشقون على راعيهم السوفيتى ويتحولون إلى

الولايات المتحدة طلبا للعون . ولكن عندما أخذ السادات يتحرك فى هذا الاتجاه فى عام ١٩٧٢ لم يأخذه كيسنجر مأخذ الجد .

وكان أبرز تحول في السياسة فى هذه الفترة يتصل بالعلاقات الأمريكية الإسرائيلية . فبرغم الخلافات الدورية حول الأسلحة ، دخلت الولايات المتحدة وإسرائيل في مرحلة تعاون غير معتادة في علاقاتهما التى كثيرا ما عراها الاضطراب . وكانت هذه المرحلة - وإلى حد كبير - نتيجة لأزمة الأردن ولنظرة كيسنجر إلى إسرائيل باعتبارها رصيدا استراتيجيا . وفى السنوات المالية ١٩٦٨ و ١٩٦٩ و ١٩٧٠ تسلمت إسرائيل من الولايات المتحدة قروضا عسكرية قيمتها ٢٥ مليون دولار و ٨٥ مليون دولار و ٣٠ مليون دولار على التوالى . وبعد أزمة الأردن ، وفى السنوات المالية ١٩٧١ و ١٩٧٢ و ١٩٧٣ تلقت إسرائيل قروضا عسكرية قدرها ٥٤٥ مليون دولار و ٣٠٠ مليون دولار و ٣٠٧,٥ مليون دولار على التوالى - أى ما يقرب من زيادة فى المعونة بمقدار عشرة أمثال .

ومع ذلك ، فقد ثبت أن الميزان العسكرى ليس مفتاحا للاستقرار الإقليمى ، ولمنع الحرب . ولا حال الانفراج دون استمرار الاتحاد السوفيتى فى تسليح مصر وسوريا والعراق ، على الرغم من تعاظم الأمارات على أن العرب يعتزمون استئناف القتال . وبقى نيكسون وكيسنجر مفتقرين إلى الحساسية تجاه الاتجاهات الإقليمية المفضية إلى الحرب ، وتجاهلا الأهمية المتنامية للنفط العربى باعتباره عنصرا فى المعادلة الاقليمية . أما المفاهيم التى كانا يهتديان بها فى سياساتهما فقد كانت ، بكل بساطة ، أوسع من أن تستوعب هذه التطورات ؛ ولم يكن كيسنجر مقتنعا بالحاجة إلى مبادرة أمريكية كبيرة فى الشرق الأوسط .(٦٧) لقد احتاج الأمر إلى حرب أكتوبر لكى تتغير السياسة الأمريكية ، ولكى ينشغل نيكسون وكيسنجر انشغالا تاما بالبحث عن تسوية عربية إسرائيلية .

الفصل السابع

الحرب وإعادة تقييم الموقف ، أكتوبر ١٩٧٣

اكتملت فى الحرب العربية الإسرائيلية فى أكتوبر ١٩٧٣ جميع عناصر الأزمة الدولية الحادة ، فقد أخذت الحرب غالبية دول العالم على غرة ، بما فى ذلك الولايات المتحدة وإسرائيل ؛ كما أنها لم تتفق مع الرؤية المسبقة لأى شخص عن كيفية نشوب حرب فى الشرق الأوسط ؛ وكذلك هددت القيم الجوهرية للبلدان المعنية بالنزاع مباشرة وكذلك القوى الخارجية ؛ وانتهت إلى ما يشبه المواجهة بين الدولتين النوويتين العظميين - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

والأزمات بطبيعتها تكشف بصورة حادة عن الافتراضات السائدة عن الواقع ، لأن صانعى القرار عندما يتعرضون للمباغتة والخطر وعدم اليقين ، يتحركون من منطلق التصورات المسبقة للواقع . وعندما لا يعود الواقع مطابقا لتلك الصور ، ويتعرض صانعو القرار لضغط شديد من جانب الوقت والأحداث ، فإنهم يعمدون فى الغالب إلى إعادة بناء تصوراتهم بسرعة غير عادية . إذ أن الفشل أو الخطر المحدق ، مثله مثل احتمال التعرض لحبل المشنقة ، يؤدى إلى صفاء العقول . وتجرى بسرعة عملية إعادة ترتيب عناصر الواقع وتجربة سياسات جديدة . وإذا أمكن حل الأزمة بنجاح ، فإن الصورة المنقحة أو التى أعيد بناء هيكلها يرجح أن تدوم بعض الوقت ، وتستمد منها الدروس ؛ ومن ثم ، يبرز إطار سياسة جديدة لتوجيه العمل لحين التعرض للفشل أو الأزمة التالية . وهكذا تبدو حرب أكتوبر ذات أهمية مزدوجة كموضوع للدراسة ، حيث إنها كشفت عن الافتراضات الكامنة وراء السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٣ وأدت إلى إجراء تعديل كبير فى هذه الافتراضات خلال فترة قصيرة للغاية .

لماذا المفاجأة ؟

بعد السادسة صباحاً بقليل بتوقيت واشنطن يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تلقت غرفة العمليات فى البيت الأبيض برقية عاجلة من السفارة الأمريكية فى تل أبيب . فقد تأكدت إسرائيل بالدليل القاطع أخيراً من أن المصريين والسوريين يخططون للهجوم فى السادسة مساء بتوقيت الشرق الأوسط (الثانية عشرة ظهراً بتوقيت واشنطن) . وأكدت رئيسة الوزراء جولدا مائير للولايات المتحدة أن إسرائيل لا تعتزم استباق التحرك العربى ، وطالبت بأن تتجه الجهود الأمريكية إلى الحيلولة دون نشوب الحرب. وتلقى كيسنجر الرسالة فى نيويورك ، بينما كان نيكسون فى « كى بيسكين »

بفلوريدا وقد انتابه القلق بشأن الأدلة التى توافرت مؤخرا على فساد نائب الرئيس سبيرو أجينيو . ولم يبلغ نيكسون على الفور بفحوى الرسالة الجديدة المنذرة بالخطر . فقد كانت الأزمة منذ البداية هى أزمة كيسنجر ، وليست أزمة نيكسون .

وخلال الساعتين الأخيرتين قبل بدء الحرب ، تولى كيسنجر دفة الأمور ، فدعا الإسرائيليين إلى عدم القيام بعملية وقائية ، وحث السوفيت على استخدام نفوذهم ، لمنع الحرب ، واتصل تليفونيا بالسفير المصرى لدى الأمم المتحدة لإبلاغه بما جاء فى الرسالة الإسرائيلية من أن إسرائيل لن تلجأ إلى عملية وقائية ، وبعث برسائل إلى الملك حسين والملك فيصل للحصول على معاونتهما لصالح الاعتدال . وذهبت جهود كيسنجر هباء ، وجاءت الكلمة الأولى عن اندلاع عمليات القتال بعد الثامنة صباحا بقليل .

لماذا أخذت واشنطن على غرة ؟ المؤكد أنه كانت هناك دلائل كثيرة على أن مصر وسوريا كانتا تشعران بالإحباط إزاء الحالة القائمة ، وعلى أنهما تمتلكان قدرات عسكرية كبيرة ، وأنهما عازمتان على اللجوء إلى القوة فى وقت ما لاستعادة أراضيهما التى فقدت عام ١٩٦٧ .[١] وكان السادات قد أعلن على الملأ فى مناسبات عديدة عزمه على خوض الحرب ، خاصة فى أبريل ١٩٧٣ .[٢] وكانت المناورات العسكرية المصرية التى جرت فى الربيع قريبة من الحرب الواقعية بصورة غير طبيعية ، الأمر الذى أثار فزعاً حقيقياً من نشوب الحرب . وكان محللو المعلومات بوزارة الخارجية قد تنبأوا فى ٣١ مايو فى استقرائهم لأزمة الربيع ، بأن فرصة مضى السادات لخوض غمار الحرب مع قدوم الخريف تزيد على ٥٠ فى المائة نظرا لعدم وجود مبادرة سياسية للتسوية تحظى بالمصداقية .[٣] وكان السكرتير العام بريجنيف ، فى مباحثاته مع الرئيس نيكسون فى سان كليمنت فى يونيو قد حذر من أن العرب يخططون للحرب وأنهم عازمون على ذلك هذه المرة ، وأن الضغط الأمريكى على إسرائيل هو وحده القادر على منع نشوب القتال .

وكان كيسنجر قد شعر بالقلق لمؤشرات التوتر هذه ، فطلب إعداد خطة طوارىء جديدة بشأن النزاع العربى الإسرائيلى ، تحدد ما الذى سيحدث فى حالة وقوع حرب أخرى ؟ وما هى الخيارات التى ستكون متاحة للولايات المتحدة ؟ ولما كانت البيروقراطية تمقت خطط الطوارىء ، فقد وقعت المسؤولية على عاتق موظف بسيط بوزارة الخارجية ، تصور أن المهمة برمتها مضيعة للوقت ، لأنه يعتقد أن الإسرائيليين أقوياء إلى الحد الذى لا يجرؤ معه العرب على شن هجوم . وعندما نشبت الحرب بعد ذلك بعدة شهور كانت خطة الطوارىء قابعة فى درج ملفاته لم تستكمل بعد .

ومع قدوم الخريف كانت هناك عدة مؤشرات جديدة للخطر ، يستطيع أن يراها كل من يكلف خاطره بمراقبة الأمور . كانت الشحنات العسكرية السوفيتية لمصر وسوريا ، وخاصة الأخيرة ، تجرى على مستوى مرتفع . وقامت مصر وسوريا والأردن فى منتصف سبتمبر بتصفية الخلافات فيما بينها ، فى نفس الوقت الذى اشتعل فيه التوتر على الجبهة السورية الإسرائيلية .[٤] وبعد ذلك بقليل بدأت سوريا فى نقل بعض قواتها من الحدود الأردنية إلى الجولان ، وتحريك أعداد كبيرة من الصواريخ أرض ـ جو إلى المنطقة الواقعة بين دمشق والجبهة الإسرائيلية . وكانت

هذه التحركات معلومة لواشنطن ، وفسرتها على أنها رد فعل للمعركة الجوية التى وقعت فى ١٣ سبتمبر وأسقطت فيها إسرائيل اثنتى عشرة طائرة سورية ، ولتخفيف حدة التوتر مع الأردن . وفى نفس الوقت تقريباً ، بدأت مصر مناورات الخريف . وفى ٢٦ سبتمبر أيقظوا كيسنجر لإبلاغه بأن القوات المصرية قد وضعت على درجة عالية من الاستعداد . وإزاء كل ذلك ، تقرر مضاعفة أنشطة المخابرات الأمريكية لجمع المعلومات فى الشرق الأوسط ، وطلب كيسنجر إلى وكالة المخابرات المركزية ومكتب المعلومات والبحوث إعداد تقدير لاحتمالات وقوع حرب بين العرب وإسرائيل . وتدفقت المعلومات بصورة مذهلة ، غير أنها لم تكن متسقة . ففى الوقت الذى ورد فيه تقرير « موثوق به » بأن مصر وسوريا تخططان لشن هجوم عسكرى مشترك فى المستقبل القريب ، وردت عشرات التقارير الموثوق بها أيضا لترسم صورة مغايرة تماما .

وفى ٥ أكتوبر دخل فى المعادلة عنصر جديد . فقد أوردت التقارير أن المدنيين السوفيت يجرى إجلاؤهم من سوريا ومصر . فهل كان السوفيت يعرفون شيئا لا يعرفه الأمريكيون ؟ أم أن عملية الاجلاء كانت علامة على وجود أزمة فى العلاقات العربية السوفيتية مثلما حدث فى يوليو ١٩٧٢ ؟(٥) ولم يكن فى الامكان تأكيد أى من التفسيرين فى البداية ، غير أن التقرير اليومى لوكالة المخابرات المركزية فى ٦ أكتوبر انتهى مبدئيا إلى ترجيح التفسير الثانى ، حيث إنه لا توجد مؤشرات واضحة لعمليات قتالية وشيكة .(٦)

لماذا أخطأ مجتمع المخابرات الأمريكية ؟ ولماذا أخذ كيسنجر على غرة ؟(٧) وأين كان جميع « خبراء » الشرق الأوسط ؟ لقد أدى نوعان أساسيان من التحيز الفكرى إلى الخطأ فى تفسير النوايا المصرية السورية . أولهما ، الافتراض الشائع بأن « التوازن العسكرى » هو وحده القادر على تحديد ما إذا كانت حرب أخرى ستنشب فى الشرق الأوسط . وكان ذلك الافتراض عنصرا أساسيا فى السياسة الأمريكية منذ عام ١٩٦٧ . وأنه مهما كان الشعور عارما لدى العرب بضرورة استعادة أراضيهم ، فإنهم لن يجازفوا بدخول حرب يواجهون فيها هزيمة مؤكدة . وأنه نظراً للتفوق الكيفى لإسرائيل فى المجال العسكرى ، وللتدفق الكبير للأسلحة الأمريكية بعد ١٩٧٠ ، فإن إقدام العرب على شن حرب سيكون عملا أخرق . كما أنه لم يكن متوقعا أن تشعر إسرائيل بالحاجة لعملية وقائية .

وببساطة ، لم يكن نشوب حرب يتم التخطيط لها بصورة رشيدة أمرا محتملا فى ضوء الحقائق العسكرية . وبدا أن الحرب غير المتعمدة ، نتيجة لردود فعل أحد الأطراف إزاء التحركات الدفاعية للطرف الآخر ، هى الأكثر احتمالاً ، وهى أمر يصعب توقعه أو التنبؤ به .(٨) وأخيرا ، ربما تنشب الحرب باعتبارها عملا غير عاقل ، ولكن ، ذا أيضا لا يمكن التنبؤ به بدقة .

ثانيهما ، إن الحرب لم تكن تبدو قرارا حكيما للعرب إلا فى حالة تعذر البديل السياسى لاسترداد أراضيهم . وبالرغم من أن الجانب الأكبر من البيروقراطية الأمريكية لم يكن يعرف ، فإن كبار المسؤولين كانوا يعرفون أن كيسنجر قد رتب ، من خلال مباحثاته مع الإسرائيليين والمصريين فى الأمم المتحدة ، لعقد محادثات أولية بشأن التسوية تدور فى شهر نوفمبر ، بعد إجراء الانتخابات الإسرائيلية . وكان من شأن استمرار التفوق العسكرى لإسرائيل ، ووجود البديل السياسى ، أن

يجعلا من إقدام العرب على شن حرب أمرا غير محتمل . أما المناورات والتهديدات والتحذيرات فيمكن تفسيرها على أنها جزء من حملة سوفيتية عربية لإجبار الولايات المتحدة على الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات .

وقد لا يقل أهمية عن تلك الأخطاء الفكرية ، ذلك الشعور بأن إسرائيل لديها أكبر حافز وأفضل الامكانيات لتقرير ما إذا كانت الحرب قادمة أم لا ،[٩] حيث إن إسرائيل وليست الولايات المتحدة ، هي في نهاية المطاف التي ستكون هدف أي تهديد عسكري عربي ، وأن المخابرات الإسرائيلية تتمتع بسمعة ممتازة ، وتحصل علىٰ المعلومات من مصادر غير متاحة للولايات المتحدة . ومن ثم ، فاذا لم يكن الإسرائيليون شديدي القلق ، فلماذا يقلق الأمريكيون ؟ وأظهرت المضاهاة المتكررة للمعلومات مع المصادر الإسرائيلية أن الموقف أقرب إلى الاسترخاء . وحتى في يوم ٥ أكتوبر حينما كانت إسرائيل تقترب من ترتيب أجزاء الصورة بدقة ، وردت رسالة إلى كيسنجر من جولدا مائير تتضمن تقييماً للموقف انتهت فيه إلى أن أيا من مصر أو سوريا لا تخطط لشنّ حرب ، ولكن إذا كان العرب يتشككون في نوايا إسرائيل فقد طلبت مائير من كيسنجر أن يطمئنهم إلى أن إسرائيل ليست لديها مخططات للهجوم .[١٠]

ورغم توافر كافة المعلومات الدقيقة فنيا لدى واشنطن بشأن الاستعدادات العربية للحرب ، فقد نجحت مصر وسوريا في تطبيق مستويات عالية للسرية والتمويه . وكان عملاء المخابرات الإسرائيلية الموجودون في مواقع جيدة في مصر قد ألقى القبض عليهم في أوائل ١٩٧٣ .[١١] ولم يأتمن الرئيسان أنور السادات وحافظ الأسد أحدا تقريبا على اللحظة المحددة للهجوم . وكان تأمين الاتصالات في الأيام السابقة للهجوم جيدا بصورة غير عادية ، واستخدمت تاكتيكات الخداع بنجاح . ومع ذلك فقد تلقت إسرائيل تحذيرا قبل وقوع الأحداث بعشر ساعات تقريبا .[١٢] إلا أنه لم يكن هناك وقت كاف لاتخاذ أي خطوات لمنع الحرب ، بل لم يعد هناك الكثير الذي يمكن عمله للحد من الدمار الذي سيحدثه الهجوم العربي الأولي .

وقد قال البعض إنه لو كانت إسرائيل قد وجهت ضربة جوية وقائية ، لتغيرت مجريات الحرب بصورة كبيرة . كما تعرضت الولايات المتحدة للوم من جانب بعض الأوساط لمنعها إسرائيل من القيام بعملية وقائية . ولا شك في أن كيسنجر ونيكسون حذرا إسرائيل بانتظام من تحمل مسؤولية بدء الحرب في الشرق الأوسط ، وهو ما كرره كيسنجر قبل بدء العمليات القتالية مباشرة ، لكن رئيسة الوزراء مائير كانت قد قالت قبل ذلك إن إسرائيل لن تقوم بعملية وقائية . فالقرار الإسرائيلي لم يصنع في واشنطن ، على الأقل يوم ٦ أكتوبر .

ردود الفعل الأولية

بعد عدة ساعات من نشوب الحرب ، لم تكن واشنطن تعرف ما إذا كان الإسرائيليون أو العرب هم الذين بدأوا باطلاق النار . وفي الاجتماع السريع الذي عقده فريق العمل الخاص في واشنطن في التاسعة صباحا ، كان الرأي السائد أن الأرجح أن إسرائيل هي التي ضربت أولا .[١٣] وكان رأي وليام كولبي مدير وكالة المخابرات المركزية أن أحداً من الجانبين ، على أي حال ، لم تكن

لديه النية المسبقة للقيام بعمل عسكرى ، وإنما جاءت الحرب نتيجة لمخاوف متبادلة من الأفعال وردود الأفعال التى تصاعدت إلى عمليات قتالية .[١٤] وساد شعور بأن على الولايات المتحدة ألاّ توجه اتهامات إلى أى من الجانبين . فإن العديد من المصالح فى خطر - الانفراج الأمريكى السوفيتى ، والعلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، ومصداقية الولايات المتحدة لدى العرب ، وتعرض سلطة الرئيس للضعف . لذلك اتسم رد الفعل الأمريكى الأولى بالحذر .

وسرعان ما اتضح أن المصريين والسوريين هم الذين بدأوا الأعمال العسكرية ، غير أنه على مدى ثلاثة أسابيع لم يجعل أى من المسؤولين الأمريكيين من ذلك أمرا له أهمية . فالبحث فى السجلات العامة عن إشارة إلى « عدوان » عربى لن يكون له طائل .[١٥] وعلى النقيض من الرئيس جونسون الذى ألقى على عبد الناصر مسؤولية حرب ١٩٦٧ ، بالرغم من أن إسرائيل هى التى فتحت النار فى ٥ يونيو ، فقد تجاهل نيكسون وكيسنجر مسألة من هو الجانب المخطىء . ومن الأسباب التى دعت إلى هذا المنظور « المتوازن » أن العلاقات الأمريكية العربية كانت تتزايد أهميتها بسبب البترول ، وأن الوقت لم يكن مواتيا للمواجهة ، بالاضافة إلى أن الهجوم العربى على القوات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة ليس مثل الهجوم عبر حدود معترف بها ، وأن الأمر الواقع السائد قبل الحرب أعطى العرب فى الحقيقة حافزا كافيا لمحاولة كسر مأزق « اللا حرب واللا سلم » ، بتدبير أزمة دولية . وعلى امتداد عدة أيام ، ساد الاعتقاد بأن العمل العربى قد يكون حماقة ، ولكنه ليس منافياً للأخلاق .

وقرب نهاية اليوم الأول من القتال ، عقد فريق العمل الخاص فى واشنطن اجتماعا ثانيا ، رأسه كيسنجر هذه المرة . ومن أجل كافة الأغراض العملية كان كيسنجر هو الذى يضع - بالتشاور عادة مع الرئيس نيكسون سواء مباشرة أو عن طريق ألكسندر هيج رئيس هيئة الأركان العامة - السياسة على مدى الأسابيع العديدة التالية ، مع مدخلات بين الحين والآخر من جانب وزير الدفاع جيمس شليزنجر . ولذلك كان لآراء كيسنجر الأولية أهمية خاصة .

عند دخول كيسنجر غرفة تحديد المواقف فى الساعة السابعة واثنتين وعشرين دقيقة مساء ، كان أحد أعضاء الوزارة يقرأ فى هدوء صفحة الفكاهة فى إحدى الصحف المحلية . وكان أعضاء الفريق الآخرين يتندرون باستخفاف بموضوع الأزمة . وبقدوم كيسنجر بدأت المناقشة الجادة . وأخبرهم كيسنجر بأنه اتصل لتوه تليفونيا بكل من نيكسون والسفير السوفيتى أناتولى دوبرينين ووزير الخارجية الإسرائيلى أبا إيبان .[١٦] وقال إن الرئيس يريد تحريك الأسطول السادس شرقا ليرابط بالقرب من جزيرة كريت كمؤشر واضح للقوة الأمريكية . وصدرت الأوامر لإحدى حاملات الطائرات بمغادرة الميناء فى أثينا ؛ وأن تحركات أخرى سيجرى بحثها فيما بعد .

وكان كيسنجر قلقا بشأن الاتحاد السوفيتى . ففى اعتقاده أنه فى حالة تعرض العرب لهزيمة حقيقية سيكون من الصعب على السوفيت أن يبقوا بعيدا عن القتال ، لذلك ينبغى ضبط التحركات العسكرية الأمريكية لكى لا تعطى الاتحاد السوفيتى انطباعات خاطئة . وعندما ذكّره أحد الحاضرين بأن الخطوات العسكرية الأمريكية المقبلة قد تستلزم استخدام قاعدة الآزور ، قال كيسنجر مازحا إن البرتغاليين سيسعدهم الموافقة على ذلك ، حيث إنه كان قد رفض لتوه مقابلة وزير خارجيتهم فى نيويورك !

ودارت المناقشات بعد ذلك حول الاتصالات الدبلوماسية التى أجريت حتى ذلك التاريخ . فعلى صعيد الأمم المتحدة تحاول الولايات المتحدة أن تعمل مع الاتحاد السوفيتى لإعادة وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا . وإذ كان كيسنجر يتوقع تكرار ما حدث فى يونيو ١٩٦٧ ، فقد قال إن العرب ، وقد انتابتهم « حالة من الخبل » ، يرفضون هذا الموقف الآن ، ولكنهم سيتوسلون للحصول عليه بمجرد بدء الهجوم المضاد الإسرائيلى ، وأن الاستراتيجية الأمريكية يجب أن تعتمد على الحيلولة دون انتقال المناقشات الدبلوماسية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث تتوافر بصورة آلية أغلبية موالية للعرب . ومن المسلم به أن السوفيت لن يقبلوا وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا ، حيث إن ذلك سيعنى انسحابا للقوات العربية من أراضٍ عربية ، ومع ذلك فلابد أن يصدر رد سوفيتى فى اليوم التالى .

ومما لا شك فيه أن إسرائيل سترفض أى وقف لاطلاق النار لا يقوم على عودة الوضع القائم سابقا . ولم يكن نيكسون يريد موقفا تتعرض فيه إسرائيل ، ضحية الهجوم ، للإدانة لرفضها المطالبة بوقف اطلاق النار . وكان هدف الولايات المتحدة أن تتبنى موقفا يظل متماسكا طوال الأزمة . فالمتوقع أن تتحول الحرب بسرعة لصالح إسرائيل ، وماكان يبدو موقفا مواليا لإسرائيل بالنسبة لوقف إطلاق النار عند خطوط مابعد ١٩٦٧ ، سرعان ما سيبدو موقفا موالياً للعرب . أما إذا تعدت إسرائيل الخطوط السابقة فإن الولايات المتحدة ستعترض على ذلك ، وهكذا تستعيد بعض مصداقيتها لدى العرب . وعلى ذلك ستقترح الولايات المتحدة وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا ، ولكنها لن تدافع عنه بقوة إلى أن تجعل الحقائق العسكرية الجانبين راغبين فى قبوله .

وشعر الجميع بأن الأزمة ستكون حاسمة بالنسبة للعلاقات الأمريكية السوفيتية . فإذا نجح التعاون فإن الانفراج سيكتسب معنى حقيقيا . أما إذا فشل ، فإن ذلك سيكون بمثابة قبلة الوداع من جانب السوفيت لوضع « الدولة الأولى بالرعاية » الذى كانوا يحظون به .[١٧] وبالرغم من احتمال أن يكون السوفيت متواطئين مع العرب فى الإعداد للحرب ، فقد كان البعض فى الولايات المتحدة لا يزال يأمل فى العمل مع موسكو لإنهائها . وكانت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أيضا ماثلة فى عقول الكثيرين . فبالمساندة الوثيقة للإسرائيليين أثناء الحرب ، تستطيع الولايات المتحدة تعزيز مصداقية أى ضمان تقدمه فى المستقبل كجزء من التسوية السلمية . فالمواقف الأمريكية والإسرائيلية من التسوية لا بد فى نهاية الأمر أن تتباين ، والطريقة الوحيدة لحمل الإسرائيليين على الانسحاب من الأراضى العربية هى تقديم نوع من الضمان الرسمى الأمريكى . وكان الرئيس متمسكا بهذا الموقف بقوة ، فهو يريد أن يرى الإسرائيليون فى الولايات المتحدة شريكا يعتمد عليه أثناء الأزمة ، لأن ذلك فى صالح دبلوماسية ما بعد الحرب . وجاء ذكر الأسلحة والبترول باختصار . وختم كيسنجر حديثه بأن أسوأ موقف للولايات المتحدة هو أن تبدو عاجزة من جراء الأزمة الداخلية بشأن ووترجيت . ثم انصرف كيسنجر لعقد اجتماع فى المساء مع السفير دوبرينين .

وكان قد تم بالفعل وضع استراتيجية أساسية . فقد داعب الأمل الولايات المتحدة ، التى توقعت

حرباً قصيرة الأمد تكسبها إسرائيل بسرعة ، فى أن تصبح فى موقف قوى إزاء إسرائيل والسوفيت ، لصالح التحركات الدبلوماسية فيما بعد الحرب . وعلاوة على ذلك ، أراد كيسنجر تجنب المواجهة مع العرب ، ولذا ينبغى ألا تلعب الولايات المتحدة فى هذه المرحلة دورا بارزا ، وأن تنسج موقفا بشأن وقف إطلاق النار سرعان ما يبدو متوازنا . وكان نجاح هذه السياسة يعتمد على انقلاب سريع فى الموقف العسكرى لصالح إسرائيل ، وعلى ضبط النفس من جانب السوفيت . وخلال اليومين التاليين بدا أن الأمور تسير فى هذا الاتجاه .

وفى يوم الأحد ٧ أكتوبر استمر كيسنجر على اتصال وثيق بالسوفيت والمصريين والإسرائيليين . وبعث نيكسون برسالة إلى بريجنيف يحث فيها على ضبط النفس المتبادل ، وعلى دعوة مجلس الأمن إلى الانعقاد . وجاء رد بريجنيف توفيقيا ومشجعا .[١٨] ومع ابتعاد السفن السوفيتية عن منطقة القتال ، كان ذلك علامة واعدة .

واستكمالاً لمباحثات كيسنجر مع وزير الخارجية المصرى الزيات ، بدأ المصريون فى توجيه رسائل عبر القناة الخلفية التى أقيمت فى ١٩٧٢ . وبالرغم من رفض السادات فكرة وقف إطلاق النار دون انسحاب إسرائيلى إلى خطوط ما قبل عام ١٩٦٧ ، فقد أوضح من خلال مستشاره حافظ اسماعيل أنه لا يريد مواجهة مع الولايات المتحدة .[١٩]

كان الإسرائيليون فى حالة نفسية سيئة ، إلا أنهم كانوا فى اتصالاتهم مع الولايات المتحدة ما زالوا يبدون على ثقة من النجاح . وتحسبا لطلب إسرائيل للسلاح ، أعد كيسنجر الترتيبات لطائرات شركة « العال » لنقل بعض المعدات ـ الذخيرة ومنتجات التكنولوجيا الراقية وصواريخ « سايد وندر » ـ من قاعدة بحرية فى فرجينيا . واجتمع السفير سيمحا دينيتز ، الذى وصل لتوه من إسرائيل ، مع كيسنجر فى المساء وقدم له ، كما كان متوقعا ، قائمة بالأسلحة التى تحتاجها إسرائيل ، ولكن الاحساس بالعجلة لم يكن كبيراً ، أو هكذا بدا الأمر على الأقل لكل من كيسنجر وشليزنجر .[٢٠] وبدأت على الفور عملية إعادة إمداد متواضعة ، ولكن كيسنجر كان لا يزال يأمل فى الابقاء على أى تورط ظاهر فى المجهود الحربى الإسرائيلى فى أدنى حدّ .

وحينما اجتمع فريق العمل الخاص فى واشنطن بعد السادسة مساء بقليل يوم ٧ أكتوبر ،[٢١] كان أفضل التقديرات من جانب وكالة المخابرات المركزية هو أن إسرائيل ستستعيد المبادرة فى اليوم التالى ، وأنها ستسير قدما نحو كسب الحرب فى نهاية الأسبوع ، وسيكون التركيز الأولى على الجبهة السورية ثم على الجبهة المصرية . وأعرب كيسنجر عن حيرته إزاء رفض العرب ، إذا كان وضعهم حقا محفوفا بالمخاطر ، لوقف إطلاق النار الذى يمكن أن يحمى المكاسب التى أحرزوها فى البداية .[٢٢] وردّ شليزنجر بأنه يعتقد أنهم غير منطقيين ؛ وأجاب كيسنجر بأن تقديره ، أن الاستراتيجية المصرية تستهدف عبور القناة ، والاكتفاء بالتشبث بالمواقع . وكان فى اعتقاده أن العرب شنوا هجومهم لزعزعة الوضع القائم ، لأنهم يخشون من عدم حدوث تحرك دبلوماسى إلا إذا كانت هناك أزمة .

وبعد مناقشة قصيرة حول النفط ، واحتمال إجلاء المواطنين الأمريكيين من ليبيا[٢٣] والدول العربية الأخرى ، وطلب إسرائيل للأسلحة ، انتهى الاجتماع . وقال كسينجر إنه سيسأل الرئيس ،

المقرر وصوله فى العاشرة مساء من فلوريدا ، عن التحركات العسكرية الأمريكية القادمة ، ومطالب إسرائيل من السلاح . وكان كيسنجر حتى هذه اللحظة يشعر بأن الولايات المتحدة فى موقف جيد يسمح لها بالخروج من الأزمة دون مساس بمصالحها الجوهرية .

وفى اليوم التالى ، ٨ أكتوبر ، انعقد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . وذكر المندوب الأمريكى جون سكالى فى خطابه أن وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا يمثل الحل « الأقل ضررا » للأزمة ، ولكنه لم يتقدم رسميا بقرار للتصويت عليه .(٢٤)

وحينذاك كانت إسرائيل قد بدأت تواجه صعوبات عسكرية على الجبهتين معا . ففى الجولان كان نظام الدفاع الجوى السورى يكلف إسرائيل خسائر كبيرة فى طائرات سكاى هوك والفانتوم . وفى سيناء تم إحباط المحاولة الإسرائيلية لاقتحام الخطوط المصرية بالمدرعات . وتصاعدت طلبات إعادة التزويد بالمعدات من الولايات المتحدة . وتحدث دينيتز عدة مرات إلى كيسنجر ، وقيل له إن الخسائر الإسرائيلية سيجرى تعويضها . وعندما اشتكى دينيتز من بطء الاستجابة الأمريكية ، ألقى كيسنجر اللوم على وزارة الدفاع ، وهى الحجة التى كثيراً ما لجأ إليها مع السفير الإسرائيلى طوال عدة أيام تالية .(٢٥) والحقيقة أن موقف الولايات المتحدة كان لايزال قائماً على أساس توقع وضع نهاية قريبة للقتال ، والرغبة فى عدم بروز صورتها فى القضية . ولذا جرى تناول موضوع الأسلحة فى كتمان .

والتقى فريق العمل الخاص فى واشنطن مرة أخرى فى الخامسة والنصف من بعد ظهر الاثنين ٨ أكتوبر لاستعراض أحداث اليوم .(٢٦) وأورد تقرير وكالة المخابرات المركزية أن إسرائيل تحقق تقدما سريعا ، وأنها استعادت مرتفعات الجولان عمليا . وعرض أحد الأعضاء رأيه بأنه ما لم يعد السوفيت تزويد العرب بالإمدادات فإنه قد يتعين على الأمريكيين عدم إعادة تزويد إسرائيل بالإمدادات . وأعرب كيسنجر مرة أخرى عن حيرته بشأن سبب رفض العرب لوقف إطلاق النار . وكان السوفيت ، على النقيض من ذلك ، ميالين للتفاهم . ورئى أنه يمكن بمساعدتهم التوصل إلى وقف إطلاق النار مساء الأربعاء . وكان السوفيت سيردون يوم الثلاثاء . وحتى إذا عبرت إسرائيل القناة ، فإن الولايات المتحدة ستكون فى موقف طيب بتمسكها بالدعوة إلى وقف القتال على أساس الوضع القائم سابقا ، وإن الحقائق العسكرية ، سرعان ما ستجعل الاقتراح الأمريكى مقبولاً لدى مصر وسوريا والاتحاد السوفيتى . وعندما انتهى الاجتماع فى السادسة والنصف مساء توجه كيسنجر من فوره إلى مكتبه فى البيت الأبيض لمقابلة دينيتز . ثم ألقى خطابا مقررا من قبل أمام مؤتمر « باسيم إن تيريس » فى واشنطن ، أشار فيه إلى الشرق الأوسط والحاجة لضبط النفس السوفيتى هناك إذا أريد للانفراج البقاء حياً .(٢٧)

وكانت السياسة الأمريكية الأساسية لاتزال قائمة على افتراضات مبدئية بأن الحرب ستكون قصيرة وأن إسرائيل ستنتصر ، لكن ذلك لم يكن ليدوم طويلا . وباستخدام الرطانة السائدة فى واشنطن فقد كانت « الأحداث توشك أن تدهمها » .

الأزمة تزداد عمقا

ومن وجهة نظر واشنطن ، دخلت الحرب مرحلة جديدة وخطيرة يوم ٩ أكتوبر . فقد كان الواقع يرفض التوافق مع التنبؤات المتفائلة نسبيا التى استندت إليها السياسية الأمريكية فى البداية . ففى الفترة من ٩ أكتوبر إلى ١٢ أكتوبر تلاشت احتمالات النصر الإسرائيلى السريع والحاسم على الجبهتين ؛ وأخذ ضبط النفس السوفيتى فى التضاءل ، وبدأت الضغوط تتزايد لاعادة تزويد القوات الإسرائيلية بالامدادات بصورة عاجلة . وتمثل رد الفعل الأمريكى فى تعديل جانبين من السياسة تدريجيا : استبدال الدعوة إلى وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا باستطلاع فكرة وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، وبدأ تدفق الأسلحة على إسرائيل بكميات محدودة ليس فقط على متن طائرات العال ولكن بمشاركة أمريكية مباشرة ومتزايدة .

ووفقا لأكثر قرارات الحرب إثارة للجدل ، تراجع نيكسون وكيسنجر عن الالتزام الكامل بوضع الموارد الأمريكية فى خدمة جهود إعادة الامداد ، إلى أن يتضح مصير مبادرة وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، وإلى أن يؤدى حجم عمليات إعادة الإمداد السوفيتية إلى جعل المزيد من التأخير أمرا صعبا من الناحية السياسية . وفى ظل الضغوط القائمة فى الميدان ، وإزاء النقص فى الامدادات ، وبدون ضمان أمريكى بنقل الأسلحة جواً على أوسع نطاق ، وافقت الحكومة الإسرائيلية كارهة على وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه يوم ١٢ أكتوبر . ولكن فى بداية يوم ١٣ أكتوبر ، رفض الرئيس السادات اقتراح وقف إطلاق النار مما أدى لتغيير مثير فى السياسة الأمريكية .

وبدأت هذه المرحلة الثانية للأزمة صباح الثلاثاء ٩ أكتوبر بنداء إسرائيلى عاجل طلبا للسلاح .(٢٨) وقام دينيتز بإبلاغ كيسنجر بالخسائر الإسرائيلية الجسيمة ، خاصة فى الطائرات على الجبهة السورية ، علاوة على نحو ٥٠٠ دبابة أغلبها على الجبهة المصرية . وفى نهاية الاجتماع طلب دينيتز الحديث مع كيسنجر على انفراد لينقل إليه طلب مائير القيام بزيارة سرية لواشنطن لمقابلة نيكسون لتوضيح مدى الحاجة إلى الأسلحة . ورفض كيسنجر النظر فى هذا الاقتراح ، وقال فيما بعد إنه كان انعكاسا لحالة « هستريا أو رغبة فى الابتزاز » .(٢٩)

وبعد ذلك بقليل ، عقد كيسنجر اجتماعين طارئين قبل الظهر بحضور الأعضاء الرئيسيين فى فريق العمل الخاص فى واشنطن . واقتصر اللقاء مع كيسنجر لبحث الطلب الإسرائيلى الجديد على شليزنجر وتوماس مورر (رئيس هيئة الأركان المشتركة) وكينيث راش (نائب وزير الخارجية) ووليام كولبى (مدير وكالة المخابرات المركزية) وبرنت سكوكروفت (نائب مستشار الأمن القومى) . وحتى ذلك التاريخ ، كانت هذه هى أصعب لحظة فى الحرب . وقام كيسنجر فى الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة مساء بتقديم التوصيتين اللتين تمخض عنهما الاجتماعان إلى نيكسون وهما : أولا ، ينبغى أن يبدأ وصول بعض الأسلحة إلى إسرائيل بسرعة ، بدون المساس بمبدأ عدم بروز دور الولايات المتحدة فى النزاع . وثانيا ، استطلاع صيغة جديدة على مدى الأيام التالية ، لوقف إطلاق النار . وفى ظل انشغاله العميق بالاستقالة الوشيكة لنائبه ، وافق نيكسون على تلبية غالبية مطالب إسرائيل .(٣٠)

وبينما هذه المناقشات دائرة ، وردت الأخبار الأولى إلى واشنطن بأن إسرائيل شنت هجوما مضادا كبيرا على الجبهة السورية . وفى أرض المعركة ، استعادت القوات الإسرائيلية بالفعل معظم الأراضى التى فقدتها خلال الأيام الثلاثة الأولى للقتال ، وكانت تزحف فى بعض المناطق إلى ما وراء خط وقف إطلاق النار السابق . غير أن القتال لايزال صعبا . ولم ينكسر السوريون ، وكانت التعزيزات العراقية فى طريقها . وفى الجو ، وبعد إحباط جهود الإسرائيليين لاستخدام سلاح الطيران فى تأييد القوات البرية ، بدأوا حملة من القصف الاستراتيجى فى عمق سوريا . وتعرضت مصفاة النفط فى حمص للهجوم ، وأُسقطت القنابل على وزارة الدفاع ورئاسة أركان حرب السلاح الجوى فى دمشق ، وبطريق الخطأ ، على المركز الثقافى السوفيتى فى دمشق ، مما تسبب فى حالة وفاة سوفيتية على الأقل .

وعندما بدأت الجبهة السورية تضعف ، وقع الملك حسين تحت ضغط كبير لدخول الحرب ، إن لم يكن بفتح جبهة جديدة فعلى الأقل بإرسال بعض قواته إلى سوريا . وأبلغت إسرائيل إلى الملك حسين رسالة بالغة الشدة فى ٩ أكتوبر ، محذرة من مغبة فتح جبهة على امتداد نهر الأردن . كما حث كيسنجر الملك حسين على البقاء بعيدا عن القتال ، مؤكدا أن ثمة جهدا دبلوماسيا يجرى إعداده ، ومن المأمول أن ينجح فى إنهاء الحرب خلال أيام قليلة .

وتضمن هذا الجهد الدبلوماسى جس نبض المصريين والسوفيت والإسرائيليين حول إمكانية وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه . وكان دينيتز أول من أبلغ رفض حكومته ، مؤكدا ضرورة ربط وقف إطلاق النار بعودة الوضع القائم سابقا .[٣١] وجاء رد مصر سلبيا بنفس المستوى ، ومؤداه أن أى وقف لإطلاق النار ينبغى أن يرتبط مباشرة بخطة محددة للانسحاب الإسرائيلى الكامل من جميع الأراضى المستولى عليها فى ١٩٦٧ . وأثار كيسنجر مسألة وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، من خلال قناته الخلفية مع حافظ اسماعيل يوم ٩ أكتوبر ، مؤكدا أن مصر « سجلت وجهة نظرها » . وجاءه رد اسماعيل ، الذى تردد بأن السادات هو الذى أعده ، فى اليوم التالى :[٣٢]

- ينبغى وقف إطلاق النار وأن يتبعه خلال فترة محددة ، وتحت إشراف الأمم المتحدة ، انسحاب جميع القوات الإسرائيلية إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

- ينبغى ضمان حرية الملاحة فى مضيق تيران بوجود الأمم المتحدة فى شرم الشيخ لفترة محددة .

- تنتهى حالة الحرب مع إسرائيل بعد الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية .

- بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من غزة ، توضع المنطقة تحت إشراف الأمم المتحدة إلى حين تقرير مصيرها .

- فى خلال فترة محددة بعد إنهاء حالة الحرب ، يُعقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة ، تحضره جميع الأطراف المعنية بما فيها الفلسطينيون ، وجميع أعضاء مجلس الأمن . ويتناول المؤتمر كافة المسائل المتعلقة بالسيادة والأمن وحرية الملاحة .

كما وعدت مصر ، بمجرد بدء الجلاء الإسرائيلى ، باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ، وببدء العمل فى تطهير قناة السويس .

ولم يكن هذا الاقتراح مجرد وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، والذى كان نيكسون وكيسنجر يتصورانه فى ذلك الحين . ولم يكونا مستعدين ، تحت أى من الظروف ، لربط وقف إطلاق النار بشروط التسوية النهائية . ليس فقط لأن الإسرائيليين سيرفضون بصفة قاطعة مثل هذا الربط ، وإنما أيضا لأنه مخالف تماما لاستراتيجية نيكسون وكيسنجر للتفاوض . وكان السادات يتطلع إلى بعيد جدا . ولابد أن يعيده السوفيت ، أو أن تعيده النجاحات العسكرية الإسرائيلية إلى إحساس أكثر واقعية بما هو ممكن .

ولحسن حظ استراتيجية كيسنجر ، أن بدا السوفيت حينذاك مؤيدين لفكرة وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، وأشاروا ، فى رسالة فى ١٠ أكتوبر إلى أن مصر ، ستسير على نفس النهج على الأرجح . وكان السوفيت يعتقدون أن الدولتين العظميين ينبغى أن تمتنعا عن التصويت على أى قرار يصدره مجلس الأمن بوقف إطلاق النار . ويقول كيسنجر إن رد فعله الأولى كان سلبيا ، لأنه شعر بأن إسرائيل فى حاجة إلى مزيد من الوقت لتغيير الأوضاع فى ميدان القتال . وفى محاولة لكسب الوقت ، وافق على الاقتراح السوفيتى « من حيث المبدأ » ، ولكنه حث السوفيت على عدم القيام بأى عمل فورى فى الأمم المتحدة .[٣٣]

مبادرة وقف إطلاق النار

ولكن ألغى أثر هذه البادرة التوفيقية ، ظهور الأدلة الأولى على أن السوفيت شرعوا فى نقل الأسلحة جوا إلى الشرق الأوسط . ففى ١٠ أكتوبر طارت إحدى وعشرون طائرة من طراز أنتينوف ١٢٥ إلى دمشق حاملة أكثر من ٢٠٠ طن من المعدات العسكرية .[٣٤] وفى نهاية اليوم نفسه علمت واشنطن أن سبع فرق سوفيتية محمولة جوا قد وضعت على درجة عالية من التأهب . والواضح أن السوفيت كانوا قلقين على الموقف المتدهور على الجبهة السورية . وكان السؤال المطروح بلا جواب فى هذه اللحظة هو ما إذا كان الحل لدرء الخطر المحدق بمصالحهم يستلزم التركيز على الدبلوماسية أم على استخدام القوة . وبدت عناصر من هذين المسارين للعمل واضحة .

وفى الوقت نفسه ، كانت إعادة الامداد الأمريكى لإسرائيل قد بدأت على نطاق متواضع . وفى ٩ أكتوبر تم إبلاغ دينيتز بأن عدداً من طائرات الفانتوم « اف ـ ٤ » سرعان ما ستكون فى طريقها لإسرائيل . وبالاضافة إلى ذلك سُمح لطائرات العال بحمل شحنات سابقة التجميع من محطة أوشيانا البحرية قرب نورفولك فى فرجينيا . ووصلت الدفعة الأولى من إعادة الامداد هذه إلى إسرائيل يوم ١٠ أكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى وصلت فيه أولى شحنات إعادة الامداد السوفيتية إلى سوريا بطريق الجو .

بيد أن عنف القتال بلغ حدا لم تتمكن معه رحلات العال وحدها من تلبية طلبات إسرائيل من

السلاح . ووفقا لمبدأ تجنب التورط الأمريكي الرسمي المباشر فى نقل الأسلحة إلى إسرائيل ، بدأ كيسنجر وشليزنجر فى ١٠ أكتوبر فى استطلاع إمكانية تأجير طائرات نقل مدنية لهذا الغرض ، ورئى أن تكون هناك مابين عشر إلى عشرين رحلة يومياً . وفى اليوم نفسه تحدث كيسنجر مع دينيتز عدة مرات بشأن السلاح ، واحتمال تحرك قوات أردنية إلى سوريا ، واهتمام موسكو المتجدد بوقف النار فى المكان الذى تم الوصول اليه . ونقل دينيتز الموقف السوفيتى إلى رئيسة الوزراء التى كانت لا تزال ترفض النظر فيه .(٣٥)

وعند هذه النقطة بدأ الموقفان الأمريكى والإسرائيلى يختلفان . فالولايات المتحدة تريد وقف إطلاق النار مبكراً ، فى خلال اليومين القادمين على الأقل . بينما كانت إسرائيل تريد الأسلحة بكميات تكفى لضمان نصر عسكرى . وبدت الولايات المتحدة خلال الثمانى والأربعين ساعة التالية بطيئة الحركة فى إرسال السلاح إلى إسرائيل ، ويرجع ذلك ـ كما يقول كيسنجر ـ إما إلى ارتباك بيروقراطى ، أو ـ كما يعتقد آخرون ـ إلى نوع من الضغط لدفع الإسرائيليين إلى قبول وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه ، واقتناعاً بأن القتال قد انتهى تقريباً على أى حال .

وفى إحدى ملاحظاته العلنية النادرة عن الأزمة إبَّان استعارها ، لخص الرئيس نيكسون الموقف الأمريكى يوم ١٠ أكتوبر على النحو التالى : « تبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها لتقوم بدور الوسيط لوضع حد للقتال ، ثم لتساعد بعد ذلك على بناء سلام ، ليس سلاما مؤقتا ، وإنما سلام دائم للشعوب فى هذا الجزء البالغ الاضطراب من العالم » .(٣٦)

وكان يوم ١١ أكتوبر يوم إعادة التجميع والتدعيم . لم يحدث شيء غير عادى سواء فى ميدان القتال أو فى واشنطن . وبدأت إسرائيل فى نقل قواتها من الجبهة السورية إلى الجبهة المصرية لكى تدفع القوات المصرية مرة أخرى إلى القناة . وكانت الدبلوماسية الأمريكية تهدف إلى منع الملك حسين من الاشتراك فى الحرب ، رغم أنه كان حينئذ يتعرض لضغط من الأسد والسادات وفيصل ، كما استهدفت طمأنة الإسرائيليين إلى أن رحلات الطائرات المؤجرة والطائرات « اف ـ ٤ » ستكون قريبا فى طريقها إلى إسرائيل . وبدأ رفض إسرائيل النظر فى وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه يضعف حينذاك بعض الشيء . فبتحقيق مكاسب جديدة على الجبهة السورية ، أصبحت إسرائيل على استعداد للنظر فى وقف لإطلاق النار يعقبه تبادل السيطرة الإسرائيلية على الأراضى السورية المستولى عليها فى مقابل استعادة المواقع الإسرائيلية فى سيناء .(٣٧) وقد تجد سوريا بعض المزايا فى هذه الخطة ، ولكن السادات لن يراها كذلك ؛ ولذا واصلت الولايات المتحدة ضغطها لمجرد وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه . وفى ١٢ أكتوبر بدا ذلك فى متناول اليد .

بدأ اليوم بتساؤلات إسرائيلية عن رحلات الطائرات المؤجرة الموعودة ، ولكنها لم تكن قد بدأت بعد . وفى محاولة للحفاظ على المصداقية لدى الإسرائيليين ، سعى كيسنجر إلى الإسراع بالعملية ، فوجهت رسالة فى الساعة الحادية عشرة وتسع دقائق صباحاً إلى البرتغاليين بطلب استخدام قاعدة لاهيس الجوية فى الآزور من جانب الطائرات المدنية المؤجرة لنقل المواد العسكرية إلى إسرائيل ، على أن يمر بقاعدة لاهيس يوميا ما بين عشر إلى عشرين رحلة لطائرات تستأجرها وزارة الدفاع

الأمريكية . وكان من المقرر أن تبدأ الرحلات مساء اليوم نفسه . وتأخر البرتغاليون فى الرد لأنهم استاءوا دون شك من أن الولايات المتحدة اعتبرت موافقتهم أمرا مفروغا منه .

وفى ذلك الحين ، عمدت وزارة الدفاع بعد فشلها فى ترتيب عملية استئجار طائرات نقل خاصة ، إلى استطلاع إمكانية استخدام طائرات النقل العسكرية الأمريكية لحمل المعدات الى لاهيس حيث يتم شحنها على وسائل النقل الإسرائيلية . فقد كانت الولايات المتحدة لا تزال غير راغبة فى إقلاع طائراتها العسكرية إلى تل أبيب . وشعر نيكسون بالقلق للتأخير فى عملية إعادة تزويد إسرائيل بالإمدادات العسكرية ، فاتصل بشليزنجر بعد الظهر ليحثه على الإسراع فى الجهود بما فى ذلك استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية إذا دعت الحاجة إلى ذلك .(٣٨)

ووفقاً لرواية كيسنجر ، فقد تم إبلاغه فى الصباح بأن إسرائيل مستعدة لوقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه .(٣٩) ويبدو أن جولدا مائير اتخذت القرار بالتشاور مع كبار قادتها العسكريين ، ولكن بدون التصويت عليه رسميا فى مجلس الوزراء ، وذلك بسبب قلقها من تكاليف استمرار القتال ، ومن الضغط الناجم عن التأخير فى جهود إعادة الإمداد .(٤٠)

وفى مؤتمر صحفى عقده فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، حاول كيسنجر توضيح خيوط السياسة الأمريكية المختلفة ، والمتناقضة أحيانا ، حتى يوم ١٢ أكتوبر :

> **بعد نشوب القتال وضعت الولايات المتحدة لنفسها هدفين رئيسيين : أولهما ، إنهاء عمليات القتال بأسرع ما يمكن . والثانى ، وضع حد لعمليات القتال بطريقة تتيح لها (هكذا) المساهمة إلى أقصى حد ممكن فى التوصل إلى حل فى الشرق الأوسط يكون أكثر بقاء وأكثر دواما .... ونحن لم نكن نسعى دون مبرر وراء فرص للمواجهات فى المحافل العامة ، الأمر الذى يجعل الانقسامات أكثر حدة ... فقد يتحول الشرق الأوسط مع مرور الوقت إلى ما كانت عليه البلقان فى أوروبا قبل عام ١٩١٤ ، أى إلى منطقة تكون فيها للمنافسات المحلية ... قوة دفع خاصة تجر الدول النووية العظمى إلى مواجهة .**

وراح كيسنجر « يحث جميع الأطراف ، على أن تضع نصب عينيها فى قيامها بجهودها الدبلوماسية ، أنه مهما كانت المزايا الموقوتة التى يمكن تحقيقها فى هذا المحفل أو ذاك ، فإن هدفنا الرئيسى ينبغى أن يكون المحافظة على العلاقات القادرة على تحريك كل من المنطقة والعالم نحو سلام أكثر دواما » .

ثم أشار كيسنجر إلى « الصداقة التقليدية » للولايات المتحدة مع إسرائيل ، وإلى العلاقات العسكرية المستمرة مع ذلك البلد . ووصف عملية النقل الجوى السوفيتى بأنها « معتدلة » و « أكثر من خفيفة . أنها عملية نقل جوى كبيرة تماما » . وفيما هو أشبه بتحذير مسبق للعرب بشأن دور الولايات المتحدة الوشيك فى مساعدة إسرائيل عسكريا ، قال كيسنجر : « لقد بذلنا جهدا بالغ الجدية فى هذه الأزمة لكى نأخذ فى الاعتبار اهتمامات العرب وآراءهم بصورة جادة . وعلينا من ناحية أخرى أن ننتهج ما نعتقد أنه الطريق الصحيح . وسوف نتحمل العواقب الناجمة عن انتهاج الطريق الذى نراه صحيحا » .(٤١)

وكان كيسنجر متخوفا من أن تضطر الولايات المتحدة ، فى حالة عدم وضع نهاية سريعة للحرب ، إلى زيادة وضوح دورها فى إعادة تسليح إسرائيل ، ومن أن يرد العرب على ذلك بفرض حظر على البترول ومهاجمة المصالح الأمريكية فى سائر أنحاء المنطقة . ولذلك كانت كل الأسباب تدعو إلى بذل محاولة إضافية لتحقيق وقف إطلاق النار .

جاءت بعد موافقة رئيسة الوزراء مائير على فكرة وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، رسالة من دينيتز تقول إن إسرائيل لا تعارض فى طرح فكرة وقف إطلاق النار على الأمم المتحدة فورا . وفى وقت لاحق من مساء ١٢ أكتوبر ذهب دينيتز إلى البيت الأبيض يحمل نداءً شخصيا عاجلا من مائير إلى الرئيس نيكسون ليأمر بإرسال إمدادات جديدة فورية من الأسلحة لإسرائيل . وذهبت مائير إلى حد التلويح بتعرض إسرائيل لهزيمة عسكرية .(٤٢)

وكانت مبادرة وقف إطلاق النار فى ذلك الحين تتعرض لصعوبات . فقد حث كيسنجر البريطانيين على تقديم الفكرة فى الأمم المتحدة فى ١٣ أكتوبر . وفى مساء ١٢ أكتوبر أبلغ البريطانيون كيسنجر بأنهم لن يتقدموا بقرار فى اليوم التالى إلا إذا تأكد لهم أن الأطراف ستقبله . واستنادا إلى معلوماتهم ، فإنهم يشكون فى ذلك . وطمأنهم كيسنجر بأن يسيروا قدما . لكن فى ساعة متأخرة من صباح ١٣ أكتوبر أبلغ البريطانيون كيسنجر بأنهم علموا أن وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه هو بمثابة سراب . وأصرت بريطانيا على الحصول على موافقة السادات المسبقة . وفى ذلك الحين كان كيسنجر قد بدأ فى استطلاع إمكانية قيام استراليا بتقديم قرار وقف إطلاق النار . وكان موقف الاتحاد السوفيتى ، وهو ما لا يمكن تفسيره ، فاترا إزاء هذه الفكرة . وأخيرا ، وفى الساعة الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة بعد الظهر ، أبلغ البريطانيون كيسنجر بأن السادات يرفض وقف إطلاق النار بجميع أشكاله . ووصلت المبادرة إلى طريق مسدود .(٤٣)

الجسر الجوى

يصعب تقييم دور الرئيس نيكسون بدقة فى تشكيل السياسة الأمريكية أثناء حرب أكتوبر . فقد كان مشغولا بصورة واضحة بمصاعبه السياسة الداخلية ، وبالاستقالة المخزية لنائب الرئيس سبيرو أجينيو فى ١٠ أكتوبر ، وهو نائبه الذى اختاره بنفسه . ولم يكن الرئيس يبدى اهتماما كبيرا بتفاصيل السياسة ، وترك مهمة الدبلوماسية اليومية لكيسنجر . بيد أن نيكسون هو الذى اتخذ القرارات الأساسية ، وكانت سلطته هى التى تستخدم فى التأثير على الحكومات الأخرى .

وفى ساعة مبكرة من صباح ١٣ أكتوبر أصبح شليزنجر مقتنعا بأن الطريقة الفعالة الوحيدة لتوصيل الأسلحة إلى إسرائيل هى استخدام الطائرات العسكرية الأمريكية . واعترض كل من كيسنجر وهيج ، حيث إنهما كانا لا يزالان يفضلان الاستمرار فى عدم بروز دور الولايات المتحدة .(٤٤)

وفى صباح ١٣ أكتوبر ، وبعد إبلاغ الرئيس نيكسون بنداء مائير العاجل وبتوصية شليزنجر ، ونظرا لعدم وجود فى الأفق مؤشرات إيجابية بشأن إمكان التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار ،

أخذ نيكسون على عاتقه مسؤولية إصدار الأمر بانشاء جسر جوى على نطاق واسع لنقل المعدات العسكرية إلى إسرائيل.(٤٥)

وتلقى البرتغاليون، الذين لم يكونوا قد منحوا الولايات المتحدة موافقتهم بعد على استخدام لاهيس، مذكرة شديدة اللهجة من نيكسون أرسلت من واشنطن فى الثامنة صباحا. وحتى هذه اللحظة كانت خطة نقل المعدات جوا إلى الآزور حيث يلتقطها الإسرائيليون، لاتزال قيد النظر. وأخيرا وردت موافقة البرتغال فى الساعة الثالثة وأربعين دقيقة بعد الظهر.

وعلاوة على قرار نيكسون بتنظيم عملية نقل جوى أمريكية، صدرت التعليمات لاحدى طائرات الاستكشاف من طراز «اس - آر - ٧١» بتصوير منطقة القتال، لتوفير أساس مستقل للتعرف على خسائر الجانبين. وأثار استمرار الجسر الجوى السوفيتى، ومتاعب إسرائيل البادية فى ميدان القتال، وانهيار جهود وقف إطلاق النار، قلقا فى واشنطن من أن الحرب حينذاك قد تطول. وكانت هناك حاجة لمعلومات دقيقة من ميدان القتال. وكانت تلك أول رحلة جوية من نوعها أثناء عمليات القتال.(٤٦)

وكانت الاهتمامات الأساسية لهذه المرحلة من استراتيجية نيكسون - كيسنجر هى إقناع السادات بأن حرب استنزاف مطولة، تغذيها الأسلحة السوفيتية، لن تنجح، والتدليل للكرملين على أن الولايات المتحدة قادرة على مجاراة الشحنات العسكرية السوفيتية للشرق الأوسط. وفوق كل ذلك ومن أجل مستقبل الوضع الأمريكى عالميا وفى المنطقة، ينبغى عدم السماح للأسلحة السوفيتية بتقرير نتيجة القتال. ولم يكن هذا يعنى أن الولايات المتحدة أصبحت تؤيد نصرا عسكريا إسرائيليا كاملاً، بل كان يعنى أن نجاح إسرائيل فى ميدان القتال أصبح عاملاً هاما فى إقناع العرب والسوفيت بوضع نهاية للأعمال العسكرية.(٤٧)

وكان نيكسون وكيسنجر يدركان احتمال حدوث رد فعل عربى معاد لنقل الأسلحة جوا إلى إسرائيل. وحتى هذه النقطة فى الأزمة لم تكن قد حدثت مواجهة بين الولايات المتحدة والعالم العربى. ولم يلوح أحد بعد بـ «سلاح البترول» كما خشى الكثيرون؛ ولم تتعرض حياة الأمريكيين للخطر فى أى بلد عربى، بما فى ذلك ليبيا التى كانت أحد مصادر القلق المبكر؛ ولم يقطع أى بلد عربى علاقاته الدبلوماسية بالولايات المتحدة؛ وكان السادات على اتصال مستمر بنيكسون من خلال القناة الخلفية. وساعد التأثير الأمريكى على الملك حسين فى إبقاء الأردن خارج الحرب، بالرغم من أن قوة أردنية رمزية كانت حينذاك فى طريقها إلى سوريا. وقد يتغير كل ذلك بسبب عملية الجسر الجوى، ولكن نيكسون وكيسنجر كانا على استعداد للمخاطرة، ففى وسعهما أن يقولا إن الجسر الجوى جاء رداً على التدخل السوفيتى السابق لصالح العرب، وأن واقع السياسة العالمية يحتم قيام الولايات المتحدة بالرد. ولم تكن تلك خطوة معادية للعرب، لأنها لم تكن تستهدف ضمان التفوق الاسرائيلى على العرب أو حرمان العرب من استعادة كرامتهم المسلوبة، وإنما هى مجرد حقيقة من حقائق الحياة السياسية الدولية. وعلى أى حال، فإن الولايات المتحدة سوف تستخدم نفوذها لدى اسرائيل، وهو النفوذ الذى كسبته نتيجة لتقديم الأسلحة، من أجل التوصل إلى تسوية سلمية عادلة. كان هذا على الأقل ما سيستند إليه نيكسون وكيسنجر فى شرح السياسة الأمريكية

للعرب[٤٨] ، وللبيروقراطية الأمريكية . وفى واشنطن كان الاعتراض ضئيلا حتى وسط العناصر التى يزعمون أنها موالية للعرب .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا بتوقيت واشنطن (الساعة السادسة والنصف مساء فى إسرائيل) من يوم ١٤ أكتوبر ، وصلت أول طائرة نقل عملاقة من طراز « سى - ٥ » إلى مطار « لود » . وبدأ تشغيل جسر جوى قادر على نقل نحو ألف طن يوميا ، ويضم ما بين أربع إلى خمس رحلات للطائرات « سى - ٥ » ، بالإضافة إلى مابين ١٢ و ١٥ رحلة بطائرات « سى - ١٤١ » . كما واصلت طائرات العال نقل الإمدادات العسكرية إلى إسرائيل . وعلاوة على ذلك توجهت ١٢ طائرة من طراز « سى - ١٣٠ » لتنضم إلى سلاح الطيران الإسرائيلى .[٤٩]

وحينما أصبح واضحا أن السادات سيرفض وقف إطلاق النار ، اقترح كيسنجر القيام على أوسع نطاق بنقل الأسلحة جوا إلى إسرائيل . ولم تعد الولايات المتحدة تأبه بتأجير طائرات خاصة حرصا على عدم بروز دورها . ومع انطلاق عملية النقل الجوى بأقصى قوتها ، كانت واشنطن مستعدة للانتظار حتى تؤدى الحقائق الجديدة فى ميدان القتال إلى تغيير الحسابات المصرية والسوفيتية .

وفى هذه الأثناء بدأت الولايات المتحدة فى التخطيط لمواجهة الحظر المتوقع للبترول العربى . والمعروف أن ١٢ فى المائة فقط من الاستهلاك الأمريكى للبترول ، أو ٥ فى المائة من إجمالى الطاقة ، يتكون من النفط الخام ومنتجاته المكررة التى تأتى بطريق مباشر أو غير مباشر من العالم العربى . وبخفض الطلب على البترول ، ومع قليل من إعادة توجيه الواردات ، فإن التأثير العام لحظر البترول العربى الانتقائى ضد الولايات المتحدة لن يكون له أثر يذكر . بيد أنه إذا صاحب الحظر خفض شديد فى الانتاج ، فلن تكون الولايات المتحدة وحدها التى ستشعر بالقرصة ، وإنما أوروبا واليابان أيضا . وهكذا أصبح التخطيط لاقتسام النفط فيما بين الحلفاء ، بالاضافة إلى وضع خطة محلية للطاقة ، أمرا مطلوبا . وستوفر أزمة الشرق الأوسط ، على الأقل ، حافزا للكونجرس والرأى العام لتأييد مشروع ضخم للطاقة . وتم تكليف الحاكم السابق جون لاف ، منسق الطاقة للرئيس نيكسون ، ومساعده تشارلز دى بونا ، ونائب وزير الخزانة وليام سايمون ، بالمسؤولية الرئيسية فى إعداد خطة لمواجهة حالة فرض الحظر .

وفى الوقت الذى هبطت فيه أول طائرة « سى - ٥ » فى إسرائيل بعد ظهر يوم ١٤ أكتوبر ، دارت المعركة الحاسمة فى الحرب على الجبهة المصرية ، وكسبتها إسرائيل . وفشل هجوم مصرى فى اتجاه ممرى متلا والجدى ، تكلفت مصر فيه أكثر من ٢٠٠ دبابة . وكانت هذه هى المعركة التى رفض من أجلها السادات اقتراح وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه ، وهو الاقتراح الذى قدمه السفير البريطانى فى اليوم السابق .[٥٠] والآن ، بعد أن حقق الإسرائيليون هذا النصر ، لم يعودوا مهتمين بوقف إطلاق النار الذى كانوا على استعداد لقبوله قبل يومين .[٥١] وبدلا من ذلك قررت إسرائيل بعد أن أطمأنت إلى استمرار تدفق الإمدادات الأمريكية ، الاضطلاع بعملية عسكرية محفوفة بالمخاطر لعبور قناة السويس . وفى حالة نجاحها ، فإن هذه العملية قد تؤدى إلى تدمير مواقع الصواريخ المصرية ، الأمر الذى يكشف القوات البرية المصرية ويعرضها للقصف بطائرات سلاح الطيران الإسرائيلى . كما أن القوات المصرية فى

سيناء ستواجه خطر انقطاع خطوط مواصلاتها وتطويق الإسرائيليين لها . كانت لحظة حاسمة قد أخذت تقترب . وتقرر لتنفيذ العملية الإسرائيلية ليلة ١٥ ـ ١٦ أكتوبر .

عقد كيسنجر اجتماعات صباحية لفريق العمل الخاص في واشنطن في يومي ١٤ أكتوبر و ١٥ أكتوبر . وبالاضافة إلى مناقشة مسألة النفط ، قام الفريق بتقييم تطورات الوضع العسكري والدبلوماسي . وفي ١٥ أكتوبر أصبحت عملية الجسر الجوي إلى إسرائيل معلومة للجميع ، وترددت أنباؤها على نطاق واسع . واندهش كيسنجر لاعتدال الرد العربي . ومع أن كيسنجر لم يتوقع اجتماع وزراء البترول العربَ في الكويت في اليوم التالي لقطع النفط عن الولايات المتحدة ، فإنه كان يشعر بضرورة التخطيط للضغط المضاد على العرب إذا ما أقدموا على ذلك . فإن الادارة التي أنهكتها مشكلاتها السياسية الداخلية لن تحتمل أن تبدو ضعيفة أمام « الابتزاز » من جانب منتجي النفط العرب .

وفيما يتعلق بالدور السوفيتي في النزاع ، كان كيسنجر لايزال يرى أن الموقف له جانبان . وكان جوزيف ألسوب الكاتب الشهير في واشنطن قد نشر مقالا صباح ١٥ أكتوبر يتهم فيه السوفيت بالتواطؤ مع العرب وبعلمهم المسبق بالمجهود الحربي العربي . وكان كيسنجر يرتاب في الأمر ، ولكنه في نفس الوقت كان يرى أن السوفيت مازالوا مهتمين بالتوصل إلى تسوية دبلوماسية . فقد أوضح السوفيت في ساعة مبكرة من ١٥ أكتوبر ، ربما بسبب الجسر الجوي الأمريكي أو بسبب نتيجة معركة ١٤ اكتوبر في سيناء . أنهم يحاولون بجدية مرة أخرى إقناع العرب بقبول وقف إطلاق النار . وقيل لكيسنجر إن رئيس الوزراء كوسيجين سيتوجه إلى القاهرة في اليوم التالي .

وكان من المقرر أن يلتقي كيسنجر بوزير الخارجية المصري الزيات يوم ١٦ أكتوبر ، وأن يلتقي الرئيس نيكسون مع أربعة من وزراء الخارجية العرب في ١٧ أكتوبر . وبذلك تبقى القنوات الدبلوماسية مفتوحة مع كل من العرب والسوفيت بالرغم من تصاعد تورط الدولتين العظميين في النزاع .(٥٢)

المد يبدأ في الانحسار

كان يوم ١٦ أكتوبر حاسماً بالنسبة للحرب والدبلوماسية . فقد ألقى كل من الرئيس السادات ورئيسة الوزراء مائير خطاباً عامًا هامًا يحدد الخطوط العامة لسياساتيهما . لقد نجحت القوات الإسرائيلية في عبور قناة السويس بأعداد صغيرة ، وأخذت تتجه إلى مواقع الصواريخ ، مما أثار الفوضى الشديدة في صفوف القوات المصرية . وكان كوسيجين في طريقه إلى القاهرة لمحاولة إقناع السادات بوقف القتال . وكان لدى كيسنجر من الأسباب مايجعله يشعر بأن استراتيجية الولايات المتحدة تسير في طريق النجاح . فقد كان خطاب السادات أقرب إلى الاعتدال في لهجته ، وتضمن « رسالة مفتوحة » إلى نيكسون حول شروط مصر للسلام . وكانت الاتصالات السوفيتية قد ألمحت في اليوم السابق إلى مهمة كوسيجين . ولم يكن الاعلان عن الحظر العربي للنفط قد حدث بعد . وكانت النجاحات العسكرية الإسرائيلية ، بالرغم من أن واشنطن لم تخطط لذلك ولم تتعمده بصورة خاصة ، تتفق مع رأي كيسنجر بأنه كان لابد من إقناع السادات عن طريق التطورات

فى ميدان القتال بقبول وقف إطلاق النار . وكان من الأهمية بمكان أن ينتهى القتال فى اللحظة التى لاتزال فيها جميع الأطراف قادرة على الخروج من النزاع دون مساس بمصالحها الحيوية وكرامتها .

وفى اجتماع فريق العمل الخاص فى واشنطن صباح الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ، أسهب كيسنجر فى عرض أغراض الجسر الجوى . وقلل لأدنى حد من أهميته فى إطار النزاع العربى الإسرائيلى . وأكد عوضاً عن ذلك أن السوفيت يجب أن يعرفوا أن الولايات المتحدة قادرة على تسليم أسلحة بأكثر مما يستطيعون هم . ويوماً بعد يوم ، وحتى وقف إطلاق النار ، ينبغى للولايات المتحدة أن ترسل بطريق الجو معدات تفوق ما يقدمه السوفيت بنسبة ٢٥ فى المائة . ولابد من « إنهاك السوفيت » و « إجبارهم على التسليم » ، وأن تكون الأسلحة الأمريكية فى أيدى الإسرائيليين أكثر تفوقاً على الأسلحة السوفيتية فى أيدى العرب .

وبينما كيسنجر يستعرض الجوانب الأمريكية والسوفيتية للأزمة ، انفتح باب غرفة تحديد الموقف لتوصيل رسالة . كانت الساعة تشير إلى العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسين صباحا . وقرأ الجنرال سكوكروفت الرسالة ثم سلمها إلى كيسنجر الذى انطلق فى ضحكة مرتبكة سرعان ما تحولت إلى ابتسامة عريضة تنم عن الفخر . لقد تلقى من توه إفادة بأنه سيقتسم جائزة نوبل للسلام مع لو دك ثو ، من فيتنام الشمالية ، شريكه فى المفاوضات فى محادثات باريس .

وعندما تحول فريق العمل الخاص فى واشنطن باهتمامه للشرق الأوسط مرة أخرى ، تصدى لمسألة المعونة التى تقدم لإسرائيل لتمويل الأسلحة التى يجرى إرسالها . فرأى البعض أن الوقت مناسب لتحقيق أعلى مكانة لدى إسرائيل ، لأنه من المؤكد أن المواقف الأمريكية والإسرائيلية سوف تتعارض أثناء الجهود الدبلوماسية التى ستبذل بعد ذلك . ولذا دعا كيسنجر إلى تقديم قدر كبير جدًا من المعونة لإسرائيل - ما يصل إلى ثلاثة مليارات من الدولارات - بالاضافة إلى ٥٠٠ مليون دولار لكمبوديا وبلدان أخرى أقحمت بغرض بيان الفرق الكبير . وفى رأى كيسنجر أن الولايات المتحدة كانت قد دفعت الثمن بالفعل للعرب ، وأن تقديم معونة ضخمة لإسرائيل لن يضيف ضرراً يذكر .

ولعل كيسنجر أعاد النظر فى بعض أفكاره لدى تلقيه رسالة عند الظهر من الملك فيصل ، ردًا على رسالته الخاصة بالجسر الجوى مع إسرائيل . لقد « تألم » الملك من التصرف الأمريكى ، وينبغى للولايات المتحدة وقف إرسال الأسلحة ومطالبة إسرائيل بالانسحاب ، وإلا فإن العلاقات الأمريكية السعودية قد تتعرض « للفتور » . (ومع ذلك استمرت المعونة لإسرائيل فى التزايد ، وفى ١٩ أكتوبر طلب الرئيس نيكسون رسميًا اعتماد ٢,٢ مليار دولار معونة لها . وفى اليوم التالى أعلن الملك فيصل فرض حظر على النفط المصدَّر للولايات المتحدة بالاضافة إلى خفض كبير فى الانتاج . وفى سياق استرجاعه للأحداث ، تساءل كيسنجر عما إذا كان قد ضغط على العرب بأكثر من اللازم بطلبه ٢,٢ مليار دولار معونة بينما كان الوضع العسكرى يتحول لصالح إسرائيل) .

وكُرس اليوم التالى - ١٧ أكتوبر - كله تقريباً لاجراء محادثات مع وزراء خارجية المغرب والجزائر والمملكة العربية السعودية والكويت . فقد التقى كيسنجر بعد العاشرة صباحاً بقليل مع

الوزراء الأربعة فى مكتبه فى البيت الأبيض ، واستمع إلى وزير الخارجية السعودى وهو يشرح المطالب العربية : التسوية الفورية للنزاع على أساس الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى العربية التى تم الاستيلاء عليها عام ١٩٦٧ ، وإعادة الحقوق الفلسطينية وفقاً لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . وبعد ذلك شرح كيسنجر أن السياسة الأمريكية الأساسية حينذاك تهدف إلى وقف القتال الدائر والحيلولة دون انتشاره ، وإقدام الولايات المتحدة بعد الحرب على بذل جهود دبلوماسية من أجل سلام عادل ودائم . لذلك ينبغى أن تبقى العلاقات الأمريكية العربية أقوى مايمكن ، وأن العرب خلقوا واقعاً جديداً فى الشرق الأوسط ، وأن الوقت حان لجهد دبلوماسى ، وأن الولايات المتحدة توقعت فى البداية هزيمة العرب ، الأمر الذى دعاها إلى اقتراح خطوط ٦ أكتوبر لوقف إطلاق النار ، وأن وقف إطلاق النار الآن لابد أن يأخذ فى الاعتبار الحقائق الجديدة ، وأنه من الخطأ ربط وقف إطلاق النار بالتسوية الشاملة ، وأن الاستراتيجية الأفضل هى وقف إطلاق النار بسرعة ثم القيام بجهد دبلوماسى ، وأن الضمان الذى يكفل القيام بهذا الجهد هو قوة العرب . وحيث إن للولايات المتحدة نفوذاً أكبر لدى إسرائيل ، وحيث إن المواقف العربية عسكريًا ودبلوماسيًا قد تحسنت ، فإن الوقت أصبح مواتياً للدبلوماسية ، وأن الولايات المتحدة لن تعد بما لا تستطيع تحقيقه لكنها ستلتزم بكل ما تعد به .

واختتم كيسنجر حديثه بقوله إنه لايميل إلى الخطط الكبيرة بل يفضل الدبلوماسية الهادئة . وروى كيف تقدمت محادثاته مع الصينيين ، وحث العرب على انتهاج أسلوب الخطوة خطوة نفسه ، ونبّه إلى أن الشرق الأوسط ينبغى ألاّ يتورط فى المنافسة العالمية الأمريكية السوفيتية . ثم اعتذر قائلاً بخفة إنه لم يتعود على التعامل مع « المعتدلين العرب » ، وبأنه يحتاج إلى التحدث مع الرئيس لبضع دقائق قبل موعدهم معه فى المكتب البيضاوى .

وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة صباحا بدأ الرئيس نيكسون محادثاته مع وزراء الخارجية العرب الأربعة . ومرة أخرى قام عمر السقاف ممثل السعودية بعرض موقفهم الجماعى ، مؤكداً مسئولية الولايات المتحدة عن حمل إسرائيل على الانسحاب إلى خطوط ١٩٦٧ . واستشهد بالتاريخ الطويل للصداقة العربية مع الولايات المتحدة ، وناشدها التمسك بمبدأ وحدة الأراضى لجميع دول المنطقة . وردّ نيكسون مشيراً إلى زياراته للشرق الأوسط ، ولقاءاته مع مختلف الزعماء العرب ، وأعرب عن رغبته فى السفر مرة أخرى إلى المنطقة بمجرد التوصل إلى تسوية سلمية . وقال مردداً أفكار كيسنجر إن الولايات المتحدة تعمل الآن من أجل وقف إطلاق النار ، ثم تقوم بعد ذلك بدبلوماسية نشيطة . ونفى أن السياسات الداخلية تؤثر على سياسة الولايات المتحدة إزاء الشرق الأوسط . وحث العرب على الوثوق فى كيسنجر بالرغم من خلفيته اليهودية . واختتم حديثه بالوعد بالعمل من أجل « تطبيق القرار رقم ٢٤٢ » بعد وقف إطلاق النار ، ولكنه أكد أنه لن يستطيع الوعد بأن إسرائيل ستنسحب الى خطوط ١٩٦٧ .

وعقب المحادثات ، تحدث السقاف لفترة وجيزة مع الرئيس على انفراد ، ثم توجه إلى حديقة الورود (روز جاردن) ليبلغ رجال الصحافة بأن المحادثات كانت بناءة وودية . ثم عاد كيسنجر وبصحبته الوزراء إلى وزارة الخارجية لمزيد من المحادثات بعد الظهر بقليل .

وعلى العموم ، شعر كيسنجر بأن الاجتماعين سارا بطريقة حسنة . وفى الاجتماع الذى عقده فريق العمل الخاص فى واشنطن بعد الظهر ، قال كيسنجر إنه لم يعد يتوقع أن يقطع العرب النفط عن الولايات المتحدة . ولسخرية الأقدار ، أنه بينما كيسنجر ينتهى إلى هذا الاستنتاج المتفائل ، كان وزراء البترول العرب المجتمعون فى الكويت يعلنون أن إنتاج النفط سيخفض بنسبة ٥ فى المائة فى كل شهر إلى أن تنسحب إسرائيل من جميع الأراضى العربية . وبعد ثلاثة أيام ، دفع الملك فيصل الأمور لمدى أبعد ، مطالباً بخفض ١٠ فى المائة فوراً وبفرض حظر على شحنات النفط للولايات المتحدة وهولندا .

وعلى الجبهة الدبلوماسية كان المؤشر الوحيد للتقدم الذى حققته زيارة كوسيجين للقاهرة هو طلب السوفيت رأى الولايات المتحدة فى وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه مرتبطاً بالقرار رقم ٢٤٢ .(٥٤) وجاء الرد الأمريكى إيجابيًّا ، غير أن الولايات المتحدة طلبت اقتراحاً محدداً . وتم نقل الموقف السوفيتى إلى السفير دينيتز الذى بعث به إلى إسرائيل ، حيث وجدته جولدا مائير غير مقبول . وبدلاً من ربط وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه بالقرار ٢٤٢ ، فضل الاسرائيليون أن يرتبط بالمفاوضات المباشرة فيما بين الأطراف .(٥٥) ولم يأت اليوم التالى بتغيير يذكر . وكان السادات لايزال غير مستعد للتوقف .

وكما توقع كيسنجر فقد بدأ النشاط الدبلوماسى فى ١٩ أكتوبر ، بعد وقت قصير من عودة كوسيجين إلى موسكو قادماً من القاهرة .(٥٦) ففى الصباح وردت رسالة إلى البيت الأبيض من بريجنيف يطلب فيها إجراء مشاورات عاجلة حول أزمة الشرق الأوسط ، وأن يأتى كيسنجر إلى موسكو « بصورة عاجلة » ، لأن للوقت أهمية جوهرية .(٥٧) وشعر كيسنجر بأن وقف إطلاق النار يمكن أن يتحقق بسرعة . وألمح كيسنجر فى محادثاته مع دينيتز إلى أنه بموافقته على الذهاب إلى موسكو سيكسب لاسرائيل بضعة أيام أخرى لاستكمال عملياتها العسكرية .(٥٨) وأكد دينيتز ضرورة الربط بين وقف إطلاق النار والمفاوضات .(٥٩)

وفى وقت لاحق من بعد ظهر اليوم نفسه ، بعثت الادارة إلى الكونجرس بطلب المعونة البالغ مقدارها ٢,٢ مليار دولار ، وذكرت فيه ان الولايات المتحدة تسعى للتوصل إلى « خاتمة سريعة جداً ومشرفة ، خلال أيام وليس أسابيع » . وبعد منتصف الليل بقليل ، وبعد تناول العشاء مع ممثل الصين فى واشنطن ، سافر كيسنجر إلى موسكو .(٦٠) وهنأ كيسنجر قبل رحيله أعضاء فريق العمل الخاص فى واشنطن على « أفضل إدارة لأزمة على الاطلاق » .

محادثات موسكو

وبغض النظر عما قاله لدينيتز ، فقد ذهب كيسنجر إلى موسكو بالدرجة الأولى ، ليس لكسب الوقت لصالح نجاحات إسرائيلية فى ميدان القتال ، وإنما للحصول على موافقة السوفيت والعرب على قرار بوقف إطلاق النار يمكن أن يصبح أساساً لجهد دبلوماسى لاحق . أما إذا ظل موقف السوفيت والعرب محصوراً فى صيغة غير مقبولة ، فقد كان كيسنجر على استعداد للانتظار ،

اعتقادا منه بأن التقدم الاسرائيلى فى الضفة الغربية للقناة سيؤدى فى النهاية إلى تغيير . أما فى الحالة الأخرى ، فإذا كان بريجنيف والسادات مستعدين لمجرد وقف إطلاق النار ، فان كيسنجر سوف يضغط من أجل وضع نهاية سريعة لعمليات القتال . فلم تكن له مصلحة فى إذلال السادات ، خاصة فى ضوء اللهجة المشجعة للاتصالات الأمريكية المصرية المتبادلة على مدى الأسبوعين الماضيين . كما أنه لم يكن يرغب في إجبار السوفيت على الاختيار بين الوقوف موقف المتفرج وهم يرون المتعاونين معهم ينهزمون أمام إسرائيل بأسلحة أمريكية ، أو التدخل عسكريًا إلى جانب العرب ، بما يحف بذلك من مخاطر المواجهة النووية .

وكان الحل البارع هو التوصل إلى وقف إطلاق النار فى اللحظة المناسبة . وحتى ذلك الحين كان على إسرائيل أن تواصل تقدمها فى الميدان ، لكن كيسنجر كان يعتقد أنه ينبغى أن تكون إسرائيل مستعدة للتوقف فور توصل الدولتين العظميين إلى اتفاق على وقف إطلاق النار . فإن المخاطر فى نهاية الأمر لم تعد مقصورة على الشرق الأوسط ، بل هى عالمية أيضاً . وإذا لزم الأمر فإن كيسنجر مستعد للضغط بشدة على الاسرائيليين .

وأثناء رحلته الجوية إلى موسكو ، تلقى كيسنجر رسالتين عاجلتين . علم من الرسالة الأولى بالقرار السعودى بحظر شحنات النفط للولايات المتحدة . وكانت الثانية رسالة من نيكسون إلى بريجنيف ، أوضح فيها أن كيسنجر يتمتع بكافة الصلاحيات للتفاوض . ويقول كيسنجر إنه استاء من هذا الاجراء غير العادى ، إذ أنه حرمه من إمكانية استخدام تكتيك التحجج بالعودة إلى واشنطن للتشاور قبل اتخاذ قرارات نهائية .(٦١) وفى ذلك الوقت لم يكن كيسنجر مدركاً عمق الأزمة الداخلية التى تحيط بنيكسون . فقد أصدرت محكمة الاستئناف حكمها ضد نيكسون فى دعواه للاحتفاظ بتسعة من أشرطة ووترجيت . وكان المدعى الخاص ، ارشيبالد كوكس ، يطالب بالأشرطة التى لا يريد نيكسون الافراج عنها ، ولذا فقد قرر نيكسون إعفاء كوكس من منصبه . ولكن إليوت ريتشاردسون ، المدعى العام (وزير العدل) ، ونائبه وليام روكلهاوس رفضا الانصياع لأوامر نيكسون بطرد كوكس ، وفضّلا الاستقالة . ووصلت كل هذه الأحداث إلى ذروتها فى « مذبحة ليلة السبت » ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه الجولة الأولى من المباحثات بين كيسنجر وبريجنيف فى الكرملين .(٦٢) ولذا لم يكن مستغربا أن يقرر نيكسون ترك مفاوضات وقف إطلاق النار لكيسنجر .

وبدأت المحادثات الأمريكية السوفيتية الحاسمة فى موسكو يوم ٢١ أكتوبر فى نحو الساعة الحادية عشرة صباحا . واستغرقت أربع ساعات فقط . وبينما حاول السوفيت فى بداية الأمر ربط وقف إطلاق النار بدعوة إسرائيل بصورة ما للانسحاب من جميع الأراضى العربية وبضمانات تقدمها الدولتان العظميان ، فإنهم لم يلبثوا أن غيروا موقفهم التفاوضى . وكان الوقت عاملاً حاسما ، وكان عملاؤهم يتعرضون لمحنة . وأخيراً وافق بريجنيف على مجرد وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه مع الدعوة لتطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . كما وافق استجابة للاصرار الأمريكى ، على إجراء المفاوضات بين الأطراف تحت رعاية ملائمة .(٦٤) وبالاضافة إلى ذلك وافق الجانبان على أن يرأسا معاً مؤتمراً للسلام يعقد فيما بعد ، وأن تتبادل الأطراف أسرى الحرب فور إقرار وقف إطلاق النار .

وفى ظهر يوم ٢١ أكتوبر بتوقيت واشنطن وافقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على نص قرار لوقف إطلاق النار . وحينذاك أصبح على كيسنجر أن يقنع إسرائيل بقبوله . وفى عصر اليوم نفسه أجرى الكسندر هيج ، الذى كان فى ذلك الحين رئيساً لهيئة الموظفين التابعين لنيكسون ، اتصالاً تليفونيًا بالسفير دينيتز لابلاغه نص القرار المقترح . وقيل لدينيتز إن الوقت ضيق ، وإنه لا يمكن إدخال تغييرات ، وإن مجلس الأمن سيجتمع فى ذلك المساء . وسلمت لدينيتز رسالة من الرئيس نيكسون إلى رئيسة الوزراء مائير يطلب منها الموافقة فوراً على القرار ، ويذكر أن تدفق السلاح إلى إسرائيل سيستمر . واتصل دينيتز من فوره بمائير لابلاغها نص القرار ورسالة نيكسون ، وقد شعرت بالاستياء لأنها لم تستشر مقدماً وأنها تواجه الآن بالأمر الواقع . ويقال إن مائير حاولت فى نحو الثامنة مساء بتوقيت واشنطن الاتصال بنيكسون مباشرة للمطالبة بتأجيل وقف إطلاق النار ، ولكنها لم تتمكن من الاتصال به .[٦٥] وفى التاسعة مساء ، وقبل موعد انعقاد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بقليل ، قرر مجلس الوزراء الإسرائيلى قبول قرار وقف إطلاق النار . وفى الرسالة التى أبلغت فيها نيكسون بقرار اسرائيل ، طلبت مائير أن يتوقف كيسنجر فى تل أبيب فى طريق عودته من موسكو لاجراء مشاورات .

واجتمع مجلس الأمن فى العاشرة مساء . وبعد ساعتين وخمسين دقيقة ، أى فى الساعة الثانية عشرة وخمسين دقيقة من صباح ٢٢ أكتوبر اعتمد مجلس الأمن القرار رقم ٣٣٨ (انظر الملحق أ) على أن يتوقف القتال على جميع الجبهات خلال ١٢ ساعة .

وغادر كيسنجر موسكو صباح ٢٢ أكتوبر إلى تل أبيب ،[٦٦] ليصلها فى الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة ظهراً بتوقيت الشرق الأوسط (السادسة وخمس وأربعون دقيقة صباحاً بتوقيت واشنطن) . ولم يكن وقف إطلاق النار قد نفذ بعد . وأصر كيسنجر فى محادثاته مع مائير على أن تتحرك إسرائيل إلى مواقع دفاعية ، وألا تخرق وقف إطلاق النار . وزعم كيسنجر فيما بعد أنه كان حازماً للغاية مع الإسرائيليين بشأن هذه النقطة ، وأن رئيسة الوزراء مائير ووزير الدفاع ديان ووزير الخارجية ايبان ، إن لم تكن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، وافقوا على أن إسرائيل لن تحقق المزيد من المكاسب بمواصلة القتال .[٦٧] وأكد كيسنجر أن القرار يدعو لأول مرة للتفاوض بين إسرائيل والعرب ، كما طمأن مائير إلى عدم وجود تفاهم سرى بين الولايات المتحدة والسوفيت ، وأن القرار ٢٤٢ سيظل مبهما على الدوام كدليل للعمل الدبلوماسى اللاحق ، وأنه لن يتم مسبقا إضعاف قدرة إسرائيل على المساومة ، وأن تدفق السلاح سيستمر . وغادر كيسنجر إسرائيل بعد خمس ساعات من وصوله إليها ، يداعبه الشعور بأن إسرائيل ستلتزم بوقف إطلاق النار .[٦٨] وبعد ساعة من مغادرته - أى الساعة السادسة وخمسون دقيقة مساء بتوقيت الشرق الأوسط - سكتت المدافع ، ولو أن ذلك لم يدم طويلاً .

نحو المواجهة

وبتحقيق وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر كان جديراً بنيكسون وكيسنجر أن يشعرا بالارتياح . فقد تم وضع حد لأزمة طويلة وخطيرة بدون أن تنشأ مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة

والاتحاد السوفيتى ، وحقق كل طرف من أطراف النزاع بعض المكاسب لتتوازن مع خسائره الجسيمة ، مما يجعل آفاق المفاوضات تبدو طيبة . وحتى حظر البترول بدا أمراً يمكن تدبره ، وإن كان مثيرا للسخط .

وبعد قليل من وصول كيسنجر إلى مكتبه صباح الثلاثاء ٢٣ أكتوبر ، اتصل به السوفيت ليتهموا إسرائيل بخرق وقف إطلاق النار .[٦٩] وانزعج كيسنجر ، إذ كان قد أحس بالمرارة فى صفوف العسكريين الإسرائيليين لحرمانهم من النصر . وكان قد أكد للسوفيت أن إسرائيل ستحترم وقف إطلاق النار . ولذلك عمد كيسنجر عندما اتصل بدينيتز لابلاغه بالاتهامات السوفيتية ، إلى توضيح أنه يتعين على إسرائيل ألا تحاول تدمير قوات الجيش الثالث المصرى شبه المحاصر .

ومنذ أن نشبت الأزمة ، أدرك كيسنجر أن المصداقية الأمريكية لدى العرب ستوضع فى النهاية موضع الاختبار فى ظروف كهذه . فإذا وقفت الولايات المتحدة الآن مكتوفة الأيدى تشاهد تدمير قوات الجيش الثالث بفضل الأسلحة الأمريكية الواردة حديثاً ، فإن مستقبل دور كيسنجر كصانع للسلام سوف يتعرض لأخطار شديدة . ولم يعد يهم الآن معرفة أى من الجانبين مسئولاً من الناحية الفنية عن إطلاق الرصاصة الأولى بعد وضع وقف إطلاق النار موضع التنفيذ . ولكن ما كان واضحا هو أن القوات الإسرائيلية تتقدم وراء خطوط ٢٢ أكتوبر لوقف إطلاق النار . ولكن بالرغم من قلقه ، لم يكن كيسنجر يشعر حتى الآن بالانزعاج على نحو ليس له مبرر .

وبعد ظهر ٢٣ أكتوبر أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٩ مطالباً بالوقف الفورى لعمليات القتال والعودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر وقت بدء تنفيذ وقف إطلاق النار ، وبارسال مراقبين عن الأمم المتحدة لمراقبة وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية الإسرائيلية . وكانت سوريا لم توافق بعد على وقف إطلاق النار ، غير أنها وافقت عليه فى النهاية فى وقت لاحق من ذلك المساء .

واستهل كيسنجر يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر بإجراء سلسلة من الاتصالات مع المصريين والإسرائيليين والسوفيت . وحينذاك كان السادات على اتصال مستمر مع نيكسون حتى فيما يتعلق بالأمور الصغيرة .[٧٠] وطلب السادات مساعدة الرئيس الأمريكى فى حمل الإسرائيليين على السماح بوصول الامدادات الطبية والغذائية إلى قوات الجيش الثالث شبه المحاصرة . وطالب بايفاد ملحق عسكرى أمريكى من تل أبيب إلى خطوط الجبهة للتحقق من التزام إسرائيل بوقف إطلاق النار . وكان كيسنجر على استعداد للتعاون ، واتصل بدينيتز راجياً احترام إسرائيل لوقف اطلاق النار والسماح للامدادات بالعبور إلى قوات الجيش الثالث .[٧١]

وفى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة صباحاً التقى كيسنجر وفريق العمل الخاص فى واشنطن ، حيث أعرب عن شعوره بأن الولايات المتحدة أصبحت الآن فى « موضع بارز تحسد عليه ، وأن لجميع ينظرون إلينا » . ولكنه لن يتخذ إجراء تحت تهديد الحظر العربى على النفط . وكان يعتقد

أن مصر تتفهم هذه النقطة وأنها ستكون عوناً ، وأن المرحلة القادمة ستشهد مفاوضات عربية إسرائيلية مباشرة تحت رعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وفى منتصف فترة ما بعد الظهر وردت إلى واشنطن إفادة بأن السادات يناشد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى علنا إرسال قوات إلى الشرق الأوسط لمراقبة وقف إطلاق النار . وعلى الفور أصدر البيت الأبيض بياناً يرفض فكرة إرسال قوات تابعة للدولتين العظميين إلى المنطقة . وبعد فترة وجيزة التقى كيسنجر ودوبرينين فى وزارة الخارجية لمناقشة عقد مؤتمر للسلام ، واتفقا على أن يعقد فى جنيف ، وبحثا المسائل الاجرائية . ونفى دوبرينين اهتمام السوفيت بإرسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة للشرق الأوسط استجابة لنداء السادات . وانتهى الاجتماع فى جو ودى ، ولم تكن هناك إشارة لأية أزمة وشيكة .(٧٢)

وبعد ثلاث ساعات ، أى فى الساعة السابعة وخمس دقائق مساء ، اتصل دوبرينين بكيسنجر لابلاغه بأن السوفيت سيؤيدون فكرة إرسال قوة أمريكية سوفيتية مشتركة لحفظ السلام إذا طالبت بلدان عدم الانحياز فى الأمم المتحدة بذلك . ثم اتصل مرة أخرى بعد قليل ليقول إن السوفيت يبحثون التقدم بقرار بهذا المعنى . وأثارت هاتان الرسالتان قلقاً شديدا فى واشنطن . وفى الساعة التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة مساء طلب دوبرينين كيسنجر لابلاغه رسالة « عاجلة جدا » من بريجنيف إلى نيكسون . وقرأ نص الرسالة بتؤدة بالتليفون . بدأت الرسالة بملاحظة أن إسرائيل تواصل خرق وقف إطلاق النار ، الأمر الذى يمثل تحدياً لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وأكد بريجنيف ضرورة « تطبيق » قرار وقف إطلاق النار ، و« دعا » الولايات المتحدة لتنضم إلى موسكو لـ « فرض تنفيذ وقف إطلاق النار بلا تأخير » . ثم وردت عبارة التهديد : « وأود أن أقولها صراحة إنكم إذا رأيتم استحالة العمل المشترك معنا فى هذا الأمر ، فإننا سنواجه بضرورة النظر عاجلاً فى مسألة اتخاذ الخطوات الملائمة من جانب واحد . ونحن لانستطيع السماح بالتعسف من جانب إسرائيل » .(٧٣) وأسرع كيسنجر بنقل الرسالة إلى هيج لرفعها إلى نيكسون.وتبين سجلات الرئيس أنه تحدث مع هيج نحو عشرين دقيقة فى حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء . وكان ذلك هو اتصال نيكسون الوحيد بمستشاريه حتى صباح اليوم التالى . وتردد أن نيكسون فوض كيسنجر باتخاذ ما يلزم من اجراءات ، بما فى ذلك إعلان الاستنفار العسكرى .(٧٤) عندئذ دعا كيسنجر إلى عقد جلسة خاصة لمجلس الأمن القومى ، الذى كان يتكون فى ذلك الحين من شخصه ووزير الدفاع فقط بحكم منصبيهما . وشارك فى المناقشة كل من كولبى ، ومورر ، وهيج ، وسكوكروفت ، وجوناثان هاو المساعد العسكرى لكيسنجر .

ولاشك فى أن الموقف كان خطيراً ..ولم يكن أحد يعرف ماذا ينوى الاتحاد السوفيتى عمله . ولكن مذكرة بريجنيف تفيد بلا مواربة عزمه على عدم السماح لإسرائيل بتدمير قوات الجيش الثالث المصرى . وتفهم كيسنجر صعوبة الموقف الذى يواجه السوفيت والضغوط التى يتعرضون لها للتحرك . كانت هيبتهم كدولة عظمى فى الميزان ، وهو الأمر الذى يمكن لكيسنجر أن يتعاطف معه . ولكن هل يملك السوفيت القدرة على التدخل ، مهما كانت نواياهم ؟ وبدا أن الرد هو نعم

بالتأكيد ، إذ أن جميع الطائرات التى نقلت السلاح إلى الشرق الأوسط قد عادت إلى الاتحاد السوفيتى ، ويمكن استخدامها كناقلات للجنود . وكان ما لايقل عن سبع فرق محمولة جوًّا على درجة عالية من الاستنفار .(٧٥) وكانت هناك سفينتان تحملان زوارق إنزال برمائية فى شرق البحر المتوسط ضمن الأسطول السوفيتى .

ومع أن تدخلاً سوفيتياً ضخماً كان لايزال أمراً يصعب تصوره ، بالرغم من هذه التوليفة من الدوافع والقدرات ، فإن موسكو قد تلجأ إلى استعراضات مؤثرة للقوة العسكرية قد يكون لها عواقب متفجرة سياسياً ، وربما عسكريًّا أيضا . ومثال ذلك إرسال قوة « حفظ سلام » صغيرة لتوصيل الامدادات إلى قوات الجيش الثالث المحاصرة . فهل يطلق الإسرائيليون النار على القوات السوفيتية فى مثل هذه الظروف ؟ وإذا حدث ذلك فقد يجد السوفيت أنفسهم مجبرين على الرد على نطاق أوسع . وإذا لم يفعل الإسرائيليون ذلك ، فإن الهيبة السوفيتية سوف تكتسب دفعة قوية ، وبالذات فى لحظة من اللحظات الحاسمة فى العلاقات الأمريكية العربية .

وتوصل كيسنجر والمشاركون فى اجتماع مجلس الأمن القومى إلى قرارين . فالسوفيت الذين يبدو أنهم لا يأخذون التحذيرات الأمريكية بجدية فيما يتعلق بادخال قواتهم فى المنطقة ، ينبغى ألا يتوهموا أن الولايات المتحدة ليس لديها الارادة والقدرة على الرد على أى تحرك قد يقدمون عليه . وتأكيداً لهذه القدرة تقرر وضع القوات العسكرية الأمريكية فى الدرجة الثالثة من الاستنفار ، الأمر الذى يعنى إلغاء الاجازات وفرض حالة متقدمة من الاستعداد . وكذلك وضع القيادة الجوية الاستراتيجية فى حالة استنفار أعلى من درجة الاستنفار الرابعة العادية . ولن تكون هناك حاجة لاحداث أى تغيير بالنسبة للأسطول السادس الذى كان بالفعل فى درجة الاستنفار الثالثة . وبالرغم من أن هذه التحركات أقل كثيراً من قرار خوض الحرب ، فإن وضوحها يكفى لافادة السوفيت بالاصرار الأمريكى على العمل عند الضرورة . أما إذا أمكن حل الأزمة بسرعة ، فمن السهل تغيير وضع الاستنفار .(٧٦)

وكما كان الحال فى الأيام الأولى من الأزمة ، كان كيسنجر حريصا على ألا تبدو فضيحة ووترجيت وكأنها تعطل مسار السياسة الخارجية الأمريكية . وكان يرى أن تعمد رد الفعل المغالى فيه أفضل من رد الفعل الأقل . ولتأكيد معنى الاستنفار بعث كيسنجر برسالة باسم نيكسون إلى بريجنيف يقول فيها إن إرسال قوات سوفيتية إلى الشرق الأوسط سيعتبر خرقاً للمادة الثانية من اتفاقية منع الحرب النووية الموقعة فى ٢٢ يونيو ١٩٧٣ .

وقبل التهديد السوفيتى بالتدخل ، كان كيسنجر وزملاؤه يرون أنه يتعين على إسرائيل أن توقف تقدمها على الجبهة المصرية . وقيل للإسرائيليين فى عبارات لا لبس فيها إن الولايات المتحدة لن تسمح بتدمير قوات الجيش الثالث .(٧٧) غير أن التهديد السوفيتى أدخل عاملاً جديداً ، ويبدو أن كيسنجر أشار على الإسرائيليين بالاستعداد للتحرك ضد الجيش الثالث إذا حاولت القوات السوفيتية التدخل .(٧٨)

وعند منتصف الليل تقريباً صدرت الأوامر الأولى بالاستنفار ، وفى الساعة الواحدة والنصف

من صباح ٢٥ أكتوبر اتسع مداها . ولم يشترك نيكسون فى مناقشات مجلس الأمن القومى ، ويتردد أنه اعطى موافقته على الاستنفار مقدماً .(٧٩) وراحت الولايات المتحدة تنتظر رد الفعل السوفيتى .

وفى صباح ٢٥ أكتوبر ، بينما كان معظم الأمريكيين يقفون لأول مرة على الاستنفار ويتساءلون عن مغزاه ، التقى كيسنجر ونيكسون وأجريا حديثا طويلا .(٨٠) وكانت قد توافرت الآن جوانب جديدة من المعلومات ، فورد مزيد من الرسائل من السادات تنفى أن مصر خرقت وقف إطلاق النار ، وتؤكد مرة أخرى الحاجة لقوات أمريكية وسوفيتية لتطبيقه . وعلاوة على ذلك ، أبحرت عدت سفن من الأسطول السوفيتى ، بما فيها سفينة الانزال البرمائية ، متجهة إلى مصر . ووردت معلومة جزئية من معلومات المخابرات تفيد بأن قوات برية سوفيتية توشك على الوصول إلى القاهرة . وثبت فى الحقيقة أنهم سبعون مراقباً مع طاقم من المترجمين أرسلهم السوفيت بالفعل إلى القاهرة ، ولكن عددهم فى ذلك الحين لم يكن معلوماً . والمحصلة أن السوفيت كانوا على ما يبدو يتحركون نحو المواجهة ، ويبدو أن المصريين كانوا يشجعون ذلك ، وأصدر الرئيس أمره إلى كيسنجر باعداد خطة لارسال قوات أمريكية إلى الشرق الأوسط فى حالة تدخل السوفيت بالفعل . فمن شأن ذلك ، على أقل تقدير ، أن يوفر أداة لاخراج القوات السوفيتية من المنطقة بعد خمود الأزمة ، كما طلب نيكسون إلى كيسنجر عقد مؤتمر صحفى يشرح فيه التحركات الأمريكية .

وفى الساعة العاشرة والربع صباحا عقد كيسنجر اجتماعاً آخر لفريق العمل الخاص فى واشنطن ، وشرح الخطوات التى أدت إلى الأزمة وتعليمات الرئيس الأخيرة . وكان كيسنجر قلقاً من سلوك السوفيت الذين لم يبد أنهم مهتمون بايجاد حل ، وإنما كانوا يستغلون الوضع . وألمح شليزنجر إلى أنهم قد يكونون خائفين بحق من حدوث انهيار على الجبهة المصرية ، وأنهم قد يشكون فى تآمر أمريكى وراء حث الإسرائيليين على ذلك . وانتهى الاجتماع فى الساعة العاشرة وخمسين دقيقة بعد أن طلب كيسنجر إعداد خطة طوارىء لإرسال قوات أمريكية إلى الشرق الأوسط ، بما فى ذلك الدول العربية إن أمكن .

وبعد الظهر بقليل قابل كيسنجر رجال الصحافة فى قاعة الاجتماعات بوزارة الخارجية . وفى نبرة رزينة وإن بدت متحفظة ، شرح كيسنجر المراحل المختلفة للأزمة وتطور سياسة الولايات المتحدة . وكان عرضاً رائعاً ، وواحداً من أقوى أحاديثه تأثيراً .

فبعد استعراض الجهود الديبلوماسية التى بذلت خلال الاسبوعين الأولين للأزمة ، تحدث كيسنجر عن وقف إطلاق النار وحالة الاستنفار . وأكد من جديد باسم الرئيس رفض الولايات المتحدة إرسال قوات إمريكية سوفيتية للشرق الأوسط . وكان اعتراضه أشد على التحرك السوفيتى المنفرد فى المنطقة . ثم استعرض احتمالات التسوية السلمية التى وصفها بأنها « مبشرة تماما » . وألقى عبارات استرضاء لإسرائيل والعرب والسوفيت أيضاً . ثم قام بالرد على الأسئلة .

ورداً على عدة أسئلة بشأن انفراج العلاقات الأمريكية السوفيتية ، أكد كيسنجر الطبيعة المعاكسة المعقدة لهذه العلاقة ، ولكنه رفض إدانة السوفيت بالخروج على روح الانفراج . وسئل عما إذا كان إعلان حالة الاستنفار يرجع إلى الأزمة الداخلية الأمريكية ، ورد كيسنجر ، وهو أقرب للأسف

منه للغضب ، رافضاً الفكرة . غير أنه استطرد قائلاً إنه لعل السوفيت تحركوا بتلك الجرأة بسبب الضعف الذى يحيق بموقف الرئيس الأمريكى . وقال « لايمكن أن تكون هناك أزمة سلطة فى مجتمع ما لمدة شهور دون دفع الثمن فى مكان ما » .

وفى ملاحظاته الختامية ، حدد كيسنجر عدة مبادىء لسياسة أمريكية جديدة تجاه النزاع بين العرب وإسرائيل فقال :

إن موقفنا هو أن ... الظروف التى أفرزت هذه الحرب كانت بوضوح غير مقبولة للدول العربية ، وأنه سيكون لزاماً تقديم تنازلات كبيرة أثناء عملية المفاوضات .

وستكون المشكلة هى التوفيق بين الاهتمام العربى بالسيادة على الأراضى واهتمام إسرائيل بأن تكون حدودها آمنة .

وفى اعتقادنا أن عملية المفاوضات بين الأطراف هى جزء أساسى من ذلك . وكما قال الرئيس لوزراء الخارجية الأربعة العرب ، وكما قلنا مراراً ، فإننا سنبذل جهداً كبيراً للتوصل إلى حل تعتبره كافة الأطراف حلاً عادلاً . ولكنى اعتقد بأن أية محاولة من جانبى لتحديد الطبيعة الدقيقة لجميع هذه الشروط لن تكون مجدية .(٨١)

وبعد ساعة أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ٣٤٠ يطالب فيه بوقف إطلاق النار الفورى والكامل ، والعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، وإرسال قوة معززة من مراقبى الأمم المتحدة ، وتشكيل قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة تتألف من الأعضاء غير الدائمين فى مجلس الأمن ، وتطبيق القرار رقم ٣٣٨ . وصمد وقف إطلاق النار هذه المرة ، وانتهت أخيرا الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة . وكان فصل جديد من الدبلوماسية الأمريكية على وشك البداية يكون فيه كيسنجر هو النجم اللامع .

خلاصة

تأثرت السياسة الأمريكية إزاء النزاع العربى الإسرائيلى تأثرا جوهريا بأحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣ . فقبل بدء الأعمال العسكرية كان الاعتقاد السائد فى واشنطن هو أن الاستقرار فى الشرق الأوسط يضمنه التفوق العسكرى الإسرائيلى ، وأن النفط العربى لايمكن استخدامه بكفاءة للضغط على الغرب ، وأن السادات ليس جادا فى الرغبة فى تسوية سلمية مع إسرائيل ، وأن النفوذ السوفيتى فى المنطقة وصل إلى مداه . وكان الموقف فى المنطقة يثير القلق ولكنه ليس سببا للانزعاج . وكانت المبادرات الدبلوماسية محل تفكير ولكن دون شعور بالاستعجال أو بتوقع النجاح .

ويخطىء من يقول إن الولايات المتحدة انتقلت من سياسة موالية لإسرائيل إلى سياسة موالية للعرب نتيجة لحرب أكتوبر . فقد كان للتغيرات التى حدثت بالفعل ظلال دقيقة وأبعاد متعددة ، تتجاوز مجرد الانقسام بين العرب وإسرائيل . ومع ذلك فقد تحدت الحرب عديداً من الافتراضات الأساسية لصانعى السياسة فى الولايات المتحدة ، التى كان لها دور مركزى فى سياسة ماقبل الحرب .

أولاً ، إن القوة العسكرية الإسرائيلية لم تضمن الاستقرار كما كان متوقعاً بعد ١٩٦٧ ، « فالدرس » الذى دعمته أزمة سبتمبر ١٩٧٠ انهار فى ٦ أكتوبر . وليس معنى ذلك بطبيعة الحال أن التوازن العسكرى لا أهمية له . فقد أبرزت المراحل الأخيرة للحرب بوضوح أن القوة العسكرية يعتد بها إلى حد بعيد . ولكن القوة الإسرائيلية وحدها لم تكن لتؤدى إلى تسوية سياسية كما كان يأمل جونسون فى ١٩٦٧ .

ثانيا ، قوضت حرب أكتوبر الاعتقاد بأن الانفراج الأمريكى السوفيتى سيؤدى إلى الحد من خطر النزاعات الاقليمية . وبالرغم من أن نيكسون وكيسنجر وشليزنجر أكدوا جميعاً أن الانفراج كان عنصراً مساعداً فى حل الأزمة ، فإنهم كانوا يدركون بقوة أن الدولتين العظميين لم تتمكنا من البقاء بمنأى عن نزاع الشرق الأوسط . وكانت التزامات كل من الجانبين لاتسمح له بأن يترك أصدقاءه يذهبون ضحية لروح الانفراج . وعند الاختبار انتصرت المصالح المحلية الملموسة على المفاهيم العالمية المجردة . وليس معنى ذلك أن الانفراج وهم أو محفوف بالمخاطر ، وإنما هو محدود فى أبعاده ، وأن المواجهة بين الدولتين العظميين لاتزال محتملة فى عصر الانفراج والمفاوضات ، الأمر الذى كان شاغلا لكبار صانعى القرارات أكثر من أى شىء آخر . وأكدت الأحداث فى ٢٤ - ٢٥ أكتوبر أسوأ مخاوفهم .

ثالثا ، كشفت الحرب خطأ الموقف السائد بين صانعى السياسة تجاه العالم العربى . فبالرغم من الانجازات العسكرية الإسرائيلية الواضحة على كل من الجبهتين ، حارب المصريون والسوريون بصورة طيبة وحققوا مفاجأة فى المرحلة الأولى من الهجوم . وعلاوة على ذلك ، كانت درجة التضامن العربى مؤثرة . كما توافق استخدام سلاح النفط بصورة جيدة مع التحركات الدبلوماسية والعسكرية . وجاءت لهجة الاعتدال فى الاتصالات الخاصة والعامة مختلفة وجديرة بالتقدير بالمقارنة بعام ١٩٦٧ . وكان السادات ، على وجه الخصوص ، مخلصا فى رغبته فى العمل مع نيكسون وكيسنجر من أجل التسوية الدبلوماسية فى فترة ما بعد العمليات العسكرية . وكان ذلك عنصراً جديداً بالغ الأهمية .

رابعاً ، وجد المسئولون الأمريكيون أنفسهم - خاصة كيسنجر - فى حاجة إلى التعرف على اقتصاديات البترول باعتبارها جزءاً من الاستراتيجية الدولية . ولم يكن كيسنجر قد التفت على الاطلاق تقريباً إلى قضايا النفط قبل أزمة أكتوبر . وأمضى كيسنجر والآخرون وقتاً عصيباً فى التمييز بين آثار الحظر التى بدت واضحة للغاية ، وإن لم تكن بالغة الأهمية ، وبين خفض الانتاج الذى أدى إلى زيادات مثيرة فى الأسعار . ولو كان نيكسون وكيسنجر أكثر حساسية إزاء هذه القضايا ، لكانا أكثر تحفظاً فى تناولهما لصفقة المعونة لإسرائيل البالغ قدرها ٢,٢ مليار دولار ، وربما أعلنا عنها بعد انتهاء الحرب وليس وسط المعركة . وعلى أى حال ، فقد دار جانب كبير من النشاط الدبلوماسى الخاص بالنزاع العربى الإسرائيلى فى ظل سلاح البترول العربى ، الذى لم يقتصر على إثارة الشعور بالالحاح وإنما أثار أيضا شبح الابتزاز .

ولكن هذا التغيير فى المعتقدات التى كانت سائدة على نطاق واسع لم يحدث كله مرة واحدة ، بل جاء بعضه أسرع من الآخر . وقد بدأت إعادة تقييم السياسة المصرية بصفة خاصة فى خلال

ثلاثة أيام من اندلاع الحرب . وكانت الدعوة الأولى إلى وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقاً ، والتريث فى إعادة تسليح إسرائيل هما نتيجة للآراء السائدة من قبل - أى الاعتقاد بأن إسرائيل ستحقق نصراً سريعاً وسهلاً نسبياً على الجيوش العربية عديمة الكفاءة . وفيما بين ٩ و ١٣ أكتوبر تعرضت هذه الرؤى للتعديل المطرد ، الذى وصل إلى ذروته بتعديل الموقف من وقف إطلاق النار ومن تقديم الأسلحة لإسرائيل . وقد نجمت السياسات الجديدة التى أسهمت فى وقف إطلاق النار فى ٢٢ أكتوبر عن تعديل بضعة عناصر فى فكر صناع القرارات ، وليس نتيجة لتقديرات جديدة تماماً للموقف . فقد واجه الإسرائيليون صعوبات أكثر مما كان متوقعاً . وكان العرب أكثر كفاءة فى استخدام السلاح وأكثر براعة فى الدبلوماسية . وأدت هذه التغيرات المتزايدة فى الرؤية ، بالإضافة إلى واقع الحرب الممتدة والخطيرة ، إلى تحول فى السياسة الأمريكية كمًا وكيفا .

ومن ذلك الحين فصاعدا أصبح على الولايات المتحدة أن تكرس قدرا أكبر من الاهتمام بالشرق الأوسط ، الذى غدا فى قمة أولويات نيكسون وكيسنجر . كما أخذت الولايات المتحدة تحاول بوعى كامل ، تحسين علاقاتها مع الدول العربية الرئيسية وخاصة مصر . وأصبح هذا الجهد عنصراً أوليًا فى الاستراتيجية الدبلوماسية الأمريكية الجديدة ، وهو العنصر الذى كان مفقودا بوضوح قبل أكتوبر ١٩٧٣ . وشعر نيكسون وكيسنجر بأنهما يستطيعان أن يخطبا ود العرب دون التضحية بالعلاقات الأمريكية الإسرائيلية . والواقع أنهما كانا يريان أن قوة الرابطة الأمريكية الإسرائيلية ، وما يوفره ذلك من نفوذ واضح لواشنطن على السياسة الإسرائيلية ، سيؤثر على العرب ويقنعهم بأن الولايات المتحدة تمتلك غالبية الأوراق الدبلوماسية فور انتهاء القتال ، وأنه فى حين يستطيع السوفيت تقديم السلاح فإن الولايات المتحدة قادرة على المساعدة فى استعادة الأراضى ، بشرط أن يكون العرب مستعدين لتقديم التنازلات الملائمة من جانبهم فى إطار مفاوضات السلام .

لقد كان التحول فى السياسة الذى أحدثته حرب أكتوبر ، لا يقل أهمية عن التحول الناجم عن أزمة الأردن عام ١٩٧٠ . فقد انتجت أزمة الأردن سياسة غير نشيطة تتجه للابقاء على الأمر الواقع ، بينما أدت أزمة أكتوبر ١٩٧٣ إلى نهج أكثر نشاطاً يستهدف إحداث تغيير كبير . ولأول مرة ، كرست الولايات المتحدة مواردها الدبلوماسية العليا للبحث المتواصل عن تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى .

ونظراً لأهمية تغير السياسة أثناء أكتوبر ١٩٧٣ ، فإن المرء يجد نفسه مشدوداً للبحث عن تفسيرات لذلك ، سواء فى السياسات الداخلية أو فى الجهاز البيروقراطى ، أو فى التكوين السيكولوجى للأشخاص المعنيين . وفى الحقيقة ، كانت ووترجيت وأزمة الطاقة موضوعين دائمين طوال الأزمة ، وكان لكل من نيكسون وكيسنجر شخصية قوية غير عادية .

وكثيراً ماترتبط السياسات الداخلية بطرق معقدة بالسياسة الخارجية ، والمؤكد أن نيكسون وكيسنجر أخذا ذلك فى الاعتبار عندما كان يدرسان الاختيارات السياسية . بيد أن القرارات الرئيسية فى الأزمة - اقتراحات وقف إطلاق النار ، والجسر الجوى لنقل الأسلحة إلى إسرائيل ، والاستنفار - لم تكن رد فعل للسياسات الداخلية . كما أن الجماعات الموالية لإسرائيل لم تكن مسؤولة عن قرار

إعادة تسليح إسرائيل ، ويرجع ذلك إلى حد بعيد إلى أن كيسنجر استطاع بمهارة إقناع السفير الإسرائيلى بـ « عدم إطلاق العنان » لمؤيدى إسرائيل . كما أن الجماعات الموالية للعرب وشركات النفط لم تلعب أى دور فى قرار نيكسون بالضغط على إسرائيل لقبول وقف إطلاق النار يوم ١٢ أكتوبر ، أو لانقاذ قوات الجيش الثالث المصرى . كما أن ووترجيت لاتفسر الاستنفار العسكرى فى ٢٤ ـ ٢٥ أكتوبر .

إن فترات الأزمة بصفة خاصة تنحو إلى عزل صانعى السياسة عن الضغوط الداخلية . فغالباً ما يتم اتخاذ القرارات بسرعة ، قبل أن يمكن تعبئة الرأى العام . كما أن الاحتفاظ بسرية المعلومات يحرم جماعات المصالح من وسائل العمل المؤثر . فالمخاطر جسيمة ، والرأى العام ينزع إلى احترام سلطة الرئيس حتى عندما تصاب هذه السلطة بالضعف مثلما كان الحال بالنسبة لنيكسون .

وكان ثمة موضوع يتردد فى تعليقات كيسنجر : إن بقية العالم ينبغى ألا تستخلص أن أزمة ووترجيت أضعفت قدرة الرئيس على تسيير السياسة الخارجية . وقد يكون حجم الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل ، وضخامة فاتورة المعونة الخاصة بالأسلحة لإسرائيل ، ومدى الاستنفار العسكرى الأمريكى ، مرتبطا إلى حد ما بالرغبة فى إظهار القوة والحسم . بيد أنه فى كل من هذه الأمور ، لم تكن جذور القرار الأساسى كامنة فى الخوف من أن تؤدى ووترجيت بالدول الأخرى إلى التقليل من شأن الولايات المتحدة . بل جاءت هذه القرارات ردًا على أحداث خارجية بدت فى حاجة لتحرك عاجل . وسواء حدثت ووترجيت أو لم تحدث ، كان سلوك نفس هذا المسار أمراً شبه مؤكد .

وأكدت تفسيرات أخرى للسياسة الأمريكية إبَّان الحرب أهمية العوامل البيروقراطية أو الشخصية . فقد ورد فى بعض التقارير أن شليزنجر ، ونائب وزير الدفاع وليام كليمنتس ، عارضا الجسر الجوى إلى إسرائيل ، وورد فى روايات أخرى أن كيسنجر هو المسؤول .(٨٢) وقد تكون الأسباب المقدمة لذلك مرتبطة بموقف المؤسسات ـ فالعسكريون يسوؤهم رؤية الأسلحة وهى تسحب من الوحدات الأمريكية العاملة وترسل إلى إسرائيل ؛ وقد ترتبط هذه الأسباب بمصالح اقتصادية ـ فقد كانت لكليمنتس ارتباطات بصناعة النفط ؛ أو قد تعزى إلى طبيعة الأشخاص ـ إن كيسنجر ونيكسون انخدعا بنجاح الانفراج مما أدى إلى فشلهما فى تقدير الطرق التى يناور بها السوفيت لتحويل الوضع لصالحهم .

ولكن هذه الرؤى لا تفسر حقيقة أن أشخاصاً ينتمون لخلفيات مختلفة تماماً قد اتفقوا على كل قرار من القرارات الكبيرة . ومهما كانت علاقاتهما اللاحقة ، فإن كيسنحر وشليزنجر لم يختلفا على السياسة الأساسية إبَّان حرب أكتوبر . ومهما كانت مشاعر كليمنتس الخاصة تجاه إسرائيل ، فقد ساعد فى تنظيم عملية الجسر الجوى إلى إسرائيل بكفاءة مرموقة بمجرد صدور الأوامر بذلك . وكادت السياسات البيروقراطية لاتظهر على السطح نظراً لسيطرة كيسنجر المحكمة على جهاز صنع القرار . كما أن التغيرات فى السياسة لم تأت نتيجة استبدال أفراد يؤمنون بمجموعة من الآراء ، بآخرين ينتمون إلى اقتناعات مختلفة . بل بقى نفس المسؤولين فى مواقعهم بنفس السلطة

النسبية تقريبا قبل الحرب وبعدها . وكان الفارق أنهم أصبحوا حينذاك يرون الوضع بصورة مختلفة .

وكان حجر الزاوية فى تحقيق توافق الرأى فيما بين كبار الموظفين هو قدرة كيسنجر على الاستناد إلى سلطة الرئيس نيكسون . وأحياناً كان نيكسون يصدر الأوامر مباشرة ، ولكن حتى فى حالة عدم وجوده ، كان من الواضح أن كيسنجر يتحدث باسمه . وكان الرئيس يشترك فى القرارات الرئيسية ، وإن تم ذلك من بعيد أحياناً . وعندما كان كيسنجر يقول إن « الرئيس يريد » أو « الرئيس قد أمر » ، لم يكن هناك بين كبار الموظفين من يميل إلى مناقشة الأمر . وعلاوة على ذلك ، كان كيسنجر وحده ، وكذلك هيج - الذى كثيراً ما كان ينقل آراء كيسنجر إلى الرئيس ثم يعود لابلاغ رئيسه السابق بما يتفق عليه - يتمتعان بحرية الاتصال المباشر والمستمر بالرئيس .(٨٣)

ومرة أخرى أبرزت السياسة الأمريكية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ الدور المركزى لسلطة الرئيس فى تسيير السياسة الخارجية ، خاصة فى الأزمات . وفى هذه الحالة ، ينبغى اعتبار كيسنجر بمثابة امتداد للرئيس ، لأنه قد منح قدرا غير عادى من المسؤولية . وكانت الرابطة التى تربطه بنيكسون وليس منصبه بوصفه وزيرا للخارجية هى التى تكفل قبول صياغاته . ولو أن فروق السياسات كانت أقل وضوحا وأقل تعقيدا ، لكان من المحتمل وجود قدر من الخلاف العلنى داخل الجهاز البيروقراطى . ولكن سياسة نيكسون - كيسنجر كان فى الوسع اعتبارها موالية لإسرائيل ، أو موالية للعرب ، أو مؤيدة للانفراج ، أو معادية للسوفيت ، تبعا لما يبحث المرء عنه . وكان من المحتمل أن من لم يوافقوا على عنصر ما فى السياسة يؤيدون جوانب أخرى منها . وهذا التعقيد جعل كيسنجر فى موقع القيادة .

وعندما وصلت الأزمة إلى نهايتها ، كان للشرق الأوسط دون شك الأولوية الأولى فى السياسة الخارجية الأمريكية .. وكانت علاقات الولايات المتحدة مع حلفائها قد تعرضت للإضرار بسبب هذه الأزمة ؛ كما تعرض الانفراج للانتقاد ؛ وكان من المحتمل أن تصبح أزمة الطاقة أكثر حدة . ولم يكن التقدم نحو تسوية عربية إسرائيلية سيؤدى بالضرورة إلى حل لتلك المشكلات ، ولكن كان الفشل فى نزع الفتيل فى الشرق الأوسط سيؤدى إلى تعقيدها . ولعله بنفس القدر من الأهمية أن أدرك نيكسون وكيسنجر لأول مرة أن هناك فرصة لتحقيق تقدم نحو التسوية . فقد كان العرب الآن يتطلعون إلى واشنطن وليس إلى موسكو . وكان الإسرائيليون يعتمدون بشدة على الأسلحة والدعم المالى الأمريكى ، الأمر الذى يمكن ترجمته إلى نفوذ فى الاطار الدبلوماسى السليم . وسوف يؤيد الرأى العام مبادرة أمريكية كبرى بشرط ألا تبدو معادية لإسرائيل ، أو تبدو استجابة لحظر النفط العربى .

وبحلول الوقت الذى وضع فيه وقف إطلاق النار موضع التنفيذ ، كانت الولايات المتحدة تستعد بالفعل لجهد دبلوماسى جديد ، لن يكون مماثلا لخطة روجرز بطابعها الرسمى والقانونى والاعداد لها من خلال مفاوضات أمريكية سوفيتية . بل سيتم بدلا من ذلك إبعاد السوفيت عن جوهر المفاوضات ، لأن سجلهم أثناء الحرب لم يكن يوحى بالثقة فى أنهم على استعداد للقيام بدور متوازن فى تسوية الأزمة . كما بدا السادات غير راغب فى مشاركتهم . وعلاوة على ذلك ، فلن يقدم إلى

الأطراف مشروع أمريكى . بل ستحاول الولايات المتحدة أن تقوم بدور الوسيط ، تستنبط المقترحات من الأطراف ثم تحاول تعديلها ، وتضغط فى النهاية من أجل الوصول إلى حل وسط . وتتحرك هذه العملية ببطء ، بدءاً بالقضايا الملموسة ذات الأهمية الملحة بصفة خاصة ، والانتقال بعد ذلك إلى المشكلات الرئيسية مثل طبيعة التسوية النهائية . وأهم من كل ذلك ، أن تبقى كل خطوة مستقلة عن الخطوة التالية ؛ وإلاّ فإنه سيستحيل المضى فى العملية ، كما سبق للولايات المتحدة أن اكتشفت أثناء جهود التسوية المرحلية فى عام ١٩٧١ .

وعندما وضعت الحرب أوزارها ، كان كيسنجر قد قرر بالفعل استراتيجيته الجديدة - دبلوماسية الخطوة خطوة . ولم يكن أمامه سوى إقناع إسرائيل والعرب والسوفيت والكونجرس والشعب الأمريكى بمنحه فرصة لاثبات نجاحه حيث فشل الآخرون . وعلى مدى الشهور الستة التالية أعطيت الفرصة لكيسنجر لاظهار عوامل القوة والقصور التى يتسم بها مفهومه بشأن كيفية حل النزاع العربى الإسرائيلى .

الفصل الثامن

الخطوة خطوة :
كيسنجر واتفاقيات فض الاشتباك ، ١٩٧٤

شهدت الشهور الثمانية التى أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مشاركة أمريكية لم يسبق لها مثيل فى البحث عن تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى . وكان هنرى كيسنجر قبل أن يصبح وزيراً للخارجية لم يوجه جهداً يذكر للقضايا التى تبدو صعبة المراس وتفرق بين إسرائيل وجيرانها العرب . كما أنه لم يتفهم كثيراً فى فهمه لـ « أزمة الطاقة » والدور الذى يلعبه نفط الشرق الأوسط فى الاقتصاد الدولى . ولم يكن سوى خطر المواجهة بين الدولتين العظميين ، الناجم عن التوترات فى الشرق الأوسط ، هو القادر على إثارة اهتمامه الدائم بشؤون المنطقة . والآن ، بنشوب حرب أكتوبر كمثال حى للنزاع العربى الإسرائيلى المتفجر ، شرع كيسنجر ، بتأييد كامل من نيكسون ، فى القيام بدور صانع السلام ، والمايسترو ، والوسيط ، والعامل المساعد الحفّاز ، فى مبادرة دبلوماسية جديدة تحمله مرارا إلى بلدان لم يسبق له زيارتها ، والتعامل مع رجال دولة لم يكن يأخذهم بجدية من قبل .

ورغم أن الرئيس نيكسون كان حريصاً على أن تقوم الولايات المتحدة بدور ايجابى فى حل النزاع العربى الإسرائيلى ، فقد كان يزداد انشغالاً بقاعدة التأييد الداخلى له التى أخذت تتهاوى مع استمرار تكشف فضيحة ووترجيت ،(١) مما أتاح لكيسنجر حرية غير عادية فى رسم تفاصيل الدبلوماسية الأمريكية . وكان يلجأ لنيكسون لاضفاء السلطة الرئاسية عند الضرورة ، ويحيط الرئيس علماً بكل مرحلة ، ويتجاهل توجيهاته أحياناً .

كان نيكسون يريد نتائج فى المحل الأول . ولقد أقلقته على الصعيد الدولى عواقب أن تستخلص الدول الأخرى أن السياسة الداخلية الأمريكية أضعفت قدرة الرئيس على العمل فى مجال الشؤون الخارجية . وعلى الصعيد الداخلى كان يأمل فى أن تساعده نجاحات السياسة الخارجية على اجتياز أزمة الثقة فى حكمته وفى قيادته بسبب طريقة معالجته لمسألة ووترجيت .

رسم استراتيجية أمريكية

وإبّان عمليات القتال فى أكتوبر ١٩٧٣ وعد كل من كيسنجر ونيكسون بمبادرة دبلوماسية أمريكية إيجابية تستهدف « تطبيق القرار رقم ٢٤٢ » بعد انتهاء الحرب ، ولكنهما رفضا دائما الوعد

بأية نتائج محددة بالرغم من نداءات السادات ، وكانا يكرران القول بأن الولايات المتحدة ملتزمة بعملية وليس بما ستسفر عنه من نتائج ، وأن الادارة تستطيع أن تضمن أنها ستبذل جهداً ضخماً ، ولكنها لاتستطيع أن تضمن أن إسرائيل ستنسحب من كافة الأراضى العربية أو إعادة الحقوق الفلسطينية ؛ فإن الإقدام على ذلك سيكون بمثابة الدعوة لانتقادات داخلية حادة ، والارتفاع بآمال العرب إلى مستوى غير واقعى . وكثيراً ما كان كيسنجر يتحدث عن مخاوفه من « رومانسية » العرب ، وعدم صبرهم ، ورغبتهم فى الحصول على نتائج سريعة .(٢)

وأصبحت هذه المدركات الأولية التى شكلتها حرب أكتوبر أسساً لسياسة ما بعد الحرب . ومع تحقيق وقف إطلاق النار الهش فى ٢٥ أكتوبر ، شرع نيكسون وكيسنجر فى تعيين الخطوط العامة لهذه السياسة . ولم يلبث أن برز عنصران رئيسيان . الأول ، ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة بدور إيجابى فى محاولة حل النزاع العربى الإسرائيلى . فقد أصبح نيكسون وكيسنجر يشعران ، بخلاف جونسون بعد ١٩٦٧ ، وبخلاف موقفهما هما بعد ١٩٧٠ ، بأن الموقف فى الشرق الأوسط ينطوى على تهديد كبير للمصالح الأمريكية على نحو لا يمكن تجاهله . ولعل الأكثر أهمية أن هناك فرصة متاحة للقيام بمبادرة أمريكية ناجحة .(٣)

وكما أدرك كيسنجر أثناء الحرب ، كان الجميع يتطلعون إلى الولايات المتحدة . وكانت أوراق اللعبة فى يده ، أو هكذا اعتقدت الأطراف الرئيسية ، وهو المهم . وكان الإسرائيليون ، الذين زادت عزلتهم الدولية أكثر من أى وقت مضى ، فى موقف حرج لاعتمادهم الشديد على واشنطن فى السلاح والمعونة الاقتصادية والتأييد الدبلوماسى . وإدراكاً من العرب لامكانات النفوذ للولايات المتحدة لدى إسرائيل ، كانوا يتوقون إلى تحويل هذه الامكانات لصالحهم . وكما ذكر كيسنجر وآخرون فإن السوفيت كانوا قادرين على توريد السلاح ، لكن الولايات المتحدة وحدها كانت هى القادرة على تحقيق تنازلات إسرائيلية تتعلق بالأرض من خلال المفاوضات .(٤)

وثانيا ، أن تسعى الاستراتيجية الأمريكية الجديدة إلى تجنب ربط الخطوات الدبلوماسية الأولية بطبيعة اتفاقية السلام النهائية . وكان كيسنجر لايرتاح لخطة روجرز لعام ١٩٦٩ ، بل لم يكن شديد الحرص على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . فمثل هذه البيانات العامة للمبادىء قد تؤدى إلى إرضاء هذا الجانب أو ذاك نفسيًا ، لكنها فى رأيه لم تساعد كثيرا فى دفع العملية الدبلوماسية . وعوضاً عن ذلك ، فإنها سمحت لكل جانب بالتركيز على ما يرفضه فى تلك الخطة المجردة ، بدلا من التركيز على القضايا الملموسة فى الحاضر . وإذا كان الدور الأمريكى النشيط فى المجال الدبلوماسى بمثابة مؤشر للعرب على سياسة أمريكية أكثر توازناً ، فإن رفض واشطن ربط الخطوات الأولى بالنتائج النهائية يستهدف طمأنة إسرائيل بأنه لن يجرى فرض تسوية على عير إرادتها .

ولصمان استمرار الدور الأمريكى النشيط والفعال فى الدبلوماسيه المتطورة للبراع العربى الإسرائيلى ، شعر كيسنجر بضروره تخفيف الصغوط الدولية الناجمة عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فقد نجح الهجوم العربى فى تعبئة تأييد أوروبا واليابان والعالم الثالث من أجل تسوية سريعة وفقاً للشروط العربية أساساً . وكان فى الوسع الاعتماد على تأييد الأمم المتحدة لمصر وسوريا

والفلسطينيين . كما أن السوفيت ملتزمون بالموقف العربى ولو أدى ذلك إلى بعض الأضرار بالنسبة للانفراج وللعلاقات الأمريكية السوفيتية . وجاء حظر النفط العربى ليضيف مصدراً جديداً للتوتر ، علاوة على الخطر المستمر لانهيار وقف إطلاق النار .

ورغم إعجابه بالطريقة التى نجح بها السادات فى ترتيب قواته ، لم يكن كيسنجر مستعداً للعمل تحت وطأة هذه الضغوط مجتمعة . لذلك يتعين عليه أن يحاول إقناع حلفاء الولايات المتحدة بأن يتركوا له حرية الحركة ؛ وأن يعمد إلى عزل السوفيت عن جوهر المفاوضات ؛ وأن يبذل جهده لرفع الحظر المفروض على النفط ؛ وأن يحشد التأييد لصالح المواقف العربية « المعتدلة » على حساب المواقف « الراديكالية » ؛ وأن يحاول تجنب المشاحنة العلنية مع إسرائيل التى قد تؤدى إلى انعكاسات داخلية خطيرة ؛ وأن يعمل على كسب الكونجرس والصحافة لتأييد دوره فى المجال الدبلوماسى . واستهدف الجانب الأكبر من مناورات كيسنجر التكتيكية فى الشهور اللاحقة ، ضمان أن تستطيع الولايات المتحدة العمل بعيداً عن الضغوط المتعددة ، الداخلية والدولية ، التى أفرزتها حرب أكتوبر . وقد حقق كيسنجر على وجه العموم نجاحاً رائعاً .

لقد رأى كيسنجر أن الادارات السابقة أخطأت عندما اعتبرت أن الخيارات المتاحة لها هى أن تكون موالية لإسرائيل أو موالية للعرب . فهو يعتقد أن العلاقات الأمريكية الخاصة مع إسرائيل هى بالضبط التى أجبرت العرب الى التعامل مع الولايات المتحدة فى الساحة الدبلوماسية . فإن القوة - لا العواطف - هى التى يعتد بها . وبالطبع كانت الصعوبة تتمثل فى الحفاظ على تطلع العرب إلى الولايات المتحدة ، وأن تعطى العملية الدبلوماسية العرب آمالاً أفضل مما قد توفره جولة أخرى من القتال . وإذا بدت الحرب هى الحل ، فإن الاتحاد السوفيتى قادر دائماً على أن يقدم أكثر مما تقدمه الولايات المتحدة . وعلى ذلك كان التقدم نحو التسوية شرطا لاغنى عنه للحفاظ على ثقة العرب . وذلك يعنى على أقل تقدير إعادة الأراضى ، وشيء من التحرك الفعلى نحو علاج المظالم التى تعرض لها الفلسطينيون . وبالنسبة للولايات المتحدة ، فإن ذلك يعنى أن تقدم إسرائيل تنازلات حتى تستمر الدبلوماسية فى اداء دورها ، وأن تحاول الولايات المتحدة انتزاع تنازلات عربية مقابلة ، كلما أمكن . غير أن تحقيق ذلك كان صعباً فى ظل نوعية القضايا المتضمنة . ولذلك فإن بعدا إضافيا للدبلوماسية الأمريكية يكمن فى تقديم المعونات لإسرائيل - مع التهديد الضمنى بمنعها إذا دعت الظروف - وفى تقديم وعود بالمساعدة لمصر وسوريا والأردن لتوثيق العلاقات الثنائية من خلال طرق أخرى غير التنازلات الإسرائيلية .

وقد اعتبرت العلاقات الأمريكية المصرية حجر الزاوية للدبلوماسية الأمريكية الجديدة فى العالم العربى ، مع قيام الأردن والمملكة العربية السعودية بدورين مساندين رئيسيين لصالح « الاعتدال » العربى .(٥) ولم يدرك كيسنجر أهمية سوريا إلا بالتدريج ، وكان أكثر ترددا فى الاعتراف بالفلسطينيين كشركاء فى عملية التسوية . وفى ذلك الحين كانت العلاقة الأمريكية المصرية الجديدة ، التى اتضحت اثناء الحرب ، تحظى بالقدر الأكبر من اهتمام نيكسون وكيسنجر .

وكان دور الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط هو الشغل الشاغل لنيكسون وكيسنجر منذ أمد طويل . وبعد أن كانا فى وقت ما يبالغان فى تقدير النفوذ السوفيتى فى العالم العربى ، أصبحا الآن

يؤتران تحجيم الدور السوفيتى فى عملية التسوية لأدنى حد . فقد كان السلوك السوفيتى فى حرب أكتوبر غير مشجع ، وإن كان لم يعتبر مناقضاً تماماً لروح الانفراج .[٦] كما أن الجهود الأمريكية السوفيتية السابقة للتوصل إلى اتفاق حول شروط التسوية لم تنجح . ولم يقتصر الأمر على أن للدولتين العظميين مصالح مختلفة فى المنطقة ، بل كان لكل منهما مفهوم مختلف عما يجب أن تنطوى عليه التسوية السلمية . ولعل الأهم من ذلك كله أن الشركاء الرئيسيين فى النزاع الاقليمى لم يكونوا تواقين إلى رؤية الاتحاد السوفيتى مشاركاً بعمق فى الجهود الدبلوماسية . والمؤكد أن الإسرائيليين كانوا غير متحمسين ، نظرا للعداء السوفيتى ولعدم وجود علاقات دبلوماسية . وكان الأردن لا يزال مستعدا للعمل مع الولايات المتحدة بدلاً من العمل مع الاتحاد السوفيتى . وكان السادات مستعدا أيضاً ليلعب بالورقة الأمريكية ، وعانت العلاقات السوفيتية المصرية نتيجة لذلك . وحتى الرئيس السورى الأسد أبدى استعداده للسماح لكيسنجر بأن يجرب حظه ، رغم أن شكوكه كانت أكبر كثيرا من السادات . وأخيرا ، كان لدى نيكسون وكيسنجر من روح مقاتلى الحرب الباردة ما يكفى لاثارة الشعور بالاغتباط الحقيقى بكشف حدود النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط .[٧]

ومن أجل الاحتفاظ بدور أمريكى فعال فى حل النزاع العربى الإسرائيلى ، كان ينبغى تعبئة الرأى العام الداخلى ، حيث إن غالبية الأمريكيين يتعاطفون مع إسرائيل ، وكان هذا الشعور قويا بصورة خاصة داخل الكونجرس وفى الصحافة .[٨] ولم يكن حظر النفط العربى ليساعد على تغيير هذا الشعور ، بل كان الاحتمال كبيرا أن يؤدى الحظر إلى عودة الشعور المعادى للعرب ، الأمر الذى يصعب معه انتهاج سياسة بناء الروابط الجديدة مع العالم العربى التى كانت حجر الزاوية فى استراتيجية نيكسون ـ كيسنجر . ولم يكن فى الوسع أن تبدو السياسة الأمريكية وكأن ضغوط النفط العربى هى التى تمليها . فذلك وضع غير مقبول بالنسبة لصورة الإدارة سواء داخليا أو دوليا . ومن ثم كان ينبغى شرح المبادرات الدبلوماسية الجديدة للرأى العام والكونجرس الأمريكى فى إطار الهدف الشامل ، وهو البحث عن السلام فى الشرق الأوسط ، وتقوية روابط الولايات المتحدة مع العالم العربى دون التضحية باسرائيل ، وتحجيم قدرة السوفيت على تهديد مصالح الغرب ، بما فى ذلك النفط . وكان فى الإمكان توقع تأييد واسع النطاق لهذه الأهداف ، خاصة إذا استمر تقديم المعونة لإسرائيل بمستويات عالية وإذا تم رفع الحظر على النفط .

وإذا كان الدور الدبلوماسى النشيط للولايات المتحدة بحثا عن تسوية عربية إسرائيلية هو المبدأ الأول للسياسة الأمريكية الجديدة ، فإن المبدأ الثانى هو التماس التسوية من خلال عملية تسير خطوة بعد خطوة .[٩] وسرعان ما أصبح هذا المنهج علامة مميزة لدبلوماسية كيسنجر . وكانت خبرات كيسنجر التفاوضية مع الصينيين والفيتناميين والسوفيت قد اقنعته بأن لعملية المفاوضات ديناميتها الخاصة بها .[١٠] فمن الأهمية بمكان خلق التوازن السليم للحوافز أولا ؛ ثم التوصل إلى نتائج محدودة فى مرحلة مبكرة دون التزام بهدف نهائى ؛ ثم فى النهاية عندما تبرز مصالح مشتركة ، يصبح فى الامكان الوصول إلى مساحات عريضة من الاتفاق . وكان كيسنجر يخشى الولع الأمريكى بـ « الحل السريع » ، وبالحل الفنى للمشاكل السياسية ، وبالمفاوضات التى تجرى تحت أضواء الإعلام الكاشفة ، وبالحلول الوسط البيروقراطية ، وبالنوايا الطيبة كبديل للتنازلات

الملموسة . ومع أنه اتهم فيما بعد بارتكاب بعض هذه الأخطاء فى ممارسته للديبلوماسية ، فقد كان على الأقل مدركاً لهذه الأخطار الكامنة ، ولضعف دوره الخاص كوسيط ، وللهوة الواسعة التى تفصل بين الأطراف . وبخلاف المفاوضات الأخرى التى شارك فيها ، تميزت الساحة العربية الإسرائيلية بكونها الساحة التى واجهت فيها الولايات المتحدة مهمة إقناع الأطراف المتعادية بأن يقدم كل منها التزامات للآخر . فلم يكن كافيا أن ترسم الولايات المتحدة سياساتها الخاصة ، إذ أن مفتاح النجاح يكمن فى حث الأطراف على تعديل مواقفها غير القابلة للتوفيق بينها .

وكان التوقيت عنصرا هاما فى ديبلوماسية الخطوة خطوة التى يتبعها كيسنجر ، فهو كان يتصور إجراء مفاوضات قد تمتد لعدة سنوات . وبينما كان العرب يضغطون من أجل انسحاب إسرائيلى فورى ، كان الإسرائيليون لا يريدون الاستعجال . وكان كيسنجر من ناحيته يتوق إلى التعجيل بالمفاوضات بحيث يمكن الحصول على بعض النتائج فى تاريخ مبكر ، على أن تكون هناك فسحة من الوقت تسمح لجميع الأطراف بالتواؤم مع النهج التدريجى والمرحلى للتسوية . وكان الأمر الأكثر الحاحاً هو ان الإسرائيليين سيجرون انتخابات وطنية تحدد لها موعدا فى نهاية شهر ديسمبر ، وحتى ذلك الحين ، لم يكن فى الوسع إجراء مفاوضات جادة . وبطريقة ما ، كان ينبغى إقناع العرب بالانتظار إلى أوائل ١٩٧٤ لإتمام عمليات الانسحاب الإسرائيلية الأولى .

ومن المهم فى هذه الأثناء وضع إطار للمفاوضات ، أى ايجاد محفل يوفر مظلة رمزية يمكن القيام بشتى التحركات الديبلوماسية فى ظلها . وذلك المحفل هو مؤتمر متعدد الأطراف بمشاركة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، يعقد فى جنيف تحت رعاية الأمم المتحدة ، وتكون قيمته الرئيسية هى إضفاء المشروعية على عملية التسوية ، وإعطاء السوفيت الإحساس الكافى بالمشاركة لمنعهم من عرقلة جهود السلام ، وتوفير إطار يمكن فيه التصديق على الاتفاقات وعقد المباحثات وإتمام اللقاءات فيما بين الوفود . وكان اعتقاد كيسنجر الجازم أن التقدم نحو عقد الاتفاقات لا يمكن تحقيقه فى مثل هذا المحفل ذى الخطى الثقيلة .

وبدلاً من الاعتماد بشدة على جنيف ، اعتزم كيسنجر التعامل مع القضايا المحددة من خلال قنوات ثنائية . وكانت المشكلات أكثر إلحاحا على الجبهة المصرية الإسرائيلية . فالجيوش هناك متداخلة بطريقة خطيرة ، مما يشكل إغراء دائما لهذا الجانب أو ذاك بالعودة إلى القتال . وكانت قوات الجيش الثالث المصرى مقطوعة تقريبا عن خطوط إمداداتها ، وهو وضع غير محتمل ، ولا يمكن للسادات أن يقبله . وكان الضغط الدولى يتصاعد مطالبا إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، الأمر الذى يحرر الجيش الثالث . وكان ينبغى تبادل أسرى الحرب ، وهى قضية بالغة الحساسية للإسرائيليين . كما أن الحصار المصرى لباب المندب ، عند المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، كان يمنع حركة الملاحة الإسرائيلية من العقبة وإليها . وهكذا كان يمكن التفاوض حول هذه القضايا معاً كخطوة أولى لتثبيت وقف إطلاق النار من خلال « فض الاشتباك » بين القوات المسلحه .

وتم بسرعة تحديد المفاهيم التى تشكل أسس السياسة الأمريكية الجديدة فى الشرق الأوسط ، والتى تكونت فى البدء فى خضم حرب أكتوبر . وكان نيكسون وكيسنجر ، عمليا بدون أى معارضة

من جانب الجهاز البيروقراطى ، يلزمان الولايات المتحدة بالقيام بدور نشيط لم يسبق له مثيل فى الوساطة فى النزاع العربى الإسرائيلى ، وبانتهاج عملية الخطوة خطوة الدبلوماسية ، وبفض الاشتباك بين القوات المسلحة المصرية والإسرائيلية فى وقت مبكر .

إعداد المسرح

كان من نتائج تحسن العلاقة بين القاهرة وواشنطن ، إقدام الرئيس السادات على توجيه نداءات متكررة وعاجلة إلى الولايات المتحدة لمساعدة قوات الجيش الثالث المحاصر . وعلى النقيض من ذلك ، كان الإسرائيليون عازمين على استخدام أسلوب الضغط على هذه القوات لتحقيق الإفراج عن أسرى الحرب وإنهاء الحصار البحرى المعروض على باب المندب . وهدد الجمود بتدمير وقف إطلاق النار الهش . ومن ثم قام كيسنجر من فوره بتحديد هدفين عاجلين : الأول ، تثبيت وقف إطلاق النار . والثانى التوصل إلى فصل القوات المسلحة . ومع حلول يوم ٢٧ أكتوبر تمكنت وزارة الخارجية من إعلان أن ممثلين لمصر وإسرائيل قد وافقوا على الاجتماع لتطبيق اتفاق وقف إطلاق النار . وحتى قبل بدء المحادثات فى ٣٠ أكتوبر ، تم وضع الترتيبات المؤقتة لتوفير الإمدادات غير العسكرية لقوات الجيش الثالث .

وتبين أن المواقف المصرية والإسرائيلية من شروط وقف إطلاق النار ، ومن فض الاشتباك العسكرى متباينة إلى حد بعيد . والتقى إسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرى الجديد مع كيسنجر فى ٢٩ أكتوبر .[١١] وبعد يومين التقى مرة أخرى مع كيسنجر وكذلك مع نيكسون . وبالإضافة إلى بحث زيارة كيسنجر القادمة لمصر ، كان فهمى مخولا بتقديم اقتراح من إحدى عشرة نقطة . وكانت مصر تستعجل انسحاب إسرائيل دون قيد أو شرط إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، وفقا لما جاء فى قرارى الأمم المتحدة ٣٣٩ و ٣٤٠ ، وأن مصر ستوافق فور تحقيق ذلك على الافراج عن جميع أسرى الحرب ، وبعد ذلك تنسحب إسرائيل إلى خط داخل سيناء يقع شرق الممرات مع بقاء القوات المصرية فى مواقعها ، وأن تنشر قوات الأمم المتحدة فى منطقة تفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، وأن يتم رفع الحصار عن باب المندب حال البدء فى انسحاب القوات الإسرائيلية فى اتجاه منطقة فض الاشتباك ، وأن يبدأ العمل فى تطهير قناة السويس بعد استكمال هذه المرحلة ، وأنه فى خلال فترة زمنية يتم الاتفاق عليها تنسحب إسرائيل فى خطوة أخرى إلى الحدود الدولية ، وحينئذ تنتهى حالة الحرب ، وينبغى اتخاذ خطوات مماثلة فيما يتعلق بسوريا ، وأن يعقد مؤتمر سلام أثناء تطبيق مرحلة فض الاشتباك ، وأخيرا ، تعود العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة فى وقت مبكر .

وقال كيسنجر لاسماعيل فهمى إن المشروع يتضمن نقاطا بناءة ، إلا أنه يبدو طموحا للغاية فى هذه المرحلة . وخلال المناقشات التى دارت على مدى اليومين التاليين ، أثار كيسنجر مسألة خطوط ٢٢ أكتوبر ، مؤكدا صعوبة إقناع إسرائيل بالانسحاب إليها ، وأن خطوة أوسع كجزء من فض الاشتباك بين القوات ستجعل خطوط ٢٢ أكتوبر مسألة غير ذات موضوع على أى حال .[١٢]

ومما يعكس النبرة الجديدة فى العلاقات المصرية الأمريكية ، أن الرئيس السادات ألقى خطابا فى ٣١ أكتوبر وصف فيه الدور الأمريكى بأنه « بناء » .

وتحدث نيكسون وكيسنجر بعد ذلك مع رئيسة الوزراء مائير التى وصلت إلى واشنطن فى ٣١ أكتوبر . والتقى بها كيسنجر صباح أول نوفمبر .(١٣) وكانت تشعر بالقلق على نحو خاص إزاء مصير الأسرى الإسرائيليين فى مصر . وقالت إن استمرار الامدادات لقوات الجيش الثالث مشروطة بعودة الجرحى من أسرى الحرب ، وتقديم قائمة كاملة بجميع الأسرى ، والسماح للصليب الأحمر بزيارتهم ، وأن إسرائيل لن تعترض على تقديم إمدادات غير عسكرية بصفة دائمة لقوات الجيش الثالث بمجرد عودة الأسرى ورفع الحصار البحرى . وعند هذا فقط ، توافق إسرائيل على إجراء محادثات مع مصر حول خطوط ٢٢ أكتوبر . وخولت مائير كيسنجر نقل هذه الشروط إلى السادات على أساس تفاهم بألا تتخذ الولايات المتحدة موقفاً بالنسبة لمواقع خطوط ٢٢ أكتوبر ، وألا تضغط على إسرائيل فى هذه المسألة ، وأن تترك ذلك للمفاوضات بين الطرفين .

وبعد الظهر بقليل التقى نيكسون ورئيسة الوزراء مائير . وطرح نيكسون رأيه بأن السادات يريد سلاما حقيقيا ، ثم استعرض الاستراتيجية الأمريكية على مدى الشهور القادمة ، فقال إنه سيعمل على تفتيت المشكلات بحيث يمكن التعامل معها خطوة بعد خطوة ، وأن الولايات المتحدة ستقف فى مواجهة السوفيت مثلما فعلت إبان حرب أكتوبر ، وأنها ستعمل على تحسين علاقاتها مع مصر وسوريا ، الأمر الذى قد يفيد إسرائيل أيضاً ، وأن هدف نيكسون هو ضمان « حدود آمنة » لإسرائيل . ولم تكشف مائير عن مشاعرها ، واكتفت بالتأكيد على أن إسرائيل لا تريد ضغطا عليها بشأن خطوط ٢٢ أكتوبر . وفى ذلك المساء ، تناول كيسنجر العشاء مع مائير ونفر آخر قليل . وكان الجو العام فاترا ، إن لم يكن عدائيا . وتبادلت مائير الحديث بالكاد مع كيسنجر ، وعندما تحدثت جاءت نبرات صوتها متحفظة . ولم يكن هناك أى تعبير عن الامتنان للمعونة الأمريكية ، بل الغضب وحده من حرمان « الأصدقاء » لها من تحقيق النصر . ولم يجر تبادل للأنخاب .

وفى صباح اليوم التالى عقد كيسنجر اجتماعاً لفريق العمل الخاص فى واشنطن . وبينما هو لا يزال حانقا بسبب مناقشات اليوم السابق مع الإسرائيليين ، ألمح كيسنجر بأن زعماء إسرائيل ضللوه عن عمد فى عدة مناسبات أثناء الحرب . ثم قال إن السياسة الخارجية الأمريكية الآن ستقررها الولايات المتحدة وليس إسرائيل . وإنه بوضع اقتراح معتدل لتحقيق سلام ، فإن الولايات المتحدة ستقلل من النفوذ السوفيتى وتضع حدا لحظر النفط . وإذا فشلت هذه الجهود ، فسيندفع العرب عائدين إلى أحضان السوفيت وستزداد أزمة النفط تفاقما ، وإن الولايات المتحدة وإسرائيل ستنعزلان دوليا . وينبغى أن يرى العرب أن التعامل مع الولايات المتحدة يحقق لهم نتائج أفضل مما يحققه التعامل مع الاتحاد السوفيتى . وأعرب عن اعتقاده بأن موقف مصر من قبول توفير الإمدادات غير العسكرية لقوات الجيش الثالث ، ومن تبادل أسرى الحرب فور عودة إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر موقف معقول . وإذا لزم الأمر فإن إسرائيل ستجبر على قبوله . وفى النهاية عادت لهجة المناقشات إلى الاعتدال ، غير أن غضب كيسنجر من تعنت إسرائيل كان صادقا ، وسوف يتكرر مرارا فى الشهور التالية .(١٤)

الكيلو ١٠١

وبهذه المباحثات الأولية وراءه ، توجه كيسنجر إلى الشرق الأوسط فى ٥ نوفمبر . وجاء أول توقف له فى المغرب ، فى أول زيارة له لدولة عربية . وكان ذلك فى جانب منه يرمز إلى علاقات الصداقة التقليدية الطويلة بين الولايات المتحدة والعرب ، ويرمى فى جانب آخر لفتح قنوات من خلال الملك الحسن مع سوريا والفلسطينيين .(١٥) غير أن القاهرة وليست الرباط كانت هى الهدف الحقيقى من رحلة كيسنجر . وهناك التقى بالرئيس السادات للمرة الأولى فى يوم ٧ نوفمبر . وخلال محادثاتهما الخاصة ذلك اليوم ، بدأ كيسنجر يكن إعجابا صادقا بالزعيم المصرى .(١٦) وجاءت نقطة التحول عندما تناولا بالمناقشة مسألة خطوط ٢٢ أكتوبر . كان كيسنجر فى موقف محرج ، لأنه يعلم أن الإسرائيليين لن يلينوا للضغط بسهولة ، ومع ذلك كان يشعر بأن السادات على حق فى قوله إنه لا يجوز السماح للقوات الإسرائيلية بأن تضع قوات الجيش الثالث تحت رحمتها . وفى الوقت الذى وصل فيه كيسنجر إلى القاهرة ، كانت الوزارة الإسرائيلية قد وافقت على المواقف التى قدمتها رئيسة الوزراء مائير إلى كيسنجر يوم ٣ نوفمبر . وهكذا أمكنه إبلاغ السادات بأن إسرائيل سوف تحترم وقف إطلاق النار ؛ والسماح بالإمدادات غير العسكرية لقوات الجيش الثالث مع تفتيش القوافل بواسطة رجال الأمم المتحدة وإسرائيل ؛ وبأن تتلقى مدينة السويس الأغذية والماء والدواء . ويتعين أن يتواكب مع الاتفاق الخاص بالإمدادات غير العسكرية ، تبادل أسرى الحرب ورفع الحصار البحرى ، ويمكن أن تجرى مناقشة خطوط ٢٢ أكتوبر فى إطار فض الاشتباك بين القوات . كما قالت إسرائيل إنه فى مقابل أسرى الحرب فى سوريا ، يستطيع المدنيون السوريون العودة إلى المناطق الخاضعة لسيطرة إسرائيل ، ويمكن نقل مخفرين متقدمين على جبل الشيخ إلى الأمم المتحدة .

كان السادات مستعدا لقبول غالبية هذه النقاط ، وإن كان ما زال يتوق إلى انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر . ورد كيسنجر على ذلك بقوله إنه إذا أصرت مصر ، فإنه مستعد لمحاولة إقناع الإسرائيليين ، ولكن من رأيه أنه قد يكون من الأيسر - وإن كان قد يستغرق وقتاً أطول - العمل على ترتيب فض اشتباك جوهرى بين القوات يتجاوز مسألة خطوط ٢٢ أكتوبر . وفى الوقت نفسه يمكن وضع ترتيبات لإمدادات الجيش الثالث . وفوجىء كيسنجر بموافقة السادات على هذا المنطق . وحث السادات كيسنجر على الاجتهاد فى الحصول على موافقة سريعة على النقاط الإسرائيلية . وفى ختام مباحثاتهما اتفقا على عودة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة على الفور « من حيث المبدأ » .(١٧)

وقرر كيسنجر دون إبطاء إرسال اثنين من معاونيه - جوزيف سيسكو وهارولد سوندرز - إلى إسرائيل لوضع تفاصيل الاتفاق . وعندما علمت رئيسة الوزراء بأن السادات وافق على إسقاط مسألة خطوط ٢٢ أكتوبر ، وصفت ذلك بأنه « إنجاز رائع » ، ولكنها سرعان ما وجدت عيباً فى الموقف المصرى . إذ لم يكن السادات يريد أن تسيطر إسرائيل على الطريق المستخدم فى إمداد قوات الجيش الثالث ، كما أنه غير مستعد للاعتراف علنا بأن مصر سترفع الحصار البحرى . وبعد عدة جولات من المناقشة حول هاتين النقطتين ، وافقت إسرائيل على قبول تأكيدات الولايات المتحدة

بأن الحصار سينتهى . وفى ٩ نوفمبر أعلن الاتفاق على مشروع وقف إطلاق النار ، وتبادل أسرى الحرب ، وبعد يومين اثنين تم التوقيع على اتفاق من ست نقاط ، صيغ على أساس الاقتراح الإسرائيلى الأصلى ، من جانب ممثلين عسكريين لمصر وإسرائيل ، فى مكان على طريق القاهرة - السويس اشتهر باسم الكيلو ١٠١ .(١٨) وهكذا بدأت عملية التسوية ، ولو أنها كانت مقلقلة .

وفى هذه الأثناء طار كيسنجر إلى الأردن لإجراء محادثات مع الملك حسين ، حيث شجع الملك على المشاركة فى مفاوضات السلام . وبدون تقديم التزامات مؤكدة ، أعرب كيسنجر عن تعاطفه مع الملك فى معارضته لقيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية . ولكن كيسنجر حتى تلك اللحظة كان يركز على الجبهة المصرية الإسرائيلية ، ثم يأتى دور الأردن والفلسطينيين لاحقا .

وفى المملكة العربية السعودية ، ناشد كيسنجر الملك فيصل تأييد جهوده الدبلوماسية ، مشيرا إلى أن حظر النفط يقف عقبة فى طريق الجهود الأمريكية .(١٩) ودافع عن نهج الخطوة خطوة ، وناشد فيصل المساعدة فى فتح قنوات اتصال مع السوريين .(٢٠) ورد فيصل على مسامع كيسنجر معزوفته المفضلة عن المؤامرة الصهيونية الشيوعية ، غير أنه وعد بتقديم العون ، بما فى ذلك تخفيف حظر النفط فور تحقيق تقدم فى عملية الانسحاب الإسرائيلى .(٢١)

وفى المحصلة ، شعر كيسنجر بالسعادة بنتائج رحلته الأولى . فقد أقام علاقات شخصية مع السادات ، واتجهت العلاقات الأمريكية المصرية على ما يبدو نحو الانطلاق فى بداية طيبة . كما تم تثبيت وقف إطلاق النار . وتم التوقيع على اتفاقية هامة بين إسرائيل ومصر بمساعدة أمريكية . ووعد الملك فيصل بتخفيف الحظر على النفط . وعندئذ أصبح من الضرورى وضع إطار عريض للمفاوضات فى جنيف كمقدمة لمحادثات فض الاشتباك . ولم يكن كيسنجر على عجلة من أمره ، حيث إنه ما زال ملتزماً بالخطى التدريجية تحت سيطرة وثيقة من جانب الولايات المتحدة .

مؤتمر جنيف

تم تبادل أول دفعة من الأسرى المصريين والاسرائيليين يوم ١٥ نوفمبر . وفى اليوم التالى ، بدأ الجنرال أهارون ياريف ، عن إسرائيل ، واللواء عبدالغنى الجمسى ، عن مصر ، محادثات الكيلو ١٠١ بهدف تطبيق اتفاقية النقاط الست ، خاصة النقطة الثانية بشأن « العودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر فى إطار اتفاقية لفض الاشتباك والفصل بين القوات » . وفى ١٨ نوفمبر قام كيسنجر بتذكير وزير الخارجية اسماعيل فهمى بأن فض الاشتباك ينبغى أن يأتى على رأس جدول أعمال مؤتمر جنيف القادم للسلام ، غير أن ذلك لن يكون شرطا مسبقا لعقد المؤتمر ، وأن مسألة مشاركة الفلسطينيين فى مؤتمر السلام لا يمكن تسويتها فى هذه المرحلة ، وأن الولايات المتحدة ستكون قادرة فى مؤتمر السلام وحده على استخدام نفوذها بالكامل . وباختصار ، كان كيسنجر يسعى إلى استخدام جنيف كخطوة هامة فى عملية المفاوضات واحتفاظ الولايات المتحدة بدور مركزى فى التقدم نحو تسوية موضوعات الخلاف .

وفى الوقت نفسه كانت المواقف الاسرائيلية المصرية تجرى مناقشتها عند الكيلو ١٠١ . فاقترحت إسرائيل فى البداية انسحاب الجانبين من الأراضى المكتسبة فى حرب أكتوبر ، وأن تتولى قوات الامم المتحدة الإشراف على تلك المناطق . وجاء الرد المصرى بالإصرار على أن تبقى القوات المصرية فى مكانها ، وأن على القوات الإسرائيلية الانسحاب إلى خط يمتد من العريش إلى رأس محمد فى الطرف الجنوبى من سيناء . ثم اقترح الجمسى أن يكون الانسحاب الإسرائيلى ، فى مرحلة أولية من مراحل فض الاشتباك ، إلى مقربة من ممرى متلا والحدى ، مع تحديد مناطق لكل من القوات المصرية والإسرائيلية الرئيسية - قوات ذات تسليح خفيف - ومنطقة عازلة تابعة للأمم المتحدة بينهما . وفى ٢٢ نوفمبر رد الجنرال ياريف بعرض انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية للقناة بشرط تخفيف القوات المصرية الموجودة على الضفة الشرقية .[٢٢]

واستمرت المفاوضات عدة أيام عرضت خلالها إسرائيل مزيدا من الانسحابات الأكثر عمقا فى مقابل إجراء خفض ملموس فى القوات المدرعة المصرية . وفى ٢٦ نوفمبر اقترح ياريف انسحاب إسرائيل حتى إلى شرق الممرات إذا خفضت مصر حجم قواتها المدرعة فى سيناء إلى قوة رمزية . وأبدت مصر اهتماما بالاقتراح ، ولكنها أصرت على خفض متبادل للقوات . وفى ٢٩ نوفمبر اكتشف الجمسى أن ياريف عاد إلى اقتراحه الأصلى بانسحاب الجانبين من الأراضى المكتسبة فى الحرب . وأثار هذا الانقلاب فى الموقف غضب المصريين مما أدى إلى وقف المحادثات .

وقد وجه الاتهام إلى كيسنجر بأنه مسؤول عن إجهاض هذه التجربة الواعدة فى المفاوضات المصرية الإسرائيلية المباشرة .[٢٣] وهناك قدر من الحقيقة فى هذا الاتهام . فقد شعر كيسنجر بأن المحادثات تتقدم أسرع من اللازم ، وبدأ يفكر فى الجبهة السورية ، وخشى أنه فى حالة توصل مصر وإسرائيل إلى اتفاق لفض الاشتباك قبل جنيف ، فإن الأسد سيصر على نفس الشىء ، الأمر الذى يعنى تأجيل عقد مؤتمر جنيف إلى موعد غير محدد . كما أراد كيسنجر أن يدلل على أن الدور الأمريكى جوهرى بالنسبة لاستمرار التقدم الدبلوماسى . ولعل مصر وإسرائيل كانتا قادرتين على التوصل إلى اتفاق بدون مساعدته ، ولكن هل سيحدث نفس الشىء عندما يأتى الدور على سوريا والفلسطينيين ، أو حتى بالنسبة لخطوة مصرية ثانية ؟ كان كيسنجر يشك فى ذلك . وإذا تم رفع الحظر عن النفط ، الأمر الذى كان نيكسون شديد الحرص عليه ، فإن ذلك أيضاً سيكون فى مقابل النجاح الأمريكى فى التوصل إلى الاتفاق .[٢٤] وإذا كان ينبغى الابقاء على الهيئة السوفيتية محدودة ، لابد أن تبقى الولايات المتحدة مسيطرة على المفاوضات . وعلى ذلك نصح كيسنجر الإسرائيليين بالتريث فى محادثات الكيلو ١٠١ ، وأن يحتفظوا بموقفهم من فض الاشتباك لحين انعقاد مؤتمر جنيف . وبدا لبعض المراقبين أن هذا الاقتراح مريب ، ولكنه كان منسجما مع مخطط كيسنجر الدبلوماسى العريض . ولابد من إضافة أن إسرائيل لم تقاوم هذه النصيحة كعهدها فى مناسبات أخرى كثيرة . وباسترجاع شريط الأحداث ، يبدو أن الجنرال ياريف كان متقدما إلى حد بعيد عن مجلس الوزراء الإسرائيلى فى استعداده لتقديم تنازلات فى مرحلة فض الاشتباك .[٢٥]

وحينذاك وجه كيسنجر اهتمامه إلى ترتيبات مؤتمر جنيف .[٢٦] وأعلن فى ٦ ديسمبر أن

« الاحتمال كبير » فى عقد مؤتمر فى جنيف يوم ١٨ ديسمبر . ولكن من الذى سيحضره ؟ ستذهب مصر ، كما ألمح السادات إلى أن سوريا ستذهب أيضا .(٢٧) ويمكن الاعتماد على الأردن ، لكن منظمة التحرير الفلسطينية كانت قد أصبحت منذ اجتماع القمة العربى فى الجزائر فى الشهر السابق هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، باعتراف جميع الدول العربية ما عدا الأردن . وإذا حضرت منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمر جنيف فإن إسرائيل لن تشترك فيه . كما أن إسرائيل لن تجلس مع سوريا إلا إذا قدمت سوريا قائمة بأسماء الأسرى الإسرائيليين المحتجزين لديها .

وللتغلب على ممانعة إسرائيل فى حضور مؤتمر جنيف ، تحدث كيسنجر مع وزير الدفاع ديان فى واشنطن يوم ٧ ديسمبر . وقدم ديان قائمة طويلة بطلبات السلاح ، ورد كيسنجر بأن الولايات المتحدة ستعطيها اهتماما طيبا . وفى المقابل ، قال ديان إن فض الاشتباك ليس من الضرورى أن ينتظر الانتخابات الإسرائيلية . واقترح فض الاشتباك على أساس انسحاب إسرائيل إلى خط يقع غرب الممرات ، إلى جانب اقتراح بنزع جوهرى للسلاح فى المناطق المتقدمة ، والتزام مصرى بإعادة فتح قناة السويس . بيد أن كيسنجر حث الإسرائيليين مرة ثانية على عدم التحرك بسرعة كبيرة فى المفاوضات . إذ يجب ألا تبدو إسرائيل ضعيفة . كما ينبغى أن يعتقد العرب أن الولايات المتحدة وجدت صعوبة فى التأثير على إسرائيل . وإلا فإن مطالبهم سوف تزداد .

وبدأ كيسنجر جولته الثانية فى الشرق الأوسط يوم ١٢ ديسمبر ، مع التوقف فى لندن لإلقاء خطاب هام .(٢٨) ثم توجه إلى الجزائر لإجراء محادثات مع الرئيس هوارى بومدين ، ونجح فى الحصول على تأييده لمؤتمر جنيف . ومنذ ذلك الحين وكيسنجر يحيط بومدين علما بتطور مفاوضات السلام ، اعتقادا منه بأن تأييد الجزائر لاستراتيجيته يساعد كلاً من السادات والأسد على مقاومة الضغوط العربية الراديكالية .

وخلال عدة أيام تالية ، سافر كيسنجر إلى القاهرة والرياض ودمشق وتل أبيب . وكانت محادثاته مع السادات وحدها خالية من المصاعب . فقد كان السادات قد وافق على تأخير قصير فى موعد افتتاح مؤتمر جنيف ، ووافق الآن على تأجيل مرحلة مفاوضات فض الاشتباك الهامة إلى منتصف يناير ، بعد الانتخابات الإسرائيلية .(٢٩) وفى لقائه مع الملك فيصل فى اليوم التالى - ١٤ ديسمبر - كسب كيسنجر التأييد السعودى لنهج السادات ، بالإضافة إلى وعد بإنهاء الحظر على النفط وعودة الانتاج إلى ما كان عليه فور التوصل إلى اتفاق على المرحلة الأولى من التسوية .

وفى الوقت الذى كان فيه كيسنجر يسعى لتعبئة التأييد لصالح جنيف من جانب الدول العربية الرئيسية ، كانت إسرائيل تشترط لمشاركتها فى مؤتمر جنيف عددا من النقاط الهامة . فقد رفضت إسرائيل أن يكون للأمين العام للأمم المتحدة دور كبير ، ورفضت مناقشة احتمال مشاركة الفلسطينيين فى المؤتمر كما اقترح السادات من قبل ، وقالت إن ممثلى إسرائيل لن يجلسوا فى غرفة واحدة مع السوريين حتى توافق سوريا على مطالب إسرائيل الخاصة بتقديم قائمة بأسماء أسرى الحرب وبزيارة رجال الصليب الأحمر لهم . وبدا أن إسرائيل قد تقاطع جنيف .

وعند هذه النقطة بدأ نيكسون وكيسنجر يمارسان ضغوطا كبيرة على إسرائيل . وفى الساعة

السادسة وخمس وأربعين دقيقة من مساء ١٣ ديسمبر فى واشنطن ، تسلم الوزير الإسرائيلى موردخاى شاليف رسالة من نيكسون إلى مائير . وكانت مائير قد اعترضت على صيغة خطاب مشترك من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إلى أمين عام الأمم المتحدة بشأن الدعوة لعقد مؤتمر جنيف ، فقال نيكسون إنه انزعج من موقفها ، ونفى أن يكون للأمين العام للأمم المتحدة أكثر من دور رمزى . وفيما يتعلق بالفلسطينيين ، قال نيكسون إن ذكر المشاركة الفلسطينية فى المؤتمر لايؤثر مسبقا على المحصلة النهائية ، وأن مشاركة أعضاء جدد فى المؤتمر تستلزم ، على أى حال ، موافقة جميع المشاركين الأصليين ، والخلاصة أن إسرائيل لن ترغم على التفاوض مع الفلسطينيين . واختتم نيكسون رسالته بتحذير رئيسة الوزراء من أن الولايات المتحدة لن تتعاطف مع رفض إسرائيل حضور المؤتمر ، وأنه لن يكون قادرا على تبرير التأييد لإسرائيل إذا هى لم ترسل ممثليها إلى جنيف .(٣٠)

وفى اليوم التالى ، ولدى علمه بأن مجلس الوزراء الإسرائيلى لم يستطع التوصل إلى قرار بشأن حضور مؤتمر جنيف ، بعث نيكسون برسالة أخرى ، أوضح فيها أن الولايات المتحدة على استعداد لتأخير المؤتمر حتى يوم ٢١ ديسمبر . وأشار نيكسون إلى هدف إسرائيل القديم لإجراء مفاوضات مع العرب . وقال إنه من غير المعقول ألا تقدم إسرائيل الآن على هذه الخطوة . وعلى أى حال ، أصدر الرئيس أوامره لكيسنجر بحضور الجلسة الافتتاحية لمؤتمر جنيف سواء حضرتها إسرائيل أم لم تحضرها .(٣١)

وفى الوقت الذى جرى فيه بذل الجهد للحصول على موافقة إسرائيل على مؤتمر جنيف من خلال خليط من الضغوط والوعود ،(٣٢) توجه كيسنجر لعقد لقائه الأول مع الرئيس السورى حافظ الأسد .(٣٣) ووجد كيسنجر الأسد ذكيا ، شديد المراس ، جذابا ، ويملك روح الدعابة . كما أنه كان أقل قبولا للوفاق من كافة الزعماء العرب الذين قابلهم كيسنجر حتى ذلك الوقت . وألمح الأسد إلى أنه لا يعارض عقد مؤتمر جنيف فى ٢١ ديسمبر ، غير أن سوريا لن تحضره إلا إذا تم التوصل إلى اتفاق لفض الاشتباك بين القوات أولا . وفض الاشتباك فى رأيه ينبغى أن يتضمن مرتفعات الجولان برمتها . كما أنه لم يكن مستعدا لقبول التماس كيسنجر تقديم قائمة بأسرى الحرب الإسرائيليين . وبعد محادثات استغرقت ست ساعات ونصف الساعة مع الأسد ، طار كيسنجر إلى إسرائيل خاوى الوفاض .(٣٤)

وخلال اليومين التاليين ، ١٦ و ١٧ ديسمبر ، استخدم كيسنجر كل قدراته على الإقناع لحث الإسرائيليين على حضور مؤتمر جنيف . والتقى مع جولدا مائير على انفراد ، ومع أعضاء فى وزارتها ، ليرسم لهم صورة كئيبة للآثار المترتبة على انهيار العملية الدبلوماسية ، فالخطر يحيق بما هو أكبر بكثير من الشرق الأوسط ، وأن الاستقرار العالمى والنظام الاقتصادى الدولى وترابط حلف الاطلنطى ، بل كل مشكلة كبرى فى السياسة العالمية ، ترتبط بقرار إسرائيل . وأثناء مأدبة العشاء غير الرسمية التى أقامها وزير الخارجية إيبان فى منزله فى ١٦ ديسمبر وحضرها غالبية أعضاء مجلس الوزراء ، كان كيسنجر مقنعا للغاية .(٣٥) وتمسك الإسرائيليون بإدخال تعديل آخر على خطاب الدعوة ـ وهو عدم ذكر الفلسطينيين بالاسم ـ وعلى أساس هذا الشرط انعقد مجلس الوزراء فى المساء ليوافق على حضور إسرائيل مؤتمر جنيف يوم ٢١ ديسمبر .

وهنا قام كيسنجر بمحاولة أخيرة للحصول على موافقة سوريا على الحضور . ففى مقابل تقديم قائمة بأسرى الحرب ، ستسمح إسرائيل للقرويين السوريين بالعودة إلى ديارهم فى المناطق الواقعة تحت السيطرة الإسرائيلية . وبحث وزير خارجية مصر ، اسماعيل فهمى ، هذا الاقتراح مع الأسد استجابة لطلب كيسنجر ، كما سافر السفير الأمريكى فى بيروت إلى دمشق لبحث الأمر مرة أخرى مع الزعيم السورى . وفى ١٨ ديسمبر تلقى كيسنجر ردا من الأسد يفيد بأن سوريا لن تشترك فى هذه المرحلة من محادثات جنيف ، ولكنها قد تشترك فيما بعد .[٣٦]

وانعقد مؤتمر جنيف أخيرا فى ٢١ ديسمبر تحت رعاية أمين عام الأمم المتحدة ، وباشتراك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى كرئيسين مشاركين للمؤتمر ، وبحضور وزراء خارجية مصر والأردن وإسرائيل . وبقى المكان الذى يحمل لوحة باسم سوريا شاغرا . وتحدث كل من وزراء الخارجية ، وإن جاءت كلماتهم موجهة بالدرجة الأولى للرأى العام فى بلادهم ، وليس لبعضهم البعض . وحاول كيسنجر توضيح استراتيجية الخطوة خطوة بقوله إن هدف المؤتمر هو السلام ، لكن الحاجة الملحة هى دعم وقف إطلاق النار من خلال فض الاشتباك بين القوات باعتباره « الخطوة الأساسية الأولى » على طريق تطبيق قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ .

وبعد إلقاء هذه الكلمات الرسمية ، انفض مؤتمر جنيف على ألا يعود إلى الانعقاد فى جلسات عامة مرة أخرى إلى أجل غير مسمى . على أنه قد أصبح هناك الآن رمز ، ولعله خيال مفيد ، ومحفل قائم يمكن أن تناقش مجموعات العمل فى إطاره جوانب التسوية إذا لزم الأمر . ولم تكن هذه المحاولة بلاطائل ، لكن قد يتساءل المرء عما إذا كانت النتائج تساوى كل هذا الجهد .

فض الاشتباك المصرى الإسرائيلى

والآن وبعد نجاحه فى عقد مؤتمر جنيف ، واجه كيسنجر تحدى الوصول إلى نتائج مبكرة على الجبهة المصرية الإسرائيلية . وكانت هناك عدة مشكلات تعترض سبيله لذلك . فقد كان السوريون على درجة عالية من الاستنفار العسكرى فى أواخر ديسمبر ، وبدا استئناف القتال واردا . كما أن الحظر على النفط كان مستمرا ، وبنفس الدرجة من الأهمية قررت منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) مضاعفة أسعار النفط فى ٢٣ ديسمبر . ولم يكن مما يدعو للارتياح أن شاه ايران هو الذى قام بالدور الرئيسى فى رفع الأسعار . وكانت أزمة الطاقة سيفا مصلتا على المفاوضات العربية الإسرائيلية ، أكثر من أى وقت مضى .

وبخلاف الصعوبات مع سوريا ، والاحباط الناجم عن استمرار حظر البترول ، كان على كيسنجر أن يواجه مرة أخرى حقيقة أن مواقف مصر وإسرائيل من فض الاشتباك لا تزال متباعدة . وأثناء وجوده فى إسرائيل فى ١٧ ديسمبر ، ناقش كيسنجر موضوع فض الاشتباك مع مائير وكبار معاونيها . وكان الموقف الإسرائيلى يقوم على السماح لقوة مصرية صغيرة بالبقاء على الضفة الشرقية للقناة حتى مسافة عشرة كيلو مترات ، وأن تسيطر قوة إسرائيلية خفيفة التسليح على الطريق الرئيسى الممتد من الشمال إلى الجنوب وراء القوات المصرية ، وأن تتمركز القوات الإسرائيلية الرئيسية إلى الشرق من ممرى متلا والجدى بعيداً عن مرمى المدفعية المصرية . ولم

توافق إسرائيل على التنازل عن الممرات فى مرحلة فض الاشتباك . وفيما يتعلق بالنقاط الأخرى كان توافق الآراء الإسرائيلى أقل ، فقد رأى بعض أعضاء مجلس الوزراء أن على مصر أن تنهى حالة الحرب مقابل انسحاب القوات الإسرائيلية ، والسماح بحرية المرور للسفن الإسرائيلية فى قناة السويس وباب المندب . كما كان وضع بعض القيود على القوات المصرية على ضفتى قناة السويس أمرا مرغوبا فيه ، وأن تبدأ مصر العمل على إعادة فتح القناة وإعادة بناء مدن القناة كعلامة على النوايا السلمية .

أما موقف مصر ، كما تم إبلاغه لكيسنجر أثناء محادثاته فى القاهرة قبل انعقاد مؤتمر جنيف ، فقد بدأ باقتراح أنه ينبغى ألا تحقق مصر أو إسرائيل مزايا عسكرية فى مرحلة فض الاشتباك . وبعبارة أخرى ، فان أى تحديد لحجم القوات لا بد أن يكون متبادلا ، وهو ما أصر عليه الجمسى فى محادثات الكيلو ١٠١ فى نوفمبر ، وان تحتفظ مصر بقواتها شرق القناة على الخطوط القائمة على ألا يتعدى حجمها فرقتين ، أى خفض ثلاث فرق عن المستوى الحالى ، وألا توضع مدفعية ثقيلة أو صواريخ أرض جو عبر القناة ، وأن تحتفظ إسرائيل بسيطرتها على الأطراف الشرقية للممرات ، وتنشأ منطقة منزوعة السلاح بين الخطوط المصرية والإسرائيلية ، تجوبها دوريات من قوات الأمم المتحدة ، وأن تبدأ مصر العمل فى تطهير القناة وتعيد بناء المدن فور انسحاب القوات الإسرائيلية . وأن يتم السماح بمرور الحمولات الإسرائيلية فى القناة بعد افتتاحها .

وكانت هناك فجوتان تفصلان بين الموقفين المصرى والإسرائيلى . فقد كانت مصر تريد أن تنسحب إسرائيل إلى شرق الممرات ، ورفضت إسرائيل ذلك ؛ وأرادت إسرائيل وجود قوة مصرية رمزية فقط على الضفة الشرقية ؛ وكان السادات يفكر فى فرقتين للمشاة تعزز كلا منهما ١٠٠ دبابة . فقد كان من الصعب عليه أن يقبل علنا فرض قيود كبيرة على القوات فى الأراضى التى عادت إلى سيطرته . ومع ذلك ، فإن الأسس الفكرية وراء مواقف الجانبين لم تكن متباعدة جدا ، وبدا الاتفاق ممكنا .

وجرت الانتخابات الإسرائيلية للكنيست فى ٣١ ديسمبر . واكتسبت المعارضة المناهضة لائتلاف التحالف العمالى الذى تنتمى إليه رئيسة الوزراء مائير بعض القوة ، وإن لم يصل ذلك إلى الحد الذى يجعل تشكيل حكومة جديدة وتكليف رئيس وزراء جديد أمرا ضروريا . وعلى مدى الشهور الستة التالية ، وبالرغم مما فقدته شخصياً من شعبية ومن عدم الرضاء العام عن وزير دفاعها موشى ديان ، استمرت مائير فى تحمل الأعباء الجسيمة للحكم ، وفى النضال بقوة ضد الضغوط الأمريكية والداخلية لكى تحصل على اتفاقات تحمى المصالح الحيوية لإسرائيل . ووجدها كيسنجر صعبة المراس وعاطفية فى كثير من الأحيان ، وكانت مناقشاتهما عاصفة أحيانا ، إلا أن احتراما صادقا ومتبادلا نشأ بينهما أثناء مفاوضات فض الاشتباك الصعبة .

وما إن انزاحت الانتخابات الإسرائيلية من الطريق ، حتى تقرر إيفاد موشى ديان إلى واشنطن لإجراء محادثات مع كيسنجر يومى ٤ و ٥ يناير . وقدم ديان فكرة المناطق الخمس لفض الاشتباك ، وفيها يحتفظ كل طرف بمنطقتين ترابط فيهما قوات محدودة ، وتفصل بينها منطقة عازلة تابعة للأمم المتحدة . كما حدد ديان نوع القيود العسكرية التى تقبلها إسرائيل . وفى الأساس ، تكون

قوات كل من الجانبين بعيدة عن مرمى مدفعية الجانب الآخر ، وألا تتمكن الصواريخ أرض - جو التابعة لهذا الجانب أو ذاك من الوصول إلى طائرات الجانب الآخر . وأن يبقى عدد الدبابات فى المناطق المحدودة صغيراً جدا .

وأثناء المحادثات ، حث ديان كيسنجر على العودة إلى الشرق الأوسط للمساعدة فى التوصل إلى اتفاق . ووجدت هذه الفكرة قبولا لدى السادات ، وبدأ كيسنجر رحلته فى ساعة متأخرة من يوم ١٠ يناير . وكان كيسنجر فى الأصل يتوقع أنه سوف يساعد فى وضع إطار عام للاتفاق ثم يقوم الطرفان بوضع التفاصيل فى جنيف ، ولكن السادات كان حريصا على التوصل الى نتائج ، وطلب إلى كيسنجر البقاء فى المنطقة لحين التوصل إلى اتفاق . وهكذا شرع كيسنجر فى ممارسة أول جولة له فى « الدبلوماسية المكوكية » ، طائرا ما بين القاهرة وتل أبيب حاملا المقترحات .

وفى ١٣ يناير سلم الإسرائيليون إلى كيسنجر خريطة لخط فض الاشتباك المقترح ، وخولوه عرضها على السادات ، الأمر الذى قام به فى اليوم التالى . وكان السادات قد وافق بالفعل فى أولى محادثاته مع كيسنجر على فكرة تحديد حجم القوات فى ثلاث مناطق ، ووعد بالعمل على إنهاء الحظر على النفط فور التوصل إلى اتفاق . وهو يقول الآن إنه سيقبل بوجود قوات إسرائيلية غرب الممرات . ولكنه لا يوافق على الحجم المقترح للقوات.(٣٧) وللتغلب على تحفظات السادات ، اقترح كيسنجر أن تتحمل الولايات المتحدة مسؤولية الاقتراح الخاص بالقيود على القوات ، فقد يكون من الأيسر للسادات قبول مشروع أمريكى عن قبول مشروع إسرائيلى . وبدلا من إعلان تلك القيود فى وثائق رسمية ، فإنه يمكن تحديدها فى رسائل متبادلة بين السادات ونيكسون . إضافة إلى ذلك ، فإن ضمانات السادات الشخصية بعبور الحمولات الإسرائيلية للقناة يمكن تناولها فى مذكرة تفاهم سرية . ووافق السادات .

وفى إسرائيل فى اليوم التالى - ١٥ يناير - أسقطت مائير مطلب إنهاء حالة الحرب كجزء من اتفاقية فض الاشتباك . وأدخلت تعديلات طفيفة على مستوى القوات وخط فض الاشتباك ، وهى تعديلات قام فيها ديان بدور بناء للغاية . وعاد كيسنجر إلى أسوان للقاء السادات يوم ١٦ يناير ، وفى يده خريطة جديدة . ووافق السادات على تقليص الوجود المصرى على الضفة الشرقية إلى ثمانى كتائب وثلاثين دبابة .(٣٨) ثم عاد كيسنجر إلى إسرائيل . وفى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى ، أعلن الرئيس نيكسون أن الجانبين توصلا إلى اتفاقية لفض الاشتباك بين قواتهما المسلحة . وفى اليوم التالى وقع رئيسا الأركان الإسرائيلى والمصرى الاتفاقية عند الكيلو ١٠١ .(٣٩)

وكجزء من الاتفاقية ، وقعت إسرائيل والولايات المتحدة مذكرة تفاهم تفصيلية من عشر نقاط .(٤٠) وقامت الولايات المتحدة بنقل عدة بيانات عن النوايا المصرية بشأن قناة السويس وتسريح قواتها المسلحة . ووعدت الولايات المتحدة بأن يكون لاستكمال اتفاقية فض الاشتباك الأولوية على أى خطوات جديدة فى جنيف ؛ وعدم سحب قوات الأمم المتحدة بدون موافقة الجانبين ؛ وأن تعتبر الولايات المتحدة باب المندب ممرا مائيا دوليا ؛ وأن تحاول الولايات المتحدة الاستجابة لاحتياجات إسرائيل الدفاعية بصفة مستمرة وعلى أساس طويل المدى .

وفى رسائله المتبادلة مع كل من السادات ومائير ، حدد نيكسون بالتفصيل القيود المتفق عليها للقوات ، فلا يبقى فى المناطق المحدودة التسليح أكثر من ثمانى كتائب معززة وثلاثين دبابة ، وعدم السماح بوجود مدفعية أكبر من ١٢٢ ملليمترا ، والسماح بما لايزيد على ست بطاريات من هذا النوع من التسليح ،(٤١) وعدم السماح بوجود أسلحة قادرة على اعتراض طائرات الاستطلاع فوق المنطقة المخصصة لأى من الجانبين ، وألا يتعدى الحجم الأقصى للقوات فى المنطقة المحددة القوات سبعة آلاف جندى ، وعدم السماح بوجود أسلحة أو صواريخ أرض - جو قادرة على الوصول إلى الجانب الآخر بعمق ثلاثين كيلو مترا من الخطوط المصرية والإسرائيلية . وتقررت الترتيبات التى تقوم الولايات المتحدة بموجبها برحلات استطلاعية فى فترات منتظمة لمراقبة تنفيذ الاتفاقية ، على أن تكون النتائج متاحة للجانبين .(٤٢) وأخيرا ، تقرر أن يكون الجدول الزمنى لتنفيذ الاتفاقية جزءا من النص المعلن . وتلقى السادات ضمانا خاصا من نيكسون بأن الولايات المتحدة ستستخدم نفوذها من أجل التطبيق الكامل للقرار رقم ٢٤٢ .

وبتوقيع اتفاقية فض الاشتباك فى ١٨ يناير ، يكون نيكسون وكيسنجر قد ربطا الولايات المتحدة بالتزامات هامة غير مسبوقة . وأخذت هيبة الولايات المتحدة فى العالم العربى فى الصعود ، وبدت الولايات المتحدة ، أكثر من أى وقت مضى ، ممسكة بالأوراق الرئيسية . وربما شكا الإسرائيليون من الضغوط الشديدة ، إلا أن الاتفاقية لم تكن سيئة لإسرائيل ، كما أن المعونة الأمريكية كانت لا تزال تتدفق عليها بكميات كبيرة . وساد شعور بالتفاؤل غالبية دول الشرق الأوسط ، وهو أمر نادر الحدوث .

فترة فاصلة ما بين اتفاقيات فض الاشتباك

كانت مهمة كيسنجر التالية هى الحفاظ على هذا الشعور بترجمته إلى اتفاقيات جديدة تساعد على خلق قوة دفع فى اتجاه التسوية . ولتحقيق ذلك ، انطلق من فوره من أسوان لإجراء محادثات مع الملك حسين والرئيس الأسد . وفى نفس الوقت طار الرئيس السادات ، كما وعد ، إلى المملكة العربية السعودية فى محاولة لإقناع الملك فيصل بأخذ المبادرة فى رفع حظر توريد النفط إلى الولايات المتحدة ، وهو الحظر الذى وصفه كيسنجر فى أوائل الشهر بأنه « غير مناسب بصورة متزايدة » .(٤٣)

ولم تساعد الاتفاقية على الجبهة المصرية الإسرائيلية كثيرا فى الحد من التطلعات ، أو تخفيف التوتر فى مواقع أخرى من الشرق الأوسط . حينذاك باتت سوريا والأردن ، وربما منظمة التحرير الفلسطينية أيضاً ، على استعداد للدخول فى العملية . غير أن إسرائيل لم تكن راغبة فى سلسلة جديدة من المفاوضات خوفا من فرض ضغوط أمريكية أخرى لانتزاع تنازلات إقليمية ثمناً لاستمرار الجهود الدبلوماسية . ورغم أن التحسن فى العلاقات الأمريكية العربية كان مستصوبا بصورة مجردة ، فقد راودت رئيسة الوزراء مائير المخاوف من أن تدفع ثمنه إسرائيل . ولذا أصبح توقيت الخطوة الثانية مشكلة . وقرر كيسنجر استخدام الفترة التى لا يمكن تجنبها لتدعيم مكاسب الجولة الأولى ولوضع الأسس للخطوة التالية بين سوريا وإسرائيل .

وقبل عودته إلى واشنطن بعد توقيع اتفاقية فض الاشتباك المصرية الإسرائيلية ، طار كيسنجر إلى الأردن لإجراء محادثات مع الملك حسين . وكان ذلك فى المقام الأول لكسب الوقت ، حيث إن التحرك على الجبهة الاردنية لم يكن واردا إلا بعد فض الاشتباك السورى الإسرائيلى . وأبلغ كيسنجر الملك بأن إسرائيل تعارض فكرة الانسحاب بعيدا عن نهر الأردن ، وأنها تفضل السماح للملك بتولى المسؤولية الإدارية تدريجيا فى الضفة الغربية بدون انسحاب إسرائيلى فورى . وعرض كيسنجر المسألة باعتبارها استعادة لسلطة الملك حسين فى الضفة الغربية . ولم يكن أمام إسرائيل غير التعامل مع الأردن الآن أو التعامل مع عرفات فيما بعد . وبالرغم من جهود كيسنجر لإقناع حسين بمزايا « فض الاشتباك الإدارى » ، فقد أصر الملك على استعادة بعض الأراضى التى تحددت بوضوح على خريطة كبيرة أعطيت للجانب الأمريكى قبل سفره . وتضمن المشروع الأردنى انسحاب إسرائيل إلى خط مواز لنهر الأردن بعمق يتراوح من ثمانية إلى عشرة كيلو مترات .(٤٤) ونظرا لإصرار إسرائيل على الاحتفاظ بسيطرتها على وادى الأردن ، بدا أن هذا المشروع لن ينجح ، وإن كان بداية لتبادل الآراء عن المواقف على الأقل . وعند هذه النقطة لم يكن كيسنجر يفكر فى التوصل إلى اتفاقية مبكرة بقدر ما كان يحاول استنباط استراتيجية لإبقاء منظمة التحرير الفلسطينية الأكثر راديكالية بعيدا عن الصورة لفترة أطول . فقد كان لديه ما يكفى من المشكلات فى التعامل مع الأسد كما اكتشف فى اليوم التالى فى دمشق .

وفى محادثاته مع الرئيس الأسد يوم ٢٠ يناير استطاع كيسنجر الحصول على اقتراح سورى جديد لفض الاشتباك . وكان الأسد قد تحدث فى ديسمبر عن الانسحاب الإسرائيلى من مرتفعات الجولان كلها كجزء من اتفاقية فض الاشتباك . أما الآن فإن سوريا تتمسك فى اتفاقية فض الاشتباك بنصف الأراضى التى استولت عليها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، وبكل الأراضى التى كسبتها عام ١٩٧٣ . وتشبث الأسد بعناد بالورقة الوحيدة التى يساوم عليها ـ الأسرى الإسرائيليين . وغادر كيسنجر دمشق بانطباع بأن الأسد يرغب حقا فى عقد اتفاقية ، وحمل معه خريطة عليها خطان مستقيمان يمتدان من الشمال إلى الجنوب عبر مرتفعات الجولان ، والمفترض أنهما سيصبحان خطى فض الاشتباك وفقا للاقتراح السورى .(٤٥) وفى وقت لاحق من اليوم نفسه ، طار كيسنجر إلى إسرائيل ليطلع القيادة الإسرائيلية على أفكار الأسد ، ثم عاد إلى واشنطن لعرض تفاصيل الاتفاقية المصرية على الكونجرس والرأى العام المؤيد له بصفة عامة .

وبدأ كيسنجر بعد ذلك محاولة إنهاء الحظر على النفط ، بينما هو يعمل فى الوقت نفسه على وضع أساس لاتفاقية سورية إسرائيلية . وكان نيكسون يتوق إلى الإعلان عن انتهاء الحظر فى الخطاب السنوى عن « حالة الاتحاد » أمام الكونجرس فى نهاية الشهر ، وجرى إمطار المصريين والسعوديين بوابل من الرسائل فى هذا الشأن .(٤٦) كما بدأ كيسنجر فى اختبار فكرة كان قد طرحها بصورة تجريبية أثناء رحلته الأخيرة لسوريا وإسرائيل ، وهى أنه إذا قدمت سوريا للولايات المتحدة قائمة بأسرى الحرب الإسرائيليين ، فإن إسرائيل ستوافق على إعداد اقتراح محدد لفض الاشتباك . وتم إبلاغ هذا الإجراء المبهم إلى السادات للعلم والموافقة . وبعد بضعة أيام ، فى ٣ فبراير ، قام الملك فيصل ، الذى تباحث لتوه مع الرئيس الأسد فى المملكة العربية السعودية ، بإبلاغ الرئيس نيكسون بأن الحظر على النفط لا يمكن رفعه إلى أن يتم التوصل إلى اتفاقية فض الاشتباك

على الجبهة السورية الإسرائيلية . وردّ نيكسون على ذلك فى ٦ فبراير بقوله إنه ما لم يتم رفع الحظر فإن الولايات المتحدة لن تستطيع المضى فى جهودها الدبلوماسية .

ومع ذلك ، اقترحت الولايات المتحدة مشروعا من خمس نقاط على الأسد فى ٥ فبراير ، على أساس أن تبلغ سوريا الولايات المتحدة بعدد أسرى الحرب الإسرائيليين وأن يجرى نقل هذه المعلومة إلى إسرائيل ، وأن تقدم سوريا قائمة بأسرى الحرب إلى قسم رعاية المصالح الأمريكية فى دمشق ، وفى المقابل تتقدم إسرائيل باقتراح محدد . وبعد قيام الصليب الأحمر بزيارة الأسرى الإسرائيليين فى سوريا ، يتولى كيسنجر نقل الاقتراح الإسرائيلى إلى الأسد ، وكذلك دعوة وفد إسرائيلى إلى واشنطن لمزيد من المباحثات . ثم تبدأ المفاوضات فى جنيف عن طريق فريق العمل العسكرى المصرى الإسرائيلى القائم بالفعل . وفى ٩ فبراير وافق الأسد على هذا الإجراء .

وفى الأسبوع التالى التقى الرؤساء الأسد والسادات وبومدين والملك فيصل فى الجزائر لمدة يومين . واتفقوا على عدم رفع الحظر إلى أن يتحقق مزيد من التقدم نحو اتفاقية سورية إسرائيلية . وتم إيفاد وزيرى الخارجية فهمى والسقاف إلى واشنطن لإبلاغ ذلك إلى كيسنجر . وغضب نيكسون وكيسنجر ، إلا أنهما أدركا عدم قدرتهما على تنفيذ تهديدهما بالانسحاب من الجهود الدبلوماسية ، لأنهما بهذا يربطان السياسة الأمريكية بوضوح بالحظر على النفط ، وكان كيسنجر يتلهف على إقناع الأسد والرأى العام الأمريكى بأن التحرك الأمريكى فى الشرق الأوسط ليس نابعا فى المحل الأول من المصالح النفطية ، ونظرا لأن للولايات المتحدة أسبابها الخاصة لطلب السلام فى الشرق الأوسط فإنها ستواصل جهودها بالرغم من الحظر . وفى ١٨ فبراير قرر نيكسون وكيسنجر إسقاط مسألة الحظر فى الوقت الحالى . وفى اليوم التالى أعلن نيكسون أن كيسنجر سيقوم بزيارة أخرى للمنطقة . وفى يوم ٢٥ فبراير سافر كيسنجر فى زيارته الرابعة خلال أربعة أشهر .

الدبلوماسية المكوكية

اجتمع كيسنجر والأسد أربع ساعات مساء ٢٦ فبراير ، ومرة أخرى صباح اليوم التالى . وكانت المناقشات معقدة ولكن ودية فى الأساس . وأبدى الأسد مرونة بالنسبة للمسائل الإجرائية ، وتشددا فيما يتعلق بالموضوع . ووفقا للاتفاق السابق ، تم تخويل كيسنجر بنقل قائمة بأسرى الحرب إلى الإسرائيليين ، وهى القائمة التى أعطيت له قبل مغادرة واشنطن .[٤٧] وتقرر أن تبدأ زيارات الصليب الأحمر للأسرى ، وأصبح من المنتظر أن تقدم إسرائيل اقتراحا محددا حول فض الاشتباك . وأوضح الأسد أنه إذا لم تقدم إسرائيل شيئا أكثر من الانسحاب إلى خطوط ما بعد وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ فإنه سيقطع المحادثات . وكان كيسنجر يميل إلى الاعتقاد بأنه جاد ، وهو ما أبلغه للإسرائيليين أثناء توقفه بإسرائيل يوم ٢٧ فبراير . ثم ترك الإسرائيليين لإعداد اقتراحهم فى الأربع والعشرين ساعة القادمة لحين عودته .

وفى الوقت نفسه طار كيسنجر إلى مصر لإجراء محادثات مع السادات . كانت الروابط الأمريكية المصرية تنمو بصورة طيبة وبسرعة ، وأعيدت العلاقات الدبلوماسية الكاملة فى ٢٨ فبراير ، ووجه السادات دعوة إلى نيكسون لزيارة مصر . كما تناولت المناقشات الموضوعات

الثنائية ، بما فى ذلك المعونة والاحتمالات طويلة الأمد لبيع السلاح الأمريكى لمصر بتمويل من المملكة العربية السعودية . وفى ذلك الحين ، كان كيسنجر يعتمد بشدة على نصيحة السادات فى كيفية التعامل مع الزعماء العرب الآخرين . كان الليبيون يريدون شراء رادار أمريكى . فما هو رأى السادات ؟ وكان الأسد يصر على الانسحاب الإسرائيلى إلى ما وراء خطوط ١٩٦٧ لوقف إطلاق النار . فما هى وجهة نظر السادات ؟ متى يتم رفع الحظر عن النفط ؟ كيف يمكن إضعاف النفوذ السوفيتى فى العراق ؟ وبدأ كيسنجر والسادات يطوران ما يمكن وصفه باستراتيجية مشتركة فى الشرق الأوسط .

وفيما يتعلق بالمشكلة المحددة الخاصة بفض الاشتباك على الجبهة السورية ، دعا السادات إلى الانسحاب إلى خط يقع إلى الغرب مباشرة من مدينة القنيطرة . وعرض إرسال رئيس أركانه إلى سوريا قبل زيارة كيسنجر التالية ، للضغط من أجل اتفاقية على أساس هذا الخط . وإذا رفض الأسد ، فإن السادات سيواصل تأييده العلنى لهذا الخط ، وسيستمر فى محاولة حشد تأييد عربى من أجل اتفاقية معتدلة لفض الاشتباك بين سوريا وإسرائيل . وكان كيسنجر سعيداً بمحادثاته مع السادات ، وبدأ يعتمد بشدة على زعامة مصر فى العالم العربى . وبعد أن أخطأ كيسنجر مرة بالتقليل من أهمية السادات ومصر ، فقد كان على ما يبدو على وشك ارتكاب الخطأ المقابل .

وطار كيسنجر من مصر إلى إسرائيل حيث تلقى الاقتراح الإسرائيلى . وجاء المشروع الإسرائيلى لفض الاشتباك بصورة أساسية على غرار اتفاقية يناير المصرية الإسرائيلية . وتضمن المشروع ثلاث مناطق – الأولى لإسرائيل والثانية للأمم المتحدة والثالثة لسوريا – وكلها داخل الأراضى التى استولت عليها إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ . ولم يقتصر الأمر على بقاء القنيطرة كلها تحت سيطرة إسرائيل ، وإنما تبقى القوات الإسرائيلية أيضا وراء خطوط ٦ أكتوبر .

وخشى كيسنجر أن يرفض الأسد هذا الاقتراح وأن تتوقف المحادثات عندئذ توقفا نهائيا . ولذلك فإنه أثناء زيارته لدمشق مساء أول مارس لم يقدم للأسد تفاصيل المشروع الإسرائيلى ، وركز بدلا من ذلك على فكرة المناطق ذات القوات المحدودة ومنطقة عازلة تابعة للأمم المتحدة . وحصل كيسنجر على موافقة سوريا على إرسال مبعوث إلى واشنطن لإجراء محادثات فى وقت لاحق من الشهر ، بعد زيارة مماثلة يقوم بها مسئول إسرائيلى . وغادر كيسنجر دمشق وليس فى جعبته سوى القليل من التقدم الجوهرى ، غير أنه توصل إلى اتفاق على إجراء مزيد من تبادل وجهات النظر على مدى الأسابيع القادمة . ولكى لا يتفوق عليه السادات ذو المشاعر الفياضة ، احتضن الأسد وزير الخارجية الأمريكى على الطريقة العربية لأول مرة . وبدأت تنشأ علاقة شخصية يصعب تصديقها وإن كانت حقيقية بين هذين الرجلين المختلفين إلى أقصى حد .

وكانت المحطة التالية لكيسنجر هى المملكة العربية السعودية ، وكانت غايته هناك هى الحث مرة أخرى على رفع الحظر على النفط ، والتماس التأييد لفض الاشتباك السورى الإسرائيلى . كما ناقش كيسنجر مع السعوديين طرق تقوية العلاقات الثنائية الاقتصادية والأمنية . وطرحت فكرة تشكيل عدة لجان مشتركة ، وتم تنفيذها بالفعل فيما بعد ، وهى ترمز بطريقة ملموسة إلى رغبة

كيسنجر فى استخدام التكنولوجيا والسلاح الأمريكى كعنصرين مكملين لجهوده الدبلوماسية ، بهدف بناء وجود أمريكى قوى فى البلدان العربية الرئيسية .

وفى ٢ و ٣ مارس اجتمع كيسنجر والملك حسين حيث أجريا محادثات استراتيجية مطولة . كان صبر الملك حسين قد أخذ ينفد . فقد وافق الزعماء العرب فى لقائهم فى الجزائر فى شهر فبراير على ضرورة إقامة دولة فلسطينية يرأسها زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات . وكانت الضغوط تتصاعد لتشكيل حكومة فلسطينية فى المنفى . وسأل الملك حسين ما إذا كانت الولايات المتحدة ستعترف بمثل هذه الحكومة . ونفى كيسنجر وجود أى نية من هذا القبيل . وواصل الملك حديثه مؤكدا حاجته لاتفاقية جيدة مع إسرائيل لتبرير مشاركته فى مفاوضات مقبلة . وقال إنه ينبغى فى نهاية الأمر أن يحصل على كل الضفة الغربية للأردن والقدس العربية . وأن أى شىء أقل من ذلك سيعرضه للاتهام بأنه خائن . وإذا لم تكن إسرائيل مستعدة للذهاب إلى هذا المدى ، فربما يتنحى الأردن جانبا ليترك لمنظمة التحرير الفلسطينية الفرصة لمحاولة التفاوض من أجل صفقة أفضل مما يستطيع الحصول عليه . والمؤكد أن ذلك سيفشل ، الأمر الذى قد يعيد للإسرائيليين والفلسطينيين صوابهم ويفتح إمكانات جديدة للأردن .

وحث كيسنجر الملك على إعطاء الإسرائيليين فرصة أخرى لكى يتقدموا باقتراح أبعد مغزى من اقتراح « فض الاشتباك الإدارى » ، وأن يعمل الأردن والولايات المتحدة فى الوقت نفسه على إحباط قيام حكومة فلسطينية فى المنفى ، وأن حسين سيزور واشنطن فى وقت قريب ، ومن ثم سيجرى مزيد من المحادثات قريبا ، وفى نفس الوقت سيتصل كيسنجر بالسادات بشأن المسألة الفلسطينية ، ويحاول الأردن الوقوف على ما إذا كانت إسرائيل مستعدة لتقديم عرض جاد ، وإلا فإن الأردن سيهدد بالانسحاب من المفاوضات .

وبينما كيسنجر فى طريقه عائدا إلى واشنطن فى ٤ مارس ، كانت اتفاقية فض الاشتباك المصرية الإسرائيلية قد اكتمل تطبيقها ، وأخذت كافة الأطراف مواقعها الجديدة . وفى نفس الوقت زادت حدة التوتر على الجبهة السورية ، حيث بدأ الأسد فى إثارة خطر تجدد القتال . وعلى مدى الشهرين التاليين صاحب مفاوضات فض الاشتباك السورى الإسرائيلى قصف كثيف وسقوط كثير من الضحايا على الجبهة السورية . وصار واضحا أن الأسد أصعب فى التعامل معه عن السادات . كما أن تفكير الإسرائيليين لم يكن يدور فى إطار توفيقى بصفة خاصة .

وعند عودته إلى واشنطن تشاور كيسنجر مع نيكسون حول نتائج جولته . وفى هذا الوقت كان الرئيس مشغولا للغاية بدفاعه فى قضية ووترجيت . فقد وجهت هيئة المحلفين العليا فى أول مارس الاتهام إلى أقرب معاونيه بالشهادة الزور ، وعرقلة سير العدالة ، ودفع مكافآت غير قانونية لطمس الأدلة . وظهرت إلى الوجود أشرطة بدا أنها تشير إلى أن نيكسون نفسه كان متورطا فى شراء سكوت أحد القائمين بالسطو على ووترجيت . وقُدمت طلبات للحصول على النص الكامل للمحادثات الرئاسية الواردة فى الأشرطة . ومع كل هذه الهموم ، لم يكن نيكسون يلتفت للسياسة الخارجية إلا كوسيلة للتفريج والهروب ، وإن اقتصر اهتمامه على معالجة القضايا الكبرى . أما التفاصيل فكانت لا تزال متروكة لكيسنجر .

وكانت هناك مسألة تتطلب قرارا رئاسيا ، وتتعلق بالشروط التى ستتلقى إسرائيل بموجبها ٢,٢ مليار دولار فى شكل مساعدة عاجلة لتغطية شراء المعدات العسكرية . ولم يكن نيكسون كارها للضغط على إسرائيل ، وكان غير سعيد بالاقتراح الإسرائيلى الأخير لفض الاشتباك . ولذا اتفق هو وكيسنجر على أن تقدم الـ ٢,٢ مليار دولار كلها بصفة قرض فى الوقت الحالى ، وأن يحتفظ الرئيس حتى أول يوليو بحق التنازل عن جانب من القرض يصل إلى ١,٥ مليار دولار . وإذا أبدت إسرائيل استعدادا للتعاون ، فإن لها أن تتوقع قرارا رئاسيا لصالحها . وفى الوقت نفسه ، كان يجرى إعداد قائمة المعونات للسنة المالية ١٩٧٥ والتى ستتضمن ، لأول مرة منذ سنوات ، مبلغا طيبا – ٢٥٠ مليون دولار – لمصر ، ومعونة لم يسبق لها مثيل للأردن قدرها ٢٠٧,٥ مليون دولار(٤٨) . واقتصر طلب المعونة لإسرائيل على ٣٥٠ مليون دولار اعتمادا على أن الكونجرس سيزيد هذا المبلغ بقدر كبير على أى حال . وبات واضحا أن المعونة ستصبح عاملا مساعدا هاما فى دبلوماسية نيكسون – كيسنجر .

واعترف كيسنجر بأنه سيكون من الصعوبة بمكان التوصل إلى اتفاقية بين إسرائيل وسوريا لفض الاشتباك . وقد تتمكن الولايات المتحدة وحدها من إقناع إسرائيل بتقديم التنازلات اللازمة ، مستخدمة فى ذلك توليفة من الضغوط والحوافز الإيجابية ، ولكن كيف يمكن حمل سوريا على اتخاذ موقف عملى بدرجة أكبر ؟ هل يمكن للسادات والزعماء العرب الآخرين أن يلعبوا دورا ؟ وماذا عن السوفيت الذين بدوا متلهفين على المشاركة فى المفاوضات ؟ وهل يمكن التأثير على الأسد بعرض معونات أمريكية ؟ كان كيسنجر فى حاجة إلى الوقت لاستكشاف كل من هذه الاحتمالات ، وأن يترك لكل جانب فرصة لكى يعيد النظر فى موقفه العملى من فض الاشتباك .

وكان البند الأول فى جدول الأعمال هو إنهاء الحظر على النفط . وأشار نيكسون إلى ذلك مرة أخرى فى مؤتمر صحفى يوم ٦ مارس . وكان من المقرر أن يجتمع منتجو النفط العرب فى طرابلس قريباً . وإذا لم يتم رفع الحظر فى ذلك الحين ، فإن الجهود الدبلوماسية الأمريكية سوف تضعف . وبعد بعض التأخير ، أعلنت غالبية الدول العربية المنتجة للنفط فى ١٨ مارس إنهاء الحظر المفروض ضد الولايات المتحدة ، ولو مؤقتا على الأقل ، وأكد الملك فيصل فى مجالسه الخاصة أهمية إنجاز اتفاقية فض الاشتباك السورى الإسرائيلى فى غضون شهرين لتجنب إعادة فرض الحظر . وبدأ إنتاج النفط العربى يعود إلى معدلاته السابقة للحرب ، بعد خفض وصل إلى نحو ١٥ فى المائة فى ديسمبر ويناير . وفرضت منظمة الأوبك سعرا جديدا بلغ حوالى ١٠ دولارات للبرميل الواحد ، أى أربعة أمثال مستواه قبل الحرب ، لكن لم يكن هناك احتمال لزيادة جديدة بعد عودة الإنتاج إلى معدلاته الطبيعية .

وعارضت سوريا رفع الحظر . وكان كيسنجر يتوق الآن إلى ممارسة ضغط عربى مشترك على الأسد لقبول اتفاقية فض الاشتباك ، إذ كانت مصر والمملكة العربية السعودية والجزائر تستطيع القيام بدور فى هذا الصدد . وأراد كيسنجر التأكد من أنه إذا ما رفضت سوريا عرضا معقولا ، فإن الأسد سيصبح فى عزلة ، بدلا من أن تؤيده كتلة من الرافضين . وقد يكون العراق وحده هو القادر على دعم إصرار الأسد على عدم تقديم تنازلات . وفى وسع قوات العراق أن تساعد

فى تعزيز الجبهة السورية كما فعلت فى أكتوبر . وقد يضطر الأسد ، فى حالة استئناف القتال ، للالتجاء إلى العراق والسوفيت للحصول على مزيد من المساعدة العسكرية . ولكن العراق كان قد أصبح مشغولا بحدوده مع إيران ، حيث وقعت اشتباكات خطيرة فى فبراير ، ومع الأكراد الذين أقدموا على المعارضة المسلحة لنظام بغداد فى أواخر فبراير . ولعبت كل من مصر وإسرائيل وإيران والولايات المتحدة دورها فى تنسيق هذه العملية للتأكد من أن العراق لن يكون قادرا على نجدة سوريا .

وكان كيسنجر حينذاك فى حاجة إلى عرض إسرائيلى معقول لإغراء الأسد بالتقدم نحو الاتفاق . والتقى كيسنجر يومى ١٥ و ١٩ مارس مع وزير الخارجية إيبان . وشرح له استراتيجيته الخاصة بمحاولة عزل سوريا عن العرب الراديكاليين ، وأكد ضرورة استمرار التحرك فى الساحة الدبلوماسية ، وأن على إسرائيل أن تنسحب إلى خطوط ٦ أكتوبر إن لم يكن أبعد من ذلك ، وأن عليها أن تتنازل عن القنيطرة . بيد أنه لم يكن من المنتظر أن تتخلى إسرائيل عن أى من المستوطنات فى هضبة الجولان فى هذه المرحلة . وكان على ديان التقدم باقتراح إسرائيلى على أساس هذه الأفكار لدى زيارته واشنطن فى وقت لاحق من الشهر .

وفى ٢٤ مارس توجه كيسنجر إلى الاتحاد السوفيتى حيث يسعى ، ضمن أشياء أخرى ، إلى الحيلولة دون قيام السوفيت بعرقلة جهوده فى فض الاشتباك على الجبهة السورية الإسرائيلية . وفى اجتماع دام ثلاث ساعات ونصف الساعة يوم ٢٦ مارس ، فيما يوصف بأنه « الأصعب والأرذل » بالمقارنة بسائر اجتماعاته مع بريجنيف وكبار معاونيه ، قاوم كيسنجر الضغط السوفيتى لإعادة المفاوضات إلى جنيف . ووجه السكرتير العام بريجنيف إلى كيسنجر اتهاما حادا بخرق الاتفاقات التى تنص على عقد المحادثات تحت الرعاية المشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأشار إلى التأكيدات التى أعطيت لوزير الخارجية جروميكو فى فبراير بأن المفاوضات ستجرى فى جنيف . ودافع كيسنجر عن أعماله بأنها جرت استجابة لطلب الأطراف الإقليمية ، وأنها على أى حال تمهيد فحسب للمحادثات الخاصة بالتسوية النهائية التى ستعقد فى جنيف .

وأشار بريجنيف إلى العلاقات الطيبة القائمة بين العراق والاتحاد السوفيتى ، كما ذكر زيارة الأسد القادمة لموسكو ، وقال إن الأسد سيطلب بالتأكيد مزيدا من السلاح . ورد كيسنجر بأنه واثق من أن الأسد سيطلب أسلحة من الاتحاد السوفيتى لأنه تقدم لتوه بمثل هذا الطلب إلى الولايات المتحدة . وقال بريجنيف إنه أوقف إرسال السلاح إلى مصر ، ثم عاد إلى موضوع سوريا فسأل كيسنجر عن السبب فى أن الولايات المتحدة لم تعط أسلحة للأسد . وأجاب كيسنجر بوجه جامد الملامح بأنه لا يريد إشعال سباق التسلح ! وانطلاقا من سخطه الواضح على التورط الأمريكى المتزايد فى العالم العربى ، وجه بريجنيف إلى كيسنجر اتهاما محددا بمحاولة إقصاء الاتحاد السوفيتى عن جوهر المفاوضات . وقال إن سوريا تريد للسوفيت أن يكونوا حاضرين .

وسارع كيسنجر بمراجعة الأسد فيما إذا كان حقا يريد مشاركة السوفيت فى هذه المرحلة . ورد الأسد بصورة غير مباشرة بأن الإجراء المتفق عليه هو أن يذهب ديان إلى واشنطن ، على أن يتبعه مندوب سورى ، وبعدئذ يعود كيسنجر للشرق الأوسط ، وعقب هذا يمكن لفريق عمل

عسكرى أن يضع تفاصيل اتفاق فى جنيف مع حضور سوفيتى .

وبعد فترة وجيزة من عودته من موسكو ، التقى كيسنجر مع ديان فى واشنطن يوم ٢٩ مارس(٤٩) . وحمل ديان معه طلبا للحصول على كمية ضخمة من السلاح - ١٠٠٠ دبابة و ٤٠٠٠ ناقلة مدرعة للجنود وغير ذلك كثير - بالإضافة إلى اقتراح إسرائيلى يحدد خطا لفض الاشتباك يمتد شرق خط ٦ أكتوبر ، مع التأكيد بأن القوات الإسرائيلية ستبقى فى القنيطرة . وتضايق كيسنجر من الاقتراح الإسرائيلى الذى تكمن قيمته الوحيدة - فى رأيه - فى فكرة المنطقة العازلة التى تحيط بها منطقتان شرقا وغربا تنتشر فيهما قوات محدودة . وحذر كيسنجر الإسرائيليين بأن الأسد لن يقبل هذا الخط ، ووصف اقتراحهم بأنه غير ملائم ، ولكنه كرر أنه يتعين على إسرائيل عدم التخلى عن أى من المستوطنات فى هذه المرحلة . وانطلاقاً من خلفية القتال المكثف على الجبهة السورية الإسرائيلية ، طار اللواء السورى حكمت الشهابى إلى واشنطن لإجراء محادثات مع كيسنجر فى ١٣ ابريل . وحمل الشهابى معه خريطة معدلة توضح خط فض الاشتباك الذى يمتد غرب القنيطرة . وبالرغم من كونه بعيدا عن اقتراح ديان ، فقد كان بمثابة تحسن فى موقف سوريا بالمقارنة بموقفها فى يناير . وأطلع كيسنجر الشهابى على الخط الذى اقترحه ديان ووصفه بأنه غير مقبول ، لكنه أكد استصواب فكرة المناطق الثلاث . وألمح كيسنجر إلى أنه سيحاول إقناع الإسرائيليين بالعودة إلى خط ٦ أكتوبر والتخلى عن القنيطرة ، لكن ذلك هو أقصى ما يمكن لسوريا أن تأمل فيه فى هذه المرحلة . وبعد يومين نقل كيسنجر الخريطة السورية إلى السفير الإسرائيلى دينيتز .

وبينما كان كيسنجر يحاول دفع إسرائيل وسوريا إلى تعديل اقتراحيهما ، كان السادات يكرس شهر ابريل لشن حملة صحفية حادة ضد الاتحاد السوفيتى ، وأعلن على الملأ أنه ألغى تقريبا المعاهدة بين الدولتين . وفى ١٨ ابريل أعلن السادات عزمه على إنهاء اعتماده الكامل على السوفيت فى الحصول على السلاح ، وأنه سيسعى للحصول على السلاح من الغرب بما فى ذلك الولايات المتحدة . وكان وزير خارجيته ، إسماعيل فهمى ، فى هذه اللحظة يتحدث مع نيكسون وكيسنجر ، وربما حول نفس الموضوع . والغريب فى الأمر أن الكاتب الصحفى جوزيف ألسوب ، الذى كان من مؤيدى إسرائيل المخلصين منذ أمد طويل ، استجاب لطلب السادات ، ودعا فى ٢٦ ابريل إلى اتباع سياسة أمريكية تجعل الولايات المتحدة المورد الرئيسى للسلاح لمصر . وقال إن هذه السياسة ستؤكد « الانقلاب الكامل فى التحالفات التى يتحدث عنها الرئيس السادات علنا » ، وستكون « أكثر الانتصارات إبهارا فى دبلوماسية القرن العشرين »(٥٠) .

ومع تلك اللهجة فى خطب السادات وفى كتابات ألسوب ، كان من الصعب توقع أن يكون السوفيت فى مزاج توفيقى . ومع ذلك ، التقى كيسنجر وجروميكو عدة مرات خلال ابريل ، وبدا أن كيسنجر نجح على الأقل فى تحييد المعارضة السوفيتية لجهوده الدبلوماسية مع سوريا وإسرائيل . وبتحقيق قدر كاف من الإنجازات خلال مارس وابريل لتبرير جولة أخرى من الدبلوماسية المكوكية ، توجه كيسنجر إلى الشرق الأوسط يوم ٢٨ ابريل . ولم يكن يدرك فى ذلك الوقت ، كم ستكون المفاوضات طويلة وشاقة .

فض الاشتباك السورى الإسرائيلى

كان واضحاً لكيسنجر وزملائه أن التوصل إلى اتفاقية فض الاشتباك بين سوريا وإسرائيل سيكون أصعب بكثير منه بين مصر وإسرائيل . ففى الحالة الأخيرة كان الجانبان يرغبان فى عقد اتفاقية ، واقتربا من الاتفاق على القضايا الأساسية قبل أن يبدأ كيسنجر رحلاته المكوكية . أما فى حالة سوريا وإسرائيل ، فقد كانت مواقف الطرفين متباينة للغاية ، مع غياب الحافز لعقد الاتفاقية ، كما أن الموقف الموضوعى القائم على الساحة لم يكن يساعد كثيرا على الاتفاق ، بالمقارنة بالوضع فى سيناء ، علاوة على أن كلا من سوريا وإسرائيل كان يحكمهما ائتلافان مهزوزان بعض الشىء . ولم يكن أى منهما يملك الظهور بمظهر المتساهل فى المفاوضات .

ومع أن الطرفين المحليين كانا أقل اهتماما بعقد اتفاقية ، فإن الولايات المتحدة كانت تواجه مخاطر أكثر من ذى قبل . وكان عليها ، ضمن أشياء أخرى ، أن تحمى الاتفاقية المصرية الإسرائيلية ، وأن تكفل علاوة على ذلك ، ازدهار العلاقات الأمريكية المصرية . وإذا رفضت سوريا التوصل إلى اتفاقية مماثلة لفض الاشتباك ، فإن موقف السادات سيصبح مهددا فى العالم العربى ، وقد تكسب كتلة الرفض المتطرفة مزيدا من النفوذ ، وقد تُستأنف الحرب على الجبهة السورية ثم تنجرّ مصر إليها . وعلاوة على الخطر المحتمل باشتعال حرب أخرى ، فإن الوضع سيتيح للاتحاد السوفيتى فرصا جديدة لتعزيز وجوده فى المنطقة . وأخيرا ، إذا لم يتم الاتفاق ، قد يُفرض حظر آخر على النفط ، بما يعنيه ذلك من المتاعب .

وكان كيسنجر يعرف أنه سيواجه صعوبات شديدة مع السوريين والإسرائيليين . ولكى يتعامل مع سوريا ، اعتمد كيسنجر على حشد تأييد عربى قوى لجهوده . أما مع الإسرائيليين فإنه لا بد ، كالعادة ، من الجمع بين الجزرة والعصا . وقبل سفر كيسنجر إلى الشرق الأوسط ، تنازل نيكسون عن سداد مليار دولار من أصل ٢,٢ مليار دولار من المعونة المخصصة لتغطية مشتريات إسرائيل من السلاح . وربما كان من شأن ذلك فى الظروف الطبيعية أن يحقق لكيسنجر استقبالا وديا فى إسرائيل ، لكن تلك لم تكن ظروفا طبيعية . وإلى جانب ذلك ، كانت الولايات المتحدة قد صوتت لتوها فى الأمم المتحدة بإدانة إسرائيل فى غاراتها الانتقامية على جنوب لبنان . ومهما كان رصيد كيسنجر السابق لدى الإسرائيليين ، فقد أخذ يتبخر سريعا . وكان لا بد من استخدام سلطة نيكسون كلما اشتدت الأمور ، ولكن هذه السلطة نفسها كانت موضع تساؤل . وفى اليوم التالى لسفر كيسنجر ، أفرج نيكسون عن نصوص تم التلاعب فيها بالمونتاج لعدد من الأشرطة التى تتضمن أحاديث مسجلة بشأن ووترجيت ، ولكنها لم تكن صالحة للقراءة اللازمة للتحقق . وببطء ولكن بثقة بدا أن المسيرة القضائية ستؤدى إلى توجيه الاتهام إلى ريتشارد نيكسون . ولهذا السبب بالذات ، بدا نيكسون متلهفا على نجاح كيسنجر فى مهمته . وعلى مدى الأسابيع التالية ألقى الرئيس البالغ الضعف بثقله مرارا وراء وزير خارجيته فيما تبين أنه كان من أشد تبادل الآراء فظاظة مع القيادة الإسرائيلية على الإطلاق .

ووفق خط سير رحلته ، طار كيسنجر أولا إلى جنيف لإجراء محادثات مع جروميكو ، ومنها

إلى الجزائر ثم مصر ، فقد كان بومدين والسادات من الزعماء العرب الرئيسيين الذين سعى كيسنجر للحصول على تأييدهم . وكانت للجزائريين علاقات وثيقة مع السوريين ، وكان رصيدهم طيبا بوصفهم ثوريين ،[٥١] ولن يتهمهم أحد بأنهم أذناب للأمريكيين . وفي الأسكندرية في اليوم التالي ، تلقى كيسنجر دعوات السادات ونبوءته بأن « صديقي الدكتور هنري » سينجح في مهمته . وبذلك استجمع كيسنجر قواه من أجل المهمة الشاقة لإجراء المحادثات مع الإسرائيليين والسوريين .

وشعر كيسنجر بأنه يتعين على إسرائيل تقديم تنازلات بالنسبة لخط فض الاشتباك ، وأن على السوريين الذين رفضوا أي إنقاص للقوات ، عدا منطقة عازلة ضيقة ، أن يتراجعوا أيضاً . وسيعمل كيسنجر أولا على تحقيق توافق الرأي على خط مقبول . والمأمول بعد ذلك أن تتوالى العناصر الأخرى للاتفاقية في مواضعها .

ولم تؤد محادثات كيسنجر في إسرائيل في ٢ مايو إلى إثارة التفاؤل لديه . كان الإسرائيليون غاضبين من الولايات المتحدة لتصويتها في الأمم المتحدة ، ورفضوا أي تعديل في الموقف الذي قدمه ديان في أواخر مارس . لماذا يكافأ الأسد على حرب شنها ضد إسرائيل وخسرها ؟ ولماذا يحظى الآن بعرض أفضل من السادات الأكثر حكمة ؟ وهل يخدم استرضاء أشد العرب تشددا مصالح الولايات المتحدة ؟ وما الذي سيعتقده العالم إذا خضعت إسرائيل والولايات المتحدة لمثل هذا الابتزاز ؟ وهكذا تواصل الجدل ، إلى أن توجه كيسنجر في يأس إلى نيكسون طالبا مساعدته . ووجه نيكسون خطابا لمائير في ٤ مايو دعاها فيه ألا تسمح للأعمال الإسرائيلية بأن تعرض الاتجاهات الطيبة في المنطقة للخطر . وإلا فإن الولايات المتحدة ، انطلاقا من صداقتها مع إسرائيل وشعورها بالمسؤولية ، ستعيد النظر في العلاقة بين الدولتين .

وفي دمشق في اليوم التالي ، تجنب كيسنجر إجراء مناقشة محددة بشأن الخط الإسرائيلي لفض الاشتباك . وبدلا من ذلك أكد للأسد ضعف الموقف الداخلي لرئيسة الوزراء مائير ، والارتباطات بين سياسة إسرائيل الداخلية وسياستها الخارجية ، ثم أثار موضوع المعونة الأمريكية لمساعدة سوريا في إعادة البناء . وبقي الأسد مصرا على أن يكون خط فض الاشتباك إلى الغرب من خط ٦ أكتوبر ، ولكنه أبدى مرونة بالنسبة للأمور الأخرى مثل تحديد القوات . بيد أنه في اليوم التالي ، أعاد على مسامع كيسنجر « عدم موافقته » على فكرة المناطق محدودة القوات . وحاول كيسنجر بعد ذلك تشجيع الضغوط المصرية والجزائرية والسعودية على الأسد لتوخي الاعتدال في آرائه .[٥٢]

وخلال الأيام التالية ، بدأت إسرائيل في تعديل اقتراحها بشأن خط فض الاشتباك ،[٥٣] بحيث يسمح بأن يعود جزء من القنيطرة إلى سوريا ، ولكن مع التمسك ببقاء الجزء الغربي من المدينة تحت سيطرة إسرائيل . وقال كيسنجر للإسرائيليين إن الأسد لن يقبل هذه الترتيبات . وفي ٧ مايو طار كيسنجر إلى قبرص لإخطار جروميكو بسير المحادثات ، ووجد أن السوفيت مستعدون لاستمرار بقائهم على الحياد .[٥٤]

وبالرغم من إحراز بعض التقدم في إسرائيل يومي ٦ و ٧ مايو لم يكن كيسنجر متفائلا . وفي زيارته لدمشق يوم ٨ مايو كشف للأسد عن بعض التنازلات الإسرائيلية ، ولكنه حجب الباقي حتى

يكون لديه ما يقدمه فى زياراته التالية . وكان هذا التاكتيك محفوفا بالخطر ، غير أن كيسنجر شعر بضرورة تجنب إثارة شهية الأسد التى انفتحت بشدة لتنازلات إسرائيلية كبيرة ، وأن يكون فى نفس الوقت قادرا على إظهار تقدم مستمر .(٥٥) وعلى أى حال ، بدأ الأسد فى ٨ مايو يتحدث بجدية عن خط يمتد على مقربة من الخط الذى اقترحته إسرائيل .(٥٦) وبقيت القنيطرة والتلال الثلاثة المحيطة بها العقبة الكؤود الرئيسية .

وواصل كيسنجر سعيه للحصول على مساعدة مصر والجزائر والسعودية . وكان يحيط الزعماء علما بتطور المفاوضات طالبا تأييدهم . وحاول فى الوقت نفسه إقناع الإسرائيليين بتقديم مزيد من التنازلات ، ولكن بلا جدوى . وفى ٩ مايو ، قام بإبلاغ الرئيس نيكسون بأنه يستعد لما يعتقد بأنه سيكون « اجتماع الذروة » مع الرئيس الأسد يوم ١١ مايو .

وبدلا من تحقيق التقدم المرجو ، واجه كيسنجر حالة من الجمود . فقد أصر الأسد على القنيطرة كلها وعلى التلال الثلاثة المحيطة بها أيضا . ولكن إسرائيل رفضت التنازل عن التلال ، أو « هيمالايا الجنرال جور » كما أسماها كيسنجر . غير أنه فى ١٣ مايو حصل على موافقة إسرائيل على الوجود المدنى السورى فى سائر أنحاء القنيطرة بالإضافة إلى تنازلين صغيرين آخرين .(٥٧) وقرر كيسنجر القيام بزيارة أخيرة لدمشق يوم ١٤ مايو ، يعودُ بعدها إلى واشنطن . وفى دمشق وجد الأسد غير راض عن الاقتراح الإسرائيلى ، ومصرا على أن يمتد الخط عبر قمم التلال وأن تحتل الأمم المتحدة هذه القمم، وليس الإسرائيليون . وهنا أصبحت المساومة حول بضع مئات من الأمتار ، ولكن أيا من الجانبين لم يظهر استعدادا للتنازل .(٥٨)

وعند هذه النقطة ألقى الرئيس نيكسون بثقله وراء كيسنجر ، وحثه على مواصلة العمل لتحقيق الاتفاقية ، ووعده بالتأييد التام . وإذا تعنتت إسرائيل فإن نيكسون مستعد للذهاب إلى أبعد مدى إذا لزم الأمر . وفى ١٤ مايو طلب نيكسون بياناً بكافة أشكال المعونة العسكرية والاقتصادية الموعودة لإسرائيل ، بالإضافة إلى إجمالى التبرعات الخاصة المعفاة من الضرائب لإسرائيل .(٥٩) كما طالب بأفكار حول المعونة لسوريا كأحد الحوافز الممكنة .

وهذا ما كان الإسرائيليون يخشونه منذ أمد بعيد – الضغط عليهم وعرض المعونة للعرب . ولكن نيكسون لم يقطع المعونة عن إسرائيل فى هذه المناسبة . وبدلا من ذلك ، تحركت المفاوضات ببطء إلى الأمام ، بينما كيسنجر يتنقل ذهابا وإيابا فى رحلات مكوكية . وبتشجيع من بعض أعضاء الوزارة الإسرائيلية ، قرر كيسنجر فى ١٥ مايو البدء فى تقديم أفكار من جانبه فى المحادثات مع الأسد والإسرائيليين . وكما سبق أن فعل فى يناير حينما ضاقت الهوة ، فإنه سيحاول إيجاد حل وسط يحقق لكل من الجانبين عدم المساس بمصالحه الأساسية . ولعل السوريين يجدون أن قبول أفكاره أيسر من قبول أفكار الإسرائيليين .

وفى ١٦ مايو نجح كيسنجر فى حث الإسرائيليين على الانسحاب إلى سفوح التلال . وطار من فوره إلى دمشق لاختبار الأفكار التى تقدم بها بنفسه .(٦٠) وفى اليوم التالى أخطر نيكسون بأنه قريب من الاتفاق على خط فض الاشتباك . بيد أنه فى زيارته لدمشق يوم ١٨ مايو ، بدت

الفجوة الباقية وكأنها لا يمكن تخطيها . وقرر كيسنجر الرحيل ، وشرع فى إعداد بيان المغادرة ، وأمر بإرسال حقائبه إلى الطائرة . وفى اللحظة الأخيرة أسقط الأسد إصراره على السيطرة على التلال غرب القنيطرة ، وحث كيسنجر على مواصلة الجهود من أجل الاتفاقية ، وقال إن إسرائيل تستطيع الاحتفاظ بالتلال إذا ضمن له كيسنجر عدم وضع أسلحة ثقيلة هناك قادرة على ضرب القنيطرة . وفى ١٩ مايو استطاع كيسنجر الحصول على موافقة إسرائيل على مطلب الأسد . وفى ٢٠ مايو عاد إلى دمشق ومعه خريطة بالخط المقبول .

وعندما أصبح الاتفاق مضمونا على خط فض الاشتباك ، نشأت مشكلة تحديد القوات وحجم المناطق محدودة السلاح .(٦١) وبالإضافة إلى ذلك ، أراد الأسد أن تتنازل إسرائيل عن كافة النقاط فى جبل الشيخ . كما أرادت سوريا تواجد قوة صغيرة تابعة للأمم المتحدة فى المنطقة العازلة ، بينما فضلت إسرائيل ألا تقل قوات الأمم المتحدة عن ألفين إلى ثلاثة آلاف جندى . وبعد يومين آخرين من المساومة حول هذه المسائل ، بدأ كيسنجر فى ٢٢ مايو يفقد حماسه . ومرة ثانية ، عكف على إعداد بيان المغادرة وعزم على الرحيل فى اليوم التالى . غير أن مصر كانت قد أوفدت اللواء الجمسى إلى سوريا . وبحلول موعد زيارة كيسنجر التالية لدمشق فى ٢٣ مايو ، أقدم الأسد على تغيير موقفه بقبول قوة كبيرة تابعة للأمم المتحدة ، وبمنطقة عازلة بعمق عشرة كيلومترات ومناطق محدودة القوات بعمق خمسة عشر كيلومترا . ولكنه ظل يصر على حجم كبير من التسليح فى المناطق المحدودة ، بينما وافق على الفكرة التى نشأت على الجبهة المصرية بالاحتفاظ بصواريخ أرض - جو ومدفعية ثقيلة لا يصل مداها إلى خطوط الجانب الآخر . وعاد كيسنجر إلى إسرائيل فى ٢٤ مايو حيث واجه مطلبا بأن يلتزم الأسد بمنع الهجمات الإرهابية من وراء خطوطه . كما طالبت إسرائيل بالتزام أمريكى بعدم انسحاب قوات الأمم المتحدة إلا بموافقة طرفى الاتفاقية . كذلك أرادت إسرائيل الحصول على تأكيدات بالإمدادات العسكرية على المدى الطويل . وبدءا من هذه النقطة ، كانت رئيسة الوزراء مائير ووزير الدفاع ديان خير عون وأكثر مرونة فى إعداد تفاصيل الاتفاقية .

وفى ٢٦ مايو بدأت صياغة الوثائق النهائية . ومما أثار ذعر كيسنجر أن الأسد أعاد إثارة المسائل التى كان يعتقد أنها قد تمت تسويتها . ومرة أخرى بدا وكأن المحادثات على حافة الانهيار .(٦٢) وفى ٢٧ مايو تراجع الأسد ، وبعد عشر ساعات من المحادثات وافق كيسنجر على القيام بزيارة أخرى لإسرائيل للتوصل إلى حلول وسط بشأن عدد آخر من النقاط . ثم فى يوم ٢٨ مايو ، وعلى مدى أربع ساعات من المحادثات المنفردة ، قدم الأسد لكيسنجر التزامه الشفوى بأنه لن يسمح بأن يكون الجانب السورى من خط فض الاشتباك مصدرا للهجمات الإرهابية ضد إسرائيل . طار كيسنجر إلى إسرائيل ، وفى جعبته هذا التنازل . وصدر الإعلان يوم ٢٩ مايو بأن سوريا وإسرائيل توصلتا إلى اتفاق على شروط اتفاقية فض الاشتباك . وبعد يومين وقع الممثلون العسكريون السوريون والإسرائيليون الوثائق اللازمة فى جنيف .(٦٣)

وتتكون الاتفاقية من وثيقة معلنة ، وخريطة ، وبروتوكول بشأن وضع قوات الأمم المتحدة ، وعدة رسائل سرية بين الولايات المتحدة والطرفين تتناول بالتفصيل التفاهم على مستوى القوات ومسائل أخرى .(٦٤) وتضمنت اتفاقية تحديد حجم القوات تعيين منطقة عازلة تابعة للأمم المتحدة

موازية لخط ما بعد ١٩٦٧ بما فى ذلك مدينة القنيطرة . وفى منطقتين بعمق عشرة كيلومترات شرق المنطقة العازلة وغربها ، يحق لكل من الطرفين وضع لواءين ، على ألا يزيد عددهما على ٦٠٠٠ رجل مع ٧٥ دبابة و ٣٦ قطعة مدفعية قصيرة المدى (١٢٢ ملليمترا) . وفى المناطق المتاخمة وبعمق عشرة كيلومترات لا يسمح بوجود مدفعية يزيد مداها على عشرين كيلومترا وما لا يزيد على ١٦٢ قطعة مدفعية ، ولا يسمح بنصب صواريخ أرض - جو أقرب من ٢٥ كيلومترا من خطوط الجبهة . وتتمتع قوات الأمم المتحدة لمراقبة فض الاشتباك بحق التفتيش فى هذه المناطق ، وتقوم طائرات الاستطلاع الأمريكية برحلات استطلاعية مثلما هو الوضع بالنسبة لاتفاقية يناير المصرية الإسرائيلية . كما تم التوصل إلى اتفاق حول تبادل الأسرى . وأعلن كل من الطرفين أن فض الاشتباك ليس إلا خطوة نحو سلام عادل ودائم على أساس قرار الأمم المتحدة ٣٣٨ .

وكتب نيكسون للأسد رسالة فى ٢٩ مايو يؤكد فيها أن إسرائيل سوف تلتزم بوقف إطلاق النار فى التلال المحيطة بالقنيطرة ، وأن أية قوات أو أسلحة إسرائيلية لن توضع فى المنحدرات الشرقية للتلال ، وأنه لن توضع أسلحة فى التلال قادرة على إصابة القنيطرة بالنيران . كما أبلغ نيكسون الإسرائيليين أن الفقرة الأخيرة من الاتفاقية المعلنة ينبغى تفسيرها لتعنى أن غارات رجال حرب العصابات منافية لوقف إطلاق النار ، وأن الولايات المتحدة تعترف بحق إسرائيل فى الدفاع عن النفس فى حالة حدوث الانتهاكات . وكما هى العادة ، أصر الإسرائيليون أيضا على مذكرة تفاهم تتناول الاحتمالات مثل انهيار وقف إطلاق النار بمبادرة سورية ، وبتحديد خطى المفاوضات . وفيما يتعلق بالسوريين ، ألزمت الولايات المتحدة نفسها بالعمل من أجل التطبيق الكامل لقرار الأمم المتحدة ٣٣٨ .

وبتوقيع الاتفاقية بين سوريا وإسرائيل ، وكذلك الاتفاقات الجانبية التى تم تبادلها عن طريق الولايات المتحدة ، أمكن لنيكسون وكيسنجر أن يشيرا إلى إنجاز رائع آخر فى دبلوماسية الشرق الأوسط التى ينتهجانها . كانت الخطوة فى حد ذاتها متواضعة ، ولكنها فى ضوء التاريخ الحديث للعلاقات السورية الإسرائيلية كانت خطوة جوهرية حقا . وبقى السؤال الحائر ، بطبيعة الحال ، عما إذا كانت خطوة نحو اتفاقية سلام أكثر شمولا ، أم سيثبت أنها مجرد فترة هدوء قبل نشوب جولة جديدة من القتال فى وقت لاحق . هل كان كيسنجر عازما على مواصلة جهوده ، أم أنه - بعد شهر كامل من المفاوضات القاتلة والصعبة من أجل نتائج محدودة - سينتهى إلى استحالة تحقيق مزيد من التقدم ؟ وهل تبقى « الخطوة خطوة » أسلوبه التاكتيكى المفضل ، وإذا كان ذلك صحيحا ، فأين تكون الخطوة التالية ؟ كان لا بد من تناول كل هذه الأسئلة فى المستقبل القريب . ولكن الرئيس نيكسون كان يريد أولا أن يجنى ثمار الجهود التى بذلها كيسنجر ، وذلك بالقيام بجولة خاطفة فى الشرق الأوسط ، وقد يساعد ترحيب الجماهير المصرية به على أن يصرف ذهنه بعيدا عن ووترجيت .

رحلة نيكسون إلى الشرق الأوسط

كانت رحلة الرئيس نيكسون إلى الشرق الأوسط أمرا غير مألوف .[٦٥] وكان من المحتم أن تصحبه حاشية ضخمة من المعاونين ورجال الأمن والصحفيين . وقد تم إعداد كل تفاصيل الزيارة بواسطة وفود متقدمة . وكادت الحكومات المحلية تغرق إزاء هجمة الفنيين الأمريكيين وخبراء العلاقات العامة وأطقم التليفزيون والطفيليين من كل نوع .

ولم يكن نيكسون نفسه فى صحة جيدة نظرا لالتهاب ساقه وتقرحها ، بسبب تعرضه لنوبة طفيفة من التهاب الوريد . كما يبدو أن حالته الانفعالية لم تكن صافية هى الأخرى . ويتردد أنه كان يقضى أوقات فراغه فى الاستماع إلى أشرطة ووترجيت التى قد تؤدى إلى إدانته . وكانت اللجنة القضائية لمجلس النواب تعقد جلسات استماع حول ما إذا كانت هناك أدلة كافية تدعو إلى توجيه الاتهام له . وطُلب حضور نيكسون للإدلاء بشهادته ، ولكنه رفض الحضور . وأصبح الأمر متروكا لقرار تتخذه المحكمة العليا .

وحتى كيسنجر كان هدفا للاتهام ، ليس لجهوده فى الشرق الأوسط التى حظى بسببها بقدر هائل من الثناء ، وإنما لدوره المزعوم فى إصدار الأوامر بالتنصت على موظفى مكتبه فى عام ١٩٦٩ . وفى سالزبورج يوم ١١ يونيو ، المحطة الأولى للوفد الرئاسى ، نفى كيسنجر بانفعال ارتكاب أى خطأ ، وهدد بالاستقالة إذا لم تبرأ ساحته . ولكن الشخص الوحيد الذى كان قادرا على تبرئة كيسنجر فورا ، بأن يتحمل هو مسؤولية تسجيلات التنصت ، أى الرئيس نيكسون ، بقى صامتا .

وعلى مدى بضعة أيام تالية ، بدا كيسنجر عابسا فى الخلفية ، بينما يحظى نيكسون باستقبال حماسى على نحو لا يصدق فى القاهرة والاسكندرية . وذهب السادات إلى آماد بعيدة ليؤكد الصفحة الجديدة فى العلاقات الأمريكية المصرية التى ساعد على فتحها . وأمام الجماهير كان الود سائدا بين الرجلين ، وكادت تنجح الجماهير الغفيرة فى رفع معنويات نيكسون الواهنة . فتلك فى النهاية الزيارة الرسمية الأولى التى يقوم بها رئيس أمريكى إلى مصر ، ونيكسون يعشق أن يكون الأول ، بالإضافة إلى أنه يحق له أن يفخر بنتائج سياسته الخارجية ، وقد رأى نفسه رجلا يعمل من أجل السلام فى مواجهة أعداء فى الداخل والخارج ، واعتبر نفسه شخصية لها شأنها لا يستطيع أن يفهمها أولئك الذين يسعون إلى إسقاطه . وبدأت تعتريه لمسة من الاستشهاد خلال ذلك بمخالفته تعليمات طبيبه ، وإجهاد نفسه أكثر من اللازم بالبقاء أمام الجماهير المصرية المهللة .

وفى لقاءاته الخاصة كان نيكسون متحفظا ، والحديث معه متكلفاً وتتخلله لحظات صمت عديدة .[٦٦] غير أنه قدم وعودا بمعونة أمريكية مستقبلا ، وبأن يسمح لمصر بشراء مفاعل نووى لإنتاج الطاقة ،[٦٧] وبأن تستمر المعونة الاقتصادية ، بل إنه أهدى السادات طائرته الهليكوبتر الخاصة . وفى المجال الدبلوماسى وعد نيكسون بالعمل على عودة الحدود الدولية لمصر فى إطار تسوية نهائية ، وهو الموقف الذى لم يسبق اتخاذه منذ خطة روجرز سيئة الطالع عام ١٩٦٩ . ووافق نيكسون أيضاً على ضرورة إشراك الفلسطينيين فى المفاوضات فى موعد مبكر . واقترح السادات أن تقوم الولايات المتحدة بالاتصال سرا بقادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وأبدى نيكسون

تجاويا وإن لم يلتزم بشيء . وفى ختام المباحثات صدر بيان مشترك بالمبادىء .

ثم طار نيكسون إلى المملكة العربية السعودية حيث أمضى يومى ١٤ و ١٥ يونيو فى مباحثات ، كان التركيز فيها بالدرجة الأولى على تقوية العلاقات الثنائية وعلى النفط . وتوجه بعد ذلك إلى دمشق حيث كان الاستقبال متحفظا بعض الشيء ، وأجرى محادثات ودية مع الرئيس الأسد . وعادت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كاملة فى ١٦ يونيو . كما بحث نيكسون والأسد الخطوات التالية فى عملية صنع السلام . وقال نيكسون إنه ينبغى أن يعود مؤتمر جنيف إلى الانعقاد فى سبتمبر .

واعترت الأسد مشاعر الدهشة والابتهاج ، وهو يتابع شرح نيكسون بأن الهدف من دبلوماسية الخطوة خطوة هو إقناع الإسرائيليين بالانسحاب تدريجيا على الجبهة السورية إلى أن يصلوا إلى حافة مرتفعات الجولان ثم يسقطون منها ويعودون إلى الحدود القديمة .(٦٨) كانت الصورة خيالية ، ولكن السوريين أخذوها على محمل الالتزام بالعمل من أجل انسحاب إسرائيلى كامل . ولدى مغادرته دمشق ، كان نيكسون قد أعد قائمة طويلة بمشروعات المعونة المحتملة التى يمكن تقديمها لسوريا . ولكنه كان يخشى أن يطالب الأسد بحوافز كبيرة ليحافظ على سلوكه الحسن .

وبتوقفه فى المحطة التالية – إسرائيل – كان نيكسون على سجيته أكثر من ذى قبل . بيد أن جولدا مائير ، صديقته وخصمه الجدير بالتقدير فى الأزمات السابقة ، لم تعد نظيره المضيف له ، وإنما اسحق رابين رئيس الوزراء الجديد الذى كان نوعا من الكم غير المعروف بالرغم من السنوات التى قضاها في واشنطن سفيرا . ولم يجد الإسرائيليون ، الذين لم يتم إخطارهم مسبقا ، شيئا يسر فى العرض الأمريكى بتقديم مفاعلات نووية لمصر ، ولكى يهدىء نيكسون من روعهم ، قدم لهم نفس العرض . كما تحدث طويلاً عن أهمية التعامل بسرعة مع الملك حسين بشأن مصير الضفة الغربية ، وألمح إلى أنه من الأفضل التعامل مع حسين الآن عن التعامل مع عرفات فيما بعد .(٦٩) ولدى مناقشة قضية الإرهاب مع الإسرائيليين ، أدهش نيكسون مضيفيه عندما قفز من مقعده معلنا أن هناك طريقة واحدة لا غير للتعامل مع الإرهابيين . وعلى غرار رجال عصابات شيكاغو ، أطلق نيران مدفع رشاش خيالى فى اتجاه أعضاء الوزارة المجتمعين . كان ذلك تصرفا غريبا من رئيس غريب . ولكن هل هو أفضل أصدقاء إسرائيل أم أخطر أعدائها ؟ كان الرد صعبا .

ختم نيكسون جولته السريعة فى الشرق الأوسط بزيارة الأردن . وإذ كان مصرا على بدء المحادثات المتعلقة بفض الاشتباك على الجبهة الأردنية الإسرائيلية ، فقد دعا نيكسون حسين لزيارة واشنطن فى أواخر يوليو .

وفى ١٩ يونيو عاد نيكسون إلى واشنطن . وبعد ثلاثة أيام استكملت اللجنة القضائية جلسات الاستماع التى تابعتها الجماهير باهتمام شديد على شاشات التليفزيون ، فى نفس الوقت الذى كان الرئيس يقوم فيه بجولته فى الشرق الأوسط . وفى ٢٤ يونيو وجهت اللجنة أربعة استدعاءات أخرى لنيكسون . وفى اليوم التالى غادر نيكسون البلاد إلى موسكو ، فقد كانت مهام الدولة لا تزال توفر له قدرا من الراحة من ووترجيت ، كما أنه كان واثقا من أن الزعماء السوفيت لن يأخذوا على محمل الجد الاتهامات الموجهة له بعرقلة سير العدالة وسوء استعمال السلطة .

الأيـام الأخـيرة

ولدى عودته إلى واشنطن ، وافق نيكسون فى آخر يوم من السنة المالية على إعفاء إسرائيل من سداد ٥٠٠ مليون دولار من حساب شراء السلاح ، وتلك قطعة كبيرة من الجزر كحافز توقعا للمفاوضات المرتقبة بين الأردن وإسرائيل . وطوال شهر يوليو واصل نيكسون وكيسنجر الضغط من أجل عقد اتفاقية .(٧١) وكان السادات على استعداد لتغيير موقفه السابق ، وأن يؤيد الملك حسين متحدثا باسم الفلسطينيين المقيمين فى المملكة الأردنية الهاشمية .(٧٢) أما الوزارة الإسرائيلية ، التى كانت تلهو بصيغة تسمح لإسرائيل بالتحدث مع منظمة التحرير الفلسطينية إذا وضعت المنظمة حدًّا للأعمال الإرهابية وقبلت ببقاء إسرائيل ، فسرعان ما عكست موقفها وعادت إلى الموقف القائل بأن الأردن هو المتحدث باسم الفلسطينيين .(٧٣) غير أن مجلس الوزراء رفض فى ٢١ يوليو فكرة فض الاشتباك على طول نهر الأردن . ولم يتمكن كيسنجر فى محادثاته مع وزير الخارجية إيجال آلون ، من إقناع الإسرائيليين بتغيير موقفهم .(٧٤)

وتعطل التدخل الأمريكى من أجل عقد اتفاقية بين الأردن وإسرائيل تعطيلا مؤقتا بسبب نشوب أزمة أخرى فى الشرق الأوسط ، وهذه المرة فى قبرص . وعلى مدى عدة أسابيع انشغل كيسنجر وكبار معاونيه فى محاولة لمنع اليونان وتركيا ، عضوى حلف الأطلنطى ، من الاشتباك فى حرب بينهما . ولأول مرة منذ شهور تراجعت أهمية النزاع العربى الإسرائيلى أمام أزمة فى مكان آخر من العالم .(٧٥)

ولكن الأزمة الأخطر ، من بعض النواحى ، كانت فى واشنطن . ففى ٢٤ يوليو قضت المحكمة العليا بالإجماع بأن يقدم نيكسون تسجيلات للأربعة والستين شريطا المطلوبة قضائيا . وبعد ثلاثة أيام بدأت اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب فى التصويت على المادة الأولى من قرار الاتهام المؤلف من ثلاث مواد . وبدا نيكسون متمسكا بالنضال حتى الرمق الأخير لإنقاذ رئاسته وسمعته . إلا أنه حدث فى ٥ أغسطس أن أذيع على الملأ الدليل الأخير الذى أبعد عنه حتى أخلص مؤيديه . ففى محادثة مسجلة فى ٢٣ يونيو ١٩٧٢ ، بعد فترة وجيزة من بدء انتشار قصة ووترجيت ، كان صوت نيكسون واضحا وهو يأمر باستخدام وكالة المخابرات الأمريكية لمنع التحقيق الذى يقوم به مكتب التحقيقات الفيدرالى فى القضية . وبعد يومين توصل الرئيس مرغما إلى القرار بأنه يتحتم عليه الاستقالة ، وهو القرار الذى أعلنه فى التاسعة من مساء ٨ أغسطس . وعند ظهر يوم ٩ أغسطس لم يعد نيكسون رئيسا . وأدى خليفته جيرالد فورد اليمين القانونية ليصبح أول رئيس غير منتخب فى تاريخ البلاد . وأسرع فورد بطمأنة الأمة المضطربة بأن وزير الخارجية هنرى كيسنجر باق فى الوزارة لتسيير السياسة الخارجية للبلاد . وكان لا بد أن تمر فترة من الزمان قبل أن تصبح شؤون الشرق الأوسط من المهام الرئيسية للرئيس الجديد . وكان لدى كيسنجر نفسه مشاغل أخرى فى الأسابيع التالية . وبدت دبلوماسية الخطوة خطوة وكأنها وصلت إلى نهايتها ، فى الوقت الحالى على الأقل .

خلاصة

يتعذر الوقوف بدقة على ما إذا كانت السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ستختلف كثيرا لو لم تحدث الآثار الضارة التي ترتبت على فضيحة ووترجيت . وعلى العموم يبدو أن الإجابة هي لا ، إذ أن السياسة التى نشأت عن أزمة أكتوبر لم يكن لها شأن كبير بووترجيت ، بل كانت تهدف إلى إنهاء الضغوط المتعددة التى ولدتها الحرب ، وإلى وضع الولايات المتحدة في موقع التأثير في عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب . وما كان فى الوسع رفع مستوى الالتزام أو الجهود المبذولة فى انتهاج هذه السياسة . كما لا يبدو أنه كان يمكن السير بالدبلوماسية بخطى أسرع ، أو أنه يمكن التوصل إلى اتفاقيات أكثر . فقد كان الإسرائيليون والمصريون والسوريون يعملون فى ظل قيود قاسية ، إلى حد أن اتفاقيات فض الاشتباك المتواضعة وترت أنظمتهم السياسية ودفعتها إلى حافة الانهيار تقريبا .

وقد تعرض كيسنجر للنقد بسبب قرارات معينة اتخذها أثناء المفاوضات ، مثل الحيلولة دون توصل الإسرائيليين والمصريين إلى اتفاقية عند الكيلو ١٠١ فى شهر نوفمبر . كما اتهم ببذل ضغوط كبيرة للغاية على إسرائيل ، وبأنه كان بعيدا عن الاستقامة فى تعاملاته مع الأطراف ، وبكونه رجل تاكتيك أكثر منه رجل استراتيجية . غير أن منتقديه نادرا ما قدموا بديلا مقبولا لدبلوماسية الخطوة خطوة التدريجية ، وقليلون هم الذين يستطيعون القول بأن إنجازا أكبر كان يمكن تحقيقه فى الشهور السبعة الأولى بعد حرب أكتوبر .

بيد أن ثمة شكوكا جادة حول ما إذا كان كيسنجر يرى فى دبلوماسيته خطوة نحو تسوية سياسية شاملة ، أم أنه ، وهو الرجل الذى اتهم مرارا بالتشاؤم ، كان يرى أن جهوده تهدف إلى كسب الوقت وإلى إنقاص الضغوط على الولايات المتحدة وإسرائيل . فقد كان كيسنجر يؤكد للعرب دائما الهدف الأول ، بينما يؤكد للإسرائيليين الهدف الثانى .

وإذا أريد أن توضع دبلوماسية الخطوة خطوة كما انتهجها كيسنجر فى الميزان ، فإنها ستحصل على تقدير عال بوصفها منهجا تاكتيكيا ، ولكنها ستفشل فى نقل أى شعور بالغاية بعيدة المدى ، إذ أن كسب أو خسارة بضعة كيلومترات فى سيناء أو الجولان لم يكن بالتأكيد يستحق أزمات الثقة المتكررة مع إسرائيل ولا عروض المعونة السخية لجميع الأطراف . ولكن تبرير كيسنجر لجهوده يقوم على أنه إذا لم يتم التوصل إلى اتفاقيات فض الاشتباك لنشبت حرب أخرى ، يصحبها فرض حظر آخر على النفط ، وعودة النفوذ السوفيتى إلى العالم العربى . وأن الحيلولة دون وقوع هذه الهزات هى مبرر كاف لأسفاره اللا نهائية ولمشاركته القوية فى مفاوضات فض الاشتباك .

كانت معرفة كيسنجر بالأمور التى يريد أن يتجنبها أفضل من معرفته بما يمكن أن يحققه من أهداف إيجابية . وكانت حرب أكتوبر بمثابة المرجع المباشر الذى يعود إليه دائما ، إذ كان الدرس المجرد المستمد من تلك الأزمة هو أن الوضع القائم فى الشرق الأوسط متقلب وخطير ، وقد يتفاقم ، مما يؤدى إلى آثار خطيرة على المصالح الأمريكية العالمية والإقليمية . ولذلك كان من اللازم تثبيت الوضع القائم من خلال الجمع بين الدبلوماسية وشحنات السلاح . كما يتعين البدء

فى عملية سياسية تقدم للعرب بديلا للحرب ، غير أنه يتحتم تنفيذها بخطى يقبلها الإسرائيليون . كان ذلك هو نطاق العملية الأولى لتشكيل المفاهيم لدى نيكسون وكيسنجر . لم تكن هناك خطة سلام أمريكية شاملة ، الأمر الذى سبقت محاولته عام ١٩٦٩ وفشل .

وبدون صورة مقنعة توضح إلى أين تتجه دبلوماسية الخطوة خطوة ، هل يستطيع أطراف المفاوضات على الإطلاق التصدى للمسائل الجوهرية مثل السلام والأمن والفلسطينيين ؟ وهل تستطيع الولايات المتحدة أن تبقى غير ملتزمة بالنتائج إلى ما لا نهاية ؟ لا شك أن الرد كان بالنفى . وقد وجد نيكسون نفسه فى منتصف عام ١٩٧٤ يقدم التزامات خاصة للسادات والأسد ورابين وحسين حول اتجاه الدبلوماسية الأمريكية .

وقد كان فى إمكان دبلوماسية الخطوة خطوة فى ظل قيادة رئاسية قوية أن تتحول إلى البحث عن تسوية أوسع ، تشمل الأردن والفلسطينيين . وبدلا من ذلك ، كانت الولايات المتحدة غارقة فى أزمة سلطة لم يسبق لها مثيل ، ولم يكن من المحتمل أن يقدم خليفة نيكسون تصورا واضحا للهدف فى السياسة الخارجية . وهكذا بقيت دبلوماسية الخطوة خطوة بمثابة تاكتيك لكسب مزيد من الوقت ، أى تاكتيك منفصل عن المفهوم السياسى الأشمل للسلام فى الشرق الأوسط . وإزاء عدم قدرة كيسنجر على التحرك إلى ما هو أبعد من دبلوماسية الخطوة خطوة ، ولخوفه مع ذلك من ضياع قوة الدفع فى حالة عدم تحقيق أية نتائج ، اضطر إلى مواصلة البحث عن حلول جزئية ، سواء على الجبهة الأردنية أو المصرية ، أيهما بدا تحقيقه أكثر يسرا . وقد ضاعت الفرصة لوضع سياسة أكثر طموحا عندما اضطر نيكسون إلى الاستقالة ، وكان لا بد من أن يمضى وقت طويل قبل أن تظهر مبادرة أمريكية قوية جديدة فى الشرق الأوسط .[٧٦]

الباب الثالث

فترة رئاسة فورد

الفصل التاسع

ماذا بعد فض الاشتباك ؟
فورد وكيسنجر ، ١٩٧٥

لم تكن رئاسة جيرالد فورد أمرا ورادا . وهو لم يسع إلى المنصب . ولكن باعتباره عضوا قديما فى مجلس النواب كان طموحه السياسى أن يصبح رئيسا للمجلس ، إلى أن اختاره ريتشارد نيكسون نائبا للرئيس فى أكتوبر ١٩٧٣ . وبعد أقل من سنة ، أى فى أوائل أغسطس ١٩٧٤ حمل الفصل الأخير من أزمة ووترجيت جيرالد فورد إلى البيت الأبيض .

وهناك افتراض قوى فى السياسة الأمريكية بأن من يشغل المكتب البيضاوى مسألة هامة . إذ أن مبالغ هائلة تنفق على حملات الانتخابات الرئاسية . والاعتقاد السائد أن حرية الرئيس فى الاختيار أكبر فى مجال السياسة الخارجية منها فى أى مجال آخر ، أو هكذا كان يبدو الحال فى فترة ما قبل فيتنام وما قبل ووترجيت .

غير أن هذا الرئيس كان مختلفا عن سابقيه . فهو لم ينتخب . ونشأت شعبيته فى البداية مما يبدو عليه من أمانة وصراحة ، وليس من الثقة فى قدراته أو فى قيادته . وحتى هذه الشعبية بدأت تضمحل بعد عفوه عن ريتشارد نيكسون . وكان واضحا أن السياسة الخارجية ليست مجاله من حيث الخبرة ، وبدا من المرجح أنه سيذعن فيها لوزير خارجيته ومستشاره للأمن القومى ذائع الصيت ، هنرى كيسنجر . ولكن هل كان يمكن لكيسنجر أن يظل بمثل فعاليته فى الماضى فى حالة عدم وجود رئيس قوى يؤيد مبادراته ؟ وبالرغم من أن كيسنجر كان يضمر بعض الشكوك تجاه نيكسون ، فقد كان معجبا بحسم نيكسون واستعداده لتحمل المخاطر . فهل يتمتع فورد بنفس الصفات ؟ .

لم يكن الكثير معروفا عن آراء فورد فى السياسة الخارجية بصفة عامة . لقد كان بوصفه عضوا فى الكونجرس يؤيد اتباع سياسة دفاعية قوية ، وساند نيكسون فى سياسته الخاصة بجنوب شرق أسيا . وكان معروفا بكونه صديقا حميما لإسرائيل ، وفيما عدا ذلك لم تكن أفكاره بشأن الشرق الأوسط مؤكدة . وكان الأرجح أن يمضى بعض الوقت قبل أن تتشكل سياسة خارجية متميزة لفورد . وكان على كيسنجر أن يظل مسؤلا لفترة من الزمن .(١)

وكان كيسنجر قد انتهج دبيلوماسية الخطوة خطوة كوسيلة للتعامل مع المشكلات الناجمة عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولإقرار وضع الولايات المتحدة باعتبارها الوسيط الدبلوماسى الأساسى بين الإسرائيليين والعرب . وبالرغم من بعض التحفظات فقد ارتضت مصر وسوريا وإسرائيل نهج

كيسنجر ، كما أنه استطاع الحصول على التأييد أو الموافقة الضمنية من جانب المملكة العربية السعودية والجزائر والأردن . وفي منتصف عام ١٩٧٤ تم توقيع اتفاقيتين لفض الاشتباك مما يشهد بنجاح جهود كيسنجر . ولكن القضايا القائمة بين إسرائيل وجيرانها العرب كانت تتجاوز حدود فض الاشتباك بين القوات العسكرية ، ومن ثم يتعين أن تعالج التحركات الدبلوماسية اللاحقة عديدا من المسائل السياسية الأكثر تعقيدا من تلك التي بحثت في الجولة الأولى من دبلوماسية الخطوة خطوة .

ربما راودت كيسنجر الشكوك بشأن الحكمة من وراء استمرار السعي لعقد اتفاقات سياسية على الجبهات العربية كل على حدة . ولكن ما هي البدائل ؟ الأمر المؤكد أن المفاوضات الشاملة في جنيف سيكتب لها الفشل إذا لم يسبقها إعداد دقيق . فقد كان الإسرائيليون حذرين من جنيف ، وكان كيسنجر نفسه يعارض إعادة الاتحاد السوفيتي إلى تحركات صنع السلام . وأية تسوية تفرضها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تستلزم درجة من الاتفاق بين الدولتين العظميين أكبر مما هو قائم ، كما تحتاج إلى رئيس أمريكي قوي . وكان توقف الدبلوماسية الأمريكية احتمالا واردا ، ولكن من شأنه المخاطرة بإضعاف ائتلاف البلدان العربية « المعتدلة » الذي كان كيسنجر يعمل على توطيده .

وعلى أساس استبعاد البدائل الأخرى ، عاد كيسنجر إلى دبلوماسية الخطوة خطوة بكل قيودها الواضحة باعتبارها أفضل وسيلة للإبقاء على عملية السلام مستمرة . ولكن ، من أين يبدأ ؟ وكانت الإجابة دون تفكير دقيق ، هي الجبهة الأردنية الإسرائيلية . وكان الاعتقاد غير المعلن أنه من الجدير بالمحاولة إدخال الأردن في العملية الدبلوماسية كوسيلة لاستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية الأكثر راديكالية . كما سيواصل كيسنجر الضغط من أجل خطوة ثانية بين مصر وإسرائيل .(٢)

تسوية أردنية إسرائيلية ؟

واجه كيسنجر في المفاوضات على الجبهة الأردنية الإسرائيلية مشكلات لم تسبق لها مثيل . ولم يكن « فض الاشتباك » مفهوما ملائما في هذه الحالة ، حيث إنه لم يكن هناك اشتباك عسكري بين الدولتين في حرب أكتوبر . وبدلا من فصل القوات العسكرية على خطوط وقف إطلاق النار ، كان على كيسنجر أن يتعامل مع قضايا سياسية حساسة مثل السيادة ووضع الفلسطينيين . وبالرغم من التعاون الضمني القائم على بعض المستويات بين الأردن وإسرائيل ، فإن احتمالات التوصل إلى اتفاقية بدت ضعيفة بصورة غير عادية ، الأمر الذي يعود إلى حد كبير إلى السياسة الداخلية الإسرائيلية والضغوط العربية على الملك حسين . وكانت إسرائيل حينذاك يقودها زعيم لم تسبق تجربته أو اختباره ، هو رئيس الوزراء اسحق رابين . وكان يتعين عليه فيما يتعلق بأمور السياسة الخارجية أن يعمل بصورة وثيقة مع وزير دفاعه المحبوب شعبيا ، شيمون بيريز ، ومع وزير خارجيته ، إيجال آلون . ولسوء حظ رابين أن هذين العضوين في وزارته لم تتفق وجهات نظرهما . وكان توافق الرأي الوحيد الذي استطاع رابين التوصل إليه بالنسبة للضفة الغربية سلبيا بالدرجة الأولى : إنه سيدعو لإجراء انتخابات قبل الموافقة على أي شيء يمس الأراضي الأردنية السابقة .

وكانت الضغوط على الملك حسين تشكل قيودا مماثلة ، وإن كانت أقل تركيزا . وكان إحساسه بالمسؤولية وخوفه المفهوم من الاتهام بالتفريط لصالح إسرائيل ، قد أديا به إلى الإصرار على شروط للمفاوضات يستطيع الدفاع عنها أمام العرب الآخرين وأمام الفلسطينيين . وبالرغم من ميوله « المعتدلة » وقبوله الصادق لحق إسرائيل في الوجود ، لم يكن حسين فى موقف يسمح له بالإذعان لمطالب إسرائيل . كان فى حاجة ليثبت لشعبه والعالم العربى أنه ، مثل الرئيسين الأسد والسادات ، قادر على استعادة الأراضى العربية التى تسيطر عليها إسرائيل ، وأنه فوق كل شىء لن يقبل بما تطلبه إسرائيل من أن يتولى إدارة المناطق المأهولة بالسكان فى الضفة الغربية فى حين تحتفظ إسرائيل بالسيطرة العسكرية على المنطقة .

وأدرك كيسنجر خطر أن المفاوضات على الجبهة الأردنية الإسرائيلية قد تفشل . وفى هذه الحالة فإن قوة الدفع التى كان يأمل فى استمرارها من خلال ديبلوماسية الخطوة خطوة قد تتبدد ، وقد يضيع وقت ثمين ، وقد تتعرض سمعة كيسنجر الخاصة للضرر . وكانت هناك استراتيجية بديلة ؛ ألا وهى التركيز على خطوة سريعة أخرى على الجبهة المصرية الإسرائيلية ، ثم الانتقال إلى مفاوضات أكثر شمولا فى جنيف عام ١٩٧٥ . وتردد كيسنجر ، ولكنه حزم أمره أخيرا وأقدم دون حماس على محاولة فى اتجاه عقد اتفاقية أردنية إسرائيلية .

وبعد بضعة أيام من تولى فورد الرئاسة ، بدأ يتباحث مع ديبلوماسيى وزعماء الشرق الأوسط ، بينما كان كيسنجر يحاول أن يوقفه على تعقيدات المفاوضات العربية الإسرائيلية حتى آخر لحظة . وكان أول القادمين لإجراء محادثات مع فورد هو وزير الخارجية المصرى اسماعيل فهمى .(٣) وبعد أيام قليلة التقى الملك حسين مع فورد وكيسنجر ووزير الدفاع جيمس شليزنجر . وقيل للملك إن الولايات المتحدة ستعطى الأولوية للوصول إلى اتفاقية أردنية إسرائيلية ، علاوة على استكشاف احتمالات اتخاذ خطوة أخرى فى سيناء . ووصل بعد ذلك وزير الخارجية السورى عبد الحليم خدام لمقابلة كيسنجر يوم ٢٢ أغسطس . وحتى لا يكون بعيدا عن الصورة ، جاء رئيس الوزراء رابين إلى واشنطن فى ١٠ سبتمبر لإجراء محادثات مع الرئيس الجديد . وأوضح رابين أنه يفضل خطوة مرحلية أخرى مع مصر وليس مع الأردن .

وكانت محصلة جميع هذه المشاورات الأولية جولة أخرى لكيسنجر فى الشرق الأوسط . وكانت إسرائيل لا تزال غير راغبة فى الانسحاب من نهر الأردن ، بينما لم يكن حسين ليقبل شيئا أقل من ذلك .(٤) وقُدم اقتراح بديل هو انسحاب إسرائيلي من مدينة أريحا بل حتى من منطقة نابلس المهمة ، ولكن أيًّا من الجانبين لم يبد حماسا لهذا الاقتراح . وهكذا بدأ كيسنجر رحلاته بفرصة قليلة للنجاح . وفى محادثاته مع السادات ، حاول كيسنجر الضغط من أجل تأييد مصرى للأردن فى مؤتمر القمة العربى الوشيك فى الرباط . وكان هذا التأييد قد تراجع بعض الشىء فى سبتمبر ، كما أن ديناميات السياسة فيما بين العرب كانت ستؤدى إلى تأييد قاطع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وإلى استبعاد الأردن ، وهو الأمر الذى أراد كيسنجر أن يحول دون حدوثه . وكطُعم ، ناقش كيسنجر مع السادات الخطوط العامة لاتفاقية أخرى بين مصر وإسرائيل . وكان موقف السادات حاسما : فلا بد له فى الخطوة الثانية من استعادة ممرى متلا والجدى وحقل النفط فى أبو رديس .

وأن لا شيء أقل من ذلك يبرر المخاطر التى تتعرض لها مصر من جراء عقد اتفاقية ثانية مع إسرائيل .

وفى عمان استعرض كيسنجر وحسين الاحتمالات الضعيفة لإبرام اتفاقية ، وناقشا احتمال المصادقة فى الرباط على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية المتحدث الوحيد باسم الضفة الغربية . وإذا حدث ذلك ، فإن الملك حسين سينسحب من المفاوضات برمتها . وقد يبتهج الكثيرون من الأردنيين لنفض أيديهم من المشكلة الفلسطينية كلها ، لأن التركيز على تنمية الضفة الشرقية وعلى إقامة علاقات مع سوريا والمملكة العربية السعودية ، أفضل من التعرض لمخاطر العزلة والمعارضة العنيفة التى قد تنشأ إذا وقع الملك اتفاقية لا تحظى بالقبول مع إسرائيل . واتفق حسين وكيسنجر فى ذلك الوقت على انتظار نتائج القمة العربية فى الرباط . وبتأييد من السادات ، شعر كيسنجر بالثقة فى أن الملك حسين سيخرج بصلاحية للتفاوض بشأن الضفة الغربية .

ومما أثار انزعاج كيسنجر وأسفه البالغين ، أن الرؤساء العرب المجتمعين فى الرباط فى الأسبوع الأخير من أكتوبر لم يتصرفوا حسب توقعاته . ففى ٢٨ أكتوبر قرر المؤتمر بالإجماع التصديق على أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى . ولم يعد لحسين حق من وجهة نظر العالم العربى فى التفاوض باسم الضفة الغربية أكثر من أى زعيم عربى آخر . وفى مواجهة توافق الرأى العارم هذا ، وافق حسين نفسه على القرار النهائى . وقد حاول السادات أن يصل بالمؤتمر إلى نتيجة أكثر غموضا ، ولكنه فشل . وكانت المملكة العربية السعودية ، والمفروض أنها دولة عربية معتدلة ، وكذلك سوريا من بين أعلى الأصوات المناصرة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ودفعت قمة الرباط ، التى أعقبها بفترة وجيزة ظهور ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية أمام الأمم المتحدة فى ١٣ نوفمبر ، بالفلسطينيين بصورة فجائية إلى صدارة النزاع العربى الإسرائيلى وقلبه . ولم يكن كيسنجر مستعدا لهذا التحول فى سير الأحداث . إذ كان يأمل فى تأجيل المسألة الفلسطينية إلى ما بعد ، بينما يحاول تقوية الملك حسين على حساب منظمة التحرير الفلسطينية . وكان يتوقع من مصر والمملكة العربية السعودية وحتى سوريا أن تعترف بالضرورة العملية لبقاء الأردن فى المفاوضات . أما الآن فقد خرجت سياسته الموضوعة بعناية عن الخط المرسوم لها . وبدأ الرأى العام الأمريكى ، الذى كان يؤيد جهوده بقوة حتى الآن ، يعرب عن الشك فى دبلوماسية الخطوة خطوة ، وكذلك عن المعارضة الصارمة للضغط على إسرائيل كى تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية . واعتقد البعض أن الرباط ترمز إلى فشل دبلوماسية كيسنجر ، وأن مصر وسوريا أصبحتا مستعدتين الآن لتأييد عرفات فى مطالبته بإزالة الدولة الصهيونية ، وأن رد الفعل المناسب من جانب السياسة الأمريكية هو إلقاء الثقل كله وراء إسرائيل ، علاوة على فرض أية عقوبات متاحة ضد العرب .(٥)

والحقيقة أن الإجراء الذى اتخذ فى الرباط كان أقل حسما بكثير مما بدا عليه فى ذلك الحين ، ولكنه أثار المشكلات لكيسنجر الذى كان فى حاجة إلى نجاح آخر لإنقاذ سياسته وسمعته . ونظرا لأن هذا لا يمكن أن يتم على الجبهة الأردنية ، فيتعين أن يكون فى سيناء . بيد أن مصر لم تكن

الزعيمة القوية للعالم العربى كما كانت فى ظل عبد الناصر ، وقد أظهر اجتماع الرباط صحة ذلك ، وأن عليها أن تتحرك بحرص إزاء أية خطوة تالية . وفى الوقت نفسه لم يكن مزاج إسرائيل يسمح بتقديم تنازلات ، كما لم يبد أن للحكومة الإسرائيلية الجديدة أية استراتيجية دبلوماسية واضحة . وربما كانت جولدا مائير شديدة المراس ويصعب التعامل معها ، إلا أنها كانت على الأقل مسيطرة على الحكومة . ولم يكن من الواضح أن رابين قادر على قيادة بلد منقسم ، وتوجيه أموره فى فترة مفاوضات معقدة ، خاصة وأن وزير دفاعه - شيمون بيريز - متلهف على أخذ مكانه إذا ما أخطأ . وبات من الواضح أن الوصول إلى أية اتفاقية يحتاج إلى وقت ، بينما كانت هناك قضايا شرق أوسطية أخرى فى حاجة إلى الاهتمام .

أسعار النفط قضية مثارة

تتميز القضايا بطريقة غريبة فى الظهور والاختفاء فى السياسة الأمريكية ، ويصدق هذا خاصة على المشكلات المعقدة مثل أزمة الطاقة . وقليلون هم الذين يفهمون اقتصاديات وسياسات النفط والطاقة أو طبيعة سوق البترول الدولية .

وكان حظر النفط العربى على الأقل عملا ملموسا يمكن عزله عن القضايا الأخرى والتعامل معه على هذا الأساس . وكانت له بداية ونهاية واضحتان . ومع ذلك لم يبد أن الأزمة قد انتهت مع رفع الحظر فى مارس ١٩٧٤ ، بل وبدا أن الحظر فى حد ذاته لم يكن له فى الواقع تأثير كبير على الاقتصاد الأمريكى . ولكن ماذا إذن عن أسعار النفط ؟ .

أصبحت أسعار النفط قضية كبرى فى النصف الثانى من عام ١٩٧٤ عندما وصل سعر نفط الخليج الفارسى إلى نحو ١٠ دولارات للبرميل الواحد . وعلى أساس هذا السعر كان سيتعين على الولايات المتحدة أن تنفق حوالى ٢٠ مليار دولار سنويا على واردات البترول . وحتى إذا كانت الولايات المتحدة قادرة على تحمل هذا الاستنزاف لاقتصادها ، فقد لا تستطيع أوروبا واليابان تحمل هذه التكلفة . ومجرد حجم الصفقات المالية بين مستوردى النفط ومصدريه قد تربك النظام المالى الدولى .

وبدأت تظهر عبارات جديدة مثل « دولارات البترول » و« إعادة الاستخدام » . وكان الإقبال هائلا على بيع السلع للمملكة العربية السعودية وإيران والعراق وبقية الدول الغنية بالبترول . وبالرغم من الدعوات الزائفة للتعاون بين مستهلكى البترول والمنتجين ، فإن المنافسة الشرسة كانت هى الواقع . فإلى متى يمكن أن يستمر هذا الوضع ؟ .

بدأ كيسنجر فى وقت ما من خريف ١٩٧٤ يقلق من الآثار الاقتصادية الدولية لارتفاع أسعار النفط . وكان من الواضح أن الركود المستمر فى الاقتصادات الغربية ، وكذلك ارتفاع معدلات التضخم والبطالة ، يرتبطان بأسعار النفط . واتجه الرأى العام الأمريكى إلى لوم العرب على تلك الأدواء الاقتصادية ، متناسيا أن أعضاء آخرين فى الأوبك ، مثل إيران وفنزويلا ، كانوا أكثر تشددا فى مجال الأسعار عن المملكة العربية السعودية . وكان الأثر الصافى لهذا التغيير فى المزاج أن

أصبح أكثر صعوبة على كيسنجر وفورد انتهاج استراتيجية ديبلوماسية تهدف للتوصل إلى تسوية عربية إسرائيلية . ففى النهاية ، لماذا يحابيان العرب فى الوقت الذى يهددون فيه بتدمير اقتصاد الديمقراطيات الغربية بسلوكهم غير المسؤول ؟

وبذل كيسنجر جهودا عديدة فى محاولة لإقناع السعوديين والإيرانيين بأخذ المبادرة فى تخفيض أسعار النفط . وفى الوقت نفسه توصلت الولايات المتحدة إلى اتفاق مع بلدان أوروبا واليابان الأعضاء فى منظمة التعاون والتنمية فى الميدان الاقتصادى لاقتسام النفط فى حالة الطوارىء .(٦) وعلاوة على ذلك ، بدأ حوار بين المنتجين والمستهلكين . وكان وراء هذه الجهود ، إدراك أنه فى حالة نشوب حرب أخرى بين إسرائيل والعرب ، قد يجرى فرض حظر جديد تتبعه زيادات فى أسعار النفط . ومع أن أحدا لم يكن متأكدا تماما من النتائج ، فقد بدا معقولا أن التقدم نحو تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى سيزيل الحافز الذى يحدو بالعرب المنتجين للبترول للتلاعب بالإمدادات والأسعار كوسيلة للضغط على الولايات المتحدة .(٧) ومن ناحية أخرى ، كان الاهتمام العام بأسعار النفط واحتمالات الحظر يضعف التأييد لديبلوماسية كيسنجر . وبدأت الاستراتيجية البديلة القائمة على ممارسة ضغوط مضادة على العرب ، بما فى ذلك استخدام القوة ، تلقى آذانا صاغية. (٨) وجرى رسم صور رهيبة للفوضى المالية المتوقعة ، وقيل إنه إذا لم تتداعى منظمة الأوبك فستتداعى اقتصادات الغرب الصناعية . غير أن أيا من الحالتين لم يحدث بالطبع ، ولكن البترول وعواقبه المالية كانا طوال المرحلة التالية من ديبلوماسية كيسنجر يمثلان جانبا كبيرا من الاهتمام والقلق الشعبى والرسمى . ولم يهدأ القلق العارم بشأن هذه القضية إلا بصورة تدريجية مع استقرار الأسعار عند مستوى عال ، وتم إجراء تصحيحات مؤلمة ، وبدأ الانتعاش الاقتصادى فى النصف الثانى من عام ١٩٧٥ .(٩) وبحلول عام ١٩٧٦ كانت القضية قد اختفت تقريبا كموضوع مطروح للمناقشة العامة .

خطوة مصرية اسرائيلية ثانية

كانت تقنية كيسنجر فى ترتيب اتفاقات محدودة بين إسرائيل والعرب قد أصبحت آنذاك متطورة . وقد بدأت بانتزاع مقترحات من كل جانب ، ثم الوقوف على ردود الفعل الأولية ، وتحديد العقبات ، ثم الشروع فى العملية الديبلوماسية التى ستؤدى فى النهاية إلى سد الفجوات الكبيرة . وتتطلب هذه العملية قدرا كبيرا من الفكر والإقناع ، عندما يقوم كيسنجر بشرح الآثار الدولية الوخيمة التى تترتب على الفشل فى الوصول إلى اتفاق ؛ كما تشمل استخدام القوى التى قد تؤثر على الأطراف ، مثل البلدان العربية الأخرى أو الكونجرس الأمريكى . ثم يستخدم كيسنجر مكانته الشخصية فى السعى للوصول إلى اتفاق ، متنقلا كالمكوك ذهابا وإيابا بين الجانبين . وفى هذه المرحلة الأخيرة كان من المرجح أن يستخدم مكانة الرئيس إذا دعت الحاجة إلى مزيد من الضغط على إسرائيل أو إلى تقديم التزامات بالمعونة مستقبلا .

وحتى قبل انعقاد مؤتمر الرباط ، كان كيسنجر قد حصل على فكرة طيبة عما تريده مصر وإسرائيل من وراء خطوة ثانية . كانت مصر تريد أن تنسحب إسرائيل إلى وراء ممرى متلا

والجدى المهمين استراتيجيا ، وأن تتخلى عن سيطرتها على حقول نفط أبو رديس ورأس سدر التى كانت توفر لإسرائيل نحو ٥٠ فى المائة من إجمالى احتياجاتها من النفط . وكان السادات يريد أن يتم التعامل مع هذه الخطوة باعتبارها فض اشتباك عسكرى آخر ، ودون أن تربط بمغزى سياسى . فهو لا يتصور أن ينظر إليه فى العالم العربى على أنه انسحب من النزاع مع إسرائيل .

وكانت أهداف إسرائيل من اتفاقية ثانية مع مصر مختلفة تماما . كانت إسرائيل تأمل فى الفصل بين مصر وسوريا ، وبذلك تقل احتمالات هجوم عربى مشترك مثلما حدث فى أكتوبر ١٩٧٣ . ويلزم لتحقيق ذلك أن تقدم مصر تنازلات سياسية كبيرة كثمن لمزيد من الانسحابات الإسرائيلية . وكانت إسرائيل تطالب بإعلان مصر تخليها عن حالة الحرب وأن تكون الاتفاقية الجديدة طويلة الأمد ، وألا يتضمن الانسحاب الإسرائيلى الممرات أو حقول النفط .

وخلال نوفمبر وديسمبر ١٩٧٤ استطاع كيسنجر توضيح موقف كل من الجانبين . واقتنع بأن السادات لن يقبل بأقل من متلا والجدى وحقول النفط ، وأنه لن يتخلى رسميا عن حالة الحرب . ونقل ذلك إلى الإسرائيليين ، وحثهم على التركيز بدلا من ذلك على « المكافئات الوظيفية » لانعدام حالة الحرب ، مثل إنهاء المقاطعة الاقتصادية .

وعندما بدأ يظهر استعداد مصر وإسرائيل للتوصل إلى اتفاقية ثانية ، نشأ مصدران خطيران كامنان للمعارضة . فقد كان السوريون يدركون جيدا أن إسرائيل تحاول عزل مصر ، فتبقى سوريا وحدها بعدئذ فى مواجهة قوات إسرائيلية متفوقة عسكريا . ولذا كان الأسد معارضا لاتخاذ خطوة ثانية على الجبهة المصرية . وتأكيدا لموقفه ، أمر الأسد قواته المسلحة بالتأهب الأقصى فى منتصف نوفمبر ، أى عشية تجديد مدة قوات الأمم المتحدة . ثم هدأت الأزمة ، ولكن بعد أن أوضح الأسد موقفه .

وكان المصدر الثانى لمعارضة استراتيجية كيسنجر هو الاتحاد السوفيتى . إذ كان السوفيت فى ذلك الحين يرون بوضوح أن من أهداف كيسنجر الرئيسية إضعاف النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط ، وخاصة فى مصر . وقد التقى الرئيس الأمريكى فورد مع السكرتير العام بريجنيف فى فلاديفوستوك يومى ٢٣ و ٢٤ نوفمبر ١٩٧٤ ، وكان موضوع اهتمامهما الرئيسى هو مناقشة اتفاقية الأسلحة الاستراتيجية الثانية ، ولكنهما بحثا أيضا الوضع فى الشرق الأوسط . وبقيت مواقف الجانبين متباعدة ، إذ أصر السوفيت على عودة مؤتمر جنيف للانعقاد ، بينما فضل فورد استمرار دبلوماسية الخطوة خطوة ، وذلك استجابة ـ بطبيعة الحال ـ لطلب مصر وإسرائيل .(١٠) وعلى العموم ، كانت العلاقات الأمريكية السوفيتية تزداد فتورا كما اتضح فى ١٤ يناير ١٩٧٥ عندما رفض الاتحاد السوفيتى عرض معاملته معاملة الدولة الأولى بالرعاية تجاريا بشروط تلزمه بإباحة الهجرة لليهود السوفيت .

فى الوقت نفسه ، واصل كيسنجر ضغطه بالرغم من المعارضة السورية والسوفيتية ، وتعقدت مهمته بسبب تطور غريب فى موقف إسرائيل التفاوضى . إذ ذكر رئيس الوزراء رابين ، فى ٣ ديسمبر ١٩٧٤ ، فى حديث مع جريدة هاآرتس ، أن هدف إسرائيل هو فصل مصر عن سوريا ،

وتأخير المفاوضات إلى ما بعد الانتخابات الأمريكية فى عام ١٩٧٦ . وقال رابين إنه بسبب أزمة النفط ستمر سبع سنوات تتعرض إسرائيل خلالها لضغوط شديدة من أجل تقديم التنازلات ، ولكنه بحلول أوائل الثمانينات سيتم التوصل إلى بدائل للبترول مما يضعف قوة العالم العربى . وأضاف رابين قوله إنه من غير الواقعى انتظار أن تعرض مصر إنهاء حالة الحرب فى هذه المرحلة من المفاوضات .(١١)

وبعد أيام من الحديث الذى أدلى به رابين ، وصل وزير الخارجية آلون إلى واشنطن لإجراء محادثات مع كيسنجر . وناقشا لعدة ساعات يوم ٩ ديسمبر مشروعا من عشر نقاط كان آلون قد أحضره معه .(١٢) وتضمنت النقاط إنهاء حالة الحرب ، ونزع سلاح المناطق التى يجرى الجلاء عنها ، ووقف الحرب الاقتصادية وحرب الدعاية التى تشنها مصر ضد إسرائيل ، وأن يحدد أجل الاتفاقية باثنتى عشرة سنة ، وعددا من المطالب الأخرى المماثلة لما ورد فى اتفاقية يناير لفض الاشتباك . وفى مقابل هذه الطلبات ، تنسحب إسرائيل من ثلاثين إلى خمسين كيلو مترا ، ولكنها تبقى مسيطرة على الممرات وحقول النفط .

ولم يجد كيسنجر وفورد فى العرض الإسرائيلى ما يثير الاهتمام . وألمح آلون بأن ذلك هو مجرد موقف للمساومة ويمكن أن يتغير . ومثال ذلك أن يصبح سريان الاتفاقية خمس سنوات بدلا من اثنتى عشرة . ولكن اعتراض كيسنجر الرئيسى على هذا الاقتراح الإسرائيلى هو مطلب إنهاء حالة الحرب ، الذى وصفه رابين نفسه بأنه غير واقعى ، وكذلك رفض التخلى عن الممرات وحقول النفط . غير أنه تم إبلاغ النقاط الإسرائيلية إلى السادات ، وجاء رفض السادات المتوقع فى حينه . وعند ذلك طلب كيسنجر إلى الإسرائيليين إعداد اقتراح جديد .

وكما يحدث كثيرا فى الشئون العربية الإسرائيلية ، تؤثر الأحداث الخارجية على الأطراف المحلية بطرق يصعب التنبؤ بها . ففى أواخر ديسمبر ، حدث تطور هام فى العلاقات السوفيتية المصرية . فبعد زيارة قصيرة لموسكو ، قام بها وزير خارجية مصر ورئيس أركانها ، أعلن فى ٣٠ ديسمبر أن زيارة بريجنيف المرتقبة للقاهرة قد ألغيت . وكان كيسنجر يعتزم انتظار النتائج التى تسفر عنها زيارة بريجنيف قبل مواصلة العمل بديبلوماسيته الخاصة . وحينذاك بدا أن العلاقات المصرية السوفيتية أصبحت سيئة أكثر من أى وقت مضى . وكان السادات فى حاجة إلى إقامة الدليل على أن تحوله إلى الولايات المتحدة لم يكن من قبيل الحماقة . فهو يعرف أنه بدون الأسلحة السوفيتية لن يكون سهلا عليه الدخول فى حرب ، لكنه يستطيع بالتأييد الأمريكى استعادة أراضيه ، وأن يواصل المهمة العاجلة لتنمية الاقتصاد المصرى .

وعندما وصل آلون إلى الولايات المتحدة لإجراء جولة أخرى من المناقشات مع كيسنجر ، اعترف بأن إلغاء زيارة بريجنيف خلق وضعا جديدا ، لكن لم يكن لديه فى محادثاته مع فورد وكيسنجر يومى ١٥ و ١٦ يناير ١٩٧٥ شيء جديد يعرضه فيما عدا دعوة كيسنجر للعودة إلى المنطقة . وكرر كيسنجر تحذيره لآلون بأنه لا يمكن التوصل إلى اتفاقية على أساس الاقتراح الإسرائيلى .(١٣) وأنه مع ذلك سيقوم برحلة أخرى ليرى ما إذا كان فى الإمكان تضييق الهوة . وبعد جولة من المحادثات الاستطلاعية فى فبراير سوف يعود كيسنجر فى مارس لاستكمال

المفاوضات ، ولكن يتعين على إسرائيل إسقاط الطلب الخاص بإنهاء حالة الحرب وأن تكون أكثر مرونة بشأن الأراضى .

وقبل مغادرة كيسنجر ، أعلن السادات على الملأ تأييده لجهوده ، مضيفا أن الولايات المتحدة تمتلك الآن كل الأوراق الرابحة .(١٤) وكانت هذه الكلمات هى بالضبط ما يريد كيسنجر سماعه من السادات . بيد أنه كان لا يزال يواجه مقاومة لجهوده من جانب السوريين والسوفيت . ومع ما بدا من تقدم السادات نحو اتفاقية ثانية ، بدأت سوريا توحد صفوفها مع الأردن والفلسطينيين لمعارضته ، بتأييد متزايد من الاتحاد السوفيتى .(١٥)

وإذا كانت سوريا والاتحاد السوفيتى يقفان معا ضد السادات ، فقد بدا على الأقل أن إسرائيل أخذت تلين بعض الشىء فى طلباتها . ففى ٧ فبراير أجرى رابين حديثا مع جون ليندساى ، عمدة نيويورك السابق ، أعلن فيه أنه « فى مقابل الالتزام المصرى بعدم الدخول فى حرب ، وعدم اللجوء إلى التهديد باستخدام القوة ، وبذل الجهد للتوصل إلى سلام حقيقى ، يستطيع المصريون أن يحصلوا حتى على الممرات وحقول النفط » .(١٦) وارتاع كيسنجر من عدم حرص رابين عندما كشف موقف إسرائيل فى مثل هذا المحفل ـ ومما لا شك فيه أنه كان يفضل أن يبدو مسئولا عن التوصل إلى هذا التنازل الإسرائيلى ـ ولكن على الأقل فإن فرصة الاتفاقية أصبحت الآن أكثر إشراقا . وبهذه النبرة المتفائلة إلى حد ما ، طار كيسنجر إلى الشرق الأوسط يوم ٩ فبراير .

وكان معروفا أن جولة كيسنجر فى فبراير ، جولة استطلاعية . لم يكن يتوقع التوصل إلى اتفاقية ، ولكنه كان يأمل أن تقدر مصر وإسرائيل القيود التى يعمل كل منهما فى ظلها ، وأن يعدلا بعض العناصر الواردة فى مقترحاتهما . ولكنه بدلا من ذلك لم يجد شيئا جديدا ذا بال . وبدا أن الإسرائيليين يتساهلون بعض الشىء فى مطلب إنهاء حالة الحرب ، وأبدى السادات استعدادا لوقف بعض الأعمال العدائية ضد إسرائيل ، لكن بقيت هوة واسعة . كما لم ينجح كيسنجر فى إقناع السوريين بإسقاط معارضتهم لخطوة ثانية فى سيناء .(١٧) وجاءت العلامة الإيجابية الوحيدة للجولة فى محادثات كيسنجر مع شاه إيران فى زيورخ فى ١٨ فبراير ، حيث قال الشاه إنه مستعد لتوفير النفط لإسرائيل إذا هى تخلت عن أبو رديس ورأس سدر .

وعلى مدى الأسابيع العديدة التالية ، واصل كيسنجر حثه للأطراف على الاعتدال فى مواقفها . ولكنه لم يكن يرغب فى القيام بجولة « مكوكية » ثالثة إلا إذا كان متأكدا بالفعل من النجاح . واعتقادا منه بأن الأطراف تتفهم الآن الحد الأدنى من الشروط الواجبة لمفاوضات ناجحة ، توجه كيسنجر إلى الشرق الأوسط مرة أخرى حيث وصل إلى مصر يوم ٨ مارس .

وتعقدت مهمة كيسنجر بسبب عدد من التطورات المحلية والدولية . فقد كان هو وفورد يعانيان انحسارا فى شعبيتهما . وكان الكونجرس قد أخذ يصبح أكثر تشددا فى مطالبته بأن يتولى توجيه السياسة الخارجية . وكانت الهند الصينية قد أخذت تقع تحت السيطرة الشيوعية بصورة مطردة . وأدى انقلاب يسارى فى البرتغال إلى خلق موقف ينذر باحتمالات الخطر فى غرب البحر المتوسط . وتردت العلاقات الأمريكية التركية بسبب الحظر الذى فرضه الكونجرس على الأسلحة

لتركيا . وعلى الجبهة المصرية الإسرائيلية وحدها كانت الفرصة سانحة لتحقيق إنجاز مثير آخر لكيسنجر . وبدا الإسرائيليون متخوفين من اهتمام كيسنجر المغالى فيه بالنجاح ، حيث إنهم سيطالبون ، فى آخر الأمر ، بتقديم تنازلات كبيرة ، وكان ذلك يزيد عما أرادت حكومة رابين الضعيفة أن تفعله .

ونجح كيسنجر فى الحصول على مقترحات مصرية جديدة خلال جولة مارس المكوكية . فقد أصبح السادات على استعداد ليعلن ما يلى : أن النزاع مع إسرائيل لن يتم حله بالوسائل العسكرية ؛ وأن مصر لن تلجأ إلى القوة ؛ وأنها ستلتزم بوقف إطلاق النار ؛ وأنها ستمنع جميع القوات العسكرية وشبه العسكرية من العمل ضد إسرائيل من الأراضى المصرية ؛ وأن أى اتفاقية جديدة ستبقى سارية إلى أن تحل محلها اتفاقية أخرى ؛ وأن الدعاية المعادية لإسرائيل فى أجهزة الإعلام الواقعة تحت السيطرة المصرية ستتقلص ؛ وأن المقاطعة الاقتصادية ستخفف بصورة انتقائية .(١٨)

أما موقف إسرائيل ، كما نقله رابين بصورة غير رسمية إلى كيسنجر مساء ٩ مارس ، فقد تضمن سبع نقاط تحت عنوان « اقتراح بشأن العناصر الرئيسية للاتفاق بين إسرائيل ومصر » . جاء فيه أن إسرائيل تسعى إلى عقد اتفاق منفصل مع مصر ، لا يعتمد على اتفاقات مع الأطراف العربية الأخرى ، ويتعين أن يكون الاتفاق خطوة نحو السلام فى بعض النواحى العملية مثل حرية عبور شحنات السفن الإسرائيلية فى قناة السويس ، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية ، وحرية انتقال الأشخاص بين مصر وإسرائيل . ولا بد أن توافق مصر على وضع حد لاستخدام القوة من خلال « التخلى عن حالة الحرب ، وان يرد ذلك فى عبارات قانونية ملائمة » . وينبغى إقامة منطقة عازلة حقيقية تفصل بين القوات المسلحة لكل من الجانبين . ولا بد من إيجاد حل ما لـ « مشكلة الغموض » بشأن مدة سريان الاتفاقية . وينبغى التوصل إلى تفاهم بشأن العلاقة بين اتفاقية مرحلية فى سيناء وما قد يحدث فيما بعد فى جنيف . وأخيرا ، لن توافق إسرائيل على مناقشة مسألة خط الانسحاب إلا بعد استجابة مصر للنقاط الست الأولى .(١٩)

وأحس كيسنجر بالفزع لأن إسرائيل لا تزال تتمسك بإنهاء حالة الحرب . وكان السادات مستعدا لقبول بعض مطالب إسرائيل ، ولكنه أصر على معرفة ما إذا كانت إسرائيل ستبقى فى الممرات أم لا . كما أنه رفض تماما الموافقة على إنهاء حالة الحرب ، رغم أنه قد ينظر فى صيغة تقوم على أساس « عدم استخدام القوة » . وبعد بضعة أيام من الرحلات المكوكية ، استطاع كيسنجر إقناع الإسرائيليين بقبول صيغة عدم استخدام القوة ، ولكن رابين ، والوفد المفاوض معه ، تمسك بصورة قاطعة بعدم انسحاب إسرائيل من الممرات مقابل أى شيء سوى إنهاء حالة الحرب ، وأنه على أفضل تقدير قد ينظر فى أمر الانسحاب إلى خط فى منتصف الممرات ، ولكن لم يحدث على الإطلاق طوال المفاوضات أن قدم الإسرائيليون لكيسنجر خريطة توضح الخط الذى يقبلونه . ومما زاد المساومات تعقيدا ، إصرار إسرائيل على مواصلة سيطرتها على محطة استطلاع اليكترونية فى أم خشيبة على الطرف الغربى من ممر الجدى . ولم يقبل السادات أن تحتفظ إسرائيل بالمحطة ولو وضعت رسميا داخل منطقة الأمم المتحدة . وهكذا وصلت المفاوضات لطريق مسدود بسبب قضايا إنهاء حالة الحرب ومكافئاتها الوظيفية ، ومدى الانسحاب الإسرائيلى فى الممرات وحقول النفط ، والوضع الخاص بمحطة أم خشيبة .

وبعد عشرة أيام من الرحلات المكوكية بين مصر وإسرائيل ، مع رحلات جانبية لسوريا والأردن والمملكة العربية السعودية ، كان كيسنجر لا يزال غير قادر على إخراج إسرائيل من الممرات . وقبلت إسرائيل التخلى عن حقول النفط ، ولكنها رفضت السماح لمصر بالسيطرة على طريق يربط الحقول بالمنطقة المصرية . وفى يوم الجمعة ٢١ مارس وصل كيسنجر إلى إسرائيل حاملا كلمة السادات النهائية : لا يمكن لإسرائيل الاحتفاظ بمحطة الاستطلاع ، وأن مدة قوات الأمم المتحدة ستتجدد لسنة ثانية فقط . وتمسك الإسرائيليون بأنه بدون مزيد من التنازلات المصرية فإنهم لن يتحركوا قيد أنملة . وحتى رسالة الرئيس فورد شديدة اللهجة ، التى وصلت إلى إسرائيل فى ٢١ مارس ، لم تقدر على تغيير الوضع .(٢٠) بل إنها ربما تكون هى التى شحذت إرادةِ المقاومة لدى إسرائيل . وعلى أى حال ، فقد اجتمعت الوزارة الإسرائيلية مساء الجمعة ورفضت كل مطالب السادات تقريبا . ونقل كيسنجر إلى مصر رفض إسرائيل ، وراح ينتظر رد السادات . وفى الوقت نفسه أمضى كيسنجر يوم ٢٢ مارس فى زيارة سياحية لموقع الماسادا التاريخى ، حيث فضل اليهود قبل ألفى عام تقريبا التضحية بأنفسهم على الاستسلام للرومان . وساد الرمز الذى تعبر عنه الماسادا وروحها جو المحادثات التى دارت فى وقت لاحق من مساء اليوم نفسه ، حينما التقى كيسنجر مع رابين وغيره من كبار المسؤولين الإسرائيليين . وكان كيسنجر قلقا للغاية . وطبقا لما أورده فى مذكراته ، قال كيسنجر :

إن القادة العرب الذين اعتمدوا على الولايات المتحدة ستضار سمعتهم .... لقد اغتيلت الخطوة خطوة ، بالنسبة للأردن أولا ، ثم بالنسبة لمصر . إننا نفقد السيطرة . وسنرى العرب الآن يعملون فى جبهة متحدة . وسيكون هناك اهتمام أكبر بالفلسطينيين ، وسيكون ثمة ربط بين التحركات فى سيناء والجولان . وسوف يعود السوفيت إلى المسرح مرة أخرى . إن الولايات المتحدة تفقد السيطرة على الأحداث .... لقد أعدت استراتيجيتنا السابقة بدقة ، ولكننا الآن لا ندرى ماذا نفعل . وستكون هناك ضغوط لدق إسفين بين إسرائيل والولايات المتحدة ، ليس لأننا نريد ذلك ، وإنما بسبب ديناميات الوضع . يجب ألا نغالط أنفسنا ، لقد فشلنا ....

لقد كان من شأن عقد اتفاقية أن يمكّن الولايات المتحدة من مواصلة سيطرتها على العملية الديبلوماسية . ومقارنة بذلك ، فإن تحديد الخط على بعد ثمانية كيلومترات فى هذا الاتجاه أو ذاك ، بصراحة لا يبدو أمرا بالغ الأهمية . وقد تم الحصول على جميع العناصر العسكرية لإنهاء حالة الحرب . تم الحصول على « عدم استخدام القوة » ....

إنها مأساة حقيقية .... لقد حاولنا التوفيق بين تأييدنا لكم وبين مصالحنا الأخرى فى الشرق الأوسط ، حتى لا تضطروا إلى اتخاذ قراراتكم كلها دفعة واحدة .... كانت استراتيجيتنا أن نحميكم من التعامل مع كل هذه الضغوط على الفور .... ولو أننا أردنا الرجوع إلى حدود ١٩٦٧ لأمكننا أن نحقق ذلك بتأييد من الرأى العام العالمى كله ، وجانب كبير من الرأى العام الداخلى . وكانت الاستراتيجية تستهدف حمايتكم من ذلك . لقد تجنبنا رسم خريطة شاملة من أجل تسوية عامة .... وإننى أرى الضغط يتصاعد لإجباركم على العودة إلى حدود ١٩٦٧ ـ وبالمقارنة بذلك ، فإن عشرة كيلومترات مسألة تافهة . إننى لست غاضبا منكم ، ولا أسألكم تغيير موقفكم . إنها لمأساة أن ترى شعبا يحكم على نفسه بانتهاج طريق محفوف بمخاطر لا يصدقها عقل .(٢١)

ذلك هو كيسنجر العتيد . وقد كان بمقدوره عمليا كتابة نفس هذه الكلمات فى أى وقت منذ أكتوبر ١٩٧٣ . فقد كان الاهتمام بسيطرة الولايات المتحدة على العملية الديبلوماسية ، وبتفتيت القضايا

إلى أجزاء يمكن التعامل معها ، وبتجنب وضع خطة سلام شاملة ، كلها عناصر أساسية فى الاستراتيجية التى تطورت وسط حرب أكتوبر . ويبدو الآن أن هذه الاستراتيجية قد فشلت . وفى اليوم التالى غادر كيسنجر إسرائيل ، معلنا أن جهوده التفاوضية قد توقفت .(٢٢) وبعد عودة كيسنجر إلى واشنطن فى ٢٤ مارس أعلن الرئيس فورد متشائما أنه ستجرى إعادة تقييم للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .(٢٣)

إعادة التقييم

كانت خيبة أمل كيسنجر فى الإسرائيليين صادقة ، لأنهم أحبطوا جهوده لترتيب اتفاقية ثانية فى سيناء . وشعر بأن القيادة الإسرائيلية قصيرة النظر ولا تتسم بالكفاءة وضعيفة . ورأى أن إسرائيل ليس لديها سياسة خارجية ، وكل ما لديها نظام سياسى داخلى قادر على إفراز المآزق والطرق المسدودة . وأن شخصا مثل ديفيد بن جوريون أو جولدا مائير كان يستطيع قيادة إسرائيل ، ولكن ليس ثالوث رابين - بيريز - آلون ، الذى يشده كل منهم فى اتجاه مختلف . وألمح كيسنجر فى اللحظات التى كان يتخفف فيها من القيود إلى أن الإسرائيليين يحاولون إسقاطه . ومهما كانت مبررات إعادة التقييم فقد أصبحت ، فى جانب منها ، أداة فى يد كيسنجر للتنفيس عن سخطه على إسرائيل .

ومهما كان مدى ارتباط الرئيس فورد عاطفيا بإسرائيل فى الماضى ، كان هو الآخر ساخطا على إسرائيل ، وقد وجه اللوم علنا لرابين لافتقاره للمرونة .(٢٤) وألقى فورد بثقله من أجل إعادة تقييم جادة للسياسة ، تتوقف خلالها الاتفاقات العسكرية والاقتصادية الجديدة مع إسرائيل . وكما حدث مع من سبقوه فى الرئاسة ، وجد فورد أن تعاطفه مع إسرائيل ومفهومه للمصالح الأمريكية العالمية والإقليمية لم يلتقيا دائما . وعندما كان يبدو أنهما يصطدمان ، كان فورد قادرا مثل نيكسون على فرض ضغوط على إسرائيل من أجل تقديم تنازلات . إلا أن الاحتبار هو ما إذا كانت الضغوط ستؤدى إلى النتائج المنشودة ، وما إذا كان الضغط الإسرائيلى المضاد لن يرفع من تكلفة الجهد .

ولم تكن إسرائيل فى الواقع بدون أصدقاء ومؤيدين من ذوى النفوذ فى الولايات المتحدة ، كما أنها لم تفتقر إلى متحدثين باسمها قادرين على الدفاع عنها أمام الرأى العام الأمريكى ضد الاتهام بعدم المرونة . وإذا أصرت الإدارة على وقف المعونة المطلوبة ، تستطيع إسرائيل مناشدة الكونجرس لتأييد طلباتها ، إذ كانت قضية إسرائيل تبدو مقنعة : ففى مقابل تقديم تنازلات اقتصادية وإقليمية هامة ، كانت إسرائيل تطلب مجرد أن تتخلى مصر عن حالة الحرب . فلماذا يكون ذلك أمرا غير معقول وتعوزه المرونة ؟ هل ينبغى أن تخاطر إسرائيل بأمنها مقابل شىء أقل من ذلك ؟

وكانت قضية كيسنجر ضد إسرائيل أقل إقناعا لكثير من الأمريكيين . فهو يزعم أن القادة الإسرائيليين ضللوه بدعوته للقيام برحلات مكوكية مع أنهم يعلمون أن إنهاء حالة الحرب أمر لا يمكن تحقيقه ، ومع ذلك أصروا عليه . ورفضت إسرائيل تقديم الحد الأدنى من التنازلات الإقليمية فى الممرات وحول حقول النفط . وتذرع كيسنجر بأن الاتفاقية ضرورية للمحافظة على التوازنات الدقيقة التى أوجدها بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وألمح كيسنجر ، كلما سنحت له

المناسبة ، إلى أن البديل للاتفاقية قد يكون الحرب وحظرا اخر على النفط العربى .

وأثناء الشهور الثلاثة التى استغرقتها إعادة التقييم عقب انهيار المحادثات المصرية الإسرائيلية فى ٢٢ مارس ، شهدت السياسة الخارجية الأمريكية حل العقدة الأخيرة فى نزاع جنوب شرقى آسيا ، وبداية الحرب الأهلية المأساوية فى لبنان . وبدت الولايات المتحدة فى الحالتين غير قادرة على العمل بطريقة بناءة . وسقطت العاصمة الكمبودية ، بنوم بنه ، فى أيدى القوات الشيوعية فى ١٧ ابريل . وبعد فترة وجيزة فى ٢٩ ابريل . وقعت سايجون أيضا تحت السيطرة الشيوعية . وكان هذا ما انتهى إليه ما أعلنه نيكسون وكيسنجر بكل فخر فى يناير ١٩٧٣ بشأن السلام والشرف فى الهند الصينية . كما أن الأحداث فى الشرق الأوسط لم تكن ترقى إلى مستوى الأمل فى السلام . وفى ٢٥ مارس اغتيل الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية ، وهو من الدعائم الرئيسية للسياسة الأمريكية فى المنطقة . وبدأت فترة من عدم اليقين . هل كانت المملكة العربية السعودية على شفا ثورة ؟ هل يواصل الحكام الجدد نفس السياسة الخارجية القائمة على صداقة الولايات المتحدة وعلى تأييد السادات ؟ لا بد أن يمضى بعض الوقت قبل أن تُعرف الإجابة . وفى الوقت نفسه كان الموقف المتوتر على الدوام فى لبنان على وشك الانفجار . وفى ١٣ ابريل قام المسلحون المسيحيون اليمينيون بفتح النار على أوتوبيس محمل بالفلسطينيين ، وقتلوا اثنين وعشرين منهم . ولم يمر وقت طويل بعد ذلك ، حتى بدأت سلسلة من عمليات الثأر المتبادل .

وفى ظل هذه الخلفية المقلقة قام كيسنجر بإعادة التقييم الموعودة ، فالتقى فى أول ابريل مع مجموعة من الرجال المرموقين من مؤسسة السياسة الخارجية - دين راسك ، وماك جورج باندى ، وجورج بول ، ودوجلاس ديلون ، وسايروس فانس ، وجورج شولتز ، وروبرت ماكنمارا ، وديفيد بروس ، وبيتر بيترسون ، وجون ماكلوى ، ووليام سكرانتون ، وافريل هاريمان . وكان بعضهم ، مثل جورج بول ، يعلنون صراحة انتقادهم لكيسنجر وإسرائيل وسياسة الخطوة خطوة . وكان بول يحبذ اتفاقية أكثر شمولا ، تقوم فيها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بإعداد المبادىء التوجيهية للتسوية ، ويجرى التفاوض عليها بعد ذلك من جانب جميع الأطراف فى جنيف . ووجه بول الانتقاد لكيسنجر لإغفاله السوفيت ومحاولة تقسيم العرب . ولم تكن تخيفه فكرة فرض التسوية(٢٥) . كما فضل آخرون فى الاجتماع العودة إلى مؤتمر جنيف وبذل جهد كبير لإعداد خطة سلام أمريكية .

وعلى مدى الأسابيع العديدة التالية ، استمع كيسنجر إلى توصيات مماثلة فى معظمها من جانب أقرب معاونيه ، ومن الأكاديميين البارزين ، ومن سفراء الولايات المتحدة فى دول الشرق الأوسط الرئيسية .(٢٦) لقد مضى أوان ديبلوماسية الخطوة خطوة ، وأصبح المطلوب وضع استراتيجية أكثر طموحا . ولم يعد فى الإمكان إغفال الفلسطينيين . ولا بد من إدخال السوفيت فى المفاوضات . وبدا كل ذلك معقولا من حيث الأفكار المجردة ، ولكن كيسنجر كان يؤرقه الخوف من أن ينتهى هذا النهج أيضا إلى الفشل . ولم يكن أحد يستطيع أن يحدد تفاصيل الخطوات اللازمة لضمان النجاح . كما أن هذا النهج له تكلفته من ناحية السياسة الداخلية ، لأنه سيستلزم بالتأكيد ضغطا شديدا ومتصلا على إسرائيل . ولم يكن فورد وكيسنجر واثقين على الإطلاق من أنهما يريدان الإقدام على هذه المعركة ، إلا إذا كانت النتائج كفيلة بتبرير الجهد .

وفى الأسبوع الثالث من ابريل ، انتهى التقييم إلى ثلاثة خيارات لرفعها إلى الرئيس . الخيار الأول ، الذى أيده الكثيرون داخل الحكومة وخارجها ، هو العودة إلى جنيف بخطة سلام أمريكية مفصلة ، وأن تدعو الولايات المتحدة إلى انسحاب إسرائيل مع تقديم ضمانات قوية بأمن إسرائيل ، ودعوة السوفيت للتعاون . والخيار الثانى يهدف إلى تسوية كاملة تقريبا ، خاصة على الجبهة المصرية الإسرائيلية ، ولكنها لا ترقى إلى المطالبة بانسحاب تام وسلام نهائى . والخيار الثالث هو استئناف دبلوماسية الخطوة خطوة من حيث انتهت فى مارس .(٢٧) وأشار فورد علنا إلى هذه الخيارات الثلاثة بصورة عامة فى ٢١ ابريل .(٢٨)

ولعدة أسابيع ، بدا الأمر وكأنما سيبرز نهج أمريكى جديد للسلام فى الشرق الأوسط ، ولكن بدأ يتبين تدريجيا أن شيئا من ذلك لن يحدث . ولم تقدم المشاورات التى أجراها كيسنجر مع آلون والملك حسين والسوفيت أى مبرر للتفاؤل بشأن اتباع سياسة جديدة . ولم يبد الرأى العام الأمريكى تأييدا قويا للقيام بمبادرة شاملة ، كما بدأ الكونجرس فى الاستجابة للدعوى بأن كيسنجر يبذل ضغوطا على إسرائيل أشد مما ينبغى . وفى ٢١ مايو وجه ستة وسبعون عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ رسالة إلى الرئيس فورد يحثونه على « الاستجابة لاحتياجات إسرائيل الاقتصادية والعسكرية » . وكانت تلك إشارة واضحة إلى أن استمرار الضغط على إسرائيل ستكون له نتائج عكسية من الناحية السياسية . وأدرك فورد وكيسنجر أن الاستراتيجية الوحيدة القابلة للتطبيق ، على ضوء هذه الحقائق ، هى استئناف دبلوماسية الخطوة خطوة ،(٢٩) وأن يشترك فورد شخصيا فى المباحثات مع السادات ورابين لاستطلاع احتمالات الاتفاق . وساعد السادات فى تحسين الجو بالإعلان غير المتوقع بأن قناة السويس سيعاد فتحها فى ٥ يونيو ، وبمد الأجل الممنوح لقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة . وبدا أن الرئيس المصرى ما زال يرغب فى التوصل إلى اتفاق .

وفى يومى ١ و ٢ يونيو التقى الرئيس فورد بالسادات للمرة الأولى فى سالزبورج . وتوافق الرجلان بسرعة ، وشعر كل منهما بالراحة فى حضرة الآخر ، ووجدا أن الحديث يدور بينهما ببساطة . وطالب السادات ببيان عام من جانب فورد بوجوب انسحاب إسرائيل إلى خطوط ١٩٦٧ ، ولكن فورد تردد ، ويقال إنه كرر بدلا من ذلك التزام نيكسون الشخصى فى العام السابق بالعمل من أجل هذا الهدف .(٣٠) ثم استطلع فورد استعداد السادات بالنسبة لمحاولة أخرى للتوصل إلى اتفاقية محدودة فى سيناء . وكان السادات مستعدا لذلك ، ولكن شروطه لا تزال هى نفسها كما كانت فى الربيع السابق : أن تترك إسرائيل الممرات وحقول النفط وألا تطالب بإنهاء حالة الحرب . كان السادات لايزال يرفض فكرة احتفاظ الإسرائيليين بمحطة الاستطلاع فى أم خشيبة ، ولكنه قال إنه قد يقبل بالوجود الأمريكى هناك .(٣١) وكانت فكرة وجود قوة عسكرية أمريكية فى المنطقة العازلة قد أثيرت من قبل فى الربيع ، ولكن كيسنجر لم يكن متحمسا لها ، بيد أنه سرعان ما بدأت تنشأ فكرة أكثر تواضعا عن الوجود المدنى الأمريكى كحل لواحدة من مشكلات المفاوضات .(٣٢)

اتفاقية سيناء الثانية

فى الوقت الذى وصل فيه رئيس الوزراء رابين إلى واشنطن لإجراء محادثات مع الرئيس فورد ووزير الخارجية كيسنجر يومى ١١ و١٢ يونيو ، كان قرار مواصلة دبلوماسية الخطوة خطوة قد اتخذ ، وتم رفض جميع البدائل الأخرى الخاصة بجنيف ، أو فرض تسوية أمريكية سوفيتية ، أو الانسحاب من جهود صنع السلام . وأحس فورد وكيسنجر بأن الوضع فى الشرق الأوسط يحتاج إلى تقدم دبلوماسى متواصل . وكما ظهر فى أوائل ١٩٧٤ ، كانت أفضل وسيلة لتحقيق هذا التقدم هى الوساطة الأمريكية . أما إذا لم يحدث تقدم نحو التسوية فى غضون الشهور القليلة القادمة ، فقد لا تقدر الولايات المتحدة على التقدم بمبادرة جديدة حتى عام ١٩٧٧ ، إذ أن عام ١٩٧٦ هو عام الانتخابات الأمريكية ، والمؤكد أن سياسة الشرق الأوسط لن يكون أمامها فرصة المنافسة فى الحملة الرئاسية للحصول على الاهتمام .

وطلب فورد ، الذى أصبح الآن مشاركا باهتمام فى توجيه الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، من رابين أن يكون أكثر استعدادا للمعاونة فى المفاوضات ، وضغط من أجل تحديد خط انسحاب إسرائيلى جديد عند الأطراف الشرقية للممرات . وكان رابين متلهفا على وضع حد للمواجهة المؤلمة والمكلفة مع الولايات المتحدة . وكان رفضه لمطالب كيسنجر فى مارس قد أسهم كثيرا فى دعم هيبته داخل إسرائيل ، وقد يستطيع الآن التفاوض بمزيد من الثقة . وهكذا تم رسم خط جديد لإثبات حسن نوايا إسرائيل ، وأعتبر هذا بمثابة خطوة متواضعة فى الاتجاه الصحيح . وقابل فورد ذلك بالوعد بأنه بعد تحقيق الاتفاقية المرحلية التالية بين مصر وإسرائيل ، « يمكن متابعة التسوية الشاملة بطريقة منظمة ومدروسة ، ولن يدعو الأمر عند ذلك أن تتقدم الولايات المتحدة باقتراح شامل من جانبها . وإذا رغبت الولايات المتحدة فى المستقبل أن تتقدم بمقترحات من جانبها ، فإنها ستبذل كل جهد لتنسيق مقترحاتها مع إسرائيل ، لتجنب تقديم مقترحات ترى إسرائيل أنها غير مرضية » .(٣٣)

وبالرغم من هذه التأكيدات من فورد ، لم يتمكن رابين من الحصول على تفويض من مجلس الوزراء بتقديم مزيد من التنازلات . وبعد أسبوع اضطر للعودة إلى العرض الإسرائيلى السابق بالانسحاب إلى منتصف الممرات .(٣٤) ومرة أخرى استشاط فورد وكيسنجر غضبا من رابين لعدم مرونته وغلظته .

وبقى كيسنجر فى واشنطن طوال الأسابيع الستة التالية ، بينما كان يجرى تنقيح المواقف الإسرائيلية والمصرية ثم إرسالها من خلاله إلى الجانب الآخر . وكان السفير الإسرائيلى فى واشنطن ، سيمحا دينيتز ، قناة اتصاله بالحكومة الإسرائيلية ، بينما يتنقل السفير الأمريكى فى القاهرة ، هيرمان آيلتس ، كالمكوك ما بين القاهرة وواشنطن بالرسائل والتوضيحات .

وفى وقت ما فى النصف الأخير من يونيو ، يبدو أن القادة الإسرائيليين رأوا أنه من المستحيل الحصول على التنازلات السياسية التى يريدونها من السادات ، ولم يكونوا راغبين فى مقاومة الولايات المتحدة إلى ما لا نهاية . فإذا لم تقبل مصر على صنع السلام ، فإن إسرائيل تستطيع على

الأقل مساومة الولايات المتحدة بشأن الأمور المتعلقة بالأمن الإسرائيلي . وإذا كان الأمريكيون يريدون الاتفاقية بمثل هذا التلهف ، فعليهم أن يدفعوا الثمن . وفي هذه الحالة ربما توافق إسرائيل على الانسحاب إلى المنحدرات الشرقية للممرات ، ولكن بشرط الاحتفاظ بالسيطرة على المرتفعات أعلى الممرات . وبإلحاح من وزير الدفاع بيريز ، سعت إسرائيل أيضا إلى تحويل المنطقة العازلة بين الجانبين إلى حاجز حقيقي يحول دون هجوم عسكري مفاجيء ، وذلك بتمركز المدنيين الأمريكيين هناك لتشغيل محطات الإنذار المبكر ، كما يمكن استغلال الأمريكيين كغطاء لاستمرار إسرائيل في استخدام محطة الاستطلاع . وإذا رفض السادات ، يعرض عليه الأمريكيون أن يقيموا له محطة مماثلة أيضا .

وكان السادات هو الآخر مستعدا لمزيد من التعاون . فهو يوافق على التجديد السنوي لقوات الأمم المتحدة ثلاث مرات ، وعلى استمرار استخدام اسرائيل لمحطة الاستطلاع ، بشرط إعطائه محطة مماثلة في مواجهة الخطوط الإسرائيلية . ووافق على فكرة تخفيف المقاطعة المفروضة على بعض الشركات المتعاملة مع إسرائيل ، ووعد بتهدئة نبرة الدعاية المعادية لإسرائيل . وهو أخيرا مستعد لنشر الجانب الأكبر من شروط الاتفاقية .

وأصبح على الولايات المتحدة وإسرائيل التوصل إلى تفاهم فيما بينهما على الالتزامات الأمريكية اللازمة لكسب قبول إسرائيل لاتفاقية جديدة . وفي أوائل يوليو التقى دينيتز مع كيسنجر في الجزر العذراء لتقديم صفقة كاملة من المقترحات والطلبات الإسرائيلية .[٣٥] وبالإضافة إلى وعد بنحو ٢ مليار دولار من المعونة ، وافقت الولايات المتحدة على إسقاط فكرة الخطوة المرحلية على الجبهة الأردنية الإسرائيلية ، وقبلت ألا تتوقع أكثر من تغييرات « تجميلية » في مرتفعات الجولان في خطوة أخرى . كما أرادت إسرائيل التزاما واضحا بأن تحول الولايات المتحدة دون تدخل عسكري سوفيتي في الشرق الأوسط .[٣٦]

وطوال عدة أسابيع تالية جرى مزيد من المناقشات حول هذه النقاط وغيرها .[٣٧] وفي الوقت الذي سافر فيه كيسنجر إلى إسرائيل في ٢٠ أغسطس ، كانت الاتفاقية قريبة المنال . واقتصرت الموضوعات التي لا تزال مطروحة للمفاوضة على الموقع المحدد للخط الإسرائيلي ، ومستويات المعونة الأمريكية ، والجوانب الفنية الخاصة بالوجود المدني الأمريكي في الممرات .

واستقبل كيسنجر في إسرائيل بعداء لم يسبق له مثيل ، خاصة من جانب الأحزاب اليمينية المعارضة ، واعترضه المتظاهرون في كل مكان توقف فيه . ومع ذلك ، تقدمت مناقشاته مع القيادة . وكان رابين يرغب في الاتفاق هذه المرة . وظل كيسنجر يضمر شكوكه بالنسبة للوجود الأمريكي في سيناء ، الذي أصبح الآن بمثابة عنصر هام في صفقة سيناء ، إلا أنه كان على استعداد للتعايش مع الفكرة . وكان السادات مستعدا لقبول هذا الشرط ، ولكن بقيت بعض الاعتراضات حول الموقع المحدد للخط .[٣٨]

وبحلول يوم ٢٥ أغسطس ، كان كيسنجر يعمل مع الإسرائيليين في صياغة مشروع اتفاقية وبدأت إسرائيل تدريجيا في تليين موقفها بشأن خط الانسحاب ، ووافقت أخيرا على إعطاء كيسنجر

خريطة لكى يدرسها السادات فى أواخر الأسبوع الثانى من المحادثات . واستمرت المنازعات حول الانسحاب من ممر الجدى ، وحول حقول النفط أيضا . وفى اللحظة الأخيرة فحسب وافقت إسرائيل على الانسحاب الكامل من ممر الجدى ، وكان لا بد من مناقشات تفصيلية للغاية بشأن تحديد القوات والوجود الأمريكى . وفى جلسة عقدت فى القدس دامت دون توقف من التاسعة صباح ٣١ أغسطس حتى السادسة من مساء اليوم التالى ، أعدت الولايات المتحدة وإسرائيل اللمسات الدقيقة فى العلاقات الثنائية العسكرية بينهما ، والتطمينات بشأن إمداد إسرائيل بالنفط ، والحاجة للتشاور فى حالة التدخل المسلح السوفيتى فى الشرق الأوسط . وكانت إسرائيل مستاءة من الصياغة الضعيفة الخاصة بالتدخل السوفيتى . وفيما عدا ذلك ، كان لديها قائمة متميزة جدا من الالتزامات الأمريكية . وفى ساعة متأخرة من بعد الظهر وقعت مصر وإسرائيل بالأحرف الأولى على نص الاتفاقية . وتم التوقيع رسميا فى جنيف فى ٤ سبتمبر ١٩٧٥ .

وعلى العكس من اتفاقية يناير ١٩٧٤ ، قوبلت اتفاقية سيناء الثانية بالارتياح ، ولكن بدون حماس حقيقى من جانب أطراف المفاوضات . وفى إسرائيل والعالم العربى كان الكثيرون يعارضون الاتفاقية بعنف ، وإن كان ذلك لأسباب متعارضة تماما .

وجاءت الاتفاقية فى جانب منها على غرار اتفاقيات فض الاشتباك السابقة .[٣٩] فقد التزم الطرفان بحل النزاعات بينهما بالطرق السلمية ، وبعدم اللجوء إلى استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ، وبأن تواصل قوات الأمم المتحدة مهامها . وتحددت خطوط الانتشار العسكرى لكل من الجانبين على الخريطة . وسمحت مصر بأن تمر فى قناة السويس الحمولات غير العسكرية المتجهة إلى إسرائيل أو القادمة منها بعد أن أعيد فتح القناة للملاحة فى يونيو السابق . وتظل الاتفاقية سارية المفعول إلى أن تحل محلها اتفاقية جديدة .

وأرفق بالاتفاقية ملحق تفصيلى يتناول الانتشار العسكرى والرقابة الجوية . ونتيجة لإصرار السادات ، زاد حجم القوات المسموح بوجودها فى المنطقة المحددة فى الاتفاقية قليلا عن تلك المسموح بها فى يناير ١٩٧٤ : فوصل إلى ٨٠٠٠ رجل فى ثمانى كتائب ، و ٧٥ دبابة ، و٧٢ قطعة مدفعية قصيرة المدى . بيد أنه لم يسمح لأى من الطرفين بوضع أى أسلحة فى مناطق تستطيع منها الوصول إلى خطوط الطرف الآخر .

وكذلك تحددت بالتفصيل الترتيبات الخاصة بأطقم التشغيل والإشراف الأمريكية اللازمة لشبكات الإنذار المبكر فى المناطق العازلة . وتقرر أن يسمح لإسرائيل ومصر بالاحتفاظ بما لا يزيد على ٢٥٠ من الأفراد الفنيين والإداريين فى محطات المراقبة التابعة لكل منهما . ويقوم المدنيون الأمريكيون بتشغيل ثلاث محطات أخرى للمراقبة أصغر حجما ، وإقامة ثلاث حقول للاستشعار بدون أفراد . وكان استعداد إسرائيل لتطبيق بنود الاتفاقية مرهونا بموافقة الكونجرس الأمريكى على دور الولايات المتحدة فى سيناء . كما وقعت الولايات المتحدة خمس اتفاقيات سرية ، أربع منها مع اسرائيل وواحدة مع مصر . وعالجت مذكرة تفاهم أمريكية إسرائيلية تضم ست عشرة نقطة المساعدات العسكرية وإمدادات النفط والمعونة الاقتصادية وعدة نقاط سياسية . واتفقت الولايات المتحدة وإسرائيل على أن الخطوة التالية مع مصر ستكون اتفاقية سلام نهائية . وينسحب

نفس الشيء على الجبهة الأردنية . ووافقت الولايات المتحدة أيضا على التشاور مع إسرائيل فورا في حالة أي تهديد من جانب « قوة عالمية » ، أي الاتحاد السوفيتي . وفي ملحق خاص بالأسلحة ، قدمت الولايات المتحدة التزاما مبهما بـ « الاستجابة الإيجابية » لمطالب إسرائيل من طائرات « اف - ١٦ » وصواريخ بيرشنج ذات الرؤوس التقليدية .(٤٠) وتم في الواقع إنهاء التجميد المفروض على عقد اتفاقيات عسكرية جديدة ، الذي كان قد بدأ في أبريل السابق .

ووقعت مذكرة خاصة بشأن جنيف ، تحدد بالتفصيل سياسة الولايات المتحدة إزاء الفلسطينيين : لا اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولا مفاوضات معها إلى أن تعترف بحق إسرائيل في الوجود وتقبل قراري الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ .(٤١) كما تقوم الولايات المتحدة بتنسيق سياستها في جنيف بعناية مع إسرائيل ، وتوافق على استمرار المفاوضات على أسس ثنائية . وبالإضافة إلى ذلك ، كتب فورد خطابا لرابين يقول فيه : « إن الولايات المتحدة لم تحدد موقفا نهائيا بشأن الحدود (بين إسرائيل وسوريا) ، وعندما تفعل ذلك فإنها ستعطي وزنا كبيرا لما تراه إسرائيل من أن أي اتفاقية سلام مع سوريا لا بد أن تقوم على بقاء إسرائيل في مرتفعات الجولان . وقد أوضحت رأيي في هذا الصدد في حديثنا في ١٣ سبتمبر ١٩٧٤ » .(٤٢)

وفيما يتعلق بمصر ، لم تلتزم الولايات المتحدة إلا بمحاولة إجراء مزيد من المفاوضات بين سوريا وإسرائيل ، وتقديم المساعدة لشبكة الإنذار المبكر المصرية في المنطقة العازلة ، والتشاور مع مصر بشأن أية انتهاكات إسرائيلية للاتفاقية .

ردود الفعل إزاء اتفاقية سيناء الثانية

كان كيسنجر في لحظات تفاؤله يدافع عن دبلوماسية الخطوة خطوة باعتبارها عملية تكتسب أطراف المفاوضات من خلالها الثقة ، وتصبح ملتزمة بتحقيق نتائج ، وتسير قدما بفضل قوة دفع صنع السلام لحل القضايا التي كانت تبدو مستعصية من قبل . ولكن اتفاقية سيناء الثانية كانت أقرب إلى تأكيد رؤيته المتشائمة للنزاع العربي الإسرائيلي . كانت القضايا بالغة التعقيد ، والعواطف مشبوبة ، إلى حد أن بدا أن السلام بين الجانبين لا يمكن التوصل إليه في هذا الجيل . وبالرغم من احتمال عقد بعض الاتفاقيات فإنها على أفضل تقدير ستكون متواضعة وغير كاملة ، وأنه يتحتم على الدبلوماسي الراغب في التوسط بين إسرائيل والعرب أن يرضى بالإنجازات الصغيرة ، وهي على الأقل أفضل من لا شيء . وأن الاستقرار في المنطقة ، والحد من فرص الحرب ، وإنهاء الحظر على النفط أفضل كثيرا من تجدد القتال والمواجهة بين الدول العظمى . وبدت مصر على أي حال ملتزمة بقوة بنهج معتدل .

ولم يسع كيسنجر عامدا لإثارة الانقسام بين العرب . وعلى العكس من ذلك ، اهتم كيسنجر كثيرا بأن تواصل المملكة العربية السعودية تأييدها لسياسات السادات . كما اعترف بأن سوريا تلعب دورا حيويا في السياسات العربية ، ورغب بصدق في اجتذاب سوريا باتجاه تسوية معتدلة مع إسرائيل.(٤٣) إلا أن الظروف الموضوعية حكمت على جهوده بالفشل . فالجولان ليست سيناء ، وتحقيق خطوة ثانية هناك سيكون صعبا إلا إذا كانت إسرائيل على استعداد للتخلي عن المستوطنات

المقامة وراء خطوط وقف إطلاق النار فيما بعد ١٩٦٧ . ولقد أثبتت إسرائيل مقدرة فائقة على التصدى للضغوط الأمريكية والحصول على ثمن غال مقابل الإذعان فى نهاية الأمر . فهل تساوى بضعة كيلو مترات فى الجولان ذلك الجهد ؟ كان السادات يرغب بشدة فى اتفاقية ثانية ، لكن الأسد كان يعوزه الحماس لهذه الفكرة . وهو لم يرفض فكرة الخطوة الثانية رفضا قاطعا ، ولكنه أوضح أنه غير مستعد لأن يدفع فيها ثمنا غاليا . وبدلا من ذلك ، بدأ الأسد هجومه على السادات لتخليه عن النضال ضد إسرائيل ، والدعوة للاعتراف الدولى بمنظمة التحرير الفلسطينية . والسياسات العربية تتميز بدينامية خاصة بها ، وقد أطلقت عنانها اتفاقية سيناء الثانية . وليس واضحا ماذا كان يستطيع كيسنجر أن يفعله ، بدون التخلى عن دبلوماسية الخطوة خطوة ، ليحول دون التباعد بين مصر وسوريا .

وجاء أكبر جهود كيسنجر إثباتا لاستعداده لمواصلة العمل من أجل اتفاقية سلام شاملة ، قبل موافقة سوريا على التجديد لقوة الأمم المتحدة للرقابة على فض الاشتباك فى أواخر نوفمبر ١٩٧٥ . وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ قرارا باعتبار الصهيونية « شكلا من أشكال العنصرية أو التفرقة العنصرية » . واقترعت الولايات المتحدة ضد القرار ، وقال السفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة دانييل باتريك موينيهان إن « الولايات المتحدة ... لا تعترف ، ولن تلتزم ، ولن تذعن لهذا القرار الشائن » . وأيد الرأى العام الأمريكى بقوة كلمات موينيهان القاسية . وأعرب الكثيرون عن احتقارهم للدول التى اعتقدوا أنها خضعت للابتزاز النفطى العربى . وفى مثل هذا الجو ، كان أمرا لافتا للنظر أن يلقى هارولد سوندرز ، نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى ، بيانا بشأن الفلسطينيين أمام اللجنة الفرعية التابعة لمجلس النواب يوم ١٢ نوفمبر .

وأثارت وثيقة سوندرز ، التى أصبحت معروفة باسمه ، حنق الإسرائيليين ، فى حين أنها شجعت العرب . فقد تحدثت الوثيقة عن البعد الفلسطينى فى النزاع العربى الإسرائيلى باعتباره ، فى نواح عديدة ، « لب ذلك النزاع » . وقال سوندرز إن « المصالح المشروعة للفلسطينيين العرب لا بد من أخذها فى الحسبان فى المفاوضات الخاصة بسلام عربى إسرائيلى » . وأصبحت المشكلة هى كيف يتحقق ذلك وليس ما إذا كان ينبغى الأخذ به .(٤٤) وبالرغم من أن البيان لم يتضمن من الجديد سوى النذر القليل ، فإن التوقيت كان هاما . وكان يعنى الإشارة إلى استمرار الاستعداد من جانب الإدارة الأمريكية للعمل من أجل تسوية سلمية . وكان كيسنجر قد راجع مسودة البيان بعناية ، وفحص الكلمات ، ويتردد أنه حصل على موافقة الرئيس فورد عليها . ولكن عندما واجهه رد الفعل الإسرائيلى المعادى ، تخلى كيسنجر عن بيان سوندرز بوصفه ممارسة أكاديمية . ومع ذلك ، بدا أن الولايات المتحدة تتخذ موقفا أكثر مرونة ، بالمقارنة بموقفها فى الماضى عندما أثيرت مسألة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مناقشات الأمم المتحدة التى كان من المقرر إجراؤها فى يناير ١٩٧٦ . وباختصار ، ارتفعت آمال العرب ، ولكنها سرعان ما خابت ، إذ لم يكن هذا التغيير الرمزى فى السياسة الأمريكية يعبر عن محتوى حقيقى .

وكانت المعارضة العامة للتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية تمثل جانبا واحدا من جوانب

عدم الارتياح لسياسة كيسنجر الخارجية . فقد تزايدت حدة الهجوم على سياسة الانفراج ، التى كانت فى وقت ما العلامة المميزة لسياسة نيكسون وكيسنجر ، ليس فقط من جانب المتشددين من أنصار الحرب الباردة مثل هنرى جاكسون ، وإنما أيضا من جانب وزير الدفاع السابق جيمس شليزنجر ، ومن جانب موينيهان بمجرد انتهاء عمله سفيرا لدى الأمم المتحدة .(٤٥) وعلاوة على ذلك ، فإن الكسندر سولجنستين الكاتب الروسى الحاصل على جائزة نوبل والذى فرضت عليه الحكومة السوفيتية أن يعيش فى المنفى ، بدأ يثير اهتماما كبيرا بتحذيراته المتشائمة بشأن أخطار سياسة الانفراج مع الاتحاد السوفيتى . وأثبت جميع المناهضين للانفراج هؤلاء أنهم مؤيدون مخلصون لإسرائيل : فإسرائيل معادية للسوفيت ، وإسرائيل فى مقدمة المدافعين عن حقوق الإنسان لليهود السوفيت ، وإسرائيل دولة ديمقراطية . وكان الضغط الأمريكى على إسرائيل من أجل الانفراج أو من أجل النفط العربى مستهجنا بشدة فى نظر أولئك الناقدين .

ولم يكن الكونجرس من جانبه سعيدا باتفاقية سيناء الثانية كمثال على براعة كيسنجر الدبلوماسية . فعلى أقل تقدير ، فإن المعونة الأمريكية للشرق الأوسط فى السنة المالية ١٩٧٦ سوف تتعدى ٣ مليارات دولار ، منها ٢,٢٥ مليار دولارلإسرائيل ، الأمر الذى يقلل من اعتمادات المعونة المتاحة لباقى العالم .(٤٦) وعلاوة على ذلك ، فقد توقف الكونجرس فى البداية أمام فكرة إرسال مدنيين أمريكيين لمراقبة المنطقة العازلة بين مصر وإسرائيل . وقارن البعض الموقف مع فيتنام ، وإن لم يكن التشابه بالقدر الذى يدعو الكونجرس إلى رفض الفكرة . وحتى أخلص المؤيدين لإسرائيل أيضا ساءهم وجود صواريخ بيرشنج ضمن بنود الأسلحة التى تطلبها إسرائيل . وبدا أمرا مشكوكا فيه أن يوافق الكونجرس على بيع هذه الصواريخ لإسرائيل . وفى ديسمبر ١٩٧٥ سحبت إسرائيل طلبها فى ذلك الوقت على الأقل .

ومع بدء عام الانتخابات فى ١٩٧٦ ، كان واضحا أن الرئيس فورد سوف تستغرقه شؤون السياسة الداخلية ، إذ كان موقفه داخل حزبه محفوفا بالمخاطر ، ولم يكن مؤكدا أنه سيتم ترشيحه فى مؤتمر الحزب الجمهورى فى أغسطس . وكان رونالد ريجان ، حاكم كاليفورنيا السابق ، يمثل تحديا قويا ويلقى تأييدا كبيرا من جانب غالبية العناصر المحافظة فى الحزب . وبرز كيسنجر وسياسته الخارجية كقضية فى حملة الجمهوريين أنصار ريجان ، وكذلك فى حملة الديمقراطيين . ومع أن الشرق الأوسط لم يكن فى البداية واحدا من قضايا الحملة ، فإن النقد الموجه إلى فورد وكيسنجر دفعهما نحو موقف أكثر تشددا تجاه الاتحاد السوفيتى ، وهو ما أوضحته السياسة الأمريكية فى أنجولا ، وحال دون مبادرة طموحة جديدة على الساحة العربية الإسرائيلية .

ولكن بالرغم من ضغوط السنة الانتخابية ، فقد جاهد الرئيس فورد فى محاولة تحسين العلاقات الأمريكية المصرية . وفى أكتوبر ١٩٧٥ كان السادات أول رئيس مصرى يقوم بزيارة رسمية للولايات المتحدة . وطالب السادات خلال الزيارة بمساعدة أمريكية اقتصادية وعسكرية أيضا . وتبع ذلك مناقشة معقدة بين الكونجرس والإدارة ، مع قيام فورد بتخفيض المعونة لإسرائيل للسنة المالية ١٩٧٧ من ٢,٢٥ مليار دولار إلى ١,٨ مليار دولار ، وحث الكونجرس فى الوقت نفسه على الموافقة على بيع ست طائرات نقل من طراز « سى - ١٣٠ » لمصر .

ولم يكن الكونجرس يحبذ زيادة مستوى المعونة لإسرائيل فحسب ، وإنما كان يشعر أيضا بأن إسرائيل ينبغى أن تتلقى منحة إضافية لتغطية « ربع السنة الانتقالى » من يوليو ١٩٧٦ إلى أول أكتوبر ١٩٧٦ ، بداية السنة المالية الجديدة . وفى واحدة من الحالات النادرة للخلاف العلنى بين فورد وكيسنجر ، رفض فورد ، استنادا إلى الميزانية ، تقديم معونة إضافية لإسرائيل لربع السنة الانتقالى ، بينما قال كيسنجر إن الإدارة ليس لديها اعتراض إذا رأى الكونجرس الاقتراع على إضافة ٥٠٠ مليون دولار .

واتجه النظر فى تقديم الأسلحة لمصر اتجاها جديدا فى منتصف مارس ١٩٧٦ ، حينما أعلن السادات إلغاء معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتى التى يبلغ أجلها خمسة عشر عاما . ونظرا للأنباء التى ذكرت حسبما قال محللو وكالة المخابرات المركزية ، أن إسرائيل تمتلك ما بين عشرة إلى عشرين سلاحا نوويا قابلا للتشغيل ، انحسرت المعارضة لمبيعات الأسلحة لمصر ، وإن فضّل الكونجرس أن تجرى المبيعات كصفقات تجارية بحتة . وحصلت مصر بالفعل على الطائرات ، وقيمتها نحو ٥٠ مليون دولار ، وتلقت إسرائيل المعونة الإضافية التى تزيد قيمتها على ذلك عدة أضعاف .

وطوال الجزء الأول من الحملة الانتخابية ، واصل فورد استعداده لتبنى خط متشدد إزاء المعونة لإسرائيل ، وإبداء المعارضة داخل الأمم المتحدة لسياسة إسرائيل بشأن المستوطنات فى الأراضى المحتلة . بيد أنه فى الخريف وحينما أخذ جيمى كارتر حاكم جورجيا ، المرشح الديمقراطى ، يحظى بتقدم هائل فى استطلاعات الرأى ، بدأ فورد يستغل أوراقه كمؤيد قوى لإسرائيل . وفى الشهر الأخير من الحملة أصبح الشرق الأوسط موضوعا للمناقشة من حين لآخر ، حيث حاول كل من كارتر وفورد أن يبز الآخر كصديق أفضل لإسرائيل . وألمح كارتر بصفة خاصة إلى أنه سيتخذ إجراء بالغ الشدة ضد أى حظر للنفط العربى فى المستقبل .

وجاء انتصار كارتر المحدود على فورد فى ٢ نوفمبر ١٩٧٦ ، فحسم مسألة من سيكون الرئيس المقبل ، ولكن أيا من الإسرائيليين أو العرب لم تكن لديهم فكرة واضحة عما ستكون عليه سياسات الرئيس الجديد . وتوقع الجانبان مبادرات جديدة ، كما انتابهما القلق كليهما .

أزمة لبنان

وطوال الجزء الأول من عام ١٩٧٦ ركز الأمريكيون اهتمامهم على الداخل ، فى حين واصلت العلاقات فيما بين العرب تدهورها فى غياب التقدم نحو التسوية . وكانت مصر تحاول التغلب على العزلة التى أثارتها اتفاقية سيناء الثانية ، ولكن المملكة العربية السعودية وحدها هى التى واصلت تأييدها لمصر . وتحركت سوريا والأردن معا ، وكان الفلسطينيون لا يزالون ينددون بالسادات كخائن للقضية .

وفى يناير ١٩٧٦ زادت حدة الأزمة فى لبنان ، وكان مئات الضحايا يسقطون يوميا . وانتشرت التفسيرات التآمرية لأحداث لبنان ، مما أدى إلى إثارة الشكوك وإيجاد جو من عدم الثقة فى أرجاء

العالم العربى . وبدا أن الطرف الوحيد المستفيد من أزمة لبنان ، فى عيون كثير من العرب ، هو إسرائيل . وربما أضاف البعض الولايات المتحدة ومصر أيضا . وأدى لبنان إلى انحراف الاهتمام عن اتفاقية سيناء الثانية ، وأكد أن الضغط العربى المشترك لا يمكن ممارسته للتأثير على إسرائيل أو الولايات المتحدة . وعلاوة على ذلك ، كانت الجماعات المسيحية اليمينية فى لبنان ، التى سلحها وأيدها الغرب وإسرائيل نفسها ، تركز هجماتها على نحو غير مفهوم ضد اليسار اللبنانى وخاصة الفلسطينيين . ورأى البعض أن هذه الهجمات جزء من خطة شاملة تحركها واشنطن للقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية . وعندئذ تستطيع مصر وسوريا والأردن أن تبرم سلاما مع إسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة .

وكان هدف سوريا فى لبنان كما يبدو هو وضع حد مبكر للقتال . فسمحت سوريا أولا لعدة كتائب من جيش التحرير الفلسطينى بدخول لبنان . وبدا أن تيار المعركة يتحول فى الشهور التالية إلى الحد الذى تحدث فيه اليسار ، بزعامة كمال جنبلاط ، عن انتصار عسكرى وشيك على اليمين . وأقلق هذا الاحتمال الولايات المتحدة لأن لبنان يساريا قد يسمح للفدائيين الفلسطينيين بشن هجمات ضد إسرائيل ، الأمر الذى قد يؤدى فى نهاية الأمر إلى نشوب حرب ، تتورط فيها سوريا وكذلك مصر ذاتها . وفى هذه الفترة لعبت الولايات المتحدة دورا إيجابيا للغاية فى حث إسرائيل وسوريا على ضبط النفس .(٤٨) وفوق كل ذلك ، خشيت الولايات المتحدة من أن يثير التدخل السورى إلى جانب الفلسطينيين رد فعل عسكريا اسرائيليا ، مما يهدد بزعزعة الاستقرار الهش للاتفاقيات التى قام كيسنجر بمفاوضات شاقة لتحقيقها .

ولعل التحذيرات الموجهة إلى سوريا قد أتت بمفعولها . إذ كان الأسد يدرك تماما أن لبنان تحت سيطرة اليسار أو الفلسطينيين سيسبب له مشكلات ، وقد يستثير هجمات إسرائيلية تجر سوريا إلى عمل عسكرى متسرع ضد إسرائيل ، أو قد ينحاز إلى جانب العراق ، عدو سوريا اللدود . وكان أكثر ما يصبو إليه الأسد هو أن يغدو لبنان مستجيبا للقيادة السورية . لكن أصبح واضحا مع استمرار القتال أنه لا اليسار ولا الفلسطينيون على استعداد لتلقى الأوامر من دمشق . وبدأت التقديرات الأمريكية لمصالح سوريا فى لبنان تتغير . وفى مايو ، أعلنت الولايات المتحدة ، بتشجيع من الملك حسين ، أن تدخلا عسكريا سوريا محدودا فى لبنان قد يساعد على استقرار الوضع واستتباب الأمن . وحيث إن الولايات المتحدة ، وإسرائيل ايضا كما هو محتمل ، لم تعد تعترض على تحرك سورى ، فقد أمر الأسد قواته المسلحة بدخول لبنان على نطاق واسع فى أوائل يونيو لحماية المسيحيين واليمينيين المحاصرين من اليسار والفلسطينيين .

وسرعان ما وقعت غالبية لبنان تحت السيطرة السورية ، ولكن القتال استمر وخاصة فى بيروت . وتعرض التدخل السورى فى لبنان إلى الإدانة الشاملة من الدول العربية الأخرى ، خاصة مصر التى شاركت العراق وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية لإحباط التحركات السورية . وبدأت فى الظهور نظريات عن التآمر ، تربط الإجراء السورى بسياسات كيسنجر الشيطانية : أن تقضى سوريا على منظمة التحرير الفلسطينية وتكافأ على ذلك بإعادة مرتفعات الجولان ؛ وتستعيد الأردن الضفة الغربية ؛ ثم ينزل سلام أمريكى على المنطقة ؛ ويتم إزاحة القوى الراديكالية والنفوذ السوفيتى ؛ وتمول نقود النفط السعودى تدفق التكنولوجيا الأمريكية .

وكان الخطأ الوحيد فى هذه النظريات أن ملامحها لا تماثل الواقع كثيرا . فبدلا من اتباع سياسة عليا للتعامل مع الأزمة اللبنانية أو الفلسطينيين ، كان المسؤولون الأمريكيون مضطربين ومرتبكين إزاء الحرب الداخلية فى لبنان . وتعامل كيسنجر مع الأزمة أساسا بوصفها امتدادا للنزاع العربى الإسرائيلى ؛ ومن هنا جاءت التحذيرات الموجهة لكل من إسرائيل وسوريا بعدم التدخل فى ربيع ١٩٧٦ . بيد أنه كان للنزاع منطقه الخاص ، مثله فى ذلك مثل السياسة السورية ، منذ أن التزمت بتعهدات محددة تجاه لبنان فى أوائل ١٩٧٦ . ولم يكن الأسد يلعب اللعبة الأمريكية أو الإسرائيلية فى لبنان ، مهما كانت المظاهر السطحية . وببساطة شديدة ، لم يكن فى ذهن كيسنجر وفورد أى لعبة مبيتة ، فيما عدا منع نشوب حرب عربية إسرائيلية على نطاق واسع . وإلى جانب حث الأمريكيين على مغادرة لبنان لم تفعل الولايات المتحدة شيئا يذكر .(٤٩)

واستمر القتال فى لبنان فى فصل الخريف . ودعم المسيحيون سيطرتهم على شريط ساحلى صغير يمتد من بيروت إلى طرابلس . وأصبحت هذه المنطقة من الناحية العملية منطقة حكم ذاتى ، بحكومتها الخاصة وقواتها المسلحة . وحتى الرئيس المنتخب الجديد إلياس سركيس كان تأثيره ضعيفا على المسيحيين . وساعدتهم سوريا بإزاحة الفلسطينيين من المناطق الجبلية إلى شرق المناطق الخاضعة للسيطرة المسيحية ، ودفعهم تدريجيا وبصورة منظمة نحو معقلهم حول ميناء صيدا . وحارب الفلسطينيون ، بمساعدة من العراقيين والليبيين والمصريين ، فى ظل فروق كبيرة لغير صالحهم ولكنهم لم يقدروا على الصمود أمام الهجوم السورى .

وفى اللحظة التى بدا فيها الانتصار السورى وشيكا ، استخدمت المملكة العربية السعودية عضلاتها الدبلوماسية والمالية ، واستدعت الرئيسين الأسد والسادات مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات إلى الرياض فى أواخر أكتوبر ١٩٧٦ لعقد مؤتمر عاجل لوضع حد لسفك الدماء فى لبنان . واتبع الأسد نهجا محنكا للغاية ، ساعيا إلى الوفاق مع السادات فى مقابل تأييد مصر لدور سوريا المهيمن فى لبنان . وفى غضون ساعات انقلب مسار الأحداث فى العالم العربى إلى الاتجاه المعاكس . وعقد على عجل مؤتمر قمة عربى فى القاهرة بعد أيام قليلة للتصديق على الاتفاقات التى تم التوصل إليها فى الرياض ، وكان العنصر الرئيسى فيها هو تشكيل قوة عربية لحفظ السلام تتكون أساسا من السوريين لإعادة القانون والنظام فى لبنان . وخلصت منظمة التحرير الفلسطينية ، بعد قراءة صحيحة لتوافق الرأى العربى الجديد ، إلى أنه ليس أمامها بديل سوى الإذعان . وبحلول شهر نوفمبر أصبح معظم لبنان تحت سيطرة سوريا الفعلية ، وبدا أن الحرب الأهلية التى دامت ثمانية عشر شهرا قد انتهت مؤقتا على الأقل . وفى جنوب لبنان وحده ، حيث كانت القوات السورية مقيدة بسبب التهديدات الإسرائيلية ، كان الموقف لا يزال متفجرا . ولكن حتى فى ذلك الجزء لم تكن سوريا وإسرائيل راغبتين فى المواجهة .

وبدا الائتلاف العربى ، الذى انفرط عقده بسبب اتفاقية سيناء الثانية ، وكأنه ينبعث من جديد الآن . وبفضل التشجيع السعودى عادت مصر وسوريا إلى الحوار فيما بينهما . واحتفظ الأردن بعلاقات طيبة مع سوريا . أما منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد أدبتها نكساتها الشديدة فى لبنان ، فقد أظهرت مؤشرات فسرها البعض باعتبارها استعدادا لانتهاج سياسات أكثر اعتدالا فى

المستقبل . ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن يعمد العرب على ما يبدو إلى إعادة ترتيب بيتهم ، ولو إلى حد ما ، ليتمكنوا من مواجهة الرئيس الأمريكى الجديد بموقف متماسك . وكان من الواضح أنه تم تناسى الانقسامات التى أقعدتهم طوال السنة الانتخابية الأمريكية ، وإن كان من المؤكد أن هذه الانقسامات ستعود فتطفو للسطح فى أوقات أخرى وفى ظروف أخرى . بيد أنه فى هذه اللحظة ، بدا أن الشعور المتجدد بالتضامن العربى سيكون رصيدا قيما فى جولة دبلوماسية جديدة ، كما أنه قد يزيد من أخطار الحرب إذا فشلت الدبلوماسية .

ميراث كيسنجر

سيبقى تأثير هنرى كيسنجر على السياسة الخارجية الأمريكية موضع نقاش لا ينتهى . وحتى الإنجازات التى يعزى له فضلها ، كان معظمها أيضا نتيجة للظروف أو لما قام به آخرون من عمل . ولكن كيسنجر سينظر إليه دون شك كواحد من أقوى وأنجح رجال الدولة الأمريكيين فى حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية . أما كيف استطاع احتلال هذا الموقع المرموق فيعتبر قصة فى حد ذاتها ، تكشف عن مواهب كيسنجر الرائعة كمناور بيروقراطى وسياسى . بيد أن ميراثه الأكثر بقاء سيكمن فى سياساته والمفاهيم الكامنة وراءها .

فبعد بضع بدايات خاطئة ، قام كيسنجر بتطوير نهج متماسك إزاء النزاع العربى الإسرائيلى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وقد انطلق من المقدمة المنطقية التى تقول إن الولايات المتحدة ليست فى حاجة للاختيار بين سياسة موالية للعرب أو سياسة موالية لإسرائيل . فالواقع أن العلاقة الأمريكية الخاصة بإسرائيل هى التى أجبرت العرب على التعامل مع واشنطن بدلا من موسكو ، عندما أصبح الأمر يتعلق بالدبلوماسية . ومن ثم ، فإنه إذا كان فى الإمكان تقديم بديل للحرب ، فإن مصالح العرب ، بعيدا عن مشاعرهم ستقودهم إلى التعامل مع الولايات المتحدة . ولذلك كان انتهاج عملية دبلوماسية ذات مصداقية مسألة أساسية لإضعاف النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط . وهذا الرأى ، بمجرد البوح به ، لا يبدو غير عادى ، بل لعله جلىّ . ومع ذلك ، فكثيرا ما أُغفل هذا الرأى ، وأحيانا من جانب كيسنجر نفسه .

وكانت مساهمة كيسنجر الثانية فى الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط هى تطوير تقنيات تفاوضية محددة تستهدف التوصل إلى اتفاقيات محدودة بين العرب والإسرائيليين . وإذا كانت استراتيجية كيسنجر الرئيسية تبدو تقليدية إلى حد ما ، فإن مهاراته التاكتيكية كمفاوض ووسيط لم يتفوق عليها أحد . ففى هذا أفادته بصورة جيدة بصفة خاصة ، أصالته ، وإحساسه بالتوقيت ، وذكاؤه ، وشخصيته .

وأثبت كيسنجر من الناحية العملية أن المفاوضات الناجحة تتطلب القدرة على تقسيم القضايا إلى أجزاء طيعة ، ثم إعادة تجميعها بصورة خلاقة فى اتفاقيات قابلة للتطبيق . وأن السيطرة على التفاصيل ضرورة أساسية للنجاح ، مثلها مثل الإحساس بمحيط الأشياء وظلالها . وكان النهج الأمريكى الوحيد لمفاوضات يحتمل أن تحقق نتائج ، هو بذل جهد مستدام ، عالى المستوى يؤيده

الرئيس بصورة كاملة . وأثبت كيسنجر أن مثل هذا الجهد يمكن أن ينجح ، كما أثبت مدى صعوبة هذا النجاح .

وأخيرا ، قام كيسنجر بالتطبيق العملى لما يقتنع به من أنه لابد أن تسير القوة والدبلوماسية جنبا إلى جنب . وأنه لا يمكن للولايات المتحدة مطلقا أن تعتمد فى الشرق الأوسط على القوة وحدها أو على المفاوضات وحدها . وكان إيجاد التوازن الحرج بين الاثنتين هو محك اختبار حنكة رجل الدولة . ولا بد من النظر إلى إمدادات السلاح للإسرائيليين أو للعرب كجزء من العملية الدبلوماسية ، وليس كمسألة عسكرية بحتة . ومهما كانت المشكلات التى واجهت كيسنجر فى تعامله مع هذا المبدأ ، فإنه كان يرى بوضوح أن الاعتبارات السياسية ترجح الاعتبارات العسكرية فى هذا النوع من القرارات .

ومما لا شك فيه أن من خلفوا كيسنجر تأملوا قيمة هذه الآراء ، وفكروا فى أوجه قوة نهج كيسنجر وحدوده . لم يكن كيسنجر قادرا على تقرير كيفية التعامل مع السوفيت فى الشرق الأوسط . وكان يتردد بين تضخيم دورهم ثم التقليل من شأنه . كما بدت وجهة نظره فى النهج الشامل للمفاوضات متأرجحة بين الاعتراف بأهمية وجود إطار من نوع ما ، والإيمان بأن كل خطوة يمكن بل ينبغى التعامل معها بمعزل عن الخطوات الأخرى . ويبدو أن كان وراء هذا الغموض ، شك فيما إذا كان يمكن حقا تحقيق السلام بين العرب والإسرائيليين أثناء حياته . وكان يتصرف أحيانا وكأنه يؤمن بإمكان ذلك ، وكان فى أحيان أخرى يبدو مستعدا لقبول مجرد الوضع القائم المستقر .

وأخيرا ، كان لدى كيسنجر نقطة مصابة بالعمى إزاء القضية الفلسطينية . وكان يعلم أن هذه المشكلة لا بد من مواجهتها فى وقت ما . بل يبدو أن فكرة التعامل المباشر مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قد راودته . ولكنه وجه الجانب الأكبر من دبلوماسيته محاولا التغاضى عن هذه القضية الخطيرة ، وأن يؤجل لحظة الحقيقة ، وأن يضعف جاذبية الحركة الفلسطينية ، كل ذلك وهو يأمل دوما فى ظهور بديل ما . ولعل كيسنجر ، كان سيستطيع على مر الوقت ، وبحظ أفضل ، وبرئيس قوى وراءه ، المساعدة فى إيجاد حلول مقبولة لجميع هذه المشكلات التى لم تجد حلا . ولكن هزيمة فورد أنهت حياة كيسنجر العامة ، وتركت لإدارة كارتر مهمة رسم سياسة أمريكية إزاء النزاع العربى الإسرائيلى .

الباب الرابع

فترة رئاسة كارتر

الفصل العاشر

الطموح والواقعية :
كارتر وكامب ديفيد ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨

تولى جيمى كارتر الرئاسة وليس له سوى خبرة قليلة بالشؤون الخارجية . كان قد أمضى فى منصب حاكم ولاية جورجيا فترة واحدة ، اكتسب أثناءها شهرة بالتزامه القوى بالحقوق المدنية . غير أنه لم يكن له سجل معروف إزاء الشرق الأوسط بخلاف تعليقات قليلة أدلى بها أثناء الحملة الانتخابية لا تساعد كثيرا على معرفة ما الذى ستكون عليه سياسته فى هذا الصدد .

وإذا كان من الصعب التنبؤ بآراء كارتر المحددة بشأن القضايا العربية الإسرائيلية ، فإنه كان قد أبدى عادات معينة فى التفكير قد تكشف عن نهجه الأساسى . فقد كان يبدو أن كارتر ، الحاصل على مؤهل هندسى ، يعتقد أن أفضل طريقة لمعالجة المشاكل المعقدة هى دراستها بتأن ، ووضع خطط مفصلة ومشاريع شاملة بشأنها . وأقل ما يقال فى هذا الصدد إنه كان حلالا للمشاكل بأكثر من كونه مخططا استراتيجيا بارعا .

وكان يبدو أيضا أن لدى كارتر شعورا بالتفاؤل يجعله يعتقد أنه يمكن حل المشاكل إذا ما عمل الزعماء على التحاور بشأنها بتعقل والانصياع إلى طموحات شعوبهم إزاءها . وربما يكون قد تأثر فى هذا الصدد بشكل واع بخبرته حيال حركة الحقوق المدنية ، وبقناعاته الشخصية المنبثقة عن عودته من جديد إلى التمسك بالعقيدة المسيحية . ولم يكن أى من هذه الصفات يكفل أنه سيبدى اهتماما قويا بالنزاع العربى الإسرائيلى ، إلا أنها كانت توحى بأن صعوبة القضية أو تعقيدها لن يثنيه عن الاهتمام بها ، بل وقد يراوده شعور بالتحدى لمعالجة مشكلة استعصت على الحل لزمن طويل .

وكان الأمر يعتمد فى أكثره على فريق السياسة الخارجية الذى سيشكله ، وكانت الدلائل فى هذا الصدد تشير إلى أنه سيعتمد على شخصيات بارزة من مؤسسة الحزب الديمقراطى . فقد اختار لمنصب وزير الخارجية سيروس فانس ، وهو مفاوض متمرس ، ومحام دولى ، ونائب لوزير الدفاع أثناء الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧ . ولم تكن آراء فانس بشأن قضايا الشرق الأوسط معروفة على نطاق واسع ، إلا أنه كان يتوقع أن يكون من مؤيدى الاستمرارية والتفاوض والدبلوماسية المتزنة الهادئة .

واختار كارتر لمنصب مستشار الأمن القومى أستاذ جامعة بولندى المولد هو زبجنيو بريجينسكى . وكان بريجينسكى ، على عكس فانس ، قد أبدى مؤشرات عن تفكيره ، فى شكل

مقالات وكتب عديدة ، معظمها بشأن المواضيع المتصلة بالاتحاد السوفيتي ، ولكن بعضها بشأن الشرق الأوسط . كان بريجينسكي ممن يؤمنون بالتنافس مع السوفيت حول مواقع النفوذ ، ويرى في النزاع العربي الإسرائيلي مصدرا لعدم الاستقرار والراديكالية في منطقة حساسة من الناحية الاستراتيجية الجغرافية . وكان قد أيد علنا فكرة إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ، وكان أحد الموقعين على تقرير بروكنجز المثير للجدل .[1] وكان بريجينسكي ، الذي يراوده الأمل بشكل واضح في بلوغ منزلة سلفه وغريمه الأكاديمي هنري كيسنجر ، يبدو مصمما على وضع النزاع العربي الإسرائيلي على مقربة من قمة أولويات الإدارة الجديدة .

وفي حين كان هناك لاعبون آخرون في فريق السياسات يتبادلون المواقع داخل دائرة النفوذ ، فإن كارتر وفانس وبريجينسكي كانوا صناع السياسة الرئيسيين .وفي أمور الدفاع ، كان لوزير الدفاع هارولد براون وزن كبير ، وكشف عن ذكاء حاد ، إلا أنه لم يكن حريصا على فرض آرائه بشأن معظم قضايا السياسة خارج دائرة مسؤولياته المباشرة . وكان لوالتر مونديل نائب الرئيس روابط وثيقة بالجالية اليهودية ، وكان حساسا على وجه الخصوص لأي خطوة قد تفضي إلى ردود فعل سلبية من هذه الجالية أو من الكونجرس . وكان يتدخل بقوة بين الحين والحين في المداولات الداخلية ، ولكن لم يكن له دور هام في تشكيل السياسات . كما لم يكن « لمافيا جورجيا » المكونة من هاميلتون جوردان ، وستيوارت ايزنشتات ، وجودي باول ، وروبرت ليبشوتز تأثير كبير ، رغم أن جوردان ، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لموظفي البيت الأبيض ، كان من رجال التاكتيك الحاذقين ، وكان من القادرين على الاتصال المباشر بكارتر دون عائق . وكان جوردان يولي هو ومونديل الانتباه إلى ما يترتب على سياسة كارتر إزاء الشرق الأوسط من آثار داخلية ، إلا أنهما لم يكونا من مصممي السياسات بقدر ما كانا يتصرفان كمسؤولين عن منع الضرر .[2]

التقييم الأولي

في خلال أيام قليلة من وصول الرئيس كارتر إلى واشنطن ، كان فريق السياسة الخارجية التابع له قد بدأ يناقش كيفية استهلال مبادرة سلام جديدة بشأن الشرق الأوسط ، وما إذا كان هناك ما يدعو إلى ذلك . وكان كل من الوزير سيروس فانس ومستشار الأمن القومي زبجنيو بريجينسكي يؤيدان الرئيس في تحبيذه لقيام الولايات المتحدة بدور قوي في المفاوضات المتعلقة بالسلام في الشرق الأوسط . وكان تقييمهم ، وهو تقييم معظم المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية ، أن أوائل عام ١٩٧٧ تتيح فرصة سانحة لممارسة الولايات المتحدة لدور قيادي في جولة جديدة من المفاوضات . وكانت الدول العربية الرئيسية تبدو مستعدة لإجراء محادثات جادة ، وكان يبدو أنه قد تم إيجاد درجة من توافق الآراء من خلال الوساطة السعودية في خريف ١٩٧٦ . كان النزاع في لبنان قد خبت حدته ، وبدأت أحوال النفط تستقر . وكان أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر الذي يتمتع بمنزلة كبيرة في واشنطن ، يحث الإدارة الجديدة على انتهاز هذه الفترة من الاعتدال في العالم العربي ، وهي رسالة حظيت بمساندة السعوديين .

وكان يبدو أن إسرائيل تتوقع هي الأخرى أن تعود الولايات المتحدة إلى الساحة الدبلوماسية.

بعد الغياب الاضطرارى فى السنة الانتخابية . وكان من المتعين أن تواجه حكومة رئيس الوزراء إسحق رابين انتخابات فى الربيع ، وكانت فى موقف دفاعى بدرجة غير مسبوقة . غير أن المسؤولين فى واشنطن كانوا يشعرون أن بالإمكان إجراء محادثات تمهيدية قبل توجه الإسرائيليين إلى صناديق الاقتراع ، وأنه حتى لو لم تجر هذه المحادثات ، فإن أى حكومة جديدة ستُبنى حول التحالف العمالى الذى حكم إسرائيل منذ مولدها . وكان حزب العمل عنصرا معروفا ، ومن المرجح أنه سيتخذ موقفا متشددا فى المفاوضات ، ولكنه مستعد فى نهاية الأمر للمساومة وتنسيق السياسات مع واشنطن . وكان قد سبق التوصل إلى ثلاث اتفاقيات لفض الاشتباك مع حكومات حزب العمل ، وأصبح المفاوضون الأمريكيون يكنون الاحترام لمهارات قيادات مثل جولدا مائير وإسحق رابين وموشى ديان وشيمون بيريز .

وإذا كان من المتصور أن الحقائق السياسية فى العالم العربى وإسرائيل ستفضى إلى جولة دبلوماسية جديدة ، فإن ظلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت تعمل على التذكير باستمرار بمخاطر انهيار عملية السلام . لقد مرت ثلاث سنوات بالكاد منذ اندلاع تلك الجولة من القتال ، وكانت ذكريات المواجهة الوشيكة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، والتأهب النووى ، وأزمة النفط ، لا تزال عالقة بالأذهان . وكان هناك إدراك بأن نشوب حرب يشارك فيها جميع الأطراف فى الشرق الأوسط قد ينطوى فى يوم ما على استخدام الأسلحة النووية ، وهو أمر كان يندر التطرق إلى ذكره رغم إدراكه . وكانت هذه الإمكانية تجعل المنطقة خطيرة بشكل استثنائى ، وتضيف دافعا قويا إلى الجهود المبذولة لصنع السلام .

وبعد أن أجرت حكومة كارتر هذا التقييم المبدئى ، فإنها استغرقت وقتا طويلا فى التفكير فيما إذا كانت تولى النزاع العربى الإسرائيلى أولوية عالية أم لا . وتركزت معظم المناقشات الباكرة حول الوسائل التى قد تستخدم فى هذا الشأن . وكان هناك اعتقاد لدى الكثيرين بأن أسلوب الدبلوماسية المكوكية الذى اتبعه هنرى كيسنجر لتحقيق اتفاقات محدودة قد استنفد أغراضه بإبرام اتفاقية سيناء الثانية . كانت الولايات المتحدة قد دفعت ثمنا غاليا من أجل انسحاب إسرائيلى جزئى لم يفتح الطريق أمام أى اتفاقات أخرى مماثلة . فلم تكن سوريا أو الأردن على استعداد لاقتفاء أثر السادات ، بل إن السادات نفسه كان يصر على أن تكون الخطوة التالية هى التحرك صوب تسوية شاملة . كما أن الإسرائيليين كانوا عازفين عن التراجع عن مواقعهم الاستراتيجية الحصينة فى سيناء إلا فى مقابل اتفاقية سلام ومفاوضات مباشرة مع مصر .

ووافقت لجنة استعراض السياسات التابعة لمجلس الأمن القومى فى اجتماع لها فى ٤ فبراير ١٩٧٧ على أن توصى الرئيس بأن تعالج قضية الشرق الأوسط بوصفها مسألة ذات أولوية عاجلة ، وبأنه ينبغى لوزير الخارجية فانس أن يذهب إلى المنطقة فورا للبدء فى مناقشات بشأن الإجراءات وجوهر الموضوع . وارتأى المستشارون البارزون للرئيس أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تشجع على التوصل إلى اتفاق على مبادىء عريضة ثم تسعى بعد ذلك لتنفيذ هذه المبادىء على مراحل ، وأن على الحكومة أن تسعى للحصول من الجانب العربى على تعريف واضح للسلام ، وأن تحاول التوصل إلى تفاهم مع الإسرائيليين بأنه يمكن تحقيق الأمن بدون إدخال تعديلات ذات شأن فى حدود

١٩٦٧ . ولم يكن هناك فى هذه المرحلة من المناقشات الداخلية أى شعور بالعجلة بشأن الذهاب إلى جنيف لحضور مؤتمر رسمى ، وكان التركيز ينصب على المحادثات السابقة على جنيف من أجل التمهيد لإجراء مفاوضات تتسم بطابع أكثر رسمية فى وقت لاحق . كما اتفق فى هذا الاجتماع على ضرورة إحاطة السوفيت علما بالتقدم المحرز فى محادثات الولايات المتحدة مع الأطراف المعنية ، على ألا يشتركوا فى المحادثات فى هذه المرحلة .(٣)

وأقر الرئيس هذه المقترحات ، وذكر أن اجتماعاته التى سيعقدها مع قادة الشرق الأوسط خلال الأشهر القليلة المقبلة قد ترسى بعض الأسس الموضوعية قبل بدء المفاوضات المباشرة بين الأطراف . بيد أنه كان بوسع المرء أن يستشف بالفعل من هذه المناقشات التى تجرى بين الرئيس ومستشاريه بعض الفروق الدقيقة بين من هم أكثر ميلا للنظر إلى « جنيف » بوصفها هدفا مستصوبا فى حد ذاته ، ومن يرون أن التعاون مع السوفيت أمر حتمى بدرجة ما ، ثم من هم أكثر ارتيابا فى كل من جنيف وموسكو . ومن المثير للاهتمام أن أيا منهم لم يتقدم بالحجة القائلة بأن مبادرات الولايات المتحدة المبكرة قد تنتهى إلى زعزعة الاستقرار فى إسرائيل أو قد تدفع بتوقعات العرب إلى مستويات غير واقعية .

وفى منتصف فبراير كان فانس فى الشرق الأوسط يستطلع رأى كل زعيم فى الكيفية التى ينظر بها إلى الموقف ، كما يوضح أن الولايات المتحدة لديها هى الأخرى بعض الأفكار فى هذا الصدد . ووجهت الدعوة إلى رابين والسادات والملك حسين عاهل الأردن والأمير فهد ولى عهد المملكة العربية السعودية لزيارة واشنطن والاجتماع بالرئيس الجديد ، كما طُرحت فكرة عقد اجتماع بين كارتر والرئيس السورى حافظ الأسد .

وعقد فى ٢٣ فبراير اجتماع رسمى لمجلس الأمن القومى بعد عودة فانس ، ذكر فيه أن جميع الأطراف الذين تشاور معهم صرحوا بأنهم على استعداد للتوصل إلى اتفاقية سلام ، ووافقوا جميعا على التوجه إلى مؤتمر جنيف فى سبتمبر ، وعلى مناقشة لب القضية قبل بدء هذه المحادثات . والتقى الجميع على أن القضايا الرئيسية فى جدول الأعمال هى طبيعة السلام ، والانسحاب ، والمسألة الفلسطينية . وكان أصعب القضايا الإجرائية هى كيفية إدخال ممثلين عن الفلسطينيين فى المفاوضات . وبدا أن فانس يعتقد أن العرب سيشكلون وفدا واحدا فى جنيف ، يمكن أن يضم أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية . وكان قد أخبر الزعماء العرب بأن التوصل إلى موقف مقبول بشأن هذه القضية قبل الذهاب إلى جنيف أمر يرجع إليهم . وكان السادات قد حث الولايات المتحدة على إشراك منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنه طرح أيضا إمكانية تمثيلها من خلال بعض السبل الأخرى ، وذلك مثلا من خلال ممثل لجامعة الدول العربية .(٤)

وفى محادثات الوزير فانس مع الزعماء الإسرائيليين خلال رحلته الأولى ، قيل له إن أى حكومة إسرائيلية لن توافق على التحادث مع منظمة التحرير الفلسطينية مادامت ملتزمة بتدمير إسرائيل . ووجه فانس سؤالا إلى وزير الخارجية إيجال آلون عما إذا كان يغير من الأمر لديهم أن تقبل منظمة التحرير الفلسطينية قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وحق إسرائيل فى الوجود كدولة . وأجاب آلون بأن منظمة التحرير الفلسطينية التى تقبل بوجود إسرائيل لن تعود هى منظمة التحرير الفلسطينية ، وأن

موقف إسرائيل سيكون مختلفا حينئذ .(٥) وشجعت هذه الإجابة الولايات المتحدة على البحث فى إمكانية تغيير منظمة التحرير الفلسطينية لموقفها الرسمى إزاء القرار ٢٤٢ . ووعد المصريون والسعوديون معا باستخدام نفوذهما ، بل وذهب المصريون إلى حد القول بأنهم سيحثون منظمة التحرير الفلسطينية على تغيير ميثاقها الذى يدعو إلى تدمير إسرائيل .

وتضمنت المرحلة الثانية من استراتيجية الولايات المتحدة استخدام سلطة الرئيس بشكل علنى لمحاولة إزالة العراقيل أمام العديد من القضايا الموضوعية . وكان كارتر ومستشاروه نافدى الصبر حيال بعض المعتقدات الشائعة بشأن الكيفية التى ينبغى أداء الدور الأمريكى بها . ولم يكن يرتاح للرفض العربى لإبرام سلام مع إسرائيل ، أو حتى مجرد استخدام كلمة « سلام » ، وكان يعتقد بقوة أنه يتعين على إسرائيل أن تتوصل إلى تفاهم بشكل ما مع الفلسطينيين ، بل وإلى تفاهم مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان يستخدم تعبير الفلسطينيين وتعبير منظمة التحرير الفلسطينية كمترادفين فى الأشهر الأولى من توليه منصبه . ورغم أنه كان شديد التعاطف مع هموم إسرائيل الأمنية ، فإنه لم يكن يشعر بأن التوسع فى الأراضى هو مفتاح هذا الأمن .

كان كارتر مستعدا ، بل ومتلهفا ، للحديث علنا عن جميع هذه القضايا ، ولمناقشتها على انفراد . وكان من بين انتقاداته لأسلوب كيسنجر ذلك التركيز على السرية الذى حجب المعلومات المتعلقة بمشاكل السياسة الخارجية الرئيسية عن الجمهور الأمريكى . وكان كارتر ميالا إلى الحديث علنا عن مبادرات السياسة الخارجية التى يفكر فيها . وفى بعض الأحيان كانت هذه الصراحة تؤدى إلى توتر أعصاب الدبلوماسيين ذوى الميول الأكثر تقليدية ، وتوتر أعصاب الزعماء الأجانب ، ولكن كارتر كان يبدو فى كثير من الأحيان وكأنه يفعل ذلك عن عمد . كان يبدو أنه يشعر بأن الفترة المتاحة التى يستطيع أن يترك بصماته خلالها على سياسة الشرق الأوسط محدودة ، وأنه ينبغى معالجة القضايا الخلافية فى وقت مبكر من فترة حكمه . وأدت هذه الرؤية إلى وضع العديد من الخطط الشاملة لتسوية كافة أنواع المشاكل ، بما فى ذلك مشاكل الشرق الأوسط . وكان الرئيس يتحدث أحيانا بهذا الوعى بالدورة السياسية والحاجة إلى اتخاذ مواقف قوية خلال فترة شهر العسل المبكرة من حكمه ، وربما يكون قد خامره الإحساس بأنه سيضطر إلى الرضا بما هو أقل من ذلك فى نهاية الأمر ، وإن كان يأمل أيضا فى تحقيق فتح ما فى هذه المسألة أو غيرها .

وفى ٧ ـ ٨ مارس ١٩٧٧ ، اجتمع كارتر فى البيت الأبيض مع رئيس الوزراء الإسرائيلى رابين لإجراء مناقشات موضوعية جادة جدا . ولم تكن الكيمياء الشخصية بين الاثنين طيبة على وجه الخصوص ، غير أن محضر المحادثات يبين أن الزعيمين أجريا استطلاعات متعمقة لما يحتمل أن تسفر عنه المفاوضات المقبلة . وعند معاودة النظر فى هذه المحادثات ، فإنها تبرز كواحدة من أفضل المناقشات الموضوعية التى أجراها كارتر مع أى زعيم من زعماء الشرق الأوسط . بيد أنه حدث بعد وقت قصير منها سوء تفاهم . فقد ادعى رابين علانية أن كارتر أيد الفكرة الإسرائيلية المتعلقة « بالحدود التى يمكن الدفاع عنها » . ولم يرغب كارتر فى الإبقاء على الانطباع الزائف بأنه منح رابين شيكا على بياض ، ومن ثم أصدر البيت الأبيض توضيحا للأمر . وخلّفت هذه الواقعة انطباعا خاطئا بحدوث أزمة فى العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وهى الفكرة التى قد تكون أسهمت فى هزيمة حزب العمل فى الانتخابات التى أجريت بعد شهرين من هذا التاريخ .(٦)

وفور اجتماع كارتر مع رابين تقريبا ، وكجزء من محاولة التصدى لبعض ما يسربه الإسرائيليون من معلومات بشأن ما دار حوله النقاش ، أفصح كارتر علانية عن المبادىء الأساسية الثلاثة ، من وجهة نظره ، للسلام الشامل فى الشرق الأوسط . وتنطوى هذه المبادىء على الحاجة إلى مظاهر ملموسة للسلام والعلاقات الطبيعية ، مثل التجارة وتبادل الدبلوماسيين ؛ والحاجة إلى ترتيبات أمن لجميع الأطراف ، ولكن دون المساس بمنشآت الحدود المعترف بها على طول خطوط ١٩٦٧ ؛ والحاجة إلى حل للمشكلة الفلسطينية التى لها أبعاد سياسية فضلا عن أبعادها الإنسانية . وبعد أيام قليلة ، فى ١٦ مارس ، كرر كارتر هذه النقاط فى بلدة كلينتون ، بولاية ماساشوستس ، مستخدما لأول مرة صيغة « الوطن الفلسطينى » .[٧] ولا حاجة إلى القول بأن الإسرائيليين شعروا بالذهول والقلق ، وأن العرب شعروا بالتشجيع بصفة عامة .

ورغم أن الوطن الفلسطينى أصبح محور معظم المداولات العلنية ، فإن الافتراضين الرئيسيين لكارتر ، واللذين يستحقان تمحيصا متأنيا ، كانا إيمانه بأن التسوية السلمية يجب أن تنجم عن اتفاق مسبق على المبادىء الأساسية - الإطار الشامل - وليس عن مساومات جزئية حول قضايا منفصلة ، واقتناعه بأن إسرائيل تستطيع تحقيق الأمن (علاوة على السلام والاعتراف بها) داخل الحدود الجغرافية لعام ١٩٦٧ بعد إدخال تعديلات طفيفة عليها . وقد قامت النقطة الأخيرة على اعتقاده بأن أى زعيم عربى لن يوافق مطلقا على الاعتراف بإسرائيل ما لم تقم بإعادة معظم الأراضى المستولى عليها فى ١٩٦٧ ، وأن أمن إسرائيل سيقوم فى نهاية الأمر على نوعية العلاقات السياسية التى تربطها مع جيرانها بقدر ما يقوم على قوتها العسكرية . وكان العنصر الأخير الذى قامت عليه بيانات كارتر العامة هو أن مصر ، وهى أكثر البلدان العربية استعدادا لإبرام السلام مع إسرائيل ، لن تفعل ذلك ما لم يتم الشروع فى عملية سلام ما أوسع مدى . وكان السادات نفسه أكثر من يصر على إثارة هذه النقطة .

وعلى مدار الأشهر الثلاثة التالية ، اجتمع كارتر مع السادات وحسين وفهد والأسد . ونوقش فى كل اجتماع من هذه الاجتماعات الثالوث الموضوعى : السلام ، وأمن الحدود ، والمسألة الفلسطينية ، بنوع من التعمق ، إلى جانب المسائل الإجرائية المتعلقة بكيفية تمثيل الفلسطينيين فى المفاوضات المقبلة . وكانت أكثر المظاهر تشجيعا خلال هذه المرحلة استعداد السادات لتقبل فكرة أن السلام يستلزم إقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل ، بما فى ذلك تبادل الدبلوماسيين والاعتراف الكامل .[٨] غير أن الحكومة الإسرائيلية كانت مهيأة هى الأخرى ، فى الوقت الذى تصر فيه على أنها لن تقبل بوجود دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية ، لمناقشة الانسحاب ، وكانت منفتحة على فكرة أن الأمن لن يتطلب بالضرورة تغييرات كبيرة فى الحدود تتجاوز خطوط ١٩٦٧ . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن رابين وآلون وبيريز تحدثوا جميعا عن الحاجة إلى حل المشكلة الفلسطينية كيما يقوم السلام فى المنطقة . وكان الزعماء العرب يتنبأون فى أحاديثهم الخاصة بأن منظمة التحرير الفلسطينية ستنظر فى تخفيف موقفها من الاعتراف بإسرائيل .

وهكذا فإن حكومة كارتر كانت قد شرعت بحلول منتصف العام فى الإعلان عن مبادرتها السلمية ، وكانت النتائج مشجعة للغاية . بيد أن من الإنصاف القول بأن الرئيس كثيرا ما كان يشعر

بالإحباط من جراء الصعوبة البادية فى معالجة القضايا ، وتعقد المشكلة ، والحساسية السياسية الداخلية التى تستثيرها تعليقاته العامة ، وذلك القدر البالغ من الوقت اللازم لتحريك العملية .

غير أنه حدث فى ٢١ يونيو ١٩٧٧ أمر لم يكن متوقعا . فقد أصبح مناحم بيجين ، الذى كانت كتلة ليكود التى يتزعمها قد فازت فى انتخابات الكنيست فى الشهر السابق ، رئيسا لوزراء إسرائيل . وكان بيجين شخصية غير معروفة فى واشنطن . وبقدر ما كان المسؤولون الحكوميون يعرفون آراءه ، فإنهم كانوا يدركون أنه يعارض نهج حزب « العمل » إزاء « الحل الوسط الإقليمى » مع الأردن كوسيلة لمعالجة وضع الضفة الغربية والمسألة الفلسطينية . وكان معروفا أن بيجين يحبذ التوسع فى المستوطنات الإسرائيلية ، وكان من أول أعماله التى ضايقت حكومة كارتر زيارته لمستوطنة « ايلون موريه » حيث أعلن أنه يؤيد إنشاء المزيد من أمثال هذه المستوطنات . وأصبحت هاتان القضيتان ـ عدم استعداد بيجين لقبول مبدأ الانسحاب من الضفة الغربية فى أى ظرف من الظروف ، والتزامه بالمستوطنات ـ المصدرين الرئيسيين للنزاع بين الولايات المتحدة وإسرائيل على مدار السنتين التاليتين .(٩)

إعادة تقييم السياسات

مما يثير الدهشة إلى حد ما أن اللقاء الأول بين كارتر وبيجين كان أكثر ودا من لقائه مع رابين . كان كارتر يعتقد فيما يبدو أن بيجين سيصبح أكثر تشددا إذا تعرض للضغط عليه ، وكان بعض مستشاريه مقتنعين بأن بيجين سيستجيب على أفضل وجه للقاء الأول المتسم بالاحترام والتهذيب . وكانت الكيمياء الشخصية بين الرجلين لا يمكن أن توصف بأنها حارة ، إلا أن المحادثات جرت بطريقة ودية .

ورغم أن بيجين حضر إلى الاجتماع مستعدا باقتراحات إجرائية من أجل المفاوضات مع العرب ، فإنه لم يظهر أى أمارة على الرغبة فى مناقشة جوهر الموضوع مع الولايات المتحدة . وكان هذا فى الحقيقة أحد أوجه الاختلافات الأولية بين بيجين ورابين : فقد كان رأى بيجين أنه لا ينبغى أن تشترك الولايات المتحدة فى جوهر المحادثات العربية الإسرائيلية ، وينبغى لها أن تقصر دورها على الجمع بين الطرفين . فهو كان يخشى بجلاء من أن يكون موقف الولايات المتحدة من كثير من القضايا أقرب إلى الموقف العربى ، ولذلك كان يرغب فى أن يكون لواشنطن أقل دور ممكن فيما يتعلق بالموضوع . وعلى النقيض من ذلك كانت الحكومات الإسرائيلية السابقة تصر على التشاور الوثيق مع الأمريكيين كطريقة للحيلولة دون اتخاذ خطوات أحادية الجانب قد تضعف موقف المساومة الإسرائيلى . وكان بيجين يبدو كما لو كان يقول إن إسرائيل لا تشعر بالحاجة إلى الاستشارة ، ويطلب فى الوقت نفسه أن تكف الولايات المتحدة عن طرح أية أفكار من عندها بشأن جوهر القضية .

ومن سوء حظ بيجين أن الولايات المتحدة كانت قد قطعت بالفعل شوطا بعيدا على طريق محاولة استنباط مشروع مبادىء ينبغى الاتفاق عليه قبل انعقاد مؤتمر جنيف . وكان قد تم الاتفاق على خمسة مبادىء فى مناقشات أجريت داخل الحكومة فى أوائل يوليو ، وقد نوقشت هذه المبادىء

أثناء زيارة بيجين . وكانت النقطة الأولى تنص على أن الهدف هو السلام الشامل ؛ والثانية تعيد التأكيد على أهمية قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمفاوضات ؛ والثالثة تحدد هدف السلام على أنه ينطوى على إقامة علاقات طبيعية وليس مجرد إنهاء حالة القتال ؛ وتعالج الرابعة مسألة الحدود والانسحاب على مراحل ؛ وتتعلق الخامسة بالفلسطينيين وحقوقهم ، بما فى ذلك الوسائل « التى تسمح للفلسطينيين بحق تقرير المصير من خلال اتخاذهم قرار بشأن وضعهم فى المستقبل » .

واستعرض فانس ، ومن بعده كارتر ، هذه النقاط مع بيجين فى ١٩ و ٢٠ يوليو ، ووجدا أن بيجين يرفض النقطة الخامسة بشأن الفلسطينيين كلية ، وأنه يصر فيما يتعلق بالنقطة الرابعة على ضرورة ألا تذكر الولايات المتحدة علانية أو سرا أنها تحبذ الانسحاب إلى خطوط ١٩٦٧ مع بعض التعديلات الطفيفة لا غير . وفى جلسة مسائية جمعت بين كارتر وبيجين وحدهما ، وافق كارتر على عدم ذكر خطوط ١٩٦٧ والتعديلات الطفيفة عليها علانية ، وطلب من بيجين فى مقابل ذلك أن يبدى نوعا من ضبط النفس إزاء المستوطنات . وكان هذا الحل الوسط جزءا من محاولة لتهدئة المناخ الساخن قبيل انعقاد مؤتمر جنيف ، إلا أنه عكس أيضا تحولا طفيفا نحو قبول الفكرة القائلة بأنه يمكن تحقيق تقدم حقيقى بسيط الآن إلى أن تبدأ الأطراف فى الحديث مع بعضها البعض . وبدأت القضايا الإجرائية تكتسب أهمية أكبر ، وأصبح ينظر إلى الموافقة المسبقة على المبادىء الأساسية قبل الذهاب إلى جنيف على أنها أمر غير محتمل بالنظر إلى الفجوة الهائلة بين بيجين وبين حتى أكثر الزعماء العرب اعتدالا .(١٠)

ووجد وزير الخارجية فانس ، الذى كان قد بدأ يركز على مسألة الكيفية التى قد يمثل بها الفلسطينيون فى جنيف ، أنه يميل بشكل متزايد إلى فكرة الوفد العربى الواحد الذى يضم فلسطينيين . وكانت إسرائيل قد أوضحت أنها لن تتعامل مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية كوفد منفصل ، ولكنها لن تعترض على وجود فلسطينيين فى الوفد الأردنى . بيد أن الأردن لم يكن يعتزم تمثيل الفلسطينيين ، وكان يفضل الفكرة السورية المتعلقة بجبهة تفاوضية عربية مشتركة ، وذلك فى المقام الأول للحيلولة دون قيام السادات بتحركات من جانب واحد . وكانت مصر تحبذ وجود وفد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنها أبدت استعدادا للنظر فى الصيغ الأخرى أيضا . وخلال معظم يوليو وأغسطس وسبتمبر ، كانت هذه القضية هى الموضوع الرئيسى للمناقشات ، وبدا أن بالإمكان تحقيق بعض التقدم بشأنها .

وكان فانس يتدبر فى نفس الحين أفكارا بشأن كيفية معالجة مسألة الضفة الغربية فى سياق مختلف نوعا ما عنه فى الأراضى المحتلة الأخرى . كان قد انجذب فى البداية إلى فكرة إجراء استفتاء بين سكان الضفة الغربية لمعرفة آرائهم بشأن العملية التفاوضية . وركن فيما بعد إلى فكرة فرض « الوصاية » على المنطقة لفترة انتقالية ، وأجريت دراسات عديدة لتقييم إمكانية تنفيذ هذه الفكرة .

وفى أوائل أغسطس ١٩٧٧ ، قام فانس برحلة هامة جدا للشرق الأوسط . وأخذ معه نصا منقحا للمبادىء الخمسة لمناقشته مع قادة مصر وإسرائيل وسوريا والأردن والمملكة العربية السعودية

ولبنان . وكان يحمل معه أيضا أربع طرق محتملة لإشراك الفلسطينيين فى مفاوضات جنيف ، وكان جاهزا أيضا لطرح فكرته الجديدة بشأن الوصاية على بساط البحث .

وخلال محادثات فانس فى مصر ، أبدى السادات قلقا بالغا إزاء التحول نحو المناقشات الإجرائية ، والتخلى عن فكرة الموافقة المسبقة على المبادىء قبل الذهاب إلى جنيف . وكان من رأيه أنه ينبغى استخدام جنيف لتوقيع وثائق متفق عليها مسبقا ، ولا أكثر من ذلك . وكان السادات يشعر بالقليل من الصبر حيال فكرة التفاوض مع إسرائيل ، مفضلا أن تقدم الولايات المتحدة خطة تستطيع جميع الأطراف أن تبدى رأيها بصددها . ولتشجيع هذا التفكير ، قدم السادات لفانس فى الاسكندرية وثيقة سرية للغاية .(١١) كانت مشروعا لمعاهدة سلام قال السادات إنه مستعد لتوقيعها ، ولكنه لم يكن يود أن يعرف أى من الأطراف الآخرين بوجودها . وحث فانس بدلا من ذلك على أن يطلب من الإسرائيليين أن يتقدموا بمشروع معاهدة من عندهم ؛ وعندئذ يمكن لفانس أن يكشف عن المشروع المصرى ، الأمر الذى سيؤدى فى نهاية المطاف إلى اقتراحات وسط من الولايات المتحدة . وفى تاكتيك درج السادات على اللجوء إليه مرارا بعد ذلك ، أخذ المشروع المصرى وكتب على هوامشه بخط يده التنازلات الأخرى التى لديه استعداد لتقديمها . وكان من المفترض أن المقصود بهذه الملاحظات المدونة إقناع فانس بأن السادات سيكون مرنا إزاء معظم النقاط الموضوعية ، ولكنه لن يكون مرنا إزاء « الأرض والسيادة » حسبما ذكره مرارا .(١٢)

وشجع فانس أيضا أثناء محادثاته مع المصريين على الاعتقاد بأن منظمة التحرير الفلسطينية على وشك تغيير موقفها من قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ . وأوصى فانس ، كيما يضيف حافزا ، بأن يكرر الرئيس كارتر القول علانية بأن الولايات المتحدة ستكون على استعداد للدخول فى محادثات على مستوى عال مع منظمة التحرير الفلسطينية إذا ما قبلت القرار ٢٤٢ ، حتى ولو ببيان مصحوب بتحفظات . وقام كارتر بذلك ، بعد أيام قليلة ، وهو فى بلنيز فى جورجيا بينما كان فانس فى المملكة العربية السعودية ، وهو ما كفل أن يكون وصول فانس إلى إسرائيل مفتقدا إلى الحرارة .(١٣) وألقى بيجين ، فى حفل عشاء أقيم على شرف وزير الخارجية الأمريكى ، خطابا طويلا ، اعتبره معظم الأمريكيين الحاضرين عدائيا جدا ، يشير ضمنا إلى أن أى شخص يفكر فى الحديث إلى منظمة التحرير الفلسطينية ينبغى أن يقارن بأولئك الذين سعوا إلى استرضاء هتلر قبل الحرب العالمية الثانية . وقد اكتسبت سمعة بيجين بشأن التجاوزات اللفظية والتطرف مصداقية هائلة خلال حلة فانس ، ولم يتبق سوى القليل مما أسماه بيجين بأسى فيما بعد بالمشاعر الطيبة ليوليو ١٩٧٧ . غير أن الإسرائيليين وافقوا على تزويد الولايات المتحدة بمشروع معاهدة سلام ، ووضعت ترتيبات من أجل عقد اجتماعات أخرى بين فانس وسائر وزراء الخارجية فى نيويورك فى وقت عقد اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وثبت أن سبتمبر ١٩٧٧ شهر حافل بالأحداث بالنسبة لتطور استراتيجية كارتر بشرق الأوسط . وقد تركزت الجهود الأمريكية على أربعة أهداف متوازية ، وإن كان من المحتمل أن يظهر بينها بعض التناقضات . كان أولها محاولة حمل كل طرف على تقديم مشروع مكتوب لمعاهدة سلام . وامتثلت إسرائيل بتقديم وثيقة قانونية مطولة تركت المسألة الحرجة المتعلقة بالحدود ووضع المستوطنات فى سيناء غامضة . وقدمت الأردن ، بل وسوريا ، فى نهاية الأمر قائمة بالمبادىء

التى ينبغى أن تحكم أى اتفاق للسلام . ورغم أن المشاريع فى حد ذاتها كانت بعيدة عن المطلوب ، فإنها زودت فانس ببعض الأسس التى يستطيع أن يصيغ بناء عليها اقتراحا أمريكيا وسطا ، وكان لها أثر إيجابى فى حمل الأطراف على إلزام أنفسها بمواقف محددة على الورق .

وكان الخيط الثانى من خيوط السياسة ، والذى كان ناجحا إلى حد كبير مع السوريين ، وإن كان قد اتبع أيضا فى قنوات أخرى ، هو محاولة العثور على حل لمسألة كيفية تمثيل الفلسطينيين فى المفاوضات المقبلة فى جنيف . وتم التوصل إلى اتفاق بشأن الكيفية التى تعبر بها منظمة التحرير الفلسطينية عن تحفظها على قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، إلا أن الشروط التى طالبت بها المنظمة لقبول صريح بالقرار ٢٤٢ كانت تتجاوز ما كانت الولايات المتحدة على استعداد للوعد به .(١٤) وعلى الرغم من ذلك ، فإن السادات أخبر كارتر فى أوائل اكتوبر بأن المنظمة ستوافق على أن تمثل فى وفد عربى موحد بفلسطينى من غير المسؤولين فى المنظمة . وحيث إن الجميع كانوا قد تقبلوا فى ذلك الحين فكرة الوفد العربى الموحد الذى يضم الفلسطينيين ، فقد بدا أن هذه القضية قد حلت تقريبا .(١٥)

وكان المحور الثالث لجهود الولايات المتحدة ينصب على محاولة إيجاد نوع من التفاهم بين الأطراف المتفاوضة حول الإجراءات التى تتبع فى محادثات جنيف . كان السادات لا يزال يصر على أن تكون جنيف معدة مسبقا « إعدادا جيدا » ، وإلا فإنها ستعجز عن التقدم وتتحول إلى حالة جمود لا أمل فيها . وظل مشدودا إلى نموذج كيسنجر القائم على المحادثات البالغة السرية على مستوى رؤساء الحكومات التى يتم وضع خطوطها النهائية وتأخذ الصفة القانونية بعدئذ فى محفل عام مثل جنيف . أما إذا كانت المفاوضات الفعلية ستجرى فى محفل شبه علنى مثل جنيف ، فإنه يخشى فيما يبدو من أن يحاول العرب الآخرون تقييد حريته فى المناورة ، وأن تكون الولايات المتحدة عرضة للضغوط الدائمة الموالية لإسرائيل التى يولدها الرأى العام الأمريكى والكونجرس . وكانت إسرائيل تميل إلى مشاطرة هذه الريب حيال جنيف ، وحذر وزير الخارجية موشى ديان من أن الوفد العربى الموحد هو صيغة تؤدى حتما للجمود . وكانت سوريا ـ والأردن بدرجة أقل ـ تحبذ فكرة الوفد الواحد كوسيلة لمنع الاتفاق المصرى الإسرائيلى المنفرد الذى أصبح موضع خشية كبيرة بعد اتفاقية سيناء الثانية .

وكان الاقتراح الأمريكى الوسط ، الذى صاغه فانس إلى حد كبير ، يتمثل فى حمل الجميع على قبول فكرة الوفد العربى الموحد . وكان الغرض الرئيسى فى ذهنه هو إدخال الفلسطينيين فى عملية السلام بهذه الوسيلة . وبعد افتتاح شكلى لمؤتمر جنيف يبدو فيه الجانب العربى كوفد واحد ، تنقسم المحادثات إلى لجان فرعية ، تكون ثنائية الأطراف أساسا ، باستثناء المحادثات بشأن الضفة الغربية وغزة التى تنضم فيها مصر والأردن إلى الفلسطينيين . ولم يدرك الجانب الأمريكى ، مخطئا ، أن السوريين سيعترضون على استبعادهم عن المحادثات المتعلقة بالقضية الفلسطينية . وكان يبدو أن المشكلة الرئيسية هى حمل إسرائيل على الموافقة على إمكانية مشاركة الفلسطينيين فى المحادثات بصفتهم تلك ، وليس كأعضاء فى الوفد الأردنى أو المصرى .

وكان الجزء الرابع من استراتيجية الولايات المتحدة ، وربما يكون أقل الأجزاء التى حظيت

بتفكير متأن ، موجها نحو الاتحاد السوفيتي . فحيث إن مؤتمر جنيف أصبح مؤتمرا حقيقيا بأكثر من كونه مجرد مظلة رمزية لسلسلة كاملة من الاتصالات والمحادثات ، فقد تعين على الولايات المتحدة أن تعالج مسألة الدور الذى يقوم به الرئيس المشارك الآخر للمؤتمر . وكان قد تم تحديد عدد من الإجراءات بالفعل فى ديسمبر ١٩٧٣ عندما انعقد مؤتمر جنيف فى جلسة علنية للمرة الأولى والأخيرة . وكان من المفيد الامتثال لهذه السوابق بقدر الإمكان ، إلا أن السوفيت كانوا يسعون بوضوح للقيام بدور أكبر ، وكانوا قد قدموا فى منتصف سبتمبر إلى وزير الخارجية فانس مشروع بيان مشترك . وكان المشروع ، فى حدود أنه وثيقة سوفيتية ، متوازنا بشكل ملحوظ . فلم يتضمن المطالبة بإنشاء دولة فلسطينية أو مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية . وأولى المشروع الاعتبار الواجب للحاجة إلى الأمن والعلاقات السلمية الطبيعية فيما بين دول المنطقة . وكان معظم اللغة المستخدمة مأخوذا من قرار الأمم المتحدة ٢٤٢.. ومن الناحية العملية ، كانت الصيغة الوحيدة فى المشروع التى لم تستخدمها الولايات المتحدة نفسها هى الإشارة إلى الحقوق الفلسطينية ، الأمر الذى كان يتجاوز بخطوة واحدة الإشارة الأمريكية المعتادة إلى المصالح الفلسطينية .

وعهد بمهمة محاولة التوصل إلى نص متفق عليه إلى السفير ألفريد آترتون الذى كان يقدم المشورة لفانس بشأن التوصل إلى سلام عربى إسرائيلى ، وللدبلوماسى السوفيتى ميخائيل سيتنكو . ووضع هذان الدبلوماسيان المحترفان بقليل من الجهد نصا مقبولا بصفة عامة . وكانت المسألة التى لم تناقش تقريبا هى كيف ومتى يصدر هذا البيان المشترك حتى تُدفع الجهود الأخرى الجارية إلى الأمام . وكان يظن فى ذلك الوقت أن إصدار بيان قوى من قبل السوفيت والأمريكيين قد يلقى ببعض الضغوط على سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية للكف عن التمحك بالأمور الإجرائية ، والموافقة على الدخول فى المفاوضات على أساس من دعوة مشتركة موجهة من الدولتين العظميين . ولم يوجه اهنمام كبير إلى رد فعل إسرائيل ، أو إلى ضرورة تمهيد الرأى العام فى الولايات المتحدة . وقد أطلع الإسرائيليون على المسودة فى أواخر سبتمبر ، وكان رد فعل ديان الأولى متحفظا .

وكان من بين العناصر التى يحتمل أن تثير جدلا فى المشروع ما تضمنه من دعوة صريحة إلى استئناف انعقاد مؤتمر جنيف بحلول نهاية العام ؛ وأن الاتحاد السوفيتى سيكون أحد رئيسى المؤتمر ؛ وعدم ورود إشارة صريحة به إلى قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ؛ وصيغة لم تستخدمها الولايات المتحدة من قبل تشير إلى الحقوق الفلسطينية . ولم يكن الإسرائيليون مرتاحين للوثيقة بسبب هذه الإشارات إلى حد كبير . إلا أن حكومة كارتر لم تتلق أى إشارات تحذيرية من ديان . وهكذا فإنه عندما صدر البيان الأمريكى السوفيتى المشترك فى أول أكتوبر ١٩٧٧ ، كان قليلون فى الجانب الأمريكى يتوقعون تلك العاصفة من ردود الفعل المعاكسة من إسرائيل وأنصار إسرائيل فى الولايات المتحدة .(١٦) (للاطلاع على النص ، انظر الملحق « د ») .

وبينما كانت الجهود الأمريكية موجهة نحو هذه الاتجاهات المختلفة ، شرعت مصر وإسرائيل فى جولة من الدبلوماسية السرية . فبناء على مبادرة من السادات ، عقد فى المغرب فى منتصف سبتمبر اجتماع بين ديان وحسن التهامى ، أحد مساعدى السادات .(١٧) وكانت قد أجريت اتصالات

مماثلة على مر السنين ، من بينها اجتماع عقد فى نفس ذلك الشهر ، بين زعماء إسرائيليين وعرب ، ولذلك فإنه حتى عندما علمت الولايات المتحدة بهذا الاجتماع بعد انعقاده فإنه لم يعتبر تعبيرا عن عدم الثقة بالاستراتيجية الأمريكية الجارية . وعندما يسترجع المرء هذا الحدث ، يستطيع أن يرى أن السادات كان قد بدأ فى تنويع رهاناته خوفا من أن تصبح جنيف قيدا على أسلوبه فى الديبلوماسية المتحررة من القيود . ومن الإنصاف القول بأن الجانب الأمريكى كان يخس باستمرار من درجة عدم الثقة فيما بين السادات والأسد ، وكان يميل أيضا إلى تصديق السادات عندما يكرر القول بأنه ليس فى وسعه أن يعقد سلما منفصلا مع إسرائيل .

ولم يكن من المستغرب ، مع هذا الكم الكبير من المبادرات الجارية أثناء سبتمبر ؛ أن يكون من المحتم أن تتعرض إحداها للفشل . وكان السبب المباشر للانفجار هو البيان الأمريكى السوفيتى المشترك وما أثاره من عاصفة نارية من ردود الفعل الأمريكية والإسرائيلية السلبية . إذ انفجر حينئذ قدر كبير من مشاعر القلق والإحباط المكبوتة حيال سياسة كارتر فى الشرق الأوسط ، ليجد حلفاء جاهزين فى الدوائر المحافظة الجديدة ، المناصرة لإسرائيل ، والمعادية للسوفيت . وصور ما كان فى حقيقة الأمر خطأ سياسيا يكشف عن قدر كبير من عدم الحرفية على أنه حركة ذات أهمية بالغة تعمل على إعادة السوفيت كقوة رئيسية فى الشرق الأوسط . وعندما يقرأ المرء نص البيان المشترك بعد سنوات من صدوره فإنه ليتساءل عن السبب فى كل هذه الضجة . فكلمات البيان ذاتها غير مؤذية ، وبيجين نفسه استخدم عبارة « الحقوق الفلسطينية » فى كامب ديفيد . ورغما عن ذلك ، كان واقع الحال فى أوائل أكتوبر ١٩٧٧ ، أن كارتر كان واقعا تحت ضغوط من أصدقاء إسرائيل ، واستفادت إسرائيل من إثارة المتاعب حوله بمهارة غير عادية .

ويعتقد كثير من المحللين أن السادات ذهب إلى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ فرارا من الطريق المسدود الذى يمكن أن ينتهى إليه مؤتمر جنيف الذى يعقد برعاية أمريكية سوفيتية . وكثيرا ما يؤكدون رغبته فى إبعاد السوفيت عن الساحة الديبلوماسية . غير أن الشواهد المتاحة ، بما فى ذلك رواية السادات نفسه ، لا تؤيد هذا الاعتقاد الذى يلقى قبولا واسع النطاق .[١٨] فعندما اطلع السادات للمرة الأولى على البيان الأمريكى السوفيتى المشترك ؛ وصفه بأنه « مناورة ذكية » ؛ حيث إنه كان يظن ، مثل بعض المسؤولين الأمريكيين ، أنه سيخفف من مواقف السوريين .[١٩] وعلى أى حال ، فإنه كان قد أمن نفسه ضد تحول جنيف إلى مصيدة عربية سوفيتية ، وذلك بأن فتح قنواته المباشرة على الإسرائيليين ، وبدا أنه أصبح متأكدا بفضل هذا الاتصال من أنه حالما يصبح مستعدا لتوقيع سلام منفصل مع إسرائيل سيستعيد معظم سيناء . وكان السادات لا يزال يتحرى فى أوائل اكتوبر ما يستطيع أن يحصل عليه أكثر من ذلك بمساعدة الولايات المتحدة . ولم يكن البيان الأمريكى السوفيتى المشترك هو الذى بدّد وهمه ؛ وإنما كان عجز كارتر الواضح عن مقاومة الضغوط الإسرائيلية ، مقترنا بالدلائل على أن كارتر تعب من إنفاق كل هذا الوقت على مشكلة عسيرة على الحل بشكل واضح ، هو الذى أقنع السادات بأن يتحرك غير معتمد على أحد .

وإذا كان هذا التفسير صحيحا ، فإن الخطوة الحاسمة على هذا الطريق كانت الاجتماع الذى عقد بين كارتر وديان فى نيويورك فى ٤ أكتوبر ١٩٧٧ .[٢٠] وقد بدأ ديان الاجتماع بالسؤال عما

إذا كان يتوقع من إسرائيل أن تقبل البيان الأمريكى السوفيتى المشترك كثمن للذهاب إلى جنيف ، وقال إن الاتفاق غير مقبول بالمرة لدى إسرائيل ، ولكنه أردف قائلا إن إسرائيل ستذهب رغم ذلك إلى جنيف على أساس القرار ٢٤٢ . ورد كارتر بأنه لا يتعين على إسرائيل أن تقبل البيان المشترك . وعند ذلك رفع ديان الثمن بمطالبته كارتر بأن يعيد التأكيد علانية على جميع التزامات الولايات المتحدة السابقة تجاه إسرائيل كطريقة لتهدئة المناخ المتأزم الذى أوجده البيان المشترك فى إسرائيل . وقال إنه إذا لم يفعل كارتر ذلك فإن إسرائيل قد تشعر أنها مضطرة إلى نشر هذه الاتفاقات . وطلب أيضا إصدار بيان بأن الولايات المتحدة لن تمارس الضغط على إسرائيل كيما تقبل بدولة فلسطينية . وعندما قال كارتر إنه لا ينوى استخدام الضغط ، ولكنه لا يريد إصدار أى بيان من هذا القبيل ، قال ديان إنه سيكون مضطرا عندئذ إلى القول بأنه قد طلبه وأن كارتر رفض . وبعد أن أفصح ديان عن هذه التهديدات التى لا تكاد تخفى ، انتقل إلى معالجة مسألة التمثيل الفلسطينى مع وزير الخارجية فانس بطريقة عملية ، مقتربا من موقف الولايات المتحدة بأكثر مما يحتمل أن يكون بيجين قد أذن به ، لينتزع لنفسه بذلك سمعة بأنه أكثر أعضاء الوزارة الإسرائيلية براجماتية وتعقلا .(٢١) وبعد أن تم التوصل بيسر إلى حد ما إلى صيغة لإشراك الفلسطينيين فى جنيف ، عاد كارتر للاشتراك فى المناقشة .

وبذل ديان جهدا قويا للحصول على التأييد الأمريكى لاتفاق مصرى إسرائيلى منفصل . وقال ديان بالحرف الواحد « إن المستقبل مع مصر . إذا نزعت ولو عجلة واحدة من العربة فإنها لن تسير . وإذا خرجت مصر من النزاع فلن تكون هناك أية حروب أخرى » . وانتقلت المناقشة بعد ذلك إلى السياسة ، فقال ديان إنه يستطيع مساعدة كارتر فى تهدئة مخاوف اليهود الأمريكيين إذا كان بوسعه أن يعلن عن اتفاق بين الولايات المتحدة وإسرائيل بشأن جنيف . « ولكن إذا قلنا بأنه يتعين علينا أن نتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية أو مع دولة فلسطينية ، وهذا أمر سىء بالنسبة لإسرائيل ، فحينئذ سيتعالى الصراخ هنا وفى إسرائيل . إننا فى حاجة إلى صيغة متفق عليها بحيث أستطيع أن أقول لإسرائيل ولليهود الأمريكيين إن هناك اتفاقا وليس مجابهة » . وكان من الواضح ان وزير الخارجية فانس غير مرتاح بشأن الصورة المتعلقة بموقف أمريكى إسرائيلى مشترك ، واقترح أن يقوم كل طرف بإعلان مواقفه بشكل منفصل . واعترض ديان على ذلك قائلا إنه ينبغى إعلان شىء ما فى نهاية الاجتماع وإلا فإن الأمر سيبدو سيئا جدا . وعندئذ وافق الرئيس كارتر على أن يسعى الجانبان إلى إصدار بيان مشترك يعالج مؤتمر جنيف ، ويوضح أن البيان الأمريكى السوفيتى المشترك لم يكن شرطا مسبقا لمشاركة إسرائيل فى المؤتمر . وبعد عدة ساعات أخرى من الصياغة ، ظهر ديان وفانس فى الساعات الباكرة من صباح ٥ أكتوبر ليعلنا عن « ورقة العمل » الأمريكية الإسرائيلية ، كما أصبحت تعرف به .(٢٢) وبالنسبة للعرب ، بمن فيهم المصريون ، بدت هذه الوثيقة تراجعا هاما عن البيان الأمريكى السوفيتى المشترك ، علاوة على كونها دليلا على القوة الهائلة التى تستطيع إسرائيل أن تمارسها بسبب قاعدة التأييد القوى لها فى الكونجرس والرأى العام فى الولايات المتحدة .

وبإيجاز ، خلّفت الواقعة كلها كارتر منهكا ، وملتزما للحذر نوعا ما . وخلّفت الاسرائيليين تملؤهم الشكوك والإحساس بعوتهم ، وخلّفت العرب مرتبكين ومنزعجين لمنظر الولايات المتحدة

وهى تبدو متراجعة تحت الضغوط عشية انعقاد مؤتمر جنيف . وعند استرجاع ما حدث ، من السهل رؤية الدور الهام الذى أسفر عنه التناول غير الحريص للبيان الأمريكى السوفيتى المشترك . وقد سلم معظم المسؤولين الأمريكيين المعنيين فى وقت لاحق بأنه كان ينبغى لهم أن يكونوا أكثر يقظة للمردود السياسى السلبى لمثل هذه الخطوة المشتركة مع السوفيت . والحقيقة أن الأمر لم يحظ بالقدر الكافى من التفكير لأن تطورات هامة كثيرة أخرى كانت تحدث فى ساحة الشرق الأوسط فى أواخر سبتمبر .

وجاءت فى أواخر أكتوبر الخطوة التالية فى الطريق الذى اختطه قرار السادات بالذهاب إلى القدس . ففى ذلك الوقت كانت التعقيدات الإجرائية الخاصة بتشكيل وفد عربى موحد قد أحدثت ما يشبه المأزق بين سوريا ومصر . وكان التقدم فى الخروج من الطريق المسدود فاترا ، وكان يبدو أن كارتر يشعر بأن الوقت يضيع بغير طائل . وكرر القول بأن لديه هو ووزير الخارجية فانس أمورا ملحة أخرى يعتنيان بها ، وأنه ليس بوسعهما إنفاق كل وقتهما على الشرق الأوسط ، خاصة عندما تكون المشاكل قائمة فيما بين الأطراف العربية ذاتها . وبهذه الروح قرر كارتر صباح يوم جمعة قرابة نهاية اكتوبر أن يرسل نداء شخصيا إلى السادات فى شكل مذكرة بخط اليد تسلم إلى الرئيس المصرى مباشرة . وقد ذكّر فيها السادات بتعهدهما المشترك فى أبريل ببذل كل ما بوسعهما من أجل السلام . وكان كارتر يكاد يقول إنه ليس لديه مزيد يستطيع أن يقدمه ، وأن الوقت قد حان لكى يتخذ السادات خطوة جريئة . ولم تتضمن الرسالة أية تفصيلات محددة إلا أن الرسالة كانت واضحة : إذا أريد تحقيق مزيد من التقدم فإن على السادات أن يتخذ المبادرة .(٢٣)

وجاء الرد خلال أسبوع ، أولا فى شكل مذكرة بخط يد السادات ، ثم بشكل أكثر رسمية وبمزيد من التفصيل فى برقية من القاهرة . كانت فكرة السادات عقد مؤتمر يفوق مؤتمر جنيف فى القدس الشرقية ، يحضره جميع رؤساء الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن علاوة على رؤساء مصر وسوريا والأردن وإسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية . وبدا الأمر مبالغا فيه ويصعب تصديقه ، وكانت استجابة كارتر له باردة .(٢٤) وحسب رواية السادات نفسه فإنه بدأ يفكر فى مغامرة منفردة بالذهاب إلى القدس لحل المأزق . ولكنه لم يهتم هذه المرة بإبلاغ الرئيس كارتر . وهكذا ، فعندما كشف السادات علانية فى ٩ نوفمبر عن عزمه على الذهاب إلى إسرائيل ، أصيبت واشنطن بالدهشة كما حدث لها عند انتخاب بيجين . ومرة ثانية ، اضطرت الولايات المتحدة إلى تعديل استراتيجيتها بسبب أحداث وقعت فى الشرق الأوسط ثبت أنها تخرج عن سيطرتها .

ما بعد القدس

كان رد الفعل الأولى فى واشنطن الرسمية لرحلة السادات إلى القدس نوعا من الإعجاب بالشجاعة الشخصية التى اقتضتها هذه الزيارة ، وبعض الحيرة بشأن ما يدور فى ذهن السادات بالنسبة للخطوات التالية . لقد قال فى كثير من الأحيان إن ٩٩ فى المائة من الأوراق هى فى أيدى الأمريكيين ، ولكنه يبدو الآن متأهبا للعب أوراقه بدون عون كثير من كارتر . ولم ير أحد فى واشنطن أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تحاول إثناءه عن تحركاته ، إلا أنه كان هناك بعض القلق

بأن ردود الفعل العربية السلبية ، مقترنة بتشدد بيجين الأساسى إزاء القضية الفلسطينية ، قد تتسبب فى ألا تحقق المبادرة ذلك الاختراق النفسى الذى يسعى إليه السادات . وبالتالى فإن المشكلة ستعود ثانية ، عاجلا وليس آجلا ، إلى حجر أمريكا . وعلى أى حال ، فلم يكن مما يساعد خطوة السادات أن تبدو وكأنها صنعت فى الولايات المتحدة . هذه الاعتبارات ، مقرونة على الأرجح ببعض الحسد من جانب أعضاء الحكومة ذوى الفكر السياسى لخطوة تخطف اهتمام وسائل الإعلام كانوا يودون لو أنهم فكروا فيها بأنفسهم ، أدت إلى اتخاذ موقف عام متحفظ إلى حد ما بإزائها ، كان موضع انتقاد قوى وقتها من أصدقاء إسرائيل .(٢٥)

اقتضى الأمر بضعة أسابيع ليقوم المسؤولون الأمريكيون بتقييم صحيح للأسباب التى دعت السادات إلى الذهاب إلى القدس . ولم يكن عمق العداوة بين مصر وسوريا قد تم الاعتراف به ، ولكن تعليقات السادات المزدرية حيال الأسد والزعماء العرب الآخرين بعد رحلته إلى إسرائيل أوحت بأنه مصمم على السير منفردا فى ذلك الحين . وعندما سئل السادات عما إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تفعل شيئا مفيدا فى دمشق لتلطيف المعارضة لتحركاته ، رد بقوله إن الولايات المتحدة تستطيع إخبار الأسد بأن مصر قلب العالم العربى .(٢٦)

وفى أوائل ديسمبر كان هناك اتفاق عام فى الرأى داخل الحكومة بأنه ينبغى تأييد مبادرة السادات بقوة ، ولكن ينبغى للولايات المتحدة أن تواصل استخدام نفوذها لمحاولة الحصول على أوسع اتفاق ممكن . كانت الحكومة لا تزال تشعر بأن السادات ، فى نهاية الأمر ، لن يبرم سلاما منفصلا مع إسرائيل ، وأنه يتعين على الأقل استخدام درجة ما من الاتفاق على المسألة الفلسطينية كغطاء لأى صفقة مصرية إسرائيلية ، وعندئذ يمكن تجاهل سوريا لأغراض عملية جمة ، وكذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أن السياسة الأمريكية ستستمر فى التركيز على التوصل إلى شكل ما من الاتفاق بشأن الضفة الغربية وغزة . وخلال الأسبوع الثانى من ديسمبر ، ذهب وزير الخارجية فانس إلى الشرق الأوسط للتشاور مع شتى الحكومات ، ولبدء عملية إعادة تحديد الاستراتيجية الأمريكية .

وعقب عودة فانس من المنطقة مباشرة ، دعا بيجين نفسه لزيارة واشنطن لمقابلة الرئيس كارتر . كان فانس قد التقى ببيجين قبل أيام قليلة لا غير ، ولم يكن بيجين قد طرح أية أفكار جديدة ، ولكنه يقول الآن إن لديه مقترحات هامة يريد أن يناقشها مع الرئيس قبل ذهابه إلى اجتماعه المقرر مع السادات فى الاسماعيلية يوم عيد الميلاد (الكريسماس) وكان البعض فى واشنطن يرتاب فى أن غرض بيجين هو محاولة انتزاع تأييد أمريكى لأفكاره قبل عرضها على السادات .

وأكدت محادثات كارتر مع بيجين فى ١٦ ـ ١٧ ديسمبر الشكوك الأمريكية . فقد توسل بيجين عمليا إلى الرئيس حتى يقول إن مقترحاته تعتبر أساسا طيبا للتفاوض . وفى الحقيقة إن كارتر أخبره أن مقترحاته بشأن سيناء تبدو واعدة ، مضيفا تحذيرا بأنه ربما توجد بعض النقاط التى لا يفهمها بعد . (أصبح هذا التعليق مصدر خلاف فيما بعد عندما ادعى الإسرائيليون أن كارتر أقر الاقتراح المتعلق بسيناء وهو يعلم أنه يتضمن نصا بعدم إزالة المستوطنات الإسرائيلية) .

وإذا كان قد نظر إلى اقتراح بيجين بشأن سيناء بشكل إيجابى حقا ، فإنه لا يمكن قول الأمر نفسه عن اقتراحه بشأن « الحكم الداخلى » فى مناطق « يهودا والسامرا وقطاع غزة » .(٢٧) وقد حاول الرئيس ونائب الرئيس وفانس وبريجينسكى جميعهم فى محادثات مطولة مع بيجين تشجيعه على تعديل خطته . وقد برزت نقاط عديدة فى هذا الصدد . كان يقصد بالحكم الداخلى أن يكون ترتيبا دائما وليس مرحلة انتقالية لإعادة الأرض إلى السيطرة السياسية العربية بمجرد التوصل إلى اتفاق للسلام . وكانت الخطة تحتوى أيضا على نوع من التفاصيل من المحتم أن يثير حنق السادات . واستحث الجانب الأمريكى بيجين على تقديم مجموعة من المبادىء أكثر بساطة ، وأن يتم ذلك شفويا إن أمكن . ولكن بيجين بدا فخوزا بما صنعته يداه ، وأخبر الجانب الأمريكى بقدر من العجرفة أنه ليس فى حاجة إلى نصيحتهم بشأن كيفية التفاوض مع السادات . بيد أن بيجين كان تواقا للغاية لكسب تأييد الولايات المتحدة بحيث أنه ألمح إلى أنه سيُدخل بعض التحسينات فى الخطة بعد التشاور مع حكومته . وبعد أن انتهى إلى ذلك ، أصدر على الفور بيانا علنيا يكاد يصل إلى القول بأن الرئيس أقر خطته ، وهو ما اقتضى أن يصدر الجانب الأمريكى توضيحا يفيد أن الخطة تعتبر خطوة إيجابية فى اتجاه المفاوضات .

ورأى البعض فى الحكومة الأمريكية أن فى اقتراح بيجين بعض المميزات ، وذلك لأنهم ظنوا أنه يمكن استمالته إلى تحويله إلى اقتراح بشأن فترة انتقالية لا غير .(٢٨) ورأوا عناصر إيجابية فى استعداد بيجين لترك ادعاء إسرائيل بالسيادة على الضفة الغربية وغزة معلقا لمدة خمس سنوات ؛ وقبوله بفكرة إقامة نظام إدارى خاص فى جميع أراضى الضفة الغربية وغزة ؛ ومقترحاته بشأن المساواة بين العرب والإسرائيليين فى الحقوق والالتزامات . (اسقطت بعد أيام قليلة بعض النقاط الأكثر جاذبية من الاقتراح الذى قدم بالفعل إلى السادات ، وهو ما جعل المفاوضين الأمريكيين يشعرون بأن بيجين استخدم اجتماعه مع كارتر من أجل ما توقعوه بالضبط ، وأن توسلاتهم من أجل المزيد من الاعتدال والمرونة لم تلق آذانا صاغية) .(٢٩)

ومما يدل على وجود فجوة بين المواقف المصرية والإسرائيلية ، ذلك الاختلاف بين روايتى بيجين والسادات عن اجتماعهما فى الإسماعيلية . فوفقا للرواية الإسرائيلية ، كان السادات على وشك الموافقة على المقترحات الإسرائيلية وإصدار إعلان مبادىء مشترك ، ولكن مستشاريه المتشددين من وزارة الخارجية أثنوه عن ذلك . وعلى النقيض من ذلك تقول رواية السادات إن بيجين لم يدرك أهمية زيارته للقدس ، وأن الإسرائيليين كانوا يحاولون المساومة ويسعون إلى المساس بالسيادة . وكان السادات لاذعا فى ملاحظاته ، مشيرا إلى أنه لا يوجد ما يغرى على الاستمرار فى المفاوضات المباشرة .

وكان كارتر وفانس ، اللذان توقعا أنه ستكون هناك حاجة إلى مزيد من مساعدات الولايات المتحدة للإبقاء على المفاوضات ، يعتقدان أن استمرار عملية المفاوضات أمر أساسى إذا ما كان للولايات المتحدة أن تستخدم نفوذها . وبالتالى فقد رتب لعقد ما يسمى باللجنة السياسية فى يناير على مستوى وزراء الخارجية . وكان ذلك يعنى بالنسبة لمصر أن يقوم محمد إبراهيم كامل ، وزير خارجية السادات الجديد ، بأول زيارة له للقدس ، وهو أمر لم يكن مرحب به بشكل جلى . وفى

الحقيقة ، بدا ان المحادثات تمضى بشكل طيب للغاية على المستوى الفنى من أجل صياغة إعلان المبادىء . (كانت الولايات المتحدة تضغط فى ذلك الحين من أجل صيغة أسوان التى تطالب « بحق الفلسطينيين فى المشاركة فى تقرير مصيرهم ») . ولأسباب لا تزال غير واضحة تماما ، وإن كان من الجائز أنها تعكس غضب وزير الخارجية المصرى من نخب اقترحه بيجين أثناء العشاء فى أول ليلة ، أمر السادات فجأة وفده بالعودة إلى البلاد . ووصف فانس ، الذى شاهد كثيرا من المفاوضات تمر بهذه اللحظة ، ذلك بأنه « مطب فى الطريق » ، وعاد إلى واشنطن للمساعدة فى استنباط نهج جديد فى ضوء الأحداث التى بدا مرة ثانية أنها قد أخذت منعطفا مثيرا للانزعاج .

التنسيق الأمريكى المصرى

أفضت المناقشات التى دارت فى الفريق التفاوضى الأمريكى إلى استراتيجية لمحاولة تغيير عنصرين رئيسيين فى موقف بيجين : التوصل إلى تجميد إنشاء المستوطنات الجديدة فى الأراضى المحتلة ، وهى قضية ذات أهمية خاصة بعد أن سمح بيجين بسماجة بالبدء فى إنشاء مستوطنات جديدة فى سيناء بعد أيام قليلة من محادثاته مع السادات فى الإسماعيلية ؛ وإقناع بيجين بالعودة إلى الصيغة الإسرائيلية السابقة بخصوص الضفة الغربية وغزة بحيث يعرض الانسحاب ، ولو جزئيا ، كمقابل للسلام والاعتراف . وقد وضعت هذه النقطة الأخيرة فى ضوء عدم استعداد بيجين للقبول بأن الحكم الخاص بالانسحاب الوارد فى قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وغزة . وكان حزب العمل عند قبوله رسميا للقرار ٢٤٢ فى منتصف عام ١٩٧٠ قد فسر القرار على أنه يطالب « بالسلام مقابل الانسحاب » فى جميع الجبهات ، وكان بيجين قد ترك حكومة الاتحاد الوطنى القائمة فى ذلك الوقت بسبب هذا التفسير .(٣٠)

وكان الأمريكيون يظنون أن قضيتى المستوطنات والانسحاب هامتان بشكل جوهرى كيما تقوم أية فرصة للتفاوض بشأن السلام ، وأن موقف بيجين من هاتين القضيتين ضعيف فى الداخل ولدى الجالية اليهودية الأمريكية . ولذلك قرروا تصعيد حملة علنية ضد بيجين بشأن هاتين النقطتين ، وأعدوا لهذا الغرض « ورقة بيضاء » شاملة ، تبين بجلاء أن بيجين لا يقبل القرار ٢٤٢ بنفس المفهوم الذى قبلته به الحكومات الإسرائيلية السابقة . ولم تصدر الوثيقة بالمرة وإنما استخدمت من أجل التسريب الحصيف للصحافة . وبالنسبة للمستوطنات ، حاولت الحكومة فى السر والعلن أن تتوصل إلى تجميد للمستوطنات ، وفى الحقيقة يبين سجل ١٩٧٨ أنه قد تم إنشاء مستوطنات جديدة قليلة جدا فى ذلك العام ، رغم أن بيجين لم يوافق رسميا على التجميد إلى أن جرت محادثات كامب ديفيد .

وشعرت حكومة كارتر أنها تقف على أرض صلبة بالنسبة لقضيتى المستوطنات والانسحاب شريطة أن تظل الولايات المتحدة ملتزمة بوضوح بأمن إسرائيل ، وتؤيد الفكرة الإسرائيلية بأن السلام يستلزم إقامة علاقات طبيعية . غير أن كارتر ارتأى انه ينبغى للسادات أن يساعد فى حملة الضغط على إسرائيل ، وشعر بالانزعاج لأن قرار السادات بالانسحاب من المحادثات السياسية فى القدس سيضعف من الحملة على بيجين . وبالتالى قرر كارتر دعوة الرئيس المصرى لزيارة واشنطن فى فبراير لإجراء استعراض جدى للاستراتيجية .

وكان من بين الأفكار التى نوقشت قبل وصول السادات محاولة التوصل مع المصريين إلى سلسلة من الخطوات المنسقة التى تعظم الضغوط على بيجين . وكانت مخاطر الظهور بمظهر التواطؤ مع المصريين جلية ، غير أن سمعة السادات فى القيام بخطوات مفاجئة وأحيانا ما تكون معوقة ، كانت ماثلة فى أذهان الأمريكيين إلى درجة كبيرة . وكان يظن أيضا أن السادات سيسر بإمكانية القيام بلعبة ميكيافيللية إلى حد ما موجهة ضد بيجين .

وكان الجهد الثانى الذى بذله الأمريكيون فى أوائل ١٩٧٨ هو إعادة صياغة اقتراح بيجين بشأن الحكم الذاتى فى عدد من المبادىء العامة التى قد يتفق عليها بين مصر وإسرائيل كصيغة لفترة انتقالية مدتها من ثلاث إلى خمس سنوات . وعندما وصل السادات إلى كامب ديفيد فى الأسبوع الأول من فبراير ١٩٧٨ ، كان قد تم وضع وثيقة من تسع نقاط .(٣١)

وأمضى السادات وكارتر عطلة نهاية الأسبوع فى كامب ديفيد وحدهما . كان الجو باردا والثلج يغطى الأرض . ولم يكن السادات فى صحة طيبة ، وكان غير مرتاح للموقع ، والذى كان أبعد ما يكون عن ملاذه الشتوى المعتاد فى أسوان . وعندما حان الوقت لعقد الاجتماعات بحضور المستشارين ، كان السادات قد أقنع كارتر بأن مبادرته قد وصلت تقريبا إلى نهايتها وأنه لا يرى ما يدعو إلى مواصلتها . ويجب الا يغيب عن الذهن أن السادات كان ممثلا بارعا ، وأن بعض مواقفه كانت مسرحية بدون شك ، إلا أن بعضها كان حقيقيا . وبعد عرض مطول من كارتر لجميع المشاكل ، والذى بدا السادات خلاله قانطا ، سأل كارتر ضيفه الذى كان يدخن غليونه عما إذا كان لديه تعليقات . واستمر السادات يدخن غليونه ، وبدا عليه التجهم ، وفى النهاية قال إن لديه سؤالا واحدا : هل ستقدم أمريكا اقتراحا ؟ وكانت إجابة كارتر بنعم ، وأنفق معظم بقية اليوم فى وضع استراتيجية مقبولة تتوج باقتراح من الولايات المتحدة .

أصر الأمريكيون على أن يعود السادات أولا إلى مائدة المفاوضات ، وأن يجدد الإعراب عن التزامه بعملية السلام . وحينئذ ستوجه الدعوة إلى بيجين للذهاب إلى واشنطن حيث سيصر كارتر فى اجتماعات مغلقة إصرارا شديدا على قضيتى المستوطنات والقرار ٢٤٢ ، وهما القضيتان اللتان سيركز عليهما المصريون أيضا . وستقدم الولايات المتحدة أيضا الخطة ذات النقاط التسع كأساس لإعلان مشترك محتمل . وكان جزء من الاستراتيجية يعنى أيضا الحصول على اقتراح مصرى رسمى مضاد لخطة الحكم الداخلى التى قدمها بيجين قبل طرح الاقتراح الأمريكى . واستحث السادات على أن يجعل اقتراحه المبدئى متشددا للغاية ، حتى لو أثار ذلك خطر خلق أزمة فى المفاوضات ، بحيث تصبح الولايات المتحدة فى وضع يسمح لها بأن تجادل مع كل من إسرائيل ومصر بشأن أوجه من مقترحاتهما . فهذا الوضع سيساعد على حماية جناح كارتر فى الداخل ، حيث إن الضغط الأحادى الجانب على إسرائيل لا يمكن مواصلته بسهولة . وكانت النقطة الرئيسية فى هذه الاستراتيجية أن يقوم السادات ، عند اللحظة المناسبة من الأزمة ، بتليين موقفه وقبول المقترحات الأمريكية الوسط ، مما يهيىء لضغوط الولايات المتحدة أن تتحول حينئذ إلى اسرائيل . كانت الاستراتيجية معقدة ، وملتوية إلى حد ما ، وليست مستوعبة إلا بشكل جزئى فقط من قبل المسؤولين الأمريكيين والمصريين الذين يفترض ان يقوموا بتنفيذها : غير أن السادات أحبها . إذ

بدا أن هدفه الذى سعى إليه طويلا لوضع استراتيجية أمريكية مصرية مشتركة أصبح فى متناول اليد .(٣٢)

فماذا أصاب اتفاق السادات ـ كارتر فى فبراير ١٩٧٨ ؟ أولا ، الجدول الزمنى المتفق عليه الذى ينص على تقديم اقتراح أمريكى بحلول منتصف العام ، طرح جانبا بسبب القرار الخاص بالسعى للحصول على موافقة الكونجرس على بيع طائرات حربية متقدمة إلى المملكة العربية السعودية ومصر وإسرائيل . وثبت أن بيع طائرات « اف ـ ١٥ » إلى المملكة العربية السعودية مثير للخلاف للغاية ، وتعين على الحكومة الأمريكية إنفاق قدر كبير من الوقت ورأس المال السياسى لتمرير الصفقة . وقد ثارت هذه القضية فى ذات الوقت الذى كان ينبغى أن تكون فيه الاستراتيجية الأمريكية المصرية المشتركة قد أخذت تظهر للوجود . وثانيا ، كان السادات مهزوزا نوعا ما فى تنفيذه لجانبه من الصفقة . فقد مال إلى تجاهل موضوعى القرار ٢٤٢ والمستوطنات فى بياناته العامة مما جعل كارتر يبدو أكثر مناصرة للعرب من السادات نفسه . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه عندما أرسل فى نهاية الأمر اقتراحا إلى الولايات المتحدة ، كان اقتراحا عاما جدا ولم يكن مفيدا كاقتراح مضاد لخطة بيجين للحكم الذاتى . وثالثا ، قرر فانس مطالبة الإسرائيليين بتوضيح آرائهم بشأن ما سيحدث فى نهاية فترة سنوات الحكم الذاتى الخمس ، واستغرق الاسرائيليون وقتا طويلا فى الإجابة . وعندما أرسلوا ردهم فإنهم أكدوا بالأساس ما كان معروفا بالفعل عن نوايا بيجين التوسعية .

وبحلول منتصف الصيف لم يكن يبدو أن كارتر أو فانس يشعر بأنه يمكن تنفيذ ما نوقش مع السادات من جوانب الاستراتيجية التى تتسم بقدر أكبر من المناورة ، رغم أن كليهما ظل متمسكا بفكرة العمل على تقديم اقتراح أمريكى . غير أن أحدا لم يكن يبدو مستسيغا لفكرة النزال مع بيجين ، ربما باستثناء بريجينسكى الذى كان يشعر بأن بيجين يتلاعب بالولايات المتحدة ، ويحتاج الى التذكير بأن واشنطن قادرة على السعى من أجل مصالحها القومية بطريقة عنيفة وأنها لا تستسلم دائما للضغوط الداخلية .

وبينما كان الجانب الأمريكى يبتعد تدريجيا عن فكرة الاستراتيجية الأمريكية المصرية المشتركة فى منتصف ١٩٧٨ ، بدا أن السادات يعمل على أساس الافتراض بأن المخطط العام لما جرى مناقشته فى كامب ديفيد لا يزال قائما . وهكذا فإنه درج على اتخاذ مواقف متطرفة علنا بشكل دورى مهددا بإلغاء المحادثات مع إسرائيل ، ومتحدثا بشكل ينذر بالشؤم عن أكتوبر ١٩٧٨ بوصفه موعد انتهاء اتفاقية سيناء الثانية (ليس صحيحا) ، وبدا بصفة عامة أنه يحاول خلق أزمة مصرية إسرائيلية يستطيع كارتر أن يتقدم خلالها باقتراح وسط . ورغم أن السادات كان مستعدا لمواصلة إعداد المسرح على النمط الذى اقترحه الأمريكيون ، مثل محادثات قلعة ليدز على مستوى وزراء الخارجية فى يوليو ، فإنه أخذ يتلهف بوضوح على خوض جولة حاسمة مع بيجين .

ولم يتحقق شىء يذكر من التقدم المضمونى طوال ربيع وصيف ١٩٧٨ خلال سلسلة لا تنتهى من الاتصالات مع القادة المصريين والإسرائيليين . وكان كارتر نافد الصبر إزاء الواقع البطىء للدبلوماسية ، وبدا أنه يشعر برغبة فى الانغماس بشكل مباشر بدرجة أكبر فى المشهد . وخلال معظم يوليو ، بدأ فريق تخطيط يعمل على درجة عالية من السرية فى إعداد اقتراح أمريكى تحت

إشراف فانس ، وتابع الرئيس التقدم المحرز باهتمام . وفى ٢٠ يوليو ناقش الرئيس مع مستشاريه الفكرة التى كان يتدبرها لوقت طويل - اجتماع قمة فى كامب ديفيد مع كل من بيجين والسادات[٣٣] . وكان يبدو أن كارتر يرى أن عقد القمة هو الطريقة الوحيدة لتمرير القرارات ، وكان يعتمد دونما شك على دوره كوسيط فى رأب الصدع الذى كان لا يزال كبيرا جدا . وكانت رؤيته للقمة نفسية وسياسية : فعندما يلتزم القادة فإنهم لا يستطيعون المجازفة بالفشل ، وكان يعتمد فى المساعدة على التوصل إلى نتيجة إيجابية على الجو الخاص لكامب ديفيد ، بعيدا عن الصحافة وأعباء الحكم اليومية . وكان بقية فريق السياسة الخارجية أكثر حذرا إزاء فكرة القمة ، ميالا إلى التركيز على إعداد مضمونى باعتناء شديد . وفى أوائل أغسطس توجه فانس إلى الشرق الأوسط لدعوة بيجين والسادات إلى كامب ديفيد فى أوائل سبتمبر . وقبل كلاهما الدعوة بسرور ، وما من شك فى أن السادات رأى فى ذلك لحظة الحقيقة التى طال انتظارها حيث سيقوم هو وكارتر بمحاصرة بيجين .

قمـة كامب ديفيـد

انعزل كارتر والسادات وبيجين ، بالإضافة إلى كبار مستشاريهم ، فى منتجع الرئيس الواقع على قمة جبل ، كامب ديفيد ، من ٥ إلى ١٧ سبتمبر . ولم يصل إلى العالم الخارجى فى ذلك الحين إلا القليل من المعلومات عن المداولات ، ولذلك فقد دهش الكثيرون من الأنباء التى ذاعت فى اليوم الأخير عن الاتفاق الذى تم التوصل إليه بشأن إطارين للمفاوضات . كان الأول يعالج مبادىء اتفاق مصرى-إسرائيلى ؛ والثانى ، وهو أكثر تعقيدا وأقل تحديدا ، يتكون من صيغة لفترة انتقالية من الحكم الذاتى للفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة الغربية وغزة . ولم تكن النتيجة مطابقة لما توقعه أحد عندما ابتدأت هذه القمة التاريخية .

كان كارتر قد أعد نفسه بعناية لهذه المحادثات . واحتوى دفتر إحاطته بالمعلومات ورقة تحليلية بعنوان « القضية المحورية » ركزت على مسألة « الربط » بين الاتفاقات بشأن سيناء وتلك المتعلقة بالضفة الغربية[٣٤] . وأوضحت الورقة أن بيجين سيسعى إلى الاطمئنان إلى أن أى اتفاق قد يتوصل إليه مع السادات بخصوص العلاقات المصرية الإسرائيلية لا يتوقف بأى شكل على حل المسألة الفلسطينية . فى حين يرغب السادات ، على النقيض من ذلك ، فى نوع ما من العلاقة بين الأمرين لحماية نفسه من الاتهام بالتخلى عن الفلسطينيين وقبول سلام منفصل مع إسرائيل . وستكون المشكلة بالنسبة لكارتر أن يرى ما إذا كان من الممكن التوصل إلى اتفاق فى القمة ييسر استخدام حافز التوصل إلى سلام مع مصر لتليين موقف بيجين من المسألة الفلسطينية ، دون أن يجعل ، فى الوقت نفسه ، العلاقات المصرية الإسرائيلية رهنا بما إذا كان من الممكن العثور على حل لأكثر أجزاء النزاع العربى الإسرائيلى صعوبة .

وكان الوفد الأمريكى قد عيّن العديد من القضايا المحددة التى يحتمل أن تعرقل التوصل إلى اتفاق ناجح فى كامب ديفيد . أولاها عدم استعداد بيجين للقبول بأن مبدأ الانسحاب من الأرض المحتلة ، حسبما يدعو إليه القرار ٢٤٢ ، ينبغى أن ينطبق على الضفة الغربية وغزة فى نهاية

الفترة الانتقالية . والثانية مشكلة المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء والضفة الغربية . والثالثة مسألة كيفية ربط الأردن والفلسطينيين بالجولات اللاحقة من المفاوضات .

وارتأى الفريق الأمريكى أنه لا طائل من وراء بذل محاولة فى كامب ديفيد لحل مسائل الحدود بين إسرائيل وبين كيان فلسطينى أردنى(٣٥) ، فسوف يكون بيجين فى أكثر حالاته تشددا ، كما أن الأطراف العربية المعنية مباشرة بالنزاع لن تكون حاضرة . وارتأى الأمريكيون أيضا أنه ينبغى إرجاء مسألة السيادة على الضفة الغربية وغزة ، وكذلك وضع القدس . ورأوا بدلا من ذلك أن مصر وإسرائيل تستطيعان تحقيق بعض التقدم فى التخطيط لنظام حكم انتقالى فى الضفة الغربية ، انطلاقا من فكرة ديان بشأن تفكيك الاحتلال العسكرى واستبداله بهيئة فلسطينية منتخبة ذات مسؤولية واسعة عن تصريف الأمور اليومية ، وربما يشمل ذلك السيطرة على الأراضى المملوكة للدولة (وهو ما قد يحول عمليا دون إمكانية القيام بنشاط استيطانى إسرائيلى جديد واسع النطاق أثناء الفترة الانتقالية) .

ولم يتوقع أحد من أعضاء الجانب الأمريكى مواجهة مشاكل عسيرة فى التوصل إلى اتفاق عام على المبادىء المتعلقة بسيناء . وكان من المنتظر أن تتخلى إسرائيل عن المستوطنات والمطارات العسكرية شريطة وضع ترتيبات أمنية صارمة . وأخذ كلام السادات بجدية عندما قال إنه لا يمكن أن يساوم على الأرض أو السيادة ، وإن كان كل ما عدا ذلك قابلا للتفاوض .

وبناء على هذا التقييم اتجه التفكير فى الفريق الأمريكى إلى السعى لتحقيق اتفاق بين بيجين والسادات على المبادىء العامة بشأن كل من سيناء والضفة الغربية وغزة . وكان يتعين أن يسلم بيجين بشأن انطباق القرار ٢٤٢ على الضفة الغربية وغزة فى أية تسوية نهائية ، وبشأن تجميد النشاط الاستيطانى ، وفى مقابل ذلك يكون السادات متعاونا بشأن متطلبات الأمن الإسرائيلية فى سيناء والضفة الغربية ، وأن يقبل بارتباط فضفاض جدا بين المفاوضات فى الجبهتين . وكان من رأى فانس أن أى اتفاق من هذا النوع سيفيد فى توجيه جهود وزراء الخارجية عندما يسعون إلى ترجمة المبادىء التى يتفق عليها القادة السياسيون إلى وثائق محددة تفضى إلى معاهدة سلام مصرية إسرائيلية ، وإلى صيغة للحكم الذاتى الفلسطينى خلال فترة انتقالية .

وكان رد فعل الرئيس كارتر الأولى لمشورة فريقه أنه كان ينبغى السعى إلى ما هو أسمى .(٣٦) فقد كان يريد ، بدلاً من مجرد التماس اتفاق على المبادىء بخصوص تسوية شاملة ، وضع تفاصيل معاهدة سلام مصرية إسرائيلية بما فى ذلك ترتيبات أمنية محددة . وأصبح هذا الأمر مشروعه الخاص فى كامب ديفيد ، وكتبت المسودة الأولى للاتفاق المصرى الإسرائيلى بخط يده .(٣٧) ومن الإنصاف القول بأن ما يسمى مشكلة الربط لم يكن يشغل كارتر بقدر ما يشغل الأعضاء الآخرين فى الفريق الأمريكى ، كما كان كارتر أكثر تفاؤلا بشأن فرص التوصل إلى اتفاق مرض عن طريق المحادثات المباشرة مع بيجين والسادات .

أما من كانوا أكثر تشاؤما بصدد احتمالات سد الفجوات الكبيرة بين الطرفين فكانوا أكثر نزوعا أيضا إلى النظر إلى محادثات كامب ديفيد كجزء من عملية مستمرة . ومن هذا المنظور ، فحتى لو لم تصل المحادثات إلى حد الاتفاق الكامل فإن المفاوضات ستستمر ، وستكون القضايا مركزة

بشكل أضيق من ذى قبل . وكانت هذه النظرة البعيدة عن السياسة نوعا ما تتناقض تماما مع الموقف الذى اتخذه مستشارو الرئيس فى الشؤون الداخلية ، الذين كانوا يشعرون بأن كارتر بحاجة إلى مغادرة كامب ديفيد وقد حقق نجاحا واضحا .

وثبت أن آراء كارتر صائبة من جانب ومخطئة من جانب آخر . كان محقا فى استشعار أن أفضل مسار لتحقيق النجاح هو التوصل إلى تفاهم تفصيلى بين بيجين والسادات بشأن سيناء ، وبشأن العناصر الأساسية لمعاهدة سلام مصرية إسرائيلية . وأخفى بيجين ببراعة حتى اللحظة الأخيرة تنازلاته النهائية بإزالة المستوطنات الإسرائيلية من سيناء وإعادة ثلاثة مطارات عسكرية إلى مصر ، ولكن كان من الواضح منذ البداية أن التوصل إلى اتفاق أمر ممكن . بيد أن كارتر كان مخطئا فى الاعتقاد بأنه يمكن اختتام المحادثات بسرعة ، وأن بوسع القادة الثلاثة التعاون بشكل طيب لحل المشاكل . فبعد جلستين فقط مع كل من بيجين والسادات فى نفس الغرفة ، أدرك الرئيس الأمريكى أن من الأفضل الفصل بينهما .(٣٨)

كان السادات قد وصل إلى كامب ديفيد متأهبا لخوض معركة مع بيجين . وكيما يكفل حدوث ذلك ، قدم إلى كارتر وبيجين مشروعا مصريا لاتفاق متشدد تماما . وكان رد فعل بيجين حادا ، وشرع الإسرائيليون فى كتابة مشروع مضاد . بيد أن السادات فى نفس الوقت أخبر كارتر على انفراد بأنه على استعداد لأن يكون مرنا بصدد معظم النقاط فيما عدا الأرض والسيادة ، ولكن على كارتر أن يطرح اقتراحات على كلا الوفدين لإبداء الرأى فيها .(٣٩) وعلى الجانب الإسرائيلى ، كان النائب العام أهارون باراك قد وصل هو الآخر إلى الاقتناع بأن الوقت قد حان لكى تطرح الولايات المتحدة اقتراحات من عندها ، وأنه ينبغى الفصل بين بيجين والسادت . وهكذا فما إن حلت أول عطلة لنهاية الأسبوع حتى كان الفريق الأمريكى قد بدأ فى صقل مسودة التفاوض الأولى من بين العديد من المسودات التى سيقدمها .

وعلى مدى الأيام العشرة التالية استقر نمط يقوم بمقتضاه الوفد الأمريكى ، وفى كثير من الأحيان الرئيس ووزير الخارجية فانس وحدهما ، بالاجتماع على حدة بكل من الزعيمين الإسرائيلى والمصرى . وكان يتعين عليهم فى كل مرة يحاولون فيها انتزاع ردود فعل محددة لمقترحات ما أن يعتمدوا فى ذلك على مشاريع مكتوبة غير ملزمة . وبعد ذلك تناقش ردود الفعل داخل الوفد الأمريكى ثم يوضع مشروع جديد يكون فى كثير من الأحوال مختلفا بشكل طفيف عن المشروع السابق . وبهذه الطريقة ، طفت على السطح بسرعة القضايا الخلافية الرئيسية .

وبالنسبة لسيناء ، كانت هناك أساسا مشكلتان : المستوطنات والمطارات العسكرية . وتم حل المشكلتين بشكل مرض قرابة نهاية المحادثات مع تحفظ بيجين بشأن المستوطنات بالقول بأنه يتعين طرح القضية للتصويت فى الكنيست . وكان من المتوقع أن يكون الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ومسألة الربط هما العقبتين الرئيسيتين . وبالإضافة إلى ذلك ، أصر المصريون على إدراج عبارات مما ورد فى القرار ٢٤٢ بشأن عدم جواز اكتساب أراض بواسطة الحرب . ورفض الإسرائيليون ذلك رغم أن العبارات موجودة فى القرار ٢٤٢ الذى أعلن بيجين قبوله . وكان الحل العملى أن يلحق النص الكامل للقرار ٢٤٢ باتفاقات كامب ديفيد دون إبراز هذه العبارة وحدها فى

نص الاتفاقات . وكان ذلك يمثل لبيجين انتصارا صغيرا ، وهو ديدنه فى الانشغال اللحوح بالكلمات والمبادىء ، كما أنه شاهد على عدم مبالاة السادات - إذا قورن ببيجين - بدقة العبارات والكلمات .

وكان من المحتمل أن تحول قضيتان رئيسيتان دون التوصل إلى اتفاق مع توالى الأيام . الأولى المسألة العويصة المتعلقة بما سيحدث للضفة الغربية وغزة بعد فترة السنوات الخمس الانتقالية . كان المصريون ، بتأييد من الأمريكيين ، يريدون أن يذكر بوضوح أنه سيجرى التفاوض حول اتفاق نهائى خلال الفترة الانتقالية بحيث يتم حل مسائل الحدود والسيادة والأمن والاعتراف وفقا لنفس المبادىء الواردة فى القرار ٢٤٢ التى تحكم الاتفاقات بشأن الجبهات الأخرى على غرار اتفاقية سيناء . وبعبارة أخرى ، إن صيغة « السلام مقابل الانسحاب » تظل سارية حتى لو صيغت التفاصيل بشكل مختلف نوعا ما وعلى مدى فترة أطول . ولم يكن بيجين ليقبل بذلك ، ولكنه بدلاً من مواجهة القضية مباشرة فضل التركيز على أمور أخرى حتى الأيام الأخيرة من المفاوضات .

وكان يبدو أن لدى بيجين ، بأكثر من كل المتفاوضين الآخرين ، إحساسا بالاستخدام الاستراتيجى للوقت ، فيدفع المفاوضات إلى حافة الانهيار بسبب قضايا ثانوية لتجنب التعرض لضغوط بشأن المشاكل الرئيسية . وكان السادات ، على النقيض من ذلك ، يرفض أصلا أن يتفاوض على الأمور التى لها أعمق الأهمية بالنسبة له - أرض مصر وسيادتها - فى الوقت الذى يترك لمساعديه المهمة التعيسة المتعلقة بمحاولة التصدى لبيجين فى القضية الفلسطينية . وكان كارتر ، الذى كثيرا ما كان يغدو نافد الصبر حيال معاونى السادات ، يتوجه مرارا إلى السادات مباشرة لدفعهم إلى تغيير مواقفهم ، وهو الأمر الذى لم يكن يجدى مع الجانب الإسرائيلى ، حيث إنه كان يضم ديان ، وعزرا وايزمان وزير الدفاع ، وباراك الذين كانوا يبدون المرونة فى حين أن بيجين كان هو المتشدد (وهو الموقف التفاوضى الأقوى كما أوضحت النتائج)[٤٠] . وكان موقف بيجين قويا أيضا بفضل استعداده للقبول بفشل المحادثات . فقد كان كل من السادات وكارتر ملتزمين بتحقيق نتيجة إيجابية ، ولذلك كان بوسع بيجين أن يستخدم بمصداقية التهديد بالانسحاب ، وهو ما فعله لانتزاع بعض التنازلات .

وكانت القضية الصعبة الثانية هى مسألة المستوطنات : كان الوفدان الأمريكى والمصرى يريدان فرض تجميد عليها أثناء المفاوضات بشأن الحكم الذاتى الفلسطينى . ومرة ثانية أرجأ بيجين مناقشة هذه القضية حتى قرابة نهاية المحادثات .

وكان يوم السبت ١٦ سبتمبر يوما حاسما فى التصدى للقضايا الشائكة المتعلقة بالضفة الغربية وغزة[٤١] . وحتى ذلك الوقت كانت جميع المشاريع الأمريكية تتضمن صياغات بشأن انطباق القرار ٢٤٢ ، بما فى ذلك مبدأ الانسحاب ، على المفاوضات النهائية حول الضفة الغربية وغزة . وكانت تدرج فيها دائما فقرة تدعو إلى فرض تجميد على المستوطنات . وفى صباح ذلك اليوم ، اجتمع ديان وباراك مع فانس . وشرح الإسرائيليان السبب فى أن بيجين لن يقبل بالمرة الصياغة المتعلقة بالقرار ٢٤٢ والانسحاب . وأضاف باراك أنه يشعر بأن من الممكن العثور على حل ، ولكن ذلك لن يحدث إلا إذا كانوا على استعداد جميعا لمواصلة المفاوضات لأسبوع آخر أو نحو ذلك . وقال - وكأنه يتنبأ بما سيحدث فيما بعد - إنه إذا ما تعين الوصول إلى اتفاق فى ذلك اليوم ،

فإن كل ما يمكن أن يأملوا فى عمله أن يغطوا بالورق على بعض المشاكل الرئيسية والتى ستعود فتؤرقهم فيما بعد .

غير أنه باستثناء باراك وقليلين آخرين ، لم يكن لدى أحد الاستعداد لقضاء أسبوع آخر فى بيئة كامب ديفيد المثيرة لأحاسيس الخوف المرضى من الاحتجاز . ونتيجة لذلك تم خلال يوم السبت إدخال تغييرات جذرية على المشروع الأمريكى . فحذفت عناصر القرار ٢٤٢ ، بما فيها الانسحاب ، والتى كان قد نص عليها نصا صريحا فيما سبق . وغيرت الصياغة من أجل توضيح أن المفاوضات ، وليست نتائج المفاوضات بالضرورة ، تستند إلى مبادىء القرار ٢٤٢ . وتم التعتيم بشكل بارع على المفاوضات بشأن الضفة الغربية وغزة بخلق مسارين ، واحد لمفاوضات بين إسرائيل والأردن بشأن معاهدة سلام ، والآخر لمحادثات بين إسرائيل وممثلين عن الفلسطينيين بشأن الضفة الغربية وغزة .

ولم يكن لدى إسرائيل اعتراض على القول بأن القرار ٢٤٢ ينبغى أن يكون أساس المفاوضات مع الأردن . وكان من رأى بيجين أن الأردن ليس له حق فى الضفة الغربية ، والقول بذلك لا ينطوى على التزام بصيغة « السلام مقابل الانسحاب » . ومن وجهة النظر الإسرائيلية فإن القرار ٢٤٢ لا ينطبق على المحادثات بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة . والقارىء المتأنى للفقرة ١ (جـ) من « إطار عمل من أجل السلام فى الشرق الأوسط » الموقع فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ سيجد نصا على « لجنتين مستقلتين وإن كانتا مرتبطتين » ، و « تستند المفاوضات إلى جميع أحكام ومبادىء قرار مجلس الأمن ٢٤٢ » . وقد يحتاج الأمر إلى محام لتفسير ذلك ، غير أن بيجين دافع بنجاح عن موقفه المبدئى الذى يقضى بأن القرار ٢٤٢ لا ينطبق على المفاوضات بشأن مستقبل الضفة الغربية ، وقبل الأمريكيون بالتعبير الملتبس ، وقد يكون السادات قد تعجب بالفعل عما تدور بشأنه كل هذه المباريات اللفظية . وعلى أى حال فقد فاز بيجين بهذه الجولة أيضا .

وفى وقت لاحق من مساء السبت ظن كارتر وفانس أنهما كسبا جولة فى النهاية من بيجين . فقد أصر كارتر فى جلسة فى وقت متأخر من الليل على أن يوافق بيجين على فرض تجميد على أنشطة إنشاء المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة طوال المفاوضات بشأن الحكم الذاتى . ووافق كارتر على حذف الفقرة الواردة فى مسودة النص والاستعاضة عنها برسالة موجهة إليه من بيجين ، وتخلى عن إصراره على ضرورة عدم زيادة حجم المستوطنات القائمة . إلا أنه اعتقد بوضوح أنه قد تم قطع التزام بعدم بناء مستوطنات جديدة أثناء محادثات الحكم الذاتى . وفهم فانس أيضا أن بيجين قدم مثل هذا الوعد رغم أنه كان قلقا من جراء تردد بيجين فى قبول التزام مطلق بالتجميد .(٤٢)

وعلى أى حال ، كان ينبغى تسوية القضية فى صباح الأحد ، حينما أرسل بيجين مسودة رسالة إلى كارتر بشأن الموضوع . وكان السادات قد أحيط علما حينئذ بأن بيجين وافق على فرض تجميد على المستوطنات . إلا أن الرسالة الفعلية لم تؤكد ما فهمه كارتر ، وأعاد كارتر الرسالة دون أن يتحدث بشأنها مباشرة مع بيجين . كان بيجين قد وعد بتجميد المستوطنات لمدة ثلاثة أشهر ، وهى فترة زمنية كان قد أشار إليها فى الليلة السابقة . بيد أن بيجين أخذ يربط الآن بين التجميد وبين

فترة المفاوضات المصرية الإسرائيلية وليس محادثات الحكم الذاتى ، وهو ما كان خطوة غير ملائمة وغير مسبوقة بالمرة . وكان لابد أن تنطلق أجراس الإنذار ، لكن كانت هناك قضايا أخرى كثيرة على جدول الأعمال فى ذلك اليوم ، خاصة جدلاً استدراجيا بشأن القدس برز بعد الظهر ، بحيث إن كارتر وفانس استمرا يتصرفان كما لو أن ما حدث هو مجرد سوء فهم يمكن إزالته حالما يرسل بيجين مسودة جديدة .

ولم تصل النسخة النهائية للرسالة إلا بعد التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد ، وتمسك فيها بيجين بعناد بموقفه من أن التجميد سيستمر فقط طوال فترة الأشهر الثلاثة الخاصة بالمحادثات المصرية الإسرائيلية . وفاز بيجين بجولة أخرى ، وفى موقعة ذات أهمية بالغة للجمهور العربى المستريب الذى كان ينتظر ليرى ماذا سيحصل عليه الفلسطينيون نتيجة للصلح المنفرد بين مصر وإسرائيل الذى كان يبدو أنه قيد الإعداد . ولم يتغلب كارتر مطلقا على شعوره بأن بيجين ضلله ، وتسببت هذه الواقعة فى انعدام ثقة متبادل بين الزعيمين .

وفى وقت لاحق من بعد ظهر ١٧ سبتمبر ، اجتمع السادات وكارتر للمرة الأخيرة لمناقشة الاتفاق الذى كان يقترب من الاكتمال . كان السادات متحفظا ولم يكن مزاجه مفعما بالارتياح لعمل تحقق على خير وجه . وكان الفريق الأمريكى أيضا يعرف أن هناك مشاكل كثيرة باقية ، ولكنه اتخذ فى النهاية قرارا سياسيا بقبول أفضل اتفاق متاح حينئذ ، على أمل أن تسد المرحلة التالية من المحادثات بعض الثغرات وتوضح مجالات اللبس . وكان الأفراد الرئيسيون من الجانب الأمريكى يميلون أيضا إلى الاعتقاد بأن اتفاقات كامب ديفيد ستفوز فى النهاية بالتأييد السعودى والأردنى . وكان ذلك تعلقا بالأمانى إلى حد كبير ، ويعكس إلى حد ما ميلا إلى أخذ كلام السعوديين بحرفية بالغة عندما كانوا يغمغمون بتعبيرات عامة إيجابية للزوار الأمريكيين .

خـــلاصـــة

كان على سياسة الولايات المتحدة ، خلال المحادثات المطولة التى سبقت كامب ديفيد وفى كامب ديفيد ذاتها ، أن تتكيف باستمرار مع حقيقتين : أنه لا يمكن السيطرة بسهولة على الأحداث فى الشرق الأوسط أو التأثير عليها ، ولذلك فإن التطورات هناك كثيرا ما تأخذ الأمريكيين على غرة وتجبرهم على تنقيح استراتيجياتهم ؛ وأن واقع السياسة الأمريكية الداخلية يتدخل بقوة فى عملية صنع القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط . فيجب على الرئيس أن يكيف خططه مع الانعطافات والتحولات غير القابلة للتنبؤ بها فى سياسات الشرق الأوسط ، وألا تغيب عينه فى الوقت نفسه عن قاعدته السياسية فى الداخل . وما يبدو ممكنا ومستصوبا فى السنة الأولى من فترة حكم الرئيس يحتمل أن ينظر إليه بحلول السنة الثالثة بوصفه طموحا لا أمل فيه .

وتكون نتيجة هذه الضغوط الشرق أوسطية والداخلية ، أن تتجه السياسة الأمريكية بعيدا عن التصميمات الكبرى ذات المحتوى العقائدى القوى ، وأن تسعى للوصول إلى أرضية وسط أقل إثارة للجدل وأقل طموحا ، وتستطيع أن تفوز بتأييد جماهير الحزبين علاوة على القبول من العرب والإسرائيليين . وليس ذلك بالطبع متيسرا دائما ، مهما كان مستصوبا من الناحية السياسية . ولذلك

فإن السياسة الأمريكية إزاء الشرق الأوسط نادرا ما نجحت فى إرضاء كل من له اهتمام بتشكيلها . ويبدو أن الرؤساء الأمريكيين يصيبهم الكلل من كل ذلك الجدل الذى تولده مشاكل الشرق الأوسط ، وصعوبة حل القضايا التى تعتبر مصدرا للكثير من الإحباط .

واتفاقات كامب ديفيد تدلل بشكل واف على حدود ما يمكن إنجازه فى الواقع ، حتى إذا بذل أكبر قدر ممكن من الجهد . إلا أنها أيضا تذكرة بأن الدبلوماسية تستطيع تحقيق نتائج إذا ما توافرت الإرادة والطاقة والإبداع . ولا يمكن التعرف بشكل كامل على حكم التاريخ على اتفاقات كامب ديفيد ، وإن كانت كل سنة تمر تجعلها أكثر قبولا باعتبارها جزءا من الواقع الجديد فى الشرق الأوسط . بيد أن هذه المغامرة المشهودة فى دبلوماسية اجتماعات القمة حققت ، بكل المعايير ، أكثر مما كان يتوقعه الذين انتقصوا من قدرها ، وأقل مما زعم المتحمسون فى مناصرتها .

الفصل الحادى عشر

الهبوط من القمة :
الربط أم عدم الربط ؟

كان الاتفاقان اللذان تم التوصل إليهما فى كامب ديفيد حدًا فاصلا فى مفاوضات السلام ، إلا أنه تبقى الكثير مما يتعين عمله قبل أن يمكن إنجاز السلام فعليا . فقد كان يتعين ملء الكثير من الفراغات فى اتفاقات كامب ديفيد ، وكان يتعين حل الكثير من الالتباسات بطريقة أو بأخرى . وكان من المنتظر أن تحدث على طول الطريق توقفات ، وإنحناءات ، وبعض التراجع ، والكثير من المآزق . لقد توصلت مصر وإسرائيل فى النهاية إلى هدفهما المتعلق بمعاهدة السلام الرسمية ، إلا أن الهدف الأوسع مدى الخاص بإيجاد حل سلمى للمسألة الفلسطينية ظل بعيداً عن المنال .

كان من المقرر أن تبدأ حينئذ مرحلة الصياغة التفصيلية ، وهى مهمة تبدو فنية ، وإن كانت تعتبر فى الحقيقة عملية معقدة ، تستلزم أن تخاض خلالها معارك سياسية رئيسية ، وأن تبذل محاولات لتنقيح الإطار الأساسى للمفاوضات . ورغم أن الفنيين كانوا يجلسون إلى المائدة لصياغة الوثائق ، فإن القادة السياسيين كانوا لا يزالون منغمسين فى الأمر بعمق .

فقد قام كل من مناحم بيجين وأنور السادات وجيمى كارتر بوضع استراتيجية لهذه المرحلة من المفاوضات ، إلا أنه لم يكن من الممكن أن يعاد خلق الظروف الخاصة التى صاحبت القمة . وما من شك فى أن عزل الزعماء عن الصحافة وعن الرأى العام فى بلادهم كان عاملا رئيسيًا فى التوصل إلى الاتفاقين الإطاريين . بيد أن كل زعيم كان يتعين عليه الآن أن يواجه العالم الحقيقى حيث يكون لقواعده الداخلية رأيها فيما يحدث .

ولما كان كل مشترك فى كامب ديفيد يشعر بأنه ملزم بتبرير ما فعله فى القمة ، فإن الفجوة التى تفصل بينهم أخذت فى الاتساع مرة ثانية . وعندما أزف وقت الثلاثة أشهر الذى فرضوه على أنفسهم للتفاوض حول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ، انتهت المحادثات إلى التوقف .

استراتيجيات ما بعد القمة

غادر كارتر كامب ديفيد وهو يشعر بارتياح حقيقى . وكان رد الفعل لدى الكونجرس والصحافة

والرأى العام بصفة عامة إزاء الأنباء المتعلقة بالتوصل إلى اتفاق بين بيجين والسادات إيجابيًا على نحو غامر . وحظى كارتر بمعظم الفضل ، وبدا أن حظوظه السياسية قد تحسنت بشكل بارز نتيجة لذلك .

بيد أن كارتر كان فى حاجة ، لكى يديم هذه الدفعة السياسية ، إلى التأكد من أن إطارى كامب ديفيد لن يظلا حروفاً صماء . كان للوقت أهميته الجوهرية فى التوصل إلى معاهدة سلام رسمية . ومن بين الاعتبارات الأخرى ، أنه كان مقرراً أن تجرى انتخابات الكونجرس النصفية فى أوائل نوفمبر ، ومن المرجح أنه مما يساعد المرشحين الديموقراطيين ، ومن ثم كارتر ، أن توقع معاهدة السلام فى ذلك الحين .

ورغم أن كارتر كان سعيداً بلا شك برد الفعل الأمريكى الداخلى ، فإنه كان منزعجا من الأمارات المبكرة على خيبة الأمل فى العالم العربى . كان قد ألمح إلى السادات بأنه سيقوم بجهد جاد لكسب التأييد من الأردن والمملكة العربية السعودية ، وكان قد ذكر فى لحظات من أحاديثه غير المقيدة أنه يتعين على الملك حسين والسعوديين أن يقبلوا بأى شىء يتفق عليه مع السادات . إلا أن حسين كان ينظر إلى اتفاقات كامب ديفيد بحذر ، ورفض الاجتماع مع السادات بعد عودته إلى القاهرة .

وكانت أولوية كارتر الواضحة بعد كامب ديفيد إتمام مفاوضات المعاهدة بأسرع ما يمكن ، وخلال أيام على وجه الدقة . وكالعادة كان الرئيس يميل للنظر إلى القضايا المتبقية بوصفها أموراً فنية ومن ثم قابلة للحل بسرعة . أما المشاكل السياسية الأعمق التى يواجهها كل من بيجين والسادات ، فكان من الصعب عليه أن يسبر غورها . ووجد كارتر صعوبة فى تقبل أن أياً منهما لم يكن يشاركه إحساسه بالعجلة .

إذ أن بيجين لم يكن يشارك كارتر فى إحساسه بأن للوقت أهميته فحسب ، وإنما أراد أيضاً أن يبطىء من سرعة المفاوضات خوفاً من أن تُمارس ضغوط كثيرة على إسرائيل إن لم يفعل ذلك . وكلما أظهر كارتر أنه متلهف على تحقيق نتائج سريعة ، بدا أن بيجين يغرز عقبيه فى الأرض ليقاوم المطالبة بتنازلات إسرائيلية . وكان بوجه خاص حروناً بشأن المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة . وكلما زاد كارتر من الحاحة لحل هذه القضية ، كان بيجين يقول لا ببساطة لفكرة تجميد المستوطنات الجديدة لأجل طويل . وكان له ما أراده .

وإذا كان بيجين منتبهاً لإيقاعات السياسات الأمريكية ، ومن المؤكد أنه كان يفعل ذلك ، فلابد أنه أدرك أنه سيصبح من الصعب على كارتر بشكل متزايد القيام بدور قوى فى المفاوضات مع تقدم عام ١٩٧٩ . فبحلول وقت ما من العام ، سيستولى المناخ السابق على الانتخابات على الانتباه ، وسيتعين على كارتر أن يلتفت إلى دعم موقفه . ولن يود حينئذ أن ينغمس فى مواجهة مع إسرائيل . وكان بيجين يدرك جيداً أن كارتر يميل إلى اتخاذ جانب السادات من المسألة الفلسطينية ، وأن المفاوضات بشأن الضفة الغربية وغزة ستكون بالغة الصعوبة . ومن ثم سيكون من الأفضل بكثير ألا تبدأ محادثات الحكم الذاتى حتى وقت متأخر من ١٩٧٩ عندما يكون لدى كارتر مشاغل أخرى .

كان السادات في موقف أضعف من بيجين من نواح كثيرة ، مما أثر حتماً على نتيجة المفاوضات . فلو أن المحادثات انهارت الآن فإن إسرائيل ستبقى فى سيناء ، ولن يكسب السادات شيئا مقابل « مبادرته التاريخية » ، وستذوى آماله فى الحصول على المساعدة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية الأمريكية إذا ما انهارت مفاوضات السلام بسبب تصرف من جانبه . وكان كارتر قد سبق أن حذره من ذلك فى كامب ديفيد . وكان انزعاج السادات بشأن الوقت أقل مما يبديه كارتر ، ولكن لابد أنه فهم هو الآخر أن دور كارتر سيتغير مع اقتراب سنة ١٩٨٠ الانتخابية .[١] بيد أن السادات كان يعرف أيضاً أن أى بادرة من جانبه على نفاد الصبر أو التلهف على استكمال المفاوضات سيستخدمها بيجين لمحاولة انتزاع المزيد من التنازلات .

كان من المحتم ، من منظور كارتر والسادات وبيجين ، أن تكون مرحلة مفاوضات ما بعد القمة صعبة . لقد جعلت الظروف الفريدة للأيام الثلاثة عشر التي انقضت فى كامب ديفيد من المستطاع التوصل إلى اتفاق ، إلا أن معظم الضغوط كانت تعمل الآن فى الاتجاه المضاد . لم يكن المناخ مواتياً لاستئناف المحادثات .

الإعداد للجولة التالية

لم يقنع كارتر بالجلوس وانتظار نتائج تصويت الكنيست على اتفاقات كامب ديفيد ، وهو التصويت الذى كان مقرراً أن يجرى بعد أسبوعين . وكان هناك بند لم يكتمل أداؤه . كان بيجين قد بعث إلى كارتر ، فى يوم الاثنين ١٨ سبتمبر ١٩٧٨ ، بالرسالة الموعودة بشأن المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة . وكان النص مطابقاً لذلك الذى رفضه كارتر فى اليوم السابق . وكتب كارتر ما يعتقد أنه قد تم الاتفاق عليه ، مستعينا بما دونه من ملاحظات على محادثات مساء السبت ، وطلب من هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية تسليم تصوره للإسرائيليين ، جنباً إلى جنب مع رسالة بيجين الأصلية التى رفض كارتر قبولها .

وحاول المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون لعدة أيام ، وبدون نجاح ، العثور على صيغة يمكن أن تسوى الخلاف . ولم يقدم السادات يد العون فى هذا الصدد عندما صرح للصحافة فى ١٩ سبتمبر بأنه فهم أنه سيكون هناك تجميد لمدة ثلاثة أشهر ، وأن إسرائيل وافقت أيضاً على عدم توسيع المستوطنات خلال هذه الفترة .[٢]

واستمر كارتر يبحث عن طرق لدفع بيجين إلى الموافقة على فرض تجميد على المستوطنات طوال مفاوضات الحكم الذاتي للفلسطينيين . وقرر كارتر فى إحدى اللحظات أنه لن يبعث إلى بيجين برسالة يعده فيها بالمساعدة فى بناء مطارين عسكريين فى النقب إلى أن يتلقى الرسالة التى يلتمسها بشأن المستوطنات . وفى ٢٢ سبتمبر وقع رسالة إلى بيجين يفصح فيها مرة أخرى عما يظن أنه قد اتفق عليه ، مشيراً بوضوح شديد إلى أنه قد أخبر السادات بذلك فى ١٧ سبتمبر . إلا أن هذه الرسالة لم تبعث فى أى وقت . بيد أنه بعث بعد أيام قليلة برسالة شفوية إلى بيجين كرر فيها الإعراب عن رأيه بشأن ما اتفق عليه ، محذراً بأن « المستوطنات قد تصبح عقبة جسيمة أمام

السلام ، وان بناء مستوطنات جديدة أثناء المفاوضات يمكن أن تكون له أوخم العواقب على النجاح فى إبرام الاتفاق » .

وعندما اجتمع بيجين بالسفير الأمريكى فى إسرائيل صمويل لويس فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٨ ، قدم له نص المذكرات التى دونها باراك النائب العام الإسرائيلى عن الاجتماع المعقود ليلة ١٦ سبتمبر . ووفقاً لما قاله بيجين ، فإن المذكرات تثبت أنه لم يوافق على التجميد الذى طلبه كارتر ، وإنما وافق فقط على النظر فى الأمر . واستطرد يقول إنه لن يوافق بالمرة على إعطاء العرب حق الفيتو على المكان الذى يريد الإسرائيليون الاستيطان فيه . ومن رأيه أن لليهود من الحق فى الاستيطان فى الخليل بقدر ما لهم فى تل أبيب . وكان هذا بالضبط صلب الخلاف .

ورفض كل من كارتر وبيجين أن يتزحزح عن موقفه ، إلا أنه سرعان ما تحول كارتر إلى أمور أخرى . وبالنسبة لكثير من المتفرجين الذين كانوا فى انتظار رؤية نتيجة النزاع ، بدا أن بيجين قد فاز بالجولة الأولى – وهى علامة غير مشجعة بالنسبة للسادات والملك حسين .

وفى حين كان كارتر يسعى إلى حل الخلاف حول المستوطنات ، كان سيروس فانس وزير الخارجية يقوم برحلات إلى الشرق الأوسط . وكان هدفه من ذلك العمل على اكتساب تأييد أردنى وسعودى لاتفاقات كامب ديفيد . إلا أنه وجد بدلاً من ذلك ارتياباً عميقاً ، مغلفاً فقط بقدر من التهذيب الرسمى فسره بعض الأمريكيين على أنه تعبير عن الأمل فى نجاح الجولة التالية من المفاوضات .(٣)

وارتأى كل من كارتر وفانس أن بعضاً من تفسيرات بيجين العلنية لاتفاقات كامب ديفيد تجعل من الصعب على الملك حسين والسعوديين ألا يرفضوها .(٤) كما كان الأمريكيون محبطين بسبب عدم استعداد السادات للاتصال بالأردنيين أو السعوديين .(٥)

وعلى الرغم من كل هذه المشاكل ، ظل كارتر متفائلاً نوعاً ما بأن الأردن ستنضم إلى المفاوضات .(٦) وكان فانس أكثر تشككاً ، خاصة بعد زياراته لعمان والرياض . وكان الملك حسين قد أثار كثيراً من التساؤلات ، وكان فانس يعلم أن التغلب على شكوكه صعب . بيد أن فانس ، فى محاولة منه للتوصل إلى ذلك ، وافق على إعطاء الملك ردوداً مكتوبة على ما قد يعن له من أسئلة بصدد الاتفاقات .

وفى نفس الحين كانت منظمة التحرير الفلسطينية ترسل ، من خلال قنوات المخابرات ، تساؤلات إلى واشنطن بشأن فحوى الاتفاقات . كان عرفات مرتابا ، ولكنه أبدى اهتماما جديا باكتشاف ما إذا كانت اتفاقات كامب ديفيد تعنى أكثر مما يبدو للوهلة الأولى . ورغم أنه لم يكن هناك ما يدعو الأمريكيين إلى التفاؤل ، فقد كان بوسعهم أن يروا أنه لم يتم بعد تشكيل توافق عربى عام فى الرأى . وإذا ما أخذ العرب تفسيرات بيجين ، أو تعبيرات السادات المزدرية ، على أنها القول الفصل فى المسألة ، فإن القضية تكون قد أغلقت . لكن الأمريكيين كانوا يأملون أن ينجحوا فى إعطاء تفسيرات عمومية للإطار الذى يتناول الفلسطينيين ، وبذلك يحولون دون ردود فعل سلبية عربية قوية . ولذلك قرروا استخدام أسئلة الملك حسين كوسيلة لإعطاء تفسير أمريكى متحرر لاتفاقات كامب ديفيد .

ولم يكن كل أعضاء الحكومة يرحبون بفكرة الرد على الملك حسين كتابة . فمونديل ، نائب رئيس الجمهورية مثلا ، كان يظن أنه ليس مما يليق بالولايات المتحدة أن تخضع لهذا النوع من الاستجواب . إلا أن فانس كان قد أعطى الملك وعداً ، وقرر كارتر تقديم الردود المكتوبة . وما إن وصلت الأسئلة الأربعة عشر فى ٢٩ سبتمبر حتى شرعت الأجهزة البيروقراطية فى تجهيز الردود . وكان معظمها يتكون من تكرار للمواقف الأمريكية المعروفة جيدا ، إلا أنها تضمنت فى بعض الحالات تفسيرات لاتفاقات كامب ديفيد . وعلى سبيل المثال ، فإن الولايات المتحدة سجلت على نفسها أنها تحبذ إشراك فلسطينيى القدس الشرقية فى انتخابات سلطة الحكم الذاتى . وكان الأمريكيون فى مسودة سابقة قد اتخذوا موقفا يفيد أن السيادة فى الضفة الغربية وغزة ملك للشعب الذى يعيش فيهما . وعندما رأى مونديل المسودة عارض بقوة هذه الصياغة ، فأزيلت من النسخة النهائية التى وقعها كارتر .(٧) (للاطلاع على النص انظر الملحق « و ») .

وفى حين كان الأمريكيون يعملون على إقناع العرب الآخرين بأن يكونوا متفتحى الذهن حيال اتفاقات كامب ديفيد ، اجتمع الكنيست الإسرائيلى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٨ للتصويت على تلك الاتفاقات ، بما فى ذلك الحكم المتعلق بسحب المستوطنات من سيناء . وبعد مجادلات مطولة كانت نتيجة التصويت ٨٤ عضوا مؤيدا ، و ١٩ عضوا معارضا ، وامتناع ١٧ عن التصويت .

واتصل كارتر ببيجين هاتفيًا فى اليوم التالى لتهنئته على نتيجة مداولات الكنيست . وأشار أيضا إلى أمله فى أن يحل بسرعة ذلك « الخلاف فى الرأى » بينهما حول المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة . وقال بيجين إنه بعث إلى الرئيس بالفعل رسالة بشأن هذا الموضوع . وكرر كارتر القول بأنه مصمم على حل هذه المشكلة ، وأنه ينبغى له ولبيجين أن يحاولا تقليل خلافاتهما . وأضاف أنه يود أن يرى اتفاقا بشأن سيناء خلال أيام قليلة . وقال بيجين ان ذلك قد يكون ممكنا لو وافق الجميع على استخدام الشكل المعيارى لمعاهدات السلام ، والاكتفاء بملء الفراغات بالتفاصيل الملائمة .

وبعد ذلك اتصل كارتر بالسادات ، واتفق الاثنان على أن من الممكن أن تبدأ المفاوضات بشأن معاهدة السلام فى منتصف أكتوبر . وبدا أن كارتر ، بعد هاتين المحادثتين ، قد تخلى عن فكرة محاولة إجبار بيجين على تغيير موقفه من مستوطنات الضفة الغربية وغزة . إذ أن كارتر باستمراره فى التمسك بهذا الموضوع كان يعرض للخطر اتفاقية سيناء التى يرغب فيها بشكل ملح . كما أنه سيظل يذكر بذلك العرب الآخرين بإحدى النقائص فى إطار كامب ديفيد . وبدلا من هذا ، فإنه قرر فيما يبدو أن ينهى الحوار العلنى بشأن هذه القضية . وعلى أى حال ، فلن تكون هناك مستوطنات إسرائيلية أخرى لمدة ثلاثة أشهر ، وكان كارتر يأمل أن يتم العثور على حل خلال هذه الفترة . ولذلك فقد أذن فى نفس اليوم ، ٢٨ سبتمبر ، لهارولد براون وزير الدفاع أن يوقع رسالة إلى عزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى يعده فيها بالدعم الأمريكى فى بناء مطارين عسكريين فى النقب .

وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٨ ، تكلم فانس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة . وكان قد طلب من كارتر السماح له بأن يقول شيئا عن المسألة الفلسطينية قد يغير من المناخ السلبى المتصاعد فى

العالم العربي . ووافق كارتر ، وأدرج فانس في كلمته العبارة التالية : « وكما قال الرئيس ، فإن موقفنا التاريخي إزاء المستوطنات في الأرض المحتلة لا يزال ثابتا . وكما قال أيضا ، فلن يكون أى اتفاق للسلام عادلاً أو مأمونا إذا لم يحل مشكلة الفلسطينيين بأوسع مفهوم . ونحن نؤمن بأنه لابد من طمأنة الفلسطينيين ونسلهم بأنهم يستطيعون العيش بكرامة وحرية ، وأن تتاح لهم فرصة الإنجاز الاقتصادى والتعبير السياسى عن أنفسهم . واتفاقات كامب ديفيد تنص على أنه يجب أن يعترف الحل التفاوضى بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » .(٨)

محـادثات بلير هاوس

وقام الوفد الأمريكي ، تمهيدا للمرحلة التالية من المفاوضات ، بوضع مشروع لمعاهدة سلام مصرية إسرائيلية . وأراد فانس استخدام نفس الإجراء الذى ثبت نجاحه فى كامب ديفيد ، وذلك بأن يُطلب إلى كل جانب التعليق على المشروع الأمريكي ، على ألا يتم إدخال تغييرات فى النص إلاّ بواسطة الجانب الأمريكى وحده وبعد التشاور مع الآخرين . وكانت وسيلة « النص التفاوضى الوحيد » من الوسائل المنهجية التى وجد الأمريكيون أنها مفيدة ، وانتهى كل من المصريين والإسرائيليين إلى قبولها .

واستعرض كارتر مشروع المعاهدة فى ٩ أكتوبر . وكان تعليقه الوحيد أنه ينبغى للإسرائيليين أن ينسحبوا تماما من سيناء فى سنتين وليس ثلاث سنوات . وكان مشروع المعاهدة عبارة عن وثيقة بسيطة للغاية ، فهى تنهى رسميا حالة الحرب وتنشىء علاقات سلمية ، وتنص على أن تنسحب إسرائيل إلى الحدود الدولية وفقا لتفاصيل يتفق عليها الطرفان ، وعند إتمام مرحلة مؤقتة من الانسحاب تتم إقامة العلاقات الدبلوماسية . وعرفت الحدود بين البلدين بأنها الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين تحت الانتداب . ودعت المادة الثالثة من المعاهدة إلى إقامة علاقات سلمية طبيعية على أن ترد تفاصيل ذلك فى مرفق بالمعاهدة . ودعت المادة الرابعة إلى وضع ترتيبات أمنية فى سيناء وعلى طول الحدود . وعالجت المادة الخامسة حرية الملاحة . وحددت المادة السادسة العلاقة بين هذه المعاهدة والالتزامات الدولية الأخرى للطرفين .

وأدرك الأمريكيون منذ البداية أن عدة قضايا ستكون موضع نزاع . فبالنسبة لإسرائيل ، هناك مسألة توقيت الانسحاب . كانت إسرائيل تخشى أن تسترجع مصر معظم أراضيها أو كلها قبل الدخول فى أى شكل من العلاقات السلمية مع إسرائيل . وعندئذ سيبدو للرأى العام الإسرائيلى أن جميع التنازلات قد تمت من الجانب الإسرائيلى . ولذلك أصرت إسرائيل على أنه ينبغى لمصر أن تقيم علاقات دبلوماسية قبل الانسحاب النهائى ، وأنه ينبغى أن تبدأ بعض أوجه العلاقات الطبيعية فى تاريخ مبكر . وبالنسبة لمصر ، كان هذا التوقيت يثير مشكلة . فالسادات يريد إرجاء تبادل السفراء حتى تنفذ إسرائيل على الأقل أحكام اتفاقات كامب ديفيد التى تدعو إلى إجراء انتخابات للفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة لإنشاء سلطة الحكم الذاتى الخاصة بهم . وكانت تلك هى قصة الربط الشهيرة ، والتى انتهت هنا إلى توقيت إرسال مصر لسفيرها إلى إسرائيل . وحيث إن ذلك

كان مسألة ذات أهمية كبيرة لبيجين ، فإنها اكتسبت أهمية بالغة أيضا لدى السادات . ونشأ اختبار للإرادة بسرعة حيال هذه القضية .

وكانت القضية الثانية التى يحتمل أن تثير نزاعا ما يسمى بأولوية الالتزامات . إذ كانت إسرائيل تريد أن تحوى المعاهدة بيانا واضحا بأنها تسبق التزامات مصر الأخرى ، مثل الكثير من معاهدات الدفاع المشترك بين مصر والبلدان العربية . ووجد السادات أنه لا يحتمل أن يقول علنا إن الالتزامات حيال إسرائيل تسبق الالتزامات حيال الدول العربية . وعلى سبيل المثال ، إذا شنت إسرائيل عدوانا على دولة عربية حليفة لمصر ، فإن السادات لا يشعر بأن مما ينتهك المعاهدة أن يهرع لمساعدة هذه الدولة . وفى الواقع ، بطبيعة الحال ، فإن أيًا مما كتب على الورق لن يضمن ما قد يحدث فى بعض نزاعات المستقبل ، إلا أن هذه كانت قضايا ذات أهمية رمزية بالغة لكل طرف ، وكان كل منهما يحاول توضيح موقفه للولايات المتحدة فى حالة نشوب نزاع فى المستقبل . وقد أثيرت مسألة أولوية الالتزامات بعد ذلك مرارا . وأدرك فانس ، المحامى الدولى المحنك ، منذ البداية أن هذه القضية ستكون عقبة كؤودا .

وربما كان أصعب الأمور مسألة الكيفية التى يعرب بها الطرفان عن عزمهما ، المتواصل على العمل على حل المسألة الفلسطينية عقب توقيعهما على المعاهدة . كان بيجين يريد مجرد التزام مبهم بالتفاوض ، فى حين كان السادات يصر على حدود زمنية والتزامات محددة تثبت أن مصر لم تبرم « صلحا منفردا » . وبررت هنا ثانية قضية الربط فى صورة جلية .

وإلى جانب هذه المشاكل الصعبة المتعلقة بالمبادىء ، كانت هناك أيضا بعض التفاصيل المعقدة . كانت إسرائيل تريد الاحتفاظ بحق فى الحصول على نفط سيناء ، وكانت تريد نوعا من الضمان من الولايات المتحدة إذا ما رفضت مصر بعد ذلك أن تزودها بالنفط . وثبتت أيضا صعوبة بعض القضايا المحددة التى تنطوى على ترتيبات أمنية فى سيناء ، لكن العسكريين من كلا الجانبين كان لهم سجل طيب فى العثور على حلول وسط محددة .

لم تكن هذه المرحلة من المفاوضات مختلفة عن كامب ديفيد فى المحتوى وحسب وإنما فى الشكل والأفراد أيضا . فمن الجانب الأمريكى ، كان كارتر أقل انغماسا . كان يشعر بأنه انفق كثيرا من الوقت على الشرق الأوسط وأنه يتعين عليه الآن أن يحول اهتمامه إلى قضايا أخرى . وكان لتطبيع العلاقات مع الصين وإتمام اتفاقية سولت الثانية مع الاتحاد السوفيتى مكان عالٍ فى جدول أعماله بشأن السياسة الخارجية . وتم تعيين فانس مفاوضا رئيسيا للجانب الأمريكى رغم أنه كانت لديه أيضا مسؤوليات أخرى . وكان يأمل فى أن يعهد بمعظم العمل اليومى إلى ألفريد آثرتون سفير الولايات المتحدة فى محادثات السلام .

وكان الوفد المصرى مختلفا أيضا إلى حد ما . فيما مضى كان كارتر يعتمد إلى حد كبير على مقدرته على التعامل مباشرة مع السادات متخطيا الوفد المصرى . وعندما حان الوقت الآن لوضع الكلام على الورق فى معاهدة للسلام ، اصبح لدى القانونيين المصريين الفرصة مرة ثانية لدفع السادات صوب المواقف المتشددة . كان محمد إبراهيم كامل قد استقال ، كما كان السادات قد قام ،

بدون تفسير واضح ، باستبدال عبد الغنى الجمسى وزير الدفاع . وكان وزير الخارجية الجديد ورئيس الوفد المصرى هو كمال حسن على الذى كان يتولى مساعدته بطرس بطرس غالى وأسامة الباز ، وكلاهما من رجال كامب ديفيد المخضرمين . وسرعان ما عين السادات أيضا رئيسا جديدا للوزراء هو مصطفى خليل الذى لم يكن له أى دور سابق فى المفاوضات .

وكان المشاركون الإسرائيليون مألوفين بشكل أكبر ، وكان معظمهم قد حضر كامب ديفيد . فقاد موشى ديان وزير الخارجية وعزرا وايزمان وزير الدفاع الوفد التفاوضى فى واشنطن يصحبهما النائب العام باراك ومائير روزين المستشار القانونى لوزير الخارجية . بيد أن بيجين رفض أن يفوض سلطة كبيرة للوفد ، وكانت الوزارة الإسرائيلية ككل تريد أن تظل على علم بمعظم تفاصيل المحادثات . ونتيجة لذلك ، لم يكن للاعتدال النسبى للوفد التفاوضى أى مغزى .

وصل الوفدان إلى واشنطن فى الأسبوع الثانى من أكتوبر ، وكان من المقرر أن تعقد الجلسة الأولى فى ١٢ أكتوبر . واجتمع كارتر مع الوفدان الإسرائيلى والمصرى قبل استئناف المحادثات رسميا ليحث كلا الجانبين على الوصول إلى اتفاق بسرعة . وقال كارتر فى محادثاته مع المصريين فى ١١ أكتوبر إنه ينبغى استخدام المفاوضات فى واشنطن لمعالجة مشكلتى سيناء والضفة الغربية وغزة . وحث المصريين على عدم الاستسلام بشأن المسألتين الأردنية والفلسطينية . وقال إنه لا ينبغى ، فى الوقت نفسه ، السماح للقضايا المتعلقة بالضفة الغربية وغزة أن تعوق التقدم صوب معاهدة سلام مصرية إسرائيلية .

وفى الاجتماع الذى عقد مع كارتر تحدث بطرس غالى بالنيابة عن المصريين لطرح قضية الربط أو « الارتباط » بين الاتفاقين ، كما كان مغرما بتسميتها . وتساءل عن الضغوط التى قد تمارس على إسرائيل ، بعد توصل مصر وإسرائيل إلى اتفاق ، لكى تفعل أى شىء بخصوص الضفة الغربية وغزة . وإذا ما حصلت مصر على بعض المزايا فى سيناء ، فيجب أن يأخذ الفلسطينيون أيضا شيئا ما ، وإلا فإن مصر ستصبح منعزلة فى العالم العربى ، ومن شأن ذلك أن يعرض للخطر المبلغ الذى يقرب من مليارى دولار الذى تحصل عليه مصر من المملكة العربية السعودية . وأضاف الباز أن المعارضة لكامب ديفيد تجاوزت ذروتها فى العالم العربى ، وأن الملك حسين قد يكون مستعدًا خلال شهور قليلة للانضمام إلى المحادثات . وأنهى كارتر الاجتماع بتكرار القول بأنه ملتزم بالعثور على حل للضفة الغربية وغزة إلا أنه لا يريد أن يعرض المعاهدة بين مصر وإسرائيل للخطر بسبب مشاكل الأردن والفلسطينيين .

فتح العطاءات

وبعد عدة أيام من هذه الاجتماعات الأولية ، كانت المحادثات لا تزال تمضى ببطء وبدون أى إنجازات . كان الفنيون قد استطاعوا تحقيق بعض التقدم بشأن الملاحق ، إلا أن المشاكل القائمة على المستوى السياسى ظلت كما هى . وبدأ كارتر يظهر دلائل على نفاد الصبر . كان يفكر فى التوجه إلى الشرق الأوسط فى أواخر أكتوبر ، بل وكان يأمل ، على غير أساس واقعى ، أن يكون بمقدوره أن يرأس حفل توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى ذلك الوقت . وكان الحديث

دائرا عن عقد قمة عربية في أوائل نوفمبر تقريبا ، وكان كارتر يريد إنجاز المعاهدة قبل انعقاد القمة . وكان نظره مشدودا أيضا إلى انتخابات الكونجرس .(٩)

وقرر كارتر ، كيما يستعجل المحادثات ، أن يجتمع بكلا الوفدين فى ١٧ أكتوبر . واشتكى ديان من ثلاث قضايا : الصياغة المتعلقة بأولوية الالتزامات فى المعاهدة ؛ والربط بين محادثات المعاهدة وقضايا الضفة الغربية وغزة ؛ وعدم اهتمام مصر بتعجيل التطبيع . وبعد ذلك أعلن ديان ، فى إيماءة ماكرة محسوبة فيما يبدو للفوز بتأييد كارتر ، أن إسرائيل على استعداد للتعجيل بالانسحاب إلى الخط المرحلى فى سيناء . (كانت اتفاقات كامب ديفيد تنص على أن تسحب إسرائيل قواتها مما يقرب من ثلثى سيناء خلال تسعة أشهر من توقيع المعاهدة) . وقال إن من الممكن إعادة مدينة العريش ، ولها أهمية رمزية كبيرة لدى السادات ، خلال شهرين بدلا من التسعة أشهر المتوخاة فى الاتفاق الإطارى . وسر كارتر بذلك ورأى فى العرض إشارة طيبة إلى المرونة الإسرائيلية . وفى المقابل ، وافق كارتر على التحدث إلى المصريين بشأن التحرك بسرعة فيما يتعلق بالتطبيع ؛ وتعهد بحل مشكلة فنية تتعلق بموقع الخط المرحلى ؛ ووافق على النظر فى المساعدة فى تمويل انسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية من سيناء ، ولكن ليس المساعدة فى تكاليف إزالة المستوطنات .

وبعد ساعات قليلة اجتمع كارتر مع الوفد المصرى . وأبلغ كمال حسن على الرئيس بأنه تم التوصل إلى اتفاق بشأن ترسيم المناطق المحدودة القوات فى سيناء . وبعد ذلك تحدث بطرس غالى عن الحاجة إلى نوع من الارتباط بين المفاوضات المتعلقة بالمعاهدة والمسألة الفلسطينية . وطرح على وجه الخصوص فكرة إقامة العلاقات الدبلوماسية على مراحل تكون مرتبطة بشكل ما بالتقدم المحرز بشأن الضفة الغربية وغزة ، فيتم أولاً الاعتراف الرسمى بإسرائيل ، وبعد ذلك يرسل قائم بالأعمال إلى تل أبيب ، ولا يتم تبادل السفراء إلا فيما بعد . ولم يكن كارتر سعيدا بهذا الاقتراح ، وذكَّر المصريين بأن السادات وافق شفاهة فى كامب ديفيد على أن يتم تبادل السفراء عندما يتم الانسحاب المرحلى . وبعد ذلك أعطى للمصريين نسخا من ردوده على أسئلة الملك حسين ، وقال إنها قد تساعد فى معالجة مشكلة الربط .

كما أخبر كارتر المصريين بأن الإسرائيليين على استعداد للتعجيل بالانسحاب إلى العريش . وقال إن المصريين يبدون الآن وقد تراجعوا عن موقفهم بشأن توقيت إرسال سفيرهم إلى تل أبيب . وذكر أنه ينبغى للمصريين أن يردوا بالمثل على موقف إسرائيل البناء بشأن الانسحاب ، بالموافقة على تبادل السفراء فى وقت مبكر . وأنهى كارتر المحادثات بمطالبة المصريين بإبلاغ الرئيس السادات برغبته فى زيارة الشرق الأوسط قبل أول نوفمبر إن أمكن .

كان كارتر قد عاد حينذاك إلى قلب المفاوضات . وفى ٢٠ أكتوبر عقد اجتماعا عاصفا إلى حد ما مع الوفد الإسرائيلى ، واتهم إسرائيل بأنها تتجاهل أن إطار العمل المصرى الإسرائيلى جزء من التزام أوسع بالعمل من أجل تسوية بشأن الضفة الغربية وغزة أيضا . وتساءل باراك عما إذا كان كارتر يعتقد أنه ينبغى أن ترتهن المعاهدة بإمكانية التوصل إلى اتفاق بشأن الضفة الغربية . ورد كارتر بأنه لا يقصد ذلك ، وأن الصيغة المتعلقة بالضفة الغربية قد تفشل على كل حال بسبب نشاط

أو تقاعس أطراف أخرى ، وخاصة الأردنيين أو الفلسطينيين . ولكن كارتر تساءل عما يكون عليه الحال لو أن إسرائيل كانت هى الطرف المسؤول عن فشل إطار الضفة الغربية . فهل تعتقد إسرائيل أن المعاهدة لن تتأثر فى هذه الظروف ؟ وأجاب باراك بأنه يجب أن تكون المعاهدة مستقلة من الناحية القانونية عما قد يحدث فى الضفة الغربية وغزة ، حتى ولو قامت درجة ما من الربط السياسى بين المسألتين . وعندئذ قال كارتر للإسرائيليين إنه واثق من أنه يستطيع إقناع السادات بالموافقة على تبادل السفراء خلال شهر من الانسحاب المرحلى . وتساءل ديان عما إذا كان بوسع الولايات المتحدة أن تحرر رسالة تضمن فيها أن المعاهدة ستنفذ .

وفى نفس اليوم الذى كان كارتر يجرى فيه محادثاته الصعبة مع الإسرائيليين ، كان سوندرز مساعد وزير الخارجية يجتمع مع رئيس الوزراء بيجين فى القدس . كان قد زار عمان قبل ذلك لتسليم ردود كارتر إلى الملك حسين . وكان قد توقف أيضا فى الرياض ، ويخطط للاجتماع مع فلسطينيين من الضفة الغربية .

وقام سوندرز أولاً بتقديم تقرير لبيجين عن موقف حسين والذى لم يكن سلبيا كلية . فقد أخبر الملك سوندرز بأنه ليس مستعدا لاتخاذ قرار بشأن الدخول فى المفاوضات إلا بعد قمة بغداد التى تعقد فى أوائل نوفمبر ، غير أنه سيشجع الفلسطينيين فى الضفة الغربية على التعاون مع عملية كامب ديفيد . وقال السعوديون إنهم سيتخذون موقفا محايدا .

واشتكى بيجين من أن الأمريكيين لديهم فيما يبدو تفهم كبير للمشاكل السياسية التى يواجهها الزعماء العرب دون أن يكون لديهم أى تفهم لمشاكله . لقد هوجم بمرارة من قبل بعض أصدقائه القدامى فى جماعة إرجون . أن يقدر الأمريكيون التنازلات التى قدمها بالفعل من أجل السلام . وبعد ذلك طلب من سوندرز أن يبلغ كارتر « حزنه العميق » ، إذ لم يحدث تشاور مسبق مع إسرائيل حول الردود على الملك حسين . وشرع بيجين يشن انتقادا على كل نقطة من النقاط الواردة فى الردود ، مبرزا كل ما يعتبر أنها تحتويه من خروج على كامب ديفيد . وهاجم الولايات المتحدة لتكرارها موقفها بشأن القدس ، ومن أجل بيانات أخرى عن المواقف الأمريكية التى تختلف عن موقفه . فمن رأى بيجين أن هذه المواقف ، وكلها معروفة جيدا لدى العرب ، ستشدد من موقفهم التفاوضى وتقودهم إلى توقع ضغوط أمريكية على إسرائيل . ورغم أن توقيع كارتر كان يذيل الردود المرسلة إلى حسين ، فإن بيجين وزملاءه كانوا يفضلون الحديث عن « وثيقة سوندرز » ، وكان سوندرز على مدى أسابيع عديدة هدفا لحملة عنيفة فى الصحافة الإسرائيلية .

وعلى الرغم من هذه الوقائع المؤسفة مع الإسرائيليين فى واشنطن وفى القدس ، تم التوصل إلى اتفاق « مشروط بالتصديق عليه » بشأن نص المعاهدة . وكان على كل وفد أن يحيل الأمر إلى عاصمته للحصول على الموافقة النهائية ، ولكن العناصر الأساسية للمعاهدة كانت قد أصبحت جاهزة فيما يبدو . بيد أن المصريين كانوا قد اقترحوا أثناء المحادثات أن يوقع السادات وبيجين على رسالة موازية تتناول الضفة الغربية وغزة ، وأن تتزامن الرسالة مع المعاهدة وتلزم الطرفين بإتمام المفاوضات بشأن الضفة الغربية وغزة بحلول موعد محدد ، مع إجراء انتخابات خلال ثلاثة أشهر من التوقيع على المعاهدة .

وذكرت مصر أيضا فى المفاوضات مسؤوليتها الخاصة عن غزة ، وهى تذكرة باهتمام السادات بخيار « غزة أولا » والذى ينشأ الحكم الذاتى بمقتضاه فى غزة ، ثم ينشأ فى الضفة الغربية بعد ذلك ، بعد أن ينضم الملك حسين إلى المفاوضات . وأشار الباز إلى ذلك على أنه حيلة لإخافة الملك حسين والفلسطينيين ، بإبلاغهم أنهم إذا لم ينضموا إلى المفاوضات بسرعة فسوف تفوتهم القافلة . وطالب بقوة بأن تقوم إسرائيل من جانبها بعدد من الخطوات فى غزة قبل إتمام الانسحاب إلى الخط المرحلى فى سيناء .

وكتب كارتر رسالة إلى السادات فى ٢٢ أكتوبر أوضح فيها شروط المعاهدة كما تم التفاوض عليها فى واشنطن . وطلب أن يقبل السادات النص بشكله الراهن ، وأن يوافق بالإضافة إلى ذلك على رسالة تلزم مصر بإرسال سفير إلى إسرائيل خلال شهر واحد من الانسحاب المرحلى . وكرر كارتر القول بأنه طلب من الإسرائيليين أن ينسحبوا إلى الخط المرحلى بأسرع مما دعت إليه اتفاقات كامب ديفيد ، واختتم الرسالة قائلا إنه يود زيارة الشرق الأوسط لتوقيع المعاهدة ، وهو ما يأمل أن يتم فى أقرب وقت ممكن . وتلقى بيجين رسالة مماثلة ، ذكر فيها كارتر أنه لم يحصل بعد على موافقة السادات على إرسال السفير إلى إسرائيل خلال شهر واحد من الانسحاب المرحلى ، ولكنه يأمل فى أن يتخذ السادات موقفا إيجابيا فى هذا الصدد .

ووصل رد السادات فى ٢٤ أكتوبر . كان مستعدًا للاستجابة لكارتر فى عدة نقاط ، بما فى ذلك تبادل السفراء بشرط إدخال بعض التغييرات على نص المعاهدة . إذ لا يمكن لمصر أن توافق على تحديد دائم للقوات فى سيناء ، ويمكن قبول فترة تصل إلى خمسة وعشرين عاما . (دوّن كارتر ملحوظة تقول « ما من مشكلة ») . وثانيا ، المادة السادسة من المعاهدة – قضية أولوية الالتزامات ـ تجعل الأمر يبدو كما لو أن التزامات مصر حيال إسرائيل أكبر من التزاماتها حيال الجامعة العربية .(١٠) فلا ينبغى لصياغة المعاهدة أن تنزل من قدر التزامات مصر بموجب اتفاقاتها السابقة (ودوّن كارتر ملحوظة تقول « هذه مشكلة ») . وثالثا ، يجب أن تذكر المعاهدة بوضوح أن لمصر السيادة على سيناء . (وكتب كارتر « أوافق ») .

ووصلت إلى واشنطن رسالة من بيجين فى نفس اليوم . واشتكى رئيس الوزراء الإسرائيلى فى رسالته بإسهاب من الردود التى قدمت للملك حسين . وأرفق بالرسالة نص كامل لمحادثات بيجين مع سوندرز . وبعد ذلك استعرض بيجين النزاع حول المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة ، مشيرا إلى أنه قد أخبر الرئيس بأن هناك خططا لإضافة عدة مئات من الأسر إلى المستوطنات فى يهودا والسامرا فى خلال فترة أشهر التجميد الثلاثة ذاتها .

وفى نفس الحين كان ديان ووايزمان يسعيان فى إسرائيل للفوز بموافقة مجلس الوزراء على مشروع المعاهدة . وقد قوبلا بقدر هائل من الانتقادات ، ولكن رغما عن ذلك ضغط بيجين للحصول على تأييد المجلس للمشروع المعروض ، وفاز بأغلبية كبيرة فى ٢٦ أكتوبر . ولأسباب تخصه ، وربما كهدية لبعض أعضاء المجلس المتشددين ، جعل بيجين الإعلان عن قرار المجلس بشأن المعاهدة مصحوبا بقرار « بزيادة » المستوطنات فى الضفة الغربية .

وجن جنون كارتر . فوجّه التهنئة بفتور إلى بيجين على نتيجة تصويت مجلس الوزراء ثم علق على قرار زيادة المستوطنات بقوله : « فى الوقت الذى نحاول فيه إجراء مفاوضات تتناول الضفة الغربية وغزة ، لا يمكن أن تكون هناك خطوة من جانب الحكومة الإسرائيلية أشد ضررا من هذه » . وأضاف كارتر بخط يده « يتعين علىّ أن أقول لكم ، وأنا أشعر ببالغ القلق والأسف ، إن اتخاذ هذه الخطوة وفى هذا الوقت سيكون له أوخم العواقب على علاقاتنا » .

وعلى ضوء هذه التطورات ، كان من المفارقات إلى حد ما أن جائزة نوبل للسلام منحت فى اليوم التالى لكل من بيجين والسادات . وشعر بعض مساعدى كارتر بالمرارة لأن الرئيس لم يدرج معهما ، ولكن المشكلة الأهم فى تلك اللحظة كانت تتمثل فى أنه يبدو أن السلام ذاته يولى مبتعدا . بل إن التقارير وصلت إلى واشنطن بأن السادات على وشك أن يسحب وفده وينهى المحادثات . واتصل كارتر به وأقنعه بألا يقدم على أى عمل متعجل ، إلا أن المزاج السائد فى البيت الأبيض كان كئيبا . فعلى الأقل لن يستطيع كارتر أن يقوم برحلته المأمولة إلى الشرق الأوسط قبل نهاية الشهر .

وخلال الأيام الأخيرة من أكتوبر ، أصبح الفريق الأمريكى يدرك بشكل متزايد أن الإسرائيليين يصرون على تعريف ضيق جدا للحكم الذاتى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة . ونقل ديان فى جلسة صريحة بشكل غير معتاد مع فانس فى ٣٠ أكتوبر آخر قرارات مجلس الوزراء بشأن المعاهدة ، ثم استطرد يتحدث عن مشكلة الضفة الغربية ، فقال إن إسرائيل ليست مستعدة للحديث مع المصريين إلا بشأن « طريقة » إجراء الانتخابات ، ومن الخطأ تناول مسألة « سلطات ومسؤوليات » سلطة الحكم الذاتى المنتخبة ؛ إذ أن الإقدام على ذلك سيكون بمثابة فتح صندوق باندورا(*) . ومن المحتم أن المصريين سيقولون إنه ينبغى أن توضع أراضى الدولة تحت سيطرة سلطة الحكم الذاتى ، وسترفض إسرائيل ذلك . ومن الأفضل كثيرا قصر المحادثات على إجراء الانتخابات ، وحينئذ يمكن لإسرائيل أن تحدد مع الفلسطينيين سلطات الهيئة التى انتخبوا لعضويتها .

وفى اليوم التالى ، أدلى ديان بكثير من هذه النقاط أمام الوفد المصرى . ودافع بقوة عن قصر المناقشات بين مصر وإسرائيل على مسألة كيفية تنظيم الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة ؛ وإلا فإن المحادثات ستمتد إلى ما لا نهاية . وعارضه الباز الذى كان يتحدث بالنيابة عن المصريين . وقال إن الفلسطينيين ينبغى أن يعرفوا كنه ما يصوتون عليه . وما لم تحدد السلطات والمسؤوليات مسبقا فسينظر إلى الانتخابات على أنها خدعة . ولن تكون مغالبة هذه المشكلة فيما بعد أسهل . وقال ديان ، الذى كان يعرف رئيس وزرائه خير المعرفة ، أنه سيحيل هذه القضية إلى بيجين إذا ما أصر المصريون عليها ؛ على أن بمقدوره أن يخبرهم على الفور أنه إذا وافقت إسرائيل على مناقشة السلطات والمسؤوليات ، فإن المفاوضين سينفقون سنوات فى محاولة الوصول إلى اتفاق .

(*) فى الأساطير اليونانية ، الصندوق الذى أرسلته الآلهة إلى باندورا وحرمت عليها فتحه ، لكنها فعلت ذلك بدافع الفضول فانطلق منه سيل من الشرور على البشر . (المترجم)

وعندما قرأ كارتر محاضر هذه الاجتماعات ، ثار غضبا . فقد رأى فيها دليلاً آخر على التملص الإسرائيلى من الالتزامات المقطوعة فى كامب ديفيد . وتم استدعاء نائب الرئيس مونديل والوزير فانس وبريجينسكى مستشار الأمن القومى وهاملتون جوردان رئيس موظفى البيت الأبيض إلى اجتماع فى البيت الأبيض فى أول نوفمبر لمناقشة الاستراتيجية . وقرروا العمل على إبطاء سرعة المفاوضات ، واستعراض التزامات إسرائيل بموجب اتفاقات كامب ديفيد ، وتحديد سلسلة من الخطوات لممارسة الضغط على بيجين من أجل الامتثال لهذه الالتزامات . وكان فى الوسع تأخير الرد على الطلبات الإسرائيلية للحصول على أسلحة ، كما يمكن القيام بخطوات أخرى عديدة .

وفى اليوم التالى توجه فانس إلى نيويورك لحضور اجتماع قصير مع بيجين الذى تصادف أن كان بالمدينة فى طريقه إلى كندا . وكان ديان قد أوضح قبل ذلك أن بيجين ومجلس الوزراء لهما السلطة الأخيرة ، وأنه لا يستطيع أن يفعل المزيد لحل الخلافات بشأن القضايا المتبقية . والآن ، وجد بيجين أن معظم ما جاء فى نص المعاهدة مقبول إلا أنه لا يوافق على الرسالة الجانبية المتعلقة بالضفة الغربية وغزة . وكان ديان ووايزمان قد ذكرا أنه بالإمكان الإشارة إلى تاريخ مستهدف لإجراء الانتخابات ، إلا أنهما لا يريدان أن يتطابق هذا التاريخ مع الانسحاب المرحلى من سيناء ؛ إذ أن ذلك قد يوحى بوجود ارتباط أكبر مما ينبغى . بيد أن بيجين قال حينئذ إن إسرائيل تعارض بإصرار فكرة أى تاريخ مستهدف للانتخابات ، وأنه إذا لم يمكن إجراء الانتخابات لسبب ما خارج عن سيطرة مصر وإسرائيل ، فإن ذلك سيثير الريبة فى كل ما عداه ، بما فى ذلك معاهدة السلام . وعلى النقيض من ذلك فإن بيجين ، المتقيد بحرفية القانون دوما ، لا يرى بأسا فى الموافقة على ما يطلبه المصريون من تحديد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى قبل إجراء الانتخابات . وتجاهل بيجين نصيحة ديان بصدد هاتين القضيتين الحاسمتين معا . وكان ذلك أول دليل ملموس على أن سلطة ديان أثناء هذه المرحلة من المفاوضات أقل بكثير مما كانت عليه فى السنة السابقة .

وبعد ذلك تحول بيجين إلى القضايا الثنائية ، فقال إن إسرائيل ستحتاج إلى ٣,٣٧ مليار دولار من الولايات المتحدة للمساعدة فى تمويل الانسحاب من سيناء ، بما فى ذلك نقل المستوطنين . وينبغى أن تأخذ هذه المعونة شكل قرض بسعر فائدة منخفض . وقال إن مجلس الوزراء لن يوافق مطلقا على المعاهدة ما لم تحل مسألة المساعدة أولا . ولم يلتزم فانس بشىء ، ورفض التخلى عن أحد العناصر القليلة لقوة الضغط التى تملكها الولايات المتحدة .

وبينما كان التوتر فى علاقة الولايات المتحدة بإسرائيل يتزايد نتيجة للتصور بأن بيجين يتحلل من التزاماته المتواضعة بخصوص الفلسطينيين ، كانت الضغوط تتصاعد على مصر لاتخاذ موقف أقوى تأييدا للحقوق الفلسطينية . وكان العرب قد عقدوا اجتماع قمة فى بغداد ، وأعلنوا نتائجه فى ٥ نوفمبر . فانتقدوا اتفاقات كامب ديفيد وقرروا نقل المقر الرئيسى للجامعة العربية من القاهرة إذا ما توصلت مصر وإسرائيل إلى معاهدة سلام . وأرسل المشتركون فى المؤتمر وفدا صغيرا إلى القاهرة للاجتماع مع السادات لإثنائه عن مواصلة مفاوضات السلام ، إلا أن الرئيس المصرى رفض مقابلته . وبدلاً من ذلك فإنه أشار علانية إلى المشتركين فى المؤتمر بوصفهم « جبناء وأقزاما » ، وقال إنه لن يولى أى اهتمام « لفحيح الأفاعى » .

ورغماً عن ذلك ، بدا خلال أيام أن الموقف المصرى أخذ يتصلب ،[١١] إذ بعث السادات برسالة إلى كارتر فى ٨ نوفمبر يقول فيها إنه يجب أن يكون هناك اتفاق لا لبس فيه بشأن ما يتعين أن يحدث فى الضفة الغربية وغزة ؛ وإلا فإنه سيتهم بإبرام صفقة منفردة مع الإسرائيليين والتخلى عن الفلسطينيين . وقال السادات إنه غير مستعد لأن يعرض نفسه لاتهامات من هذا القبيل من العرب الآخرين .

لقد آن الأوان لكى يتوقف الأمريكيون قليلا ويجروا تقييما للموقف . وأعدت مذكرة للعرض على كارتر شملت ما قاله بيجين منذ اجتماعات كامب ديفيد بشأن الضفة الغربية وغزة . وبدا أن بيجين قد انحرف فى ثمانى نقاط على الأقل عما كان كارتر يعتقد بأنه التفسير المتفق عليه لاتفاقات كامب ديفيد . وأشر كارتر على المذكرة بقوله « إلى سيروس وزبجنيو . إذا اتفق على أى برنامج للمعونة أو القروض يجب أن يكون معلقا على إذعان إسرائيل لاتفاقات كامب ديفيد . ج . ك . » .

واجتمع كارتر مع كبار مساعديه فى ٨ نوفمبر لاستعراض المفاوضات . كان مزاجه سيئا . وكان بريجينسكى يدعو إلى اتخاذ خط متشدد مع بيجين ؛ وحث كارتر على النظر فى تخفيض المعونة المقدمة إلى إسرائيل بمقدار معين مقابل كل مستوطنة جديدة يأذن بها بيجين . « إننا لا ننوى تزويد المستوطنات غير القانونية بالدعم وسنخبر الكونجرس بذلك » . ولا ينبغى اتخاذ قرار بشأن المعونة حتى يقبل بيجين بتاريخ مستهدف للانتخابات .

وقرر كارتر ألا يذهب فانس إلى الشرق الأوسط ثانية حسبما اقترح من قبل ، إذ لا طائل من وراء إنفاقه وقته فى جهد غير مثمر ، فقد خلص كارتر إلى أن إسرائيل تريد معاهدة منفردة مع مصر فى الوقت الذى تحتفظ فيه بالضفة الغربية وغزة إلى الأبد . وتبادر إلى ذهنه أن إنشاء مستوطنات جديدة يتم عمداً لمنع الأردن والفلسطينيين من الانضمام إلى المفوضات[١٢] . وشعر كارتر وفانس حينئذ أنه يجب عليهما أن يسعيا لتحديد جدول أعمال من أجل الضفة الغربية وغزة ، حتى لو كان ذلك يعنى تأخير التوقيع على المعاهدة المصرية الإسرائيلية . وكالعادة ، كان تعاطفهما مع السادات أكبر من تعاطفهما مع بيجين .

وعلى مدى الأيام القليلة التالية ، عمل الفريق الأمريكى على استكمال نص المعاهدة وجميع ملاحقها ، علاوة على رسالة بشأن الضفة الغربية وغزة . واستعرض كارتر مجموعة الوثائق بأكملها ، وأصبحت جاهزة للعرض على الإسرائيليين والمصريين فى ١١ نوفمبر . وحاول فانس وديان فى جلسة عقدت فى وقت متأخر من مساء نفس اليوم فى وزارة الخارجية ، حل بعض القضايا المتبقية استباقا لاجتماع بين فانس وبيجين فى اليوم التالى فى نيويورك . وذكر ديان لفانس أن مجلس الوزراء الإسرائيلى مصر على عدم الموافقة على التعجيل بالانسحاب إلى الخط المرحلى . وقال إنه شخصيًا يميل إلى قبول تاريخ مستهدف للانتخابات فى الضفة الغربية وغزة ، ولكن ينبغى ألا يكون هذا التاريخ متفقا مع موعد الانسحاب المرحلى . أما بالنسبة لنص المعاهدة ، فقد بدا أن ديان راض عنه .[١٣]

بيد أن بيجين لم يكن فى حالة ذهنية تقبل بالتراضى . فقد رفض قبول فكرة التاريخ المستهدف ،

ذاكرا لفانس فى ١٢ نوفمبر أن ديان لا يملك سلطة التلميح إلى خلاف ذلك . وكرر رفضه للنظر فى التعجيل بالانسحاب . وطلب ، كما لو كان ينبغى أن يكافأ على تصلبه ، أن تأخذ المعونة من أجل الانسحاب شكل المنحة وليس القرض . وقال إنه أخطأ عندما طلب من قبل قرضا ووعد بتسديد كل بنس منه .

السـادات ينفـد صـبره

واتصل كارتر فى نفس الحين بالسادات هاتفيًا فى القاهرة لحته على قبول نفس المجموعة من الوثائق . كان السادات أكثر اهتياجا من المعتاد . وأوضح باستفاضة أنه لا ينبغى إعطاء الرافضين فى بغداد اليد العليا ، وأنه يجب أن يبين أنه حصل على شيء من أجل الفلسطينيين ، على الأقل فى غزة ، قبل أن تكمل إسرائيل الانسحاب المرحلى . بل إنه لا يمانع فى تأخير الانسحاب شهورا قليلة إذا كان ذلك يسمح بإجراء انتخابات الحكم الذاتى الفلسطينى فى نفس الوقت الذى يعود فيه معظم سيناء . وقال السادت ، بشيء من الارتباك ، إنه لن يوافق على المرحلة الأولى من الانسحاب بدون بدء الحكم الذاتى فى غزة على الأقل . وأوضح كارتر أنه لا يحبذ معاملة غزة بشكل مختلف عن الضفة الغربية . وقال إنه ينبغى إجراء الانتخابات فى كلتا المنطقتين بحلول نهاية ١٩٧٩ .

وكرر السادات القول بأنه ينبغى أن تتزامن المرحلة الأولى من الانسحاب مع اليوم الذى يبدأ فيه الفلسطينيون حكمهم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة ، أو فى غزة على الأقل . واتهم بيجين بمحاولة تأجيل كل شيء حتى بدء الانتخابات الأمريكية . ورد كارتر بحث السادات على التوقف عن مهاجمة حسين والسعوديين . وأجاب السادات بأنه يعاقبهم على ما فعلوه فى قمة بغداد . وتوسل قائلا : « أعطونى غزة » . كان كارتر متشككا ولكنه وافق على محاولة تقديم صيغة جديدة .

وبعدئذ اتصل كارتر ببيجين فى نيويورك ، وأوضح له أن الآفاق المرتقبة للاتفاق أصبحت الآن نائية . وأجاب بيجين بقوله إن إسرائيل لم تنكث أى وعد برفضها التعجيل بالانسحاب . فلم يكن ينبغى لوايزمان مطلقا أن يوافق على تلك الفكرة . وعلى أى حال فليس لمصر حق فى استخدام القرار الإسرائيلى كذريعة لرفض إرسال سفير إلى إسرائيل ، كما ألمح إلى ذلك بطرس غالى . وأكد له كارتر من جديد أن السادات سيفى بموافقته على إرسال سفير خلال شهر واحد من الانسحاب المرحلى .

وفى اليوم التالى التقى هيرمان ايلتس ، سفير الولايات المتحدة فى مصر ، بالسادات ووجده فى مزاج غاضب . وقال السادات انه وكارتر أصبحا لا يتحدثان نفس اللغة . إن مصر لن توافق على السلام مع إسرائيل بدون التوصل إلى اتفاق فى نفس الوقت بشأن الضفة الغربية وغزة . وقال إنه حتى لو تعين تأجيل الانسحاب المرحلى حتى نوفمبر ١٩٧٩ ، فإنه يمكن الإقدام على ذلك إذا كان الفلسطينيون سيحصلون حينئذ على حكم ذاتى ، على الأقل فى غزة . وقال السادات أيضا إنه لا يمكن أن يقبل المادة السادسة من مشروع المعاهدة ، حيث إنها تجعل التزاماته قبل إسرائيل تبدو وكأنها تسبق التزاماته قِبل حلفائه العرب . وقال إن الحل الوحيد أن تحدث مواجهة بين كارتر

وبيجين ، وذكر انه ينوى إيفاد نائبه ، حسنى مبارك ، للالتقاء بكارتر فى اليوم التالى لمناقشة هذه الاستراتيجية .

وفى نفس الحين وصل مبعوث سعودى إلى واشنطن للالتقاء بالمسؤولين الأمريكيين . وشرح لهم الموقف الذى اتخذه السعوديون فى بغداد ، على أساس أنه يعطى السعوديين نفوذا أكبر لدى الراديكاليين فى المستقبل . وقال إنه إذا لم تبرم مصر سلاما منفردا ، وإذا كان هناك شكل ما من الربط ، فإن المملكة العربية السعودية تستطيع الدفاع حينئذ عن اتفاقات كامب ديفيد فى مواجهة العرب الآخرين ، ولكن لابد أن تكون هناك إشارة إلى انسحاب إسرائيلى فى النهاية من الأراضى العربية المحتلة ، وذكر للقدس بطريقة ما .

وبعد عدة أيام من ذلك ، فى ٢١ نوفمبر ، اتصل بيجين هاتفيا بكارتر ليقول له إن مجلس الوزراء الإسرائيلى صوّت بقبول نص المعاهدة وملاحقها . وسر كارتر بذلك ، ولكنه سأل عن الرسالة المتعلقة بالضفة الغربية وغزة . وأجاب بيجين بأن مجلس الوزراء رفض فكرة تحديد تاريخ مستهدف فى نهاية ١٩٧٩ لإجراء الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة ، وأضاف أن هناك مشاكل أخرى أيضا . أولا ، تريد إسرائيل حل مسألة الحصول على منحة من الولايات المتحدة للمساعدة فى تغطية نفقات الانسحاب من سيناء . وثانيا ، تحتاج إسرائيل إلى ضمانات بشأن النفط ، خاصة فى ضوء الاضطرابات الجارية فى إيران ، وهى البلد الذى تحصل منه إسرائيل عادة على نفطها .

وحاول كارتر أن يشرح موقف السادات بشأن الحاجة إلى أن يتزامن الانسحاب المرحلى مع بداية الحكم الذاتى . ثم اقترح كارتر أن توافق إسرائيل على تأجيل الانسحاب المرحلى إلى أن تجرى الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة بدون تحديد تاريخ لأى من الحدثبن . ودهش بيجين من هذا الاقتراح ، وقال إنه سيفكر فيه .

وتحدث كارتر هاتفيا مع السادات فى اليوم التالى لإخباره بالموقف الإسرائيلى . كان السادات لا يزال غاضبا من بيجين . ورغم أنه لم يقل الكثير لكارتر فى ذلك الحين ، فإنه كان متضايقا أيضا من اقتراح كارتر بإمكانية تأجيل الانسحاب المرحلى إلى أن تجرى انتخابات الحكم الذاتى الفلسطينى . فبدون تاريخ محدد قد يعنى ذلك ألاّ يحدث انسحاب على الإطلاق . وكان السادات قد اقترح إمكانية تأجيل قصير الأمد للانسحاب حتى يتزامن مع الانتخابات ، إلا أنه لم يكن مستعدا للقبول بإمكانية عدم الانسحاب بالمرة .

وظل السادات منحرف المزاج طوال الأسبوع التالى . وفى ٢٨ نوفمبر التقى بروبرت بايرد عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ويست فرجينيا وزعيم الأغلبية فى المجلس . وذكر السفير ايلتس الذى حضر اللقاء أنه لم يسبق له أن رأى الرئيس المصرى ، فى أكثر من ٢٥٠ لقاء معه ، مهتاج المشاعر أو متكدرا بهدا الشكل . وبعد يومين من ذلك تسلم ايلتس رسالة من السادات إلى كارتر تنتقد بيجين بقوة لرغبته فى سلام منفرد لا غير ، وأن المحادثات وصلت إلى مفترق للطرق . وأصبح الوجود المصرى فى غزة أساسيا الآن . ومن المستحيل قبول المادة السادسة من المعاهدة بشأن أولوية الالتزامات ؛ والمادة الرابعة تحتاج إلى تعديل بحيث لا يفهم منها أنها تفرض قيودا

دائمة على القوات المصرية فى سيناء . وقال السادات إنه عندما تنصلت إسرائيل من وعدها بشأن التعجيل بالانسحاب ، فإن ذلك أخل بالمعادلة المتعلقة بالتبادل المبكر للسفراء . وقال إنه لم يعد بوسعه أن يوافق على إرسال سفير بعد شهر واحد من الانسحاب المرحلى . كما زود السادات الأمريكيين بنص رسالة من ست عشرة صفحة يزمع إرسالها إلى بيجين .

وحاول ايلتس أن يبرر انفعال السادات . فقال إن مصر تشعر بالعزلة فى العالم العربى . والسادات لا يثق إطلاقا فى بيجين، ويرفض التفسير الإسرائيلى الضيق لاتفاقات كامب ديفيد . كما أن الجدل الدائر بشأن المستوطنات أغضب السادات ، ولم تظهر الولايات المتحدة تفهما كبيرا لمشاكله مع العرب الآخرين . واختتم ايلتس تقريره بالقول بأن السادات تضايق لأنه يبدو أن الولايات المتحدة تعتبره أقل الخطوط مقاومة كلما اتخذ الإسرائيليون موقفا متشددا .

وكان قرار السادات بإرسال رئيس وزرائه مصطفى خليل إلى واشنطن للتشاور مع كارتر أكثر إيجابية . فقد ترك خليل انطباعا طيبا لدى الأمريكيين بوصفه رجلا يستخدم المنطق ، وكمتحدث قدير باسم الجانب المصرى . وأصر خليل فى لقاء له مع كارتر فى الأول من ديسمبر على أهمية التزامن بين الانسحاب الإسرائيلى إلى الخط المرحلى وبين إقامة سلطة الحكم الذاتى . وقال أيضا إنه يريد تنقيح المادة السادسة من المعاهدة . واعترض كارتر على فكرة تنقيح المعاهدة ، وإن كان قد اقترح إمكانية إرفاق مذكرات تفسيرية بها .

وبعد عدة أيام من ذلك ، اجتمع كارتر فى ٤ ديسمبر بفريقه لشؤون الشرق الأوسط لاستعراض تفاصيل المقترحات التى حملها مصطفى خليل معه . كان كل من كارتر وفانس متلهفا لمعرفة كنه الحد الأدنى الذى يمكن أن يقبله السادات . فهل يصر على تاريخ محدد لإجراء الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة ؟ كان كارتر يحبذ صيغة أقل دقة للتاريخ المستهدف . وبالنسبة للمادة السادسة تصور كارتر أن السادات قد يقنع ببعض التغييرات الشكلية فى الألفاظ . ولكن كارتر كان مقتنعا بأن السادات سيصر على نوع ما من العلاقة الصريحة بين تنفيذ اتفاق سيناء وإقامة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة . وأشار بريجينسكى إلى أن اتفاقات كامب ديفيد مبهمة بالنسبة لقضية الربط ، إلا أن كارتر أجاب بأن السادات على حق فى أن الاتفاقات تنطوى على درجة ما من الربط .[١٤]

وأوضح فانس أنه لا يريد القيام برحلة أخرى إلى الشرق الأوسط ، واقترح دهاب السفير آثرتون إلى هناك . وقال كارتر إنه لن يكون هناك طائل من إرسال أحد بخلاف فانس أو مونديل للتحدث إلى بيجين والسادات . وقال كارتر باكتئاب إنه إذا ما فشلت المفاوضات فإنه يريد أن يكون واضحا إن السادات لا يتحمل اللوم عن ذلك . وقال إنه يريد أن يقف إلى جانب السادات . ولن يكون أمام الإسرائيليين أى ملجأ يلوذون به على أى حال .

وأضاف هاملتون جوردان رأيا مفاده أنه لا يمكن أن يساعد كارتر من الناحية السياسية فى اللحظة الراهنة سوى نجاح المفاوضات . فما إن توقع الاتفاقية ، حتى يكون كارتر فى موقف أقوى لمعالجة قضايا الضفة الغربية وغزة . وكان كارتر يبدو على استعداد للإقدام على بعض المحازفات السياسية . وطلب من فانس أن يضغط على إسرائيل بقوة حتى ولو أفضى دلك إلى خسارته للانتخابات والتأييد اليهودى .[١٥]

فانس يذهب إلى الشرق الأوسط

بدأ فانس رحلته إلى القاهرة فى ٩ ديسمبر ١٩٧٨ وهو يحمل هدفين واضحين واقتراحا جديدا واحدا . أولا ، كان يريد استكمال التفاوض بشأن نص المعاهدة . وثانيا ، كان يريد التأكد من أن الرسالة المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ستذكر تاريخا مستهدفا هو نهاية ١٩٧٩ لإقامة الحكم الذاتى ، أو على الأقل لإتمام المفاوضات قبل إجراء الانتخابات .

وكانت فكرة فانس الجديدة قد تفتقت فى ذهن كارتر نتيجة لاعتقاده بأن السادات سيصر على نوع ما من الربط . وكانت اتفاقات كامب ديفيد قد حددت أن تقام العلاقات الدبلوماسية بعد الانسحاب المرحلى فى سيناء ، ولكن لم يذكر كتابة الموعد الذى يتم فيه تبادل السفراء . وكان كارتر قد أقنع السادات قبل ذلك بأن يتم التبادل على الفور ، ولكن بعد أن أسقط الإسرائيليون فكرة التعجيل بالانسحاب ، لم يعد الموقف المصرى مؤكدا .

وارتأى كارتر الآن أن من المسوغ للسادات أن يقول إنه سيقيم العلاقات الدبلوماسية بعد الانسحاب المرحلى ، ولكن التبادل الفعلى للسفراء لن يحدث إلا بعد إقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة . وكان من المحتمل أن يرحب السادات بهذا الشكل من الربط ، وأن من المحتم أن يكون ذلك سببا فى إصابة بيجين بالفزع .

واجتمع فانس مع السادات على انفراد فى ١٠ ديسمبر ، واستعرضا الموقف الجديد بشأن توقيت تبادل السفراء . وسر السادات بذلك حسبما كان متوقعا . وفى المقابل ، أبدى بعض المرونة بقبول تاريخ مستهدف ، بدلا من تاريخ محدد ، لإقامة سلطة الحكم الذاتى . كما وافق على أن تظل المادة السادسة بدون تغيير جوهرى على شرط أن يضاف إليها مذكرة تفسيرية توضح أن هذه المعاهدة ليست لها الأسبقية على المعاهدات الأخرى التى تكون مصر طرفا فيها . وأراد السادات أن يذكر أيضا فى الرسالة الجانبية إمكانية البدء بسلطة الحكم الذاتى فى غزة أولا ، كما أدرج حكما بشأن تمركز ضباط اتصال مصريين فى غزة بسبب الدور الإدارى السابق لمصر هناك .

وقال السادات لفانس إنه أصبح يوجد الآن أساس للاتفاق ، إلا أنه يتوقع أن يكون رد فعل بيجين سلبيا . وقال بابتهاج إنه ينبغى لفانس أن يكون متأهبا لمواجهة كبيرة قد تستمر لأشهر عديدة .

وقام الأمريكيون على مدى الثمانى والأربعين ساعة التالية بإعداد مجموعة جديدة من الوثائق . لم تدخل تغييرات جوهرية على نص المعاهدة ولا على الملاحق ، وتمت صياغة مذكرات تفسيرية عديدة ، وأعيدت كتابة الرسالة الجانبية المتعلقة بالضفة الغربية وغزة لتعكس العديد من مطالب السادات . ووافقت الولايات المتحدة على صياغة رأى قانونى من قِبلها لفحوى المادة السادسة يفيد بأن شيئا ما لن يمنع مصر من الوفاء بالتزاماتها بموجب المعاهدات الأخرى فى حالة وقوع هجوم مسلح على أحد حلفائها . وطُلب بعد ذلك من السادات أن يكتب رسالة إلى كارتر يلتزم فيها بتبادل السفراء بعد إقامة سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى ، ولو فى غزة على الأقل .

واجتمع فانس والسادات مرة ثانية فى ١٢ ديسمبر لاستعراض مجموعة الوثائق بأكملها . وفى

الساعة السابعة وخمس وأربعين دقيقة مساء قال السادات إنه مستعد لقبول كل ما جاء بها ، على الرغم من بقاء بعض الاعتراضات من جانب مصطفى خليل وأسامة الباز . إلا أنه أكد لفانس أن ذلك أقصى ما يستطيع أن يصل إليه . وناشد فانس ألا يعود إليه طالبا المزيد من التنازلات . وحسبما جاء على لسانه ، ليس هناك مجال آخر للحلول الوسط . وقال إنه يريد أن تقف الولايات المتحدة إلى جانبه فى هذه الجولة الأخيرة . وقال فانس إنه سيفعل كل ما بوسعه .

وكان فانس يدرك وهو يبدأ رحلته إلى إسرائيل أن موعد الثلاثة أشهر النهائى لإتمام المفاوضات يقترب . وكان يريد أن يتوصل إلى اتفاق بشأن مجموعة الوثائق قبل ١٧ ديسمبر . وكان يعرف أنه سيحدث نوع من المساومات الصعبة فى إسرائيل ، ولكن كان لديه تعليمات كارتر الواضحة بالضغط على الإسرائيليين بقوة .

وبدأ فانس اجتماعه مع بيجين وزملائه باستعراض التطورات الأخيرة فى الموقف المصرى . وأوضح لهم أنه أقنع السادات بإسقاط المطالبات بتغيير المعاهدة وبوضع تاريخ محدد لإقامة الحكم الذاتى . بيد أنه يتعين أن تكون هناك بعض المذكرات التفسيرية للمادتين الرابعة والسادسة . وذكر فانس أيضا فكرة التاريخ المستهدف ، وإمكانية التوصل إلى اتفاق بشأن غزة أولا . وبعد ذلك شرح موقف السادات الجديد بشأن عدم تبادل السفراء إلا بعد إقامة سلطة الحكم الذاتى .

وبدا بيجين ، الذى كان يرتاب دائما بوجود تواطؤ أمريكى مصرى ، متوترا خلال هذا العرض . وعندما انتهى فانس ، لم يحاول بيجين إخفاء غضبه . واتهم السادات بالانحراف عن اتفاقات كامب ديفيد ، وخاصة عن وعده بتبادل السفراء بعد الانسحاب المرحلى . ورفض فكرة أن يكون لمصر أى دور خاص فى غزة ، وتمسك بأن إسرائيل لن تقبل بالمرة أى تاريخ مستهدف لإقامة سلطة الحكم الذاتى . كما أنه لم يستسغ فكرة المذكرات التفسيرية ؛ إذ يبدو أنها تخفف من قوة معاهدة السلام ، وقد تفتح ثغرات تسمح لمصر بعدم الوفاء بالتزاماتها .

وبعد ذلك مضى بيجين يستعرض باستفاضة جميع التنازلات التى قدمها ، وجميع المجازفات التى طلب من إسرائيل أن تقدم عليها . وقال إن الولايات المتحدة تظاهر مصر بشكل غير منصف فى الوقت الذى كان ينبغى عليها بدلا من ذلك أن تؤيد إسرائيل .

وتمكن فانس فى نهاية الأمر من تهدئة المخاوف الإسرائيلية بشأن القضية قليلة الأهمية الخاصة بالمذكرة التفسيرية للمادة الرابعة من المعاهدة . بل إن ديان أبدى بعض الاهتمام بفكرة البدء بالحكم الذاتى فى غزة أولا . كما ذكر لفانس على انفراد أنه قد يكون هناك سبيل لقبول إسرائيل بإرجاء تبادل السفراء ، إلا أنه لا ينبغى الإفصاح عن هذه النقطة فى رسالة ، فينبغى ترك أى إرجاء لتبادل السفراء مبهما إلى ما بعد توقيع المعاهدة ، وبعد ذلك يستطيع السادات أن يقول ما يشاء . بيد أنه من الواضح أن ديان لم يكن يتكلم باسم بيجين بخصوص هذا الاقتراح .

واضطر فانس إلى مغادرة الشرق الأوسط قبل الموعد المقرر لذلك . وقد اتخذ القرار بهذا الشأن من أجل الإعلان عن تطبيع العلاقات مع الصين ، وأراد كارتر أن يكون فانس موجودا فى واشنطن فى هذه المناسبة . ولم يكن لدى فانس من الوقت ما يسمح بأكثر من توقف قصير فى القاهرة قبل

أن يقلع عائدا إلى الولايات المتحدة . وفى القاهرة أبلغ السادات برد فعل بيجين الغاضب . وابتسم السادات وأعرب عن غبطته . وقال فانس إنه أخبر بيجين على انفراد بأن الولايات المتحدة تؤيد الموقف المصرى .

وفى أثناء رحلة العودة إلى واشنطن ، تلقى فانس خبرا بأن مجلس الوزراء الإسرائيلى اجتمع وأصدر البيان التالى : « إن حكومة إسرائيل ترفض موقف حكومة الولايات المتحدة وتفسيرها فيما يتعلق بالمقترحات المصرية » . وكانت تلك من المرات القليلة التى شعر فيها فانس بغضب حقيقى ، فقد كان يعتزم إهمال أمر المفاوضات لبعض الوقت . وها قد تم الوصول إلى طريق مسدود ولا يمكن عمل شىء آخر فى الوقت الحالى .

الطـريق المسـدود

مع اقتراب عام ١٩٧٨ من نهايته ، بدت الآفاق المرتقبة لتحقيق السلام فى أى مكان من الشرق الأوسط مظلمة . فلم تكن المحادثات المصرية الإسرائيلية فقط هى التى وصلت إلى طريق مسدود ، وإنما كانت إيران أيضا فى حالة غليان . كان نظام حكم الشاه على وشك الانهيار ، ولم يكن يبدو أن أحدا فى واشنطن يعرف ما الذى يمكن عمله بشأنه .(١٦)

وعلى مدار الشهور العديدة التالية كان التفكير الأمريكى بشأن مفاوضات كامب ديفيد مصبوغا بما يحدث فى إيران . كان توازن القوة الاستراتيجى فى المنطقة آخذا فى التغير ، ومواقف الطرفين المتفاوضين آخذة فى التصلب . كان يبدو أن رد فعل إسرائيل هو أن تصبح أكثر إصرارا على أن تكون معاهدة السلام مع مصر مستقلة عن أية التزامات تشمل الفلسطينيين . وعلاوة على ذلك ، اكتسب الحصول على النفط المصرى أهمية خاصة بعد أن جف الإنتاج الإيرانى الذى كان المصدر الرئيسى لإمدادات إسرائيل فيما قبل . ولم يسهم منظر اكتساح المتطرفين الدينيين لنظام حكم موال لأمريكا فى بلد مسلم فى زيادة الثقة الإسرائيلية بقيمة وعود السادات فى الأجل الطويل .

وكالعادة ، كانت الولايات المتحدة مشدودة إلى اتجاهات عديدة . فقد زادت الثورة الإيرانية من أهمية استكمال مفاوضات السلام بين بيجين والسادات . فلم تكن معاهدة السلام مستصوبة لأسباب استراتيجية فقط ، وإنما كان كارتر فى حاجة أيضا إلى نجاح سياسى يعوض الفشل الهائل فى إيران . وفى نفس الوقت كان كارتر يتعاطف مع الحجة المصرية بأنه لا ينبغى لمصر أن تنعزل عن بقية المنطقة بسبب السلام مع إسرائيل . وكان كارتر لا يزال يريد ، إن أمكن ، أن يستطيع السادات الدفاع عن تعامله مع إسرائيل قبالة النظم العربية المعتدلة . وكان الدور المحتمل لمصر كقوة من عوامل الاستقرار فى العالم العربى يبدو أساسيا حينئذ بعد أن أصبحت إيران مصدرا جديدا للقلاقل فى المنطقة .

وباختصار ، كان الدور الأمريكى فى هذه المرحلة الأخيرة من المفاوضات متأثرا إلى حد كبير بكل من إيران والتطورات السياسية الداخلية . كانت إيران تهيىء مبررا استراتيجيا يدعو إلى الضغط من أجل استكمال عملية كامب ديفيد بسرعة ؛ وكان الجدول الزمنى السياسى يخبر كارتر

بأنه سرعان ما سيتعين عليه أن يحول اهتمامه إلى أمور أخرى ، وبالذات إلى إعادة ترشيح نفسه للانتخاب . فهو فى حاجة إلى نجاح سريع ولافت للأنظار ، وإلا فإنه سيضطر إلى التراجع عن الانغماس بأكثر من ذلك فى المفاوضات ، وإلى أن يأمل ألا يتهمه الناخبون بأنه أضاع فرصة لتحقيق السلام بين إسرائيل وأكبر بلد عربى . كان كارتر قد استثمر من رصيده بكثافة فى عملية السلام حتى ذلك الوقت بحيث إنه كان عاقد العزم على القيام بمحاولة أخيرة للتوصل إلى اتفاق .

الفصل الثانى عشر

المجازفة بكل شىء :
نعم للمعاهدة ، ولا للحكم الذاتى

عندما غادر الوزير فانس الشرق الأوسط فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٨ ، بدت المحادثات متوقفة ، وكان فانس محبطا ، وأذن لهيئة مكتبه بإعداد « ورقة بيضاء » تشرح ما حدث فى المحادثات منذ كامب ديفيد . وكان الغرض الواضح من ذلك هو الرد على الاتهام الإسرائيلى بأن واشنطن لم تكن منصفة . وقد أعدت مسودة بالفعل فى ١٧ ديسمبر وكانت تميل إلى إلقاء اللوم فى الأزمة الأخيرة على رئيس الوزراء بيجين . ودار التفكير فى نشر الوثيقة ، إلا أنه فى النهاية رئى الالتزام بقدر أكبر من الحذر .

وبعد عودة فانس إلى واشنطن ، أمضى عطلة نهاية الأسبوع فى كامب ديفيد مع كارتر لمناقشة جدول أعمال السياسة الخارجية لعام ١٩٧٩ . وكان الرئيس يشعر بأن الأمور تتداعى فى الشرق الأوسط . كما أن التعامل مع هذه المنطقة أصبح أثقل أعبائه السياسية ؛ وكان أمرا مستنفدا للوقت بشكل لا يصدق . ولكن المخاطر كانت عالية بدرجة لا تسمح بترك المفاوضات لمصيرها . وقرر كارتر أن « يواصل التحرك بقوة إزاءها وألاّ يؤجل المناقشات الصعبة ، حتى ولو كانت لها تكلفتها لنا فى السياسة الداخلية » .(١)

وبحلول منتصف يناير ، كان الأمريكيون يفكرون فى طرق عديدة لإحياء المحادثات . فمن الممكن دعوة رئيس الوزراء مصطفى خليل ووزير الخارجية ديان إلى واشنطن ؛ كما أنه يمكن ترتيب قمة أخرى ؛ ويمكن طرح اقتراح أمريكى جديد . وارتأت الغالبية أن من الأفضل حل القضايا القليلة الأهمية قبل أن يعاود الرئيس وفانس معالجتهما للأمر ثانية . ولذلك قرروا إرسال السفير آثرتون والمستشار القانونى لوزارة الخارجية هربرت هانسيل ، إلى الشرق الأوسط للبحث فى أمر المادتين الرابعة والسادسة وتقديم أية تفسيرات قانونية ضرورية . وكثيرا ما كان يشار إلى شهر مارس بوصفه الوقت الذى ينبغى بحلوله أن يكون قد تم التوصل إلى اتفاق بشأن المعاهدة برمتها .

وفى ٢٣ يناير ١٩٧٩ ، أرسل بريجينسكى مذكرة إلى الرئيس يفصح فيها عن مخاوفه بشأن القضية العربية الإسرائيلية ، قال فيها « إن الأحداث قد تجعل اتباعنا لمثل هذه الاستراتيجية صعبا ، إلا أننى مقتنع اقتناعا راسخا بأنه يجب علينا ، لما فيه مصلحة الحزب الديموقراطى ، أن نتجنب

موقفا نعمل فيه باستمرار على تأجيج أكثر المشاكل استثارة لعصبية الجالية اليهودية الأمريكية (الضفة الغربية ، والفلسطينيون ، ومنظمة التحرير الفلسطينية) بدون تحقيق فتح صوب الحل . ولا أعتقد أننا سنستطيع ، فى السنة الانتخابية التى اقتربت ، أن نقنع الإسرائيليين بأن لدينا قوة نفوذ ذات شأن عليهم ، لاسيما بالنسبة لتلك القضايا .. ولم يعد لدينا سوى القليل من الوقت » .(٢)

وفى ٦ فبراير كتب كارتر إلى بيجين والسادات يسألهما الموافقة على عقد لجتماع فى واشنطن يضم ديان ومصطفى خليل وفانس . وقال إن المحادثات ستبدأ فى ٢١ فبراير وستعقد فى كامب ديفيد . وكان فانس قد أوصى بمسار العمل هذا فى مذكرة رفعها إلى الرئيس فى أول فبراير ، اقترح فيها أن يعمل كارتر فى نهاية المطاف على إقناع السادات بالتخلى عن الربط بين تبادل السفراء وإقامة سلطة الحكم الذاتى فى مقابل التزام أقوى من بيجين بعمل شىء ما بصدد المسألة الفلسطينية . واقترح أيضا إجراء بعض التنقيحات الطفيفة فى المادتين الرابعة والسادسة ، واقترح نصا لرسالة جديدة بشأن الضفة الغربية وغزة .

كامب ديفيد الثانية

اضطلع فريق الشرق الأوسط ، من أجل الإعداد للمحادثات التى ستجرى فى كامب ديفيد ، بإحدى عملياته الدورية للتقييم . وبدا واضحا أنه سيتعين على كارتر عند نقطة ما أن يتعامل مباشرة مع بيجين والسادات . كان العرب والإسرائيليون معا يخشون أن تكون الولايات المتحدة قد ضلت طريقها . وكان النجاح الوحيد المتصور بالنسبة لكارتر فى السياسة الخارجية هو معاهدة سلام مصرية إسرائيلية . وكان كل من مصر وإسرائيل يعرف أن الولايات المتحدة فى حاجة إلى نجاح بعد إيران ، وقد خلصت إسرائيل إلى أن كارتر لن يقاتل بعنف من أجل الضفة الغربية .

وفى ١٩ فبراير ١٩٧٩ ، وبعد وقت قصير من عودة وزير الدفاع براون من جولة فى الشرق الأوسط ، جمع كارتر فريقه المختص بالشرق الأوسط بالإضافة إلى براون والسفير ايلتس والسفير لويس . وقدم براون تقييمه للموقف الذى تلخص فى نقطتين : كل من تحدث معهم كانوا يشعرون بالقلق من ناحية إيران ، وبيجين والسادات على استعداد لمواصلة العمل من أجل معاهدة السلام .

وأدرك كارتر أنه ربما كان يتعين عليه أن يجتمع ثانية بالزعيمين المصرى والإسرائيلى . وبينما كان يبحث عن أفكار جديدة ، كان من رأيه أنه ينبغى للسادات ألا يتحدث باسم الضفة الغربية . بل إن الرئيس أفصح عن تخمينات أمام مستشاريه لشؤون الشرق الأوسط مفادها أن السادات فى الحقيقة « لا يلقى بالاً بالمرة للضفة الغربية » ؛ وإنما هو أكثر اهتماما بغزة . وقال إنه إذا ما استطاع السادات أن يتخلى عن اهتمامه بالضفة الغربية ، فإنه يستطيع الحصول على معاهدة منفصلة مع إسرائيل ، وأن يأخذ شيئا ما فى غزة ويحرج حسين .

وذكر كارتر بوضوح أنه لا يريد مواجهة علنية مع إسرائيل . فقد حان الوقت لتحقيق تقدم فى المفاوضات بعمومها مع ترك التفاصيل لحلها فيما بعد . وسلم كارتر بأنه يتحمل بعض اللوم عن حث السادات على ربط تبادل السفراء مع إقامة الحكم الذاتى ، ولكن على السادات الآن أن يتخلى

عن هذه المطالبة بالربط . وقال كارتر أيضا إنه وقع خطآن فى كامب ديفيد . فقد وُجه اهتمام أكثر مما ينبغى لمسألة توقيت تبادل السفراء ، ولم يكن ينبغى للسادات أن يوافق على التفاوض بدلا من الملك حسين إذا رفض الأردن الانضمام إلى المفاوضات .

وأثار ايلتس موضوع الدور السعودى ، وقال إن السادات لا يزال يريد تأييدا سعوديا ، ولكنه على استعداد للمضى قدما حتى ولو لم يحصل عليه . وقال كارتر بشىء من اللامبالاة إن السعوديين لن يجدوا ملجأ آخر يلوذون به بعد توقيع المعاهدة . « ويتعين عليهم العمل مع الولايات المتحدة ومصر » .

بدأت الجولة الثانية من المحادثات فى كامب ديفيد فى ٢١ فبراير . كان فانس وديان ومصطفى خليل المشاركين الرئيسيين ، وكان كل منهم مصحوبا بالعديد من المساعدين . وواصل مصطفى خليل التمسك بأن مصر لا تستطيع تحمل العزلة ، خاصة مع الهيجان فى إيران . ويجب أن تكون أى معاهدة مما يمكن الدفاع عنه قبالة الرأى العربى المتعقل . وفيما يتعلق بالتفاصيل ، أبدى مصطفى خليل بعض الاهتمام بإجراء الانتخابات فى غزة فقط ، وألمح إلى أن تبادل السفراء لا يحتاج بالضرورة إلى أن يكون مرتبطا بالتطورات فى الضفة الغربية وغزة .

كان مجال التفاوض لدى ديان محدودا ، وكرر القول بأنه يتعين على فانس أن يتعامل مباشرة مع بيجين بشأن القضايا المعلقة . بيد أنه ألمح إلى أن إسرائيل قد تستطيع إبداء بعض البوادر من جانب واحد إزاء الفلسطينيين ، وهى نقطة أصر عليها المصريون بشدة .

وبدا أن المحادثات على هذا المستوى لا تبشر بتحقيق تقدم آخر . كان لدى مصطفى خليل السلطة للتفاوض ، ولكن ديان لم يكن لديه شىء من هذا القبيل . ولذلك فإن كارتر وجه الدعوة إلى بيجين للانضمام إلى المحادثات . وفى ٢٧ فبراير رفض مجلس الوزراء الإسرائيلى توصية ديان بأن يحضر رئيس الوزراء المحادثات بدعوى أنه ليس لبيجين أن يشارك فى اجتماع قمة مع مصطفى خليل ؛ وإنما مع السادات فقط . واغتاظ كارتر ، ولكنه قرر أن يطلب من بيجين الحضور إلى واشنطن للاجتماع معه فحسب . كانت الأمور تبدو حينئذ متجهة إلى ذروتها .

كارتر وبيجين فى واشنطن

وفى ٢٨ فبراير ١٩٧٩ دعا كارتر ، تمهيدا لاجتماعه مع بيجين ، كبار مستشاريه – مونديل وفانس وبريجينسكى وهاملتون جوردان – إلى الاجتماع . وذكر بريجينسكى بصراحة أنه يبدو أن إسرائيل تريد سلاما منفصلا وتريد ألا يجدد انتخاب كارتر . ووافقه جوردان على هذا . واستخلص مونديل من ذلك أنه ينبغى لكارتر إذن ألاً يواجه بيجين ، وألا يتولى الأمور بنفسه ، وأن يدعها تأخذ مسارها الطبيعى .(٣)

وصل بيجين إلى واشنطن بدون أن يضم إلى وفده ديان أو وزير الدفاع وايزمان ، إذ يبدو أن هذين الصوتين المعتدلين نسبيا قد فقدا ثقة بيجين . ولاحظ كارتر وفانس غيابهما بأسف .

عقدت أول جلسة بين كارتر وبيجين يوم الجمعة ٢ مارس ١٩٧٩ . بدأ بيجين الكلام بكلمة قوية مؤداها أنه ينبغي للولايات المتحدة أن تساعد إسرائيل لأن إسرائيل وحدها هى التى تعترض الطريق أمام استيلاء السوفيت على الشرق الأوسط بأكمله . وقال إن إسرائيل تستطيع المساعدة فى الحيلولة دون استيلاء الشيوعيين على السلطة فى المملكة العربية السعودية ، بل ومضى إلى حد أن عرض على الولايات المتحدة أن يمنحها قاعدة جوية فى سيناء كان قد وعد من قبل بإعادتها إلى مصر . ولم يكن لأى من هذه الملاحظات تأثير كبير على كارتر .

وانتقل بيجين بعد ذلك إلى القضايا المعلقة في المفاوضات . فقال إن المحادثات تواجه أزمة عميقة . والتفسيرات الأمريكية للمادة السادسة بشأن أولوية الالتزامات تعادل جعل السلام بين مصر وإسرائيل متوقفا على إنجاز سلام شامل فى المنطقة . ومثل هذا الربط سيسمح لمصر بأن تستخدم أى ذريعة لتمزيق المعاهدة . وأضاف بيجين أنه على ثقة من أن زعيما مصريا ما سيوصى فى المستقبل بالإقدام على ذلك . وقال إن أى مذكرات تفسيرية لن تكون موضع قبول . ولابد أن يبقى نص المعاهدة دون تغيير ، سواء رضى السادات بذلك أو لم يرض .

وبعد ذلك أثار بيجين اعتراضاته على الرسالة الجانبية التى تعالج الضفة الغربية وغزة . فقال إنها تتضمن خروجا على اتفاقات كامب ديفيد . وليس هناك ما يدعو إلى الفصل بين غزة والضفة الغربية ، كما يريد السادات أن يفعل الآن ، ولكن إذا كانت مصر مستعدة للتخلى عن كل اهتمام بالضفة الغربية فإن إسرائيل قد تنظر فى مناقشة غزة وحدها مع مصر . ولكن غزة لن تكون حينئذ سابقة لما يمكن عمله فيما بعد فى الضفة الغربية .

وأقدم بيجين هو أيضا على الخروج عن اتفاقات كامب ديفيد بالزعم بأن إسرائيل ليست ملزمة بمناقشة الضفة الغربية ما لم ينضم الأردن إلى المفاوضات . فذكّره كارتر بأن السادات وقّع رسالة ، تعتبر جزءا من اتفاقات كامب ديفيد ، تفيد بأن مصر ستتولى القيام بالدور الأردنى إذا لم يقم به الملك حسين . ورد بيجين بقوله إن الرسائل ليس لها نفس القيمة كنص الاتفاق ، وهى نقطة سارع كارتر إلى رفضها .

وتلت ذلك فى قائمة اعتراضات بيجين فكرة تحديد تاريخ مستهدف لانتخابات سلطة الحكم الذاتى . فإذا لم يتم الوفاء بالتاريخ لسبب ما ، فإن إسرائيل قد تتهم بانتهاك المعاهدة مع مصر ، وقد تنكث مصر حينئذ ببعض التزاماتها . وإسرائيل لا يمكن أن تقبل بهذا الربط بين المعاهدة ومستقبل الضفة الغربية وغزة .

وأخيرا انتقل بيجين إلى مسألة النفط . فقال إن إسرائيل فقدت منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد سبل الحصول على النفط الإيرانى . وإسرائيل تحتاج أكثر من أى وقت مضى إلى ضمان جازم من كل من مصر والولايات المتحدة بتلبية احتياجاتها من النفط . وإذا رفضت مصر فإن إسرائيل لن تجلو عن حقول النفط فى سيناء .

كان كارتر محبطا جدا من هذا الاجتماع ، إذ لم يكن يبدو ثمة مخرج . ورغم ذلك فإن فانس كان مستعدا لمواصلة المحادثات على مائدة الغداء فى وزارة الخارجية .

كان بريجينسكى قد أوضح لبيجين أنه لا يمكن الضغط على السادات ليتخلى عن التزاماته قبل البلدان العربية كثمن للسلام مع إسرائيل ، فذلك نوع من الشطط . والتقط فانس هذه النقطة على الغداء ، وذكر لبيجين أن السادات يجب أن يكون قادرا على أن يقول إن المعاهدة المصرية الإسرائيلية « ليست لها الصدارة على » المعاهدات الأخرى . وقال بيجين إنه لا يعترض على هذه الصياغة بشرط أن يكون واضحا أنه إذا ما تعارضت معاهدة مصر مع إسرائيل مع التزاماتها التعاهدية الأخرى ، فإن المعاهدة مع إسرائيل سيتم الالتزام بأحكامها . وباختصار ، أظهر بيجين استعدادا للسماح بمذكرات تفسيرية للمادة السادسة مادامت أولوية الالتزامات من نصيب المعاهدة المصرية الإسرائيلية . وكان ذلك يعنى بالأساس أن بيجين يقول إنه ليس من المقصود أن يكون للمعاهدة الأسبقية على غيرها ، ولكن يجب أن يكون لها ذلك من الناحية العملية . وكما كتب فانس فيما بعد : « ومن ذلك تصنع الحلول الوسط الدبلوماسية ؛ فقد استغرق الأمر ستة أشهر للتوصل إلى اتفاق مع بيجين على بيانين متناقضين لنفس التفسير » .(٤)

وقضى فانس وفريقه بعض الوقت يوم السبت فى استحداث صيغة جديدة للمادة السادسة ، وللتاريخ المستهدف للانتخابات فى الضفة الغربية وغزة . وكان أبرز التغييرات ربط التاريخ المستهدف باستكمال المفاوضات بين مصر وإسرائيل وليس بإجراء الانتخابات فعليا . وفى نفس الحين كان كارتر يعقد جلسة أخرى مع كبار مستشاريه طرح فيها إمكانية الذهاب إلى الشرق الأوسط للوصول بالمفاوضات إلى خاتمة مشهودة . وكان هاملتون جوردان بالذات يحبذ ذلك . وكما قال كارتر فيما بعد « كان اقتراحى مبعثه القنوط » .(٥) وعقد كارتر فى وقت لاحق من مساء ذلك اليوم اجتماعا منفردا آخر مع بيجين ، لم يكن مثمرا .

كان من المقرر عقد جلسة أخيرة بين الزعيمين صباح الأحد ٤ مارس . وقد اجتمعا فى ظل خلفية تمثلت فى رسالة من السادات يقول فيها إنه يعتزم الحضور إلى واشنطن لإدانة بيجين على تصلبه . وكان كارتر قد بدأ بالفعل يفكر فى أن أفضل طريقة للمضى قدما هى أن يذهب إلى الشرق الأوسط ، ولم يكن ليرحب بالمرة بأن يخطف السادات ، الذى يحذق التعامل مع آلات التصوير التليفزيونى ، الأضواء منه فى واشنطن بالإدلاء بإدانات رنانة لإسرائيل . ولذلك فقد بُذل جهد لحل بعض القضايا ، ومن ثم إيجاد مبرر لقيام الرئيس برحلة إلى المنطقة .

ومما أثار الدهشة نوعا ما أن بيجين كان فى مزاج توفيقى بعض الشىء صباح الأحد . وعرض فانس الصياغات الجديدة بشأن المادة السادسة ، وبعد مناقشة موجزة باللغة العبرية فيما بين الوفد الإسرائيلى ، قدم بيجين اقتراحا طفيفا بتغيير فى الصياغة ، ووافق على طلب إقرار مجلس الوزراء على شرط أن تسحب الولايات المتحدة رسميًا رأيها القانونى السابق بشأن المادة السادسة . وبالمثل قال بيجين إن الاقتراح الأمريكى الجديد بتحديد تاريخ مستهدف لإتمام المفاوضات بشأن الحكم الذاتى اقتراح جاد وسينظره مجلس الوزراء . وعلق قائلا إن مصر وإسرائيل تستطيعان ، على كل حال ، تحمل المسؤولية عن توقيت المفاوضات ، إلا أن إجراء الانتخابات فعلاً من أجل الحكومة الفلسطينية يمكن أن يعرقله « طرف ثالث » . وهذا هو السبب فى معارضته لتاريخ مستهدف للانتخابات ، إلا أن بوسعه أن يقبل بتاريخ لإتمام المفاوضات . كان ذلك بمثابة دفع لمحام ، ولكنه

أعطى بيجين ذريعة لتغيير موقفه دون أن يبدو متراجعا عن أمر يتعلق بالمبادىء .

وبقيت مشكلة إمدادات النفط ، إلى جانب توقيت تبادل السفراء ، إلا أن كارتر ألمح إلى أنه سيعالج القضيتين مباشرة مع السادات للوصول إلى حل مرض لهما . ولدهشة كارتر ، فإنه وجد أن الولايات المتحدة وإسرائيل اصبحتا متفقتين على معظم القضايا . وبدا أن السبب فى ذلك لم يكن أن بيجين قد اقتنع بمنطق كارتر بقدر ما كان راجعا إلى أن الصياغات الأمريكية الجديدة قد ذهبت إلى أبعد ما يمكن حتى تتغلب على الشكوك الإسرائيلية . ولا بد أن بيجين قد أدرك أيضا أن اللحظة قد حانت للإطباق على الصفقة الثنائية مع السادات .

وحالما انتهى الاجتماع بعث كارتر برسالة إلى السادات ليخبره بأنه قد تم إحراز بعض التقدم فى المحادثات وأنه يريد ألا يقول السادات أى شىء آخر على الملأ ، وألا يلزم نفسه خصوصا بالقدوم إلى واشنطن . وقال الرئيس إنه يفكر فى حقيقة الأمر فى القيام بنفسه برحلة إلى الشرق الأوسط خلال الأيام القليلة القادمة .

وفى اليوم التالى ، ٥ مارس ١٩٧٩ ، أقر مجلس الوزراء الإسرائيلى جميع المقترحات الأمريكية الجديدة . وشعر كارتر حينئذ بأن النجاح فى متناول اليد . وأن من شأن رحلة يقوم بها إلى الشرق الأوسط أن تثمر معاهدة للسلام ، ودفعة سياسية تمس الحاجة إليها .

وقرر كارتر على الفور أن يوفد بريجينسكى إلى القاهرة للالتقاء بالسادات . كان يريد من بريجينسكى أن يجرى استعراضا استراتيجيا عريضا مع الرئيس المصرى ، وأن يخبره بالمقترحات الجديدة ويلتمس تأييده لها ، وأن يذكر للسادات « بشكل خاص جدا أن الوضع السياسى الداخلى للرئيس يزداد صعوبة ، بل إن بيجين يريد أن يرى الرئيس وقد حاقت به الهزيمة » .(٦)

اجتمع بريجينسكى مع السادات فى ٦ مارس وسلمه رسالة الرئيس . وأوضح السادات أن الصياغات الجديدة لا تثير مشاكل بالنسبة له ، ولكنه لا يرحب بالعودة إلى فكرة إيفاد سفير إلى إسرائيل عقب الانسحاب المرحلى .

وبعد ذلك أخبر السادات بريجينسكى بأهم « سلاح سرى » لديه - اقتراح يمكن لكارتر أن ينقله إلى بيجين بشأن بناء خط أنابيب من حقول النفط فى سيناء إلى إسرائيل مباشرة . ووصم السادات الإسرائيليين بأنهم بلهاء لتجاهلهم اقتراحه بشأن غزة ، ولكنه رغما عن ذلك سيفعل كل ما بوسعه لكى تنجح زيارة كارتر نجاحا كبيرا . وينبغى أن توقع المعاهدة أثناء وجود كارتر فى الشرق الأوسط . بل لو سارت الأمور على ما يرام فإن السادات سيدعو بيجين إلى القاهرة للتوقيع على المعاهدة . وقد سر كارتر سرورا بالغا بهذا الاحتمال .

وبعد ذلك صب السادات جام غضبه على السعوديين ناعتا إياهم بأنهم خيال مآتة ومحمية أمريكية يوليها الأمريكيون أهمية أكثر من اللازم . وقال إن السعوديين غير حاسمين وعاجزين عن التصرف . وتحدث السادات عن الملك حسين بلهجة مماثلة ، مؤكدا أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تطرحه جانبا كلية . ومما أثار الدهشة نوعا ما أنه حث الأمريكيين على تحسين علاقاتهم مع العراق .

كارتر يتوجه إلى الشرق الأوسط

عندما وصل كارتر إلى القاهرة في ٧ مارس ١٩٧٩ كان لديه كل ما يدعوه للاعتقاد بأن رحلته ستكلل بالنجاح . فقد كان مؤدى ما قاله السادات إن كارتر سيكون لديه تفويض مطلق للتفاوض مع إسرائيل بشأن النص النهائى للمعاهدة .(٧)

وأمضى كارتر معظم وقته فى مصر فى الاحتفال بالعلاقات الوثيقة بين مصر والولايات المتحدة . وكان السادات قد جهز عرضا مبهرا ، يتضمن رحلة بالقطار إلى الاسكندرية كشفت للرئيس الأمريكى عن جماهير أكبر وأكثر ودا مما كان قد تعود على رؤيته فى وطنه .

وقبيل الرحيل إلى إسرائيل ، اجتمع كارتر وفانس مع السادات وكبار مستشاريه فى استراحة المعمورة بالقرب من الاسكندرية . وتعهد كارتر بالحصول لمصر على أفضل اتفاق ممكن أثناء وجوده فى إسرائيل ، وتكلم كما لو كان يمسك فى يده بتوكيل من السادات . وحالما تصبح المعاهدة حقيقة واقعة فإن الولايات المتحدة ومصر تستطيعان التخطيط من أجل علاقة « ضخمة » مباشرة بين الحكومتين فى الميدانين العسكرى والاقتصادى ، وأعرب كارتر أيضا عن أمله فى أن يقوم القطاع الخاص الأمريكى بالاستثمار فى مصر بعد توقيع معاهدة السلام . وبالإضافة إلى ذلك ، وعد كارتر باستخدام أقصى نفوذه لحمل الأردن والمملكة العربية السعودية على مساندة المعاهدة التى أصبحت أمرا واقعا .(٨)

وبينما كان كارتر والسادات يتبادلان التهانى على إنجاز السلام ، كان المسؤولون فى وزارة الخارجية المصرية ينتابهم القلق . كانوا لا يزالون يريدون من كارتر أن يقنع الإسرائيليين بالقيام بإيماءات من جانب واحد تجاه الفلسطينيين ، وكانوا يأملون فى أن توافق إسرائيل على شكل ما من أشكال المركز الخاص لمصر فى غزة . وكانوا يريدون أيضا إدخال القليل من التغييرات الطفيفة على المعاهدة ، من بينها استبدال كلمة لا يستسيغونها فى المذكرات الخاصة بالمادة السادسة . ووعد كارتر وفانس بعمل ما بوسعهما فى هذا الشأن .

وصل كارتر إلى إسرائيل يوم السبت ١٠ مارس ١٩٧٩ بعد الغروب . واستقل سيارة على الفور إلى القدس لحضور عشاء خاص مع بيجين . ولدهشة كارتر ، أوضح بيجين بجلاء أنه لا توجد أى فرصة لإتمام المفاوضات وتوقيع معاهدة السلام خلال وجود كارتر فى الشرق الأوسط . واستشاط الرئيس غضبا واشتبه فى أن بيجين يريد له أن يفشل . وكان بيجين يتذرع بالإجراءات ، ويقول إنه لابد من إتاحة الفرصة للكنيست كى يناقش الاتفاق قبل أن يصبح بالإمكان توقيعه . وذكّر كارتر بيجين بأن ذلك لم يكن ضروريا فى كامب ديفيد ، إلا أن بيجين لم يتزحزح عن موقفه .

فهو يرى أن معاهدة سلام مع مصر تعتبر بالنسبة إليه إنجازا له أهمية غير عادية ، وهو لن يهرع إلى توقيعها لمجرد أن كارتر قرر أن يغامر بهيبته بالسفر إلى الشرق الأوسط . وحتى لو وافق بيجين على نص المعاهدة ، فيتعين أن يقول الكنيست رأيه بصددها بقدر ما قد يفعل مجلس الشيوخ فى الولايات المتحدة .

كان كارتر يكن القليل من التعاطف لبيجين فى أفضل الأحوال . وكانت تلك بداية سيئة لما ثبت فيما بعد أنها أيام قليلة صعبة . ففجأة حلت محل المزاج المبتهج الذى ساد فى القاهرة شكوك واتهامات متبادلة فى القدس . وفى هذا الجو ، بدا للمرة الثانية أن فرصة تحقيق السلام قد تضيع .

وفى يوم الأحد ١١ مارس اجتمع كارتر وبيجين بحضور كامل وفديهما . وبدأ كارتر باستعراض السيناريو المفضل لديه : أن تستكمل المفاوضات بشأن نص المعاهدة خلال اليوم التالى أو نحو ذلك ؛ ثم يحضر السادات إلى القدس للتوقيع ؛ وبعد ذلك يسافر بيجين والسادات وكارتر معا إلى القاهرة لحضور حفل توقيع ثان .

وصب بيجين على الفور مياها باردة على فكرة الرئيس ، إذ شرح أنه يتعين أن يناقش مجلس الوزراء الأمر مناقشة كاملة ، وبعد ذلك يتعين أن يصوّت الكنيست قبل وضع أى توقيع على وثيقة بمثل ما لمعاهدة السلام من أهمية . وكل ذلك يستغرق أسبوعين على الأقل . وبعد ذلك طلب بيجين الاستماع إلى المقترحات المصرية الجديدة .

لم يكن السادات ومستشاروه قد استساغوا صياغة المذكرات المقترحة بشأن المادة السادسة . وكانت المذكرات قد أدرجت تلبية لرغبة السادات فى تصوير المعاهدة المصرية الإسرائيلية على أنها جزء من السلام الشامل المنصوص عليه فى اتفاقات كامب ديفيد . وتحقيقا لذلك ، توضح المذكرات أن المادة السادسة من المعاهدة لا تتعارض مع إطار السلام المتفق عليه فى كامب ديفيد ، وأنه يتعين عدم النظر إلى المعاهدة على أن لها الأسبقية على المعاهدات الأخرى التى يكون الطرفان ملتزمين بها . على أن المذكرات ، تلبية لشواغل إسرائيل ، مضت إلى القول بأن هده الأحكام « لا تنتقص » من صياغة المادة السادسة التى تفيد فى جوهرها أن أحكام المعاهدة المصرية الإسرائيلية سوف تحترم دون الالتفات إلى ما تتخذه أطراف أخرى من إجراءات حتى ولو نشأ تضارب مع الالتزامات الأخرى .

وكان المصريون غير مرتاحين لكلمة « تنتقص » . لذلك اقترح كارتر أن توافق إسرائيل على إحلال العبارة التالية : « لا يُفسر ما سبق (المذكرات الخاصة بالمادة السادسة) على أنه يتناقض مع أحكام المادة السادسة » . ولم يكن هناك أى اختلاف جوهرى من وجهة النظر الأمريكية ، فالنقطة هى أنه ينبغى ألا ينظر إلى المذكرات الخاصة بالمادة السادسة على أنها تغير من فحوى المعاهدة .

وقال كارتر أيضا إن مصر تصر على أن يكون لها ضباط اتصال فى غزة للمساعدة على الإعداد للحكم الذاتى هناك . وبعد ذلك مرر فانس على الحاضرين النص الجديد للمذكرات الخاصة بالمادة السادسة والرسالة المتعلقة بالضفة الغربية وغزة .

وأجاب بيجين ببرود شديد قائلا إن الولايات المتحدة وإسرائيل اتفقتا بالفعل على صياغة المذكرات أثناء وجوده مؤخرا فى واشنطن . والسادات له الحق فى الاعتراض ، ولكن بيجين لن يتزحزح عن موقفه . ورفض بيجين الصياغة الجديدة ، وقال إنه يتوقع من كارتر أن يتمسك بالنص الذى جرى وضعه فى واشنطن . وقال إن عبارتَى « لا تنتقص من » و « غير متناقض مع »

تفصلهما مساحة شاسعة ، وإن المادة السادسة هى لب المعاهدة ؛ وبدونها تصبح المعاهدة وثيقة زائفة . ولن توقع إسرائيل على وثيقة تعلم بزيفها . وقال ذات مرة إنه إذا ما استخدمت عبارة « غير متناقض مع » عوضا عن « لا تنتقص من » فإن ذلك يعنى أن مصر يمكن أن تشن حربا فى الوقت الذى ترتبط فيه مع إسرائيل بمعاهدة سلام .

وأنكر كارتر أن مصر تبحث عن ذريعة للهجوم على إسرائيل . وعندئذ أخرج بيجين مجموعة من مقالات الصحف ، وبدأ يقرأ مقتطفات من الصحافة المصرية رأى فيها تهديدا لإسرائيل . وسأله كارتر عن الجدوى من هذا العرض . فأشار بيجين إلى الجو الرهيب الذى تجرى فيه محادثات السلام ، وطالب بأن يثير السفير الأمريكى فى القاهرة مع السادات مسألة المقالات المعادية لإسرائيل التى تنشرها الصحف المصرية .

وعندئذ تساءل كارتر عما إذا كان لدى بيجين أية مقترحات مضادة . ورد بيجين بالنفى ، وقال إنه متمسك بما اتفق عليه فى واشنطن . وانتقل بيجين إلى توجيه نقد مطول للمذكرة الجديدة بخصوص الفقرة ٢ من المادة السادسة . وقال إنه وافق فى واشنطن على أن يرد فى مذكرة لتلك المادة أنها لا ينبغى أن تفسر على أنها تتعارض مع إطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد . ولقد أراد السادات أن يضيف أن كامب ديفيد تدعو إلى « سلام شامل » ، وهو ما تفعله فى حقيقة الأمر . وقال بيجين إن السادات يبحث من خلال إضافة هاتين الكلمتين : « سلام شامل » عن ذريعة لانتهاك المعاهدة مع إسرائيل بجعلها مشروطة بعقد الدول العربية الأخرى أيضا للسلام مع إسرائيل . وقال إن سوريا تستطيع حينئذ أن تجعل المعاهدة لاغية وباطلة عن طريق رفض التفاوض .

وقرابة الظهر حول بيجين قدراته الانتقادية الفريدة إلى الخطاب الجديد المتعلق بالضفة الغربية وغزة ، فاعترض بقوة على إمكانية تنفيذ الحكم الذاتى فى غزة أولا . وقال إنه لن يقبل كذلك بوجود ضباط اتصال مصريين هناك . وبعد ذلك اعترض ، للمرة العاشرة تقريبا ، على مصطلح الضفة الغربية ، ملقيا على الرئيس الأمريكى درسا فى عدم صحة المصطلح من النواحى الجغرافية والتاريخية وأهمية استخدام كلمتى يهودا والسامرا . وقال بيجين إنه لن يوافق على مناقشة موضوع غزة وحدها مع مصر إلا إذا تخلى السادات كلية عن اهتمامه بهاتين المنطقتين .

وشارك أعضاء آخرون من مجلس الوزراء فى المناقشات ، وبدا لبرهة أنه لن يمكن العثور بالمرة على مخرج . وتدخل اريل شارون بمحاضرته المعهودة عن « الأردن هو فلسطين » ، ونعت الهاشميين بأنهم الأجانب الوحيدون فى الأردن . وقدم شارون وعدا لكارتر بأنه فى خلال عشرين سنة سيكون هناك مليون يهودى يعيشون فى الضفة الغربية وغزة . ولن يفصل أى خط أبدا إسرائيل عن هاتين المنطقتين .

وبعد توقف من أجل تناول طعام الغداء ، استؤنفت المحادثات فى الساعة الثالثة بعد الظهر . وحاول كارتر استعادة ثقة بيجين بالوعد بضمان أمريكى لإمدادات إسرائيل من النفط . وقال أيضا إنه متأكد من أن باستطاعته إقناع السادات بتبادل السفراء عقب الانسحاب المرحلى إذا ما عجلت

إسرائيل بالانسحاب ، كما اتفق عليه أصلا فى نوفمبر المنصرم . وقال كذلك إن الولايات المتحدة ستوقع مذكرة تفاهم مع إسرائيل عن الخطوات التى تتخذ إذا ما انتهكت مصر المعاهدة .

وانتقل كارتر إلى العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، فقال إن البلدين شريكان متساويان ، وأضاف أن ما فعلته الولايات المتحدة من أجل إسرائيل يزيد كثيرا عما فعلته إسرائيل من أجل الولايات المتحدة . وقد كان بيجين يكثر من الإلحاح على أسماع الأمريكيين بما فعلته إسرائيل للولايات المتحدة ، ولم يكن كارتر يؤمن بذلك فى الحقيقة . وقال إن إسرائيل عون استراتيجى هائل للولايات المتحدة ، خاصة إذا ما كانت فى حالة سلام مع مصر ، وهى الصديق الإقليمى الرئيسى الآخر للولايات المتحدة . وبكلمات المجاملة هذه ، استحث كارتر الإسرائيليين على محاولة العثور على كلمات لحل النزاع بشأن المادة السادسة ، وهو ما تم فى نهاية الأمر .

وخلال جلسة فى وقت متأخر من بعد الظهر ، ذكر بيجين لكارتر أن مجلس الوزراء الإسرائيلى سيجتمع ذلك المساء لاتخاذ قراره الرسمى بشأن الأمور قيد المناقشة . وحينذاك يمكن لفانس أن يذهب إلى القاهرة ، ويستطيع كارتر أن يعود إلى بلاده . وخلال أسبوعين تقريبا ، إذا ما مضى كل شيء بسلاسة ، ستكون إسرائيل مستعدة لتوقيع المعاهدة .

ورد كارتر بقوله إن فانس لن يذهب إلى القاهرة ، لأن الموقف المصرى معروف بالفعل للأمريكيين ، والمصريون يستطيعون إتمام المفاوضات فى التو . وأجاب بيجين بأنه متعب للغاية ، وأنه ينبغى فض الاجتماع الآن . ومرة ثانية شعر الأمريكيون أن بيجين يحاول عامدا حرمان كارتر من الاستمتاع بثمار رحلته إلى الشرق الأوسط ، التى كان يعلق عليها آمالا كبيرة .

وقبل أن ينفض الاجتماع مباشرة ، عاد كارتر إلى مناشدة بيجين أن يحاول الوصول إلى اتفاق فى اليوم التالى أو نحو ذلك . ورد بيجين قائلا إن السماء لن تسقط على الأرض إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق .

وفى صباح اليوم التالى اجتمع كارتر وبيجين ومستشاروهم من جديد فى الساعة العاشرة والثلث . وكان مجلس الوزراء قد انعقد طوال الليل ولم ينفض إلا فى الساعة الخامسة والنصف صباحا . وكان الإسرائيليون يبدون منهكين . وبدأ كارتر الحديث بالدفاع بقوة عن الفوائد الاستراتيجية التى ستعود على إسرائيل من السلام مع مصر . وقال إن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ستصبح أقوى بكثير ، ويمكن للولايات المتحدة أن تكون أكثر استعدادا لتقديم المعونات إذا ما أبرمت معاهدة السلام ، ويمكن لمصر وإسرائيل أن تتعاونا معا لمنع ذلك النوع من الراديكالية الذى ظهر فى إيران من الانتشار إلى بقية أنحاء المنطقة ، أما إذا ضاعت الفرصة المتاحة حاليا للسلام فستكون استعادتها أصعب منالا .

كان مجلس الوزراء الإسرائيلى قد أقر أساسا الصياغة الجديدة للمذكرات الخاصة بالمادة السادسة ، وكان كارتر راضيا . إلا أن المجلس رفض بإصرار النظر فى إعطاء مصر أى مركز خاص فى غزة . وقال كارتر إنه سيكون من الصعب على مصر أن تقبل هذا الرفض . وناشد بيجين أن يعيد النظر فى الأمر ، إلا أن بيجين رفض .

انفض الاجتماع فى الساعة الحادية عشرة والثلث . وغادر بيجين وكارتر المكان للتأهب لإلقاء كلمتيهما أمام الكنيست . وكانت الجلسة فى ذلك اليوم صاخبة . فقد ألمح كارتر بطريقة غير دبلوماسية إلى أن الجمهور الإسرائيلى يريد السلام بأكثر مما يريده قادته . وخلال خطاب بيجين كانت هناك مقاطعات عديدة من جانب أعضاء المعارضة لدرجة جعلت تتبع ما يقال أمرا شاقا . وطُردت حليفة بيجين القديمة جيئولا كوهين من قاعة المجلس عندما رفضت احترام الآداب البرلمانية . وكان يبدو أن بيجين مستمتع بالمعركة . إلا أن الأمريكيين كانوا أقل سعادة . ورغما عن ذلك ، فقد أثبت بيجين أنه ليس بأكثر المتشددين تطرفا بين الإسرائيليين .

توجه كارتر من الكنيست إلى حفل غداء مع أعضاء لجنة الشؤون الخارجية والأمن . وخلال الغداء كشف كارتر عن أن لديه تفويضا مطلقا من السادات بإبرام اتفاق . وما من شك فى أن بيجين كان يستريب فى ذلك بطريقة ما ، ولكن لابد أنه أصبح حينئذ متأكدا من أنه يمكن إقناع كارتر بالكف عن إصراره على إعطاء مصر دورا خاصا فى غزة .

كان من المقرر أن يعقد فانس جلسة أخرى مع الوفد الإسرائيلى عصر يوم الاثنين ١٢ مارس . وكان كارتر يأمل فى إمكانية تسوية المشاكل المتبقية بشأن غزة ، والنفط ، وتوقيت الانسحاب من سيناء ، وتبادل السفراء .

وافتتح بيجين الاجتماع بقوله إن مجلس الوزراء عقد جلسة دامت ساعتين وقرر إعادة تأكيد موقفه بشأن جميع القضايا . فلن يكون هناك تغييرات أخرى من الجانب الإسرائيلى . وقال إن إسرائيل فى حاجة إلى وعد مصرى قاطع ببيع ٢,٥ مليون طن من النفط سنويا لإسرائيل . وقال إنه يوافق على النظر فى الاقتراح المصرى ببدء محادثات الحكم الذاتى فى غزة ، إلا أن هذه القضية لن تدرج فى الرسالة الجانبية ، كما لن يرد ذكر بالمرة لضباط الاتصال المصريين . وحتى بالنسبة للمادة السادسة ، أصر بيجين على حذف عبارة « سلام شامل » من إحدى المذكرات ، بدعوى أنها إذا لم تحذف سيبدو أن المعاهدة تتوقف على ما تقوم به الأطراف العربية الأخرى بشأن إقامة السلام مع إسرائيل .

وأشار بيجين إلى أنه قد يكون من الممكن الانسحاب المعجل نوعا ما إلى الخط المرحلى ، فى حالة ما إذا وافق السادات على إرسال سفير إلى إسرائيل بعد ذلك بوقت قصير . وبعد هذه النقطة أخذت المناقشات فى التدهور بسرعة ، إذ اتهم بيجين الأمريكيين بأنهم دائما يظهرون تفهما لهموم السادات ، ولكنهم لا يظهرون تفهما لهمومه على الإطلاق . وتدخل شارون فى المناقشة بغلظة ليقول إنه لن يُسمح للمصريين بالمرة بالدخول إلى غزة بأى شكل من الأشكال ؛ لأنهم لن يفعلوا شيئا سوى إثارة السكان المحليين . بل وبدا أن ديان ونائب رئيس الوزراء إيجال يادين - اللذين يكونان عادة معتدلين - يعتقدان أنه لا ينبغى لكارتر أن يؤيد المطالبة المصرية بدور خاص فى غزة .

حاول فانس إنقاذ الموقف بالحث على إسقاط كل من قضيتى غزة والنفط من الاتفاق . فلم تكن أى منهما قد أدرجت فى اتفاقات كامب ديفيد ، ويمكن معالجتهما فيما بعد . وقال بيجين إن النفط

مسألة حياة أو موت ، ولا يمكن إخراجه من الاتفاق ، كما أن إسرائيل لن توافق الآن على أن تنكر كتابة استعدادها للتعجيل بالانسحاب إلى الخط المرحلى .

ولدهشة الأمريكيين ، قال بيجين بعدئذ إن المحادثات قد انتهت ، وإنه ينبغى إصدار بيان مشترك يعلن عن تحقيق بعض التقدم ، وإن تكن بعض المسائل لا تزال فى حاجة إلى حل . وقُدم إلى فانس نص بهذا المعنى ، من الواضح أنه كان قد أعد سلفا ، لكى يوافق عليه .

وأحيط كارتر علما على الفور بنتيجة المحادثات ؛ فقرر أنه لا يوجد ما يدعوه إلى البقاء فى إسرائيل لأطول من ذلك . فقد كان من الواضح أن بيجين لا يريد التوصل إلى اتفاق فى ذلك الحين . وأمر الرئيس بإعداد طائرته للعودة إلى واشنطن مباشرة . إلا أن الوقت كان متأخرا ، وكان من الصعب تجميع الفريق الرئاسى بأكمله وحقائبه فى الوقت المناسب . ووافق كارتر على مضض على أن يقضى الليلة فى القدس ، غير أنه كان إنسانا خابت آماله بشكل مرير .

المشهـــد الأخـــير

عندما تجمع الأمريكيون من جديد فى فندق الملك داود كان المزاج السائد كئيبا . ولم ير أحد أى جدوى من محاولة اقتراح صيغ جديدة للقضايا المعلقة . واتجه معظم الأمريكيين إلى تناول العشاء سويا . ولم يكن هناك تخطيط لعقد جلسات عمل .

وقرابة التاسعة مساء اتصل أحد مساعدى ديان بفانس واقترح أن يقوم الوزير بدعوة ديان إلى محادثة غير رسمية . وقد تبين فيما بعد أن ديان كان يجرى اتصالات مع أعضاء مجلس الوزراء الذين لم ترق لهم الطريقة التى انتهت المفاوضات إليها . وقد حصل ديان على موافقة بيجين على الالتقاء بفانس . وفيما يبدو أن وايزمان كان يهدد بالاستقالة إذا ما أُجهضت معاهدة السلام بفعل عناد بيجين .

قدم ديان اقتراحات عديدة ، وأكد أن معظم مجلس الوزراء سيقبل الاقتراحات الأمريكية بشأن ضمان إمدادات إسرائيل من النفط والتعجيل بالانسحاب الإسرائيلى إلى الخط المرحلى فى سيناء . واقترح ديان ، فى مقابل هذه التنازلات ، أن تحذف من الرسالة الجانبية الإشارة إلى غزة بوصفها حالة خاصة ، وإلى دور ضباط الاتصال المصريين . وحث كارتر على الاجتماع مرة ثانية مع بيجين صباح اليوم التالى ليقدم له هذه الاقتراحات بوصفها مقترحات أمريكية ، وسيحاول ديان فى نفس الوقت تمهيد الطريق مع بيجين . ووافق فانس على القيام بمحاولة ، وأخذ الفريق الأمريكى يعمل على مدى عدة ساعات لوضع مجموعة جديدة من المقترحات .

وبينما كان فانس وديان يعملان على منع انهيار المحادثات ، كان جودى باول سكرتير كارتر الصحفى يحيط الصحافة علما بما وصلت إليه الأحوال فى الساعة التاسعة مساء . ورسم لهم صورة كئيبة ، وكان ذلك هو الأساس الذى قامت عليه التقارير المتشائمة التى قرأها معظم الأمريكيين فى صحفهم يوم الثلاثاء ١٣ مارس .(٩)

وفى الوقت الذى كان فيه الجمهور قد استوعب التقارير الصحفية الأمريكية ، كان الموقف قد تغير بالفعل . فقد اجتمع كارتر مع بيجين على انفراد صباح الثلاثاء ، وبعد ذلك انضم إليهما ديان وفانس . وكالعادة ، تملص بيجين من قطع التزام كامل إزاء المقترحات الجديدة . فإذا ما قبلتها مصر ، وإذا ما وافق السادات على تبادل مبكر للسفراء ، فإن بيجين سيزكى المقترحات الجديدة للكنيست . وكان كارتر يعرف أن ذلك معناه موافقة بيجين . ومن باب التطلع إلى تحقيق تحسين ولو طفيفا فى الموقف ، وجه كارتر إلى بيجين سؤالا عما إذا كانت إسرائيل توافق على إبداء بعض الإيماءات من جانب واحد لتوفير ظروف أفضل للفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة . وقال إن لهذه القضية أهمية كبيرة للمصريين . وقال بيجين إنه سينظر فى هذا الطلب بعين العطف . وهكذا أدرك كارتر أخيرا أن الاتفاق أصبح فى متناول اليد .

وبعد ذلك استقل كارتر الطائرة إلى القاهرة مباشرة حيث اجتمع بالسادات فى المطار . كان لا يزال لدى مساعدى السادات بعض الاعتراضات ، إلا أن السادات لم يكن مستعدا للمماحكة .(١٠) لقد وعد كارتر بالنجاح ، وكان على استعداد للقول بأنه قد تم التوصل الآن إلى اتفاق على جميع القضايا . وفى الساعة الخامسة مساء قال كارتر إنه قد تم التوصل إلى اتفاق تام ، واتصل ببيجين هاتفيا من المطار ليبلغه بذلك . ووافق بيجين على أن يطلب من مجلس الوزراء فى اليوم التالى موافقة نهائية ، غير أن النتيجة لم تعد موضع شك .

وبعد ذلك ، خطا كارتر والسادات إلى مدرج الطائرات لإخبار جموع الصحفيين بأنه قد تم استكمال اتفاق السلام . وقد أصيب كثير من الصحفيين بالدهشة ، بعد كل ما حدث من تقلبات الأمور ، وبعد الإحاطة الصحفية المتشائمة فى الليلة السابقة – كما تضايقوا شيئا ما لأن الأخبار التى نشروها فى اليوم السابق ستبدو غير صادقة .

كان مساعدو كارتر السياسيون فى حالة بهجة على متن الطائرة وهى فى طريق عودتها إلى واشنطن . فأخيرا ، وبعد طول انتظار ، يستطيع كارتر أن يشير إلى إنجاز هام فى مجال السياسة الخارجية من المؤكد أن يلقى ترحيبا صادقا من معظم الأمريكيين . وكان مستشارو السياسة الخارجية أقل ابتهاجا إلى حد ما ، إذ يشغل تفكيرهم كالمعتاد ذلك القدر الكبير من المشاكل الذى ينتظرهم . وكانوا قبل كل شىء مرهقين وممتنين لأن المحادثات انتهت ، على الأقل فى اللحظة الراهنة . وعندما وصلوا إلى قاعدة أندروز الجوية ، كان فى انتظارهم حشد كبير لتهنئة كارتر وفانس . كان يوما مشهودا حقا ، بدأ فى القدس وانتهى فى واشنطن .

توقيع معاهدة السلام

كان السلام الشامل فى الشرق الأوسط الذى تطلع كارتر إليه فى البداية لا يزال بعيد المنال ، إلا أن أكبر أحجار الأساس فى هذا الصرح ، وهو السلام المصرى الإسرائيلى ، أصبح حقيقة واقعة تقريباً . ولم يكن كارتر واثقاً مما إذا كانت معاهدة السلام فى حد ذاتها ستحقق الاستقرار فى الشرق الأوسط ، أو ما إذا كانت ستحرك عملية محتومة توسع من دائرة السلام حول إسرائيل . كان يعتقد بلا ريب أنها لا يمكن أن تجعل الأمور أسوأ مما هى عليه بالفعل .

كان يتعين حل قضايا قليلة متبقية قبل توقيع المعاهدة . وقام عزرا وايزمان بزيارة واشنطن لتحديد المراحل الجديدة للانسحاب ، ولكي يطلب الحصول على مساعدات عسكرية إضافية وينجح فى ذلك .(١١) وكانت هناك مسائل ثنائية أخرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل فى انتظار الحل ، وعلى الأخص الكيفية التى ستضمن بها الولايات المتحدة إمداد إسرائيل بالنفط إذا أصبح النفط المصرى غير متاح لتلبية احتياجات إسرائيل ؛ وما الذى تعد الولايات المتحدة بعمله إذا انتهكت مصر المعاهدة ؟ وما هى الاحتياطات التى ينبغى عملها فى حالة ما إذا لم تتوافر قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة من أجل سيناء بعد الانسحاب الإسرائيلى ؟ كان من المتعين أن تجد الولايات المتحدة حلولا لجميع هذه النقاط . وفى بعض الحالات ، لم تكن الصياغة النهائية قد أعدت حتى اليوم الذى وقعت فيه معاهدة السلام بالفعل .

على أن مشاكل الرسامين الهندسيين وراسمى الخرائط لم تكن لتقف فى طريق احتفال التوقيع فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ . وقد انضم بيجين والسادات إلى كارتر فى الحديقة الشمالية للبيت الأبيض . ووجهت الدعوة إلى جمهور كبير لحضور الاحتفال . وسددت كثير من الديون السياسية فى ذلك اليوم . واختلط المصريون والإسرائيليون بحرية ، وأعربوا عن الأمل فى أن يكون السلام فى متناول الأيدى . وفى حديقة لافاييت ، على الجانب الآخر من الشارع ، كان بعض الفلسطينيين وأنصارهم ينظمون مظاهرة صغيرة ضد المعاهدة ، وهى تذكرة بأن المرحلة التالية من المفاوضات ستواجه معارضة . إلا أن اليوم كان متسماً بالتفاؤل والمشاعر الطيبة ، وتوج ذلك المساء بمأدبة كبرى فاخرة فى الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض .

تألف الاتفاق المصرى الإسرائيلى الرسمى من ملف سميك من الوثائق التى لن يقرأها بأكملها سوى نفر قليل من الناس . (انظر الملحق « ز » للاطلاع على الوثائق الرئيسية) . فإلى جانب نص المعاهدة ، هناك ثلاثة مرفقات تعالج الترتيبات الأمنية ، والخرائط ، والعلاقات الطبيعية بين الطرفين . وأرفق بالوثيقة الأساسية سبع مذكرات تفسيرية . ووقع السادات وبيجين أيضاً رسالة إلى كارتر بخصوص المفاوضات المتعلقة بقضايا الضفة الغربية وغزة . وأضاف كارتر بخط يده على الرسالة حاشية تفسيرية تقول « لقد أحطت علما بأن الحكومة الإسرائيلية تفهم تعبير « الضفة الغربية » على أنه يعنى « يهودا والسامرا » . »

ووقع السادات رسالة أخرى إلى كارتر يعد فيها بإيفاد سفير مقيم إلى إسرائيل خلال شهر واحد من الانسحاب المرحلى . وأبلغ كارتر هذه المعلومة إلى بيجين فى رسالة ، وأقر بيجين بتسلمها . كما كتب كارتر إلى كل من السادات وبيجين ليوضح لهما ما ستقوم به الولايات المتحدة للمساعدة فى رصد الترتيبات الأمنية فى سيناء ، ويؤكد أن الولايات المتحدة ستبذل كل ما بوسعها لتنظيم قوة لحفظ السلام متعددة الأطراف إذا لم تتوافر قوات الأمم المتحدة .

وفى نفس يوم توقيع معاهدة السلام ، وضع فانس وديان أيضا توقيعهما على مذكرة اتفاق . وكان معظم الالتزامات الواردة فى هذه الوثيقة مقيدا باشتراطات ، إلا أنها تلقى بثقل الولايات المتحدة خلف إسرائيل فى حالة انتهاك مصر للمعاهدة . وأعيد تأكيد الوعود المبذولة كجزء من مذكرات التفاهم السابقة . ووقع فى نفس الوقت اتفاق بشأن إمدادات النفط .(١٢)

وفيما يتعلق بالمعونة العسكرية لإسرائيل ، كتب وزير الدفاع براون إلى وايزمان بالتزام الولايات المتحدة بتقديم ٣ مليارات من الدولارات للمساعدة فى بناء مطارات عسكرية جديدة فى النقب ، منها ٨٠٠ مليون دولار فى شكل منح . كما أبلغت الولايات المتحدة إسرائيل أنها مستعدة للتصرف بإيجابية بشأن عدد من منظومات الأسلحة التى كانت قد طلبت من قبل . (خلال المفاوضات امتنع كارتر عامدا عن اتخاذ قرارات رئيسية بشأن الأسلحة بحيث تتبقى له وسيلة للتأثير على كل من إسرائيل ومصر) .

وكتب براون رسالة مماثلة إلى وزير الدفاع المصرى يعده فيها بتقديم ١,٥ مليار دولار من المعونة على مدى السنوات الثلاث التالية ..وأرفق بالرسالة قائمة بالمعدات العسكرية التى سيسمح لمصر بشرائها . وفى نهاية المطاف ، جرى تناول قليل من الأمور التى لم يبت فيها بواسطة مذكرات لتسجيل المواقف ، كتبها المستشار القانونى أو غيره ممن شاركوا فى المفاوضات . ولم تدخل أى من هذه المذكرات تغييرات فى المخطط الأساسى لما تم الاتفاق عليه . وإنما انطوت إلى حد كبير على تسجيل مواقف الولايات المتحدة فى تفسير بعض النقاط المبهمة فى المعاهدة أو فى ملاحقها ، أو تسجيل بعض أوجه التفاهم غير الرسمية التى تم التوصل إليها بعد استكمال نص المعاهدة .

وطلب أيضا من كارتر فى اللحظة الأخيرة أن يكتب رسالة سرية إلى بيجين يؤكد فيها ما اتفق عليه بيجين والسادات شفاهة فى ٢٦ مارس بخصوص إمدادات النفط . وكتب كارتر أيضا لرئيس الوزراء المصرى مصطفى خليل يخبره بنتائج مناقشاته مع بيجين حول القيام بإيماءات من جانب واحد إزاء الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة .

وكتب مصطفى خليل ، الذى لم يكن يعلم بمذكرة الاتفاق الأمريكية الإسرائيلية حتى اللحظة الأخيرة ، رسالتين إلى فانس يسرد فيهما ستة عشر سببا لرفض مصر لها . وكتب مصطفى خليل أيضا فى اليوم التالى لتوقيع معاهدة السلام رسالة إلى كارتر يحتج فيها على أن كارتر لم يفعل ما يكفى لإلزام بيجين بإتخاذ إجراءات إيجابية فى الضفة الغربية وغزة . إلا أن كل ذلك كان مذكرات خافتة لم تجتذب كثير اهتمام ، وكان كارتر قد عرف منذ زمن طويل أن السادات لن يثير ضجة بشأن تلك الأمور .(١٣)

تقييم مفاوضات المعاهدة

نادرا ما تفضى المبادرات الدبلوماسية المعقدة إلى ما كان يتوقعه لها أصحابها بالضبط . والتصحيحات التى تدخل فى منتصف المسار جزء من العملية التفاوضية الطبيعية . وبالنسبة للرؤساء الأمريكيين على وجه الخصوص ، يعتبر إقحام الاعتبارات السياسية الداخلية جزءا من اللعبة أيضا . وفى ضوء هذه الحقائق لا يمكن للمرء أن يحكم على النتائج بمعيار التصميمات الأولية أو التجريدات النظرية .

ويجب على المرء بدلا من ذلك أن ينظر إلى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى سياقها السياسى . فما الذى كان يمكن إنجازه أكثر من ذلك بالنظر إلى القيود الحقيقية التى تكبل جميع

الأطراف ؟ وهل كان يمكن تعزيز الجوانب الإيجابية من الاتفاق ؟ وهل كان يمكن تقليل الجوانب السلبية ؟ ولماذا عجز كارتر عن تحقيق تقدم بشأن الضفة الغربية وغزة ؟ ولماذا بدا أنه أقل اعتناء بهاتين المنطقتين من عنايته بسيناء ؟

أولا ، كانت مصر وإسرائيل تتبادلان الحديث ، وكانتا مستعدتين لاتخاذ قرارات . وكان العرب الآخرون إما يعارضون المسيرة أو يتخذون موقف الانتظار ترقبا لما قد يعرض عليهم . وشعر كارتر بالتزام قوى قبل السادات لأنه جازف من أجل السلام .

وثانيا ، كانت فرصة نجاح المفاوضات بين مصر وإسرائيل أكبر بكثير منها بين إسرائيل وأى طرف عربى آخر . كان قد وُقعت بالفعل اتفاقيتان لفض الاشتباك بين القوات فى ١٩٧٤ و ١٩٧٥ . وقد أظهرت المحادثات المباشرة بين الطرفين أن المسافة بينهما فى القضايا الثنائية ليست كبيرة . وكان من المعتقد أن مشاركة كارتر يمكن أن تساعد على رأب الثغرات المتبقية .

وثالثا ، كانت مصر أقوى بلد عربى . ولم يكن السلام بين مصر وإسرائيل ليجعل الحرب مستحيلة فى الشرق الأوسط ، إلا أنه يمكن أن يغير طبيعة الشرق الأوسط بشكل لافت للنظر . كما أن مخاطر المجابهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ستقل . ولهذه الأسباب ، فحتى السلام المنفصل كانت له قيمة استراتيجية هائلة بالنسبة للولايات المتحدة .

وأخيرا ، يجب على المرء أن يعترف بصراحة بأن النظام السياسى الأمريكى يجعل من الصعب على الرئيس معالجة مشكلة من قبيل مشكلة الفلسطينيين ، فالسلطة الرئاسية فى الشؤون الخارجية واسعة نظريا ، ولكنها مقيدة من الناحية العملية بفعل الحقائق السياسية . وثبت أن المسألة الفلسطينية مثيرة للخلاف لدرجة أن معظم الرؤساء يحذرون من الانغماس بعمق فيها . وكان السادات ، الذى كانت له شعبية حقيقية لدى الجمهور الأمريكى ، جديرا فى نظر كارتر بأن يخوض مع بيجين معركة من أجله . إلا أن الفلسطينيين لم يكن لديهم مؤيدون فى الداخل ، وعندما بدا أن اهتمام السادات بمصيرهم أقل من اهتمامه بمصير سيناء ، وجد كارتر أن من المتعذر أن يكون أكثر إلحاحا من زعيم أكبر بلد عربى .

ومن بين كافة المشاركين فى المفاوضات ، كان كارتر هو الأقل معرفة بالقضايا المطروحة ، والأكثر قدرة على تطوير مفاهيمه . كان الشرق الأوسط مهما فى رأيه ، لكن لم تكن لديه أفكار ثابتة عن الطريقة المحددة التى ينبغى حل المشكلات بها . وعلى ما يبدو ، فإن طبيعة المهندس داخله كانت تريد تصميما رئيسيا لسلام شامل ؛ وربما كان سيتمسك بهذا المفهوم الجذاب لو أتيحت له الفرصة . لكنه لم يكن يستطيع أن يقيم الصرح بمفرده ، ومن ثم شرع يركز على الجانب الذى كان ممكنا التعويل عليه من الناحية العملية .

كما أن شخصية المثالى داخل كارتر لعبت دورها . كان الرئيس يعتقد بعمق أن أصحاب النوايا الطيبة يستطيعون حل المشاكل بالتحدث إلى بعضهم البعض . وفى كامب ديفيد ، ظن بداءة أنه لن يحتاج إلا للجمع بين السادات وبيجين ومساعدتهما على التغلب على بغضهما المتبادل ، وبعد ذلك يمكن للزعيمين أن يضعا الاتفاق بروح من التفاهم والتراضى . كان من الصعب عليه أن يتفهم

عمق شكوكهما ، بل وكراهيتهما . وكان من الصعب عليه بصفة خاصة أن يتفهم تشبث بيجين بيهودا والسامرا . وأخيرا ، فإن كارتر هو الذى أُجبر على إعادة تمحيص افتراضاته وتغيير نهجه فى مواجهة تشدد بيجين واستعداد السادات البادى للقبول بصفقة ثنائية .

كانت شخصية السياسى فى كارتر بطيئة فى الدخول إلى معترك المفاوضات . وعلى مدار معظم السنة الأولى ، كان يبدو أن السياسات الداخلية نادرا ما تشغل الرئيس أثناء معالجته لمشكلة الشرق الأوسط . كان فى بعض الأحيان متهورا فى تجاهله للرأى العام ، وربما كان من الأفضل له أن ينغمس فى قدر أقل من الجدل مع إسرائيل علانية فى الأشهر الأولى من حكمه . وعند استرجاع شريط الأحداث نجد أن سلوكه لم يكسب له شيئا على الجانب العربى ، وربما يكون قد أسهم بشكل طفيف فى ارتقاء بيجين للسلطة . ومع مرور الزمن ، انتهى كارتر ، ومستشاروه خاصة إلى الاعتقاد بأنه يدفع ثمنا باهظا لانغماسه فى المتاهة العربية الإسرائيلية . كما رأوا فى معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية أحد النجاحات المحتملة القليلة التى يمكن أن ترفع من مكانة الرئيس فى الداخل والخارج .[١٤] وفى أوائل ١٩٧٩ ، كانت السياسة قد أصبحت لها الأولوية فى القرارات المؤدية إلى الدفعة الأخيرة نحو السلام . وما أن وقعت معاهدة السلام حتى عهد كارتر بالمرحلة التالية من دبلوماسية الشرق الأوسط إلى مفاوض خاص هو روبرت شتراوس ، متوقعا منه أن يغطى الجناح السياسى للرئيس بعد أن بدأت حملة إعادة الانتخاب .

محـادثات الحكم الذاتى

كان من المتوقع أن تكون المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة معقدة . فأولا ، كان الفلسطينيون (والأردنيون) عاقدى العزم على عدم المشاركة فى المحادثات ، ولذلك تعين على مصر أن تقوم بدور البديل المتطفل بالنيابة عنهم . وثانيا ، لم تستطع مصر وإسرائيل أن تتفقا على ماهية ما يتفاوضان بشأنه . لم يكن السادات شديد العناية بالتفاصيل أو الصياغات اللغوية ، إلا أنه وزملاءه نظروا إلى المفاوضات على أنها إعداد للفلسطينيين لحكم أنفسهم على مراحل ، مع وجود قيود على سيطرتهم على السياسة الخارجية والدفاع فقط . ولم يكن غريبا أن يتمسك المصريون بتلك الأجزاء من اتفاقات كامب ديفيد التى تتحدث عن « سلطة حكم ذاتى » منتخبة ؛ وفترة مرحلية تمهد للانتقال إلى اتفاق نهائى يقوم على قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ؛ وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى مواقع معينة ؛ « وسلطات ومسؤوليات » السلطة الفلسطينية المنتخبة .

وكان لدى بيجين ، الذى ارتأى أنه صاحب فكرة « الحكم الذاتى » الفلسطينى - لم يكن يحب مصطلح « سلطة الحكم الذاتى » - مفهوم مختلف جدا عما تدور حوله المفاوضات . ففى حين وافق على تأجيل الادعاء الإسرائيلى بالسيادة أثناء الفترة الانتقالية ، فإنه لم يوافق على التخلى عن هذا المطلب . بل إنه عندما سئل بيجين عما سيحدث بعد خمس سنوات من الحكم الذاتى الفلسطينى ، كانت لديه إجابة بسيطة : إن إسرائيل ستصر حينئذ على حقها فى السيادة ، وإذا ما وافق العرب فإن ذلك سيسوى الأمر ، أما إذا لم يوافقوا فسيستمر الحكم الذاتى إلى ما لانهاية . وخلال هذه الفترة المتطاولة من الحكم الذاتى ، سيتواصل بناء المستوطنات الإسرائيلية فى « يهودا والسامرا » ؛ ولن

تكون القدس الشرقية جزءا من خطة الحكم الذاتى ؛ ولن تخضع الأرض وموارد المياه بصفة تلقائية لسيطرة سلطة الحكم الذاتى ، حيث إن الحكم الذاتى ينطبق فقط فى رأى بيجين على الناس وليس على الأرض .

وبقدر ما عمل كارتر وفانس على تطوير تفكيرهما بشأن القضية الفلسطينية ، فإنهما كانا أكثر ميلاً للموافقة على التفسير المصرى للحكم الذاتى الفلسطينى بوصفه مرحلة انتقالية . وكان معروفا للكافة أن كارتر يؤيد حق الفلسطينيين من سكان القدس الشرقية فى المشاركة فى انتخابات سلطة الحكم الذاتى ؛ وكانت آراؤه بشأن أهمية تجميد الأنشطة الاستيطانية معروفة تماما ؛ وكان تفسيره للقرار ٢٤٢ أن إسرائيل ملزمة بالانسحاب ، فى نهاية الفترة الانتقالية ، من معظم - وليس كل - الضفة الغربية وغزة ، فى مقابل الاعتراف الفلسطينى بحق إسرائيل فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها . وبالنسبة لبعض الأمريكيين المشاركين فى المفاوضات ، كانت حقيقة أن الحكم الذاتى ينطبق على الضفة الغربية وغزة بكاملهما ، توفر للفلسطينيين نوعا من الحقوق المفترضة فيما يتعلق بالأرض عندما يحين الوقت لتسوية « الوضع النهائى » للأراضى . وكانت تلك نقطة أثارها أيضا بعض نقاد بيجين اليمينيين الذين رأوا فى فكرة الحكم الذاتى بذرة لدولة فلسطينية .

ومهما تكن آراء كارتر بشأن هذه الأمور ، فإنه كان عازفا عن الزج بوقته وجهوده فى هذه الجولة من المفاوضات . وكان نائب الرئيس مونديل وهاملتون جوردان قد حثا كارتر طويلا على البحث عن مفاوض ذى « حس سياسى » أكبر ، وكان روبرت شتراوس ، المنتعش بفضل نجاحه كمفاوض تجارى خاص ، يبدو مناسبا للغرض . ولم تعتبر معرفته الضئيلة بالشرق الأوسط مشكلة كبرى .

وكانت المدة التى أمضاها شتراوس كمفاوض خاص فى الشرق الأوسط وجيزة وخالية من الأحداث الهامة . فقد كان يظن لفترة ما أنه ينبغى معالجة مشكلة القدس على الفور ، وذلك استنادا إلى النظرية التى تقول إنه إذا ما أمكن حل أصعب المشاكل أولا ، فسيسوى ما عداها من مشاكل . ولكن مع حلول خريف ١٩٧٩ ، وإذ أصبحت احتمالات إعادة انتخاب كارتر موضع شك ، ترك شتراوس موقعه ليرأس جهود إعادة الانتخاب .

ولو كان كارتر فى حاجة لما يذكره بأن القضية الفلسطينية هى بمثابة قنبلة سياسية فى الداخل ، لكان يكفيه أن يتفكر فى مصير سفيره فى الأمم المتحدة أندرو يونج . ففى أغسطس كانت المناقشات تدور حول إمكانية تعديل قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ لكى يصبح أكثر استساغة من قبل الفلسطينيين . ولا حاجة إلى القول بأن الإسرائيليين كانوا شديدى التوجس تجاه أى تحرك من هذا القبيل .

واجتمع يونج ، بصفته رئيسا لمجلس الأمن ، مع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية ليبحث ما إذا كان من الممكن العثور على صيغة تحمل منظمة التحرير الفلسطينية على قبول القرار ٢٤٢ . ولم يحط كارتر ولا فانس علما بهذا الاجتماع . وناشد يونج بصفة شخصية سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة أن يبقى الاجتماع طى الكتمان ، إلا أن ذلك لم يحدث وغضب فانس لأن يونج أخبر السفير

الإسرائيلي بالاجتماع قبل إبلاغ واشنطن ، وألح على كارتر في استبدال يونج بنائبه دونالد ماك هنري ، وهو ما حدث .

قد تكون واقعة أندرو يونج قد أغضبت أنصار إسرائيل ، إلا أن احتجاز إيران لرهائن أمريكيين في سفارة الولايات المتحدة في طهران في ٤ نوفمبر ١٩٧٩ هو الذي عجّل بالسقوط السياسي لكارتر . إذ أن الرئيس الذي عجز عن الظفر بإطلاق سراحهم بواسطة الدبلوماسية ، وتردد في استخدام القوة في هذا الشأن ، سرعان ما وجد نفسه محاصرا في البيت الأبيض بمشكلة الرهائن ، تواجهه يوما بعد يوم . وكان العد التنازلي مستمرا كل ليلة في نشرات الأخبار المسائية . « هذا هو اليوم (كذا) لاحتجاز الرهائن في إيران » . ومع مجاهدة كارتر للتصدي لهذه الأزمة الخارجية المنهكة للقوى ، لم يكن لديه ما يكفي من الوقت من أجل الحكم الذاتي الفلسطيني .

واختار كارتر ، عوضا عن شتراوس ، محاميا مفاوضا آخر يتمتع بسمعة طيبة لدى الجالية اليهودية ، هو صول لينوفيتش . كان لينوفيتش ، وله تجربة في التفاوض حول معاهدة قناة بنما تعتبر رصيدا طيبا له ، مهنيا محنكا ، إلا أنه كان يفتقر إلى الدراية بالتفاصيل المعقدة لعملية السلام العربية الإسرائيلية . كما أنه وجد نفسه يتعامل مع عضو ضعيف النفوذ في مجلس الوزراء ، ألا وهو موشى ديان الذي اختلف مع بيجين على وجه الدقة بسبب رؤية بيجين الضيقة للحكم الذاتي .[١٥] وبالمثل ، فإن المفاوضين من الجانب المصري ، باستثناء مصطفى خليل ، أظهروا قليلا من المرونة ، وكانوا يقولون صادقين إنهم لا يملكون تفويضا من الفلسطينيين بالبت في التفاصيل . وكانوا مستعدين ، في الأغلب ، لوضع مبادىء عريضة من أجل الفترة الانتقالية ، بما يحرك مسيرة قد تؤدي إلى شكل ما من أشكال تقرير المصير الفلسطيني ، وهو أبعد ما يكون عن رؤية بيجين للحكم الذاتي الدائم .

ولم يكن من الغريب أنه لم يتحقق سوى القليل من التقدم بشأن أصعب القضايا ، رغم أن لينوفيتش أحرز بعض النجاح في حل كثير من القضايا ذات الطابع الأكثر فنية .[١٦] وفي ربيع ١٩٨٠ ، وبينما كان لينوفيتش يجاهد للعثور على أرضية مشتركة بين مصر وإسرائيل بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني ، انخفضت أسهم كارتر من جديد بفعل المحاولة الفاشلة لإنقاذ الرهائن في طهران . واستقال فانس الذي كان قد أوصى بعدم تنفيذ العملية ، وحل محله في وزارة الخارجية ادموند موسكي ، عضو مجلس الشيوخ من ولاية ماين .

وقرابة نهاية حكم كارتر ، توصل لينوفيتش إلى نقطة شعر عندها بأنه قد تم تحقيق تقدم كبير . إلاّ أنه لم يتم التوصل إلى أي اتفاق بشأن قضايا حساسة من قبيل ما إذا كان بإمكان الفلسطينيين في القدس الشرقية أن يشاركوا في انتخابات سلطة الحكم الذاتي ، أو ما إذا كان سيُفرض تجميد على إنشاء المستوطنات الجديدة ، ولم يقدِّم سوى تلميح بأن درجة ما من تشاطر السلطة فيما يختص بتنمية موارد المياه والأرض في المستقبل قد تكون ممكنة . وباختصار ، لم تثمر المفاوضات شيئا له وزن حول القضايا ذات الأهمية الحيوية للفلسطينيين . وكانت مصر تحذر من الذهاب إلى أبعد من ذلك في التعامل مع إسرائيل بدون مشاركة مباشرة من الفلسطينيين في المفاوضات . وهكذا ، وطوال معظم السنوات العشر التالية ، وإلى أن انضم الفلسطينيون في نهاية الأمر إلى محادثات

السلام كمشاركين كاملين فى ١٩٩١ ، ظل ذلك الجزء من اتفاقات كامب ديفيد الذى يعالج مستقبل الضفة الغربية وغزة مجرد حروف صماء .

ومنى كارتر بهزيمة ساحقة فى نوفمبر ١٩٨٠ ، مما جعل القول بأنه لو أعيد انتخابه لوجه قدراته الجمة نحو استكمال المسيرة التى بدأت فى كامب ديفيد ، أمرا من قبيل الجدل الافتراضى . وبدلاً من ذلك ، وفى ٢٠ يناير ١٩٨١ ، وقبل دقائق قليلة من الإفراج فى نهاية الأمر عن الرهائن فى طهران ، سلم كارتر منصب الرئيس إلى رونالد ريجان ، الذى كان حاكم ولاية مثله وغريبا أيضا عن عالم واشنطن . ولكن فى معظم الجوانب الأخرى ، كان ريجان رئيسا من نوع مختلف تماما .

خــلاصة

كان جيمى كارتر فريدا بين الرؤساء الأمريكيين فى عمق اهتمامه بالبحث عن حل سلمى للنزاع بين إسرائيل وجيرانها العرب . واستأثر الشرق الأوسط من وقته وطاقاته بأكثر مما فعلت أى قضية أخرى من قضايا السياسة الخارجية .

وفى بداية حكمه لم يكن يعرف شيئا يذكر عن تعقيدات المشكلة . إلا أنه شعر بتحدى معالجة قضية استعصت على الحل فى الماضى . وما من شك فى أنه شعر بأن المصالح الأمريكية ستستفيد لو أمكن جلب السلام إلى الشرق الأوسط .

ومع مرور الوقت أصبح كارتر يعرف كثيرا من القادة فى الشرق الأوسط ، ووجه قدرته الاستثنائية على السيطرة على التفاصيل إلى المفاوضات بين مصر وإسرائيل . كان يمعن النظر فى خرائط سيناء ليحدد خطوط الانسحاب المرحلى . وقام بنفسه بصياغة النص الأول للاتفاق الإطارى المصرى الإسرائيلى فى كامب ديفيد . وعرض سمعته السياسية مرتين للخطر بالمشاركة فى مفاوضات قمة كان من اليسير أن تفشل .

وفى النهاية ، استطاع كارتر أن يترأس توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، والتى ربما تكون أكبر إنجاز يستحق الذكر لفترة رئاسته فى مجال السياسة الخارجية . على أنه لم يظفر إلا بالقليل من ناحية السياسة الداخلية مقابل هذه الجهود ، وقد يرى البعض أنه أوهن قاعدته السياسية من جراء ذلك .

وليس مما يقلل إنجاز كارتر فى الشرق الأوسط أن نسلم بأنه بنى على أسس ثابتة أرساها الرئيسان ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد ، خاصة بواسطة الجهود الدبلوماسية المشهودة التى قام بها هنرى كيسنجر فى الوساطة فى ثلاث اتفاقيات عربية ـ إسرائيلية خلال الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ . كما حظى كارتر بخدمات جليلة من وزير خارجيته سيروس فانس الذى يستحق معظم الفضل عن الصياغة الصبورة لاتفاقات كامب ديفيد ونص معاهدة السلام .

وكانت مبادرات كارتر حريّة بأن تنتهى إلى لا شىء لو أن زعيمى مصر وإسرائيل كانا غير

مستعدين لقبول الوساطة الأمريكية وتحقيق السلام بين بلديهما . فلم يحدث مطلقا أن فرض كارتر الآراء الأمريكية على أى من الجانبين ، رغم أنه استطاع فى كثير من الأحيان أن يغير مواقف رئيس الوزراء بيجين أو الرئيس السادات ، وبخاصة السادات . ومن المؤكد أن الزعامة الأمريكية كانت شرطا ضروريا لنجاح المفاوضات ، إلا أنها لم تكن تكفى وحدها . كان من المتعين أن يكون طرفا النزاع مستعدين للاتفاق .

وطوال مفاوضات السلام المصرية الإسرائيلية ، تمسك السادات بأنه فى حاجة إلى أن يثبت أنه أنجز شيئا للفلسطينيين . وقال مرارا إنه غير مستعد « لسلام منفصل » . كان يريد من بيجين مجرد بيان بسيط بأن إسرائيل راغبة فى إعادة الأرض العربية التى تم الاستيلاء عليها فى حرب ١٩٦٧ فى مقابل السلام والاعتراف والأمان من العرب . وكان يأمل أيضا فى شكل ما من الالتزام بالحقوق الفلسطينية من قِبل إسرائيل ، بما فى ذلك حق تقرير المصير . ولم يكن بيجين ليعطى هذا الالتزام بالطبع .

وبإمعان النظر فيما مضى ، يتضح أن السادات وكارتر بالغا معا فى تقدير الدور الذى تستطيع مصر القيام به فى إرساء الأساس لتسوية القضية الفلسطينية عن طريق التفاوض . وقد أساء كلاهما قراءة مواقف الملك حسين والقادة الفلسطينيين . وأساء كلاهما الحكم على الدور الذى قد يكون السعوديون مستعدين لأدائه فى المفاوضات . ولم يأخذ أى منهما سوريا فى حسبانه بشكل كاف .

وربما كان فى الوسع ، حتى مع ارتكاب هذه الأخطاء ، تنفيذ أحكام اتفاقات كامب ديفيد ، إذا امكن إعطاء فكرة الحكم الذاتى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة مضمونا حقيقيا . وعلى سبيل المثال ، لو أن كارتر نجح فى الحصول على موافقة بيجين على تجميد الأنشطة الاستيطانية ، وأعطيت سلطة الحكم الذاتى سيطرة على الأرض وموارد المياه ، وإذا كان قد قُدم وعد بإجراء انتخابات حرة حقيقية ، بما فى ذلك إعطاء حق التصويت للفلسطينيين المقيمين فى القدس الشرقية ، وإذا كانت سلطة الاحتلال العسكرى قد أُلغيت ، فربما أمكن حينئذ اجتذاب الفلسطينيين إلى عملية المفاوضات .

غير أنه لم يثبت أن أيا من هذه الإجراءات يمكن القيام به أثناء تولى بيجين لرئاسة الوزراء ، وهكذا انحطت قيمة مفهوم الحكم الذاتى فى أعين من لهم أهمية حاسمة فى تقرير سلامته . وعندما رفض بيجين أن يتزحزح عن موقفه من هذه الأمور ، لم يستطع السادات أو كارتر العثور على طريقة لإقناعه بتغيير رأيه . ويبقى أن نرى ما إذا كان ريجان سيختار أن يبدأ من حيث انتهى كارتر ، أو ما إذا كانت هناك أفكار أخرى تدور فى ذهنه . ويبدو ، فى ضوء تدهور العلاقات الأمريكية السوفيتية بعد الغزو السوفيتى لأفغانستان فى أواخر ١٩٧٩ ، أن من المحتمل أن يولى ريجان لقضايا الشرق والغرب اهتماما أكبر مما يوليه لمحادثات السلام العربية الإسرائيلية .

لقد كان كارتر بطيئا فى إدراك عمق ارتباط بيجين بالضفة الغربية وغزة . كما كان بطيئا فى فهم قضية الربط .(١٧) وعندما أصبحت مصر وإسرائيل فى حالة سلام لم تعد لدى بيجين حوافز

للتعامل بشكل بناء مع المسألة الفلسطينية . كان السادات يشعر بحاجة قوية إلى الربط ، وحاول لشهور عديدة أن يقيم نوعا من الرابطة الواضحة بين ما قد يحدث فى العلاقات الثنائية المصرية الإسرائيلية والمفاوضات الفلسطينية . إلا أنه عندما تعرض لضغوط من كارتر بسبب تشدد بيجين ، وعندما قوبل بالعداوة من جانب الزعماء العرب الآخرين ، وطد السادات نفسه على قبول الاتفاق المنفصل الذى كان يأمل فى تجنبه عندما ركب الطائرة متجها إلى القدس لأول مرة فى نوفمبر ١٩٧٧ .

الباب الخامس

فترة رئاسة ريجان

الفصل الثالث عشر

تجدد الحرب الباردة :
من المسؤول ؟

كان انتخاب رونالد ريجان رئيسا للجمهورية فى نوفمبر عام ١٩٨٠ حدثا فاصلا فى السياسة الأمريكية ، إذ نادرا ما تواجه فى حملة انتخابية مرشحان مختلفان إلى هذا الحد مثل رونالد ريجان وجيمى كارتر . فقد كان ريجان ، الذى تولى منصب حاكم ولاية كاليفورنيا لفترتين ، وعمل كممثل سينمائى متوسط النجاح ، ينتمى للجناح المحافظ من الحزب [illegible]
موضوعين رئيسيين هما : أن الحكومة الاتحادية متضخمة بأ[illegible]
الشيوعية شر يجب محاربته دون هوادة . وكانت زيادة ال[illegible]
الأساسية فى برنامج سياسته الخارجية .

وفيما عدا هذين المبدأين العريضين ، كان من الصعب معرفة ما سيأتى به ريجان إلى منصب الرئاسة ، ولا سيما فى مجال الشؤون الدولية . ولكنه كان من المؤكد أنه سوف ينسلخ عن النهج الذى اتبعه كارتر تجاه العالم . فلن يكون هناك مزيد من تبادل الأحضان مع بريجنيف ، أو المهادنة مع الدكتاتوريين ، أو التملق لليساريين ، أو الضغط على الأصدقاء . بل بدا ريجان مستعدا لأن يعكس اتجاه العلاقات مع الصين ، حيث كان يتحدث بإعجاب عن تايوان عند مقارنتها بـ « الصين الحمراء » .

وحتى لو لم يكن ريجان قد جاء إلى الرئاسة باعتباره عدوًّا عنيدا للشيوعية ، لكانت الأحداث القريبة العهد قد كفلت توتر العلاقات الأمريكية السوفيتية . فقد كان غزو السوفيت لأفغانستان فى أواخر ١٩٧٩ علامة تثير القلق على شزوعهم فى انتهاج سياسة خارجية أكثر عدوانية ، لها مضاعفاتها بالنسبة لمنطقة الخليج على وجه الخصوص . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد نشبت الحرب بين إيران والعراق فى سبتمبر ١٩٨٠ ، وخشى كثيرون فى واشنطن من أن يحاول السوفيت استغلال هذا النزاع من أجل الزحف إلى منطقة الخليج الحساسة . ولم يكن ريجان وحاشيته ، بعد أن وضعوا هذه المشاغل فى اعتبارهم ، يميلون إلى الضغط بقوة من أجل تحقيق تقدم فى عملية السلام العربية الإسرائيلية . وعلى أى حال ، فقد كانت عواطف ريجان مع إسرائيل ، ولم تكن إسرائيل تتعجل التحرك .

ويبدو أن ألفة ريجان مع « هوليوود » قد عرّفته ، بصورة سطحية فقط ، مع شخصيات لها

علاقات حميمة مع إسرائيل . ولكن آراءه بشأن الشرق الأوسط كانت ، عدا ذلك ، غير معروفة تقريبا ، باستثناء إحدى المقالات التى نُسبت إلى كاتب مجهول ، والتى ظهرت فى غضون الحملة الانتخابية . وفى هذه المقالة ، أظهر ريجان التزاما قويا تجاه إسرائيل باعتبارها الصديق الوحيد للولايات المتحدة الذى يمكن الاعتماد عليه فى الشرق الأوسط ، بسبب ما لديها من قِيم ديمقراطية وقوة عسكرية على حد سواء . وكان النزاع فى الشرق الأوسط لا يوصف إلا بلغة الحرب الباردة ، ولا تكاد ترد إشارة إلى عملية السلام .

ووردت الإشارة الوحيدة إلى الفلسطينيين فى هذه المقالة فى تحذير من إقامة دولة فلسطينية راديكالية على حدود إسرائيل . ولم تظهر فى أى جزء بالمقالة عبارات « كامب ديفيد » أو « عملية السلام » أو « مفاوضات » . كذلك أغفلت المقالة فكرة وجود إسرائيل ومصر كشريكين فى عملية السلام ، وحل محلها وصف إسرائيل بأنها رصيد استراتيجى هائل . وورد فى المقالة أيضا أن مصر قد تكون مستعدة « لأن تأخذ موقعا أماميا فى الدفاع عن مصالح الأمن الغربية » ، إلا أن هذا الاحتمال اعتُبر بمثابة رابطة « ثانوية » لا يمكن أن تكون « بديلا عن وجود إسرائيل القوية فى منطقة الشرق الأوسط التى تسودها الاضطرابات بصورة دائمة » .(١)

ومن ثم ، فمن الناحية الظاهرية ، بدا محتملا أن يحوّل ريجان السياسة الأمريكية فى المنطقة بعيدا عن نهج كامب ديفيد تجاه منافسة أكثر قوة لاستعراض العضلات مع موسكو من أجل تحقيق النفوذ . وفى هذا سوف تعتبر إسرائيل بمثابة شريك استراتيجى ، وسوف يعطى الاشتراك فى محادثات السلام أولوية أقل من دعم النفوذ الأمريكى فى منطقة الخليج . وقد تُخفض مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى بعض البلدان العربية ، مثل الأردن ، فى حين قد تستمر الأسلحة فى التدفق على المملكة العربية السعودية . وبالنظر إلى وعود الحملة الانتخابية ، بدا محتملا أن يصدر ريجان أوامره إلى السفارة الأمريكية فى إسرائيل بالانتقال من تل أبيب إلى القدس ، وهو إجراء رمزى له دلالة كبيرة . وخلاصة القول ، إن برنامج ريجان بدا كما لو كان يعكس الآراء المحافظة الجديدة ، الموالية لإسرائيل التى كانت منتشرة بين مستشاريه وكبار المسؤولين .(٢)

لم يكن ريجان معتنقا لأيديولوجية موالية لإسرائيل ومعادية للشيوعية فحسب ،(٣) بل لم يكن أيضا مهتما بشكل واضح بنوع التفاصيل التى استهوت سلفه ، إذ كان يكفيه على ما يبدو وضع الخطوط العريضة للسياسات ، تاركا لمساعديه النقاط الدقيقة المتعلقة بالتفسير والتنفيذ .(٤)

ولعل أقل ما يقال هو أن ريجان أظهر اهتماما ضئيلا بالفوارق الدقيقة فى سياسات الشرق الأوسط .(٥) وربما كان ريجان ، أكثر من أى رئيس آخر ، يعتمد اعتمادا كبيرا على موظفيه ، وعلى زوجته ، التى كانت لها قدرة ثاقبة فى الحكم على الناس وكانت مصممة بقوة على حماية زوجها من النقد . وكان الاعتقاد السائد أنه للوصول إلى الرئيس لابد للمرء أن يخترق الجدار الذى أقامته نانسى ريجان وثلاثى مستشاريه الحميمين – إدوين ميس ، ومايكل ديفير ، وجيمس بيكر . بل إن أحد أعضاء مجلس الوزراء الأقوياء ، مثل وزير الخارجية ألكسندر هيج ، قد شعر بالإحباط فى محاولاته للتعامل مع ريجان . أما مستشار الأمن القومى ، ريتشارد آلن ، فقد أبعد إلى بدروم البيت الأبيض ، وكان يرسل مذكراته إلى الرئيس عن طريق ميس المعروف بعدم كفاءته . ولم

يكن بين هذه المجموعة سوى وزير الدفاع كاسبار واينبرجر الذى كانت على ما يبدو تربطه علاقة شخصية مع الرئيس أتاحت له وصولا مباشرا منتظما إليه .

ويرجح أن يكون لهؤلاء الرجال الثلاثة ، هيج وواينبرجر وآلن ، الذين شغلوا مواقع السياسة الخارجية الرئيسية فى حكومة ريجان ، نفوذ كبير بشأن كيفية معالجة ريجان للقضايا المتعلقة بالشرق الأوسط . فقد عمل هيج فى المجال العسكرى ، وكنائب لكيسنجر فى البيت الأبيض ، وكرئيس لهيئة موظفى البيت الأبيض فى عهد نيكسون . وكان من المتوقع أن يكون مواليا قويا لإسرائيل ، ومتشككا إلى حد ما فى عملية السلام ، ومرتابا بشدة فى نوايا السوفيت بالمنطقة . وحسبما يبدو ، لم تكن آراؤه هو وريجان تختلف كثيرا .

وكانت إمكانية التنبؤ بآراء واينبرجر فى مجال السياسة الخارجية أقل . فقد تضمنت خدمته الحكومية السابقة قضايا اقتصادية ، وكانت خبرته فى مجال الأعمال مع مؤسسة بكتل ، وهى شركة بناء ضخمة لها خبرة واسعة فى الشرق الأوسط ، بما فى ذلك المملكة العربية السعودية . وأمضى واينبرجر بعض الوقت فى المملكة العربية السعودية ، ويرجح أنه كان على دراية بالآراء العربية . ونظرا لأنه كان يشارك الرئيس فى نظرته المحافظة المناهضة للشيوعية ، فقد كان يمكن الاعتماد عليه فى دعم السعوديين كعامل استقرار واعتدال فى المنطقة .[٦]

ومع افتراض أن هيج وواينبرجر كانا يميلان فى اتجاهين مختلفين بشأن قضايا الشرق الأوسط ، فإنه لم يكن بوسع أحد أن يخمّن كيف يمكن لريجان أن يحسم القضايا المحددة فى حالة انقسام الرأى . وكان مستشاره لشؤون الأمن القومى يبدو أضعف من أن يكون حكما فعالا بين شخصيتين قويتين مثل هيج وواينبرجر . وبالمثل ، لم يكن محتملا أن تحظى سفيرة ريجان لدى الأمم المتحدة ، جين كيركباتريك بهذا النوع من النفوذ الذى يتأتى نتيجة لقربها من الرئيس . ومع ذلك ، فإنها باعتبارها واحدة من المثقفين القليلين فى حاشية ريجان ، وباعتبارها من المحافظين الجدد الملتزمين ، كان صوتها مسموعا من وقت لآخر .[٧]

وكان وليام كيسى ، مدير وكالة المخابرات المركزية فى عهد ريجان ، هو الشخص الأقل ظهورا ، وإن كان مهما جدا . إذ كانت تتوافر لكيسى خلفية فى مجال الاستخبارات منذ أيام الحرب العالمية الثانية ، وقد ألف كتبا عن كيفية كسب الأموال ، وكانت لديه حسب جميع الروايات ، نزعة شديدة إلى العمل السرى وشهية نهمة لجمع الحقائق والمعلومات . وهو من الشخصيات النادرة التى كانت تقرأ الكتب بين المحيطين بريجان . بيد أنه لم يكن من ذوى العقول التى تمعن التفكير . فقد كان رجل عمل وتنفيذ ، ولم يتعود كثيرا على التنظير المجرد .[٨] وعلى ضوء هذه الخلفية ، يتوقع المرء أن يرى كيسى فى إسرائيل حليفا نموذجيا – حليفا له قوة وقدرة على استعراض العضلات وله اتجاه عملى ، ومناهض للسوفيت ، ولديه إدارة مخابرات لها شهرة عالية .

الريجانية بدون تلميع : السنة الأولى

نُقل عن ريجان فى مرحلة من مراحل حملته الانتخابية للرئاسة قوله : « دعنا لا نخدع أنفسنا . فالاتحاد السوفيتى يقف وراء كل الاضطرابات الجارية . ولو أنهم كفوا عن ممارسة لعبة الدومينو ، لكان العالم قد خلا من أى منطقة ملتهبة » .[٩] ومن شأن منظور كهذا ، لو أنه كان انعكاسا حقيقيا لتفكير ريجان ، أن تكون له آثار ضمنية عميقة على طريقة معالجته لمشاكل الشرق الأوسط .

وقد كان إسهام ريجان كرئيس فى تشكيل السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط ، هو غرس موضوع الإثارة السوفيتية للاضطرابات الإقليمية فى تفكير معاونيه . وفى حين كان وزير الخارجية هيج يهتم بالفوارق الدقيقة بدرجة أكبر من ريجان ، فقد شاركه الرأى بأنه ينبغى النظر إلى الشرق الأوسط بصفة أساسية من خلال منظور التنافس الأمريكى السوفيتى .[١٠] وكانت تحوطه بوزارة الخارجية ، ويلتف حوله فى البيت الأبيض ووزارة الدفاع ، مجموعة من الوافدين الجدد ذوى العقلية المماثلة ممن تعوزهم الخبرة فى وضع السياسات الخارجية . وكان من المألوف سماع كبار المسؤولين وهم يقولون إن أشد المشاكل خطورة فى الشرق الأوسط هى وجود ما يزيد على عشرين فرقة سوفيتية على الحدود الشمالية لإيران .

وكان هيج قد بدأ يتحدث فى وقت مبكر من تولى إدارة ريجان ، عن الحاجة إلى محاولة صياغة « توافق فى الآراء بشأن الاهتمامات الاستراتيجية » بين نظم الحكم الموالية للغرب فى الشرق الأوسط . وإذا كانت هذه العبارة - التى لم تفسر مطلقا بوضوح - تعنى شيئا على الإطلاق ، فإنها قد تعنى محاولة تركيز انتباه « أصدقائنا » فى المنطقة على الخطر السوفيتى ، مع محاولة تنحية النزاعات المحلية المحدودة جانبًا فى الوقت نفسه . وجرى اختبار لهذا الرأى فى وقت مبكر فى شكل قرار يتعلق ببيع طائرات رادارية متطورة تعرف باسم طائرات أجهزة الإنذار والمراقبة المحمولة جوا (الأواكس) للمملكة العربية السعودية .

ففى الظروف العادية ، يمكن للمرء أن يتوقع من الإسرائيليين أن يثيروا عاصفة شديدة ، على أساس أن وجود هذا النوع من الطائرات فى المملكة العربية السعودية قد يهدد أمنهم . ولكن إذا كانت إسرائيل والمملكة العربية السعودية كلتاهما جزءا من توافق الرأى الاستراتيجى برعاية الولايات المتحدة ، وكان الجانبان يعتبران أن الاتحاد السوفيتى يمثل التهديد الرئيسى لأمنهما ، فقد يمكن إقناع الإسرائيليين بالسماح بإتمام عملية البيع لمصلحة تعزيز الجبهة المشتركة ضد السوفيت وعملائهم . بيد أنه لم يتحقق توفيق من هذا القبيل . فقد قررت إسرائيل ومناصروها فى الولايات المتحدة أن يحولوا هذه القضية إلى معركة شاملة . وفى نهاية الأمر خسروا هذه المعركة ، إذ بيعت طائرات الأواكس ، ولكن فقط بعد أن استخدم ريجان هيبته ليفصل فى هذه القضية ، وبعد أن وافق بعض الشىء على تلبية الاهتمامات الإسرائيلية .[١١] وقد أصبح الحديث عن توافق الرأى الاستراتيجى ، بعد معركة الأواكس ، أقل كثيرا عن ذى قبل ، وصرح هيج نفسه مرارا بأن هذه الفكرة لم تفهم مطلقا بشكل صحيح .

ولم تكن المناقشة التى دارت حول طائرات الأواكس هى العلامة الوحيدة على أن حكومة ريجان الموالية لإسرائيل ستواجه ، رغم ذلك خلافات معها . ففى منتصف ١٩٨١ ، عشية الانتخابات العامة فى إسرائيل ، أصدر رئيس الوزراء بيجين أوامره بقصف المفاعل النووى العراقى الواقع على مشارف بغداد . ومع أن كثيرين من المسؤولين فى واشنطن قد أبدوا إعجابا لا شك فيه بالكفاءة التقنية لإسرائيل ، وكانوا يستحسنون فى الخفاء العمل الجسور الذى قام به بيجين ، فقد كان من الصعب تفسير التأييد العلنى لهذا الشكل من سياسة « عدم الانتشار » تجاه العراق ، وهو عضو فى الوكالة الدولية للطاقة الذرية . ولذلك ، لجأت الولايات المتحدة لفترة قصيرة إلى توبيخ إسرائيل بصورة رمزية بوقف تسليمها طائرات من طراز « اف - ١٦ » .

ووسط هذه التحديات غير المتوقعة ، وجدت إدارة ريجان العزاء فى أن مصر بدت فى ظل حكم أنور السادات ، مستقرة ومتخذة موقفا وديا . إلا أن هذا الافتراض واجه تحديا كبيرا بصورة مثيرة يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، عندما اغتيل السادات على يد المتطرفين الإسلاميين . وكان من الاتهامات التى وجهوها إليه اتجاهه ناحية الغرب ، واتفاق السلام الذى وقعه مع إسرائيل . وكان خليفة السادات ، حسنى مبارك ، معروفا تماما للأمريكيين ، ولكن لم يكن هناك اطمئنان إلى أن مصر ستظل مستقرة . وعلى أسوأ تقدير ، سيصبح السلام مع إسرائيل موضع شك ، ومن ثم المراحل الأخيرة من الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ، فضلا عن محادثات الحكم الذاتى الفلسطينى .

وفى هذه الظروف المضطربة ، نشبت أزمة أخرى فى ديسمبر ١٩٨١ ، عندما قررت إسرائيل مد العمل بالقوانين الإسرائيلية إلى مرتفعات الجولان ، وهى خطوة أقرب ما تكون إلى الضم مباشرة . وكانت إدارة ريجان قد وقعت لتوّها اتفاقا للتعاون الاستراتيجى المناهض للسوفيت مع إسرائيل فى نهاية نوفمبر . إلا أنه تم تعليق هذا الاتفاق يوم ١٨ ديسمبر كإشارة إلى عدم موافقة واشنطن على الإجراء الإسرائيلى بشأن الجولان .[١٢]

وفى ضوء هذه التطورات ، ربما بدأ الناس يتساءلون عما يشكل جوهر العلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل ، والتى كانت موضع التفاخر . وسرعان ما قدم وزير دفاع بيجين الواثق من نفسه ، آريل شارون ، الإجابة عن هذا السؤال ، على الأقل من المنظور الإسرائيلى . وكان لبنان هو ساحة الاختبار .

أزمة فى لبنان

فى عالم الريجانية المجردة ، كانت المشاكل المزمنة ، مثل المشاكل القائمة فى لبنان ، إما أنها لا تستحق إيلاء اهتمام كبير ، أو أنها نعتبر أعراضا للمتاعب التى يثيرها السوفيت . ولم يكن غريبا أنه لم تكن لدى مساعدى البيت الأبيض قدرة كبيرة على الصبر على المناقشات المحيرة التى تدور حول ديناميات السياسة الداخلية فى لبنان . وكان هؤلاء المساعدون على ما يبدو ، يتساءلون عما إذا كان هناك من يستطيع أن يتتبع كل هذه الطوائف وزعماءها ذوى الأسماء التى يتعذر النطق بها ؟

ولكن لبنان كانت لديه طريقة حاصة بقحم بها نفسه فى جدول الأعمال الأمريكى ، وذلك بسبب

المخاوف الإسرائيلية . ففى مطلع ١٩٨١ تصاعدت المصادمات بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عبر الحدود الشمالية لإسرائيل ، وتم جرّ سوريا إلى هذا النزاع . وطلب ريجان إلى الدبلوماسى المخضرم فيليب حبيب أن يحاول تهدئة الأمور . وهكذا وجدت الولايات المتحدة نفسها تتفاوض بشأن وقف إطلاق النار بين هذين العدوين الرئيسيين . وبعد منتصف ١٩٨١ ، عادت الحدود اللبنانية الإسرائيلية إلى الهدوء ، رغم أن أحدا لم يكن يثق فى أن يدوم هذا الهدوء لفترة طويلة .

فلقد كانت لدى الزعماء الإسرائيليين ، ولا سيما شارون ، خطط أكبر من ذلك فى لبنان . فقد مضت سنوات عديدة والإسرائيليون يعملون سرا على تقوية الزعيم المتشدد لإحدى الميليشيات اللبنانية المسيحية ، بشير الجميّل . ومع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية فى لبنان ، والتى كان محددا لها النصف الثانى من ١٩٨٢ ، وجدها الإسرائيليون فرصة لمساعدة رجلهم فى تولى السلطة . وكان شارون ورفاقه مصممين أيضا على سحق الوجود العسكرى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الجنوب اللبنانى . وفى بعض من السيناريوهات الأكثر إثارة ، قد تحاول إسرائيل أيضا طرد القوات السورية من لبنان ، وتلحق من خلال هذه العملية ضربة ثقيلة بالعميل الرئيسى للاتحاد السوفيتى .(١٣)

وكانت هذه الاحتمالات خطيرة بدرجة تتطلب تخطيطا دقيقا ومحاولة للتنسيق مع الولايات المتحدة . وخلال زيارات لواشنطن فى مطلع ١٩٨٢ ، عرض المسؤولون الإسرائيليون خطتهم الطموحة المتعلقة بلبنان بتفصيل كبير . وارتاع بعض المسؤولين بوزارة الخارجية ، وخشوا أن يحصل شارون من هيج على انطباع بأن الولايات المتحدة تشجع أو على الأقل تقبل بخطته . وكان هيج قد أعلن مرارا أن الولايات المتحدة لا تتقبل خطوة عسكرية كهذه إلا إذا كانت ردا على « تحرش معترف به دوليا » ، مهما كان المقصود من ذلك .(١٤) وبالنسبة للبعض ، بدت هذه العبارة كما لو كانت دعوة إلى إيجاد ذريعة لشن الحرب . وزعم بعض الإسرائيليين أن تصريحات هيج قد فُسرت فعلا على أنها إعطاء « الضوء الأخضر » .(١٥)

وفى الجزء الأول من ١٩٨٢ ، كان أحد الاهتمامات الرئيسية لواشنطن يتمثل فى تنفيذ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية بطريقة سلسة . ولم يكن هذا بأى حال أمرا مؤكدا ، إذ أن اغتيال السادات أثار تساؤلات فى أذهان الإسرائيليين حول متانة التعهدات التى قدمها السادات . واعتقد بعض المحللين أن بيجين قد يبحث عن ذريعة لتأجيل المرحلة الأخيرة من الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ، ولا سيما أن خطوة كهذه سوف تؤجل اللحظة المؤلمة سياسيا ، لحظة إزالة المستوطنات الإسرائيلية حول العريش ، وإرغام ١٥٠٠٠ إسرائيلى يعيشون هناك على ترك منازلهم . ولم يكن أحد فى واشنطن يريد اشتعال الموقف فى لبنان مما يظلل آفاق التنفيذ الكامل لاتفاق السلام المصرى الإسرائيلى . ولذلك بُذلت جهود دبلوماسية كبيرة طوال عدة شهور ، من أجل احتواء إمكانية نشوب نزاع فى لبنان ، وتسهيل الانسحاب النهائى للقوات الإسرائيلية من سيناء . وباستثناء منطقة صغيرة متنازع عليها ، تسمى طابا ، خرجت جميع القوات الإسرائيلية من سيناء يوم ٢٥ أبريل . وعندما تبين أن الأمم المتحدة غير مستعدة لتوفير قوة لحفظ السلام فى سيناء ، اتخذت الولايات المتحدة

زمام المبادرة بإنشاء قوة متعددة الجنسيات تضم جنودا أمريكيين . وكانت مصر وإسرائيل على حد سواء مرتاحتين لهذا الترتيب ، وقد استمر تطبيقه بطريقة سلسة فى السنوات التالية . وبدون إثارة ضجة كبيرة ، أسهم الديبلوماسيون الأمريكيون فى الحفاظ على سلامة العلاقات المصرية الإسرائيلية .

وكجزء من هذا الجهد سافر هيج إلى المنطقة مرتين خلال يناير ١٩٨٢ ، فى محاولة لإحياء محادثات الحكم الذاتى المتوقفة . ولكن مبارك أبدى حذرا كبيرا إزاء ذلك ، وسرعان ما توقفت هذه المحاولة . وهكذا ، فعندما زادت التوترات على الحدود اللبنانية الإسرائيلية ، كان السلام بين مصر وإسرائيل فاترا ، على أحسن تقدير ، ولم تلح فى الأفق أية عملية تفاوضية أوسع نطاقا .

وسرعان ما ترددت بشكل منتظم شائعات عن خطوة ستتخذها إسرائيل ضد منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا فى لبنان . وبحلول مايو ١٩٨٢ ، لاح أن الأمريكيين العالمين ببواطن الأمور يسلمون بحتمية هذه الخطوة ، إن لم يكن باستصوابها .(١٦) وكان كل المطلوب هو إيجاد ذريعة . وقد جاءت فى يوم ٣ يونيو ١٩٨٢ ، فى شكل محاولة لاغتيال السفير الإسرائيلى فى لندن . وسرعان ما أتضح أن هذه المغامرة قد نُفذت بناء على أوامر صادرة من الإرهابى المارق ، أبو نضال . وسواء كانت هذه المغامرة تشكل « الاستفزاز المعترف به دوليا » الذى تحدث عنه هيج أم لا ، فإن إسرائيل لم تنتظر لاكتشاف ذلك . فقد وجهت ضربتها إلى مستودعات الذخيرة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ، وردت المنظمة بقصف المدن داخل إسرائيل . وبعد ذلك ، عبرت ست فرق إسرائيلية إلى داخل لبنان يوم ٦ يونيو – « عملية السلام فى الجليل » – واتضح على الفور أن ما يجرى ليس مجرد غارة انتقامية صغيرة .(١٧)

وعندما بدأ الغزو الإسرائيلى ، كان ريجان يقوم بجولة فى أوروبا . وكانت علاقاته مع هيج متوترة إلى حد ما ، وأخذ آخرون فى حاشية ريجان يبحثون على ما يبدو عن وسيلة لتهدئة وزير الخارجية سريع الغضب . ولم يلبث أن ظهرت خلافات تاكتيكية حول كيفية التعامل مع إسرائيل أثناء أزمة لبنان ، إذ شعرت زمرة تلتف حول هيج أن إسرائيل ، مهما كان المبرر الأصلى لتدخلها فى لبنان ، يجب ألا توقف دون تدمير منظمة التحرير الفلسطينية . وعلى غير العادة ، وقفت جين كيركباتريك إلى جانب هيج ، الذى يعتبر عادة ألدّ منافسيها .(١٨) وعارض المشروع الكبير الذى خططته إسرائيل ، كل من جورج بوش نائب الرئيس ، الذى كان مكلفا بإدارة الأزمة فى البيت الأبيض ، وحليفه الحميم رئيس هيئة موظفى البيت الأبيض جيمس بيكر .(١٩) أما وليام كلارك الذى حل محل آلن كمستشار للأمن القومى فى مطلع ١٩٨٢ ، فقد أيد أيضاً كبح جماح إسرائيل ، مثلما فضل وزير الدفاع واينبرجر .

وبعد أن مرت الأيام الأولى من الأزمة ، بدا شارون عازما على عزل القوات السورية ، دون أن يترك لها من خيار سوى الانسحاب المهين . وحسب هذا السيناريو ، قد يسقط الرئيس الأسد من الحكم . ويصبح لبنان ، حسب أقل تقدير ، متحررا من السيطرة السورية ، وكان هذا ما يتوق حلفاء إسرائيل من الكتائبيين إلى تحقيقه نتيجة للغزو الإسرائيلى . وفى المقابل ، كانت هزيمة منظمة التحرير الفلسطينيه مع ترك سوريا باقية فى لبنان ، أقل أهمية بالنسة للكتائبيين .

ويبدو أن شارون كان يعتمد على أن ريجان لن يتدخل بقوة . وكان هذا خطأ في التقدير ، إذ أن ريجان ، بالرغم من سلبيته ، كان في الإمكان أن يستثيره مستشاروه . فعندما كان يحاط علما بمشاهد العنف ، كان يستجيب في بعض الأحيان بصورة انفعالية تماما . وهكذا ، كتب ريجان يوم ٩ يونيو مذكرة من أشد المذكرات التي تلقاها رئيس الوزراء الإسرائيلي خشونة :

إنني أشعر ببالغ القلق نتيجة للتقارير الأخيرة عن حدوث زحف إسرائيلي آخر إلى وسط لبنان ، وتصاعد العنف بين إسرائيل وسوريا . لقد تجاوزت قواتكم كثيرا الأهداف التي أبلغتمونا بها . وقد تكون المزايا التعبوية ظاهرة ، ولكن الحاجة الأكثر أهمية هي تفادي نشوب حرب أوسع باشتراك سوريا ، وربما باشتراك السوفيت أيضا .

وقد تلقيت اليوم رسالة من الرئيس بريجنيف تعرب عن بالغ القلق من أن وضعا خطيرا جدا قد نشأ ، وأنه قد يخلق إمكانية تفجر أعمال عسكرية أوسع نطاقا . وبطبيعة الحال ، فإنني لم أقبل معظم النقاط التي وردت في رسالته ، إلا أن خطر حدوث تصاعد آخر لا يزال ماثلا .

ولقد أصبح واضحا الآن أنه حدث تصاعد في أعمال العنف بين سوريا وإسرائيل . وإنني لأدعوك الآن لأن تقبل وقف إطلاق النار في الساعة السادسة صباحا يوم الخميس ١٠ يونيو ١٩٨٢ . وأناشدك أن توصي حكومتكم بقبول اقتراحي .

مناحم ، إن رفض إسرائيل قبول وقف إطلاق النار سيزيد بدرجة أكبر من التهديد الخطير الذي يتعرض له السلام العالمي ، وسوف يخلق توترا شديدا في علاقاتنا .[٢٠]

ومن الصعب أن نتصور أن ريجان شخصيا هو الذي اتخذ المبادرة بإرسال خطاب من هذا القبيل . والأرجح أن مساعديه رأوا أنه ينبغي إرغام إسرائيل على التوقف ، وأن ريجان وافق على ذلك .

وتجمع كافة المصادر على أن هيج كان غاضبا لعدم الأخذ بمشورته بترك الإسرائيليين ينهون المهمة التي بدأوها . وبدا أن ريجان ، يتجاهل آراءه ، بالنسبة لسلسلة كاملة من القضايا . وفي وقت مبكر يعود إلى يوم ١٤ يونيو كان هيج قد ألمح إلى أنه قد يستقيل من منصبه ما لم يعرب ريجان عن ثقته فيه . وأخيرا اجتمع ريجان يوم ٢٥ يونيو مع هيج ليقبل منه خطاب استقالته الذي لم يكن مكتوبا .[٢١] ولكن هيج استمر لفترة من الوقت في القيام بعمل وزير الخارجية ، محاولا توجيه مسار الدبلوماسية الأمريكية من المكان الذي انسحب إليه في منتجع جرينبراير في ويست فرجينيا . أما ريجان ، الذي لم تكن لديه قدرة على المواجهة ، فقد طلب في النهاية من وزير خارجيته المعيّن جورج شولتز ، أن يتصل بهيج يوم ٥ يوليو ، وأن يبلغه أن يكف عن التصرف كما لو كان لا يزال في منصبه .[٢٢]

وتبين هذه الواقعة الغريبة أن ريجان لم يكن فقط سريع التأثر بآراء مستشاريه ، بل كان يحجم أيضا عن فرض الانضباط عليهم . ويبدو أنه وجد أن المواجهات الشخصية غير سارة ، وعمل جاهدا على تفاديها . وبرحيل هيج ، خشي الإسرائيليون أن يكونوا قد فقدوا واحدا من أفضل أصدقائهم .

أما جورج شولتز ، الذي كان رئيسا لواينبرجر في شركة بكتل ، فقد كان الإسرائيليون ينظرون

إليه بارتياب . وجدير بالذكر أن شولتز ، الذى عمل من قبل وزيرا للعمل ثم وزيرا للخزانة ، كان مدرجا فى قائمة أفضل المرشحين لمنصب وزير الخارجية فى بداية تشكيل حكومة ريجان ، ولكن ريتشارد نيكسون دافع بقوة عن هيج مؤيدا تعيينه .(٢٣) وأثناء جلسات الاستماع الأولية للتصديق على ترشيحه فى مجلس الشيوخ فى شهر يوليو ، بدا شولتز شخصا حريصا واسع الاطلاع ، كثير الاهتمام بالفوارق الدقيقة المتعلقة بالوضع الإقليمى فى الشرق الأوسط . وتناول القضية الفلسطينية بطريقة صريحة مباشرة ، مما أكد لدى البعض سمعته كصديق للعرب .(٢٤)

وقد اتجه شولتز كوزير للخارجية ، باهتمامه فورا إلى عملية السلام التى تم تجاهلها فترة طويلة ، وكان فى رأيه أن الغزو الإسرائيلى للبنان سوف يدمر فرصة السلام ما لم تقم الولايات المتحدة بمبادرة جديدة . كذلك كان يشعر بالقلق إزاء تأثير هذا الغزو على العلاقة المصرية الإسرائيلية التى لا تزال هشة . وهكذا ، عقد يوم ١٧ يوليو فى هدوء اجتماعا لفريق عمل من كبار المسؤولين للبدء فى التخطيط « لبداية جديدة » بشأن صنع السلام العربى الإسرائيلى .(٢٥)

وفى حين كان شولتز يؤيد استئناف دبلوماسية السلام ، فإنه لم يكن ينظر باستحسان إلى ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية . وكان من رأيه أنه ينبغى ألا يحصل عرفات على مكافأة مقابل رحيله عن بيروت . إلا أنه فى اللحظة التى انتهى فيها القتال فى لبنان ، وكانت منظمة التحرير فى طريقها إلى موقع جديد ، كان شولتز مصمما على أن يقوم بمبادرة سلام لائقة ، وألا ترجأ هذه المبادرة لحين حل مشاكل لبنان . كذلك ، كان يرى أنه ينبغى أن تحمل هذه المبادرة بصمة الرئيس ، مما يضفى عليها مزيدا من الثقة . وكان استعداد ريجان للمضى فى هذا النهج يتزايد بعد أن شاهد القصف الإسرائيلى لبيروت . وفى ٣٠ يوليو ، عرض شولتز على ريجان مشروع مبادرة السلام الجديدة . وفى وقت لاحق بعد الظهر ، اتصل مستشار الأمن القومى ، كلارك ، بشولتز ليقول له « إن صداقة الرئيس لإسرائيل تتناقص فالأمور قد تجاوزت الحد » .(٢٦)

وخلال فترة طويلة من أغسطس ١٩٨٢ ، حاولت الولايات المتحدة ، مرة أخرى بالمساعدة النشيطة لفيليب حبيب ، أن تضع حدا للقتال الدائر فى لبنان ، وأن ترتب لإجلاء مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت .(٢٧) بل لقد أرسلت فرقة عسكرية أمريكية إلى لبنان كجزء من قوة دولية من أجل المساعدة فى الإشراف على رحيل منظمة التحرير الفلسطينية . ولم يعاون حبيب فى إنهاء سفك الدماء فحسب ، بل عمل بنجاح على انتخاب بشير الجميّل رئيسا جديدا للبنان . ومن أجل تأمين رحيل منظمة التحرير الفلسطينية عن لبنان ، قدم لها تعهدات كتابية بأنه قد تم الحصول على تطمينات من الإسرائيليين بسلامة المدنيين الفلسطينيين الذين سيبقون فى لبنان بعد رحيل المنظمة .(٢٨)

خطة ريجان

بحلول أواخر أغسطس ١٩٨٢ ، بدت حكومة ريجان على شفا تحقيق نجاح فى خضم الصراع اللبنانى العنيف ، وذلك مع قرب تنصيب رئيس موال للغرب فى لبنان ، ومع القصف الشديد الذى تعرض له السوريون فى منطقة البقاع شرقى لبنان ، ومع طرد منظمة التحرير الفلسطينية خارج

البلد ، (فى حين بدا السوفيت عاجزين عن القيام بالكثير لمساعدة زبائنهم ، وقاسوا من ضياع هيبتهم السياسية فى لحظة حرجة من الحرب الباردة التى تحددت فى السنوات الأولى من الثمانينات) .

وكان شولتز قد حصل يوم ١٣ أغسطس على موافقة الرئيس على مبادرته المسماة « البداية الجديدة » . وشعر شولتز بأن ريجان قد انغمس فى نهاية الأمر فى صنع السياسات المتعلقة بالشرق الأوسط ، بل لقد كلف شولتز فى اليوم التالى كبار المسؤولين بأن « يفوموا بأدوار » بيجين ومبارك والملك حسين ، لتحديد رد فعلهم المحتمل إزاء مبادرته الجديدة . وقد قال ميس ، وهو يرقب اهتمام الرئيس المتجدد ، إن ريجان كان مستعدا لهذه اللحظة منذ عام مضى ، ولكن هيج أبقاه بمنأى عن قضايا الشرق الأوسط .[٢٩]

وفى الوقت الذى كانت فيه منظمة التحرير الفلسطينية فى طريقها إلى خارج بيروت ، والولايات المتحدة فى موقف يتسم بالقوة الديبلوماسية الظاهرة ، حث شولتز الرئيس على أن ينتهز هذه الفرصة لوضع خطة جديدة لإيجاد تسوية سلمية للنزاع الإسرائيلى الفلسطينى . وتوقع شولتز أن يكون رد فعل الإسرائيليين على وجه الخصوص سلبيا ، إلا أنه كان يعتقد مع ذلك أن الولايات المتحدة يمكن أن تساعد فى وضع جدول أعمال ما بعد الحرب . وفى أول سبتمبر ١٩٨٢ ، ألقى ريجان أول وآخر خطاب هام له بشأن النزاع العربى الإسرائيلى (أنظر الملحق « ح ») .

كانت كامب ديفيد ، لاتزال هى جوهر هذه المبادرة ، لكن مع إدخال إضافات جوهرية هامة . ففى حين كانت كامب ديفيد غامضة بالنسبة لما يسمى الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة بعد المرحلة الانتقالية ، قال ريجان إن الولايات المتحدة سوف تعارض الضم الإسرائيلى وقيام دولة فلسطينية مستقلة على حد سواء . وأضاف أن أمريكا تفضل قيام شكل من أشكال الاتحاد بين الضفة الغربية وغزة والأردن . وكيلا يتبقى أى شك ، قال ريجان إن الولايات المتحدة تعتقد أن النص الذى يتعلق بالانسحاب فى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ يجب أن يطبق على الضفة الغربية وغزة ، وهو موقف يختلف تماما مع موقف بيجين وسياسة حزب الليكود .

وبعد أيام كشفت الولايات المتحدة عن آرائها بتفصيل أكبر . فهى مثلا ستؤيد فى المرحلة الانتقالية تجميد المستوطنات الإسرائيلية ، وأن يكون للفلسطينيين سلطة فعلية على الأرض والموارد ، وأن يسمح للفلسطينيين المقيمين فى القدس الشرقية بأن يدلوا بأصواتهم فى الانتخابات المتعلقة بسلطة الحكم الذاتى . وبالنسبة للمفاوضات المتعلقة بـ « الوضع النهائى » ، سجلت الولايات المتحدة أنها تؤيد الرأى القائل بأن مدى الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة سوف يتأثر بمدى وطبيعة ترتيبات السلام والأمن التى تُقدم فى المقابل . ولم يكن من المحتمل أن تحظى هذه المواقف بموافقة بيجين . وهى لم تحظ بالفعل بموافقته ، فقد جاء رد فعله غاضبا إزاء خطة ريجان ، كما كان من المحتم أن يطلق عليها .[٣٠]

وكان من الواضح أن مبادرة ريجان حوّلت الأضواء من مصر إلى الأردن والفلسطينيين ، وتركت سوريا فى الظل . ورفض بيجين الاقتراح على الفور لأنه يدعو إلى تخلى إسرائيل فى

نهاية المطاف عن معظم الأراضى المحتلة كثمن للسلام . أما رد الفعل العربى ، فكان إجمالا ، أقل حسما . فقد ثارت بعض التساؤلات ، وسمعت بعض الأصوات الإيجابية ، وتردد على نطاق واسع أن الملك حسين (وعرفات أيضا) قد اطلعا مقدما على المبادرة ، وأنهما أبديا موافقة بصورة عامة .[٣١]

وبعد مبادرة ريجان بوقت قصير ، عقدت الدول العربية مؤتمر قمة بمدينة فاس بالمغرب ، واعتمدت اقتراحا سعوديا عرف فيما بعد باسم خطة فاس . ومع أن خطة فاس تختلف فى محتواها عن اقتراح ريجان ، فإنها على الأقل قدمت للولايات المتحدة والعرب مادة يمكن الحديث بشأنها .

وقد قام قرار حكومة ريجان بالشروع فى مبادرة بشأن القضية الفلسطينية ، رغم الميل القوى ناحية الأردن ، على أساس الاعتقاد بأن مشاكل لبنان فى طريقها إلى الحل . وحتى قبل نشوب الحرب فى لبنان كان البعض فى الجهاز البيروقراطى يجهزون للقيام بمحاولة سلمية جديدة . وكان شارون قد أبلغ الأمريكيين بأنه سيحل القضية الفلسطينية بطريقته – أى بتحريك الدبابات إلى لبنان ، وأنه عندما يتم سحق منظمة التحرير الفلسطينية ، سيصبح الفلسطينيون فى الضفة الغربية براجماتيين ومستعدين للتعامل مع الحقائق القائمة .

وأصبحت أوجه القصور فى رؤية شارون واضحة بدرجة كبيرة خلال أسابيع من مبادرة ريجان . فقد تبدد هباء الاعتقاد الباعث على الارتياح بأن معاناة لبنان قد انتهت تقريبا ، بصورة حرفية ومجازية ، وذلك بقيام العناصر الموالية لسوريا باغتيال بشير الجميّل يوم ١٤ سبتمبر ١٩٨٢ . وحينذاك أصبح الجنرال شارون ، الذى كان قد بحث مع الجميّل خطة « تطهير » لبنان من الفلسطينيين ، يرى أن هناك خطر ضياع الاستثمار الإسرائيلى الطويل الأجل نتيجة لوفاة بشير الجميّل . وألح شارون على قيادات القوات اللبنانية (الميليشيات المسيحية) وحزب الكتائب أن يحترما الصفقات التى اتفق عليها مع بشير ، وأن يستعدا لاتخاذ « إجراء فورى » . وفى ظل هذه الظروف ، كان لإسرائيل نفوذ عظيم على حزب الكتائب ، بما فى ذلك القدرة على منع أو منح المساندة لترشيح أمين ، شقيق بشير ، رئيسا للجمهورية .[٣٢]

وبعض التفصيلات عما حدث بعد ذلك ليست واضحة تماما ، إلا أن الخطوط العامة العريضة معروفة . فقد تحركت وحدات من ميليشيات القوات اللبنانية تحت قيادة إيلى حبيقة إلى مخيّمين للاجئين الفلسطينيين ، صابرا وشاتيلا ، على المشارف الجنوبية من بيروت ، وهناك وتحت أعين حلفائهم الإسرائيليين ، قتلوا بصورة منهجية نحو ٨٠٠ من المدنيين الفلسطينيين . وقد أثارت هذه المذبحة ردود فعل قوية فى كل مكان ، بما فى ذلك إسرائيل . وبعد ذلك بخمسة شهور ، وُجّه اللوم إلى شارون وعدد من الضباط الآخرين بسبب دورهم فى عدم منع وقوع هذه المذابح ، وأبعدوا من مناصبهم .[٣٣]

وتمثل رد الفعل الأمريكى إزاء مذابح صابرا وشاتيلا فى إعادة لبنان ومشاكله مرة أخرى إلى مقدمة جدول الأعمال . وأعيدت القوات العسكرية الأمريكية التى كانت قد سحبت بعد رحيل منظمة التحرير الفلسطينية ، إلى منطقة بيروت لحماية مخيمات اللاجئين وتوفير مساندة ظاهرة للحكومة اللبنانية المحاطة بالمشاكل . وأصبح التفاوض من أجل التوصل إلى اتفاق إسرائيلى لبنانى يعصى

إلى انسحاب كل من القوات الإسرائيلية والسورية على حد سواء ، أولوية للديبلوماسية الأمريكية ، على أن تصحبه فى شكل متوازٍ ، أو حتى تسبقه ، خطة ريجان للضفة الغربية وغزة .[٣٤] وقد بات أمل شولتز فى تفادى أن تصبح محادثات السلام العربية الإسرائيلية رهينة لمشاكل لبنان ، موضع شك بصورة متزايدة .

تملّق الملك حسين

بدأ الملك حسين ، وهو الهدف من مبادرة ريجان فى مرحلتها الأولى ، فى مراقبة كيفية معالجة الأمريكيين للورطة اللبنانية ، وذلك كاختبار لمدى جديتهم فى معالجة القضية الفلسطينية ، فقد كان يشعر مثل كثيرين من العرب بأنه إذا لم يستطع الأمْريكيون إخراج الإسرائيليين من لبنان ، لن تكون هناك فرصة كبيرة لزحزحتهم من الضفة الغربية . وكان الرئيس ريجان قد قوض بدرجة أكبر فرص نجاح مبادرته بقوله علنا إنه لن يفعل شيئا بشأن المسألة الفلسطينية إلى أن يتم التوصل إلى اتفاق بشأن لبنان .[٣٥] وكان هذا التصريح بالنسبة لمن عارضوا مبادرة ريجان منذ البداية – بما فى ذلك بيجين والأسد والسوفيت – دعوة لجعل الأمور فى لبنان صعبة بقدر الإمكان ، وذلك لضمان ألاّ تنجح « كامب ديفيد أخرى » ، كما كان السوريون يسمون مبادرة ريجان .

وقام الملك حسين بزيارة واشنطن فى ديسمبر ١٩٨٢ لإجراء محادثات مع الرئيس ريجان . وفى محاولة لإقناع الملك بتأييد مبادرة ريجان ، بعث الرئيس برسالتين إليه يعلن فيهما وعودا وتعهدات ، بما فى ذلك توريد الأسلحة ، إذا وافق حسين على الدخول فى مفاوضات . كذلك وعد ريجان بأنه سيعمل على إقناع إسرائيل بتجميد النشاط الاستيطانى فى الضفة الغربية متى بدأت المفاوضات مع الأردن ، وبأن المرحلة الانتقالية قد تنقص مدتها إلى أقل من خمس سنوات .

وحسب جميع الروايات ، استهوت هذه الأفكار الملك حسين ، ولكنه شعر بأن هناك حاجة إلى المساندة الفلسطينية . بيد أن الملك كان يعطى أحيانا انطباعا بأنه سوف يمضى قدما بدون عرفات لو ثبت أنه متصلب الرأى . ولم يكن شولتز ، الذى كان المسؤول الأول عن المفاوضات ، متأكدا مطلقا مما يمكن أن يستنتجه من تعليقات الملك حسين ، إلا أنه كان يشعر بأن « المتخصصين فى الشؤون العربية » بوزارة الخارجية ، يميلون إلى التفاؤل فى تقديراتهم .[٣٦]

وقد دارت محادثات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية فى الأشهر العديدة التالية . وانتهى الملك أخيرا ، فى أبريل ١٩٨٣ ، إلى أنه ليس هناك أساس للتوصل إلى موقف تفاوضى مشترك مع منظمة التحرير الفلسطينية . وألقى الأردنيون مسؤولية العجز عن التوصل إلى اتفاق على المتشددين الموالين للسوفيت فى حاشية عرفات . وتعرض الأردن أيضا لضغط سوفيتى مباشر لعدم المضى فى طريق التفاوض .[٣٧] وفى ١٠ أبريل ١٩٨٣ اتصل الملك بريجان لكى يبلغه أن محادثاته مع عرفات قد فشلت ، وأنه ليس مستعدا للتحرك بصورة مستقلة . وفى اليوم نفسه ، أعلن رسميا أن الأردن لا يمكن أن يقبل مبادرة ريجان ، قائلا « إننا فى الأردن ، بعد أن رفضنا منذ البداية أن نتفاوض بالنيابة عن الفلسطينيين ، لن نتصرف بصورة منفصلة ولا بالنيابة عن أى شخص

فى مفاوضات السلام الخاصة بالشرق الأوسط » .[٣٨] وبدت خطة ريجان فى هذه اللحظة جثة هامدة .

السلام بين لبنان وإسرائيل ؟

من المنظور الأمريكى ، أصبح صنع السلام العربى الإسرائيلى ، خلال الجزء المتبقى من عام ١٩٨٣ ، مرادفا لمحاولة التوصل إلى اتفاق لبنانى إسرائيلى قابل للتطبيق ، كخطوة نحو انسحاب كل من القوات الإسرائيلية والسورية من لبنان . وتوجه وزير الخارجية شولتز ، الذى أبدى إحجاما عن الاشتراك المُباشر فى رحلات مكوكية على غرار رحلات أسلافه ، إلى الشرق الأوسط لوضع اللمسات الأخيرة للاتفاق اللبنانى الإسرائيلى . وقد فعل ذلك جزئيا استجابة لمشاعر القلق التى أعرب عنها الرئيس مبارك . وكان شولتز يرتاب فى دور سوريا ، وحاول أن يحصل على المساندة السعودية للضغط على دمشق . كذلك واجه شولتز مشاكل مع الإسرائيليين ، الذين لم يكونوا مستعدين للتخلى عن حليفهم ، الرائد سعد حداد ، فى الجنوب اللبنانى . ولكن برغم كل العقبات ، بدا أن رحلات شولتز المكوكية تؤتى ثمارها . ففى ١٧ مايو ١٩٨٣ ، وقع لبنان وإسرائيل اتفاقا كان يقصر بقليل عن معاهدة للسلام .

ولكن الاتفاق وُلد ميتا . إذ كان الانسحاب الإسرائيلى متوقفا على الانسحاب السورى ، ولم يكن الأسد (الذى يتمتع بتأييد جهات مناصرة كبيرة داخل لبنان) ليقبل هذا الشرط . وبدت الولايات المتحدة وسوريا سائرتين فى طريق التصادم فيما بينهما . ففى شهر أبريل ، تعرضت السفارة الأمريكية لعمليات تفجير اتسمت بفاعلية مدمرة .[٣٩] وعزا الأمريكيون هذا القصف إلى اللبنانيين حلفاء إيران ، وربما باشتراك سورى أيضا . وخلال الصيف ، استؤنف القتال فى بيروت ، وعاد عرفات فى تحدٍ إلى مدينة طرابلس شمالى لبنان . أما سوريا ، التى كان السوفيت قد أعادوا تسليحها فى ذاك الوقت ، فقد أصبحت تشعر بثقة متزايدة فى مكانتها فى لبنان ، بما فى ذلك فى مواجهة منظمة التحرير الفلسطينية .

ومع تصاعد أعمال العنف ، بدأ الإسرائيليون ينسحبون من جبال الشوف التى تطل على بيروت ، تاركين الفرقة الأمريكية بالقرب من المطار معرضة للهجمات العدائية . ولم تمض فترة طويلة حتى وجد مشاة البحرية الأمريكية أنفسهم فى مواقعهم المحمية بدفاعات خفيفة ، وقد زُجَّ بهم فى المعارك الدائرة ببن اللبنانيين . وأخذت مهمة صنع السلام فى التآكل تدريجيا ، وأصبحت الولايات المتحدة مشاركا فى الحرب إلى جانب القوات المسيحية اللبنانية . وفى وقت تصاعد فيه التوتر بين الولايات المتحدة وسوريا ، اقتحمت ناقلة مشحونة بالمتفجرات فى ٢٣ أكتوبر ، معسكر الفرقة الأمريكية المشتركة فى قوة حفظ السلام المتعددة الجنسيات . وكان مفعولها مدمرا . إذ قُتل مائتان وواحد وأربعون جنديا أمريكيا .[٤٠] وفى الوقت ذاته ، هوجمت الوحدات الفرنسية والإسرائيلية بقنابل الشاحنات الانتحارية .

وخلال أيام من الهجوم الذى وقع على الجنود الأمريكيين فى بيروت ، وقَّع الرئيس ريجان التوجيه الثالث بقرار الأمن القومى رقم ١١١ ، والذى يقضى بإحياء اتفاق التعاون الاستراتيجى

الذى كان قد عُلّق فى ديسمبر ١٩٨١ .(٤١) ووفقا لبعض الروايات ، كان وكيل وزارة الخارجية لورانس إيجلبرجر قد خلص فى وقت مبكر من تلك السنة إلى أن التعاون الوثيق مع إسرائيل يعتبر أمرا أساسيا لنجاح السياسة الأمريكية فى لبنان . وقد تأثر فى توصله لهذا الرأى بالقرار الذى اتخذه وزير الدفاع الإسرائيلى الجديد موشى آرينز بسحب الجنود الإسرائيليين من وسط لبنان ، وهو إجراء ذو أهمية استراتيجية كبيرة ، وتم اتخاذه دون تنسيق مع واشنطن . وكان إيجلبرجر يأمل فى أنه بعودة العمل باتفاق التعاون الاستراتيجى ، ستصبح حكومة ريجان أكثر قدرة على التأثير على قرارات إسرائيل التى تمس المصالح الأمريكية . وبحلول نوفمبر ١٩٨٣ ، اتفق على عقد اجتماعات لأفرقة سياسية وعسكرية مشتركة لتحديد مجالات التعاون الاستراتيجى .

وكان قيام قيادة جديدة فى إسرائيل ، عاملا دعم ضرورة التعجيل بإعادة بناء العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . فقد كان من قبيل المفاجأة للكثيرين ، أن يعمد مناحم بيجين ، الذى كان يعانى من جراء وفاة زوجته مؤخرا ويشعر بالكآبة بسبب الحرب فى لبنان ، فى يوم ١٥ سبتمبر ، إلى إعلان استقالته والدخول فى فترة من العزلة استمرت حتى وفاته فى عام ١٩٩٢ . وحل محله إسحق شامير ، الذى كان عمله السياسى المبكر مع مجموعة شتيرن (ليحى) قد أكسبه شهرة بالتطرف والعنف . فبعد أن توارى شامير فى هامش الحياة السياسية فى السنوات الأولى بعد الاستقلال ، أمضى بضع سنين فى إدارة المخابرات الإسرائيلية ، الموساد ، وعاد إلى الاشتغال بالسياسة فى السبعينات كعضو فى حزب بيجين . وكان أثناء اتفاقات كامب ديفيد ، رئيسا للكنيست . وبعد أن استقال ديان ، من وزارة الخارجية فى أكتوبر ١٩٧٩ ، تردد بيجين قبل أن يعرض هذا المنصب على شامير ، إلا أنه فعل ذلك فى نهاية الأمر فى مارس ١٩٨٠ .(٤٢)

والآن ، بعد رحيل بيجين عن المسرح ، فاز شامير بتأييد حزب الليكود لكى يحل محله . وبدلا من بيجين وشارون ، وجد الأمريكيون أنفسهم يتعاملون مع شامير وآرينز ، وهو تغيير شعر البعض بأنه سيكون إلى الأفضل .

وأيا كانت الآفاق المتاحة لتحسين العلاقات مع إسرائيل ، فإن الحالة فى لبنان لم تكن توحى بأمل لدى ريجان وشولتز . وبعد عمليات تفجير القنابل التى حدثت فى أكتوبر ، أصبحت السياسة الأمريكية تستهدف معاقبة سوريا بشكل أكثر صراحة . وفى ٤ ديسمبر ١٩٨٣ ، أسقط السوريون طائرتين أمريكيتين ، وقُتل طيار وأسر آخر .(٤٣)

وفى وقت مبكر من عام ١٩٨٤ ، عندما كانت السياسات المتعلقة بإعادة الانتخاب هى الشاغل الرئيسى لبعض مستشارى الرئيس ، اتخذ ريجان ، برغم معارضة شولتز ، قرارا يقضى « بإعادة توزيع مشاة البحرية بعيدا عن الشاطىء » . وقد وصف النقاد هذا القرار بأنه « لوذ بالفرار » . ومهما تكن الكلمات التى يختارها المرء ، فإن الحقائق تظل هى ذاتها . إذ أخذ ريجان الذى كان يعلق الهيبة الأمريكية على التوصل إلى تسوية مستقرة فى لبنان ، يتملص من الدليل الملموس على هذا التعهد .(٤٤) وقرر أن يترك لبنان ، من الآن فصاعدا ، للنزاعات التى تدور بين طوائفه الداخلية وجارتيه القويتين .

هل هى فرصة ضاعت ؟

نادرا ما تشهد سنوات الانتخاب مبادرات جادة من قبل الرؤساء الأمريكيين تتعلق بالسلام العربى الإسرائيلى ، إذ تكون أولوياتهم مرتبطة بأماكن أخرى ، ويتم تفادى كل ما يثير الجدل ، وهو لازمة حتمية لأية مبادرة أمريكية جادة فى هذا الصدد ، وكذلك يُرجأ النظر فى طلبات نظم الحكم العربية للحصول على أسلحة أو مساندة ديبلوماسية إلى ما بعد الانتخابات.(٤٥)

بيد أن عام ١٩٨٤ لم يكن عاما ضائعا تماما . ففى وقت مبكر منه أعيدت لمصر عضوية المؤتمر الإسلامى ، وكانت تلك علامة على أنها لم تعد معزولة بسبب اتفاق السلام مع إسرائيل . وبعد مضى شهر ، ظهر مبارك والملك حسين معا فى واشنطن فى اجتماع مع الرئيس ريجان ، وكان ظهورهما معا هاما من الناحية الرمزية ، وذلك رغم أن مساندة مصر العلنية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد تسببت فى إثارة مشاعر سيئة فى الدوائر الأمريكية . وفى إسرائيل ، أسفرت الانتخابات التى أجريت فى منتصف السنة عما يشبه التكافؤ فى الأصوات بين حربى العمل والليكود ، مما أدى إلى قيام ائتلاف بين الحزبين ، والتناوب فى تولى رئاسة الحكومة . وتقرر أن يتولى شيمون بيريز رئاسة الوزارة فى العامين الأولين . وابتداء من أكتوبر ١٩٨٦ ، يتولى اسحق شامير رئاسة الوزارة خلال السنتين المتبقيتين . وطوال فترة السنوات الأربع يكون إسحق رابين وزيرا للدفاع . وكان هذا الاتفاق الذى يبدو غير عادى ، يعنى أن حكومة ريجان الثانية سوف تتعامل مع إسرائيليين فى السلطة لا يستبعدون بشكل تلقائى العناصر الرئيسية للقرار ٢٤٢ وتفسيره العملى كما أعلنه ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ . بل وبات واضحا على الفور أن بيريز والملك حسين يتلهفان على استطلاع مجالات التعاون ، وأنهما يتطلعان إلى واشنطن للحصول على مساعدتها ضد الخصوم المشتركين لخطة ريجان – أى الليكود وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية .

ويبدو أن هذا المزيج من التطورات الإقليمية ، بالإضافة إلى الفوز الانتخابى الكبير لريجان على والتر مونديل فى نوفمبر ١٩٨٤ ، قد مهد الطريق لجولة جديدة من المشاركة الأمريكية فى عملية السلام . فنادرا ما كانت الظروف السائدة أفضل من ذلك لمحاولة المضى قدما بصيغة ما لاتفاق أردنى إسرائيلى ، بشرط وجود تأييد فلسطينى كافٍ لإعطاء هذه الممارسة سمة الشرعية فى أعين العرب .

وفى خريف عام ١٩٨٤ ، أمضى ريتشارد ميرفى ، المساعد الجديد لوزير الخارجية الأمريكى لشؤون الشرق الأدنى ، ستة أسابيع فى المنطقة يستطلع الفرص المحتملة على جبهة السلام . وأعطى الملك حسين انطباعا بأنه مستعد للمضى قدما ، ربما بدون منظمة التحرير الفلسطينية ، ولأول مرة لم يصر على معرفة نتيجه المفاوضات قبل الاشتراك فى هذه العملية . ولو أن هذا الموقف أصبح موقفا أردنيا ثابتا ، فربما يغير احتمالات السلام بصورة جذرية ، ولاسيما مع وجود ائتلاف فى السلطة برئاسه حزب العمل . وأصبح شولتز أكثر تفاؤلا إزاء ديبلوماسية السلام التى تجمدت لفترة طويلة.(٤٦)

وكان القادة العرب قد أعربوا فى أحيان كثيرة عن الأمل فى أن يتمكنوا من التعامل مع رئيس

جمهورى يعاد انتخابه . ونبع هذا الرأى الذى يتضمن حنينا للماضى من فكرتهم عن فترة الرئاسة الثانية لأيزنهاور ، ولا سيما الطريقة العنيفة التى عامل بها دوايت أيزنهاور الإسرائيليين أثناء أزمة السويس فى ١٩٥٦ ، وبعدها . وها هم العرب الآن ، فى عام ١٩٨٥ ، يتعاملون مرة أخرى مع رئيس جمهورى أعيد انتخابه وله شعبية . ومن ثم قام الزعماء العرب ، واحدا تلو الآخر ، بزيارات لواشنطن فى النصف الأول من ١٩٨٥ . وكان أول من جاء هو الملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية ، وتبعه بعد ذلك بشهر الرئيس المصرى حسنى مبارك . وكان الأهم هو وصول الملك حسين إلى واشنطن فى نهاية مايو .

وكان قدر كبير من السياسة المصرية والأردنية فى ذلك الوقت يستهدف استثارة استجابة أمريكية إيجابية إزاء موقف مشترك بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية كان قد أعد فى بيان دقيق الصياغة تم التوقيع عليه فى ١١ فبراير ١٩٨٥ .(٤٧) ومن نواح كثيرة يمكن تفسير هذا الموقف المشترك للأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية على أنه استجابة متأخرة لمبادرة ريجان لعام ١٩٨٢ ، فقد أعلن الطرفان أن غايتهما المشتركة هى إنشاء اتحاد كونفيدرالى بين الأردن وفلسطين ، يقام عندما تنسحب إسرائيل انسحابا كاملا من الأراضى المحتلة . وتعهد الطرفان بأن يتفاوضا كوفد مشترك فى إطار المؤتمر الدولى .

وكان شولتز يلتزم الحذر إزاء فكرة عقد مؤتمر دولى ، إذ أن هذا المؤتمر ، كما يتوخاه العرب ، يمكنه أن يصبح أداة منحازة للضغط على إسرائيل من أجل تقديم تنازلات . وحتى بيريز لم يكن ليقبل مثل هذا الترتيب ، كما أن شركاءه فى حزب الليكود كانوا أشد عداء لهذه الفكرة . وعلى أكثر تقدير ، يمكن أن ينظر شولتز فى عقد مؤتمر رمزى لفتح الطريق أمام المفاوضات المباشرة . وإلى أن يعلن الأردن بوضوح أن منظمة التحرير الفلسطينية سوف تبقى فى الظل ، وأن المؤتمر الدولى لن يصبح مانعا يحول دون المفاوضات المباشرة ، فإن شولتز لن يبدى اهتماما كبيرا بهذا الاتفاق الجديد بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية .(٤٨)

ومع أن الاتفاق المؤرخ فى ١١ فبراير ١٩٨٥ ، أثار من الأسئلة أكثر مما قدم من إجابات لما يدور فى عقل حكومة ريجان ، فإن المحاولة الأردنية للتوضيح كانت باعثة على الاطمئنان . وصرح المسؤولون الأردنيون ، أثناء زيارتهم لواشنطن فى مايو بأن فكرة الاتحاد الكونفيدرالى تعتبر فعلا أكثر قربا من فكرة « الاتحاد الفيدرالى » ، مع إدراك الطرفين بصورة واضحة بأن المسؤولية عن الشؤون الخارجية والدفاع سيعهد بها إلى عمان . وعلاوة على ذلك ، قلل الأردنيون من أهمية المؤتمر الدولى ، مشددين بدلا من ذلك على الحاجة إلى وجود اتصال أمريكى مع مجموعة من الأردنيين والفلسطينيين . كذلك أوضحوا أنهم يعتقدون أن منظمة التحرير الفلسطينية يمكن أن تقتنع بقبول القرار ٢٤٢ ، ربما مقابل شكل من أشكال الاعتراف الأمريكى بحق تقرير المصير للفلسطينيين فى إطار الاتحاد الكونفيدرالى مع الأردن .(٤٩)

ومهما كانت درجة الإغواء التى تشعر بها بعض المسؤولين الأمريكيين للمضى قدما بطرح مبادرة فى هذه الظروف المواتية على ما يبدو ، فقد توافرت ثلاثة اعتبارات مقابلة . ففى المقام الأول ، سبق أن أعلن الرئيس ريجان ، فى مارس ١٩٨٥ ، أن الولايات المتحدة لا تريد أن تشارك

فى مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية ، بالرغم من الالتزام الوارد فى كامب ديفيد بأن تكون الولايات المتحدة « شريكا كاملا » فى المراحل التالية من محادثات السلام .(٥٠) وصرح ريجان وشولتز مرارا بأن المشكلة لا تتعلق بقيام الولايات المتحدة بإجراء محادثات مع الأطراف ، بل حمل الأطراف على أن يتحدث كل منها إلى الآخر . وأصبحت المفاوضات المباشرة أشبه بالشعار ، ولا سيما بين كبار أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب . ولم تكن الولايات المتحدة تستطيع أن تتجاهل هذه المشاعر . بل وقد أبلغ الملك حسين بأنه ليست هناك فرصة للحصول على موافقة الكونجرس على صفقة أسلحة للأردن ما لم يلتزم بإجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وكما تواتر فقد كانت المشكلة الثانية فى حمل الولايات المتحدة على القيام بدور أكثر نشاطا تأييدا لنهج الملك حسين ، هى إحساس وزير الخارجية شولتز بعدم الثقة بالنسبة لمعظم الزعماء العرب الذين تعامل معهم أثناء الفترة ١٩٨٢ - ١٩٨٣ . وكان يعتقد على ما يبدو أنهم قد أضاعوا الفرصة التى توافرت لهم بخطة ريجان ، وأن كلمتهم لا يمكن التعويل عليها دائما . وكان من رأيه ، أن منظمة التحرير الفلسطينية على وجه الخصوص ليست شريكا مناسبا لمحادثات السلام ، مع اعتقاده بضرورة إدخال فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة فى وفد أردنى . ولكن تبين أن فكرة اجتماع مساعد وزير الخارجية ميرفى مع وفد أردنى فلسطينى مشترك مثيرة للجدل ، فحسب ما رأى الملك حسين ، إن إجتماعا كهذا يمكن أن يمهد الطريق لقبول منظمة التحرير الفلسطينية للقرار ٢٤٢ ؛ ثم تحدث بعد ذلك اتصالات أخرى بين الولايات المتحدة والوفد المشترك بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ؛ ويلى ذلك انعقاد المؤتمر الدولى ؛ وعند هذه المرحلة فقط ، تجرى المفاوضات مع إسرائيل . وعلى النقيض من ذلك ، أصر شولتز على أنه يجب أن يتبع أى اجتماع أمريكى مع الوفد الأردنى الفلسطينى ، إجراء اتصالات مع الإسرائيليين فورا .(٥١)

وجاء العائق الثالث أمام السياسة الأمريكية من الإحساس بالقلق إزاء المركز السياسى لرئيس الوزراء بيريز . فقد اكتسب قدرا كبيرا من الشعبية خلال العام الأول من توليه منصبه ، إذ كان انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان قد لقى ترحيبا من جانب الجماهير التى أنهكتها الحرب . وكانت الجهود الرامية إلى الحد من التضخم المستعر تحقق تقدما ، برغم ما يصاحبها من ألم كبير . وكانت إدارة بيريز للشؤون الاقتصادية تعود عليه بالنجاح . ويبدو أن الدبلوماسية الهادئة مع الأردن كانت ترسى الأساس لنوع من أنواع الحكم الثنائى فى الضفة الغربية وغزة على حساب منظمة التحرير الفلسطينية . وكان بعض المسؤولين الأمريكيين يريدون مساعدة بيريز فى تهيئة نفسه لمواجهة حاسمة مع الليكود ، وأفضت بهم هذه الرغبة إلى تحذيره من القيام بأى شىء يكون باعثا على التوتر فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، مثل التعامل الأمريكى مع منظمة التحرير الفلسطينية أو التأييد الأمريكى لتقرير المصير الفلسطينى .

وقد ظهر للعيان اختبار عملى للسياسة الأمريكية خلال فصل الصيف . فقد كان الأردنيون يريدون المضى قدما بفكرة عقد اجتماع أمريكى استطلاعى مع وفد مشترك من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . واجتمع الملك حسين يوم ١٩ يوليو سرا مع بيريز فى لندن لبحث استراتيجيته . وقام ببحث قائمة طويلة من المشاركين الفلسطينيين المحتملين الذين قد ينضمون إلى

وفد أردنى فلسطينى مشترك . وأبلغ الإسرائيليون شولتز بهذا الاجتماع يوم ٥ أغسطس . ولم يكن بيريز متحمسا لعقد اجتماع تمهيدى أمريكى أردنى فلسطينى ، ولكنه لم يكن ليعترض عليه بشدة مادام أنه لن يشترك فيه أحد من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية .

وفى ٩ أغسطس ، اطلع شولتز الرئيس ريجان على أسلوب العمل . وكان ريجان حازما فى معارضته لاجتماع المسؤولين الأمريكيين مع أى شخص له صلة مع منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى وإن لم تكن واضحة . ومن ناحية أخرى ، بعث وزير الخارجية شامير برسالة إلى البيت الأبيض يعرب فيها عن معارضته الجازمة لفكرة عقد اجتماع أمريكى مع أى فلسطينى . وألح شولتز على ريجان لاتخاذ قرار ، وأخيرا فوّضه ريجان فى السماح لميرفى بالاجتماع مع وفد أردنى فلسطينى مشترك ، فقط إذا كان هذا الاجتماع سيفضى فورا إلى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .(٥٢)

وكانت الاستجابة الأردنية تتسم بعدم الالتزام بشيء . ففى الأساس ، كان الأردنيون يرون أنه من الضرورى عقد اجتماع مبدئى ، ثم ينظر بعد ذلك فى الخطوات التالية . وكما أوضح الأردنيون منذ البداية ، فإن ردهم كان تكرارا حرفيا تقريبا للرد الأمريكى قديم العهد على التساؤل العربى عما سيحدث إذا ما بدأت المفاوضات مع إسرائيل .

وفى محاولة لعقد اجتماع تمهيدى بين الولايات المتحدة ووفد أردنى فلسطينى مشترك ، قدم الأردنيون قائمة تضم سبعة أسماء للأعضاء الفلسطينيين الذين يمكن أن يضمهم الوفد ، والتى يتوقع أن يختار الأمريكيون أربعة منها . وأعلن الإسرائيليون أنه ليس لديهم اعتراض على اثنين من الأسماء السبعة ، ولكنهم سارعوا بوصف الآخرين بأنهم من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية . واعترض الأمريكيون على ثلاثة على الأقل من الأسماء ، ولكن الأهم من ذلك أنهم استمروا فى مطالبتهم بتطمينات بأن أية محادثات تمهيدية ستكون مقرونة بالتزام أردنى فلسطينى واضح بإجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .(٥٣) أما الأردن ، الحريص على عدم إغضاب سوريا ، فلم يكن مستعدا للتخلى عن فكرة المؤتمر الدولى لصالح المفاوضات الثنائية المباشرة برعاية الولايات المتحدة .

وبرغم هذه الصعوبات ، بدت الولايات المتحدة للحظة ما فى صيف ١٩٨٥ على وشك القيام بهذه المغامرة ، فسافر مساعد وزير الخارجية ميرفى إلى الشرق الأوسط ، وتجمع فريق أردنى فلسطينى مشترك فى عمان للاجتماع به ، إلا أنه أبلغ فى آخر لحظة بعدم عقد الاجتماع ، إذ أن الشروط التى حددها ريجان لم تتم تلبيتها ، ولذلك كان على شولتز أن يلغى فكرة الاجتماع . ووفقا لرواية شولتز ، كان موقف ريجان غير قابل للزحزحة بشأن النقاط المتعلقة باستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان مصمما على إجراء المفاوضات المباشرة ، إلا أنه من غير الواضح مدى المشقة التى صادفها كل من حاول إقناع ريجان بغير ذلك ، وعلى أية حال بدأ شولتز فى رؤية علامات تشر إلى أن الوضع فى المنطقة أخذ يبتعد عن إمكانية إجراء محادثات سلام مثمرة .(٥٤)

وقام الملك حسين بمحاولة أخيرة لإقناع الأمريكيين فى الخريف . وكان قد تم إبلاغه أنه ليست

هناك فرصة للفوز بموافقة الكونجرس على صفقة أسلحة جديدة وكبيرة للأردن – وهو ما وعد به ريجان الملك كتابة فى ديسمبر ١٩٨٢ – ما لم يلتزم الأردن بإجراء مفاوضات مباشرة . وفى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أعلن الملك هذا الالتزام ، قائلا : « إننا مستعدون للتفاوض مع إسرائيل ، تحت إشراف مناسب ومقبول ، مباشرة وبأسرع وقت ممكن ، وذلك وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ » .(٥٥) وبعد مضى شهر ، رفض مجلس الشيوخ الأمريكى طلب الملك بشأن الأسلحة ، معلنا أنه لا يمكن إبرام صفقة كبيرة لبيع الأسلحة حتى تبدأ « مفاوضات مباشرة وذات مغزى » مع إسرائيل . وفى مواجهة الرفض المستمر من جانب الكونجرس لبيع الأسلحة ، سحبت الحكومة الأمريكية فى نهاية الأمر صفقة الأسلحة التى تبلغ قيمتها قرابة مليارين من الدولارات للأردن ، يوم ٣ فبراير ١٩٨٦ .

وكان شهر أكتوبر كارثة على العلاقات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك بالنسبة لمبادرة الملك حسين . إذ بدأ هذا الشهر بهجوم جوى إسرائيلى واسع النطاق على مقر عرفات فى تونس ، وكان ذلك على ما يبدو انتقاما من هجوم لمنظمة التحرير الفلسطينية على عدد من الإسرائيليين فى قبرص قبل ذلك ببضعة أيام . وفى ٥ أكتوبر ، اجتمع الملك حسين ورئيس الوزراء الإسرائيلى بيريز سرا فى لندن لوضع خطة للحكم المشترك فى الضفة الغربية .(٥٦)

وفى حين كان عرفات يواجه تخلى الملك حسين عنه ، كان يواجه أيضا تحديا من جانب الراديكاليين من داخل منظمته . ففى ٧ أكتوبر ، راودت زمرة صغيرة تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية – جبهة تحرير فلسطين التى يتزعمها أبو العباس – فكرة اختطاف السفينة السياحية الإيطالية « أكيلى لاورو » . وقبل أن ينتهى هذا الحادث ، تم اغتيال أحد الأمريكيين المسنين ، وهو يلزم كرسيه المتحرك ، وألقى به من فوق متن السفينة . (وقام السوريون ، الذين كانوا تواقين لإضعاف الثقة فى منظمة التحرير الفلسطينية ، بانتشال جثة الرجل على شاطئهم ، وأعادوها باحترام إلى الحكومة الأمريكية ، وبذلك قدموا دليلا حاسما على أن الضحية قد قتل بإطلاق الرصاص عليه) .(٥٧) وفى الوقت نفسه تقريبا ، عجز الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية عن التوصل إلى اتفاق بشأن الشروط التى كانت ستتيح عقد اجتماع بين وفد مشترك من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وبين وزير خارجية بريطانيا .

ولابد أن الرئيس الأسد تابع كل هذه الأحداث بارتياح كبير . فقد رفض منذ البداية الاتفاق المؤرخ فى ١١ فبراير ١٩٨٥ . ووصف الجهود الأمريكية لترتيب محادثات مباشرة تحت رعاية الولايات المتحدة بأنها ترقى إلى كامب ديفيد أخرى . وها هو الآن يرى التحالف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية آخذا فى التفكك . ومن ثم شجع الأسد ، الذى كان يعمل بصورة وثيقة مع زيد الرفاعى رئيس الوزراء الأردنى ، على قيام تحالف عملى مع الأردن . واضطر الملك حسين إلى الاعتراف بخطأ الأردن فى الماضى عندما أتاح للجماعات الإرهابية المعادية لسوريا أن تعمل من أراضيه ، وبذلك أصبح المسرح ممهدا لتقارب سورى أردنى ولتصدّع فى العلاقات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وهو ما حدث بعد فترة وجيزة .(٥٨) وفى ١٩ فبراير ١٩٨٦ كشف الملك حسين بتفصيل تام عن أسباب انهيار التنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية .(٥٩) وبذلك دام الاتفاق المؤرخ فى ١١ فبراير ١٩٨٥ ، عاما واحدا بالكاد .

وفى نظرة إلى الوراء ، يبدو واضحا أن الأمريكيين لم يكونوا مطلقا متحمسين للتعامل مع وفد مشترك من الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . وكما قال وزير أردنى فى وقت مبكر أثناء مناقشات دارت فى واشنطن ، فإن الأردن حاول أن يبرز أن منظمة التحرير الفلسطينية ضعيفة نسبيا ، ولذلك فإنه من الممكن ممارسة ضغط عليها لتقديم تنازلات . وأضاف أن الرد الأمريكى جاء بأنه إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية ضعيفة ، فإنه ينبغى أن تستبعد كلية من العملية الدبلوماسية .(٦٠) وأخيرا ، عندما بدأ الملك حسين يستنتج أن منظمة التحرير الفلسطينية تمثل عبئا فى تعاملاته مع إسرائيل وسوريا وواشنطن ، وأنها شرعت فى إعادة إنشاء وجود كبير لها فى الأردن ، اتجه إلى قطع الروابط معها . وباسترجاع الماضى ، نجد أن شولتز استنتج أنه لا الملك حسين ولا بيريز يتمتعان بقوة سياسية كافية لتقديم التنازلات المطلوبة لإنجاح عملية السلام ، وذلك رغم أن تفكيرهما غير متباعد .(٦١)

معاملات سرية مع إيران

لا يمكن مطلقا عزل الدور الأمريكى فى النزاع العربى الإسرائيلى تماما عن تطورات أخرى وقعت فى الشرق الأوسط . فقد أصبحت الأحداث التى تدور فى لبنان وليبيا وإيران تتشابك ، بطرق معقدة ، مع الدبلوماسية العربية الإسرائيلية . وإذا كان هناك خيط يصل بين هذه المواقع المتباعدة جغرافيًا ، فإنه الإرهاب . ولقد استحوذت المعركة ضد الإرهاب ، خاصة من النوع الذى ترعاه الدولة ، على اهتمام حكومة ريجان بحلول منتصف أعوام الثمانينات . وكانت الدول الثلاث التى تأتى على رأس قائمة المشتبه فيهم هى سوريا وإيران وليبيا . وكانت جميع هذه الدول متورطة بشكل ملموس فى لبنان ، بعضها مع الجماعات اللبنانية ، والبعض الآخر مع العناصر الشيعية .

وكان أمريكيون قد سقطوا بالفعل فى عام ١٩٨٤ ضحية لهجمات إرهابية ، فقد قتل مالكولم كير رئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت ، وهو خبير بارز فى شؤون الشرق الأوسط ، بإطلاق الرصاص عليه بوحشية فى يناير ١٩٨٤ . وبعد مضى شهرين ، اختطف وليام باكلى رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى لبنان . وفى الشهور التالية ، خلال أعوام ١٩٨٥ و١٩٨٦ و١٩٨٧ ، تم اختطاف ١٤ أمريكيا غيرهم من شوارع بيروت ، واحتفظ بهم كرهائن ، وكذلك حصدت الهجمات الإرهابية على شركات الخطوط الجوية والمطارات مزيدا من الأرواح .

وعلى ضوء اللهجة المتشددة التى استخدمتها حكومة ريجان ضد الإرهاب ، كان من المتوقع أن تهاجم الولايات المتحدة الدول التى يعتقد أنها ترعى تلك الأعمال . إلا أن ذلك لم يحدث إلا مرة واحدة ، عندما اعتبرت ليبيا مسؤولة عن الهجوم بالقنابل الذى حدث فى برلين وأودى بحياة اثنين من الأمريكيين . ففى ١٤ أبريل ١٩٨٦ ، قصفت الطائرات الأمريكية طرابلس ، وكانت على وشك قتل الرئيس معمر القذافى فى هذه العملية .

ومن الغريب أن إيران عوملت بطريقة مختلفة تماما عن ليبيا ، مع أن تورطها مع مختطفى الرهائن فى لبنان لم يكن يحتمل الشك . وفى ربيع عام ١٩٨٥ ، عندما بدأت الاستراتيجية المشتركة للأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية تظهر إلى حيز الوجود ، شرع بعض المسؤولين فى واشنطن

فى مناقشة فوائد العمل على تحسين العلاقات مع إيران .(٦٢) واعتمد المبرر لذلك على سياسة مناهضة السوفيت ، فإيران بلد كبير وهامّ ، ولم يتحيز إلى أحد الجانبين فى الحرب الباردة . وبعد أن رحل آية الله الخومينى عن مسرح الأحداث ، ارتأى البعض أنه سينشب صراع على السلطة ، تتوافر فيه الفرصة للعناصر الموالية للسوفيت بأن تكون لها اليد الطولى . ولذلك ينبغى للولايات المتحدة أن تجد طريقة ما لإقامة اتصال مع الإيرانيين غير الموالين للسوفيت .(٦٣)

وفى ٣ يوليو ١٩٨٥ ، اجتمع ديفيد كيمحى المدير العام لوزارة الخارجية الإسرائيلية ، فى البيت الأبيض مع روبرت ماكفرلين ، أحدث مستشار للأمن القومى لريجان .(٦٤) وكانت إسرائيل قد احتفظت ببعض الاتصالات المفيدة فى إيران بعد الثورة ، وعرض كيمحى عندئذ أن يضع هذه الاتصالات تحت تصرف الولايات المتحدة فى تطبيقها لسياسة تحسين العلاقات مع إيران . وأبلغ الأمريكيين أنه من المؤكد أن يطلب الإيرانيون المشتبكون فى حرب مكلفة مع العراق ، الأسلحة فى مرحلة ما .(٦٥) وخلال أيام من هذه المحادثة مع كيمحى ، تم اطلاع الرئيس ريجان على مضمونها ، ورد بأنه أعطى موافقته العامة على السياسة التى ترمى إلى تشجيع عناصر « معتدلة » فى إيران . وخلال شهر أغسطس ، أرسلت إسرائيل شحنة ضخمة من الصواريخ المضادة للدبابات الأمريكية الصنع إلى إيران ، وبعد ذلك بعدة أسابيع تم إطلاق سراح رهينة أمريكى فى بيروت . وبدأت بذلك عملية مبادلة « الأسلحة مقابل الرهائن » .

وخلال الجزء الأكبر من عام ١٩٨٦ ، أصبحت الولايات المتحدة متورطة أكثر فأكثر مع إيران . ورغم معارضة كل من وزيرى الخارجية والدفاع (اللذين نادرا ما اتفقا على شىء واحد فى أى وقت) ، وبدون علمهما ، وقع ريجان فى ١٧ يناير على قرار سرى لتسهيل مهمة المخابرات يفوض ببيع أسلحة أمريكية لإيران . وأستخدمت إسرائيل كقناة لتوصيل تلك الأسلحة . وجاءت لحظة الذروة فى المأساة فى شهر مايو عندما سافر ماكفرلين سرا إلى طهران وبصحبته مساعداه فى مجلس الأمن القومى أوليفر نورث وهوارد تايتشر ، وأيضا مستشار بيريز لشؤون الإرهاب ، أميرام نير . وحملوا معهم ، كرمز لرغبتهم فى قيام علاقة جديدة مع « المعتدلين » فى إيران ، كعكة من الشيكولاتة عليها مفتاح ذهبى صغير ، مباشرة من مخبز فى تل أبيب !

وسرعان ما أدرك ماكفرلين أن نظراءه الإيرانيين يهتمون فقط بالحصول على المزيد من الأسلحة ، وأنه ليست لديهم رغبة لمناقشة قضايا استراتيجية عريضة ، أو لتسليم مزيد من الرهائن كبادرة على نواياهم الطيبة . وعاد إلى واشنطن خالى الوفاض ، برغم أن مساعده النشيط أوليفر نورث استمر فى المضى قدما فى هذه السياسة ، حيث استحدث فى هذه العملية طريقة مبتكرة لتمويل أحد مشاريع الرئيس المحببة إليه ، وهى تقديم المعونة لمنظمة الكونترا فى نيكاراجوا ، والتى كان الكونجرس قد حظر تقديمها .

وأخيرا ، وبعد إطلاق سراح اثنين آخرين من الرهائن الأمريكيين فى بيروت ، وأخذ ثلاثة رهائن آخرين ، نشرت أنباء عن الزيارة السرية التى قام بها ماكفرلين لطهران فى شهر مايو المنصرم . وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٨٦ اضطر البيت الأبيض أن يؤكد أن أسلحة قد أرسلت إلى إيران ، مع تحويل العائدات بطريقة غير مشروعة لمنظمة الكونترا . وأعقب ذلك تفجر فضيحة سياسية

لها أبعاد غير مسبوقة ، أفضت فى نهاية المطاف إلى توجيه اتهامات إلى ماكفرلين ، وخليفته كمستشار للأمن القومى جون بويندكستر ، وأوليفر نورث . أما ريجان ، الذى قال إنه لم يكن يعرف بتحويل الأموال إلى الكونترا ، فقد ضعف موقفه بسبب هذه المسألة .

ولكن كيف أثرت ، قضية إيران – كونترا على السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى ، هذا إن كان لها تأثير أصلا ؟ أولا ، عندما كانت المبادرة الأردنية الفلسطينية قد أخذت تظهر إلى حيز الوجود فى عام ١٩٨٥ ، كان اهتمام البيت الأبيض قد بدأ يتحول إلى القضية الحساسة المتعلقة بالانفتاح على إيران ؛ وكان على إسرائيل أن تقوم بدور رئيسى فى هذه الاستراتيجية ، ولذلك لم يكن هناك متسع من الوقت لحمل الإسرائيليين على أن يبدوا تعاونا بصفة خاصة تجاه الأردنيين والفلسطينيين . وفى الحقيقة ، كان الإسرائيليون فى موقف ممتاز يتيح لهم إحراج حكومة ريجان لو توافرت لهم أسباب تدعو إلى ذلك .

وثانيا ، عندما بدأ تدفق الأسلحة من إسرائيل إلى إيران فى عام ١٩٨٥ ، بدأت الحكومات العربية فى ملاحظة ذلك ، ورجحت أن تكون هناك درجة من التواطؤ الأمريكى . وفى الوقت نفسه ، بدأت الولايات المتحدة تميل صراحة تجاه العراق فى الحرب الإيرانية العراقية . فكيف كان يمكن التوفيق بين هذين الاتجاهين المتضادين للسياسة ؟ فى الوقت الذى كانت فيه المصداقية الأمريكية هامة من أجل النجاح المحتمل لعملية السلام ، يبدو أن مصر والأردن قد انتابتهما الشكوك حول مدى إمكان الاعتماد على الولايات المتحدة .

وثالثًا ، تسببت المبادرة تجاه إيران فى حدوث انقسامات عميقة فى المستويات الأعلى من الحكومة الأمريكية ، وهى انقسامات لم يكن ريجان مستعدا أو قادرا على حلها . وأدت المشورات المتضاربة بشأن الشرق الأوسط إلى تفويض السياسة المتماسكة تجاه عملية السلام . بيد أنه فى نهاية الأمر ، لا يمكن أن يعزى إلى مسألة إيران – كونترا العجز عن استغلال الفرصة الممكنة لعملية السلام فى الفترة ١٩٨٥ – ١٩٨٦ . ولكنها أسهمت فى تآكل المصداقية الأمريكية فى لحظة حرجة ، وأضعفت الرئيس ، وربما أفضت إلى ابتعاده بدرجة أكبر عن قضايا السياسة الخارجية وهو يقترب من نهاية فترة حكمه الثانية .

الفصل الرابع عشر

العودة إلى الواقعية :
شولتز يحاول مرة أخرى

منذ اللحظة التى أصبح فيها جورج شولتز وزيرا للخارجية فى عام ١٩٨٢ ، كان هو المخطط المهيمن على نهج حكومة ريجان إزاء عملية السلام العربى الإسرائيلى . إلا أنه لم يكن باستطاعته أن يشق طريقه بسهولة فيما يتعلق بالأمور المتصلة بذلك فى الشرق الأوسط ، مثل لبنان والحرب بين إيران والعراق . وكان وزير الدفاع واينبرجر قد أقنع الرئيس بأن يسحب الجنود الأمريكيين من لبنان فى وقت مبكر من عام ١٩٨٤ ، وهى خطوة عارضها شولتز ، كما استطاع كيسى وماكفرلين وبويندكستر ونورث أن يقوموا بالعملية السرية « الأسلحة مقابل الرهائن » فى عامى ١٩٨٥ و١٩٨٦ ، والتى كان كل من شولتز وواينبرجر يعترض عليها .

وعززت فضيحة إيران - كونترا من مكانة شولتز فى التعامل مع البيت الأبيض . فبعد أن أقال ريجان كلا من بويندكستر ونورث لم يكن بمقدوره أن يفقد أيضا وزير خارجيته الذى يحظى بالاحترام . وكان مستشار الأمن القومى الجديد فرانك كارلوتشى ، الذى تولى منصبه فى شهر يناير ١٩٨٧ ، محنكا فى العمل الجماعى ، وجاء لمجلس الأمن القومى بدرجة من الاحترافية كان يفتقر إليها بشدة فى السنوات السابقة .

وكانت إحدى بوادر التماسك الجديد فى دوائر السياسة عند القمة ، قد لاحت فى القرار الذى اتخذ فى وقت مبكر من عام ١٩٨٧ بشأن مساندة طلب الكويت توفير الحماية لناقلاتها ضد الهجمات الجوية الإيرانية . وكانت الولايات المتحدة لسنوات عديدة تميل ناحية العراق ، وثار قلق كبير فى أواخر عام ١٩٨٦ من أن تكون إيران قادرة على شن هجوم برى كبير على الجنوب العراقى مما يدفع بالجنود الإيرانيين إلى الحدود مع الكويت والمملكة العربية السعودية . ورأى شولتز وواينبرجر فى طلب الكويت « رفع العلم الأمريكى » على إحدى عشرة ناقلة من ناقلاتها فرصة لإزالة وصمة إيران - كونترا ، ولإعطاء إشارة للإيرانيين بأن أى تهديد تتعرض له الدول الغنية بالنفط فى شبه الجزيرة العربية سيكون موضع اهتمام مباشر من قبل الولايات المتحدة .

وإلى جانب رغبة الولايات المتحدة فى كبح جماح إيران ، كانت تأمل فى إعادة بناء مصداقيتها التى تدمرت لدى عدد من الدول العربية . ولما كانت الكويت قد طلبت أيضا مساعدة سوفيتية وتسلمتها ، فقد كان ذلك سببا آخر للاستجابة الأمريكية السريعة . وبحلول منتصف يوليو ١٩٨٧ ، كانت الولايات المتحدة تحرس الناقلات الكويتية بشكل روتينى حتى الطرف الشمالى من الخليج .

ومما يثير الدهشة أيضا أنها كانت تعمل جاهدة مع الاتحاد السوفيتي بشأن استصدار قرار من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يدعو إلى وقف إطلاق النار في الحرب التي دامت سبع سنوات . وتمت الموافقة على القرار ٥٩٨ في نفس اليوم الذي أبحرت فيه أول قافلة كويتية تحت الحراسة الأمريكية عبر الخليج .(١)

وإجمالا ، حققت عملية إعادة رفع الأعلام نجاحا كبيرا ، فقد استطاعت الولايات المتحدة بتكاليف متواضعة وبمخاطر قليلة نسبيا ، أن تساعد في خلق ظروف شعرت إيران فيها في نهاية الأمر أنها مرغمة على قبول وقف إطلاق النار ، أو حسب كلمات آية الله الخوميني ، « تجرع السم » ، وبذلك انتهت أكثر الحروب تكلفة في الشرق الأوسط حتى الآن . وكان من شأن ذلك استعادة الهيبة الأمريكية في العالم العربي التي هبطت إلى أدنى درجاتها بعد افتضاح عملية إيران - كونترا . ومما زاد من تحسين جو العلاقات الأمريكية العربية ، ذلك الإدراك المتزايد ، ولاسيما في الأردن ، بأن الولايات المتحدة تقوم تدريجيا بتعديل موقفها بشأن مسألة عقد مؤتمر للسلام العربي الإسرائيلي .

المؤتمر الدولي في ضوء جديد

أظهر الملك حسين في وقت مبكر من عام ١٩٨٦ ، بعد حدوث الخلاف بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، اهتماما متجددا بفكرة المؤتمر الدولي . وكان الملك يرى دائما أنه في حاجة إلى منظمة التحرير الفلسطينية أو سوريا لتوفير الغطاء لمحادثاته مع إسرائيل - وإذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد أصبحت حينذاك خارج الصورة ، فقد كان من المهم تقديم حافز لسوريا لكي تساير أية جهود دبلوماسية ، ومن هنا جاءت الحاجة إلى عقد مؤتمر دولي من أي نوع . وكان ذلك يعني أيضا ، بشكل حتمي ، نوعا من المشاركة السوفيتية ، وكانت تلك مسألة لا يزال أنصار ريجان غير متحمسين لها . وكان العداء الأمريكي لفكرة عقد مؤتمر دولي يرجع بجذوره جزئيا إلى فكرة أن ترتيبا من هذا القبيل سيعيد الاتحاد السوفيتي إلى الشرق الأوسط ، الذي يفترض أنه كان غائبا عنه منذ مناورات كيسنجر في عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ .(٢)

وفي أواخر عام ١٩٨٥ بدأ شيمون بيريز ، الذي كان لا يزال يتولى منصب رئيس الوزراء ، في التحدث بشكل إيجابي عن نوع من المحفل الدولي ، أو الرعاية الدولية لمفاوضات عربية إسرائيلية مباشرة ، وكانت شروطه المعلنة لعقد مؤتمر هي ألاّ يفوّض في فرض حلول ، وأن يعيد الاتحاد السوفيتي علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل قبل المؤتمر .

وفي الوقت نفسه الذي حدث فيه تعديل في الموقف الإسرائيلي ، بدأ شولتز يلوح أيضا بأن المعارضة السابقة من جانب الحكومة لفكرة عقد مؤتمر دولي آخذة في الصعف . ومنذ فترة مبكرة ترجع إلى ٢٣ سبتمبر ١٩٨٥ عرض شولتز بعض الأفكار على الملك حسين ، الذي لم يكن في تلك اللحظة لديه اهتمام كبير بذلك . ولكن شولتز كان يتجه ناحية فكرة ترتيب نوع ما من « الاحتفال » الدولي لتهدئة المخاوف العربية . وكان قد بدأ أيضا في التفكير في كيفية إعادة صياغة مفهوم السيادة بما يستوعب تعقيدات العلاقات الملزمة لإسرائيل والفلسطينيين والأردن . وبدا له

أن الأشكال المختلفة للسيادة المختلطة والمتداخلة تمثل وسيلة التغلب على حالة الجمود السائدة بشأن الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة .(٣)

وبدون ضجة كبيرة ، عادت فكرة المؤتمر الدولي إلى الظهور على المسرح الدبلوماسي العربي الإسرائيلي كقضية حية محتملة . ثم حلت محل ذلك الدبلوماسية الهادئة ، حيث حاول الدبلوماسيون الأمريكيون المحترفون أن يوجدوا أساسا للاتفاق بين إسرائيل والأردن .

وخلال فترة طويلة من عام ١٩٨٦ ، ازدادت الاتصالات بين الأردن وإسرائيل ، فقد اجتمع الملك حسين مع وزير الدفاع اسحق رابين بالقرب من ستراسبورج فى شهر أبريل .(٤) وفى وقت لاحق أغلق الأردن مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية فى عمان ، وقام كل من الأردن وإسرائيل بالتشجيع على إنشاء « روابط القرى » كمصادر بديلة للقيادة تحل محل القيادة الوطنية ذات الاتجاه الموالى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الضفة الغربية . وافتتحت فروع لمصرف القاهرة – عمان فى الضفة الغربية ، وتأسست صحيفة موالية للأردن فى القدس ، وقدمت الولايات المتحدة مساعدتها لما أطلق عليه « تدابير نوعية الحياة » ، القائمة على أساس أن تحسين مستويات المعيشة سوف يولّد الاعتدال السياسى بين الفلسطينيين .(٥)

ولكن على الجبهة السياسية ، ظل المؤتمر الدولى على أهميته للأردن ، حتى ولو لمجرد المساعدة فى إضفاء الشرعية على الترتيبات التى كانت تتخذ مع إسرائيل على أساس الأمر الواقع . وفى أكتوبر ١٩٨٦ أصبح اسحق شامير رئيسا للوزراء ، كجزء من اتفاق التناوب بين حربى العمل والليكود . وتولى بيريز منصب وزير الخارجية ، وبقى رابين وزيرا للدفاع . وكان شامير يحاط علما بالاتصالات التى تجرى مع الأردن ، إلا أنه لم يكن من المحتمل أن يشاطر بيريز حماسه للتعامل مع الملك . بيد أن بيريز كان مصمما على المضى فى هذا السبيل ، وبحلول ربيع عام ١٩٨٧ ، لاحت فى الأفق فرصة تحقيق فتح ملموس .

كان الأردن قد عزز روابطه مع سوريا لدرجة أن مبعوثا من الملك حسين اجتمع مع شولتز يوم ٧ أبريل ١٩٨٧ ليبلغه أن سوريا مستعدة لحضور مؤتمر دولى من النوع الذى يقترحه الأردن . وكان شولتز يشعر بالارتياب فى هذا ، إلا أنه أدرك أن السوفيت ربما أصبحوا مستعدين الآن للمساعدة .(٦)

ومن ناحية أخرى ، اجتمع الملك حسين ووزير الخارجية الإسرائيلي بيريز سرا فى لندن لوضع المبادىء المتعلقة بعقد مؤتمر دولى . وتم التوصل إلى اتفاق يوم ١١ أبريل ١٩٨٧ . وأيد كل من الأردن وإسرائيل فكرة ألا تكون للمؤتمر سلطات مطلقة ، فلا يستطيع أن يفرض آراءه أو ينقض نتائج المفاوضات الثنائية التى ستدور تحت مظلة المؤتمر . واتفق البلدان على أن تكون هناك جلسة افتتاحية احتفالية يحضرها ممثلون عن الدول الدائمة العضوية فى مجلس الأمن والأطراف الإقليمية للنزاع التى قبلت القرار ٢٤٢ . أما المسألة المستعصية ، وهى التى تتعلق بما يمكن أن يحدث فى حالة وصول المفاوضات الثنائيه إلى طريق مسدود ، أو ما يسمى مسألة الإحالة ، فقد جرى تجنبها بدهاء فى الوقت الحاضر .(٧)

وفى ذات اليوم الذى توصل فيه بيريز وحسين إلى اتفاق ، اجتمع أحد مساعدى بيريز مع شولتز ليرجوه أن يجعل الوثيقة الجديدة جوهر مبادرة أمريكية . إذ أنه بهذه الطريقة وحدها يمكن إقناع شامير بقبولها . ورفض شولتز أن يمارس هذا النوع من الألعاب وأصر على أن يقدم بيريز اتفاقه إلى شامير قبل أن تتخذ الولايات المتحدة أى موقف بشأنه . وفى ٢٠ أبريل أبلغ بيريز شولتز أن شامير قد أطلع على الاتفاق ، وبعد مضى يومين ، قام شامير بإبلاغ شولتز أنه يرفض وثيقة لندن رفضا مطلقا .(٨)

وترجع جذور رفض شامير لفكرة المؤتمر الدولى غير الملزم إلى تصميمه على ألا يتخلى عن بوصة واحدة من أرض إسرائيل التاريخية – مما يعنى من الناحية العملية أنه لن يكون هناك انسحاب إسرائيلى من الضفة الغربية . وعلاوة على ذلك ، فإن كون بيريز قد تفاوض بشأن هذا الاتفاق من وراء ظهر شامير ، قد كفل استقبالا متخفظا للاتفاق . ولم يكن شولتز ببساطة مستعدا للانحياز إلى أى جانب فى هذا النزاع الداخلى ، ويبدو أن الزيارة التى قام بها موشى آرينز بالنيابة عن شامير يوم ٢٤ أبريل ، قد أقنعت شولتز بعدم الاعتداد بوثيقة لندن . ومع ذلك ، كان يشعر بأن شامير قد ارتكب خطأ ، وأحس بالتشجيع لرؤية فكرة حسين المتعلقة بالمؤتمر وقد أخذت تقترب من فكرته .(٩)

وكخاتمة لهذه المرحلة من الديبلوماسية ، جرت محاولة أخيرة ، بالتعاون مع شامير هذه المرة ، لإيجاد شكل من أشكال الرعاية الدولية للمحادثات الإسرائيلية الأردنية . ففى منتصف شهر يونيو ، ألمح شامير لشولتز أنه قد ينظر فى نوع ما من أنواع الاجتماع الدولى لتأييد المفاوضات المباشرة مع الأردن . وبعث شولتز بمساعده تشارلز هيل إلى إسرائيل فى أواخر شهر يوليو لمزيد من البحث فى هذه الفكرة . وفى ٦ أغسطس جاء مبعوث من شامير لمقابلة شولتز ليبلغه أن شامير قد اجتمع مع حسين . وكان شامير لا يزال يعارض المؤتمر الدولى ، إلا أنه لن يعترض إذا ما اجتمع الأعضاء الدائمون فى مجلس الأمن لتأييد المفاوضات العربية الإسرائيلية المباشرة . وذكر شامير أن اجتماعه مع حسين قد سار على ما يرام . بيد أنه بعد ذلك بوقت قصير ، سمع شولتز من حسين عن الاجتماع ذاته . ووصف حسين شامير بأنه « لا رجاء منه » .(١٠)

وفى شهر سبتمبر ، اقترح شامير على هيل فكرة أن يدعو ميخائيل جورباتشوف ورونالد ريجان ، كجزء من اجتماع القمة المقبل بينهما ، كلا من شامير والملك حسين إلى الاجتماع بهما . واتخذ شولتز موقفا وديا تجاه هذه الفكرة ، واطلع ريجان عليها فى ١١ سبتمبر . إلا أن الرئيس لم يوافق عليها مباشرة ، وشعر شولتز أن ريجان قد سئم من موضوع الشرق الأوسط . وأخيرا . أعطى ريجان الضوء الأخضر فى ٢٣ سبتمبر .(١١)

وسافر شولتز إلى الشرق الأوسط فى أكتوبر ١٩٨٧ ، وهو فى طريقه إلى موسكو لوضع اللمسات النهائية للترتيبات المتعلقة باجتماع القمة الأمريكى السوفيتى فى واشنطن قبل نهاية العام . وحينما كان فى القدس ، اقنع شولتز شامير بأن يوافق من حيث المبدأ على فكرة توجيه دعوة أمريكية سوفيتية له للحضور إلى واشنطن فى وقت انعقاد القمة ، مع الملك حسين ، وذلك لكى يحظيا بالتأييد الأمريكى السوفيتى المشترك للمفاوضات المباشرة .

وفى اليوم التالى ، ١٩ أكتوبر ، عرض شولتز الفكرة على الملك حسين فى لندن . وكانت

الولايات المتحدة قد أجرت قدرا قليلا من التحضير المسبق مع الأردن ، وذلك مقابل الاتصالات المتبادلة العديدة مع الإسرائيليين أثناء الخريف . ومن الناحية السياسية لم يكن باستطاعة الملك ، الذى كان على وشك استضافة مؤتمر قمة عربية فى عمان ، أن يلمح حتى باهتمامه بهذه الفكرة ، والتى ستقابل بالسخرية من العرب الآخرين . كذلك لم يجد سببا يدعوه إلى تصور أن السوفيت سيوافقون على هذه الفكرة ، كما أن السوريين ، الذين ورد ذكرهم كمشاركين محتملين فى هذه المغامرة كفكرة خطرت على البال مؤخرا ، سوف يرفضونها على وجه التأكيد . ولذلك وجد الملك نفسه فى موقف يحتم عليه الرد بالرفض على الأمريكيين . وهى حقيقة تسربت بالتالى لكاتب موال لإسرائيل له عمود خاص فى إحدى الصحف بعد ذلك بشهور قليلة .(١٢)

وفى الأوقات العادية ، كان لتردد حسين القول الفصل لدى حكومة ريجان بشأن عملية السلام . ومع تحديد موعد الانتخابات الأمريكية والإسرائيلية على حد سواء فى شهر نوفمبر ١٩٨٨ ، لم يكن لدى واشنطن الرغبة فى الاستمرار فى معالجة النزاع العربى الإسرائيلى عسير الحل . وعندما انعقدت القمة العربية فى عمان فى وقت مبكر من شهر نوفمبر ، بدا كما لو كان العرب قد أداروا ظهرهم للمسألة الفلسطينية . وظهر أن الخليج مصدر قلق أكبر ، ووجد عرفات نفسه غريبا بين الحكام العرب المجتمعين . وحتى قبول عودة مصر إلى الصف العربى ، الذى أيده معظم أعضاء الجامعة العربية ، بدا وكأنه قد تم بدافع من المخاوف الخليجية أكثر منه بدافع الرغبة فى تنسيق دبلوماسية صنع السلام العربى الإسرائيلى مع القاهرة .

الانتفاضة ومبادرة شولتز

خلال سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية وغزة التى دامت عشرين عاما ، لم يخل أى وقت إبّانها من الاضطرابات . ولكن الحكومة الإسرائيلية لم تكن ترى أن تكلفة الاحتلال باهظة ، كما توافر ما يشبه الحياة العادية فى معظم الأيام لأعداد متنامية من المستوطنين الإسرائيليين ، وبالنسبة للفلسطينيين ، الذين توافرت لنحو ١٠٠٠٠٠ منهم وظائف فى الاقتصاد الإسرائيلى ابتداء من عام ١٩٨٨ . ثم وقعت فى ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ، سلسلة من الأحداث المؤسفة فى غزة ، أطلقت شرارة سلسلة من الاحتجاجات الفلسطينية الواسعة النطاق . وخلال أيام قليلة ، انضم الفلسطينيون فى الضفة الغربية إلى هذه الانتفاضة(١٣) ، وحتى العرب الإسرائيليون أعربوا عن مساندتهم لها . وبات واضحا على الفور أن شيئا جديدا فى نوعيته قد بدأ يحدث . فقد أخذ الفلسطينيون الذين كانوا خانعين من قبل فى الضفة الغربية وغزة يدركون سن الرشد السياسى ، ويضمرون الرغبة فى الانتقام .(١٤)

ومع أن منظمة التحرير الفلسطينية بوغتت بتوقيت هذه الانتفاضة وبسرعة انتشارها ، فإنها كانت قد أخذت تزرع التأييد لها منذ أمد طويل فى الأراضى المحتلة ، كما نشأت شبكات موالية للمنظمة ، ولقيت المساندة من جانب السكان الذين كانت مشاعرهم موالية للمنظمة عموما . وقبل مضى وقت طويل ، كان التنسيق بين القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة ، وهو الاسم الذى أطلقته القيادة الداخلية على نفسها ، وبين منظمة التحرير الفلسطينية قد بلغ أمدا بعيدا على ما يبدو .(١٥)

وبحلول يناير ١٩٨٨ ، اعترف الإسرائيليون بأنهم يواجهون موقفا غير مسبوق . واتخذ اسحق رابين وزير الدفاع نهجا قويا لفرض النظام والقانون ، حيث صادق علنا على سياسة الضرب وتكسير العظام كجزء من محاولة لتخويف الفلسطينيين الصغار الذين يقذفون الجنود المسلحين تسليحا ثقيلا ، بالحجارة وقنابل المولوتوف . وخلال أيام قليلة ، أصبحت صور الضرب الإسرائيلى الوحشى للشباب الفلسطينى جزءا من أخبار التليفزيون المسائية الأمريكية . وكان رد فعل الرأى العام قويا . وانهمر النقد وثارت مشاعر القلق حتى من جانب الجالية اليهودية الأمريكية الموالية لإسرائيل .

ثم وقعت عدة تطورات أقنعت وزير الخارجية شولتز بأن يستغل من جديد هيبته فى محاولة للبدء فى محادثات السلام العربية الإسرائيلية .(١٦) فأولا ، ألمح شامير فى رسالة تتألف من ست صفحات ونصف الصفحة موجهة إلى شولتز ومؤرخة فى ١٧ يناير ١٩٨٨ ، إلى أن موقف إسرائيل بشأن « الحكم الذاتى » للفلسطينيين قد بدأ يلين . وثانيا ، بدأ الزعماء اليهود الأمريكيون ، وأيضا بعض السياسيين الإسرائيليين ، يحثون شولتز على أن يشارك بنشاط أكبر . وثالثا ، حضر الرئيس المصرى حسنى مبارك إلى واشنطن ليوجه نداء قويا ومقنعا بأن هناك حاجة عاجلة إلى تدخل القيادة الأمريكية لتفادى إضفاء طابع راديكالى على المنطقة بكاملها .

وعالج شولتز هذا التحدى بطريقة منهجية ، إذ أنه لم يلق خطبة ملتهبة ، ولم يعلق آمالا كبارا على تحقيق فتح سريع . إلا أنه بدأ باستطلاع أفكار مع جميع الأطراف ، بما فى ذلك هذه المرة سوريا والسوفيت ، وبعض الفلسطينيين الأفراد ، وأيضا الأردن وإسرائيل ، وفى نهاية رحلته الثانية إلى المنطقة خلال شهور عديدة ، والتى بدأت فى ٤ مارس ١٩٨٨ ، صاغ شولتز مبادرته فى اقتراح وصفه بأنه « توليفة من الأفكار » تستهدف إعادة تغليف وتبسيط اتفاقات كامب ديفيد .(١٧) (انظر الملحق « ط ») .

ومن المؤكد أن مبادرة شولتز ، كما وصفت فورا ، كانت أهم مشاركة أمريكية فى عملية صنع السلام العربى الإسرائيلى منذ مبادرة ريجان فى سبتمبر ١٩٨٢ . ومن حيث الجوهر ، أجمل شولتز الهدف التقليدى المتمثل فى السلام الشامل الذى يتحقق عن طريق مفاوضات ثنائية مباشرة تستند إلى القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ . ولكنه أضاف عنصرا جديدا أسماه « التشابك » بين المفاوضات بشأن المرحلة الانتقالية للضفة الغربية وغزة والمفاوضات بشأن « الوضع النهائى » . وكان شولتز يشعر منذ فترة طويلة بأنه ينبغى ضغط الجدول الزمنى المتوخى فى كامب ديفيد ، وأكدت مبادرته بوضوح أن ذلك سوف يتم .

ووفقا لرأى شولتز ينبغى أن تعالج القضية الفلسطينية فى مفاوضات بين وفد إسرائيلى ووفد أردنى فلسطينى ، وأن يتم تخصيص ستة أشهر للتفاوض بشأن الترتيبات الانتقالية . وفى الشهر السابع ، تبدأ المفاوضات بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة - بغض النظر عن نتيجة المرحلة الأولى من المفاوضات . وحددت المبادرة موعدا مستهدفا مدته عام واحد للتفاوض بشأن الوضع النهائى للأراضى المحتلة . وبافتراض إمكان التوصل إلى اتفاق بشأن الترتيبات الانتقالية ، فإن مرحلة انتقالية سوف تبدأ فى موعد مبكر وتستمر لمدة ثلاث سنوات . وقال شولتز إن الولايات

المتحدة سوف تشارك فى مجموعتى المفاوضات ، وسوف تقدم مشروع اتفاق بشأن الترتيبات الإنتقالية لتنظر فيه الأطراف المعنية .

ويسبق المفاوضات الثنائية بين إسرائيل ووفد أردنى فلسطينى ، عقد مؤتمر دولى . ويقوم الأمين العام للأمم المتحدة بدعوة الأطراف الإقليمية والأعضاء الدائمين بمجلس الأمن .(١٨) ويتعين على جميع المشتركين فى المؤتمر أن يقبلوا القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ . ورغم أنه يجوز للأطراف المتفاوضة أن تقدم تقارير إلى المؤتمر من حين لآخر ، حسب الاتفاق ، فإن المؤتمر لن تكون له سلطة فرض آرائه أو نقض نتائج المفاوضات .

وقال شولتز أيضا إنه ينبغى تمثيل الفلسطينيين فى وفد أردنى فلسطينى موحد ، ويعالج ذلك الوفد القضية الفلسطينية بكاملها ، وتكون هذه المفاوضات مستقلة عن أية مفاوضات أخرى .

وفى الشهور التى تلت مبادرته ، حاول شولتز بإصرار أن يوهن خصومها فى كل من إسرائيل والعالم العربى . وكانت مشكلته الكبرى هى رئيس الوزراء شامير ، الذى نسف فكرة المؤتمر الدولى - الذى كان شولتز يرى فيه جزءا هامشيا من مبادرته - بعبارات قاطعة . كذلك رفض شامير فكرة « التشابك » زاعما أنها تتناقض مع كامب ديفيد . وكان شامير على صواب فى قوله أن اتفاقات كامب ديفيد جعلت محادثات « الوضع النهائى » معتمدة على تحقيق نجاح سابق فى الاتفاق على الترتيبات الانتقالية . وبمقتضى اقتراح شولتز ، سوف تبدأ المحادثات بشأن الوضع النهائى سواء تم التوصل لاتفاق بشأن المرحلة الانتقالية أم لم يتم ، ومن ثم لا يتوافر حافز كبير للفلسطينيين للتفاوض بشكل جاد بشأن المرحلة الانتقالية المبدئية . ولم تكن احتمالات النجاح فى حل قضايا الوضع النهائى مشرقة ، كما صرح شامير علنا ، لأن مبادلة الأرض بالسلام كانت أمرا غريبا عليه .(١٩)

وجرى الترويج بشكل جيد لانتقادات إسرائيل لمبادرة شولتز ، مع أن بيريز كان قد رحب علنا بالمحاولة الأمريكية . وعلى الجانب العربى ، بذل الملك حسين جهدا كبيرا حتى لا يتخذ موقف الرافض لمبادرة شولتز . فقد وجه أسئلة ، والتمس إيضاحات ، وحاول جاهدا الحصول عليها ، وأشار علنا إلى أهمية إشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى هذه المحاولة ، وسعى عموما إلى الإبقاء على خياراته المتضائلة مفتوحة .

وكان رد الفعل الفلسطينى قاطعا بدرجة أكبر . إذ كان الزعماء الفلسطينيون ، برغم ارتياحهم لاستجابة الولايات المتحدة للانتفاضة ، يشعرون بالاستياء لمعاملة خطة شولتز لهم معاملة من الدرجة الثانية . وشعروا بأنه قد عهد إليهم بدور الشريك الأصغر للأردن فى أفضل الأحوال .

ولم يكن الاتحاد السوفيتى أيضا متحمسا للسمة الأساسية فى خطة شولتز ، وهى المؤتمر الدولى . وفى حين أعرب شامير عن مخاوفه من أن يصبح للمؤتمر سلطة ملزمة وأن يعمل على تقويض الموقف الإسرائيلى ، كان القلق السوفيتى للسبب المناقض لذلك تماما . إذ بدا للسوفيت أن المؤتمر الدولى ، كما توخاه الأمريكيون مجرد إجراء رمزى . وكان السوفيت يريدون القيام بدور فعلى فى العملية التفاوضية ، وألا يكون وجودهم مجرد فرصة لإضفاء الشرعية على مبادرة

صنعت فى أمريكا تتركهم فى نهاية المطاف خارج الملعب على الخطوط الجانبية . وبالمثل ، استقبلت سوريا اقتراح شولتز بفتور . وكان مبارك ، الذى كان بلده يعيش بالفعل فى حالة سلام مع إسرائيل ، هو الوحيد الذى أيد الخطة الأمريكية الجديدة علنا .(٢٠)

وفى مواجهة هذه العقبات ، لم تتوافر لخطة شولتز مطلقا فرصة كبيرة لتحقيق نجاح كامل . ومع ذلك ، فقد حظيت بتأييد واسع من الرأى العام الأمريكى . ولم توجه انتقادات كثيرة إلى ملامحها الرئيسية ، باستثناء بعض الكلمات اللاذعة التى صدرت عن هنرى كيسنجر عن فكرة عقد مؤتمر دولى بأسرها . وكان شولتز ورفاقه يأملون بلا شك فى تحقيق نجاح كبير وأن تبدأ عملية تفاوضية تحت إشرافهم . إلا أنهم تحدثوا عن أغراض أخرى كانت وراء هذه المبادرة ، من أهمها أنهم كانوا يريدون التأثير على الرأى العام الإسرائيلى . فمع احتمال إجراء معاوضات سلمية مع جيرانهم العرب ، كان من المأمول أن يقترع الرأى العام الإسرائيلى فى انتخابات خريف عام ١٩٨٨ لصالح قيادة تلتزم باتخاذ مواقف توفيقية . إلا أنه قد يثبت بطبيعة الحال أن هذا الاحتمال ، هو مجرد تعلل بالأمانى ؛ إذ أن الكثير يعتمد على نجاح شولتز فى أن يقدم شريكا عربيا مقبولا فى محادثات السلام . ومع ذلك ، فإن الهدف الأمريكى كان المساعدة على تشكيل المناقشة السياسية فى إسرائيل كيما تصبح الانتخابات بمثابة استفتاء على السلام .

واعتمدت خطة شولتز بشكل أساسى على التعاون مع الملك حسين . ففى خلال أربع رحلات إلى الشرق الأوسط فى النصف الأول من عام ١٩٨٨ ، حاول شولتز إقناع حسين ، بل ومدّ يده للفلسطينيين فى الضفة الغربية دون نجاح كبير . بيد أنه فى ٣١ يوليو ، انهارت الأسس التى تقوم عليها مبادرة شولتز ، عندما تخلى الملك حسين فى بيان رسمى عن جميع الروابط القانونية والإدارية مع الضفة الغربية ، معلنا بصراحة أنه من الآن فصاعدا ستكون منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولة عن الفلسطينيين الذين يقيمون هناك .(٢١)

هل يجرى حوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية ؟

فى الوقت الذى أصبح فيه الأردن خارج الصورة مؤقتا على الأقل ، ربما ساد اعتقاد بأن الولايات المتحدة ستفقد الاهتمام بمتابعة مبادرات السلام بين العرب وإسرائيل . إذ أنه فى عام الانتخابات على وجه الخصوص ، لا بد أن ينصب الانتباه على موضوعات أخرى . إلا أن الأنباء القادمة من إسرائيل يوميًا كانت تحمل مزيدا من صور العنف والتطرف من جانب الفلسطينيين ، وخصوصا بين الشباب ، وأيضا علامات على تزايد النزعة النضالية الإسلامية . ولم يكن هناك أحد فى واشنطن يشعر بالارتياح إزاء تدهور الحالة بين إسرائيل والفلسطينيين . ولكن ما الذى يمكن عمله ، ولا سيما قبل الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية ؟

كانت فكرة إقامة اتصالات مباشرة بين واشنطن ومنظمة التحرير الفلسطينية قد تم استطلاعها مرات كثيرة فى السنوات السابقة . ومع تجدد الاهتمام بهذه الفكرة من وقت لآخر بين المسؤولين الأمريكيين ، فإن الغاية كانت دفع موقف منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاعتدال بشأن السلام مع

إسرائيل ، وفتح الطريق للمشاركة المباشرة من جانب ممثلين فلسطينيين شرعيين فى المفاوضات .[٢٢] وقد قبل معظم صانعى السياسة الأمريكية ، ولو بشيء من التذمر ، حقيقة أن منظمة التحرير الفلسطينية هى المتحدث باسم الفلسطينيين الذى يحظى بأوسع تأييد . وكان الملك حسين وحده هو الذى يعتبر دوما البديل المحتمل لها . وهكذا ، فإن جميع الحكومات الأمريكية حاولت بطريقة أو بأخرى ، إقامة بعض الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وكان كيسنجر قد أذن منذ عام ١٩٧٤ بعقد اجتماعات بين منظمة التحرير الفلسطينية وفرنون والترز ، ثم مع وكالة المخابرات المركزية . وفى بيروت ، احتفظ رجال المخابرات باتصالات لأغراض تتعلق بتبادل المعلومات عن الأمن . ومن حين لآخر ، كان يجرى تبادل الرسائل الدبلوماسية عن طريق هذه القنوات . ولكن بعد أن تعهد كيسنجر فى عام ١٩٧٥ بأن لا تعترف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تتفاوض معها ما لم تقر المنظمة بحق إسرائيل فى الوجود وتقبل القرار ٢٤٢ ، أصبحت الاتصالات الرسمية نادرة . إلا أن هذا التعهد لم يوقف تبادل الرسائل عن طريق الوسطاء الذين كانوا يعملون أحيانا بتفويض وأحيانا أخرى بمبادرة من جانبهم .[٢٣] ولكن لم تقم مطلقا علاقة مستمرة ، رفيعة المستوى ومعترف بها علنا ، بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وكان الذين يتوقعون أن يلجأ ريجان الموالى لإسرائيل أو شولتز الموالى لها أيضا إلى تغيير هذه السياسة يمثلون قلة قليلة . ويستطيع هذان الرجلان أن يؤكدا أنهما لم يغيّرا سياستهما . ومع ذلك فقد كانا يترقبان أن نوافق الولايات المتحدة فى نهاية الأمر على البدء فى حوار رسمى مع منظمة التحرير الفلسطينية ، ولا سيما فى الأيام التى بدأت تضعف فيها رئاسة ريجان .

ووفقا للرواية المتداولة عما حدث ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية ، التى كانت تشعر بالخطر من أن تصبح فى وضع هامشى بعد أن اكتسبت الانتفاضة قوة دافعة ، وتتعرض للضغط من كل من الدول العربية والسوفيت على حد سواء ، قبلت فى نهاية الأمر الشروط الأمريكية المعروفة ، ومن ثم بدأ الحوار .[٢٤] ولكن هذا لم يكن سوى جزء من القصة .

فمنذ فترة مبكرة ترجع إلى أبريل ١٩٨٨ ، بدأت مجموعة صغيرة من الزعماء اليهود الأمريكيين تستطلع مع الحكومة السويدية إمكانية عقد اجتماع مع منظمة التحرير الفلسطينية لصياغة بيان دقيق الإعداد عن التزام منظمة التحرير الفلسطينية بالتوصل إلى تسوية سلمية مع إسرائيل .[٢٥] وجدير بالذكر أن وزير الخارجية السويدى شتن اندرسون كان صديقا ودودا لإسرائيل ، إلا أنه قد روّع بما شاهده أثناء زيارة قام بها لإسرائيل والأراضى المحتلة . ولذلك ، فقد بدأ فى محاولة لبناء الجسور بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، ولكنه سرعان ما استقر على فكرة البدء باجتماع يعقد بين قادة منظمة التحرير الفلسطينية ويهود أمريكيين بارزين . وقد أطلع جورج شولتز على نواياه . وعندما لم يبد أية اعتراضات ، مضى اندرسون فى تنفيذ خططه فى هدوء .

وحسب رواية شولتز بنفسه ، فإنه لم يكن متحمسا لهذا الأسلوب فى الدبلوماسية السرية ، وظل لا يوليها اهتماما يذكر حتى وقت متأخر من ذلك العام .[٢٦] بيد أنه كان يقدر أندرسون تقديرا

كبيرا ، وكان يعتبره دبلوماسيا محترفا يمكن الاعتماد عليه . وقد ثبتت أهمية هذا التقدير في المراحل الأخيرة من إقامة هذا الحوار .

وفي الوقت نفسه انفتح طريق آخر للدبلوماسية السرية ، لاستطلاع الصيغ التي قد تتفق عليها منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة ، وتكون سرية في البدء ، مما يلبي الاحتياجات السياسية للجانبين لبدء المحادثات . وجاءت القوة الدافعة لهذه المبادرة من جانب شخص أمريكي فلسطيني يدعى محمد ربيع ، وذلك بعد وقت قصير من إعلان الملك حسين قراره بقطع الروابط القانونية مع الضفة الغربية .[٢٧] وكان ربيع يعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية ستكون الآن مستعدة لقبول الشروط الأمريكية لو اطمأنت مقدما إلى أن حوارا رسميا سوف يتبع ذلك ، بالإضافة إلى الإعراب عن التأييد الأمريكي بشكل ما لفكرة تقرير المصير للفلسطينيين .[٢٨]

وبحلول منتصف أغسطس ، تم استعراض هذه المبادرة مع وزارة الخارجية . وروجعت مسودة البيانات التي قد تصدرها منظمة التحرير الفلسطينية والرد الأمريكي المقابل .[٢٩] وكان قد تم توضيح الموقف الأمريكي تجاه المبادرة ، والذي سيرسل إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، على الوجه التالي :

- لم يحدث تغيير في شروط موافقة الولايات المتحدة على التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية .
- إن الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية قد اقتربتا من التوصل إلى اتفاق في الماضي ، ومع ذلك فقد أفلتت تلك الفرصة . وإذا أريد القيام بمحاولة جادة الآن فلا بد أن يتوافر الوضوح لدى الطرفين . إذ أن الغموض ستكون له نتائج عكسية ، ولا سيما عشية الانتخابات الإسرائيلية .
- لو أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية البيان الذي تطلبه الولايات المتحدة ، فإنه يمكن أن تبدأ المحادثات فورا . ورغم أنه قد يكون من الأسهل القيام ببعض الأمور بعد الانتخابات الأمريكية لأسباب سياسية ، إلا أنه ليست هناك ضرورة للانتظار .
- إن الولايات المتحدة لن تقبل أي تحفظ يصحب بيان قبول القرار ٢٤٢ . وأية شروط تود منظمة التحرير الفلسطينية أن تذكرها ، ينبغي أن تدرج في فقرة منفصلة . إن الولايات المتحدة في حاجة إلى قبول « نظيف » للقرار ٢٤٢ .
- إن البيان الأمريكي المقترح يبدو قريبا لما قد تكون الولايات المتحدة مستعدة أن تقوله ، إلا أنه يتعين أن يراجعه الوزير شولتز شخصيا في الوقت المناسب .
- إن هذه المبادرة تكون جديرة بالاهتمام « لو كانت منظمة التحرير الفلسطينية جادة » . وسيكون فريق صغير جدا مسؤولا عن المبادرة من الجانب الأمريكي ، ويمكن الاتصال به في جميع الأوقات . وليست هناك قناة أخرى ستتبع هذا االمسعى .[٣٠]

وبعد ذلك بفترة وجيزة توجه محمد ربيع إلى تونس حيث قدم هذه الوثائق وفكرة المبادرة إلى عرفات وغيره من كبار قادة منظمة التحرير الفلسطينية . وبعد محادثات مطولة عاد إلى واشنطن في مطلع شهر سبتمبر ومعه موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على صيغة منقحة بصورة طفيفة ، ومرهونة بإصدار الولايات المتحدة لبيان يقترب من العينة التي نوقشت مع واشنطن ، ولكنها لم تعتمد بعد .[٣١] وتم نقل هذه المعلومات فورا إلى وزارة الخارجية وقوبلت باهتمام . وشعر شولتز

بأنه قد يساعد الحكومة التالية بالبدء فى الحوار ، ولكنه لم ير أن ثمن ذلك يجب أن يكون تأييد حق الفلسطينيين فى تقرير المصير ، الذى اعتبره تعبيرا بالشفرة عن دولة فلسطين .

وكانت المسألة المثارة حينذاك بالنسبة لحكومة ريجان هى ما إذا كانت ستفصح عما ستقوله مقابل قبول منظمة التحرير الفلسطينية للقرار ٢٤٢ ، واعترافها بحق إسرائيل فى الوجود ، ونبذها للإرهاب . وعلى مدى الأسابيع التالية ، وردت أنباء من تونس عن نفاد الصبر بشأن سماع الموقف الأمريكى الرسمى . وفى منتصف شهر سبتمبر ، أطلعت منظمة التحرير الفلسطينية السوفيت على المبادرة ، وورد أنهم أيدوها .

وفى ١٦ سبتمبر ألقى شولتز خطابا هاما أمام مجموعة موالية لإسرائيل فى مزرعة واى بولاية ميريلاند . وشرح السبب فى أن الولايات المتحدة لن تؤيد فكرة تقرير المصير للفلسطينيين إذا كان ذلك يعنى حقا تلقائيا فى إقامة دولة . بيد أنه أضاف قائلا إنه فى المفاوضات سيكون الفلسطينيون « أحرارا فى أن يطالبوا بالاستقلال » . ولكن المفاوضات هى الأمر الرئيسى .(٣٢)

ونظرا لتصاعد مشاعر الإحباط على كلا الجانبين ، اذن شولتز بإرسال رسالة شفهية إلى محمد ربيع لنقلها إلى عرفات يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٨٨ . وجاء فى هذه الرسالة : « لقد تلقينا المبادرة بالترحيب ، ونرى أنها محاولة جادة . وقد أولينا هذه المسألة اعتبارا دقيقا وسوف تبقى موضع المناقشة الجادة . ونتوقع أن نقدم ردنا عليها خلال ستة أسابيع أو نحو ذلك » . وبإيجاز ، فإن الرد الأمريكى على بيان منظمة التحرير الفلسطينية المقترح سوف يرسل بعد الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية .(٣٣) ولكن المرء كان يستطيع أن يستشف منذ الآن أن حكومة ريجان لم تكن تنتظر فى سلبية قبول منظمة التحرير الفلسطينية . فقد أومأت إلى موقف إيجابى ، وأكدت مرة أخرى أن المحادثات سوف تبدأ بغير شك بمجرد تلبية الشروط المعروفة . ومن قبل ، كانت السياسة المعلنة هى أنه لا يمكن إجراء محادثات ما لم تقبل منظمة التحرير الفلسطينية الشروط الأمريكية ، ولكن حتى قبول المنظمة لهذه الشروط لم يكن يؤدى بالضرورة إلى بدء حوار رسمى . أما الآن فقد أعلن بوضوح أن المحادثات ستبدأ فور قبول المنظمة للشروط الأمريكية .

وفى محاولة لتفادى فشل هذه المبادرة فى الأسابيع الفاصلة التالية ، قدمت منظمة التحرير الفلسطينية لمحات من خططها . ففى ١٩ أكتوبر ، كشفت المنظمة عن الموقف الذى تعتزم اتخاذه فى الاجتماع المقبل للمجلس الوطنى الفلسطينى . وقالت إنها سوف تقبل مبدأ الحل القائم على وجود دولتين ، وذلك استنادا إلى قبولها لقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ، الذى دعا إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين ، وكانت الدول العربية قد رفضته فى ذلك الوقت . وبالإضافة إلى ذلك ، ستقبل منظمة التحرير الفلسطينية القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس للمؤتمر الدولى ، فى مقابل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى ، بما فيها حقه فى تقرير المصير . وسوف تشجب المنظمة أيضا الإرهاب . وبعد اعتماد هذه المواقف رسميا ، ستصدر المنظمة البيان الذى أرادته الولايات المتحدة ، ثم تقدم الولايات المتحدة ردودها بعد ذلك .

وبناء على هذه المعلومات ، كان من المتوقع ظهور عدة مشاكل ، إذ يبدو أن منظمة التحرير

الفلسطينية كانت لا تزال مصممة على القبول الأمريكى لتقرير المصير الفلسطينى كثمن لقبول القرار ٢٤٢ . وفى حين كانت المنظمة تشجب الإرهاب فانها لم تكن مستعدة لنبذه . كذلك ، لم تشر المنظمة صراحة إلى حق إسرائيل فى الوجود .

وبعد فترة قصيرة من تلقى هذه الرسالة ، أبلغ الأردنيون الحكومة الأمريكية أن عرفات لم يعد مصرا على الاعتراف بحق تقرير المصير . وأنه إذا أمكن تحقيق الانسحاب الإسرائيلى ، مع إلغاء المطالبة القانونية بالأراضى من جانب الأردن ، سيصبح الفلسطينيون السلطة الحاكمة فى أى أرض تجلو عنها إسرائيل . وفى حين كان الموقف الأردنى منطقيا ، إلا أنه لا يمكن اعتباره بصورة تلقائية انعكاسا صحيحا لموقف منظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد أن أصبح مقررا عقد المجلس الوطنى الفلسطينى فى شهر نوفمبر ، أعرب عرفات عن بعض القلق بشأن مدى إمكان الاعتماد على القناة المستخدمة للاتصال بين واشنطن وتونس .[٣٤] ولعل الأرجح أنه كان يشعر بالإحباط إزاء ما يسمع . فلم يكن شولتز مستعدا للإفصاح عما لديه إلا بعد اجتماع المؤتمر الوطنى الفلسطينى .

ومع اقتراب موعد هذا الاجتماع ، بدأ ظهور نتائج الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية . فأسفرت الانتخابات الإسرائيلية مرة أخرى عن تعادل حزبى الليكود والعمل ، مما أفضى بعد برهة وجيزة إلى ائتلاف بزعامة الليكود مع حزب العمل ، ولكن دون تناوب لرئاسة الحكومة فى هذه المرة ، مع تولى موشى آرينز منصب وزير الخارجية بدلا من شيمون بيريز الذى يعد من الحمائم بدرجة أكبر ، والذى نقل إلى وزارة المالية . واحتفظ رابين بمنصب وزير الدفاع . وهكذا ظل حزب العمل يتولى المناصب الرئيسية فى مجلس الوزراء . إلا أن القرارات المتعلقة بالسياسات الخارجية أصبحت منذ ذلك الحين فصاعدا تحت السيطرة الكاملة لشامير .

وكانت الانتخابات الأمريكية أكثر حسما من الانتخابات التى جرت فى إسرائيل قبلها ببضعة أيام . فقد ألحق نائب الرئيس جورج بوش ، هزيمة ساحقة بحاكم ولاية ماساشوستس ، مايكل دوكاكيس . وهكذا انفتحت نافذة ضيقة يمكن من خلالها التوصل إلى اتفاق بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية قبل أن تترك إدارة ريجان الحكم . وكان بوش حريصا بصفة خاصة على أن يتم ذلك قبل أن يؤدى القسم ، إلا أنه لم يقم بدور هام فى وضع القرارات المتعلقة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعندما دعا عرفات المجلس الوطنى الفلسطينى إلى الاجتماع فى الفترة من ١٢ إلى ١٥ نوفمبر ، نجح فى التصديق على برنامجه السياسى وفى إعلان قيام دولة فلسطين مع توليه رئاستها .[٣٥] وكان من المفترض أن تقوم هذه الدولة إلى جانب إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وبدا أن منظمة التحرير الفلسطينية قد قبلت القرار ٢٤٢ ، وإن لم يكن بغير شروط . وكانت بعض العبارات فى الوثيقة السياسية لا تزال تعبر عن الشعارات القديمة . ولكن شولتز لم يتأثر بذلك .

ومن ناحية أخرى ، كانت المبادرة السويدية قد بدأت تؤتى ثمارها . فقد عقد اجتماع مبدئى بين ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية والزعماء اليهود الأمريكيين فى أواخر نوفمبر ، وتم التوصل

إلى اتفاق بشأن البيان السياسى العام . واتخذ هذا البيان شكل تفسير متفق عليه لقرارات المجلس الوطنى الفلسطينى الأخيرة . وتمثلت ذروة هذه المحاولة فى عقد اجتماع عام للزعماء اليهود الأمريكيين مع عرفات فى ستوكهولم ، يصدر خلاله البيان الجديد . وقبل انعقاد هذا الاجتماع ، اتصل اندرسون بشولتز ليسأله إذا كان يريد إرسال أى شيء هام إلى عرفات . وكان شولتز قد رفض لتوه طلبا من عرفات للحصول على تأشيرة دخول لحضور اجتماعات الأمم المتحدة على أساس أن منظمة التحرير الفلسطينية هى مجموعة إرهابية ، ومع ذلك فقد قرر أن يستجيب لأندرسون .(٣٦)

صياغة دقيقة للكلمات

فى رسالة مؤرخة فى ٣ ديسمبر ١٩٨٨ ، بعث شولتز بالموقف الأمريكى الذى طال انتظاره ، بالإضافة إلى نص ما يتعين أن يقوله عرفات من أجل الوفاء بالشروط الأمريكية . وأوضح شولتز فى رسالته ، أنه لن يساوم مرة أخرى فيما يتعلق بالصياغة ، وذكر أيضا أن منظمة التحرير الفلسطينية يمكن أن تضيف نقاطا أخرى إلى البيان الأساسى ، إلا أن هذه النقاط ينبغى ألا تكون شرطا لقبول الشروط الأمريكية أو متناقضة مع هذا القبول . وأخيرا ، أضاف شولتز أنه ليس هناك فى رسالته ما يعنى أن الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بدولة فلسطينية مستقلة (انظر الملحق « ى ») .

وينص بيان منظمة التحرير الفلسطينية المقترح ، الذى أرسل إلى عرفات عن طريق أندرسون يوم ٧ ديسمبر على ما يلى :

إن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، مساهمة منها فى البحث عن سلام عادل دائم فى الشرق الأوسط ، ترغب فى إصدار البيان الرسمى التالى :

١ – إنها مستعدة للتفاوض مع إسرائيل حول تسوية سلمية شاملة للنزاع العربى الإسرائيلى على أساس قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ .

٢ – إنها تتعهد بالعيش فى سلام مع إسرائيل وجيرانها الآخرين ، وأن تحترم حقهم فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دوليا ، وذلك مثلما ستفعل الدولة الفلسطينية الديمقراطية التى تلتمس إقامتها فى الضفة الغربية وقطاع غزة .

٣ – إنها تدين إرهاب الفرد والجماعة والدولة فى جميع أشكاله ، ولن تلجأ إليه .

٤ – إنها مستعدة لوقف جميع أشكال العنف ، على أساس متبادل ، حال بدء المفاوضات .(٣٧)

وفى المقابل ، وعد شولتز بأن تعلن الولايات المتحدة أنها مستعدة لأن تبدأ مناقشات مضمونية مع منظمة التحرير الفلسطينية . وتقر الولايات المتحدة بأن لممثلى الفلسطينيين الحق أثناء سير المفاوضات فى إثارة جميع الموضوعات التى تهمهم . وقال شولتز إنه بعد ذلك سيجيب مسؤول أمريكى عن سؤال مدسوس عما إذا كان الفلسطينيون يمكنهم عرض موقفهم بشأن قيام الدولة ، والذى ستكون الإجابة عليه « نعم ، ان للفلسطينيين ، بقدر ما يعنينا الأمر ، الحق فى السعى من أجل أن تكون لهم دولة مستقلة عن طريق المفاوضات » ، وهذا الرد يعتبر قريبا من إعلان لشولتز يقول فيه إن للفلسطينيين الحق فى تقرير المصير . واستجابة لطلب من منظمة التحرير الفلسطينية ،

وافق شولتز أيضا على أن يجيب عن سؤال بشأن المؤتمر الدولى ، كما يلى : « لقد أوضحت الولايات المتحدة منذ فترة طويلة تأييدها للمفاوضات المباشرة ، ولكننا مازلنا مستعدين للنظر فى أى اقتراح قد يفضى إلى إجراء مفاوضات مباشرة من أجل التوصل إلى سلام شامل . ولقد دعت المبادرة التى اقترحها وزير الخارجية شولتز فى بداية العام إلى عقد مؤتمر دولى من أجل بدء المفاوضات المباشرة ، وأى مؤتمر من هذا النوع يجب أن ينظم بحيث لا يصبح بديلا عن المفاوضات المباشرة » .

ورد عرفات بطريقتين على رسالة شولتز . فقد أبلغ أندرسون أنه يوافق شخصيا على الصيغة التى اقترحها شولتز ، بل إنه وضع توقيعه على النص المقترح .(٣٨) (انظر رد عرفات فى الملحق « ى ») . ولكنه استطرد قائلا : إنه يتعين عليه أن يلتمس موافقة الأعضاء الآخرين فى اللجنة التنفيذية للمنظمة . ثم أصدر عرفات علنا البيان الذى كان قد أعد أثناء اجتماع ممثليه مع الزعماء اليهود الأمريكيين يوم ٢١ نوفمبر . وجاء منطوقه قريبا مما يريده شولتز ، وإن لم يطابقه تماما ، إذ أن عرفات ، بدلا من أن يقبل دون شرط قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع إسرائيل ، أضاف حق الفلسطينيين فى تقرير المصير كأساس آخر للمؤتمر ، مما يعنى ضمنا أنه يتعين قبول هذا الشرط مقدما من جانب المشتركين الآخرين ، وهو أمر لم تكن الولايات المتحدة ولا إسرائيل مستعدتين لقبوله . وعلاوة على ذلك ، فمع أن عرفات « رفض وأدان » الإرهاب فى جميع أشكاله ، إلا أنه لم ينبذه أو يتعهد بعدم الانخراط فيه مستقبلا . ويبدا هذا للبعض كما لو كان نزاعا تافها حول الكلمات ، إلا أنه كان مهما بالنسبة لشولتز . ولعل الأمر الأكثر إيجابية وأهمية ، هو ما أوضحه عرفات علانية من أن منظمة التحرير الفلسطينية « تقبل وجود إسرائيل كدولة فى المنطقة » ، وهى صيغة لم يستخدمها من قبل .

وجاءت الخطوة التالية فى محاولة جعل عرفات ينطق بالكلمات السحرية أثناء إلقاء كلمته فى الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة التى عقدت فى جنيف يوم ١٣ ديسمبر ١٩٨٨ . فقد صادف عرفات بعض المعارضة فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لفكرة استخدام نفس اللغة المحددة التى قدمها شولتز لأندرسون . وكان نايف حواتمه بوجه خاص يتخذ موقفا معارضا لهذه الفكرة . ومن ثم ، بعث عرفات برسالة إلى السويديين بأنه سوف يستخدم صياغة شولتز فى خطابه ، إلا أنها ستكون مبعثرة فى أنحاء النص .(٣٩) ويبدو أن هذه الرسالة لم تنقل بطريقة واضحة إلى الأمريكيين الذين كانوا يتوقعون أن يسمعوا على وجه الدقة نفس الكلمات التى اتفقوا عليها .

وعندما كان عرفات يمضى فى تلاوة خطابه الطويل المدوى ، حرص على « رفضه » و« إدانته » للإرهاب فى جميع أشكاله ، إلا أنه لم يعلن « نبذه » للإرهاب .(٤٠) وقرب انتهاء خطابه ، تناول عرفات مسألتى القرار ٢٤٢ وحق إسرائيل فى الوجود . وكانت الصياغة معقدة باللغة العربية ولكن ربما تكون أفضل ترجمة لها ، كما يلى :

ستعمل منظمة التحرير الفلسطينية على تحقيق تسوية سلمية شاملة بين أطراف النزاع العربى الإسرائيلى ، بما فى ذلك الدولة الفلسطينية وإسرائيل والدول المجاورة الأخرى ، فى إطار المؤتمر

الدولى المعنى بالشرق الأوسط ، بغية تحقيق المساواة وتوازن المصالح ، ولا سيما حق شعبنا فى التحرر والاستقلال الوطنى ، واحترام حق كل دولة فى الوجود ، وفى السلام والأمن ، وفقا للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ .

وشعر بعض المسؤولين بوزارة الخارجية الذين كانوا يستمعون إلى الخطاب أن عرفات لم ينكر على وجه التحديد المفاوضات مع إسرائيل أو حق إسرائيل فى الوجود ، كما أنه لم ينبذ الإرهاب رغم أنه اقترب كثيرا من أن يفعل ذلك . وكان رد فعل شولتز ومساعده ذى النفوذ ، تشارلز هيل سلبيا ،[٤١] إذ كانا يتوقعان الامتثال الحرفى ، وشعرا بأن الخطاب يعتبر علامة أخرى على أنه لا يمكن الوثوق فى عرفات . واعترف السويديون بأن الخطاب لم يلبِّ الشروط الأمريكية ، إلا أنهم شعروا بأنه قد فعل ذلك بصورة تقريبية . وكان كل ما وافق عليه شولتز هو أنه يمكن لعرفات أن يحاول مرة أخرى .

وخلال نهار يوم ١٤ ديسمبر ، تدخل كثيرون لدى عرفات - الرئيس المصرى ، والسعوديون ، والسويديون ، وأفراد أمريكيون - فى محاولة لإقناعه بأن ينطق بنفس الكلمات التى يصر عليها شولتز على وجه الدقة . وأخيرا وافق عرفات ، وهو فى صحبة عدد من رجال الأعمال الفلسطينيين الأثرياء الذين كانوا يجرون اتصالات مع وزارة الخارجية للتحقق من الصياغة المقبولة ، على أن يعقد مؤتمرا صحفيا ، حيث أعلن فى نهاية الأمر ، باللغة الإنجليزية (انظر النص الكامل فى الملحق « ك ») .

أمس ... أشرت أيضا إلى قبولنا للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع إسرائيل فى إطار المؤتمر الدولى ... كما كان واضحا فى خطابى أمس أننا نعنى ... حق جميع الأطراف المعنية فى نزاع الشرق الأوسط فى العيش فى سلام وأمن ، وكما ذكرت ، بما فى ذلك دولة فلسطين وإسرائيل والدول المجاورة الأخرى وذلك وفقا للقرارين ٢٤٢ و٣٣٨ .

وبالنسبة للإرهاب ، فلقد نبذته أمس بصريح العبارة ، ومع ذلك فإننى أكرر هنا للعلم به وتسجيله ، أننا ننبذ كلية وبشكل مطلق كل أشكال الإرهاب ، بما فى ذلك إرهاب الفرد ، والجماعة ، والدولة .

ووافق شولتز أخيرا على أن عرفات قد أوفى بالشروط الأمريكية وأبلغ بذلك كولين باول ، مستشار الأمن القومى ، الذى التمس بعد ذلك موافقة الرئيس على إعلان أن المباحثات بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية يمكن أن تبدأ على مستوى السفير الأمريكى فى تونس . وقد ورد أن ريجان أعطى موافقته بسهولة تامة . وفى ١٤ ديسمبر ، رفعت الولايات المتحدة فى نهاية الأمر الحظر الذى كانت تفرضه على التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية (انظر الملحق « ك ») . وعلى الأقل لم يعد يتعين على إدارة بوش المقبلة أن تتعامل مع مشكلة بدء الحوار ، بيد أنها ستواجه مهمة لا تقل صعوبة وهى جعل المحادثات ذات مضمون وربطها بعملية السلام الأوسع نطاقا .

تقييم عهد ريجان

ظل ريجان شخصية تتمتع بالشعبية طوال معظم فترة رئاسته . ويعزى إليه على نحو واسع الفضل فى استعادة الثقة بالذات الأمريكية بعد الكآبة التى اتسمت بها سنوات كارتر . والشىء

الملموس بدرجة أكبر أنه تولى الرئاسة فى المرحلة الأخيرة من الحرب الباردة . وقد بدا العالم فى الوقت الذى ترك فيه منصبه مكانا أكثر أمنا ، حيث بدأت الدولتان النوويتان العظميان فى تخفيض ترساناتهما المتضخمة من أسلحة الدمار الشامل . وعلى الجبهة الاقتصادية ، أصبح كثيرون من الأمريكيين أفضل حالا مع اقتراب الثمانينات من نهايتها ، إلا أن كثيرين فى الدرجات الدنيا من السلم الاقتصادى أصبحوا أشد فقرا مما كانوا . وحسب معظم المقاييس ، اتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء اتساعا ملموسا . ثم كان هناك عجز الموازنة . فرغم كل كلام ريجان عن فضائل الميزانية المتوازنة ، فانه لم يقدم مطلقا ميزانية واحدة متوازنة ، ولم يقترب الكونجرس مطلقا من الموافقة على ميزانية من هذا القبيل . ونتيجة لذلك أصبحت الفائدة على الدين الوطنى هى ثانى أضخم البنود فى الميزانية بحلول عام ١٩٨٩ .

وبالنسبة لغالبية الأمريكيين كانت المسائل المتعلقة بالرزق هى التى تهمهم عند التفكير فى سنوات الثمانينات . إلا أنهم كانوا يدركون أيضا أن ريجان قد تخبط بصورة سيئة بمبادرته المعروفة باسم « الأسلحة مقابل الرهائن » فى عامى ١٩٨٥ و١٩٨٦ . وقد يتذكر البعض حتى المشاهد المروعة لمدينة بيروت أثناء قصفها بالقنابل ، ومذابح صابرا وشاتيلا ، وانفجارات بيروت فى عام ١٩٨٣ التى حصدت أرواح ما يزيد على ثلاثمائة أمريكى ، أى أكثر ممن لقوا مصرعهم فى أى حالة أخرى بالشرق الأوسط فى ظل أية إدارة أمريكية . بيد أن ريجان وكبار المسؤولين لم يوجه لهم اللوم مطلقا عن هذه الكوارث على ما يبدو ، مما أفضى إلى اتهام رئاسته بأنها كانت « رئاسة مصنوعة من التيفال » .(*)

وهناك قلة من الاستعراضات العامة الواسعة لفترة رئاسة ريجان ، تناولت دبلوماسيته العربية الإسرائيلية . فليس هناك أثر خالد مماثل لكامب ديفيد يرد إلى الذاكرة الجماعية عندما تستعيد سياسة ريجان المتعلقة بالشرق الأوسط . بل قد يقول البعض إنه حتى لم تكن هناك سياسة تجاه السلام العربى الإسرائيلى أثناء فترة حكم ريجان . ولكن هذا غير صحيح . إذ أن ريجان ، بمساعدة شولتز ، ألقى خطبة من أكثر الخطب التى صيغت بعناية فى أى وقت بشأن السياسة الأمريكية تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . وبعد مضى عقد من الزمان لا تزال هذه الخطبة تحدد معالم السياسة الأمريكية عن طريق تبنى اتفاقات كامب ديفيد وتوسيع نطاقها على حد سواء . وقد لقيت تلك الخطبة فى وقتها تأييدا واسعا من الحزبين . وحتى اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (ايباك) وجدت نفسها مجبرة على الإشادة بهذا الخطاب ، برغم رفضه بعنف من جانب بيجين . ورغم أن ريجان كان لا يبارى فى إلقاء الخطب ، فقد فشل هو ومساعدوه فى وضع استراتيجية لترجمة الكلمات إلى خطوات دبلوماسية عملية . ويمكن القول دفاعا عنهم أنه حتى الاستراتيجى البارع ربما كان سيجد صعوبة فى زحزحة حكومات الليكود برئاسة بيجين وشامير عن المواقف التى تتشبث بها .

ومع ذلك ، فإنه فى عامى ١٩٨٣ و١٩٨٥ ، ولا سيما العام الأخير ، ربما كان بمقدور ريجان

(*) أى لا يلتصق بها شيء . (المترجم)

وشولتز أن يدفعا بعملية السلام خطوة إلى الأمام لو أنهما أظهرا عزما وإصرارا أكبر . إذ لم تجر محاولة على غرار الدبلوماسية المكوكية المكثفة التى اتبعها كيسنجر أو سياسة لقاءات القمة التى اتبعها كارتر ، حتى أوائل عام ١٩٨٨ ، عندما كان الوقت قد بدأ ينفد . ولهذا ، فإن فترة حكم ريجان أسفرت عن تحقيق القليل على طريق التقدم الملموس تجاه السلام العربى الإسرائيلى ، وذلك بالرغم من أن شولتز قدم إضافات نافعة عديدة لإطار كامب ديفيد . وإجمالا ، لم تكن إسرائيل وجاراتها أكثر قربا من الاتفاق فى عام ١٩٨٨ عما كانت عليه فى عام ١٩٨٠ .

وربما يكون أفضل ما يمكن أن يقال هو أن الأمور لم تتدهور إلى درجة يتعذر إصلاحها . فمصر وإسرائيل كانتا لا تزالان تعيشان فى سلام ، وان كانت درجة حرارة العلاقات فاترة . وكان الفلسطينيون قد انغمسوا فى تمرد دائم على الاحتلال الإسرائيلى ، مما اقنع الملك حسين بأن ينسحب من الموقف المعرض للمخاطر الذى كان قد اتخذه فى عام ١٩٨٧ . ومات الخيار الأردنى الذى ظل قائما لفترة طويلة . لكن الفلسطينيين كانوا يلوّحون بالاستعداد لأن يقبلوا صراحة وجود إسرائيل كدولة فى المنطقة ، بشرط أن يتمكنوا من إقامة دولتهم الصغيرة إلى جانبها فى الضفة الغربية وغزة . وكان هذا الموقف ، الذى ناقشه الفلسطينيون لفترة طويلة فى مجالسهم الخاصة ، ثم خرج فى نهاية الأمر إلى العلن فى عام ١٩٨٨ ، ومن خلال جهد دبلوماسى شاق حظى بالتشجيع الحذر من جانب شولتز ، هو الذى أفضى إلى فتح حوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وكان هذا من أعظم المفاجآت فى عهد ريجان .

بيد أن احتمالات السلام العربى الإسرائيلى لم تحقق تقدما فى أعوام الثمانينات فى عهد ريجان . وأصبح الموقف فى أحد أبعاده أكثر صعوبة من الناحية الموضوعية . فعند توقيع اتفاقات كامب ديفيد ، كان نحو ١٠٠٠٠ مستوطن إسرائيلى يعيشون فى الضفة الغربية وغزة (بالإضافة إلى ١٠٠٠٠٠ آخرين أو نحو ذلك يعيشون فى منطقة القدس الكبرى) . وقبل ريجان ، كان جميع الرؤساء الأمريكيين يعلنون أن أنشطة الاستيطان الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة غير مشروعة وفقا لشروط اتفاقية جنيف الرابعة ، ليس هذا فحسب بل إنها تشكل عقبة فى طريق السلام . أما ريجان ، الذى كان متأثرا على ما يبدو بالحجج القانونية ليوجين روستو أستاذ القانون الدولى بجامعة ييل والمتحدث البارز بلسان الآراء المحافظة الجديدة الموالية لإسرائيل – فقد غير الموقف بشأن المستوطنات .(٤٢) ومنذ ذلك الحين فصاعدا ، أصبحت السياسة الأمريكية ترى أن المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة ليست غير مشروعة ، وإن كان ما زال ينظر إليها على أنها عقبة فى طريق السلام .

ولم يكن التغيير الذى أدخله ريجان على السياسة المتعلقة بالمستوطنات هو السبب فى نمو عدد المستوطنين الإسرائيليين فى الأراضى المحتلة إلى ١٠٠٠٠٠ بحلول عام ١٩٩٢ . ولكن لا شك فى أن الموقف الأمريكى المتساهل شجع سياسة الاستيطان الراسخة لشامير وشارون . بل لقد استنتج البعض فى السنوات الأولى من الثمانينات أن النشاط الاستيطانى قد اتسع إلى حد بعيد لدرجة أن التوصل إلى اتفاق إسرائيلى فلسطينى عن طريق التفاوض لم يعد أمرا ممكنا .(٤٣) وحتى الذين عارضوا هذا الاستنتاج اعترفوا بصعوبة التعامل مع العدد الضخم من المستوطنين الإسرائيليين

الذين يعيشون فيما وراء « الخط الأخضر » . ويبدو أن ريجان شخصيا لم يشعر مطلقا بقلق كبير إزاء هذه المسألة ، لأنه لم يكن منغمسا بصورة أساسية فى تفاصيل محاولة تحقيق تقدم فى عملية السلام . إلا أن خليفته ورث عنه مسألة المستوطنات باعتبارها عقدة أساسية سواء فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أو فى عملية السلام التى بدأت تنتعش من جديد فى التسعينات .

ومن الصعب ألا نستنتج أن أسلوب ريجان الذى يتسم بعدم الارتباط بسياسة معينة كرئيس للدولة ، وعدم ميله للاطلاع على بواطن الأمور ، وسلبيته بالنسبة للمسائل ذات الصلة بالشرق الأوسط ، كان عقبة فى طريق وضع دبلوماسية سلام أمريكية فعالة .(٤٤) ولم يكن ريجان مستعدا أو قادرا على فرض الانضباط على مرؤوسيه الذين استشرى الشجار بينهم (لبنان) ؛ وكان يتسامح إزاء أعمال تتخذ باسمه ويبدو أنها تضعف سياساته المعلنة (إيران – كونترا) ؛ ولم يكن لديه إحساس استراتيجى فى التعامل مع العرب والإسرائيليين ، باستثناء أنه جعل الإسرائيليين يشعرون بالأمان والعرب يحسون باليأس . ومن حسن الحظ أن الاتحاد السوفيتى بدأ فى الانحلال فى عهده ، ولذلك لم يكن لأوجه الضعف لديه وإفراطه فى تبسيط الأمور نتائج مدمرة . وبطريقته هذه فقد استخدم هيبته فى تعزيز خطوات ربما يستطيع أن يبنى عليها خلفه .

وعندما يكون الرئيس سلبيا وغير ميّال للانغماس فى الأمور ، فماذا يأمل وزير خارجيته فى أن يحققه ؟ لقد سيطر شولتز بوضوح على التحركات الدبلوماسية المتعلقة بالنزاع العربى الإسرائيلى طوال فترة توليه منصبه . وخلال العامين الأخيرين ، كان مسؤولا عن جميع نواحى السياسة الخارجية ، وكان يترأس فريقا له قدرات كبيرة ، ووضع بذلك حدا للتشاحن البيروقراطى . وبالنسبة لبعض المسائل المتعلقة بالشرق الأوسط ، مثل رفع الأعلام الأمريكية على الناقلات الكويتية ، تم تنفيذ سياسة مراعاة الفوارق الدقيقة بطريقة ناجحة . إلا أنه بالنسبة للأمور العربية الإسرائيلية ، بدا شولتز مترددا عندما لاحت الفرص ، مثلما حدث فى عام ١٩٨٥ . فقد تشبث فى إصرار باعتقاده بأنه يمكن جذب الملك حسين إلى محادثات السلام ، ولم يعد تقييم الوضع إلا بعد أن فشلت سياسته بوضوح . وكانت صياغته بشأن عقد مؤتمر دولى معقدة وملفوفة بدرجة جعلتها تفشل فى الفوز بتأييد العرب أو الإسرائيليين ، وذلك بالرغم من أن بعض النقاط استمرت قائمة فى شكل مختلف فى عهد الرئيس بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر .

كم من التردد الذى اتسم به شولتز نبع من إدراكه أنه لم يكن يستطيع الاعتماد على مساعدة كبيرة من الرئيس الذى يخدمه ؟ وكم من التردد نبع من اعتقاده بان الأمر يقتضى من العرب أن يواجهوا باقتناع كامل واقع وجود إسرائيل قبل أن تتمكن الولايات المتحدة من مساعدتهم ؟ وكم من التردد انبثق عن الإعجاب الحقيقى بالإسرائيليين المتشددين الموالين لأمريكا الذبن تعامل معهم ؟ وما هو القدر الذى ينسب إلى السياسات الداخليه ودور جماعة الضغط الموالية لإسرائيل فى التأثير على مجريات الأحداث ؟ لقد كان شولتز متحفظا فى الإفصاح عن بواعثه ، وكان الذين عملوا معه بصورة وثيقة يرون فيه شخصا محيرا . ولكنه ببدو من العدل أن نستخلص أنه كان يشعر بالإعجاب تجاه الإسرائيليين وكان يحجم عن الضغط عليهم ، وقد أصيب بالإحباط من القادة العرب الذين تعامل معهم ، وكان متشككا فى حكمة ملاحقتهم ما لم يتوصلوا إلى التزام قوى فيما بينهم بإقامة سلام

مع إسرائيل ، وكان يشارك ريجان ارتيابه فى البواعث السوفيتية ، وإن كان هذا الشعور قد تضاءل فى نهاية فترة توليه لمنصبه .

كانت سياسة ريجان وشولتز – وهما الشخصيتان الرئيسيتان المهمتان بالنسبة للمسائل العربية الإسرائيلية – تنشأ فى أغلب الأحيان كردود أفعال للأحداث التى تقع فى منطقة الشرق الأوسط وليس كجزء من مخطط كبير. فقد كانت مبادرة ريجان فى عام ١٩٨٢ رد فعل للغزو الإسرائيلى للبنان ؛ ورعت الولايات المتحدة الاتفاق المؤرخ ١٧ مايو ١٩٨٣ ، السيىء الإعداد بين إسرائيل ولبنان بناء على توصية إسرائيل ، كما ساعد الإسرائيليون على غرس فكرة التعامل مع إيران ، التى تم تحريفها وتشويهها وتحويلها بعد ذلك من جانب أنصار ريجان ذوى الحماس البالغ والذين لم يكونوا خاضعين لمراقبة كافية ، إلى خطة « الأسلحة مقابل الرهائن » ، ووسيلة مخادعة لتفادى الحظر الذى فرضه الكونجرس على تقديم المعونة للكونترا فى نيكاراجوا .

وبهذه الروح أيضا ، كانت مبادرة شولتز لعام ١٩٨٨ رد فعل للانتفاضة . فلولا تفجر العنف فى الأراضى المحتلة ، ربما لم يكن شولتز قد وضع خطته . وكان الانفتاح على منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة رد فعل على غير رغبة صادقة إزاء إعلان الملك حسين التخلى عن المسؤولية تجاه الضفة الغربية .

وعندما كان ريجان يتبنى قناعات قوية ، مثلما حدث بشأن كيفية التعامل مع الاتحاد السوفيتى ، كان بعض عناصر الاستراتيجية يغدو ظاهرا فى السياسات المعلنة . إلا أنه عندما كان يتخذ موقف اللا مبالاة أو يكون غير واثق ، أو عندما كان مستشاروه يختلفون أو يترددون فى التصرف ، كانت السياسة تغدو مشتقة من قضايا أخرى أو رد فعل لها . ولا غرو فى أن سجل تعزيز التوافق العربى الإسرائيلى لا يدعو للإعجاب .

وحتى فى مجال العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، فإن ميراث عهد ريجان يفتقر لليقين . فقد استمرت المساعدة فى التدفق بمستويات عالية غير مسبوقة ؛ وكان الكونجرس متعاطفا مع إسرائيل على نحو غير مألوف ؛ وكانت المشاجرات المحتملة من قبيل قضية بولارد للتجسس(٤٥) ، تُعامل على أنها انحرافات ؛ وتم تجاهل افتضاح قدرات إسرائيل النووية (٤٦) ؛ وقُدم للعلاقات بأكملها مبرر استراتيجى كان مفتقدا من قبل ، أو على الأقل لم يكن جوهريا .(٤٧)

وشعر إسرائيليون كثيرون بالابتهاج لهذه النتيجة . وكانوا يشعرون بالزهو من جراء معاملتهم « كحليف من خارج حلف شمال الأطلنطى » ، وكانت المعونة الأمريكية لصناعة الدفاع الإسرائيلية تلقى ترحيبا ، ووصل التعاون فى مجال المخابرات إلى آفاق عالية جديدة . إلا أنه بدون عملية سلام قوية ، كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تخاطران بفقد رابطة من روابط الماضى الصلبة . فرغم كل شىء ، جاءت الخطوات الرئيسية لصياغة الروابط الأمريكية الإسرائيلية الوثيقة فى سياق التحرك تجاه السلام . ولكن مع مضى الوقت ، هل سيواصل الرأى العام الأمريكى والحكومات المقبلة توفير الدعم السخى لإسرائيل التى لا تتخذ خطوات تجاه السلام مع جاراتها ؟ وإذا كان اللوم فى الافتقار إلى السلام يقع بوضوح على عاتق الجانب العربى ، فإن الإجابة مع ذلك قد تكون بكلمة نعم . ولكن ماذا يكون عليه الموقف لو أن التصور كان أقل وضوحا ؟ – وماذا يكون عليه الحال

لو اعتبرت إسرائيل عقبة فى طريق السلام أكثر من العرب ؟(٤٨) وماذا يكون عليه الحال لو رأى الجيل الأصغر من الأمريكيين الذين لم يعودوا يشعرون بمثل هذه الروابط الحميمة مع إسرائيل ، والذين لا ينكرون كيف نشأ هذا النزاع ، أن احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة ، أمر لا مبرر له ؟

يبدو أن الرئيس ريجان وحزب الليكود كانا يشعران بأن تحالفا استراتيجيا قويا ضد الاتحاد السوفيتى وحلفائه على الصعيد الإقليمى ، يمكن أن يوفر دعما كافيا للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية حتى بدون عملية سلام نشيطة . ولكن كيف يكون الحال إذا ما انتهت الحرب الباردة ، ولم يعد الاتحاد السوفيتى يشكل تهديدا للمنطقة ؟ ما الذى يمكن أن يربط حينئذ بين الولايات المتحدة وإسرائيل إن لم تتوافر القيم التقليدية المتبادلة والأغراض المشتركة ؟ وهل تستطيع جماعات الضغط الموالية لإسرائيل أن تبقى وحدها على هذه العلاقات سليمة إذا ما ثار التساؤل حول أسسها الاستراتيجية والأخلاقية ؟ إن هذه الأمور لم ينظر فيها مطلقا على ما يبدو أثناء فترة حكم ريجان ، رغم أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية دخلت بعد فترة وجيزة جدا مرحلة صعبة للغاية . وقد يلقى البعض باللوم فى ذلك على خلفاء ريجان وشولتز . وقد يشير آخرون إلى المغالاة فى تقدير العلاقة الاستراتيجية مع إسرائيل ، ونقص الاستثمار فى مجال صنع السلام إبّان عهد ريجان .

الباب السادس

فترة رئاسة بوش

الفصل الخامس عشر

الجلوس إلى مائدة المفاوضات :
بوش وبيكر ، ١٩٨٩ - ١٩٩٢

نادرا ما تولى رئيس للجمهورية منصبه ولديه سجل في الشؤون الخارجية أكثر إثارة للاعجاب مما توافر للرئيس جورج بوش . فقد عمل بوش ، قبل أن يأتى إلى البيت الأبيض فى يناير ١٩٨٩ ، مدبرا لوكالة المخابرات المركزية ، ورئيسا للبعثة الدبلوماسية الأمريكية فى الصين ، وسفيرا لدى الأمم المتحدة ، وأمضى ثمانى سنوات نائبا لرئيس الجمهورية فى عهد رونالد ريجان ، مع اضطلاعه بمسؤولية خاصة عن إدارة الأزمات فى مجلس الأمن القومى . وبالإضافة إلى ذلك ، كان بوش من أسرة سياسية ، وخدم بتفوق كطيار فى الحرب العالمية الثانية ، وهو من خريجى جامعة ييل ، وانتخب لعضوية الكونجرس ، وكان رجل أعمال ناجحا فى ساحة النفط بتكساس ، وكان رئيسا للحزب الجمهورى على الصعيد الوطنى .

وفى حين كانت أوراق اعتماد بوش مثيرة للإعجاب ، إلا أنها لم توفر معلومات كثيرة عن الآراء التى يعتنقها فى أعماقه بشأن الشؤون الخارجية . فهو لم يشغل مناصب تجعله مسؤولاً بصفة أولية عن صنع السياسات وصياغتها . وباستثناء مهمته المحددة الطويلة الأجل كنائب للرئيس ، والتى كان يحتفظ خلالها لنفسه بأية آراء تختلف عن وجهة نظر ريجان ، لم يستمر بوش فى معظم مناصبه لفترات طويلة . وقد قدم نفسه فى محاولته غير الناجحة لتولى الرئاسة في عام ١٩٨٠ على أنه جمهورى يميل إلى الآراء المحافظة المعتدلة ، ولكنه لم يكشف عن آرائه بالنسبة للسياسة الخارجية . وباعتباره رجلا واسع الخبرة ، فإن الآثار التى تركها تعد قليلة .

وعلى عكس ريجان ، لم يكن بوش ماهرا فى التواصل مع الجماهير ، على الأقل فى التليفزيون . وكان يبدو أنه يفضل الاجتماعات غير الرسمية ، ويفضل الأحاديث الارتجالية مع الصحافة عن الخطب السابقة الإعداد . وأصبح واضحا منذ وقت مبكر ، أنه سيكون رئيسا حريصا على التدخل فى أمور السياسة الخارجية . فهو ، برغم كل شىء ، قد تعرف على العشرات من القادة الأجانب ، وكان متحدثا بارعا بصوره معقولة بالنسة لمعظم قضايا السياسة الخارجية الرئيسية ، وكان لديه ميل فطرى للتعامل مع التفاصيل والشخصيات المنغمسة فى الشؤون العالمية ، وكان يميل إلى رفع سماعة التليفون والتحدث مع القادة حول العالم بمجرد احتياجه إلى ذلك .

وكان بوش بوضوح أممبا يرى أن هناك دورا مستمرا للقيادة الأمريكية فى وقت دخل فيه العالم أجواء الإبهام فى فترة ما بعد الحرب الباردة . وفى البدء كانت أمميته مشربة بنظرة متشككة فى

الاتحاد السوفيتي وزعيمه ميخائيل جورباتشوف ، وكان موقف بوش المتشدد مثيرا للدهشة على ضوء الموقف اللين الذى اتخذه ريجان تجاه جورباتشوف فى الفترة ١٩٨٧ - ١٩٨٨ .

وكان للمراقبين الحق فى أن يستنتجوا من خبرة بوش السابقة أنه سوف يستخدم السلطات الفريدة للرئاسة لممارسة سياسة خارجية نشيطة لتحقيق المصالح الأمريكية ، ولها صبغة أممية ، وعملية فى التنفيذ ، وتستهدف بشكل أساسى الاحتفاظ بالأوضاع القائمة . ولم يكن فى ماضى بوش ما يوحى بأن لديه تصورا راديكاليا لتغيير السياسات الدولية . وقد وُجهت إليه فى الواقع انتقادات لأنه لم تكن لديه « القدرة على التخيل » . ووصف مساعدوه أسلوبه بأنه « براجماتية تستند للمبادىء » ، وارتأى آخرون فى وجهات نظر بوش نهجا مألوفا تجاه الشؤون العالمية ، يرتكز حول الدولة وتوازن القوى .

وفيما يتعلق بالشرق الأوسط ، لم يترك بوش غير إيماءات قليلة أثناء عمله السياسى حول ما كان يشعر به تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . وكان معروفا أنه حث ريجان على أن يتخذ خطا متشددا ضد الغزو الإسرائيلى للبنان فى عام ١٩٨٢ . وعندما كان نائبا للرئيس ، توجه إلى المملكة العربية السعودية فى منتصف الثمانينات لحث السعوديين على ألا يسمحوا بأن تنخفض أسعار النفط بأكثر من اللازم . وكانت تربطه علاقات طيبة مع الأمير بندر بن سلطان السفير السعودى فى واشنطن . وقد ترددت شائعة بأنه لا يشارك ريجان ارتباطه العاطفى بإسرائيل . إلا أن أيا من هذه الملاحظات لم يكن له مغزى كبير فيما يتعلق بالسياسة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى .

وقد اختار بوش لمنصب وزير الخارجية صديقا حميما ، وحليفا سياسيا هو جيمس بيكر ، وكان من قبل يعمل رئيسا لهيئة موظفى البيت الأبيض ووزيرا للخزانة ، وأيضا مديرا لحملة بوش الناجحة لتولى الرئاسة فى عام ١٩٨٨ . وكان بيكر ، برغم أنه لم يرشح نفسه مطلقا لهذا المنصب ، سياسيا محنكا . وكانت عناصر قوته تكمن كما زعموا فى قدرته على « عقد صفقات » . وإذا كانت السياسة هى فن الممكن ، فإن بيكر يعتبر من السياسيين الأكثر بروزا . ولم يكن هناك ريب فى أنه سوف يعالج الدبلوماسية بنفس الطريقة تقريبا . والواقع أن نقص خبرته فى الشؤون الخارجية لا يحسب له حساب بالمقارنة مع قدرته على التوافق الممتاز مع الرئيس ، الذى اصطبغ فى بعض الأحيان بالتنافس الودى .(١) وإلى جانب ذلك ، كان بيكر سريع الاستيعاب . وبدا من المرجح أن بوش وبيكر سيشكلان فريقا قد لا يضم لاعبين آخرين كثيرين . وكان الرجلان يقدران السرية تقديرا عظيما ، ويدبران أمورهما فى كتمان .

وكانت لبيكر سمعة بين الجمهوريين باعتباره « معتدلا » . وسواء كان يستحق هذا الوصف أم لا ، فمن الواضح أنه لم يكن ينتمى بحال من الأحوال إلى الاتجاه المحافظ الجديد . كان يميل مثل بوش ، إلى حل المشاكل ، ويتبع نهجا تاكتيكيا ، وينزع إلى الارتياب فى النظريات والاستراتيجيات الكبرى . فهو مدير أكثر من كونه صائغا للمفاهيم . وكانت قد ترددت شائعة بأن بيكر راودته طموحات بأن يصبح رئيسا فى يوم ما ، مما يعنى أنه سوف يسعى لاستخدام فترة عمله كوزير للخارجية ليحقق سلسلة من الأعمال الناجحة على الصعيد الدولى ، وتفادى أى شىء يبدو أن مصيره الفشل أو يثير كثيرا من الجدل .

ولم يقدم بيكر ، مثلما فعل الرئيس ، سوى إيماءات قليلة عن آرائه بالنسبة للقضايا العربية الإسرائيلية . وقد وصفت مقالة عن بيكر ، نشرت فى شهر فبراير ١٩٨٩ ، الرجل بأن له قدرة كبيرة على ضبط النفس ، ومهارات المناورة . وكانت أحب تسلية إليه على ما يبدو ، هى مباريات الرماية على الديوك الرومية الحيّة ، والتى تتيح لك حسب كلمات بيكر ، « الاتيان بها حيثما تريد ، وحسب شروطك ، ثم تسيطر على الموقف ، وليس عليها . وتكون لديك الخيارات . إما أن تضغط على الزناد أو لا تضغط . فلم يعد الأمر يهم ما دمت قد أتيت بها حيثما تريد . والأمر الهام هو معرفة أنها أصبحت بين يديك ، وأنك تستطيع أن تفعل بها ما ترى أنه فى مصلحتك أن تفعله » .(٢)

وقد سئل بيكر فى حديث أجرى معه قبل المصادقة على تعيينه وزيرا للخارجية ، عن الوسائل المتاحة للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، فأجاب بقوله :

إن الولايات المتحدة هى ، وتستطيع أن تكون ، أكثر اللاعبين نفوذا . ولكن من المهم ألا نسمح بنشوء تصور يقول إنه بمقدورنا أن نحقق السلام وأن نقدم التنازلات الإسرائيلية ، لأنه لو قام سلام دائم فسيكون ذلك نتيجة لمفاوضات مباشرة بين الأطراف ، وليس شيئا يفوض فيه أو يقدمه أى طرف من الخارج ، بما فى ذلك الولايات المتحدة . ولابد أن نعمل كل ما بوسعنا لتحسين احتمال قيام الأطراف بالتفاوض فيما بينهم للخروج من مشكلتهم . وليس من مهمة الولايات المتحدة أن تضغط على إسرائيل . وفى الوقت نفسه ، فإن من مصلحة إسرائيل أن تـ الجانبين أن يجدا طريقة ليقدما شيئا ما .(٣)

والمعروف أن معظم الحكومات الجديدة تحدد اتجاهاتها فى مجال السياسة الخارجية استنادا إلى خبرات أسلافها السابقين عليها مباشرة . وفى حالة بوش وبيكر ، كان الاثنان عضوين فى إدارة لم يكن لها سجل مرموق فيما يتعلق بصنع السلام العربى الإسرائيلى . فلقد انتحت خططا ومبادرات ولكنها لم تحقق سوى قلة من الانجازات الملموسة . وكان المتصور أن بيكر سيتفادى على وجه الخصوص طرح خطط جديدة تتعلق بالمضمون ، مفضلا استطلاع الامكانيات الإجرائية ومنتظرا الفرصة التى يظهر فيها أطراف النزاع استعدادا للتحرك . وكان جزء من هذا الموقف الحذر يتعلق بالتاكتيكات ، وجزء آخر يتعلق بالسياسات ، وجزء ثالث يرتبط بالأولويات المتضاربة ، ولا سيما فى مجال العلاقات بين الشرق والغرب التى تتغير بسرعة .(٤)

مناقشة الافتراضات

وإذا كان بوش وبيكر يتقاسمان طرقا معينة فى النظر إلى السياسة الخارجية ، بما فى ذلك الشرق الأوسط ، فقد كان من المؤكد أنهما لم يستحدثا بالكامل الأساس المنطقى للنهج الهادىء الذى اتبعاه لصنع السلام العربى الإسرائيلى . فقد قامت بتوفير هذا النهج مجموعة صغيرة من المساعدين ذوى التفكير المتقارب بوزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى ، من أهمهم دينس روس ، رئيس هيئة تخطيط السياسات التابعة لبيكر ، والمتخصص فى العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وكان لديه اهتمام قوى بالشرق الأوسط . وكان روس قد عمل بوزارة الدفاع الأمريكية وفى مجلس الأمن القومى

أثناء فترة رئاسة ريجان ، وانضم بعد ذلك إلى الحملة الانتخابية لبوش فى عام ١٩٨٨ كمستشار للسياسة الخارجية . وقبل انضمامه إلى الحملة الانتخابية مباشرة ، قام فى صيف عام ١٩٨٨ بدور هام فى استحداث الأساس المنطقى لكيفية معالجة أى إدارة جديدة للنزاع العربى الإسرائيلى .

وقد ارتبط روس ، باعتباره عضوا فى الفريق الذى يطلق عليه من قبيل التفخيم « فريق الدراسة الرئاسى » ، والذى أنتج كتيبا كان له تأثيره الكبير بعنوان « البناء من أجل السلام » ، بنهج التدرج لصنع السلام العربى الإسرائيلى . ووفق هذا المنظور ، ينبغى للولايات المتحدة أن تكون على حذر من الخطط المتعلقة بمضمون النزاع ، والمؤتمرات الدولية ، والمبادرات التى تحاط بدعاية واسعة . وينبغى للإدارة الجديدة ، بدلا من ذلك ، أن تبدأ من إدراك أن النزاع العربى الإسرائيلى ليس « ناضجا » للحل ، وأن الخلافات بين الأطراف كبيرة للغاية . وأن أى خطوة مبتسرة مصيرها الفشل دون ريب . وهكذا ، ينبغى أن تحظى بالاهتمام الخطوات الصغيرة الرامية إلى تغيير البيئة السياسية ، وتشجيع الأطراف على الدخول فى مرحلة تسبق التفاوض من تدابير بناء الثقة . وينبغى أن يترك السوفيت فى موقف المتفرجين إلى أن يظهروا بأعمالهم استعدادا وقدرة على القيام بدور بناء فى صنع السلام ، وذلك بممارسة الضغط على العرب وطمأنة الإسرائيليين .(٥)

وكان أحد المشاركين الهامين الآخرين فى كتيب « البناء من أجل السلام » هو ريتشارد هاس ، وهو مؤلف كتاب بعنوان « نزاعات لا تنتهى » والذى روّج لنظرية « النضج » باعتبارها أساسا للمفاوضات .(٦) (إذ يعتبر النزاع « ناضجا للحل » ، إذا ما كان يمكن حله) . وقد أصبح هاس رئيسا لمكتب الشرق الأوسط فى هيئة موظفى مجلس الأمن القومى . وتدعو آراؤه ، لو أُخذت بحرفيتها ، إلى اتباع نهج أمريكى هادىء وغير بارز فى المنطقة . وفى تحليله للنزاع العربى الإسرائيلى ، يقول إن الولايات المتحدة تخطىء إذا ما أصبحت نشيطة أكثر من اللازم فى محاولة تعزيز التوصل إلى تسوية ، ويضيف إن ذلك قد يجعل الحالة الصعبة أكثر صعوبة . وإلى أن يصبح أطراف النزاع مستعدين للتفاوض ، ينبغى للولايات المتحدة أن تركز على الخطوات الصغيرة من أجل تحسين البيئة .(٧)

ويبدو أن عبارة « البستنة » المستخدمة مجازا فيما يتعلق بسياسة الشرق الأوسط ، تقوم على أساس الاعتقاد بأن الجولات السابقة من نزعة النشاط الفعال الأمريكى كانت لها نتائج عكسية ، فقد أثارت توقعات عربية عن ممارسة ضغوط أمريكية على إسرائيل ، وتسببت فى أن يتخذ الإسرائيليون موقفا دفاعيا لتحاشى مثل هذه الضغوط ، وجعلت من واشنطن مركز كافة التحركات الدبلوماسية ، بدلا من التركيز على حاجة الأطراف إلى التعامل مباشرة مع بعضها البعض . وقد تستطيع الولايات المتحدة ، مثل البستانى اليقظ ، أن تساعد فى عملية الإنضاج عن طريق رى المزروعات ، وإزالة العشب الضار ، والتسميد ، ولكن هذا هو أقصى ما يمكن أن يذهب إليه المدى المناسب لاشتراك واشنطن إلى أن تصبح الثمار ناضجة وقابلة للحصاد .

ويعتقد منتقدو نهج « الإنضاج » أن الثمار يمكن أن تعطب قبل أن يتم حصادها فى أى وقت . ويبدو أن الوقت لا يهم بالنسبة للبستانى . فهو يميل إلى الاعتقاد بأنه يمكن بالتركيز على المسائل الإجرائية أولا أن تتم معالجة المسائل الموضوعية الصعبة بسهولة أكبر فى مرحلة تالية . والإنضاج

فى رأيهم عملية طبيعية ، وليس شيئا يمكن تقديم موعده أو تأخيره عن طريق إجراء سياسى . ولكن ماذا يكون عليه الحال لو لم يكن أطراف النزاع متجانسين فى عدائهم لفكرة التسوية ، أو كانت مشاعرهم مختلطة ، أو كانوا حتى منقسمين بالتساوى ؟ وفى مثل هذه الظروف ، هل تكف الولايات المتحدة يدها وتنتظر إلى أن تتضح الأمور ، أو ينبغى لها أن تعجّل بعملية الإنضاج عن طريق تدخلات متعمدة من جانبها ؟ لم تكن كل هذه الأسئلة تجد إجابة عنها من الناحية النظرية . ولكن الزمن وحده سيكشف عما إذا كانت ستجد إجابات عنها من الناحية العملية .

وكان المفهوم الضمنى فى هذا النهج مناهضا للمنظور الخاص بكل من كارتر وكيسنجر . إذ أنه ليس هناك ما يبرر وضع خطط شاملة أو القيام بدبلوماسية مكوكية رفيعة المستوى فى هذه المرحلة من النزاع . وكان هذا يشكل بالنسبة للكثيرين من الإسرائيليين ، ذلك النوع من الموسيقى الذى طال انتظاره ، أما بالنسبة للعرب فقد أفضى هذا النهج إلى شكوك مكثفة .(٨) ولم يمض وقت طويل حتى كانت هذه الافتراضات المبدئية قد وضعت موضع الاختبار .(٩)

ومن الناحية الظاهرية ، كانت الآراء التى صاغها فريق بوش الخاص بالشرق الأوسط تشير على ما يبدو إلى تأييد قوى لإسرائيل . إلا أنه كانت هناك مصيدة فى ذلك . فلو وافق الفلسطينيون أو السوريون على التفاوض بشكل جاد مع إسرائيل ، ربما تضغط الولايات المتحدة على إسرائيل بقوة لمقابلتهم بالمثل . بيد أنه فى مستهل حكم الإدارة الجديدة ، كان الافتراض المطروح على ما يبدو هو أن الأمر متروك للأطراف العربية للتحرك قدما للأمام . وكان ينظر إلى إسحق شامير رئيس الوزراء على أنه زعيم متشدد لا يتوقع منه تقديم أى تنازلات للعرب كعربون للمفاوضات . ولن تتوافر أية فرصة لزحزحة شامير عن موقفه المتصلب إلا إذا بدأت المفاوضات .

ولم يكن فى إدارة بوش شخص واحد يبدو متيقنا مما إذا كانت سياسة شامير المتشددة تجاه العرب هى خدعة تاكتيكية فى المحل الأول أم أنها انعكاس دقيق لمعتقداته العميقة . وإجمالا ، كان التقدير على ما يبدو هو أن شامير يمكن أن يتزحزح عن موقفه ولكن فى بطء وبحرص . وعلى أية حال ، فقد كانت أول مبادرة للحكومة قائمة على افتراض ان شامير يرغب فى السلام ، وأن أفضل طريقة للتعامل معه هى اتباع الأفكار التى سبق أن حظيت بموافقته .

وكانت المفارقة فى فترة رئاسة بوش هى أن جدول الأعمال المبدئى هذا كان أكثر اتفاقا مع الآراء الإسرائيلية عما كان عليه الحال فى عهد أى رئيس آخر ، ولكن لم تلبث نفس هذه الحكومة أن اعتبرت بشكل عام من أشد الحكومات عداوة لإسرائيل فى أى وقت . ولم يكن هذا التغيير ، إذا صح ، تغييرا فى المشاعر من جانب كبار صناع القرار ومستشاريهم .

الفريق

منذ البداية ، كان الاعتقاد السائد أن بوش وبيكر وبرنت سكوكروفت مستشار الأمن القومى ، أقل ارتباطا من الناحية العاطفية بإسرائيل عما كان عليه الحال بالنسبة لريجان أو جورج شولتز . إلا أن أحدا فى عام ١٩٨٩ لم يكن ليوجه إليهم اتهاما بأنهم معادون لإسرائيل . وفيما عدا بوش

وبيكر ، كانت المستويات العليا فى الحكومة مليئة بالشخصيات الصديقة لإسرائيل ، بما في ذلك وزير الدفاع ريتشارد تشيني ، ونائب وزير الخارجية لورانس إيجلبرجر ، وفريق الشرق الأوسط بكامله ، روس وهاس ودانييل كورتزر وآرون ميللر . وكان عدد كبير من أعضاء هذا الفريق يتحدثون العبرية بصورة جيدة إلا أن أحدا ممن يعرفونهم لم يكن يعتقد أن عواطفهم تميل إلى حزب الليكود أو شامير . بل بدا أن حزب العمل أحب إليهم كثيرا ، ولاسيما إسحق رابين وزير الدفاع الإسرائيلى .

وخلال معظم ١٩٨٩ ، عندما كانت الحكومة الجديدة تحدد نهجها المتعلق بالشرق الأوسط ، كانت هناك قضايا دولية أخرى تتطلب اهتماما كبيرا . فقد كانت العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وجورباتشوف ذات أهمية خاصة ، وقرب نهاية عام ١٩٨٩ فقط كان بيكر ووزير الخارجية السوفيتى إدوارد شيفرنادزه قد بدآ يقيمان علاقة حميمة بينهما . ومن ناحية أخرى ، تعكرت العلاقات مع الصين بسرعة بعد اتخاذ إجراءات عنيفة ضد حركة ميدان « تيان آن من » فى شهر يونيو ١٩٨٩ . وبعد ذلك بوقت قصير ، بدأ التتابع المدهش للأحداث الذى أسفر عن انهيار جميع النظم الشيوعية فى أوروبا الشرقية ، وبلغت هذه الأحداث ذروتها بالإعدام المثير للدكتاتور الرومانى نيكولاى شاوشيسكو فى الأيام الأخيرة من ١٩٨٩ . وكان من الغريب مع حدوث هذه التطورات الدولية الهامة الكثيرة فى ١٩٨٩ ، أن تجد الحكومة وقتا للنظر فى النزاع العربى الإسرائيلى . وكان من الطبيعى أن يكون الحذر هو شعار نهج « بناء الثقة » الجديد من أجل صنع السلام فى الشرق الأوسط .

وفى وقت مبكر من عام ١٩٨٩ ، أبلغ شامير ورابين أن حكومة بوش يهمها أن تستمع إلى أفكار جديدة بشأن كيفية إحياء عملية السلام . ووجد رابين ، على وجه الخصوص ، فى ذلك دعوة موجهة إلى إسرائيل لوضع جدول أعمال للجولة التالية من النشاط الدبلوماسى . وفى الوقت الذى وصل فيه شامير إلى واشنطن فى مطلع ابريل ليعقد أول اجتماع له مع الرئيس بوش ، كان مجلس الوزراء الإسرائيلى قد اعتمد اقتراحا من أربع نقاط ، كانت النقطة المركزية فيه هى الدعوة إلى اجراء انتخابات فى الضفة الغربية وغزة لاختيار فلسطينيين من غير أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية تتفاوض معهم إسرائيل فيما بعد ، وفقا لصياغة كامب ديفيد ، حول اتفاق مرحلى بشأن الحكم الذاتى .(١٠) والمفهوم الضمنى فى هذا النهج أنه لن يكون هناك مؤتمر دولى بشأن الشرق الأوسط ، وهى نقطة اختلف بشأنها حزب الليكود وحزب العمل ، كما أنها كانت النقطة التى بدا أن حكومة بوش تقف فيها إلى جانب شامير ، فى ذلك الوقت على الأقل . وكانت الاستجابة الأولية لواشنطن لهذه الأفكار تتسم بالتعاطف .

وفى ٢٢ مايو ١٩٨٩ ، تحدث بيكر فى المؤتمر السنوى للجنة الأمريكية الإسرائيلية (ايباك) المعقود فى واشنطن . وكانت ملاحظات بيكر عن إسرائيل كما كان متوقعا ودية فى البداية ، مشيرا إلى التشارك فى الالتزام بالقيم الديمقراطية والشراكة الاستراتيجية القوية . ورحب بيكر بمبادرة شامير باعتبارها « بداية هامة وإيجابية على الطريق من أجل بدء مفاوضات عملية » . وأيد فكرة وجود مرحلة من المحادثات سابقة على المفاوضات . وبدأ بيكر يضرب على وتر الخلاف ، فقط

عندما تحول إلى الحديث عن العنصر المفقود فى خطة شامير ، وهو مصير الأراضى المحتلة . فقد ذكر بيكر وهو يفسر قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ أنه يطالب بمبادلة الأرض بالسلام ، وأشار إلى « الانسحاب من الأراضى » كنتيجة محتملة للمفاوضات . ثم قال فى إشارة مقصودة إلى أيديولوجية شامير : « لقد حان الوقت لكى تنبذ إسرائيل مرة وللأ بد الرؤية غير الواقعية عن إسرائيل الكبرى . إذ أن مصالح إسرائيل فى الضفة الغربية وغزة - الأمن وغير ذلك - يمكن تحقيقها فى تسوية تستند إلى القرار ٢٤٢ : أى التعهد بتحريم الضم ، ووقف النشاط الاستيطانى ، والسماح بإعادة فتح المدارس ، ومد اليد إلى الفلسطينيين باعتبارهم جيرانا جديرين بالحقوق السياسية » . ولم يكن لحقيقة أن بيكر أعلن فورا قائمة مماثلة من الاشتراطات المطلوبة من الفلسطينيين ، تأثير فى إشاعة الدفء فى الجو البارد الذى خيم على الجمهور الموالى لإسرائيل ، الذى كان قد استمع منذ بضع سنوات فقط إلى جورج شولتز ، الذى كان يقف إلى المنصة ذاتها وهو يقود الهتاف الذى يقول « إلى الجحيم ، لا لمنظمة التحرير الفلسطينية » .(١١)

وبجانب أن خطاب بيكر أثار قلق إسرائيل ، فقد سجل تحولا هادئا نحو محاولة أكثر نشاطا من جانب حكومة بوش لإعادة صياغة مبادرة شامير بحيث تصبح مقبولة لدى الفلسطينيين . وأقل ما يقال فى هذا الصدد أن تحقيق ذلك بدون فقدان التأييد الإسرائيلى ، كان أمرا صعبا . وعلى مدى الشهور العديدة التالية ، انغمس بيكر بصورة متزايدة فى الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، باحثا من خلال اتصالاته الدبلوماسية عن أية فرصة سانحة .

واعتبارا من منتصف ١٩٨٩ كان الهدف العملى للسياسة الأمريكية هو اقناع منظمة التحرير الفلسطينية بأن تسمح لفلسطينيين ليسوا من صفوف قيادة المنظمة ذاتها ، بأن يبدأوا المفاوضات مع إسرائيل . وكان السبب بسيطا : أن شامير ، كما هو معتقد ، لن يوافق أبدا على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية .(١٢) وفى الوقت نفسه كان من الصعب على واشنطن أن تقنع منظمة التحرير الفلسطينية بأن تبقى كلبة على مقاعد المتفرجين . ففى نهاية الأمر ، إن قول منظمة التحرير الفلسطينية بأنها « الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى » كان جزءا من الأساس الوطيد لموقفها . ومع ذلك ، أظهرت المنظمة بحلول صيف ١٩٨٩ ، علامات مرونة فى هذا المجال . فقد أوضحت أن من الممكن أن تبقى المنظمة فى الظل بشرطين : ان تستطيع اختيار الوفد الفلسطينى ، وان يكون عضو واحد على الأقل من أعضاء الوفد من خارج الضفة الغربية وغزة . وكانت منظمة التحرير الفلسطينية أيضا تعتقد اعتقادا قويا بأن الفلسطينيين الذين يقيمون فى القدس الشرقية لا يمكن استبعادهم من قائمة الممثلين المؤهلين ، وهى نقطة سبق للولايات المتحدة أن أعربت عن موافقتها عليها .

وعندما كانت الولايات المتحدة تسعى للحصول على موافقة منظمة التحرير الفلسطينية على اقتراح شامير بإجراء انتخابات كنقطة للبداية ، بدأ التوتر يظهر فى المحادثات الثنائية بين المنظمة والولايات المتحدة التى كانت تجرى فى تونس . فأولا ، كشفت أنباء تسربت إلى الصحافة أن السفير الأمريكى كان يجتمع مع أبو إياد ، وهو رجل يرتبط فى أذهان الكثيرين من الأمريكيين والإسرائيليين بالإرهاب ، ولكنه كان أيضا فعالا فى إحداث التحول فى سياسة منظمة التحرير

الفلسطينية تجاه نزعة براجماتية أكبر .(١٣) وبعد ذلك بوقت قصير ، اعتمد مؤتمر حركة فتح خطا متشددا ، إذ اعتقد الفلسطينيون أن الاجتماع الذى عقد فى ١٤ أغسطس بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية قد اشتمل على إنذار نهائى أمريكى بعدم إمكانية إدخال أى فلسطينى من خارج الأراضى المحتلة فى الوفد الفلسطينى . ولم يكن ذلك ، فى حقيقة الأمر ، هو التصور الصحيح للسياسة الأمريكية . إلا أنه قد أسهم فى انعدام الثقة المتبادلة بصورة متزايدة .

وعندما توقف الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية أثناء الصيف ، تدخلت مصر والسويد فى محاولة لإقناع المنظمة بقبول نهج بيكر . ونظرا لأن الرئيس مبارك كان يستطيع التعامل مباشرة مع زعيم المنظمة ، ياسر عرفات ، فقد وجد المسؤولون فى واشنطن على الفور أن هذه القناة أكثر فعالية من الحوار الرسمى بين الولايات المتحدة والمنظمة الذى استبعد منه عرفات . وأصبح لمصر فيما بعد دور رئيسى فى بلورة موقف المنظمة . فقد أعلن مبارك مثلا باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، عشر نقاط ينبغى أن تحكم الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة . واستجاب ببكر بعد ذلك ، مبدئيا عن طريق القنوات الدبلوماسية ، ليرى ما إذا كان من الممكن إيجاد أرضية مشتركة .(١٤)

وفى أواخر ١٩٨٩ أوضح المصريون أن عرفات قد قبل النقاط الخمس التى اقترحها بيكر .(١٥) وكانت أهم نقطة فيها أنه باستطاعة الفلسطينيين أن يطرحوا فى المفاوضات أى موقف يتصل بعملية السلام . ولم تكن مسألة التشكيل المحدد لقائمة المفاوضين الفلسطينيين قد تمت تسويتها ، إلا أنه كان قد تم الاتفاق على إجراء يعطى لإسرائيل حق الاعتراض من الناحية العملية ولكن بدون تسميته بهذا الاسم . وخلاصة القول ، تقرر أن تقوم الولايات المتحدة ومصر بوضع قائمة بالفلسطينيين ، بعد التشاور مع منظمة التحرير الفلسطينية ، تفى بالمعايير التى وضعها الإسرائيليون . ولن تلجأ إسرائيل ، بدورها ، إلى توجيه أسئلة كثيرة عن أصل هذه القائمة ، بشرط أن تكون الأسماء مقبولة . ولم يكن أحد يعلم على وجه التأكيد ، ما إذا كان شامير سيقبل مشاركة فلسطينيين من القدس الشرقية أم لا ، أو ما إذا كان يمكن إدراج شخص ما من خارج الأراضى المحتلة فى القائمة . إلا أن بيكر كان يستطلع كل الاحتمالات ، بما فى ذلك الفلسطينيون الذين لديهم مقر إقامة فى القدس وآخر فى جهة أخرى ، والفلسطينيون الذين رحلهم إسرائيل مؤخرا ولكنهم من المقيمين عادة فى الضفة الغربية ؛ وهكذا .

ردود الفعل الإسرائيلية

وفى مطلع عام ١٩٩٠ ، كان بيكر على ما يبدو يشعر بأنه يحظى بالتأييد المصرى الفلسطينى لنهجه الأساسى . وحينذاك بدأ يتشدد مع شامير لكى يقبل ما يصر بيكر على أنه خطة شامير نفسه . ومن أجل البدء فى هذه العملية ، اقترح بيكر أن يجتمع مع وزيرى الخارجية الإسرائيلى والمصرى فى القاهرة . ولا شك أنه كان لشامير فى هذا الوقت تحفظاته بشأن اتخاذ هذه الخطوة الأولى على المنحدر الزلق ، ولكن كانت لديه أيضا أسباب سياسية داخلية كثيرة تدفعه للتوقف ، فقد كان حلفاؤه فى الجناح اليمينى على سبيل المثال يخططون لفض الائتلاف إذا ما قبل شامير الخطة الأمريكية ؛ وكان حزب العمل يهدد بالانسحاب من حكومة الوحدة الوطنية إذا لم يقبل هذه الخطة .

وسط هذه الاختلافات السياسية شعر الأمريكيون بالانزعاج بسبب التقارير التى ذكرت أن أعدادا ضخمة من المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفيتى يتجهون إلى الأراضى المحتلة ليعيشوا فيها . وقد قلل شامير من شأن هذه المسألة ، ولكنه لم يشر إلى العدد الضخم من المهاجرين الجدد الذين يتجهون إلى المناطق المجاورة للقدس الشرقية . وقد تم اطلاع الرئيس بوش ، الذى كان يعتقد اعتقادا قويا بأن المستوطنات عقبة فى طريق السلام ، بصورة كاملة على مواقع المستوطنين الجدد وتم تزويده بالخرائط الدالة على هذا ، وكان مقتنعا على ما يبدو بأن شامير قد تعمد الكذب عليه .

وفى الوقت نفسه ارتفع صوت قوى من الليكود ، هو صوت بنيامين بيجين ، ابن مناحم بيجين المعروف ، يعارض علنا خطة بيكر . ثم اجتمعت مؤسسة الليكود وأوصت شامير بألا يقبل هذه الخطة . وبعد هذه التوصية مباشرة ، أفادت تقارير واردة من واشنطن بأن بوش انتقد المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية والقدس الشرقية .(١٦) ولم يكن هذا الانتقاد زلة لسان . فقد ظلت السياسة الأمريكية لفترة طويلة تعتبر القدس الشرقية جزءا من الأراضى المحتلة ،(١٧) إلا أنه لم يحدث أن اختص أى رئيس سابق القدس الشرقية بتعليق خاص عن مناقشة المستوطنات . وكان رد الفعل الإسرائيلى حادا . وحينذاك أصبح لدى شامير ، الذى كان قد قرر على نحو شبه مؤكد رفض خطة بيكر ، المبرر لكى يفعل ذلك ، زاعما أن الولايات المتحدة قد كشفت عن افتقارها للموضوعية كوسيط محتمل . ومع كلمة « لا » الصريحة التى أطلقها شامير ، تجمدت المرحلة الأولى من محاولة صنع السلام التى قامت بها حكومة بوش .

ولبضعة أسابيع قليلة أحاط عدم اليقين بالسياسات الداخلية الإسرائيلية لدرجة أنه بدا أن شيمون بيريز زعيم حزب العمل قد يستطيع أن يشكل ائتلافا ضيقا بدون الليكود . ولو كان ذلك قد حدث لشعرت إدارة بوش برضا كبير . ولكن على الرغم من كل محاولات بيريز ، فإنه لم يستطع انتزاع الأحزاب الدينية بعيدا عن شامير . وعندما هدأ غبار المعركة فى مايو ١٩٩٠ ، كان شامير لايزال رئيسا للوزراء ، لكنه كان فى هذه المرة يرأس وزارة يمينية جدا أُستبعد منها حزب العمل .

تحديات

فى حين كان الإسرائيليون مستغرقين فى أزمتهم الداخلية ، بدا العالم العربى بالمثل فاقدا للاتجاه . ولكن السبب المباشر هناك تمثل فى انتهاء الحرب الباردة وفقد الحماية السوفيتية . وانتهز الرئيس العراقى صدام حسين مناسبة عقد اجتماع فى عمان بالأردن فى أواخر فبراير ١٩٩٠ ليعرب عن تفكيره فى أن انتهاء الحرب الباردة قد يفضى إلى فرض سلام أمريكانى عبرانى على الشرق الأوسط .(١٨) وكان يمكن اعتبار تعليقات من هذا القبيل طائشة لصدورها عن زعيم كان يتلقى دعما اقتصاديا وسياسيا من الولايات المتحدة ، وظل يتلقى المساعدة سرا فى صراعه الذى دام ثمانى سنوات مع إيران . وكان الملك حسين ، من بين آخرين ، يعتقد أن الزعيم العراقى قد اشتط فى هجومه على واشنطن ، ولكن المشاعر المعادية للأمريكيين كانت آخذة فى التصاعد فى العالم العربى ، وربما أحجبها الإحساس بالتعرض للخطر فى عالم تسوده دولة عظمى واحدة . وربما

كانت تعكس أيضا الجاذبية المتنامية للراديكالية الإسلامية مع ما يتداخل معها من معان إضافية مناهضة للغرب ولإسرائيل . ومهما كان السبب فى هذه المشاعر ، كان صدام حسين على ما يبدو يقامر على أنه سيلقى استجابة عربية مؤيدة لهجماته الحادة المتزايدة على الولايات المتحدة وإسرائيل .(١٩)

ومع دخول عملية السلام فى طى الإهمال ، ومع تأجج المشاعر المعادية لأمريكا التى تثيرها بغداد ، ربما كان من المحتم أن تتداعى العلاقة بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقد كشفت الطريقة التى حدث بها ذلك عن ضعف الدعائم لدى الجانبين . فأولا ، وقع حادث دموى بصورة غير عادية فى إسرائيل ، عندما قتل جندى مخبول بالرصاص سبعة فلسطينيين فى منطقة ريشون لوزيون . وأسفرت الاضطرابات التى نشبت نتيجة لذلك عن مقتل فلسطينى آخر . ووجهت منظمة التحرير الفلسطينية ، بمساندة دولية قوية ، نداء فى الأمم المتحدة لاتخاذ إجراء ما للحيلولة دون وقوع مزيد من العنف ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة . وكان عرفات تواقا للحضور إلى نيويورك ليلقى خطابا أمام الأمم المتحدة . ولكن بوش وبيكر لم يشاركاه حماسه ، ويبدو أنه تم وضع اتفاق بحل وسط ، هو ان تعقد دورة استثنائية للجمعية العامة فى جنيف ، ويسمح لعرفات بأن يوجه نداءه من خلالها ، وتؤيد الولايات المتحدة قرارا يطلب إلى الأمين العام أن يوفد مبعوثا إلى الأراضى المحتلة .

وعندما كان الاقتراع على مشروع القرار فى جنيف على وشك أن يتم ، نزلت وحدة من الفدائيين الفلسطينيين على الشاطىء خارج تل أبيب . واستطاع الإسرائيليون أن يعترضوا طريق هذه المجموعة وأن يبطلوا فعاليتها ، وكانت المجموعة تضم أعضاء من جبهة تحرير فلسطين التى يتزعمها أبو العباس ، (وهى نفس المجموعة التى كانت مسؤولة عن حادثة السفينة أكيلى لاورو) ، وذلك قبل أن يصاب أى مدنى بأذى ، إلا أنه كان واضحا أنها كانت عملية إرهابية مقصودة ، على الأقل كما وصفها الإسرائيليون والأمريكيون .(٢٠) وقد بدا هذا الحدث فى حد ذاته خرقا لتعهد منظمة التحرير الفلسطينية بنبذ الإرهاب . وتصاعدت الصيحات فى إسرائيل والولايات المتحدة تطالب واشنطن بوقف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وتحت ضغط سياسى كبير فى الداخل ، أذن بوش لممثله فى الأمم المتحدة بأن يستخدم الفيتو ضد القرار المتعلق بالظروف السائدة فى الأراضى المحتلة ، وهى خطوة أثارت حنق عرفات وكثيرين غيره من الفلسطينيين . ولكن بوش أحجم عن اتخاذ الخطوة التالية بإنهاء الحوار . وبدلا من ذلك ، أصر على أن تدين منظمة التحرير الفلسطينية غارة الفدائيين ، وأن تتخذ إجراء تأديبيا ضد المسؤولين عنها . وكانت الولايات المتحدة تريد ، على وجه الخصوص ، اتخاذ إجراء ضد أبو العباس ، الذى كان لايزال عضوا فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رغم أن عضويته كانت مجمدة على ما يبدو ، مما يعنى أنه لا يشارك فى صنع القرار .

وقد بدا عرفات فى حالة مزاجية لا تسمح له بتلبية الشروط الأمريكية . وبدلا من ذلك ، بدأ يقضى فترات أطول فى بغداد ، بل وردت تقارير تفيد بأنه يفكر فى نقل مقره السياسى من تونس إلى هناك . وفى منتصف شهر يونيو ، أعرب نائب عرفات ، صلاح خلف (أبو أياد) ، عن قلقه

لأن عرفات أصبح يخضع لتأثير صدام . وكان من رأيه أن غارة أبو العباس كانت عملية عراقية ، وأن الغرض منها هو وضع نهاية لسياسة الاعتدال التى تنتهجها منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنهاء روابطها مع كل من واشنطن والقاهرة . وقال أبو أياد إن صدام كان فى ذهنه شىء ما ، شىء كبير . وأنه يقوم بالمناورة لكى يضع منظمة التحرير الفلسطينية في زاويته . وقال إنه يعتقد أن هذا الوضع لا يمكن إلا أن يكون وضعا سيئا للفلسطينيين . وأضاف أنه يرغب فى إيجاد طريقة ما للحيلولة دون وقوع قطيعة مع واشنطن .[٢١] لكن الأوان كان قد فات . ففى ٢٠ يونيو أعلن بوش ، فى شىء من الأسف أكثر من الغضب ، تعليق الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وجاء صيف عام ١٩٩٠ ليجد أن السياسة الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط تسير على غير هدى . فلم يكن هناك من يرى أى مستقبل لعملية السلام فى ظل حكومة إسرائيلية عازمة على استيطان الأراضى المحتلة بأسرع ما يمكن ، وحركة فلسطينية تنجرف ناحية الانحياز إلى جانب العراق الميال للعراك بصورة متزايدة . ولم يكن هناك ، على ما يبدو ، من يعرف ما يدور فى عقل صدام حسين إذ كان كثيرا ما يطالب دول الخليج بأن تقدم له الأموال ، ويهدد إسرائيل بالأسلحة الكيميائية إذا ما حدث أن تعرض للهجوم ، وفى أواخر يوليو ، بدأ يحرك جنوده ناحية الحدود الكويتية ليدعم مطالبته بالأموال . وكان التفسير السائد فى المنطقة أن صدام بدأ فى ابتزاز الكويتيين والسعوديين باستعراض قوته . وقد تقدم المصريون والأردنيون وزعماء الخليج جميعهم إلى واشنطن بالنصح بألا تستثير صدام بالإفراط فى رد الفعل إزاء تنمره . وأن تجرى بدلا من ذلك ، محادثات فى المملكة العربية السعودية ، تعقد خلالها صفقة ، ثم يتراجع صدام . إلا أنه لم يفعل ذلك . ففى ٢ أغسطس تدفق جنوده داخل الكويت ، واحتلوا هذا البلد خلال ساعات ، ثم ضموه ، وبذلك احدثوا تغييرا قد يستمر سنوات فى سياسات المنطقة .

أزمة الخليج : أمريكا تدخل الحرب

ليس هذا هو المكان المناسب لتحليل بواعث صدام حسين لغزو الكويت . كما أن رد جورج بوش ليس هو محور هذه الدراسة .[٢٢] ويكفى القول إنه لابد أن تكون حسابات صدام قد انتهت إلى أن بوش لن يرد عليه عسكريا . وبالتوصل إلى هذا الاستنتاج ، ربما يكون الأمل قد راوده بأن قوة الرأى العام العربى ستندفع بشدة ضد التدخل الغربى لدرجة لا يجد معها أى نظام عربى الجرأة على أن يتواطأ مع واشنطن لإرغام العراق على التراجع . وكان ذلك خطأ فى فهم موقف السعوديين والمصريين على وجه الحصوص ، فكلاهما قد وافق على التعاون مع الانتشار الكبير للقوات الغربية ، التى كانت معظمها أمريكية ، فى المنطقة . كما أنه كان خطأ فى فهم موقف جورج بوش ، الذى استوعب جيدا الدروس المستفادة من ميونيخ ، ولم يكن يحتاج إلى جهد كبير لكى يستنتج أن المصالح الأمريكية سوف تعانى كثيرا لو نجح صدام حسين فى فرض سطوته .

فلو سيطر صدام على إمدادات النفط العراقية والكويتية مباشرة ، وأبقى جنوده على الحدود السعودية ، لسيطر فى حقيقة الأمر على احتياطيات الخليج الواسعة من النفط ، وأصبح الرجل

الأوحد فى منظمة البلدان المصدرة للنفط الذى بمقدوره أن يتلاعب بإمداداته لكى يحقق السعر الذى يريده . كما كان سيستطيع بفضل عائداته الضخمة من النفط أن يعجل بحشد الأسلحة وتكديسها ، بما فى ذلك الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية . ولأصبح المسرح مهيأ قبل مضى وقت طويل لحرب أخرى فى الشرق الأوسط ، وهى حرب ستشمل هذه المرة إسرائيل والعراق ، وربما يكون كلاهما مسلحين بالأسلحة النووية . وبالإضافة إلى هذه المخاوف الملموسة كانت هناك الأمور المتعلقة بالزعامة الأمريكية للعالم فى فترة ما بعد الحرب الباردة ، ومقاومة العدوان ، والضغوط السياسية الداخلية التى تعرض لها بوش من أجل اتخاذ اجراء .

وبينما كان بوش يستعد بصورة منهجية لحرب لا يمكن لأمريكا وحلفائها أن يخسروها ، حاول صدام أن يربط بين احتلاله للكويت واحتلال إسرائيل للأراضى العربية (واحتلال سوريا للبنان) . وذكر صدام بشكل ضمنى أنه قبل مطالبة العراق بالانسحاب من أرض هى فى حقيقة أمرها أرض عراقية ، يجب على إسرائيل وسوريا أن تسحبا قواتهما . وكان القصد من هذا الموقف هو كسب تأييد الكثيرين فى العالم العربى الذين كانوا يعتقدون أنه ليس هناك فرق محدد بين حالات الاحتلال الثلاث ، والذين لم يكونوا يشعرون على أى حال بأى التزام بالدفاع عن الكويتيين ذوى الثراء المفرط . وكان الفلسطينيون ، بصفة خاصة ، ميالين إلى استغلال المحاولة التى قام بها صدام من أجل ربط هذه القضايا معا ، مستشعرين إمكانية أن يقوم منقذ عربى قوى ، محاكيا ناصر العظيم ، بإنقاذهم فى الوقت الذى لا يستطيع أن يفعل فيه ذلك شخص آخر . ومن ثم كان هناك فيض متدفق من التأييد لصدام فى الأردن وفى الأراضى المحتلة ، وإن لم يستمر ذلك طويلا .

ولم يكن أى من هذا التأييد ليحدث فرقا كبيرا فى موقف بوش وكبار مساعديه فى واشنطن . فقد كانوا مصممين على اخراج صدام من الكويت ، وتدمير قدرته على شن الحرب ، وإزالة أسلحة الدمار الشامل لديه ، وأن يفعلوا ذلك بأقل خسائر ممكنة فى الأرواح ، وبسرعة ، وتحت ستار شرعية الأمم المتحدة . وفى ١٦ يناير ١٩٩١ ، شنت قوات التحالف تحت القيادة الأمريكية ضربات جوية واسعة النطاق ضد العراق . وبات واضحا على الفور تقريبا أن القوة المقاتلة العراقية مقضى عليها . وحاول صدام أن يجر إسرائيل إلى الحرب باطلاق صواريخ سكود على تل أبيب ، إذ كان يعتقد بأنه لو دخلت إسرائيل الحرب ، سيتحوّل السعوديون والمصريون والسوريون عن الجانب الذى يؤيدونه . إلا أنه تحت ضغط أمريكى كبير ، لم تلجأ إسرائيل إلى الرد الانتقامى ، وظل الحلفاء العرب فى التحالف على موقفهم ، واضطرت قوات صدام إلى التراجع السريع من الكويت بنهاية شهر فبراير . وطوال ذلك الوقت ، لم يفعل الاتحاد السوفيتى شيئا لحماية النظام العراقى . بل إن السوفيت اقترعوا فى الأمم المتحدة إلى جانب الولايات المتحدة ، وذلك فى استعراض واضح للتعاون فى فترة ما بعد الحرب الباردة .

لكن ما الذى يعنيه هذا النصر الذى تحقق بقيادة أمريكا ، وهزيمة صدام ، والتزام إسرائيل بضبط النفس ، والمساندة الفلسطينية لصدام ، بالنسبة لعملية السلام الراكدة ؟ لقد رفض بوش محاولة صدام لربط احتلال الكويت بالاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية ، ولكنه ألمح فى إشارة موجهة إلى العرب ، فى أول أكتوبر ١٩٩٠ إلى أنه عندما يسوى حساباته مع صدام ، فإنه سيحول انتباهه من

جديد ناحية صنع السلام العربى الإسرائيلى.[٢٣] وفى شهر مارس ١٩٩١ ، كان كثيرون يشعرون بالحيرة مما إذا كان تعليق بوش مجرد كلام لا طائل من ورائه . وخلال أسابيع ، بدأت الدلائل تتجمع بأن بوش وبيكر وجدا أن هناك فرصة نشأت عن أزمة الخليج للبدء فى عملية السلام من جديد . بل ان بيكر بدا مشابها لوزير الخارجية السابق ، هنرى كيسنجر ، الذى اندفع إلى المنطقة فى أعقاب حرب أخرى وقعت فى عام ١٩٧٣ . ففى الفترة بين مارس وأكتوبر ١٩٩١ ، قام بيكر بثمانى رحلات إلى المنطقة ، حيث أمضى ساعات لا نهاية لها فى تداول مع الرئيس السورى حافظ الأسد واسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل . ومثلما فعل كيسنجر من قبل ، كان بيكر يتوقف لاستطلاع الآراء فى المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان العربية . إلا أن الجديد الذى استحدثه وكان بالغ الأهمية أنه قد بدأ الحديث مع الفلسطينيين من داخل الأراضى المحتلة ، من المعروف عنهم أن لهم روابط وثيقة مع منظمة التحرير الفلسطينية . وأصبح فيصل الحسينى وحنان عشراوى المحاورين المختارين له من الجانب الفلسطينى . وقد ثبت أن هذه الخطوة كانت تحولا إجرائيا هاما ، يفتح الطريق أمام المشاركة الفلسطينية فى عملية السلام برغم المشاعر السيئة المتبقية على الجانبين بسبب حرب الخليج .

الطريق إلى مدريد

خلال الحرب ضد العراق ، بدأ الفريق المعنى بالشرق الأوسط فى وزارة الخارجية يفكر فى إمكانية أن تهيىء نتيجة هذه الحرب ، الظروف التى تصبح فيها مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية ممكنة . وكان منطق التفكير كما يلى : من شأن الهزيمة التى لحقت بالعراق أن تقنع أكثر المتشددين العرب تطرفا بأن الحل العسكرى للنزاع العربى الإسرائيلى مستحيل . كما يبين تعاون الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة أثناء الأزمة إن قواعد لعبة الحرب الباردة القديمة تعاد صياغتها ، وان الولايات المتحدة أصبحت الآن ، أكثر من أى وقت مضى ، تحتل المركز الدبيلوماسى الرئيسى . وسوف يدرك الآن الفلسطينيون والأردنيون ، الذين سمحوا لعواطفهم أن تجرهم إلى جانب صدام ، أنهم فقدوا التأييد بين النظم العربية ، وأن الزمن لا يعمل لصالحهم . ولذلك فإنه انطلاقا من الضعف الذى يشعر الفلسطينيون به الآن ، من المتوقع أن يردوا بصورة إيجابية على أية مبادرة دبيلوماسية جادة .

كذلك أعرب المسؤولون الأمريكيون عن أملهم فى أن تستمر أنماط التعاون الذى تشكل أثناء حرب الخليج ، خلال دبيلوماسية ما بعد الحرب . وعلى الجانب العربى ، فإن هذا يعنى أنه من المتوقع أن تعمل مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية معا من أجل تأييد عملية السلام ، وهو شيء لم يحدث منذ عام ١٩٧٤ . وفى الحقيقة ، كانت إحدى المناقشات الرئيسية داخل الحكومة الأمريكية تتعلق بالدور الذى ستقوم به سوريا فى فترة ما بعد الحرب . ففى العلن ، كان كثيرون من قادة الرأى يحذرون من خطر التعاون مع حافظ الأسد ، باعتبار أنه ليس سوى نسخة أكثر دهاء من صدام حسين . ولم يكن السجل السابق للأسد بشأن السلام العربى الإسرائيلى يوفر قدرا كبيرا من الارتياح لمن يعتقدون أنه قد يكون أكثر مرونة فى هذه الجولة . لكن الرأى الراجح كان يطالب بوضع الأسد موضع الاختبار . فإذا وافق على التفاوض مع إسرائيل فإن الفلسطينيين

سيحذون حذوه على وجه التأكيد . وإذا قبلت إسرائيل الفرصة المتاحة للتحدث مع سوريا مباشرة ، فإن ذلك قد يوفر حافزا إيجابيا للانضمام إلى عملية السلام . على النقيض من ذلك ، كان شامير يعتقد على ما يبدو أنه لا يمكن أن يتأتى شيء مفيد من وراء الحديث مع الفلسطينيين .

وظل شامير لغزا بالنسبة للأمريكيين . فمن ناحية ، أثار دهشة الكثيرين بإظهاره درجة عالية من ضبط النفس أثناء هجمات صواريخ سكود العراقية على إسرائيل ، إذ أنه بناء على طلب أمريكى لزم السكون مقاوما مشورة بعض معاونيه العسكريين بتوجيه ضربة إلى العراق . ومن ناحية أخرى ، لم يكن فى شخصية شامير ما يحمل على الاعتقاد بأن المسائل التى انهارت بسببها عملية السلام منذ عام مضى ، يمكن استبعادها الآن . ومع ذلك ، كان هناك تقدير يقول بأن إسرائيل من الناحية الموضوعية ، أصبحت الآن أكثر أمنا من أى وقت مضى . وعلاوة على ذلك ، فإن حقيقة أن الولايات المتحدة قد دفعت بصواريخ باتريوت للمساعدة فى الدفاع ضد صواريخ سكود ، وما أعقب ذلك من تدفقات المعونة لتعويض الخسائر المتصلة بالحرب ، تهيىء على الأرجح ظروفا تجعل شامير يتردد فى أن يقول كلمة لا لجورج بوش .

وأخيرا ، أدرك الفريق المعنى بالشرق الأوسط أن النصر الذى تحقق بقيادة أمريكية فى الخليج سوف يحسن بشكل حتمى من فرص الرئيس بوش فى القيادة ، على الأقل فى الأجل القريب . وكان بوش يتمتع بشعبية غير مسبوقة فى الداخل . ولم يكن أحد يستطيع أن يشكك فى قراره بالتحول من انتصار الخليج إلى صنع السلام العربى الإسرائيلى .

إلا أن سؤالا واحدا ظل مثارا : ما هى المصلحة القومية التى ستتحقق للولايات المتحدة الآن بمعالجة النزاع العربى الإسرائيلى المتحجر ؟ ففى الخليج ، أمكن إقناع الأمريكيين بأن الخليط المكون من النفط والقدرات النووية العراقية المحتملة ، يبرر إنفاق الأرواح والأموال من أجل إلحاق الهزيمة بصدام . ولكن لماذا تقوم الولايات المتحدة ، ولاسيما فى فترة ما بعد الحرب الباردة ، بجولة أخرى مع هذا النزاع المعقد للغاية بين إسرائيل وجيرانها العرب ؟ هل هناك فرصة حقيقية للنجاح ؟ وهل تهدد حالة الجمود المصالح الأمريكية بدرجة كبيرة ؟ لقد كان فى مقدور أى إجابة عن هذه الأسئلة منذ سنوات قليلة فقط أن تشير إلى احتمالات المكاسب السوفيتية ، والأخطار التى تتعرض لها إمدادات النفط ، كمبرر لمعالجة النزاع العربى الإسرائيلى . لكن التهديد السوفيتى قد تلاشى الآن ، كما أن إمدادات النفط ليست لها أية علاقة ظاهرة بمسار النزاع العربى الإسرائيلى ، وعلى الأقل ليس فى عام ١٩٩١ .

وإذا كانت بعض الإجابات القديمة لم يعد جديرا بالثقة ، فإن إجابات أخرى ظلت جديرة بذلك . هناك مثلا الافتراض القائم منذ أمد بعيد بأن السلام المصرى الإسرائيلى سوف يتدعم إذا أمكن إحياء عملية السلام . وأنه فى ظل عدم وجود تحرك جديد فى عملية السلام ، قد تنهار العلاقات الفاترة بين مصر وإسرائيل كلها ، مما يشكل تكلفة باهظة لاحتمالات الاستقرار فى المنطقة . ولايزال هذا الافتراض يشكل مصدر قلق قائم . وهناك مصدر آخر للقلق ، وهو أن الجمود فى الساحة العربية الإسرائيلية إذا طال أمده يمكن أن يسفر عن إضفاء طابع راديكالى على الرأى العام فى إسرائيل وبين الفلسطينيين على حد سواء . وفى أسوأ الظروف ، سوف ينطبع النزاع بصورة متزايدة

بالطابع الدينى ، اليهود ضد المسلمين ، مما ينسف احتمالات أية تسوية .

كذلك شعر البعض فى الحكومة الأمريكية بالقلق من تأثير حالة الجمود إذا طال أمدها على العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . فهل سيستمر الرأى العام الأمريكى فى تأييد تخصيص مبالغ ضخمة من المعونة لإسرائيل ، الآن وبعد أن قل وزن الحجة القائلة بأن إسرائيل هى « رصيد استراتيجى » ؟ وما مدى تأثر الرأى العام الأمريكى سنوات أخرى من صور التليفزيون التى تعرض قيام الإسرائيليين المدججين بالسلاح بإطلاق نيرانهم على قاذفى الحجارة الفلسطينيين ؟ وبدون تسوية سلمية ، فإن إسرائيل ستبدو باطراد كدولة استعمارية تحكم شعبا متململا وله طموحاته الوطنية . ولا يصدق أحد أن إسرائيل ستوفر للفلسطينيين حقوقا متساوية فى النظام السياسى الإسرائيلى ، لأن ذلك من شأنه أن يضعف الهوية اليهودية للدولة ، ومن ثم فإن البديل الوحيد للتسوية السلمية مع الانسحاب من الأراضى المحتلة يتمثل فى إعطاء مركز من الدرجة الثانية للفلسطينيين لأمد طويل أو طردهم من الأراضى المحتلة . ولايبدو أى من الخيارين متوافقا مع العلاقات الأمريكية الإسرائيلية القوية . وما لم يثبت البلدان مرة أخرى أنهما يتعاونان فى السعى من أجل السلام ، فإن البعض يدرك أن إسرائيل قد تواجه خطر فقد تأييد الرأى العام الأمريكى بصورة مفاجئة .

بيد أن الرأى الأهم للفريق المعنى بالشرق الأوسط كان يبدو أكثر اتصالا باحتمال نشوب حرب فى المنطقة فى المستقبل . إذ أنه بدون التوصل إلى تسوية سلمية يخشى البعض من أن يظل نشوب حرب أخرى بين إسرائيل وائتلاف من الدول العربية احتمالا قائما . وكان قد جرى التلويح بخطر نشوب حرب من هذا القبيل فى النزاع القريب العهد مع العراق . ربما لم تكن الصواريخ أرض - أرض فعالة بدرجة كبيرة فى عام ١٩٩١ ، ولكن من يضمن ألا تتحسن دقتها خلال عقد من الزمان ؟ وماذا عن الأسلحة غير التقليدية ؟ ففى تلك المرة امتنع العراق عن استخدام أسلحته الكيميائية ، ولم يكن قد امتلك بعد الأسلحة النووية . ولكن هل ينطبق الموقف ذاته على حرب عربية إسرائيلية تنشب فى وقت لاحق من هذا العقد ؟ إن أحدا لا يمكن أن يكون واثقا من ذلك ، ولكن من الحكمة السعى إلى تفادى اختبار آخر للأسلحة لو كان ذلك ممكنا .

ومع توافر هذه الآراء ، وتذكر ميراث الالتزامات الماضية ، تحركت الحكومة الأمريكية بسرعة لاستطلاع التضاريس الجديدة فى الساحة العربية الإسرائيلية . واستنادا إلى التجربة السابقة ، يمكن للمرء أن يرجح أنه لن يكون هناك مخطط كبير ، وأن التركيز سينصب على الإجراءات المتعلقة بجعل الأطراف تجلس إلى مائدة التفاوض ؛ وأن الالتزامات الكبيرة والجديدة بتقديم المعونة لن تكون جزءا من الجهود الدبلوماسية . والمرجح أن تكون التكلفة الرئيسية للولايات المتحدة هى وقت وطاقة وزير الخارجية وكبار مساعديه .

وفى ٦ مارس ١٩٩١ ، ألقى بوش خطابا أمام جلسة مشتركة للكونجرس ، قال فيه : « لابد أن نفعل كل ما نستطيعه لسد الفجوة بين إسرائيل والدول العربية ، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين ... إن السلام الشامل يجب أن يعتمد على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام . ويجب توسيع نطاق هذا المبدأ لكى يتضمن أمن إسرائيل والاعتراف بها ، وينص فى الوقت نفسه على الحقوق السياسية الفلسطينية المشروعة . وأى شىء خلاف هذا سيتحقق

فى الاختبار المزدوج للعدالة والأمن . ولقد حان الوقت لنضع حدا للنزاع العربى الإسرائيلى » . [انظر الملحق « ل »] .

وخلال أيام من خطاب الرئيس ، كان بيكر فى طريقه إلى الشرق الأوسط ، فى رحلة ظهر بعد ذلك أنها الأولى من ثمانى رحلات قام بها فى ١٩٩١ . وتوقف بيكر فى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل إلى إسرائيل ، حيث اجتمع هناك أيضا مع الفلسطينيين ، ثم اتجه إلى دمشق . وبعد ذلك بوقت قصير أصدر مبارك والأسد دعوة لعقد مؤتمر سلام دولى بشأن النزاع العربى الإسرائيلى ، واستجاب شامير لهذه الدعوة بقوله إن إسرائيل قد توافق على عقد مؤتمر إقليمى تحت رعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وبدا من هذه الجولة الأولى من المحادثات أن هناك محاولة تجرى لإشراك سوريا فى العملية ، وان الثمن لتحقيق ذلك هو عقد شكل ما من أشكال المؤتمر الدولى . وللحصول على التأييد الإسرائيلى ، يجب أن يجرد أى مؤتمر كهذا من السلطة القسرية ، وألا يكون المؤتمر أكثر من مكان تتفاوض فيه الأطراف تفاوضا مباشرا . وأعلنت إسرائيل أيضا أنها ستقاوم وجود أى دور للأمم المتحدة . كما أنها لم تكن متحمسة للمشاركة الأوروبية . ومع أن كل هذه النقاط الأخيرة ستكون موضع مجادلات لا نهاية لها مع الأسد ، فليس فيها ما يستعصى على الحل . وكانت استراتيجية بيكر على ما يبدو هى الحصول على موافقة الأسد أولا ، على أساس الافتراض بأن إسرائيل لن تريد بعد ذلك أن تقول لا .

وقام بيكر برحلتين أخريين إلى المنطقة فى شهر ابريل ، دون تحقيق نتائج ملموسة ، بيد أنه على عكس المحاولات السابقة فى الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، عمد بيكر هذه المرة إلى عدم إظهار خيبة أمله ، ولم يكرر التهديد بالتخلى عن المسألة برمتها لو أن الأطراف رفضت التعاون . وأعطى هو والرئيس انطباعا بأن لديهما تصميم ثابت على الحصول على الإجابات التى يريدانها .

وفى شهر مايو ١٩٩١ ، ظهرت على السطح مسألة يحتمل أن تكون صعبة . فقد أعلن السفير الإسرائيلى فى واشنطن أن إسرائيل ستطالب بمبلغ عشرة مليارات من الدولارات كضمان لقروض أمريكية على مدى السنوات الخمس التالية للمساعدة فى استيعاب المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفيتى .(٢٤) وفى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تقوم ببناء مستوطنات جديدة بأكبر سرعة ممكنة فى الضفة الغربية (وحول القدس) ، أثار هذا المطلب تساؤلا فى واشنطن حول كيفية الرد عليه . وكان الاتفاق الأمريكى الإسرائيلى لسابق بشأن تقديم ضمانات لقرض قيمته ٤٠٠ مليون دولار لأغراض الإسكان قد ترك مذاقا مريرا فى واشنطن ، لأن الإسرائيليين رفضوا على الفور فكرة عدم إنفاق هذه الأموال فيما وراء الخط الأخضر فى القدس الشرقية .(٢٥) ولم يكن بوش ولا بيكر يريد أن يكون فى موقف من يقدم الدعم لبناء المستوطنات الإسرائيلية ، التى يعتقد صادقا أنها تشكل عقبة أمام أى اتفاق يعقد فى المستقبل بين إسرائيل والفلسطينيين . وغنى عن القول أن بيكر عرف خلال اجتماعاته العديدة مع الزعماء الفلسطينيين ، أن المفاوضات لا يمكن أن تنجح ما لم يتوقف بناء المستوطنات الإسرائيلية . ووصف بيكر ، فى كلمة له أمام اللجنة الفرعية

للشؤون الخارجية بمجلس النواب يوم ٢٢ مايو ، النشاط الاستيطاني الإسرائيلي بأنه عقبة رئيسية أمام السلام . وكرر بوش هذا الرأى فى اليوم التالى .(٢٦)

وأثناء الصيف ، حاول بيكر أن يعزز دعائم محادثات السلام المتوقعة ، متفاديا المسائل المضمونية ، وإن كان قد استحدث هيكلا يمكن أن يؤثر عليها . وفى ٢٩ مايو ، طرحت الإدارة اقتراحا بشأن الحد من التسلح على الصعيد الإقليمى ، ويبدو أنه قد صيغ لكى يروق للإسرائيليين من خلال اجتذاب عدد من الدول العربية ، مثل المملكة العربية السعودية ، للدخول فى مناقشات بشأن الحد من التسلح فى المنطقة . ولكن أصعب المسائل التى كانت تواجه بيكر هى وضع صيغة مقبولة لتمثيل الفلسطينيين فى محادثات السلام . ولم يسبق أن نجح أحد فى هذه المهمة . وكان شامير متصلبا فى رفضه التعامل المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية ، بل ويبدو أنه يرفض قيام عرفات بدور مستتر . وفى المقابل ، بدا أن معظم الفلسطينيين يرون أن منظمة التحرير الفلسطينية وحدها هى التى تستطيع أن تصادق على فكرة التفاوض مع إسرائيل ، مثلما كانت المنظمة هى وحدها التى استطاعت فى عام ١٩٨٨ أن تضفى الشرعية على فكرة حق إسرائيل فى الوجود كدولة داخل جزء من فلسطين التى كانت قائمة تحت الانتداب .

ومن الناحية النظرية ، لم يكن من الصعب تصور إيجاد حل لهذه المشكلة ، إلا أنه يتطلب مهارة سياسية عالية لتحقيق التوازن الصحيح . وكانت نقطة البداية فى هذا المسعى على ما يبدو ، هى النقطة التى توقف عندها بيكر فى ربيع عام ١٩٩٠ . ففى ذلك الوقت ، كانت منظمة التحرير الفلسطينية قد وافقت بالفعل على ألا يحضر أحد من المنظمة المفاوضات مع إسرائيل . وكانت الفكرة التى تم استطلاعها هى أن تضع المنظمة قائمة بالأسماء ، على أن تقدمها مصر . أما الآن ، فى عام ١٩٩١ ، فقد أصبحت فكرة تقديم المنظمة قائمة من خلال الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة تلقى قبولاً . ولكن أى الأسماء توضع فى القائمة ؟ لقد أوضح شامير وجهة نظره : لا أحد من القدس الشرقية ، ولا أحد من خارج الأراضى المحتلة ، ولا أحد له صلة بالأعمال الإرهابية .

وقبل عام ، كان بيكر قد أيد الفلسطينيين فى رغبتهم في أن يكون هناك شخص ما من القدس ومن خارج الأراضى المحتلة ، ولكنه لم يعد يستطيع الآن أن يفعل ذلك . فقد أضعفت منظمة التحرير الفلسطينية مركزها بسبب حرب الخليج ، ويتعين عليها أن تقبل بما هو أقل . وهكذا تم إعداد صيغة لتكوين وفد أردنى فلسطينى مشترك ، على أن يكون جميع الفلسطينيين من الأراضى المحتلة . وفى الوقت نفسه سيجرى اختيارهم جميعا من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ، التى لن يكون دورها مستترا تماما .

وفى الجانب الأمريكى ، شعر البعض بأن تراجع مكانة منظمة التحرير الفلسطينية سيكون تطورا مستصوبا فى حد ذاته ، وليس لمجرد أن شامير اعترض على إشراكها فى المحادثات . وكانت الفكرة الشائعة فى واشنطن أن الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة أكثر اعتدالا ، وأكثر واقعية ممن يعيشون فى الخارج . ذلك أنه من المعتقد أن هذه الفئة الأخيرة ، سوف تشعر دائما بالحاجة للدفاع عن حقوق الفلسطينيين المقيمين فى المنفى ، بما في ذلك حقهم فى العودة إلى ديارهم الأصلية ، وهى مسألة لم يكن الإسرائيليون ليتزحزحوا بشأنها . ومع أن هذا الرأى له بعض

الوجاهة ، فانه يغفل حقيقة أن ما يطلق عليهم اسم المعتدلين فى الضفة الغربية وغزة لا تتبعهم سوى قلة صغيرة من جماهير الفلسطينيين ، وان قدرتهم على الادعاء بأنهم يستطيعون التحدث بالنيابة عن الفلسطينيين ، تتوقف على مدى تمثيلهم لمنظمة التحرير الفلسطينية . أما الزعماء الشعبيون ، فإنهم على العكس من ذلك أكثر راديكالية من منظمة التحرير الفلسطينية . فهم فى بعض الأحيان يميلون إلى اليسار ، وهم فى أحيان أخرى جزء من الحركة الإسلامية المتنامية . ومن ثم فإن منظمة التحرير الفلسطينية لاتزال ضرورية لإشراك الفلسطينيين المعتدلين فى هذه العملية ، ولإعطائهم غطاء سياسيا .

وفى وقت مبكر من شهر يونيو ، بعث بوش برسائل إلى شامير والأسد والملك حسين والملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية والرئيس مبارك ، يعرض فيها أفكاره المتعلقة بعقد مؤتمر للسلام فى الخريف . وجاء أول الردود الإيجابية يوم ١٤ يوليو - من دمشق . وخلال أيام ، كان بيكر قد وصل إلى سوريا لإجراء محادثات مع الأسد ، ثم توجه إلى الأردن حيث وافق الملك حسين على فكرة المؤتمر . وأيد حسين علنا الفكرة التى كان قد اقترحها مبارك : أن يتخلى العرب عن المقاطعة الثانوية لإسرائيل بمجرد موافقة إسرائيل على وقف بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة .

وحينذاك ، بدأ بيكر فى محاولة لكسب موافقة شامير . فأبلغه ، كنوع من الإغراء ، أن الولايات المتحدة سوف تواصل احترام شروط الرسالة التى بعث بها الرئيس فورد إلى رئيس الوزراء رابين فى أول سبتمبر ١٩٧٥ . وكانت تلك الرسالة قد وعدت بأن « تساند بقوة موقف إسرائيل القائل بأن أى اتفاق للسلام مع سوريا يجب أن يقوم على أساس بقاء إسرائيل فى مرتفعات الجولان » .(٢٧) وارتاب البعض فى احتمال أن يكون بيكر قد قدم تعهدا للأسد بألا تعترف الولايات المتحدة بضم إسرائيل للجولان ، وأنها تعتقد أن شروط قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ يجب أن تطبق على المرتفعات . والواقع أن الوعدين الأمريكيين كان يمكن الحفاظ عليهما على الرغم من أنه كان من المتوقع أن يثور تناقض ما بينهما فى وقت ما . ولكن الدبلوماسيين الذين يتوقون إلى إتمام الصفقات يتم استدراجهم فى أغلب الأحيان إلى تقديم هذه التطمينات المتوازية . والأمر المهم لا يتعلق بالسبب الذى قدمت من أجله هذه التطميات وإنما بالسبب فى أنها تلقى مثل هذا التقدير الكبير .

وحتى لا يساور أحد الشك فى آراء شامير بشأن الجوهر ، فانه اشترك فى المناقشة يوم ٢٤ يوليو ١٩٩١ ، قائلا : « إننى لا أؤمن بالحلول الوسط فيما يتعلق بالأراضى ، فإن بلدنا صغير جدا . وهذه الأرض تتصل بحياتنا كلها - بأمننا ، بمياهنا ، باقتصادنا . وإننى لأؤمن بكيانى كله أننا نرتبط ارتباطا أبديا بهذا الوطن بكامله . إن السلام والأمن متلازمان . كما أن الأمن والأرض والوطن هى كيان واحد » .(٢٨) وفى إيجاز ، لن يدخل شامير فى مفاوضات فى ظل التزام مسبق بالانسحاب . وبعد مضى بضعة أيام ، أعلن شامير فى أول أغسطس قبوله المشروط للاقتراح الأمريكى المتعلق بعقد مؤتمر السلام فى أكتوبر . وكان كل ما تبقى هو الحصول على قائمة بأسماء المفاوضين الفلسطينيين الذين ستوافق إسرائيل على الاجتماع بهم .

فما الذى يمكن للفلسطينيين أن يأملوا فى تحقيقه من وراء المفاوضات إذا كان سيتم استبعاد منظمة

التحرير الفلسطينية ، وكان شامير غير مستعد على ما يبدو للتزحزح بالنسبة للانسحاب ؟ ربما يستطيع الأمريكيون على الأقل محاولة وقف بناء المستوطنات الإسرائيلية ، أو على الأقل يرفضون تقديم دعم لها . وربما كانت الآمال الفلسطينية قد تزايدت فى مطلع العام ، عندما أرجأ بوش اتخاذ قرار بشأن الطلب الإسرائيلى بالحصول على ضمان لقرض يبلغ عشرة مليارات دولار ، إذ أن هذه المسألة كانت فى رأى المؤسسة الفلسطينية مؤشرا حاسما عما إذا كان بوش يمكن أن يكون وسيطا موثوقا به . فلو أن الولايات المتحدة قدمت دعما نشطا لبناء مستوطنات إسرائيلية جديدة ، وربما على نطاق واسع ، فإن الفلسطينيين سوف يتشككون فيما إذا كانت المفاوضات التى تدور بالوساطة الأمريكية يمكن أن تعيد إليهم حقوقهم . وعلى العكس من ذلك ، لو تمسك بوش بموقفه لكان من الممكن الوثوق فيه .

وفى شهر أغسطس ، وقعت محاولة انقلابية ضد جورباتشوف مهدت الطريق لحدوث تغيير مثير فى الاتحاد السوفيتى . وبذلك تلاشت الفرصة الضئيلة التى كانت قد لاحت أمام السوفيت للقيام بدور فعال باعتبارهم رئيسا مشاركا فى محادثات السلام . فقد ضعف مركز جورباتشوف بطريقة يتعذر معالجتها ، وبدأ الاتحاد السوفيتى فى التفكك . وبنهاية السنة تم حظر الحزب الشيوعى ، وأصبح جورباتشوف خارج السلطة ، وشق كل جزء من الأجزاء التى كان الاتحاد السوفيتى يتكون منها سابقا ، طريقه نحو الاستقلال . وأصبح بوريس يلتسين هو الحاكم الجديد لروسيا . وكانت هذه الأحداث المثيرة ، تذكرة جديدة للفلسطينيين والسوريين ، بأنهم يقفون الآن وحدهم ، دون أن تقف وراءهم دولة كبرى .

ولكن بوش كان يكتسب مصداقية فى عيون العرب ، فى الوقت الذى كان فيه السوفيت يختفون من الخريطة . وفى ٦ سبتمبر ١٩٩١ ، طلب بوش من الكونجرس إرجاء النظر فى طلب القرض الإسرائيلى لمدة ١٢٠ يوما . وبعد أن واجه مقاومة من الكونجرس ، ظهر بوش على الملأ فى ١٢ سبتمبر ، وعارض بشدة المستوطنات الإسرائيلية وجماعات الضغط الإسرائيلية . وخلال أيام ، أظهرت استطلاعات الرأى أن أغلبية ضخمة من الرأى العام الأمريكى تؤيد الرئيس فى موقفه بشأن المعونة المطلوبة لإسرائيل .(٢٩) وعلى النقيض من ذلك ، شعر كثيرون من اليهود الأمريكيين بالاستياء الشديد لما اعتبروه تشكيكا من جانب بوش فى حقهم فى ممارسة الضغط للتأثير فى الرأى العام لصالح القضايا التى يؤمنون بها .

وخلال الأسابيع القليلة التالية ، قام بيكر برحلات إضافية إلى الشرق الأوسط . وكان يمكن للمرء أن يشعر بأن الجزء الختامى من المباراة قد بدأ ، وكانت خطابات التطمينات تُطلب ، وتُقدم(٣٠) . (انظر الملحق « م » للاطلاع على نص خطاب موجه إلى الفلسطينيين) . وكانت الإيماءات الرمزية تقدم بكثرة ، مثل ما دعا إليه بوش من إلغاء قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية .

وأخيرا ، فى ١٨ أكتوبر ، قدمت لبيكر قائمه بأسماء فريق التفاوض الفلسطينى المرتقب . وفى ٢٠ أكتوبر ، اقترع مجلس الوزراء الإسرائيلى لصالح حضور المؤتمر . وفى ٢٢ أكتوبر ، أعلن فيصل الحسينى أسماء فريق التفاوض الفلسطينى ، بالإضافة إلى من سيشكلون مجموعة استشارية ،

بمن فيهم فيصل الحسيني نفسه . وكان أحد أعضاء الجانب الأردني في الفريق المشترك ، فلسطيني من خارج الأراضي المحتلة ولديه روابط أسرية وثيقة في القدس . وهكذا كان الفلسطينيون يستطيعون في نهاية الأمر القول بأنهم قد اختاروا فريقا تفاوضيا يمثلهم ، في حين كان الإسرائيليون يستطيعون أن يقولوا إنهم لا يتعاملون مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنهم لم يعترفوا بأن للقدس الشرقية نفس الوضع الذي تتمتع به بقية الأراضي المحتلة .

مؤتمر مدريد

في ٣٠ أكتوبر ، وتحت الرئاسة المشتركة لكل من بوش وجورباتشوف ، افتتح مؤتمر السلام بالشرق الأوسط في مدريد (انظر الملحق « ن » للاطلاع على نص الدعوة الموجهة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) . وحضرت هذا المؤتمر إسرائيل وسوريا ولبنان ووفد أردني فلسطيني مشترك ، كما حضر الافتتاح ممثل عن الأمين العام للأمم المتحدة ، وممثل عن المجموعة الأوروبية ، ولكنهما كانا بمنأى عن مركز الأحداث . وكان لوجود الأمير بندر بن سلطان ، السفير السعودي في واشنطن ، الذي كان يرتدي زيّه التقليدي أهمية رمزية كبيرة .

ولم يكن من المتوقع أن تظل الخطب الرسمية في الذاكرة لفترة طويلة ، ربما باستثناء الخطاب الفلسطيني الذي كان بليغا بشكل غير معتاد[٣١] . (انظر خطاب بوش في الملحق « س ») . إلا أنه لم يكن بوسع أحد أن يتجاهل الأهمية الرمزية - ومن ثم السياسية - لجلوس الأطراف معا حول مائدة المفاوضات . فلأول مرة في التاريخ الحديث ، يحضر الفلسطينيون ليتحدثوا عن أنفسهم . ولإثبات أن الاحتفالات الرسمية ليست هي نهاية الطريق ، تم إقناع جميع الأطراف بالدخول لبضعة أيام في محادثات مباشرة وجها لوجه . ولم يكن عدم تحقيق تقدم كبير من حيث المضمون مثار دهشة ، إذ أن النقطة الهامة هي أنه قد توافر على ما يبدو الآن التزام بالاشتراك في عملية تفاوض جارية .

وبعد الانطلاقة الإجرائية التي تتمثل في جمع كل الأطراف حول مائدة المفاوضات ، ما الذي كان يدور في عقل بوش وبيكر ؟ إنهما لم يلمحا حتى بأية أفكار موضوعية جديدة ، مع أن الإدارة الأمريكية ، بإجلاسها الفلسطينيين إلى مائدة المفاوضات كطرف مستقل تقريبا ، قد فعلت ما لم تفعله إدارة أخرى قبلها . وقد ألمح بوش بقوة إلى أن أية زيادة في المعونة المقدمة إلى إسرائيل سوف تكون مقترنة ببعض الشروط للإبطاء في سرعة بناء المستوطنات . وفيما عدا ذلك ، بدا أن واشنطن مصممة على أن تقوم بدور الداعي إلى عقد المؤتمر ، ولكنه لبس بعد دور الوسيط . فالمتوقع أن تجلس الأطراف إلى مائدة المفاوضات مرات متكررة أولا في واشنطن في ديسمبر ١٩٩١ ، ثم في يناير ومارس وابريل ١٩٩٢ . وسوف يعقب ذلك مزيد من الاجتماعات في روما . ولكن برغم النداءات الموجهة من العرب من أجل مزيد من المشاركة الأمريكية المضمونية فإن بوش وبيكر أحجما عن ذلك .

ولم يكن من الصعب فهم سبب هذا التحفّظ . إذ كان الأمريكيون يشعرون بالقلق دائما من تصاعد توقعات العرب بأن التنازلات الإسرائيلية سوف تُقدم ببساطة من جانب واشنطن . فذلك لن يحدث ،

إذ يتعين على الأطراف العربية أن تتخذ مواقف خاصة بها وأن تتفاوض بجدية قبل أن تسعى الولايات المتحدة إلى تضييق شقة الخلافات بمقترحات من جانبها(٣٢) . وبالإضافة إلى ذلك ، لم تكن لدى الأمريكيين آراء قوية بالنسبة للكثير من نقاط النزاع . وكان ما يريدونه هو اتفاق قابل للتطبيق ، إذ أن كل ما تتفق عليه الأطراف سوف يعتبر مرضيا فى واشنطن . وعلى أقصى تقدير ، كان لدى الحكومة آراء بشأن حلول وسط عملية ، إلا أنها لم تكن متحمسة للتلويح بما فى أيديها قبل الأوان . ولذلك فقد توخت مرحلة مطولة من المفاوضات الثنائية .

ومن المقرر أن تكمل المحادثات الثنائية اجتماعات متعددة الأطراف تتناول موضوعات الحد من التسلح ، والتنمية الاقتصادية ، والمياه ، واللاجئين ، والبيئة . ولم يتوقع أحد أية نتائج فورية من هذه المحادثات ، إلا أنه قد يتم استطلاع بعض الأفكار المفيدة على مستوى الخبراء ، تصبح متاحة بعد ذلك لخدمة المحادثات السياسية فى الوقت المناسب . وفى مجاملة للروس ، عُقدت الجولة الأولى من المحادثات المتعددة الأطراف فى موسكو يوم ٢٨ يناير ١٩٩٢ . ولم تحضر سوريا هذه الاجتماعات ، ولكن ذلك لم يمنع بعض الأطراف العربية الأخرى من الاشتراك . وفى المحادثات التى تبعت ذلك ، ارتأت إسرائيل عدم الاشتراك فى الاجتماعات المتعلقة باللاجئين والشؤون الاقتصادية ، وذلك بسبب حضور فلسطينيين من خارج الأراضى . غير أن هذه الاجتماعات استمرت على أية حال . وقد بدا واضحا أن غياب أى طرف عن اجتماع منفرد لن يؤدى إلى نسف عملية التفاوض .

وإذا كان لدى الإسرائيليين من الأسباب ما يشعرهم بالإمتنان لأن الولايات المتحدة لم تكن تتدخل فى مضمون المفاوضات ، فلم يكن هناك ما يدعوهم إلى البهجة بشأن مسألة ضمانات القروض المؤجلة . فقد حل الموعد النهائى لفترة الـ ١٢٠ يوما ومضى دون اتخاذ قرار . وفى منتصف يناير ١٩٩٢ ، كان زعماء الكونجرس يستطلعون الحلول الوسط الممكنة . ففى صيغة مقترحة ، تحصل إسرائيل فى السنة الأولى من ضمانات القرض على نحو ٢ مليار دولار ، على أن تستقطع المبالغ التى تنفق على المستوطنات فى الأراضى المحتلة من المبالغ التى تدفع مستقبلا . وكتب صحفى واسع الاطلاع يحرر عمودا فى صحيفة نيويورك تايمز فى ١٧ يناير ١٩٩٢ يقول إن شامير يخطىء إذا اعتقد أن بوش سوف يرضى بحل وسط من هذا القبيل ، إذ كان بوش يريد من شامير الموافقة على وقف بناء المستوطنات بطريقة أو بأخرى(٣٣) . وبعد مضى بضعة أيام ، صرح شامير بأنه ليس هناك احتمال بأن توافق إسرائيل على التجميد .

وكان من الواضح أن الحقائق السياسية الداخلية بدأت فى القيام بدورها فى كل من واشنطن والقدس . فقد تحدد للانتخابات الإسرائيلية شهر يونيو ١٩٩٢ ، وذلك نتيجة لانفصال الأحزاب اليمينية الصغيرة عن ائتلاف شامير . ومع أنه لم يكن من المحتمل أن يقدم شامير أية تنازلات بشأن المستوطنات فى أفضل الأوقات ، ولكن قد كان من المؤكد أنه لن يفعل ذلك عشية الانتخابات .

وبطبيعة الحال ، كان من المتوقع أن يتفادى أى رئيس أمريكى يدخل حملة لإعادة انتخابه حدوث مواجهة مع الكونجرس وإسرائيل . ولكن المعونة الخارجية لم تكن تحظى بالشعبية . ولذلك ، فإن بوش لن يخسر أصواتا كثيرة عندما يقول « لا » لشامير . وقد بات واضحا بالفعل أن بوش لن يكسب

أصواتا كثيرة من الجالية اليهودية الأمريكية التى كانت ترى بصورة متزايدة أن الرئيس وبيكر معاديان لإسرائيل . ومع ذلك ، فإن بوش لم يكن يرغب فى تنفير الإسرائيليين على امتداد دائرة العمل السياسى . وعوضا عن ذلك ، قرر أن يلحق شروطا بضمانات القرض كان يعرف أن شامير ، وليس جميع الإسرائيليين ، سيجد من الصعب عليه أن يقبلها . وكان بوش يأمل على ما يبدو أن يفضى عدم استعداد شامير لقبول الشروط الأمريكية بالإسرائيليين إلى إعادة النظر فى جدوى انتهاج سياسة جامحة لاستيطان الأراضى . وقد يوجه الكثيرون من المهاجرين الجدد على وجه خاص ، اللوم إلى شامير لتضييعه فرصة تأمين مساعدة يمكن أن تنفعهم .

وكانت قلة ممن يعرفون بوش وبيكر هى التى تعتقد أنهما لا يباليان بنتيجة الانتخابات الإسرائيلية . فقد كان شامير بالنسبة لهما زعيما يصعب التعامل معه ، إذ أن سياسته بشأن المستوطنات ورفضه الإقرار بالانسحاب كانت مصدر قلق حقيقى فى وقت كانت فيه الحكومة حريصة على مستقبل عملية السلام . أما حزب العمل فقد أصبح ، بعد حرب داخلية قاسية ، متحدا وراء إسحق رابين ، وهو رجل قد يرى الإسرائيليون أنه يجمع بين الجرعة السليمة من الواقعية والتشدد مما يؤهله لقيادتهم فى المرحلة التالية من عملية التفاوض . وربما كان منح القروض لشامير بدون شروط سيكفل فوزه فى صناديق الاقتراع . وهو شىء لم يكن بوش وبيكر يريدانه .

وفى ٢٤ فبراير ١٩٩٢ ، بعد فترة قصيرة من انتصار رابين وحزب العمل ، أعلن بيكر الشروط المتعلقة بمنح ضمانات القرض الذى يبلغ ١٠ مليارات دولار[٣٤] . ورفض بوش يوم ١٧ مارس محاولات الكونجرس لإيجاد حل وسط . حينذاك بدا أن مسألة ضمانات القرض قد توقفت[٣٥] . وربما كانت عملية التفاوض ستظل متوقفة أيضا إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية والأمريكية[٣٦] .

الانتخابات الإسرائيلية

توجه الإسرائيليون إلى صناديق الاقتراع يوم ٢٣ يونيو ، وألحقوا هزيمة صاعقة بحزب الليكود الذى ظل يحكم دون انقطاع تقريبا منذ عام ١٩٧٧ ، فلم يقترع إلى جانب الليكود سوى ٢٥ فى المائة من الناخبين ، مما أسفر عن حصوله على اثنين وثلاثين مقعدا فى الكنيست ، مما يقل كثيرا عن المقاعد الأربعين التى كان يحتلها بعد انتخابات عام ١٩٨٨ . وكانت الهزيمة بالنسبة لشامير كبيرة لدرجة أنه أعلن عزمه على التخلى عن زعامة الحزب . أما موشى آرينز ، الذى كان يعتقد فى بعض الأحيان أنه الوريث الظاهر ، فقد قرر اعتزال الحياة السياسية ، موجها عند اعتزاله انتقادات إلى آراء شامير بشأن إسرائيل الكبرى[٣٧] .

وإذا كان الليكود قد أصبح هو الخاسر بصورة واضحة ، فإن رابين وحزب العمل الذى ينتمى إليه كانا هما الفائزان . وأصبح رابين بعد حصوله على قرابة ٣٥ فى المائة من الأصوات ، واحتلاله ٤٤ مقعدا فى الكنيست ، فى موقف يتيح له تشكيل ائتلاف ضيق ، بدون إشراك أى من الأحزاب اليمينية ، ومع أنه أمضى بعض الوقت يستطلع إمكانيات إنشاء ائتلاف عريض ، فقد قدم فى ١٣ يوليو إلى الكنيست ، مجلسا للوزراء يمثل ائتلافا من العمل ، وكتلة ميرتس ، ذات الاتجاه

اليسارى ، وحزب شاس الدينى . وتحوز هذه الأحزاب الثلاثة معا اثنين وستين مقعدا ، وربما كان الائتلاف يستطيع أن يعتمد على خمسة من الأعضاء العرب فى الكنيست أيضا ، فى حالة الاقتراع مستقبلا على الثقة بالحكومة .

وتحرك رابين بسرعة ليؤكد سلطته ، فاحتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع . وعين شيمون بيريز منافسه القديم وزيرا للخارجية ، ولكنه أوضح أنه هو ، وليس بيريز ، الذى سيشرف على عملية السلام . وعين أستاذا محترما بجامعة تل أبيب متخصصا فى الشؤون السورية ، هو إيتامار رابينوفيتش ، رئيسا لفريق التفاوض الإسرائيلى . ولم يحدث تغيير مماثل ، بالنسبة للفريق الإسرائيلى الذى يتعامل مع الأردن والفلسطينيين .

وخلال أيام من تقلّد رابين مهام منصبه ، وصل بيكر إلى إسرائيل لكى يلح على استئناف مفاوضات السلام ، ولكى يمهد الطريق لزيارة رابين إلى الولايات المتحدة . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، وفى رحلة ترمز إلى بداية عهد جديد ، سافر رابين إلى مصر لعقد اجتماع ودى مع الرئيس مبارك . وبعد مضى يومين أعلن رابين أنه تقرر إلغاء بناء أكثر من ٦٠٠٠ وحدة سكنية كان من المزمع بناؤها فى الضفة الغربية ، كما تقرر خفض الدعم المقدم لبقية الوحدات السكنية . (تقرر استمرار العمل فى نحو ١٠٠٠٠ وحدة سكنية ، على وشك الاكتمال ، وبذلك فإن « تجميد » أنشطة الاستيطان لم يلح فى الأفق) .

وأدخل رابين أيضا فى لغة حديثه إحساسا بالاستعجال بشأن إيجاد تسوية تتم عن طريق التفاوض ، ولا سيما مع الفلسطينيين . إلا أنه قبل مضى وقت طويل ، كان يعرب عن تفاؤله بإمكانية إحراز تقدم على الجبهة السورية أيضا .[٣٨] ومن ناحية أخرى ، أكد شامير أسوأ الشكوك لدى الكثيرين عندما زعم أنه لو أعيد انتخابه ، لكان قد عمل على تمديد عملية التفاوض عشر سنوات أخرى على الأقل .[٣٩]

وحظيت التغييرات التى حدثت فى إسرائيل بترحيب حار من جانب بوش وبيكر . إذ أنهما باستغلالهما لمسألة ضمانات القرض كما فعلا ، أسهما بدرجة ما فى هزيمة شامير . ولم يكن مستغربا أن يستقبل بوش رابين يوم ١٠ أغسطس فى « مين » بدرجة من الدفء كانت مفقودة بشكل ملحوظ خلال لقاءاته مع شامير . وأبلغ بوش رابين ، أنه سيؤيد الآن منح ضمانات القرض لإسرائيل مع أن التفصيلات لم تكن قد وضعت بعد . وفى ٥ أكتوبر اقترع مجلسا الكونجرس تأييدا لقانون اعتمادات المعونة الخارجية ، والتى تضمنت ضمانات القرض الذى يبلغ ١٠ مليارات دولار ، على أن تغطى إسرائيل التكاليف الاحتياطية والتى تبلغ نحو ٤٠٠ مليون دولار ، واحتفظ الرئيس بسلطته فى أن يقتطع من هذه الأموال المبالغ التى قد تنفقها إسرائيل على المستوطنات بعد استكمال بناء ١٠٠٠٠ وحدة سكنية كانت تحت التشييد بالفعل . وإجمالا ، أصبح لدى الإسرائيليين ما يدعوهم إلى الاغتباط بالنتيجة التى أسفر عنها كفاح استمر عاما كاملا للحصول على هذه المعونة .

تدهـور حـظ بـوش

طوال الجزء الأول من عام ١٩٩٢ ، مضى بوش قدما ببرنامج سياسته الخارجية ، بما فى ذلك الشرق الأوسط ، كما لو كان عام ١٩٩٢ ليس هو عام الانتخابات . ومع ذلك ، لم يصادف أية معارضة جادة تتعلق بترشيح حزبه له ، فقد كان التأييد الذى حظى به في استطلاعات الرأى فى منتصف عام ١٩٩١ ، بعد الانتصار الذى أحرزه فى حرب الخليج ، آخذا فى الارتفاع طوال الوقت ، كما أن دائرة المرشحين لدى الحزب الديمقراطى لم تبد باهرة جدا . وكانت السحب التى تلوح فى الأفق تتمثل فى ضعف الاقتصاد ، وبوادر زوال الوهم بالنسبة لزعامة بوش .

وأثناء انتخابات الدرجة الأولى ، واجه بوش تحديا حادا مثيرا للدهشة من باتريك بوكانن ، وهو صحفى محافظ صاحب عمود ، استطاع أن يفوز بنحو ثلث الأصوات فى انتخابات الدرجة الأولى للحزب الجمهورى . وهو على عكس بوش ، يميل إلى سياسة الانعزال للولايات المتحدة ، ومن أنصار النزعة الحمائية فى المسائل التجارية ، ومعارض للمعونة الخارجية ، وناقد لإسرائيل فى بعض الأحيان . وربما كانت النتيجة الخالصة للتحدى الذى طرحه هى دفع بوش إلى الاتجاه بدرجة أكبر نحو اليمين بالنسبة لقضايا السياسة الداخلية - وهى ما تسمى القيم الأسرية .

وفى جانب الحزب الديمقراطى ، كان واضحا منذ الربيع السابق أن بيل كلينتون حاكم ولاية أركنسو سيكون هو المرشح بعد المؤتمر الذى يعقده الحزب فى شهر يوليو . وكان لكلينتون سجل جيد أثناء حكمه لولاية صغيرة وفقيرة ، إلا أن آراءه بشأن السياسة الخارجية لم تكن معروفة تقريبا . وعندما اكتسبت الحملة الانتخابية قوة دافعة ، وجه كلينتون بعض الانتقادات إلى بوش لكونه متشددا للغاية مع إسرائيل ، ولأنه ألحق شروطا بضمانات القرض . إلا أن انتخاب رابين ، والدفء المتجدد فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية أثناء الصيف ، أزاح مسألة القروض كقضية رئيسية فى الحملة الانتخابية . وفى الحقيقة ، فقد تم تجاهل غالبية المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية من جانب الحزبين ، وذلك لصالح المناظرات حول الأولويات الداخلية أو المسائل التى تتعلق بالأخلاقيات . وكان الوقت الذى أمضاه كلينتون فى مهاجمة دور بوش فى قضية إيران – كونترا ، وتأييده لصدام حسين قبل غزو الكويت ، أكبر من الوقت الذى أمضاه فى تناوله لأية قضية معاصرة تتعلق بالسياسة الخارجية .

وأثبت الحزب الديمقراطى فى المؤتمر الذى عقده فى نيويورك وحدة صفوفه بصورة مثيرة للدهشة . واختار كلينتون مرشحا ليكون نائبا له هو السناتور ألبرت جور من ولاية تينيسى . وقدم هذان المرشحان الديمقراطيان الشابان نفسيهما على أنهما يمثلان القوى الداعية إلى التغيير . وأظهرتهما استطلاعات الرأى الأولية وقد حققا تقدما كبيرا على الرئيس بوش .

وبطبيعة الحال ، كان يتعين على مؤتمر الحزب الجمهورى ، الذى رشح بوش بسهولة ، أن يعطى الرئيس دفعة قوية فى صناديق الاقتراع . إلا أن حملته بدت غير منظمة ويعوزها التوجيه والتركيز . وبدأت الشائعات تنتشر بأن الرئيس سيطلب من صديقه ومستشاره ، جيمس بيكر ، أن يتولى مسؤولية هذه الحملة . وفى ١٣ أغسطس أعلن أن بيكر سيصبح رئيسا لهيئة موظفى البيت

الأبيض اعتبارا من ٢٣ أغسطس . وعندما كان بيكر يودع وزارة الخارجية ، بدا فى حديثه منقبض الصدر . فقد كان يستمتع بدور رجل الدولة ، ولم يكن سعيدا بتركه عملية السلام العربية الإسرائيلية ، وخاصة فى فترة تتسم بالحساسية .

وعقدت الجولة السادسة من محادثات السلام فى واشنطن فى اليوم التالى لانتقال بيكر وكبار أعضاء فريقه بالكامل إلى البيت الأبيض . وأصبحت سياسة الشرق الأوسط الآن من الناحية الفنية فى أيدى القائم بأعمال وزير الخارجية ، لورانس إيجلبرجر ، يعاونه مساعد وزير الخارجية إدوارد جيرجيان . وكان قليلون هم الذين توقعوا دفعة كبيرة من الجانب الأمريكى عندما استؤنفت المفاوضات يوم ٢٤ أغسطس(٤٠) .

وخلال معظم شهرى سبتمبر وأكتوبر ، كان بوش مشغولا بالكامل بمعركة إعادة انتخابه . وبالرغم من غيابه هو وبيكر عن عملية التفاوض ، فقد تم إحراز تقدم متواضع على الجبهة السورية الإسرائيلية ، إذ تحدث الأسد علنا عن الحاجة إلى « سلام الشجعان » مرددا قصدا كلمات الرئيس الفرنسى السابق شارل ديجول(٤١) . ثم تحدث وزير خارجية الأسد عن « السلام الكامل مقابل الانسحاب الكامل » ، وأوضح للمرة الأولى أن سوريا قد تمضى إلى ما هو أبعد من مجرد إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل . وبحلول الجولة السابعة من المفاوضات فى أواخر أكتوبر ، رد الإسرائيليون باستخدام كلمة « انسحاب » فى وثيقة رسمية تشير إلى جبهة الجولان . وكانت إسرائيل تدرس مسودة ورقة سورية لمحاولة وضع بيان يتضمن مبادىء مشتركة لتوجيه المفاوضات . وكانت كل هذه الخطوات تبعث على التفاؤل ، ولكن بدأ كلا من الأسد ورابين يشعران بخيبة أمل لأن الولايات المتحدة لا تساعد على إنهاء هذه الصفقة . كما انتابت الفلسطينيين الذين لم يروا أن تقدما مماثلا قد تحقق فى مفاوضاتهم مع إسرائيل ، حالة عصبية حول إمكان أن تبرم سوريا صلحا منفردا .

وقد اعتقد بعض المراقبين أن الظروف السائدة فى خريف عام ١٩٩٢ ، كان يمكن أن تسفر عن نتائج هامة لو أن حكومة بوش أولت الوضع وقتا وجهداً أكبر . ولكن بسبب ضرورات سنة الانتخابات ، لم تكن الولايات المتحدة فى موقف يتيح لها القيام بدور الوسيط ، أو الشريك الكامل ، أو صانع الصفقات ، الذى كانت تضطلع به فى الماضى .

وأخيرا ، انتهت الحملة الانتخابية الطويلة فى ٣ نوفمبر ١٩٩٢ . وبالرغم من المنجزات التى حققها بوش فى مجال السياسة الخارجية ، وخبرته ، والشكوك التى أثارها حول شخصية خصمه ، فقد منى بهزيمة شديدة فى محاولته لإعادة انتخابه . وكانت الأصوات موزعة بنسبة ٤٣ فى المائة لصالح كلينتون ، و ٣٨ فى المائة لبوش ، و ١٩ فى المائة للمرشح المستقل روس بيرو ، مما أسفر عن انتصار حاسم للمرشح الديمقراطى فى المجمع الانتخابى . وهكذا ، اقتحمت السياسات الداخلية مرة أخرى مجال أداء السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، مما خلق فجوه زمنية مدتها عده شهور قبل احتمال ظهور القيادة الأمريكية فى عملية السلام مرة أخرى .

ومن سوء الحظ أن الأحداث فى الشرق الأوسط نادرا ما تتوافق مع الجدول الرسمى للانتخابات

الأمريكية . وأثناء الفترة التى ظل فيها الرئيس القديم فى منصبه حتى يتم تنصيب الرئيس الجديد ، وهى الفترة بين الانتخابات فى ٤ نوفمبر ١٩٩٢ إلى ٢٠ يناير ١٩٩٣ ، عندما تم تنصيب بيل كلينتون كرئيس للجمهورية ، تصاعدت حدة التوتر بسرعة بين الإسرائيليين والفلسطينيين . ففى أثناء شهر ديسمبر وحده ، قتل الفلسطينيون أعدادا من الإسرائيليين ، وقتل الإسرائيليون أعدادا من الفلسطينيين تفوق ما حدث فى السنة السابقة . ورد رابين ، الذى تعرض لضغوط داخلية ، بقرار غير مسبوق يقضى بترحيل أكثر من ٤٠٠ من الأشخاص المشتبه فى أنهم من المتطرفين الإسلاميين إلى لبنان . وفى خطوة أخرى غير مسبوقة ، رفض لبنان ، الذى أصبح يحكمه أخيرا مجلس للوزراء يتمتع بتأييد شعبى كبير ، السماح للفلسطينيين بدخول لبنان . وهكذا بقى الفلسطينيون فى نوع من الأرض الحرام المشاع فى الجنوب اللبنانى فى ظل ظروف صعبة .

وإذ وقع هذا الحدث فى الأيام الأخيرة من الجولة الثامنة من محادثات السلام فى واشنطن ، فقد ألقى حجابا قاتما على المفاوضات . وأكد المتحدثون بلسان الفلسطينيين أن المحادثات لن تستأنف إلا بعد أن يعاد المبعدون إلى ديارهم ورفض رابين التزحزح عن موقفه . ولم يستطع بوش أن يفعل شيئا ، مما كفل أن ترث حكومة كلينتون عملية سلام متوقفة تحتاج إلى الإنعاش بدلا من المحادثات الجارية المؤسسية التى استمرت طوال معظم عام ١٩٩٢ .

خـــلاصة

جاء بوش وبيكر إلى السلطة ولديهما اهتمام بالنزاع العربى الإسرائيلى ، ولكن بتصميم أيضا على تفادى بعض الأخطاء التى وقع فيها أسلافهما ، فهما لم يقدما خططا كبيرة ، أو مفاوضين خاصين ، ولا توقعات بارزة . وكان على الحكومة أن تبحث الموقف بحذر لترى ما إذا كانت الأطراف مستعدة للتحرك ، فإن لم يكن لديها هذا الاستعداد فلابد لها أن تتمهل وتنتظر إلى أن ينضج النزاع .

لقد أثبتت الأحداث فى الشرق الأوسط أنها خير معلم . فالنظريات لا تدوم طويلا فى وجه واقع الأحداث التى تتحرك بسرعة . ولذلك لم يكن غريبا أن تجد الحكومة نفسها مستدرجة إلى القيام بدور حازم بشكل متزايد فى أواخر ١٩٨٩ وأوائل ١٩٩٠ ، محاولة كسر حالة الجمود بتقديم اقتراح يتعلق بإجراء محادثات إسرائيلية فلسطينية بشأن الانتخابات فى الضفة الغربية وغزة . وقد فشلت هذه المحاولة ، ولكن الفشل هو أيضا جزء من عملية التعلم .

وكانت أكبر أخطاء السياسة الخارجية لحكومة بوش ، وهى إساءة فهم صدام حسين قبل غزوه للكويت ، قد مهدت الطريق لأعظم انتصاراتها ، وهى حشد ائتلاف دولى لإلحاق الهزيمة بالعراق ، واستعادة استقلال الكويت ، وقد فتح هذا النجاح بدوره الطريق للقيام بمحاولة جديدة ومحسّنة من أجل حمل العرب والإسرائيليين على الجلوس إلى مائدة السلام . ونجح بوش وبيكر فى التوصل إلى تقسيم فعال للأدوار . فقد كان بيكر هو المفاوض ، وصانع الصفقات ، وواضع التفاصيل ، بينما ينزوى بوش ولكنه يتخذ القرارات الصعبة بشأن ضمانات القرض ، ويقدم تأييده الدائم لوزير

خارجيته . واستطاعت الحكومة ، بجهد كبير ، وببعض التكلفة بالنسبة لموقف بوش الداخلى ، أن تحقق هدفها المبدئى . وبالرغم من هزيمة بوش فى شهر نوفمبر ١٩٩٢ ، فقد نجح فى الفوز بتأييد الحزبين لنجاحه فى حمل العرب والإسرائيليين على الجلوس إلى مائدة المفاوضات .(٤٢) ووعد كلينتون بانتهاج السياسة نفسها .

ويعزى إلى بوش وبيكر بدرجة كبيرة الفضل فى إدراك أن انتهاء الحرب الباردة وإلحاق الهزيمة بصدام حسين قد خلق فرصة جديدة لديبلوماسية السلام العربية الإسرائيلية . فلم يكن هناك أحد يعتقد فى ذلك الوقت أن هناك ما يبرر القيام بمبادرة أمريكية كبيرة ، أو أنها يمكن أن تنجح .(٤٣) كذلك حاز إصرار بيكر على وضع الإجراءات المتعلقة بمؤتمر مدريد تقديرا كبيرا ، مثلما حازت مهاراته التاكتيكية كمفاوض . وعندما ترك بيكر منصبه فى أغسطس ١٩٩٢ ليصبح رئيسا لهيئة موظفى البيت الأبيض ، اعتقد كثيرون أن غيابه سيكون ملموسا . والواقع أنه لم يحدث سوى تقدم ضئيل على مدى الشهور العديدة التالية .

إلا أن بوش وبيكر لم يظفرا بتقدير كبير نتيجة لطريقة تناولهما لمسألة ضمانات القرض . فقد مال الديمقراطيون إلى انتقاد بوش للضغط الذى مارسه ضد إسرائيل وحدها . ومع ذلك ، فإن الربط بين تقديم المعونة وبين تخفيض النشاط الاستيطانى ربما كان من أهم القرارات التى اتخذها بوش ، إذ بدون هذا القرار كان يمكن أن يعاد انتخاب شامير ، مما كان من شأنه أن يلقى بشكوك خطيرة على الفرص المتعلقة بعملية السلام . ويبدو أن منتقدى بوش ، ومعظمهم شعر بالسعادة بعد استبدال شامير برابين ، لم يلاحظوا التناقض فى موقفهم .

ولعل المجال الذى قد يوجه فيه الانتقاد إلى بوش وبيكر عن حق هو الحذر المبدئى الذى التزما به . إذ أنه طوال الجزء الأكبر من عام ١٩٨٩ ، كان كلاهما يتصرف كما لو كان الاتحاد السوفيتى مازال منافسا خطيرا فى الشرق الأوسط . كذلك انتهج الرجلان الطريق المريح عند محاولتهما العمل مع شامير بشأن هيكلة مفاوضات السلام ، باعتقادهما ، على ما يبدو ، أنه من الممكن تملقه من أجل اتخاذ مواقف أكثر اعتدالا . وعلى ضوء الوقت القصير المتاح أمام أى رئيس لمعالجة القضايا المتعلقة بالسياسة الخارجية ، فإن ضياع معظم سنة ١٩٨٩ فى مبادرات عربية إسرائيلية سيئة التوجيه ، هو أمر يؤسف له . وعندما عاد بوش وبيكر إلى الطريق السوى ، كانا قد دخلا عامهما الثالث ، وأصبح متبقيا لهما وقت قصير لتحقيق النجاح لجهودهما .

وفى نهاية الأمر ، لا يستطيع أى رئيس أن ينتهج سياسة خارجية ناجحة ، ناهيك عن مواجهة مسائل معقدة مثل المفاوضات العربية الإسرائيلية ، دون أن تتوافر لديه قاعدة داخلية قوية . إذ أن بوش عندما سمح للتأييد الداخلى الذى يحظى به بأن يتضاءل من المستويات المرتفعة التاريخية التى كان عليها فى ربيع عام ١٩٩١ ، إلى المستويات المنخفضة السحيقة فى أواخر عام ١٩٩٢ ، كفل أنه لن يستطيع أن يوفر القيادة اللازمة للتحرك فيما وراء المرحلة الأولى من محادثات مدريد للسلام . ومن حسن الحظ أن القواعد التى شيدها هو وبيكر كانت قوية بدرجة تمكنها من البقاء سليمة فى ظل عدم وجود قيادة أمريكية قوية ، وذلك على الأقل لفترة من الزمان . ونظرا لأن

التأييد الذى حظيت به المفاوضات كان قويا للغاية فى المنطقة ، وعلى الصعيد الدولى ، وفى الولايات المتحدة - لم يكن يتعين على كلينتون أن يواجه التحدى المتمثل فى صياغة سياسة جديدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . وعوضا عن ذلك ، فإنه يستطيع أن يعمل بالهيكل الذى خلفه له بوش وبيكر . وسيكون التحدى الذى يواجهه هو إضافة المضمون إلى هذه العملية ، والتحرك نحو اتفاقات ملموسة ، واستغلال الوقت والظروف فى اتخاذ خطوات كبيرة من أجل تحقيق السلام العربى الإسرائيلى .

الباب السابع

اسـتنتاجات

الفصل السادس عشر

التحديات التى تواجه إدارة كلينتون

وجد الرؤساء الأمريكيون أنفسهم ، بانتظام مثير للفزع طوال الثلاثين سنة الماضية ، يعالجون أزمات الشرق الأوسط التى كان استعدادهم لها متواضعا ، وكان الكثير من هذه الأزمات ، وإن لم تكن جميعها ، يتصل بالنزاع العربى الإسرائيلى . فقد واجهت السياسة الأمريكية تحديات هائلة تمثلت فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف فى ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ ، وأزمة الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وحرب أكتوبر فى ١٩٧٣ ، والثورة الإيرانية فى ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ، والحرب بين إيران والعراق من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ ، والغزو الإسرائيلى للبنان فى ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ ، والسنوات الأولى من الانتفاضة الفلسطينية فى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ ، والغزو العراقى للكويت فى ١٩٩٠ ، وما تلاه من حرب ضد صدام حسين فى ١٩٩١ . وأثارت كل منها مناقشات جادة فى واشنطن حول نهج العمل السليم . وبدا كل منها مهددا لمصلحة أمريكية هامة فى المنطقة . وكان كل منها مفاجأة لواشنطن بدرجة ما .

وحكومة بيل كلينتون فى موقف تحسد عليه فى التعامل مع مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية الجارية . فمنذ أكتوبر ١٩٩١ تلتزم أطراف النزاع باتفاق عام بشأن إجراءات محادثات السلام . ولكن ما كان مطلوبا إلى جانب المفاوضات المباشرة ، هو وسيط فعال يستطيع توجيه أفرقة التفاوض تجاه اتفاقات واقعية ، ويشترك مع صُنّاع القرار السياسيين فى التوصل إلى قرارات آمرة ، وتوفر الطمأنينة والضغط حسب الاقتضاء . وقد أظهر جيمس بيكر ما يمكن إنجازه عن طريق مثل هذه الوساطة فى تنظيم مؤتمر مدريد ، ولكن لم يكن بمقدوره هو والرئيس بوش أثناء معظم العام الانتخابى ١٩٩٢ أن يدفعا بالمفاوضات إلى الأمام . ويعنى ذلك بالنسبة لكلينتون أن الحاجة لابتكارات سياسية ستكون أقل مما كان عليه الحال فى الماضى ، فى حين أن الحاجة للمتابعة الفعالة ستكون أكبر .

الحساب الختامى

ويعتبر السجل الأمريكى الخاص بإدارة الأزمات العربية الإسرائيلية ونتائجها مختلطا . وإجمالا ، فقد كانت الولايات المتحدة فى أفضل حالاتها عندما حاولت ما وسعها الجهد . فمن عام

١٩٦٨ فصاعدا ، حاولت الحكومات المتتالية أن ترسى قواعد السلام بين إسرائيل ومصر . وفى عام ١٩٧٩ وقع البلدان معاهدة سلام ما فتئا يحترمانها منذ ذلك الوقت . واستثمرت الولايات المتحدة كإسهام منها فى هذا الإنجاز التاريخى ، وفى ظل حكم ستة من رؤساء الجمهوريات ، موارد هامة - الوقت ، والطاقة ، والإبداع ، والأموال ، والمعدات العسكرية - وذلك من أجل إقامة إطار للسلام ، وحمل الأطراف على الاشتراك فى عملية تفاوضية ، وحسم الصفقة الرسمية ، ومواصلة تطبيع العلاقات بعد التوقيع على معاهدة السلام بين البلدين .

ولم يتحقق السلام بين إسرائيل ومصر بسعر زهيد ، ولم يكن الطريق سهلا . فقد اندلعت حروب عديدة قبل أن تبدأ المفاوضات الجادة فى عام ١٩٧٤ . وترك السلام الثنائى بين إسرائيل وأقوى جاراتها العربيات كثيرا من القضايا الأخرى دون حل . وربما يكون أيضا قد زاد من تفاقم مشاكل لبنان ، وربما يكون فى المحل الأول قد جعل العلاقة الإسرائيلية الفلسطينية أكثر جموحا عما كانت عليه . ولكن السلام الإسرائيلى المصرى غيّر أيضا الصورة الاستراتيجية للمنطقة ، ووفر شيئا يصلح كنموذج للمفاوضات على جبهات أخرى ، ودعّم النفوذ الأمريكى ، وفى نهاية الأمر ساعد فى إقناع زعماء عرب آخرين بأن الدبلوماسية توفر مسارا لإصلاح المظالم أفضل من التهديدات العسكرية .

وبالنسبة للولايات المتحدة ، كانت التكلفة الاقتصادية للسلام الإسرائيلى المصرى كبيرة . فمنذ أن تم التوقيع على معاهدة السلام ، ما فتىء الكونجرس يخصص كل عام أكثر من خمسة مليارات دولار للبلدين . وفى ظروف خاصة ، تم تقديم مبالغ إضافية . ومن هذه المبالغ الإجمالية ، أنفق أكثر من النصف على شراء معدات عسكرية أمريكية . ومنذ عام ١٩٨٥ ، ما فتئت جميع المعونات تقريبا تُقدم كمنحة . بل لقد اتخذ الكونجرس فى ١٩٩٠ خطوة استثنائية بالموافقة على شطب نحو سبعة مليارات دولار من الديون العسكرية لمصر كانت متراكمة من السنوات السابقة . كما أبدى الكونجرس استعداده لأن يقدم دعما يصل إلى ١٠ مليارات دولار فى شكل ضمانات قرض لإسرائيل من أجل المساعدة فى الإسكان واستيعاب المهاجرين . ويكفى القول إنه ليست هناك أى بلدان أخرى فى الشرق الأوسط ، أو حتى فى أى مكان آخر ، قد اقتربت من الحصول على مساعدة سخية من هذا القبيل .

وفيما خلا إنجاز السلام الهام بين إسرائيل ومصر ، يعتبر السجل الأمريكى أقل إثارة للإعجاب . وكانت أكثر الخطوات الواعدة هى الاتفاق الذى أُبرم فى عام ١٩٩١ بين جميع أطراف النزاع العربى الإسرائيلى تقريبا ، على صيغة للمفاوضات . وحتى المتفائلون يفترضون أن المفاوضات ستكون طويلة وصعبة ، إلا أنه قد أمكن على الأقل التغلب على العقبات الإجرائية . بيد أنه لا تلوح بعد فى الأفق إمكانيات التوصل إلى اتفاقات بشأن المضمون . ومع ذلك ، فإن مؤتمر مدريد ونتائجه يستحقان أن يحسبا نجاحا جزئيا .

وفى الجانب الآخر من دفتر المحاسبة (دفتر الأستاذ) ، تُسجّل حالات الفشل والإخفاق فى السياسة الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط . وقد دخل بعضها إلى حيز الرطانة السياسية - مثل عبارة « إيران جيت » ، التى تعنى المحاولة المخادعة لتبادل الأسلحة بالرهائن فى منتصف أعوام

الثمانينات ، وفى عهد أقرب عبارة « العراق جيت » التى تعنى السياسة الخاصة بمحاولة استمالة صدام حسين قبل غزوه للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ . وليست هناك عبارة بسيطة توجز الكوارث المتعددة التى حاقت بالسياسة الأمريكية فى لبنان فى السنوات الأولى من الثمانينات . ولكن القنابل التى نسفت السفارة الأمريكية فى بيروت وثكنات مشاة البحرية فى عام ١٩٨٣ ، تركت تذكرة واضحة ومفجعة بأن حالات الإخفاق الأمريكى فى الشرق الأوسط يمكن أن يكون لها ثمن باهظ من حياة الأمريكيين . فقد قُتل من الأمريكيين فى لبنان فى عام ١٩٨٣ أكثر مما قتل فى الحرب الشاملة ضد العراق فى عام ١٩٩١ . ولو أضاف المرء العذاب الطويل للرهائن الأمريكيين المتحجزين فى إيران ولبنان ، إلى تكلفة السياسات الفاشلة ، لكان الحساب الإجمالى أكثر ارتفاعا .

حماية المصالح الوطنية

ومع ذلك ، فعلى الرغم من كل أوجه قصور السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط بصفة عامة ، وتجاه النزاع العربى الإسرائيلى بصفة خاصة ، كانت المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط تسير على ما يرام بصورة تدعو إلى الدهشة ، إذ أن الخوف الشديد من السيطرة السوفيتية فى المنطقة لم يتحقق مطلقا ، كذلك لم يتحقق احتمال وقوع مجابهة عسكرية مباشرة بين الدولتين العظميين النوويتين . وبرغم الصور التى نشرت عن الموقف « سريع الاشتعال » فى الشرق الأوسط ، فإن هذه المنطقة لم تقم بالدور الذى قام به البلقان فى مطلع هذا القرن فى إشعال أوار حرب عالمية . فقد ظلت النزاعات الإقليمية ، بصورة إجمالية ، محصورة داخل المنطقة . أما الأسلحة النووية ، فبرغم وجودها ، فقد ظلت محتجبة . ولم ينجح الإرهاب مطلقا ، رغم أنه يشكل تهديدا مستمرا ، فى تغيير مسار الأحداث بطريقة أساسية . والثورة ، برغم ما تكرر من حديث عنها ، لم تحدث إلا فى إيران . أما فى الأماكن الأخرى فقد أثبت نظام الدولة أنه مرن بدرجة مرموقة ، وذلك برغم طابعه المصطنع على ما يبدو .

وفيما يتعلق بالنفط ، لم تنج المصالح الأمريكية من الضرر ، إلا أن جانبا من المسؤولية لابد أن يقع على عاتق السياسات قصيرة النظر فى الجبهة الداخلية ، إذ أن الاختلالات التى حدثت فى إمدادات النفط فى الشرق الأوسط كان لابد أن تحدث بعض التأثير على الأسعار ، إلا أن التأثير المبالغ فيه لمنع الإمدادات فى ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ و ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ ، يرجع فى جزء منه إلى السياسات الداخلية المعيبة والتقاعس عن تدبير تأمين كاف فى شكل احتياطى استراتيجى من البترول . وأثناء الثمانينات ، والسنوات الأولى من التسعينات ، حدثت أيضا انقطاعات لإمدادات النفط من الشرق الأوسط فى ارتباط بأزمات الخليج ، ولكن كانت هناك سياسات أفضل ، مما جعل التأثير أقل . ومع ذلك ، ومهما كانت الأسباب ، فقد تكبدت الولايات المتحدة وبقية دول العالم ثمنا مرتفعا بصورة غير عادية فى السبعينات والسنوات الأولى من الثمانينات نتيجة لاختلالات إمدادات النفط من الشرق الأوسط . وكانت حالات الكساد التى سادت فى السبعينات والسنوات الأولى من الثمانينات تتصل اتصالا مباشرا بالتكاليف الأعلى للطاقة .

وأخيرا ، فيما يتعلق بالمصلحة الأمريكية الرئيسية الثالثة ، يمكن القول أن أمن إسرائيل قد تزايد

بدرجة كبيرة فى الحقبة التى تلت عام ١٩٦٧ . وبحلول السنوات الأولى من التسعينات باتت إسرائيل أكثر أمنا من أى وقت سابق فى تاريخها . فقد قبل عدد أكبر من ذى قبل من العرب فكرة وجود دولة يهودية فى جزء من فلسطين التاريخية على الأقل . وأصبحت دول عربية كثيرة تتحدث إلى إسرائيل لأول مرة . كما أن وجود المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفيتى السابق قد أشاع الأمل فى تجدد الحيوية الاجتماعية والاقتصادية فى القرن الجديد . وكانت هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية ، إلا أن بقاء الدولة بات مؤكدا بدرجة أكبر مما كان يتصور المرء قبل ذلك بثلاثين عاما .

وبرغم هذه النظرة العامة الإيجابية نسبيا عما آلت إليه المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط منذ عام ١٩٦٧ ، يجب ألا يستنتج المرء أن كل شىء على ما يرام ، إذ أن المنطقة مازالت متقلبة ؛ ومعظم نظم الحكم لا يحظى بتأييد جماهيرى كبير ؛ كما أن حركات المعارضة التى ترفض النظام الراهن أصبحت واسعة الانتشار ومعادية للأمريكيين بشدة فى أغلب الأحيان . وتوقفت التنمية الاقتصادية باستثناء مشيخات النفط ، كذلك يلقى النمو السكانى عبئا لا يمكن مواجهته تقريبا على الحكومات الضعيفة .

ولا يزال النزاع العربى الإسرائيلى يولد انفعالات قوية ، ويمكن ضياع منجزات الماضى ، مثلا إذا تغير نظام الحكم فى مصر فجأة ، أو تدعم مركز الحركات الإسلامية المتطرفة ، أو حاول المتطرفون الإسرائيليون تحقيق أهدافهم بالقوة . ولا تزال المنطقة مسلحة تسليحا مفرطا ، وتوجد أسلحة الدمار الشامل بالفعل فى ترسانات دول كثيرة فى المنطقة ، بالإضافة إلى الصواريخ أرض - أرض . ومع أن خطر وقوع مجابهة بين الدول العظمى قد تلاشى الآن ، فان خطر الحرب ما زال قائما وفى حرب من هذا القبيل ، قد تتعرض المصالح الأمريكية للخطر . وللتوفيق بين التعهد الأمريكى بضمان أمن إسرائيل ، والحاجة الطويلة الأجل إلى نفط الشرق الأوسط ، سوف تواصل حكومة كلينتون بلا ريب اعتبار عملية السلام جزءا هاما من سياستها الإقليمية الأوسع .

مقوّمات النجـاح

ولمعالجة هذه التحديات فى الشرق الأوسط بصورة فعالة فى السنوات القادمة ، تُحسن حكومة كلينتون صنعا لو أنها تعلمت من السجل الماضى للنجاح والإخفاق . ولكى تثمر السياسات نتائج مستصوبة - مثل وضع مسودة قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى عام ١٩٦٧ ، ومحادثات فض الاشتباك فى عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، ومفاوضات كامب ديفيد ومعاهدة السلام فى ١٩٧٨ - ١٩٧٩ ، والدبلوماسية المفضية إلى مؤتمر مدريد فى عام ١٩٩١ ، لابد من الوفاء بشروط معينة .

يجب أن يكون هناك تقويم واقعى للموقف الإقليمى . فللتأثير على حكومات الشرق الأوسط ، لابد للسياسيين فى واشنطن من أن يكونوا مدركين تماما لما يجرى هناك . ويعتبر الحوار المستدام مع أطراف النزاع أفضل طريقة لتنمية الإحساس اللازم بالقيود السياسية الحقيقية . إن التعامل مع أطراف الشرق الأوسط عن طريق وسطاء لا يجدى . إن التفكير بالأمانى والغمامات الأيديولوجية ،

واللامبالاة ، هى أعداء النجاح عند محاولة تقدير أطراف النزاع العربى الإسرائيلى . فكما هو الحال فى الطب ، يعتبر التشخيص السليم الوسيلة الرئيسية لوصف الدواء .

لابد من مشاركة الرئيس وكبار مساعديه ولابد من أن يعملوا فى وفاق . فما لم تقف هيئة وسلطة البيت الأبيض بوضوح وراء مبادرات السياسة الأمريكية ، فإن زعماء الشرق الأوسط لن يأخذوا هذه المبادرات على محمل الجد . ولعل هذا أحد الأسباب فى أن المبعوثين الخاصين من واشنطن نادرا ما ينجحون . كذلك تعمل الصراعات الإدارية ، وتباعد الرئيس على إضعاف مصداقية أية سياسة للولايات المتحدة . فعندما نجحت السياسات ، كنا نشاهد نيكسون وكيسنجر ، كارتر وفانس ، بوش وبيكر ، وهم يعملون معا بصورة حميمة . وارتبط الإخفاق بتنافس كيسنجر وروجرز ، وعدم اتفاق بريجينسكى وفانس بشأن إيران فى عام ١٩٧٨ ، والمجادلات التى دامت لفترة طويلة بين شولتز وواينبرجر بشأن السياسة إزاء لبنان وتوريد الأسلحة للبلدان العربية . وفى هذه الحالات الأخيرة ، سمح الرؤساء ، ذوو الاتجاهات المتأرجحة أو فاقدو الاهتمام ، لهذا الشجار بأن يقوض سياساتهم . بيد أنهم لو كانوا قد اهتموا بدرجة كافية ، لتوافرت لدى كل منهم السلطة لإنهاء هذه الخلافات ، إذ أن من السلطات المطلقة القليلة المخوّلة لأى رئيس ، أن يقيل أى مستشار كبير لا يفى بمعاييره . إن الصراعات البيروقراطية أمر شائع ، ولكن يتعين على الرؤساء أن لا يسكتوا عليها إلى ما لا نهاية .

لابد من تنمية الأساس الداخلى لتأييد السياسة الأمريكية فى المنطقة . ينبغى للرؤساء أن يعملوا مع الكونجرس وأن يوضحوا أهدافهم للرأى العام الأمريكى ، ولا سيما فى حالة احتمال أن تكون تكاليف هذه السياسات كبيرة . والرؤساء غير المهرة فى إدارة الآليات السياسية الداخلية الخاصة بالسياسة الخارجية ، سيقوضون أهدافهم . إذ يبدو أن القدرة على حشد التأييد مرتبطة ارتباطا قويا بالظروف المتغيرة : فقد كان ليندون جونسون يتمتع بتأييد قوى لسياسته فى الشرق الأوسط فى عام ١٩٦٧ ، فى حين كان يفتقر إلى التأييد بالنسبة لسياسته فى فيتنام ؛ وحظى ريتشارد نيكسون بإشادة بسياسته الخارجية لكنه خسر قاعدته بسبب ووترجيت ؛ ونجح جيمى كارتر فى دبلوماسيته الخاصة بالشرق الأوسط ، إلا أنه أخذ يخسر مصداقيته فى الوقت نفسه بسبب إيران وأزمة الرهائن ؛ وحظى رونالد ريجان بالإشادة العامة والشاملة بسبب خطابه الذى ألقاه فى أول سبتمبر ١٩٨٢ بشأن الشرق الأوسط ، ولكنه تعرض للانتقاد بصورة عامة أيضا بسبب عملية إيران ـ كونترا الفاشلة ؛ وفاز جورج بوش بأكاليل الغار فى الداخل بسبب الحرب ضد العراق إلا أنه شهد مكانته وهى تنخفض فى استطلاعات الرأى فى خلال مدة لا تتعدى شهورا . ولابد أن يكون الدرس المستفاد هو أن الاهتمام رفيع المستوى بالجبهة الداخلية هو الشاغل الدائم . ولا يستطيع أى رئيس أن يفترض أن الكونجرس والرأى العام سوف يساندانه طوال الوقت . وفى الوقت نفسه ، لا يمكن للسياسة المتبعة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى أن تعكس فقط الاتجاه الموالى لإسرائيل فى السياسات الداخلية دون أن تفقد مصداقيتها مع الأطراف العربية فى النزاع . وينبغى للرئيس أن يسعى إلى سياسة متوازنة منصفة مستدامة فى الداخل ، حتى لو كانت دائما محفوفة بالمخاطر إلى حد ما إن لم تمض عملية السلام قدما للأمام .

إن النجاح فى القيام بدور الوسيط يتطلب الحساسية تجاه كل من العملية والمضمون ، أى تجاه إجراءات حمل الأطراف على التفاوض - وأيضا تجاه جوهر الموضوع . إذ نادرا ما تنشأ قضايا تخلو من آثار تتعلق بجوهر الموضوع . فالمرجح أن تبعث المسائل المتعلقة بمن سيجلس إلى مائدة التفاوض ، وهيكل جدول الأعمال ، والرموز المرتبطة بعملية السلام ، كلها برسائل قوية إلى الأطراف فى الشرق الأوسط فيما يتعلق بجوهر الموضوع . ولا يمكن للولايات المتحدة أن تعمل على تحقيق تقدم فى السعى من أجل السلام بين إسرائيل والعرب عن طريق قيامها بمجرد دور ساعى البريد ؛ كما أنها لا تستطيع أن تصمم مخططا وتفرضه على أطراف غير راغبة فيه . وفيما بين هذين الحدين المتباعدين يكمن الدور السليم للولايات المتحدة - دور العامل الحفّاز ، المنشّط ، الصديق ، اللحوح ، الفنى ، والمخطط المعمارى . وكان بعض من كل دور من هذه الأدوار لازما فى كل حالة نجحت فيها الولايات المتحدة فى سد الفجوات بين العرب والإسرائيليين . ولابد من استعمال الترغيب والترهيب على حد سواء ، وفى بعض الأحيان الاثنان معا ، وذلك للتأثير على الأطراف النافرة . وإلقاء بيانات حادة علنية يحقق نتائج عكسية عادة ، رغم أن إظهار الحدة والانفعال من جانب الرئاسة قد يكون فى بعض الأحيان مفيدا فى تسجيل النوايا الجادة . ولا تكون التهديدات بالتخلى عن عملية السلام فعالة إلا مع الأطراف الضعيفة ، وعلى أية حال ، فإنها تفتقر للمصداقية عادة .

لابد أن يكون هناك استثمار كبير فى الدبلوماسية الهادئة ، وفى استطلاع التضاريس الذى يسبق المفاوضات ، وقبل إتمام الصفقات . وتعتبر الأطر الرسمية ، والمؤتمرات ، والمفاوضات المباشرة مهمة بالنسبة للأهداف الرمزية ، إلا أن معظم التقدم يتحقق فى المحادثات السرية التى تجرى مع القيادة العليا فى المنطقة . وتشكل الرسائل الموجهة من الرئيس ، ومذكرات التفاهم ، والتعهدات الخاصة ، جانبا من عملية استمالة الأطراف إلى الاتفاق . ويمكن أن يؤدى تسرب المعلومات الحساسة والملاحظات الجافة إلى تعقيد المفاوضات الحرجة . إن الانضباط الصارم أمر مطلوب . إذ أن للكلمات عواقبها . ولا يمكن أن يناقش كل شىء علنا ، كما أن السرية المفرطة يمكن أن يكون لها نتائج عكسية . وليست هناك حاجة لأن يقال لكل مشترك فى عملية التفاوض الكلام نفسه ، إلا أن أى خداع متعمد ستكون له آثار سلبية . ولابد للمرء أن يفترض أن كثيرا مما يقوله سوف يتسرب فى نهاية الأمر من قبل شخص ما . وكل الأسباب تدعو إلى تفادى الازدواجية .

إن الضغط ينجح فى بعض الأحيان ، إلا أنه يجب أن يمارس بمهارة . إن جانبا من الحكمة التقليدية المتعلقة بالعلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، يتمثل فى أن ممارسة الضغط على الحكومات الإسرائيلية قمين بأن تكون له نتائج عكسية . ولكن السجل يوحى بواقع أكثر تعقيدا . صحيح أن الضغوط لا تسفر دائما عن النتائج المرجوة ، وقد تؤدى فى بعض الأحيان إلى تشديد المقاومة ، وقد يسفر الضغط على إسرائيل عن خلاف داخلى وردود فعل معاكسة من جانب الكونجرس ، إلا أن كل رئيس حاول فى وقت أو آخر أن يقنع إسرائيل بأن تتخذ إجراء ما ، بأن ألمح ضمنا إلى أن الرفض سيكون مكلفا . وفى عدد مدهش من الحالات ، نجحت محاولات التأثير من هذا

القبيل ، وكان ذلك في أغلب الأحيان بإضافة عنصر تحلية يتمثل في تقديم مكافأة للامتثال . وكان الأمر نفسه ينطبق على التعامل مع العرب . وينبغي للولايات المتحدة لكي تنجح في التأثير على أطراف النزاع العربي الإسرائيلي أن تطلب تقديم تنازلات ممكنة ، في الوقت الذي تلوّح فيه بالترغيب والترهيب كحوافز لذلك .

التوقيت عنصر هام للمفاوضات الناجحة . إن التقويم الزمني السياسي الأمريكي لا يتيح وقتا كبيرا لطرح المبادرات ومتابعتها حتى يتم استكمالها . كما أن الأطراف المعنية في المنطقة قد لا تكون مستعدة للتحرك عندما يكون السياسيون في واشنطن لديهم هذا الاستعداد . ومن الأسباب التي تجعل المبادرات تجيء في أعقاب الأزمات في أغلب الأحيان ، أن الأزمات تعمل على إقناع جميع الأطراف بالموافقة على أنه ينبغي تجربة شيء جديد . ويقع على عاتق من يطالبون باتخاذ موقف سلبي ، اعتقادا منهم بأن الوقت سيعمل لصالح التوافق بين الأطراف ، عبء مواجهة الأدلة التي تؤكد عكس ذلك . إذ أن السياسة المتعمدة التي كانت تقضي بعدم القيام بأي شيء في الفترة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ قد أفضت إلى نشوب حرب كبيرة ؛ كما أفضت حالة الجمود في الثمانينات إلى **الانتفاضة** ، وربما تكون قد ساعدت على خلق مناخ في العالم العربي جعل صدام حسين يعتقد أن بمقدوره أن يفلت بغزوه للكويت . والقول بأن كلا من هذه الأزمات قد أعقبته مبادرات سلام ، ليس توصية بإثارة الأزمات عن عمد . إذ أن السياسات التي تجيء كرد فعل للأزمات خطيرة للغاية . فقد أثبت كارتر في عام ١٩٧٧ أنه ليس من اللازم الانتظار حتى يقع انفجار قبل القيام بمبادرة . بيد أنه في أحيان كثيرة ، جاءت المبادرات فقط في أعقاب نشوب الحروب أو أعمال العنف . وستتاح لكلينتون الفرصة لمعالجة النزاع العربي الإسرائيلي دون وجود حافز يتمثل في أزمة وشيكة ، بل في وقت يسوده توقع إمكان تحقيق نتائج إيجابية عن طريق المفاوضات . وكان كارتر هو الوحيد الذي ورث مثل هذه اللحظة السانحة ، من بين الرؤساء الذين تولوا المسؤولية مؤخرا .

استبدال الحرس

قد تبدو هذه المبادىء التوجيهية أمرا لا خلاف عليه ، إلا أنه قد يثبت أن وضعها موضع التنفيذ العملي أمر صعب للغاية . ومن أسباب ذلك ، معدل التغيير السريع في المناصب العليا في الحكومة الأمريكية . ومن شأن ذلك أن تكون الخبرات المتجمعة ضئيلة ، والاستمرار نادرا . بل ويصبح من الصعب في أغلب الأحيان اكتشاف سجل التعهدات الماضية ، بعد أن تتسلم إدارة جديدة مهامها .

فمنذ عام ١٩٦٧ ، احتل سبعة رؤساء المكتب البيضاوي . وكان ريجان هو الوحيد الذي استطاع أن يكمل فترتي رئاسة كاملتين . وقد عين هؤلاء الرؤساء السبعة ، عشرة وزراء للخارجية ، وتسعة مديرين لوكالة المخابرات المركزية ، وأحد عشر وزيرا للدفاع ، واثني عشر مستشارا للأمن القومي . وفي هذه الفترة نفسها ، خدم تسعة من مساعدي وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، كما عمل تسعة مديرين لمكتب الشرق الأوسط التابع لمجلس الأمن القومي .

ومن ثم ، فإنه فى المتوسط ، يتغير كبار الموظفين المسؤولين عن سياسة الشرق الأوسط كل ثلاثة أو أربعة أعوام تقريبا . ويتناوب السفراء لدى بلدان الشرق الأوسط الرئيسية مهامهم بنفس معدل التغيير .

ويتناقض معدل التغيير السريع فى المراكز العليا فى واشنطن تناقضا صارخا مع حالة الاستمرار المحيرة التى نجدها فى الشرق الأوسط فى بعض الأحيان . فقد كان إسحق رابين رئيسا للأركان فى إسرائيل أثناء حرب ١٩٦٧ ، وسفيرا لدى واشنطن أثناء أزمة الأردن ، ورئيسا للوزراء أثناء مفاوضات فض الاشتباك الثانية ، ووزيرا للدفاع أثناء الانتفاضة ، ثم رئيسا للوزراء مرة أخرى فى عام ١٩٩٢ . ونتيجة لذلك ، فإنه من المرجح أن يعرف رابين عن تاريخ الاشتراك الأمريكى فى الدبلوماسية العربية الإسرائيلية أكثر مما يعرفه معظم الدبلوماسيين الأمريكيين . وبالمثل ، فقد ظل الرئيس السورى حافظ الأسد يحكم دون انقطاع كرئيس لبلاده منذ عام ١٩٧٠ وكان وزيرا للدفاع فى عام ١٩٦٧ . وهو يعرف أيضا بصورة حميمة ملف دبلوماسية السلام الحديث ، والتى عارض معظمها ، وساعد فى أغلب الأحيان على تقويضها . أما الملك حسين فقد خَبَرَ كل رئيس أمريكى منذ إيزنهاور ، ويبدو عليه فى أغلب الأحيان ، اليأس لأنه يتعين عليه كل بضع سنوات أن يسخر جهده مرة ثانية لاكتساب ثقة فريق جديد فى واشنطن . وحتى ياسر عرفات ، الصامد ، استطاع أن يبقى فى قمة منظمة التحرير الفلسطينية منذ عام ١٩٦٩ . وبذلك يكون قد صمد أكثر من معظم مبادرات السلام الأمريكية .

الاستعدادات الأوليـة

إذا كان الأمريكيون لا يستطيعون منافسة زعماء الشرق الأوسط فى طول فترة توليهم للحكم ، وفى عمق معرفتهم المباشرة بالقضايا ، ودراستهم للتاريخ ، فما الذى يؤثر فى تحديد مواقفهم ؟ إن هذا الكتاب يركز على مصدرين أساسيين : الاستعدادات التى يجىء بها صناع السياسات إلى مناصبهم ، والآراء التى يكتسبونها أثناء تأديتهم لعملهم ، لأنه بسبب قصر فترة تولى المراكز العليا ، تعكس صناعة السياسات الأمريكية عملية متواصلة تقريبا من جلب أشخاص جدد وتعليمهم حقائق الشرق الأوسط (والطرق التى تتبعها واشنطن فيما يتعلق بالشرق الأوسط) . والمواقف الرسمية بشأن القضايا الموضوعية تتغير بوتيرة قليلة نسبيا ، فى حين تتغير السياسات ، التى تمثل تقديرات تاكتيكية بوتيرة كبيرة جدا .

وتجىء الاستعدادات المسبقة المتعلقة بالدبلوماسية العربية الإسرائيلية فى أشكال عديدة ، إلا أنه لأغراض تحليلية يمكن تصنيفها فى ثلاث مجموعات . هل يميل الرئيس وفريقه إلى النظر إلى القضايا العربية الإسرائيلية فى سياقها الإقليمى أو فى سياق عالمى أوسع ؟ هل يميلون إلى إيلاء أهمية عالية إلى القضايا العربية الإسرائيلية ، أم يفضلون ترك هذه القضايا فى الصفوف الخلفية ؟ هل تتجه عواطفهم إلى إسرائيل فى المحل الأول أم أنهم منصفون نسبيا فى آرائهم ؟ وقد ترتبط هذه الاستعدادات المسبقة بآراء أخرى لها ارتباط بحالة العلاقات الأمريكية السوفيتية (بالنسبة للرؤساء السابقين) ، وبإمكان التوصل إلى حل للنزاعات طويلة الأمد ، وبالمكان الذى تشغله شؤون السياسات الداخلية فى إدارة الدبلوماسية العربية الإسرائيلية . ولكن السياق ، وبروز القضايا ،

والتعاطف تكون نقطة بداية مناسبة لتحديد آراء الفريق الرئاسى الذى يتعامل مع القضايا العربية الإسرائيلية .

فلقد كان نيكسون وريجان من ذوى النزعة العالمية فى نهجهم تجاه الشرق الأوسط ، إذ أن التنافس مع موسكو لم يبعد مطلقا عن أفكارهم . أما كارتر فكان يميل أكثر إلى النزعة الإقليمية . وكان بوش وجونسون وفورد وسطا بين النزعتين . ومن المرجح أن ينظر كلينتون إلى المنطقة من الناحية الإقليمية ، ولكن على ضوء المتغيرات العالمية فى الاقتصاد العالمى وعملية الانتشار المطرد للديمقراطية .

ونادرا ما حظيت قضية الشرق الأوسط بأولوية عليا لدى جونسون وريجان ، باستثناء أوقات الأزمات . وكان نيكسون يميل إلى اعتبار الشرق الأوسط منطقة متفجرة ، إلا أن كيسنجر أقنعه بألا يتلهف أكثر من اللازم على الضغط من أجل إيجاد تسوية . وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، كان نيكسون وفورد وكارتر جميعا مستعدين للتعامل مع القضية العربية الإسرائيلية كمسألة لها أولوية عليا ، مثلما كان عليه حال بوش بعد الحرب ضد العراق . أما كلينتون فلا يحتمل أن يعامل القضية العربية الإسرائيلية كأولويته العليا ، ولكنها لن تقف بمنأى من المجموعة المهمة من القضايا المدرجة فى جدول أعمال سياسته الخارجية .

ولقد كان جونسون وريجان دون ريب ، أكثر الرؤساء الأمريكيين موالاة لإسرائيل . أما نيكسون وفورد وكارتر وبوش فيبدو أنهم كانوا أكثر إنصافا . ومن بين وزراء الخارجية ، كان هنرى كيسنجر وألكسندر هيج وجورج شولتز من المؤيدين الأقوياء لإسرائيل باعتبارها حليفا مهما ؛ فى حين اتخذ دين راسك ووليام روجرز وسيروس فانس وجيمس بيكر موقفا منصفا .

وإذا كان هذا التشخيص للاستعدادات الأولية دقيقا ، فإنه لا يمكن رغم هذا أن يعكس إحساسا كاملا بآراء هذه المجموعة الرئيسية من صناع القرار . فمع مضى الوقت ، تضاف فروق دقيقة ، ويتم استيعاب معلومات أكثر ، وتتطور العلاقات الشخصية ، وتقدم التعهدات ، وتستخلص الدروس التى تُعدّل هذه الآراء المبدئية . فقد بدأ شولتز مثلا فترة توليه منصبه كوزير للخارجية بسمعة واسعة عن كونه منصفا ، إلا أنه فى وقت لاحق كان الإسرائيليون يعتبرونه أقرب أصدقائهم . ومع ذلك ، فإن شولتز هو نفسه الذى لجأ فى الأسابيع الأخيرة من توليه منصبه إلى بدء الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية .

ولعل أسهل هذه الاستعدادات فى تغييرها ، هى الإحساس بالأولوية الذى يضيفه المرء على تحليل الحالة العربية الإسرائيلية ، إذ أنه عندما ترتفع التوترات ، أو ينفجر العنف ، يكون من السهل على الرؤساء ووزراء خارجيتهم أن يوجهوا انتباههم إلى النزاع العربى الإسرائيلى . فقد غير نيكسون وكيسنجر فورا تقديرهما للأولوية المناسبة للنزاع العربى الإسرائيلى عندما نشبت الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وعلى النقيض من ذلك ، فلو بدت تكاليف اتخاذ موقف فعال كبيرة جدا ، فإن الرئيس قد يحاول التنصل من الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، كما فعل كارتر فى منتصف عام ١٩٧٩ .

وعلى ما يبدو ، فإن التحول من النزعة العالمية إلى المنظور الإقليمى أو العكس أمر أكثر صعوبة بالنسبة للزعماء . إذ أن مثل هذه الآراء تميل إلى أن تكون راسخة تماما كجزء من نهج شامل إزاء السياسة الخارجية . ومع ذلك ، فإن كيسنجر الذى يعتبر مثالا لصاحب النزعة العالمية وجد نفسه يستوعب بشراهة المعلومات الخاصة بسياسات الشرق الأوسط حالما قرر الانهماك فى مفاوضات مستدامة مع أطراف النزاع . وبالمثل ، كان بوش فى البدء متشددا فى تعامله مع الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط ، ولكن الاتحاد السوفيتى انهار فجأة ، ووجد بوش وبيكر أن التوصل إلى منظور إقليمى أمر مناسب تماما . أما كارتر ، فكان الوحيد الذى تحرك فى الاتجاه المعاكس إلى حد ما . إذ تبنى بعد قيام الثورة الإيرانية والغزو السوفيتى لأفغانستان فى عام ١٩٧٩ ، ووسط حملته لإعادة انتخابه ، خطا معاديا للسوفيت بصورة متشددة . ووصف إسرائيل بأنها رصيد استراتيجى فى النضال من أجل احتواء النفوذ السوفيتى ، وقال إنه يعارض قيام دولة فلسطينية لأنها ستكون بمثابة مخفر أمامى للنفوذ السوفيتى ، واتخذ بصفة عامة موقفا أقرب إلى موقف رونالد ريجان من موقفه هو فى الماضى .

ويبدو أن العواطف تتغير بدرجة أقل من كل الأشياء الأخرى . ذلك أن المسؤولين الموالين لإسرائيل لا يتوقفون مطلقا عن التعاطف مع إسرائيل ، ولكنهم قد يقدرون الحاجة إلى تنمية علاقاتهم مع الزعماء العرب أيضا . ويبدو أن هذا كان صحيحا بالنسبة لريجان ، الذى لم يتحول مطلقا عن تأييده لإسرائيل ، ولكنه باع أيضا طائرات الأواكس إلى المملكة العربية السعودية ، ومال ناحية العراق ، وأذن بفتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية . أما نيكسون ، الذى كان على ما يبدو يكن انجذابا عاطفيا ضئيلا تجاه الدولة اليهودية ، فقد انتهج مع ذلك سياسات ممالئة لإسرائيل جدا ، ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى رؤيته العالمية . وأيد بوش ، الذى اشتهر عنه أنه من المعادين لإسرائيل ، اقتراحا إسرائيليا يتعلق بإجراء انتخابات فلسطينية ؛ وسحق العراق وهو العدو العربى الرئيسى لإسرائيل ؛ وأبعد منظمة التحرير الفلسطينية عن المفاوضات الرسمية ؛ وواصل دعمه الاقتصادى والعسكرى لإسرائيل فى جميع الأوقات برغم انتهاء الحرب الباردة ؛ ولم يجد صعوبة فى تسوية الخلافات مع إسرائيل عندما حل رابين محل شامير كرئيس للوزراء .

خلاصة القول أنه لم يظل أى رئيس أو وزير للخارجية ملتزما تماما بالعواطف الأولية . فقد أدركوا جميعهم أن الوساطة الفعالة تتطلب قدرة على التعامل مع زعماء جانبى النزاع ، وذلك مهما كانت التفضيلات الشخصية للمرء . وهكذا ، فمع أن مثل هذه التفضيلات تقاوم نوع التغيير الذى قد يطرأ على الآراء الأخرى ، فانها تبدو أيضا أقل أهمية عند وضع السياسات . وسوف يظل الإسرائيليون ذوو الاتجاهات الجادة لفترات طويلة يتناقشون مثلا حول ما إذا كان كيسنجر وريجان الواليان لإسرائيل بشكل ظاهر ، قد عملا من أجل توفير الأمن الطويل الأجل لإسرائيل بدرجة أكبر مما فعله كارتر وبوش .

التــدريب أثنــاء العمــل

لابد للمسؤولين الأمريكيين وهم يتعلمون كيفية التعامل مع الشرق الأوسط أن يقيّموا الأداء السابق وأن يستخلصوا الدروس عما نجح وما فشل . وإجمالا ، يتفق الأمريكيون على الحالات الناجحة : اعتماد قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ؛ واتفاقيات فض الاشتباك المصرية والسورية ؛ واتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، ومؤتمر مدريد ونتائجه . والمشكلة فى هذه النجاحات أنها لا يمكن أن تتكرر بسهولة . وتميل الدروس المستفادة إلى أن تكون دروسا عامة ، لا تتصل بصورة خاصة بسياق المشاكل القائمة . وتعمل هذه النجاحات بطبيعتها على تغيير البيئة ، مخلّفة مشاكل جديدة فى أعقابها .

أما حالات الإخفاق فهى مسألة أخرى . إذ أنها تترك انطباعات قوية حول ما لا ينبغى عمله . فحالما يحكم على تاكتيك بأنه قد أخفق فى سياق ما ، يكون من الصعب القول إنه ينبغى محاولة تطبيقه مرة ثانية فى سياق آخر . وفى سجلات تاريخ الدبلوماسية العربية الإسرائيلية ، يسود الاعتقاد بأن خطة روجرز لعام ١٩٦٩ كانت غلطة ؛ وأن البيان الأمريكى السوفيتى المشترك الصادر فى أول أكتوبر ١٩٧٧ ، والذى طالب باستئناف مؤتمر جنيف كان خطأ ؛ وأن اتفاق ١٧ مايو ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل كان معيبا بصورة مهلكة ؛ وأن نشر القوات الأمريكية فى لبنان عام ١٩٨٢ ينبغى ألا يتكرر أبدا . ولم يحقق أحد فى واشنطن تقدما فى عمله فى السنوات الأخيرة عن طريق محاولة الادعاء بأن خطة روجرز كانت بها بعض العناصر الإيجابية التى أفضت فى نهاية المطاف إلى إبرام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، أو أنها قد أخفقت لأنه تم ضربها من داخل حكومة نيكسون بقدر ما يقال عن أى سبب آخر . وهناك قلة تشك فى أن البيان الصادر فى أول أكتوبر ١٩٧٧ ، كان مضللا ، وأن الرفض النمطى الذى استمر سنوات لأى شخص يقترح إشراك الاتحاد السوفيتى فى دبلوماسية الشرق الأوسط كان مثالا للمصير الذى ينتظر هذه المحاولة .

وإصدار حكم على حالات أخرى تتعلق بالشرق الأوسط أمر أكثر صعوبة . فهل كانت أزمة الأردن نجاحا أم فشلا ؟ يستطيع المرء أن يزعم أنها جمعت بين الأمرين . فقد تم تدعيم موقف الملك حسين وكبح جماح حلفاء الاتحاد السوفيتى ، واحتواء الأزمة . إلا أن الدروس المستخلصة كانت مصدرا لمشاكل تالية . فقد نشأ الإحساس بالرضا عن الذات ، ونمت الثقة فى القوة العسكرية الإسرائيلية باعتبارها مفتاح الاستقرار الرئيسى ، وتم تجاهل مشاعر الإحباط العربية . وأدى « النجاح » فى معالجة أزمة الأردن ، جزئيا ، إلى « الإخفاق » فى توقع حرب أكتوبر ١٩٧٣ . إلا أن هذا « الإخفاق » ، بدوره قد مهد الطريق لتحقيق « النجاح » فى محادثات فض الاشتباك . خلاصة القول أن دروس التاريخ يتم استخلاصها بصورة ثابتة ، ولكنها تتضمن أحكاما ذاتية بدرجة عالية . ومع ذلك ، فإنها تنفع كمبادىء توجيهية قوية فى المناقشات فيما بين الأجهزة البيروقراطية .

ولا تبين الخبرات المتجمعة من دبلوماسية الشرق الأوسط أن هناك أسلوبا وحيدا صحيحا

لملاحقة عملية السلام . فقد كان لكل رئيس أسلوبه المتميز إلى حد ما . فقد قصر جونسون جهوده على تحديد المبادىء العامة المتعلقة بالتسوية السلمية ، فى حين كان يصر على السماح لإسرائيل بأن تحتفظ بالأراضى العربية التى استولت عليها كأداة مؤثرة للمساومة من أجل تحقيق السلام . ونادرا ما كان الأساس المنطقى لهذا النهج محل تساؤل من جانب من خلفوه . واختار نيكسون ، الذى كان متأثرا بكيسنجر ، فى البدء سياسة المواجهة مع السوفيت فى المنطقة قبل معالجته للنزاع العربى الإسرائيلى . ثم لجأ نيكسون وكيسنجر ، بعد حرب عام ١٩٧٣ ، إلى استحداث تقنية الخطوة خطوة فى إطار الدبلوماسية المكوكية . وبدأ كارتر بمخطط شامل ، إلا أنه اضطر إلى تقليصه إلى هدف أكثر تواضعا ، وإن ظل مثيرا للإعجاب ، وهو تحقيق السلام على جبهة واحدة . وبشر ريجان وهيج بمبدأ توافق الآراء الاستراتيجى ، والذى كان مؤيدوه قليلين على الصعيد الإقليمى ، ثم ألقى ريجان فى عام ١٩٨٢ خطابا حدد فيه بشكل واضح لم يحدث مطلقا من قبل ، ما ستؤيده الولايات المتحدة فى حالة التسوية العربية الإسرائيلية . ولم يكن هذا الخطاب مرتبطا باستراتيجية . ولم تشهد سنوات حكم ريجان تقدما فعليًا فى عملية صنع السلام ، إلا أن الرؤية التى حددها هذا الخطاب امتدت بها عملية صنع السياسة منذئذ . وأخيرا ، استطاع بوش وبيكر ، بعد بداية خاطئة ، أن يطورا أسلوب الصفقة ، حيث حملا جميع الأطراف على قبول أسلوب عملية التفاوض . وبصفة إجمالية ، يعتبر هذا السجل مؤثرا ، ومن شأنه أن يستهوى كلينتون بصورة تكاد تكون مؤكدة ، بأن يضيف إليه إسهامه .

أحجار البناء المتعلقة بالجوانب المضمونية

ومع مضى الوقت ، أصبح حديث الرؤساء ومستشاريهم أقل عن مضمون الاتفاق العربى الإسرائيلى ، وزاد حديثهم عن العملية المفضية لذلك . وينبع « الانحياز للإجراءات » من اعتقاد بأن الخطط الكبيرة لا تنجح ، وأنها تكون مثارا للجدل بدرجة تجعلها أهدافا للمعارضة بدلا من أن تكون أطرا للاتفاق . ومع ذلك ، فإن الكثير من المعالم المثيرة للإعجاب لعملية صنع السلام الأمريكية فى الشرق الأوسط هى على وجه الدقة مخططات تجمع كلا من محتوى السلام وعملية تحقيقه . إن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، والذى لا يزال يعتبر أساسا لأى سلام عربى إسرائيلى ، هو فى جوهره بيان لعملية المبادلة الموضوعية التى يتعين التفاوض بشأنها : انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ مقابل الاعتراف ، والسلام ، وترتيبات الأمن لإسرائيل . وإذا كانت هناك عيوب فى القرار ٢٤٢ ، فإنها تتمثل فى المحل الأول فى تجاهله الكامل للفلسطينيين (قضية موضوعية جرى تناولها عن طريق ترتيبات إجرائية فى السنوات اللاحقة) ، والآلية الضعيفة التى كلفت بتحقيق السلام (مبعوث معين من الأمم المتحدة بدون أية سلطات) . وفضلا عن أن القرار ٢٤٢ ومبادلة الأرض مقابل السلام الواردة فيه هو الذى وفر الأساس للسلام المصرى الإسرائيلى ، فمن المؤكد أنه سيكون جوهر أى اتفاق سورى إسرائيلى مستقبلا .

وقد تجاوزت اتفاقات كامب ديفيد ، القرار ٢٤٢ فى معالجتها للقضية الفلسطينية . وكانت فكرتها الرئيسية الجديدة هى الدعوة إلى التوصل إلى اتفاق مرحلى بين إسرائيل والفلسطينيين يستند إلى مفهوم الحكومة الذاتية أو الحكم الذاتى . والسبب فى هذا النهج هو أنه لا الإسرائيليون ولا الفلسطينيون كانوا قادرين على الاتفاق على أكثر من خطوة مرحلية من هذا القبيل . وكان مهندسو اتفاقات كامب ديفيد يأملون أيضا فى أن تجعل تجربة المرحلة « الانتقالية » المسائل المتعلقة بالتسوية النهائية أكثر قابلية للمعالجة . ومع أن كامب ديفيد ليست هى الأساس المتفق عليه للمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين بصورة واضحة ، فان جميع الأطراف المشتركة فى مؤتمر مدريد قبلت الفكرة الرئيسية للمفاوضات ذات المرحلتين ، والتى تبدأ بإقامة حكم ذاتى مرحلى للفلسطينيين .

وكان الميراث المضمونى لريجان هو استيفاؤه للجزء المفقود فى كامب ديفيد ، وهو : ماذا بعد المرحلة الانتقالية ؟ وقد ذكر ريجان ، دون أن يدخل فى تفصيلات كثيرة ، أن الولايات المتحدة لن تؤيد ضم إسرائيل للضفة الغربية وغزة أو قيام دولة فلسطينية مستقلة بصورة كاملة . وبدلا من ذلك تحبذ الولايات المتحدة شكلا للارتباط بين الأراضى المحتلة والأردن . ومن المحتمل أن يكون ذلك ، بطريقة أو بأخرى ، هو إطار أى اتفاق للسلام الإسرائيلى الفلسطينى الأردنى فى المستقبل .

أما الإسهام الرئيسى لحكومة بوش فيما يتعلق بالموضوع فلم يأت فى شكل خطط أو خطب . إذ أنه أثناء تنظيم مؤتمر مدريد ، بدأ بوش وبيكر يتعاملان مع الفلسطينيين كشريك كامل فى المفاوضات . وكان لهذه الخطوة الإجرائية الظاهرة آثار تتصل بالموضوع ، وذلك برغم أنه يتعين وضع تفاصيلها أثناء المفاوضات . وعاد بوش أيضا إلى التأكيد على تجميد النشاط الاستيطانى الإسرائيلى أثناء عملية التفاوض . وكان كارتر قد حاول الفوز بهذه النقطة وفشل . أما بوش الذى استخدم العصا الغليظة المتمثلة فى ضمانات القرض الذى يبلغ ١٠ مليارات دولار ، فقد أخذ تحذيره بجدية أكبر . وفى الواقع أن أحد إسهامات بوش الرئيسية فى عملية السلام يتمثل فى الدفعة التى أعطاها من أجل عزل إسحق شامير ذى الأيديولوجية المتشددة ، وإحلال إسحق رابين الأكثر براجماتية محله . فلأول مرة منذ ١٩٧٧ أصبحت إسرائيل يحكمها مجلس وزراء يلتزم بقرار الأمم المتحدة ٢٤٢ بمعناه الأصلى ـ مبادلة الأرض بالسلام ، فى ظروف من الأمن والاعتراف المتبادل ، على جميع جبهات النزاع . وحتى بيل كلينتون لاحظ أن انتخاب رابين هو أهم إسهام فى عملية السلام فى السنة التى تلت مؤتمر مدريد ، وإن كان لم يعط جورج بوش أى فضل فى إبعاد شامير إلى موقع المتفرج على الخطوط الجانبية .(١)

احتمالات المستقبل

بحلول عام ١٩٩٢ نجحت الولايات المتحدة فى بدء جولة جديدة من المفاوضات ، تعتبر واعدة فى نطاقها وفى تصميمها المعمارى بدرجة تفوق ما كان عليه الحال من قبل . ويمكن أن يكون

الإطار العام للمفاوضات مستخلصا من مواقف سابقة - وبصفة أساسية من القرار ٢٤٢ وكامب ديفيد - إلا أن خريطة الطريق إلى السلام كانت أولية على أفضل تقدير .

ويكاد يكون من المؤكد أنه ستتم مطالبة الولايات المتحدة بالمساعدة فى تحديد محتويات اتفاقات السلام المقبلة إذا ما نجحت المفاوضات . إذ أنه ليس هناك فى السجلات التاريخية ما يوحى بأن الأطراف سوف تتوصل إلى اتفاق لو تركت وحدها فى مفاوضات مباشرة .

ومن نواح كثيرة ، سيكون القيام بالدور الأمريكى مستقبلاً أسهل مما كان عليه فى الماضى ، إذ أنه لم يعد هناك وجود للاتحاد السوفيتى كمنافس وكعامل إفساد محتمل . كما أن الانحياز للنزعة العالمية والذى كان يؤثر تأثيرا معاكسا فى أغلب الأحيان على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، قد فقد الآن أساسه المنطقى ، وبزواله اختفت الفكرة التى تقول إن إسرائيل حليف استراتيجى يتمتع بدرجة من الأهمية تؤهله لأن يحظى بالتأييد مهما كان الثمن .[٢] وسيظل تأييد الرأى العام الإسرائيلى مرتفعا ، إلا أن البيت الأبيض لم يعد يتعرض لضغط كبير ليقدم لإسرائيل شيكا على بياض . والرأى العام ، إن لم يكن الكونجرس ، أكثر ميلاً من قبل لتأييد موقف منصف تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . ويوفر مناخ من هذا القبيل درجة من المرونة التاكتيكية ، لأى رئيس يسعى للعثور على أساس مشترك بين العرب والإسرائيليين .

ولعل أكثر الأمور مدعاة للتفاؤل فيما يتعلق بعملية السلام ، هو توافر دليل على أن كثيرين من الإسرائيليين وكثيرين من العرب قد أنهكهم النزاع ، وأصبحوا فى نهاية الأمر مستعدين لحل وسط تاريخى . وبدون توافر هذا الشعور فى المنطقة ، لا تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل الكثير من أجل تعزيز السلام . وقد جاءت الانتخابات الإسرائيلية فى عام ١٩٩٢ إلى السلطة بحكومة ملتزمة بالتحرك السريع فى المفاوضات ، وذلك على النقيض من النهج المتباطىء الذى كانت تتبعه حكومة شامير .

ويبين سجل عملية السلام منذ عام ١٩٦٧ أن التقدم ليس عملية تراكمية مستمرة . إذ حدث فى مرات عديدة أن تلت الفترات الطويلة من الجمود فورات من النشاط أسفرت عن حدوث تغييرات كبيرة فى طبيعة النزاع العربى الإسرائيلى . وبعد ذلك تحتاج الأطراف ، على ما يبدو ، إلى بعض الوقت من أجل استيعاب النتائج ، وتهيئة نفسها لخطوة أخرى كبيرة ، ومن أجل تعزيز التأييد لها فى الجبهة الداخلية .

ويستطيع المرء أن يقول بثقة ان أعوام الثمانينات تمثل جمودا طويلا غير عادى فى عملية السلام ، وإن الطريق أصبح ممهدا فى السنوات الأولى من التسعينيات لتحقيق انطلاقات هامة . وسيكون أحد الاحتمالات القيام بخطوات تجاه عقد معاهدة إسرائيلية سورية ، تستند إلى السلام والاعتراف بشكل كامل بإسرائيل ، وترتيبات أمنية واسعة النطاق للإقلال من فرص الهجوم المباغت ، واعتراف إسرائيل بالسيادة السورية على مرتفعات الجولان . ومن الممكن تنفيذ جميع هذه المبادىء فى فترة تمتد سنوات .

وعلى الجبهة الإسرائيلية الفلسطينية ، تعتبر احتمالات التوصل إلى اتفاق شامل أقل رجاء .

إلا أنه قد يكون من الممكن التوصل إلى شكل ما من أشكال الاتفاق المرحلى الذى يتيح للفلسطينيين سلطة واسعة لحكم أنفسهم فى الضفة الغربية وغزة ، فى حين تحتفظ إسرائيل بسيطرتها على الأمن . وفى نهاية المطاف ، سيتعين مواجهة مشكلة المستوطنات الإسرائيلية البالغة التعقيد ، ووضع القدس الشرقية ، إلا أنه قد يكون من الممكن معالجتها بتمهل أثناء المرحلة المؤقتة عن طريق القبول المشترك . ولو أمكن إحراز تقدم على جبهتى التفاوض السورية والفلسطينية ، فإن اللبنانيين والأردنيين لن يتأخروا طويلاً عن اللحاق بالركب .

ولكى تمضى عملية السلام قدما فى هذه الظروف الواعدة الفريدة ، ستكون هناك حاجة إلى القيادة الأمريكية . وقد يواجه هذا الاحتمال تحديا إلى حد ما نتيجة لإحياء النزعة الانعزالية فى الولايات المتحدة . ويؤثر هذا الموقف فى سياسة الشرق الأوسط بدرجة أقل من تأثيره فى مجالات السياسة الخارجية الأخرى ، ولكنه يضع قيدا على أية مبادرة يحتمل أن تتطلب موارد كبيرة . ونتيجة لذلك ، فإنه فى حين يظل على الولايات المتحدة أن تستمر فى القيام بدور وساطة رئيسى ، يتعين عليها أن تجد شركاء لها يمكنهم أن يساعدوا فى تقديم العون المالى للخطوات المتعلقة بالسلام ، والمتعلقة بالتنمية الإقليمية ، والمتعلقة بالحد من التسلح .

وبينما تمضى عملية السلام قدما ، ستواجه الولايات المتحدة أيضا تحديات أخرى متصلة بذلك فى الشرق الأوسط . فكيف ينبغى للرئيس الجديد أن يتعامل مع الحركات الإسلامية التى ترمى لتأكيد الهوية ؟ وما هو مكان الديمقراطية فى هذا الجزء من العالم ؟ وهل يمكن التعجيل بالتنمية الاقتصادية كما هو الحال فى شرقى آسيا ، كعامل مكمل لصنع السلام والتطبيق الديمقراطى ؟ وهل يستطيع الحد من التسلح أن يحقق تقدما فى منطقة أصبحت فيها النزاعات متوطنة ؟ وهل يمكن عمل أى شىء للحيلولة دون انتشار أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة ؟ إن كل هذه المشاغل الجديدة سوف تتطلب اهتماما إلى جانب جدول أعمال السلام التقليدى . وحتى هذا الجدول ينبغى أن يعالج بطرق مبتكرة المشاكل المتعلقة بالأمن الإقليمى ، والترتيبات الكونفيدرالية ، والربط بين الخطوات المؤقتة والمراحل التالية من المفاوضات ، ومستقبل القدس ، والمسائل التى تم تجاهلها لفترات طويلة .

ويعتبر الوقت عنصرا جوهريا ، ليس لأن السلام لابد أن يتحقق على نحو مفاجىء أو لا يتحقق أصلا ، بل لأن العملية من المرجح أن تستغرق وقتا ، مما يعنى أنه ينبغى أن يكون بمقدور الزعماء السياسيين فى المنطقة إظهار النتائج فى وقت مبكر أو على دفعات متعاقبة إذا أريد لهم أن يحتفظوا بالتأييد اللازم . وينطبق هذا خاصة على إسرائيل ، حيث لا يزال الرأى العام منقسما بصورة عميقة ؛ وعلى الفلسطينيين حيث تلعب مشاعر الجماهير دورا أكبر مما فى غالبية النظم العربية . ومن شأن الجمود الطويل الأجل فى عملية السلام أن يخيب رجاء المعتدلين على جانبى النزاع ، ويفضى إلى لا مبالاة عامة فى الولايات المتحدة ، ويمهد الطريق لأزمات مقبلة فى الشرق الأوسط الذى يسوده اتجاه راديكالى ، والذى ستكون لموارده النفطية أهمية متزايدة للغرب الصناعى .

ومن ثم فمن المحتمل أن تكون لعملية السلام الأولوية بالنسبة للرئيس كلينتون وفريقه المعنى بالسياسة الخارجية مع تركيز متزايد على العناصر المتعلقة بالموضوع فى اتفاقات السلام المقبلة .

ويوحى السجل بأن نزعات كلينتون الخاصة سيكون لها أهمية فى تشكيل السياسة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى ، ولو أنه حتى فى الوقت الحالى هناك توافق قوى فى الآراء على عملية السلام والأساس المنطقى الذى تقوم عليه . ومع ذلك ، فإنه فى هذه اللحظات التى تقتضى دقة تقدير الموقف ، وعندما توضح الأزمات الخيارات المتاحة ، وعندما تستوجب الحالة إجراء مفاضلات ، فإن الشخص الذى يحتل المكتب البيضاوى تكون له أهمية .

ولو قام الرؤساء بأدوارهم بصورة جيدة لاستطاعوا أن يحققوا تقدما فى عملية السلام ، وإذا تقاعسوا عن أداء أدوارهم فإنهم بذلك يعرضون المصالح الأمريكية للخطر . وفى مختلف الأحوال ، فإنه لن يسمح لهم بتجاهل هذه المنطقة طويلا . إن فهم الرؤساء للمسائل الأساسية المتعلقة بالنزاع العربى الإسرائيلى وقدرتهم على التعلم من التجربة ، أمر أساسى يحدد ما إذا كان الرؤساء سيغدون رجال دولة بارزين . ولو فعلوا ذلك ، فستتاح لهم فرصة طيبة للإسهام فى تحقيق الهدف الذى طالما سعينا إليه ، وهو السلام العربى الإسرائيلى .

الفصل السابع عشر

فى أعقاب الفتح الذ
ومنظمة التحرير ـــــيه :
الخطوات التالية للولايات المتحدة

لن ينسى الكثيرون ممن شهدوا التوقيع على الاتفاقية بين
يوم ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ فى الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض
مادًا يده ليصافح إسحق رابين الذى بدا عليه عدم الارتياح وا
وقد علت وجهة ابتسامة طيبة ليحتضن من كانا عدوين لدودين واصبحا ا
عن صيغة مقبولة للتعايش بين شعبيهما فى نفس المساحة الصغيرة من الأرض
الأردن .

وقبل ذلك بأسابيع قليلة فحسب ، لم يكن أحد ليجرؤ على التهور فى التفكير ليتنبأ بمثل هذا الفتح فى « عملية السلام » المتعثرة التى أدت إلى اجتماعات لا نهاية لها فى واشنطن إلا أنها لم تثمر سوى قدر ضئيل من التقدم الحقيقى . والواقع أن هذا الفتح لم يحدث بفضل المبادرات الأمريكية مباشرة ، وإنما تحقق من خلال اتصالات سرية عُقد الجانب الأكبر منها فى أوسلو بالنرويج ، وبدأت مع مطلع عام ١٩٩٣ . وكما أن الزيارة المفاجئة التى قام بها الرئيس المصرى أنور السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ لم يكتب السيناريو الخاص بها فى واشنطن ، ومع ذلك فقد أدت إلى تدخل أمريكى عميق فى عملية إحلال السلام التى أعقبتها ، فإن إعلان المبادىء بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يبشر بدور أكبر لإدارة كلينتون ، وإن كان مختلفا عما كان متصورا فى الشهور السابقة .

كيف جرى التفاوض على الاتفاقية ؟

انطلاقا من الدور المحورى للولايات المتحدة فى أغلب مبادرات السلام التى أحاطت بالنزاع العربى الإسرائيلى منذ عام ١٩٦٧ ، فإنه يحق التساؤل عن السبب فى أن الأمريكيين لم يكونوا على بينة مما يجرى إلى هذا الحد ، عندما كان هذا الجزء الحاسم من اللغز يجد طريقه إلى الحل . والرد البسيط على ذلك أن أيًا من الطرفين ـ إسرائيل أو منظمة التحرير الفلسطينية ـ لم يجد سببا ضاغطا لتوريط الولايات المتحدة فى هذه الخطوة الأولية البالغة الرمزية . ففيما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية ، لم يكن من المحتمل أن تكون الولايات المتحدة وسيطا مفيدا بالنسبة للقضايا الجوهرية . فقد كان الحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية قد انقطع فى منتصف

عام ١٩٩٠ ، ولم تبد إدارة كلينتون اهتماما بإحيائه ، بل كانت على العكس من ذلك تحاول تدعيم دور وفد التفاوض الفلسطيني في محادثات واشنطن ، وهي خطوة كان من المؤكد أن تثير حفيظة قيادة منظمة التحرير الفلسطينية الموجودة في تونس .

ربما كان يمكن لمنظمة التحرير الفلسطينية أن تحاول استخدام الأمريكيين بصفة ما من صفاتهم ، بالرغم من عزوف كلينتون عن التعاون معها ، لو كانت قد رأت أي احتمال لأن تضغط الولايات المتحدة على إسرائيل لتليين أي من مواقفها الرئيسية . ومثال ذلك ، أنه عندما كان الليكود في السلطة ، كانت الولايات المتحدة بصفة دائمة وعلنا تعارض في إقامة المستوطنات الإسرائيلية . كما تمسكت الولايات المتحدة أيضا بأن أي اتفاق ينبغي أن يستند إلى صيغة « الأرض مقابل السلام » الواردة في قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . وفيما يتعلق بهاتين النقطتين كان في مقدور منظمة التحرير الفلسطينية أن تأمل في بعض الضغط الأمريكي على حكومة إسرائيل بقيادة الليكود .

غير أن هذا المنطق تغير في اللحظة التي فاز فيها حزب العمل في انتخابات ١٩٩٢ وقام إسحق رابين بتشكيل الحكومة الجديدة . فقد أصبحت إسرائيل الآن توافق على وقف بناء المستوطنات في الصفة الغربية وغزة ، وتقبل بأن يكون هناك انسحاب وفقا لما دعا إليه قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ كجزء من أي اتفاق سلام مع جيرانها . وفجأة أصبح الخلاف بسيطا بين موقف إسرائيل الرسمي وموقف واشنطن ، خاصة بعد تولي كلينتون السلطة . ونتيجة لذلك بدأت منظمة التحرير الفلسطينية في البحث عن طرق للتعامل المباشر مع حكومة إسرائيل . وكان هناك داخل الوزارة الإسرائيلية ، على الأقل ، بعض شخصيات من الحمائم ممن يحبذون علنا التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، والذين بدوا على استعداد لتقديم تنازلات بعيدة المدى من أجل السلام .

وعلى الجانب الإسرائيلي ، كان هناك تضارب في الرأي حول الدور الذي يمكن للولايات المتحدة أن تقوم به . فمن ناحيته ، كان رابين شديد الحرص على وضع الأمريكيين في الصورة . وبدا أيضا أنه يفضل تحركا أوليًا مع سوريا ، الأمر الذي يحتاج فيه ، بالتأكيد ، إلى مساعدة أمريكية . وكان آخرون ، وخاصة وزير الخارجية شيمون بيريز ، يعتقدون أن إسرائيل ينبغي أن تتحرك أولا مع الفلسطينيين ، وكان بيريز ميالا للحصول على وساطة أوروبية مباشرة مع الفلسطينيين لاستكشاف الشروط الممكنة للاتفاق . ويكاد يكون من الصدفة البحتة ، أن علم نائبه بأن هناك اتصالات « أكاديمية » قائمة بين النرويجيين والفلسطينيين ، ووافق على تشجيع إسرائيليين غير رسميين على المشاركة في هذا الجهد الاستكشافي في أوائل ١٩٩٣ . وتم إخطار الأمريكيين بذلك ، ولكنهم لم يبدوا اهتماما كبيرا فيما بدا استعراضا ثانويا على أفضل تقدير .

وفي منتصف ١٩٩٣ تعثرت محادثات واشنطن بالرغم حتى من أن الولايات المتحدة حاولت تقديم أفكار للتغلب على الطريق المسدود البادي بين الإسرائيليين والفلسطينيين . وكان وزير الخارجية وارين كريستوفر يستعد لزيارة المنطقة ، ولكن تركيزه بدا في اتجاه دفع المسار الإسرائيلي السوري للأمام . وفي هذه الأثناء كانت المحادثات السرية في أوسلو تحقق تقدما كبيرا ،

وكان الجانبان يبحثان فى تطبيق مبكر لأى اتفاق فى غزة وأريحا ، على أن يتبعه اتفاق شامل بشأن الحكم الذاتى للفلسطينيين فى بقية الضفة الغربية .

وليس مستغربا أن المفاوضين وصلوا فى شهر أغسطس إلى نقطة تأكد عندها أن باقى القضايا لا يمكن حلها إلا على أعلى مستوى سياسى . كما أصبح الوقت عنصرا هاما ، إذ أن الصحافة الإسرائيلية بدأت تعلم بمشروع غزة وأريحا ، وبدا أن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية تفقد سيطرتها على أنصارها . وإزاء هذه الظروف ، قرر رابين وبيريز ألا يدخرا جهدا . وتوجه بيريز إلى ستوكهولم فى زيارة رسمية . واتصل من هناك بوزير خارجية النرويج جوهان هولست الذى كان يعاون فى المباحثات السرية ، وطلب إليه أن يحضر على الفور للقائه .

وقام بيريز بإبلاغ هولست بأنه مفوض باختتام المفاوضات فى نفس تلك الليلة . واتصل هولست بعرفات ، وبعد ثمانى ساعات من المفاوضات التليفونية تم عقد الصفقة . وفى اليوم التالى وقّع بيريز وأحمد قرعى (أبو العلاء) الاتفاقية بالأحرف الأولى . وطار بيريز وهولست إلى كاليفورنيا لإبلاغ وارين كريستوفر .

الخطوات التالية لكلينتون

وبالرغم من المفاجأة ، وقد يكون الضيق ، فإن الجانب الأمريكى سرعان ما أيد الاتفاقية . وترأس الرئيس كلينتون لحظة خالدة فى تاريخ النزاع العربى الإسرائيلى عندما تم التوقيع رسميا على الاتفاقية فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ . غير أنه ثار على الفور تقريبا سؤال حول ما سيحدث بعد ذلك ، وما هو الدور الذى ستلعبه الولايات المتحدة ؟

وطبقا للاتفاقية الموقعة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ، تبدأ القوات الإسرائيلية انسحابها من غزة وأريحا فى منتصف ديسمبر ١٩٩٣ ؛ ويشرع الفلسطينيون حينئذ فى تسيير شؤونهم فى هاتين المنطقتين ، على أن توفر الشرطة الفلسطينية أسباب الأمن . وفى نفس الوقت تجرى المفاوضات لوضع التفاصيل الخاصة بالحكم الذاتى فى بقية الضفة الغربية . ويبقى المستوطنون الإسرائيليون خاضعين للسلطة الإسرائيلية . ولا تكون القدس الشرقية جزءا من المنطقة الخاضعة للحكم الذاتى ، رغم أن سكانها العرب سيسمح لهم بالتصويت فى الانتخابات المقرر إجراؤها فى منتصف عام ١٩٩٤ . وإذا سارت كافة الأمور وفقا للخطة ، فإن المفاوضات الخاصة بقضايا « الوضع النهائى » ستبدأ فى أواخر عام ١٩٩٥ على أن تختتم بعد ثلاث سنوات .

لقد أثبت الإسرائيليون والفلسطينيون أنهم ليسوا فى حاجة إلى الولايات المتحدة لكى يتباحثوا . والواقع أن رابين وعرفات التقيا فى القاهرة بعد بضعة أسابيع من توقيع اتفاقية ١٣ سبتمبر فى جلسة عمل للإسراع بالتخطيط لعملية الانتقال فى غزة وأريحا ، إلا أن الولايات المتحدة لايزال أمامها عدة أدوار حاسمة للقيام بها . ومثال ذلك أن المناطق الفلسطينية ذات الحكم الذاتى سوف تحتاج إلى قدر هائل من الاستثمارات والمعونة لكى تصبح قادرة على البقاء اقتصاديا . وأخذت الولايات المتحدة على عاتقها فورا تنظيم مؤتمر « للمانحين » فى أوائل أكتوبر ١٩٩٣ ، نجح فى

الحصول على تعهدات بمبلغ يزيد على مليارى دولار على مدى السنوات الخمس القادمة فى أشكال مختلفة من المعونة . وباختصار فإن واشنطن تجد نفسها الآن فى دور من « يوفر التسهيلات » ومن « يقوم بالتمكين » ، أكثر منها فى دور المخطط أو المهندس على المسار الإسرائيلى الفلسطينى . وفى المراحل اللاحقة من المفاوضات ، عندما تثار القضايا الصعبة حقا ، قد تكون هناك حاجة لوساطة أكثر نشاطا من جانب طرف ثالث . ولكن الولايات المتحدة ستغوص فى مستنقع حملة الانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٦ ، وقد لا تستطيع تكريس كثير من الوقت أو الطاقة لصنع السلام فى الشرق الأوسط وذلك حتى عام ١٩٩٧ . ولذلك يجدر بالطرفين التحلى بحكمة عدم الاعتماد إلى حد كبير على دور أمريكى كبير عندما يصل الأمر إلى مرحلة التفاوض بشأن القدس والمستوطنات والحدود والسيادة ، بالرغم من أن الطرفين سيكونان حينذاك فى حاجة إلى كل العون الذى يستطيعان حشده لسد الثغرات الباقية .

أهمية الجبهة السورية الإسرائيلية

إن المجال الذى ينتظر أن تقوم فيه الولايات المتحدة بالدور « الكلاسيكى » لـ « الوسيط البارع » سيكون على الجبهة الإسرائيلية السورية . وحتى إذا كانت هناك اتصالات سرية بين الجانبين ، فإنه من الصعب تصور إمكانية التوصل إلى اتفاقية بدون شكل من أشكال الوساطة الأمريكية . والسبب فى ذلك ذو شقين . فقد نجحت إسرائيل وسوريا فى التفاوض فى مرة سابقة فى عام ١٩٧٤ ، حين لعبت الولايات المتحدة دور الوسيط . وصمدت الاتفاقية التى نتجت عن ذلك . ويميل الجانبان إلى انتهاج نفس الإجراء فى المستقبل . وعلاوة على ذلك ، فإن كل جانب يريد مقابلا للتنازلات التى سيقدمها .

والولايات المتحدة هى وحدها التى ستكون فى وضع يسمح بتقديم تلك الأنواع من الالتزامات المطلوبة . وعلى سبيل المثال ، ستسعى إسرائيل للحصول على بعض الوسائل لتعويض فقدان القدرة على الإنذار الاستراتيجى إذا جلت عن مرتفعات الجولان ومتى فعلت ذلك . وقد يساعد فى ذلك توفير فرصة حصولها على معلومات تكنولوجيا الأقمار الصناعية الأمريكية ، مقترنة بأنواع أخرى من الضمانات . وبالمثل ستطالب سوريا بوعود أمريكية بتقديم معونة اقتصادية ، وبرفع اسمها من قائمة الدول المؤيدة للإرهاب ، وغير ذلك من الإيماءات السياسية التى تفتح الطريق أمام استثمار وتجارة أكبر . وباختصار ، من المرجح أن تجد الولايات المتحدة نفسها تقوم بنفس الدور الذى لعبته لتحقيق السلام المصرى الإسرائيلى ، من حيث توفير التطمينات ، وتحديد المقايضات ، وتقديم المدفوعات الجانبية ، وممارسة الضغوط ، ومواصلة التركيز على الفوائد الاستراتيجية العائدة من التوصل إلى اتفاق .

وعند نقطة ما ، علينا أن نتوقع قيام وارين كريستوفر برحلات مكوكية بين دمشق والقدس فى محاولة لصياغة إعلان للمبادىء بين الطرفين . ويمكن أن نتصور مسبقا محتويات هذا الإعلان بصورة عامة ، فسوف تلتزم سوريا بسلام كامل وعلاقات طبيعية كجزء من اتفاقية شاملة تستعيد بموجبها أراضيها فى مرتفعات الجولان . وستوافق إسرائيل على التخلى عن أى ادعاء بالسيادة

على الجولان بشرط أن تلتزم سوريا بالسلام الكامل . وسيوافق الجانبان على التفاوض على ترتيبات أمنية مرضية للطرفين ويجرى تطبيقها وفقا لجدول زمنى متفق عليه . وسيكون هذا مجالا واسعا لمفاوضات شاقة ، غير أن شكل الاتفاقية التى سيتم التوصل إليها مستقبلا لا يصعب رؤيته . فسوف تتحول الجولان إلى منطقة عازلة تتمركز فيها قوة ما لحفظ السلام . وسيتم الاتفاق على عملية تطبيع تدريجية قد تتواكب مع مراحل الاتفاقية الإسرائيلية الفلسطينية . وسوف تتحرك المفاوضات بشأن جنوب لبنان بالتوازى مع ذلك . وفى الوقت نفسه ، سوف يتحرك الأردن وإسرائيل إلى الأمام فى مفاوضاتهما الثنائية . وسوف تسقط الدول العربية الأخرى تدريجيا مقاطعتها لإسرائيل دبلوماسيا وتجاريا على حد سواء .

هل تنشأ منطقة سلام عربية إسرائيلية ؟

لكى ينجح ذلك ، فإنه يتعين الإبقاء على مشاركة الولايات المتحدة . غير أنها لا تحتاج إلى فرض خطة من صنعها ، إذ سيكون أطراف النزاع هم المهندسين وإن كانوا سيحتاجون للمساعدة فى ترجمة الكلمات المسطرة على الورق إلى علاقات جديدة . وبتوافر الحظ والمساعدة الدولية ، يستطيع الإسرائيليون وجيرانهم المباشرون التطلع إلى مستقبل مختلف جدا فى السنوات القادمة ، مستقبل قائم على السلام والاقتصادات الآخذة فى التوسع والديمقراطية النامية . ولاشك فى أنه ستكون هناك بعض الاستثناءات والنكسات ، ولكن مع نهاية العقد سيكون تحقيق « منطقة للسلام والديمقراطية » شرقى البحر المتوسط قد قطع شوطا طيبا . وستكون مصر وإسرائيل ولبنان وفلسطين والأردن هم المشاركين الرئيسيين ، مع احتمال مشاركة سورية إلى حد ما أيضا . وإذا تحقق هذا السيناريو ستكون الولايات المتحدة فى وضع تحسد عليه من حيث قدرتها على خدمة مصالحها فى ظل استقرار إقليمى ، بينما هى تؤيد مبادئها فى الديمقراطية والاقتصادات المفتوحة .

* * *

فى عام ١٩٦٧ وبعد حرب الأيام الستة ، اتخذت إدارة جونسون ، دون كثير من تدبر العواقب ، موقف عدم العمل على عودة الوضع إلى ما كان عليه ، وآثرت الضغط من أجل التوصل إلى تسوية شاملة للنزاع العربى الإسرائيلى . وكان ذلك يعنى تأييد إسرائيل فى الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها عام ١٩٦٧ ، إلى أن يحين الوقت الذى تكون فيه الدول العربية الأطراف فى النزاع مستعدة لعقد سلام فى ظل ظروف الأمن المتبادل . وارتادت مصر هذا الطريق عام ١٩٧٨ ، بعد أن خاضت حربا باهظة التكاليف عام ١٩٧٣ . ثم أقدمت منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل على الخطوة الكبيرة التالية بعد خمسة عشر عاما ، وبعد مزيد من سفك الدماء . ولم يكن يخطر على بال أحد عام ١٩٦٧ أن الطريق إلى السلام سيكون طويلا وشاقا إلى هذا الحد . وفقد الكثيرون الأمل فى أن تؤدى « عملية » صنع السلام المثبطة للعزائم إلى سلام على الإطلاق . ولكن ذلك تحقق ، ويبدو أنه سيتواصل . ولأول مرة منذ سنوات عديدة لم يعد السلام العربى الإسرائيلى حلما بعيد المنال . إلا أن تحقيق هذا الحلم يحتم استمرار مساهمة الولايات المتحدة كشريك . فليس هذا وقت فض الاشتباك الأمريكى . والحقيقة أن انتهاج سياسة أمريكية قائمة على « الإهمال الحميد »

سيؤدى بسرعة إلى نسف احتمالات السلام العربى الإسرائيلى . لقد تحدثت الولايات المتحدة فى الماضى كثيرا عن استعدادها لتكون « شريكا كاملا » فى أى جهد جاد للتوصل إلى سلام فى الشرق الأوسط ، وهذا هو الدور المطلوب بالضبط .

وقد أبرز الرئيس كلينتون هذه النقطة بطلاقة فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ، حيث بدا أنه يدرك لأول مرة ضخامة المسؤولية الملقاة على كتفيه . وقال موجها كلامه إلى الإسرائيليين والفلسطينيين :

> إن الولايات المتحدة ملتزمة بضمان أن تصبح الشعوب التى تسرى عليها هذه الاتفاقية أكثر أمنا بفضلها ، والولايات المتحدة ملتزمة بقيادة العالم فى توجيه الموارد اللازمة لتنفيذ الخطوات التفصيلية الصعبة اللازمة لتحويل المبادىء التى تلتزمون بها أنفسكم اليوم إلى حقيقة واقعة . دعونا نتخيل معا ماذا يمكن إنجازه لو أمكن توجيه كل الطاقة والقدرة التى استثمرها الإسرائيليون والفلسطينيون فى صراعهم الآن إلى فلاحة الأرض وتحلية المياه ، وفى إنهاء المقاطعات وخلق صناعة جديدة ، وفى بناء بلد تسوده الوفرة والسلام بقدر ما هو بلد مقدس .

الباب الثامن

المـــلاحـق

الملحق « أ »

□ قرارا مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧

إن مجلس الأمن :

إذ يعبر عن قلقه المستمر إزاء الموقف الخطير فى الشرق الأوسط ،

وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب ، والحاجة إلى العمل لأجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ،

وإذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق ،

١ - **يؤكد** أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، الأمر الذى يجب أن يتضمن تطبيق كلا المبدأين الآتيين :

(أ) انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضٍ احتلت فى النزاع الأخير ؛

(ب) إنهاء جميع حالات الحرب أو الادعاء بها ، واحترام ، والاعتراف بالسيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى الخاصة بكل دولة فى المنطقة وبحقها فى أن تعيش فى سلام فى نطاق حدود آمنة ومعترف بها ومتحررة من أعمال القوة أو التهديد بها ؛

٢ - **ويؤكد** المجلس أيضا ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة فى الممرات المائية الدولية فى المنطقة ؛

(ب) التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ؛

(جـ) ضمان الاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وعدم الاعتداء على أراضيها ، وذلك عن طريق إجراءات من بينها إقامة مناطق منزوعة السلاح ؛

٣ - **يطلب** من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصًا ليتوجه إلى الشرق الأوسط لإقامة ومداومة الاتصالات مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق والمساعدة فى الجهود للتوصل إلى تسوية سلمية ومقبولة وفقا للنصوص والمبادىء الواردة فى هذا القرار ؛

٤ - **يطلب** من السكرتير العام أن يبلغ المجلس عن مدى تقدم جهود المبعوث الخاص فى أقرب وقت ممكن .

قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

إن مجلس الأمن :

١ – **يدعو** جميع أطراف القتال الحالى إلى وقف كل إطلاق للنيران وإنهاء كل نشاط عسكرى فورا ، فى فترة لا تتجاوز ١٢ ساعة من لحظة اعتماد هذا القرار ، وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن ؛

٢ – **ويدعو** الأطراف المعنيين إلى البدء فور وقف إطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ / ١٩٦٧ بكل أجزائه ؛

٣ – **ويقرر** أن يبدأ فور وقف إطلاق النار إجراء المفاوضات بين الأطراف المعنيين تحت الرعاية المناسبة بهدف إقرار سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

الملحق « ب »

■ ورقة العمل المشتركة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، المبادىء الأساسية (خطة روجرز) ، ٢٨ أكتوبر ١٩٦٩

إن إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ،

مراعاة لالتزاماتهما بموجب ميثاق الأمم المتحدة ،

وتأكيدا لالتزاماتهما بموجب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وإعرابا عن استعدادهما لتنفيذ كل أحكامه بنية حسنة ،

واعترافا بعدم جواز الاستيلاء على الأراضي بطريق الحرب ،

واعترافا أيضا بالحاجة لإقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط بالشروط التى تهيىء لكل دولة فى هذه المنطقة العيش فى أمن ،

توافقان على أن ينبع ممثلوهما تحت رعاية السفير يارنج الإجراءات التى انتهجتها الأطراف فى رودس عام ١٩٤٩ ، لوضع اتفاق نهائى وملزم لكلتيهما بشأن طرق تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لإقامة سلام عادل ودائم ، وذلك بدون تأخير ، ووفقا للأحكام التالية .

البند الأول

يقوم الطرفان ، من أجل التوصل إلى اتفاق نهائى (يتضمنه وثيقة أو وثائق ختامية) بشأن تسوية شاملة على أساس هذه المبادىء الأساسية ، بتحديد جدول زمنى لانسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضى الجمهورية العربية المتحدة المحتلة إبان نزاع ١٩٦٧ إلى الحدود التى يتم رسمها وفقا للبند الثالث وتحديد إجراءات ذلك ، وكذلك وضع خطة متفق عليها للتنفيذ المترابط لجميع الأحكام الأخرى الواردة فى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

البند الثانى

تنتهى حاله الحرب والقتال بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة وتقوم حالة رسمية من السلام بينهما ، ويمتنع الطرفان عن ارتكاب أعمال لا تتفق مع حالة السلام وإنهاء حالة الحرب .

ويتعين على وجه الخصوص :

١ - ألا يقوم أى من الطرفين بارتكاب أو التهديد بارتكاب عمل عدوانى من جانب القوات المسلحة والقوات الأخرى - برية كانت أو بحرية أو جوية - ضد شعب الطرف الآخر أو قواته المسلحة .

٢ - أن يتعهد الطرفان ببذل كل ما فى وسعهما لضمان ألا تنشأ أو ترتكب من أراضى كل منهما ، أعمال عدائية أو قتالية سواء من جانب الوكالات الحكومية أو الموظفين الحكوميين أو الأفراد أو المنظمات الخاصة .

٣ - أن يمتنع الطرفان عن التدخل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى الشؤون الداخلية لكل منهما لأى أغراض سياسية أو اقتصادية أو غيرها .

٤ - أن يؤكد الطرفان أنهما سيسترشدان ، فى علاقات كل منهما مع الآخر ، بالمبادىء الواردة فى المادة الثانية ، الفقرتين ٣ و ٤ من ميثاق الأمم المتحدة .

البند الثالث

يتفق الطرفان على موقع الحدود الآمنة والمعترف بها بينهما ، والتى ستوضح على خريطة أو خرائط يقبلها الطرفان لتصبح جزءا من الاتفاق النهائى . وفى إطار السلام ، الذى يتضمن بين أمور أخرى اتفاقا بين الطرفين على إقامة مناطق منزوعة السلاح ، وعلى ترتيبات الأمن العملية فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة عبر مضيق تيران ، وعلى ترتيبات الأمن العملية والوضع النهائى لغزة ، تصبح الحدود الدولية السابقة بين مصر وأراضى فلسطين عندما كانت تحت الانتداب حدودا آمنة ومعترفا بها بين إسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة .

البند الرابع

بغرض تأمين سلامة أراضى الطرفين وضمانا لأمن الحدود المعترف بها ، يعمل الطرفان ، وفقا للإجراءات المنصوص عليها فى الفقرة الأخيرة من ديباجة هذه الوثيقة ، على التوصل إلى اتفاق بشأن :

(أ) المناطق التى سيتم نزع السلاح منها وإجراءات ضمان نزع سلاحها ؛

(ب) ترتيبات الأمن العملية فى منطقة شرم الشيخ لتأكيد حرية الملاحة عبر مضيق تيران ؛

(جـ) وترتيبات الأمن العملية فى غزة ووضعها النهائى .

البند الخامس

يوافق الطرفان ويؤكد مجلس الأمن من جديد على :

(أ) أن مضيق تيران ممر مائى دولى ؛

(ب) وأن مبدأ حرية الملاحة لسفن جميع الدول ، بما فى ذلك إسرائيل ، ينطبق على مضيق تيران وخليج العقبة .

البند السادس

تؤكد الجمهورية العربية المتحدة فى ممارستها للسيادة على قناة السويس ، على أن تتمتع سفن جميع الأمم ، بما فى ذلك إسرائيل ، بحق حرية الملاحة دون تمييز أو تدخل .

البند السابع

يوافق الطرفان على الالتزام بشروط تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفق ما تمت الموافقة عليه فى الاتفاق النهائى بين الأردن وإسرائيل ، وعلى المشاركة وفق ما يراه السفير يارنج مستصوبا فى وضع شروط التسوية المذكورة .

البند الثامن

توافق الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل معا على الاحترام والتسليم بسيادة كل منهما ، وبوحدة أراضيهما وعدم المساس بها ، وباستقلالهما السياسى ، وبحق كل منهما فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دون تهديدات أو أعمال قوة .

البند التاسع

يتم تسجيل الاتفاق النهائى فى وثيقة يوقعها الطرفان وتودع على الفور لدى الأمم المتحدة . وبعد قيام الطرفين بإيداع تلك الوثيقة ، يطلبان من الأمين العام للأمم المتحدة أن يبلغ مجلس الأمن وجميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بذلك على الفور .

ويكون مفهوما للجانبين عند تطبيق الاتفاق النهائى أن التزامات كل منهما ستصبح متبادلة وتعتمد الواحدة منهما على الأخرى . وينص الاتفاق على أن الخرق المادى له من جانب أى من الطرفين يخول للطرف الآخر الاستناد إلى الخرق كأساس لتعليق أداء الاتفاق كليا أو جزئيا لحين علاج هذا الخرق . ومنذ لحظة إيداع الوثيقة تصبح ملزمة للطرفين وغير قابلة للإلغاء ، ويبدأ الطرفان فى تطبيق النصوص الواردة فى الاتفاق والالتزام بها .

البند العاشر

يوافق الطرفان على أن الاتفاق النهائى ، بما فى ذلك الخريطة أو الخرائط التى تبين الحدود النهائية ، ستقدم إلى مجلس الأمن للتصديق عليها .

* * *

ومن المفهوم أن الاتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وإسرائيل سيواكبه اتفاق بين الأردن

وإسرائيل يتضمن اتفاقية تكفل حلا عادلا لمشكلة اللاجئين . ولا يبدأ تنفيذ الاتفاقين إلا بعد الاتفاق على الصفقة برمتها .

ومن المفهوم أيضا أن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ستقدم وتؤيد قرارا ملائما يصدره مجلس الأمن ، وتتعهد بتنسيق جهودها مستقبلا لمساعدة الطرفين على الالتزام بجميع النصوص الواردة فى الاتفاق أو الاتفاقات النهائية .

الملحق « جـ »

■ رسالة من الرئيس فورد إلى رئيس الوزراء رابين ، أول سبتمبر ١٩٧٥(*)

سرى

صاحب السعادة إسحق رابين
رئيس وزراء إسرائيل

عزيزى رئيس الوزراء

أود أن أبلغكم بأن الولايات المتحدة تعتبر أن الاتفاقية الإسرائيلية المصرية المرحلية بشأن الانسحاب من مناطق حيوية فى سيناء تشكل عملا بالغ الدلالة من جانب إسرائيل على السعى من أجل سلام نهائى ، وتفرض عليها مزيدا من الأعباء العسكرية والاقتصادية الجسيمة .

وأود أن أؤكد لكم أن الولايات المتحدة ستبذل قصارى جهدها لتستجيب فى حدود مواردها وقرارات الكونجرس بالترخيص والتخصيص ، وعلى أساس مستمر وطويل الأمد ، لمطالب إسرائيل من المعدات العسكرية وغيرها من مستلزمات الدفاع وكذلك حاجات إسرائيل من المعونة الاقتصادية ، كل ذلك استنادا إلى المطالب التى قدمتها إسرائيل وإلى الدراسات المشتركة والتعهدات الرئاسية الأمريكية السابقة .

وعلاوة على هذه التعهدات ، فقد استقر عزمى على مواصلة المحافظة على قوة إسرائيل الدفاعية من خلال تقديم الأنواع المتقدمة من المعدات مثل طائرات « اف ـ ١٦ » . وتوافق حكومة الولايات المتحدة على عقد اجتماع مبكر للقيام بدراسة مشتركة حول التكنولوجيا المتقدمة والبنود المتطورة ، بما فى ذلك صواريخ بيرشينج أرض ـ أرض ذات الرؤوس التقليدية ، وذلك بهدف تقديم رد إيجابى . وستتقدم الإدارة الأمريكية سنويا إلى الكونجرس الأمريكى للحصول على موافقته على طلب المعونة العسكرية والاقتصادية ، للمساعدة فى تلبية احتياجات إسرائيل الاقتصادية والعسكرية . وإننى إذ أدرك شخصيا أهمية الاتفاقية المرحلية بالنسبة للوضع فى الشرق الأوسط ككل ، فإن الولايات المتحدة ستبذل كل جهد ممكن للمساعدة فى توفير الظروف التى تهيىء الالتزام بأحكام الاتفاقية والحيلولة دون خضوعها لضغوط أو مواعيد نهائية .

(*) النص مأخوذ من : Michael Widlanski., Can Israel Survive apalestinian State ? (Jerusalem : Institute for Advanced Strategic Political Studies, 1990), pp. 120-21

وانطلاقا من روح العلاقة الخاصة القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وفى ضوء إصرار الجانبين على تفادى نشوء وضع قد يؤدى بالولايات المتحدة وإسرائيل إلى انتهاج مسارات متعارضة في مفاوضات السلام ، فإن الولايات المتحدة ستتخذ موقفا يقضى بأن هذه المفاوضات تجرى بين الأطراف . وكما أوضحت لكم فى محادثتنا يوم ١٢ يونيو ١٩٧٥ ، فإن الوضع فى أعقاب الاتفاقية الإسرائيلية المصرية المرحلية سيكون وضعا يمكن فيه متابعة التسوية الشاملة بطريقة منتظمة ومدروسة ولا يستلزم تقدم الولايات المتحدة باقتراح متكامل من جانبها فى مثل هذه الظروف . وإذا رغبت الولايات المتحدة فى المستقبل فى التقدم باقتراحات من جانبها ، فإنها ستبذل قصارى جهدها لتنسيق اقتراحاتها مع إسرائيل ، تفاديا للتقدم بمقترحات قد تعتبرها إسرائيل غير مرضية .

وستؤيد الولايات المتحدة الموقف الذى يقضى بأن التسوية الشاملة مع سوريا فى إطار اتفاقية سلام لا بد أن تضمن أمن إسرائيل من هجوم قادم من مرتفعات الجولان . كما تؤيد الولايات المتحدة الموقف الذى يقضى بأن السلام العادل والدائم ، الذى سيظل هدفنا ، لابد أن يكون مقبولا من الجانبين . وإن الولايات المتحدة لم تصل إلى موقف نهائى بشأن الحدود . وإذا ما توصلت إلى ذلك ، فإنها ستعطى وزنا كبيرا للموقف الإسرائيلى بأن أى اتفاقية سلام مع سوريا لابد أن تستند إلى بقاء إسرائيل فى مرتفعات الجولان . وقد وردت وجهة نظرى فى هذا الشأن فى محادثتنا فى ١٣ سبتمبر ١٩٧٤ .

المخلص

جيرالد ر . فورد

الملحق « د »

■ البيان المشترك لحكومتى الولايات المتحدة واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ، أول أكتوبر ١٩٧٧(*)

إن سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية وأندريه جروميكو عضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ووزير الخارجية السوفيتى ، وقد تبادلا وجهات النظر فيما يتعلق بالموقف غير الآمن والذى مازال مستمرا فى الشرق الأوسط ، قد أصدرا البيان التالى باسم بلديهما اللذين يتوليان رئاسة مؤتمر جنيف الخاص بالسلام فى الشرق الأوسط :

أولا - ان الحكومتين مقتنعتان بأن المصالح الحيوية لشعوب هذه المنطقة بالإضافة إلى أهمية تقوية السلام والأمن الدولى بصفة عامة ، تملى بصفة عاجلة الحاجة إلى التوصل ، فى أقرب وقت ممكن ، إلى تسوية عادلة ودائمة للصراع العربى الإسرائيلى . إن هذه التسوية يجب أن تكون شاملة ومتضمنة لجميع الأطراف المعنية ولكل الموضوعات .

إن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مقتنعان بأنه فى إطار التسوية الشاملة لمشكلة الشرق الأوسط ، يجب حل كل المسائل الخاصة بالتسوية ، ومن بينها المشكلات الأساسية مثل انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضى العربية التى احتلت خلال حرب ١٩٦٧ ، وحل المشكلة الفلسطينية بما فى ذلك ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وإنهاء حالة الحرب وإنشاء علاقات سلام طبيعية على أساس من الاعتراف المتبادل بمبادىء السيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى .

إن الحكومتين تعتقدان أنه بالإضافة إلى مثل هذه الإجراءات الخاصة بضمان أمن الحدود بين إسرائيل وجاراتها من الدول العربية مثل إنشاء مناطق منزوعة السلاح ، ووجود قوات أو مراقبين تابعين للأمم المتحدة فى هذه المناطق بموافقة الطرفين وضمانات دولية لهذه الحدود ، وكذلك مراقبة شروط التسوية ، فإنه من الممكن تحقيق كل هذه الإجراءات إذا رغبت الأطراف المتنازعة فى ذلك . إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مستعدان للمساهمة فى هذه الضمانات على أن يتمشى ذلك مع الإجراءات الدستورية العادية فى داخل كل منهما .

ثانيا - إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يعتقدان أن الطريق الوحيد المؤثر والصحيح

(*) جاء نص البيان المشترك من : "U.S , U.S.S.R. Issue Statement on the Middle East," Department of State Bulletin, vol. 77 (November 7,1977), pp. 639-40. وقد صدر هذا البيان فى مدينة نيويورك .

للتوصل إلى حل أساسى لكل جوانب مشكلة الشرق الأوسط هو المفاوضات فى إطار مؤتمر جنيف للسلام ، الذى اجتمع خصيصا من أجل هذه الأهداف ، بمشاركة من جانب ممثلى كل أطراف النزاع بمن فيهم ممثلو الشعب الفلسطينى ، والتصديق القانونى والتعاقدى على القرارات التى يتم الوصول إليها فى المؤتمر .

إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بحكم كونهما رئيسى مؤتمر جنيف ، يؤكدان عزمهما ، من خلال الجهود المشتركة واتصالهما مع الأطراف المعنية ، على تسهيل استئناف أعمال مؤتمر جنيف فى وقت لا يتجاوز ديسمبر ١٩٧٧ .

إن رئيسى المؤتمر يوضحان أنه مازالت هناك عدة مشكلات ذات طبيعة إجرائية وتنظيمية يتعين الاتفاق عليها من جانب المشتركين فى المؤتمر .

ثالثا – إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بدافع من هدف تحقيق تسوية سياسية عادلة فى الشرق الأوسط ، وإنهاء الموقف المتفجر فى هذه المنطقة من العالم ، يناشدان كافة أطراف النزاع أن تتفهم ضرورة أن يراعى كل طرف بعناية المصالح والحقوق المشروعة للطرف الآخر ، وأن تظهر الاستعداد المتبادل للعمل طبقا لذلك .

الملحق « هـ »

■ اتفاقات كامب ديفيد ، ١٧ سبتمبر ١٩٧٨

إطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط جرت الموافقة عليه فى كامب ديفيد

اجتمع محمد أنور السادات ، رئيس جمهورية مصر العربية ، ومناحم بيجين ، رئيس وزراء إسرائيل ، بجيمى كارتر ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى كامب ديفيد ، من الخامس من سبتمبر حتى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨ ، واتفقا على إطار العمل التالى للسلام فى الشرق الأوسط . وهما يدعوان الأطراف الأخرى فى النزاع العربى الإسرائيلى للتقيد به .

مقـــدمة

إن السعى نحو السلام فى الشرق الأوسط يجب أن يسترشد بما يلى :

- أن الأساس المتفق عليه لتسوية سلمية للنزاع بين إسرائيل وجيرانها ، هو قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه .
- بعد أربع حروب وقعت خلال ثلاثين سنة ، وبالرغم من الجهود البشرية المكثفة ، فإن الشرق الأوسط ، مهد الحضارة ، ومكان ولادة ثلاث ديانات عظيمة ، لم يستمتع حتى الآن ببركات السلام . إن شعوب الشرق الأوسط تتوق إلى السلام ، حتى يمكن تحويل موارد المنطقة البشرية والطبيعية الهائلة إلى نشدان السلام ، ومن أجل أن تتمكن هذه المنطقة من أن تصبح نموذجا للتعايش والتعاون بين الأمم .
- أن مبادرة الرئيس السادات التاريخية المتمثلة بزيارته للقدس ، والأستقبال الذى قابله به برلمان وحكومة وشعب إسرائيل ، والزيارة المقابلة التى قام بها رئيس الوزراء بيجين إلى الإسماعيلية ، وعروض السلام التى قدمها الزعيمان ، بالإضافة إلى الترحيب الحار الذى قابل به شعبا الدولتين هاتين المهمتين ، قد أوجدت فرصة للسلام لا سابق لها ، يجب أن لا تضيع ، إذا كان لهذا الجيل والأجيال المقبلة أن تتجنب مآسى الحرب .
- أن نصوص ميثاق الأمم المتحدة ، والقواعد الأخرى المقبولة فى القانون الدولى والشرعية الدولية ، توفر الآن مقاييس مقبولة لسير العلاقات بين جميع الدول .

- من أجل تحقيق إقامة علاقة سلام بموجب روح المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة ، فإن إجراء مفاوضات مقبلة بين إسرائيل وأى جار لها على استعداد للتفاوض معها بشأن السلام والأمن ، هو أمر ضرورى لهدف تنفيذ جميع نصوص ومبادىء القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .
- أن السلام يتطلب احتراما للسيادة ، وسلامة إقليمية واستقلالا سياسيا لكل دولة فى المنطقة ، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، خالية من التهديدات أو أعمال العنف . وإن التقدم نحو ذلك الهدف يمكنه أن يسرع التحرك نحو عهد جديد من المصالحة فى الشرق الأوسط يتسم بالتعاون فى تعزيز النمو الاقتصادى ، وفى المحافظة على الاستقرار ، وفى ضمان الأمن .
- أن الأمن يتعزز بعلاقات سلمية ، وبتعاون بين الدول التي تتمتع بعلاقات طبيعية . وبالإضافة إلى ذلك ، وبموجب شروط معاهدات السلام ، تستطيع الأطراف على أساس التبادل ، أن تتفق على ترتيبات أمنية خاصة ، مثل مناطق منزوعة السلاح ، ومناطق محدودة التسلح ، ومحطات إنذار مبكر ، ووجود قوات دولية ، وإقامة اتصال متبادل ، وتدابير مراقبة متفق عليها ، وترتيبات أخرى يوافقون على أنها مفيدة .

إطـــار العمـــل

مع أخذ هذه العوامل فى الاعتبار ، فإن الطرفين مصممان على التوصل إلى تسوية عادلة شاملة ودائمة لنزاع الشرق الأوسط ، من خلال عقد معاهدات سلام ، تستند إلى قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، بجميع أجزائهما . إن هدف الطرفين هو تحقيق سلام وعلاقات جوار حسنة . وهما يعترفان بأنه إذا كان للسلام أن يدوم ، فإنه يجب أن يتناول جميع الذين تأثروا بصورة عميقة بالنزاع . ولهذا فإنهما يتفقان على أن إطار العمل هذا باعتباره ملائما ، قد قصدا به أن يشكل أساسا للسلام ، ليس فقط بين مصر وإسرائيل ، بل أيضا بين إسرائيل وكل من جيرانها ، الذين هم على استعداد للتفاوض بشأن السلام مع إسرائيل على هذا الأساس . ومع وجود هذا الهدف ماثلا فى الذهن ، فقد اتفقا على المتابعة كما يلى :

(أ) الضفة الغربية وغزة

١ - على مصر وإسرائيل والأردن ، وممثلى الشعب الفلسطينى ، أن يشتركوا فى مفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية بجميع وجوهها . ولتحقيق ذلك الهدف ، يجب أن تتم المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة على ثلاث مراحل :

(أ) إن مصر وإسرائيل تتفقان على أنه من أجل ضمان انتقال سلمى ومنظم للسلطة ، ومع الأخذ بالحسبان الاهتمامات الأمنية لجميع الأطراف ، يجب أن تكون هناك ترتيبات انتقالية للضفة الغربية وغزة ، لمدة لا تتجاوز الخمس سنوات . ومن أجل توفير حكم ذاتى تام للسكان ، فإن الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية ، سوف تنسحب حالما يجرى انتخاب سلطة حكم ذاتى انتخابا حرا ، من قبل سكان هذه المناطق ، لتحل

محل الحكومة العسكرية القائمة . ومن أجل التفاوض حول تفاصيل الترتيبات الانتقالية ، ستدعى حكومة الأردن إلى الاشتراك فى المفاوضات على أساس اطار العمل هذا . ويجب أن تولى هذه الترتيبات الجديدة اعتبارا مناسبا لمبدأ الحكم الذاتى من قبل سكان هاتين المنطقتين وللاهتمامات الأمنية الشرعية للأطراف المعنية فى آن معا .

(ب) ستتفق مصر وإسرائيل والأردن على كيفية إنشاء سلطة الحكم الذاتى المنتخبة فى الضفة الغربية وغزة . وقد يتضمن وفدا مصر والأردن فلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، أو فلسطينيين آخرين ، كما يتفق على هذا الأمر بصورة متبادلة .

وستتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة . وسيجرى سحب القوات الإسرائيلية المسلحة ، وستتم إعادة تمركز القوات الإسرائيلية المتبقية فى مواقع أمنية معينة .

وستتضمن الاتفاقية أيضا ترتيبات لضمان الأمن الداخلى والخارجي والنظام العام . وسيتم إنشاء قوة بوليس محلية قوية ، قد تشتمل على مواطنين أردنيين . إضافة إلى ذلك ستشترك القوات الإسرائيلية والقوات الأردنية فى دوريات مشتركة ، وفى تزويد مراكز المراقبة بالرجال من أجل ضمان أمن الحدود .

(جـ) وعندما يتم إنشاء سلطة الحكم الذاتى (وهى المجلس الإدارى) فى الضفة الغربية وغزة ، وتباشر هذه السلطة أعمالها ، ستبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية . وفى أسرع وقت ممكن ، ولكن فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية ، ستجرى مفاوضات لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقاتهما بجيرانهما ، ولعقد معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن فى نهاية الفترة الانتقالية .

وستجرى هذه المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة المنتخبين ، وسيعقد اجتماع للجنتين مستقلتين ولكن مرتبطتين . إحداهما تتألف من ممثلين للأطراف الأربعة التى ستتفاوض وتتفق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها . وتتألف اللجنة الثانية من ممثلين عن إسرائيل وممثلين عن الأردن يشترك معهم ممثلون منتخبون من قبل سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض بشأن معاهدة سلام بين إسرائيل والأردن ، آخذين فى الاعتبار الاتفاقية التى يتم التوصل إليها بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة .

إن المفاوضات سترتكز على جميع نصوص ومبادىء قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وستسوى المفاوضات بين أمور أخرى : موقع الحدود ، وطبيعة ترتيبات الأمن . ويجب أيضا أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ومتطلباته العادلة . وبهذه الطريقة سيشترك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم عن طريق :

١ – المفاوضات بين مصر وإسرائيل والأردن وممثلى سكان الضفة الغربية وغزة

للاتفاق على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وغير ذلك من القضايا المعلقة ، فى موعد أقصاه نهاية الفترة الانتقالية .

٢ - عرض اتفاقهم للتصويت من قبل الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة .

٣ - تمكين الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة من أن يقرروا كيف سيحكمون أنفسهم فى صورة تتمشى مع بنود اتفاقهم .

٤ - المشاركة حسبما ذكر أعلاه ، فى عمل اللجنة التى تجرى المفاوضة حول معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن .

٢ - جميع الإجراءات اللازمة ستتخذ وجميع النصوص ستوضع لضمان أمن إسرائيل وجيرانها أثناء الفترة الانتقالية وما وراءها .

وللمساعدة فى توفير مثل هذا الأمن ، سيجرى تشكيل قوة بوليس محلية قوية من قبل سلطة الحكم الذاتى . وستتألف هذه القوة من سكان الضفة الغربية وغزة . وسيبقى البوليس على اتصال متواصل حول شؤون الأمن الداخلى مع الضباط الإسرائيليين والأردنيين والمصريين المعتمدين .

٣ - أثناء الفترة الانتقالية ، سيشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى ، لجنة مستمرة لتبت بالاتفاق فى كيفية معالجة إدخال أشخاص شردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ، مع الإجراءات اللازمة لمنع الفوضى والاضطراب . كذلك يمكن لهذه اللجنة معالجة مسائل أخرى ذات اهتمام مشترك .

٤ - ستعمل مصر وإسرائيل مع بعضهما ، ومع الأطراف الأخرى المعنية ، على وضع إجراءات متفق عليها لتنفيذ فورى وعادل ودائم لحل مشكلة اللاجئين .

(ب) مصر وإسرائيل

١ - تتعهد مصر وإسرائيل بألا تلجآ إلى التهديد بالقوة أو استعمالها لتسوية النزاعات . وأن أية نزاعات ستسوى بوسائل سلمية وفق نصوص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .

٢ - لكى يتم تحقيق السلام بينهما ، يوافق الفريقان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا ، بينما تدعى أطراف النزاع الأخرى للمضى فى نفس الوقت فى التفاوض وعقد معاهدات سلام مماثلة بقصد تحقيق سلام شامل فى المنطقة . وسيحكم إطار العمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل ، مفاوضات السلام بينهما . وسيوافق الفريقان على كيفية المعالجة وجدول زمنى لتنفيذ تعهدهما بموجب المعاهدة .

(جـ) مبادىء مرافقة

١ - تعلن مصر وإسرائيل أن المبادىء والنصوص المشروحة أدناه يجب أن تنطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل واحدة من جاراتها : مصر والأردن وسوريا ولبنان .

٢ – إن الموقعين أدناه سينشئان فيما بينهما علاقات طبيعية كتلك القائمة بين دول تعيش فى سلام مع بعضها . ومن أجل هذه الغاية يجب أن يتعهدا بالالتزام بجميع نصوص ميثاق الأمم المتحدة . وتشمل الخطوات التى ستتخذ فى هذا الصدد :

(أ) الإعتراف الكامل .

(ب) إزالة المقاطعة الاقتصادية .

(جـ) الضمان بأن مواطنى الأطراف الأخرى الذين تحت سلطتهما القضائية سيتمتعون بحماية عملية القانون المناسبة .

٣ – يجب أن يتقصى الموقعان الإمكانيات من أجل تطور اقتصادى فى إطار معاهدات سلام نهائية بهدف المساهمة فى جو السلام والتعاون والصداقة الذى هو هدفهما المشترك .

٤ – يمكن إنشاء لجان مطالبة من أجل التسوية المتبادلة لجميع المطالب المالية .

٥ – ستدعى الولايات المتحدة للاشتراك فى المحادثات حول مسائل تتصل بكيفية معالجة تنفيذ الاتفاقات ووضع جدول زمنى لتطبيق تعهدات الطرفين .

٦ – سيطلب من مجلس الأمن الدولى بأن يصادق على معاهدات السلام ويضمن بألا تخرق نصوصها . وسيطلب من أعضاء مجلس الأمن الدائمين بأن يكفلوا معاهدات السلام ويضمنوا الاحترام لنصوصها ، وسيطلب منهم أيضا بأن يجعلوا سياساتهم وتصرفاتهم متمشية مع التعهدات الواردة فى إطار العمل هذا .

عن حكومة جمهورية مصر العربية
أنور السادات

عن حكومة إسرائيل
مناحم بيجين

شاهد التوقيع
جيمى كارتر
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

إطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل

لكى يتحقق سلام بين مصر وإسرائيل ، توافق الدولتان على التفاوض بنية حسنة بهدف عقد معاهدة سلام بينهما فى غضون ثلاثة أشهر من توقيع إطار العمل هذا .

لقد اتفق على :

أن مكان المفاوضات سيكون تحت علم هيئة الأمم المتحدة فى موقع أو مواقع يتفق عليها فى صورة متبادلة .

جميع مبادىء قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ستطبق فى هذا الحل للنزاع بين مصر وإسرائيل .

ما لم يتفق على غير ذلك فى صورة متبادلة ، ستنفذ شروط معاهدة السلام خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات بعد التوقيع على معاهدة السلام .

لقد اتفق على الأمور التالية بين الفريقين :

(أ) الممارسة الكاملة للسيادة المصرية على الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب .

(ب) انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من سيناء .

(جـ) استعمال المطارات التى يتركها الإسرائيليون قرب العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ للأغراض السلمية فقط ، بما فى ذلك الاستعمال التجارى الممكن من قبل جميع الدول .

(د) حق المرور الحر لسفن إسرائيل عبر خليج السويس وقناة السويس على أساس انطباق ميثاق القسطنطينية لعام ١٨٨٨ على جميع الدول ، وأن مضيق تيران وخليج العقبة هما ممران مائيان دوليان يجب أن يكونا مفتوحين لجميع الدول من أجل حرية ملاحة غير معرقلة وغير متوقفة وتحليق جوى .

(هـ) بناء طريق برى عريض بين سيناء والأردن قرب إيلات مع مرور حر وسلمى مضمون لمصر والأردن .

(و) مرابطة قوات عسكرية كما هو مبين أدناه .

مرابطة القوات

(أ) لا يسمح بمرابطة أكثر من فرقة واحدة « مدرعة أو مشاة » من القوات المصرية المسلحة داخل منطقة تقع على مسافة ٥٠ كيلومترا تقريبا إلى الشرق من خليج السويس وقناة السويس .

(ب) إن قوات الأمم المتحدة وقوات البوليس المدنى المزودة بأسلحة خفيفة لإنجاز المهام البوليسية العادية ، هى فقط سترابط ضمن منطقة تقع غربى الحدود الدولية وخليج العقبة ، ويتراوح عرضها بين ٢٠ كيلومترا و ٤٠ كيلومترا .

(جـ) داخل المنطقة الواقعة على مسافة ٣ كيلومترات إلى الشرق من الحدود الدولية ، ستكون هناك قوات إسرائيلية عسكرية محدودة ، لا تتجاوز أربع كتائب مشاة ، ومراقبون دوليون .

(د) ستكمل وحدات من دوريات الحدود لا تتجاوز الثلاث كتائب ، البوليس المدنى ، فى المحافظة على النظام فى المنطقة غير المشمولة أعلاه .

سيتقرر التخطيط الدقيق للمناطق أعلاه خلال مفاوضات السلام .

يمكن إقامة محطات للإنذار المبكر لضمان الامتثال لنصوص الاتفاق .

سترابط قوات الأمم المتحدة : (أ) فى جزء من منطقة سيناء الواقعة ضمن حوالى ٢٠ كيلومترا من البحر الأبيض المتوسط ومتاخمة للحدود الدولية ، و (ب) فى منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور عبر مضيق تيران . وهذه القوات لن تسحب ما لم يوافق على هذا الانسحاب مجلس الأمن الدولى بتصويت إجماعى للأعضاء الدائمين الخمسة .

بعدما توقع معاهدة سلام ، وبعدما يكتمل الانسحاب المرحلى ، ستقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل ، بما فى ذلك : الاعتراف الكامل ، ويشمل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية ،

وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والعوائق التى تعترض التنقل الحر للسلع والأشخاص ، والحماية المتبادلة للمواطنين بعملية القانون المناسبة .

الانسحاب المرحلى

خلال فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر وتسعة أشهر بعد توقيع معاهدة السلام ، ستنسحب جميع القوات الإسرائيلية إلى الشرق من خط يمتد من نقطة تقع شرقى العريش إلى رأس محمد ، وسيتحدد الموقع الدقيق لهذا الخط باتفاق متبادل .

عن حكومة جمهورية مصر العربية
أنور السادات

عن حكومة إسرائيل
مناحم بيجين

شاهد التوقيع
جيمى كارتر
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى الرئيس جيمى كارتر ،

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس :

لى الشرف أن أبلغك بأنه خلال أسبوعين من عودتى إلى بلادى سأقدم اقتراحا للبرلمان الإسرائيلى (الكنيست) لكى يتخذ قرارا حول الموضوع التالى :

إذا ما اتفق أثناء المفاوضات حول عقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر على جميع القضايا المعلقة ، « هل تحبذون إزالة المستوطنات الإسرائيلية من مناطق سيناء الشمالية والجنوبية أم تحبذون إبقاء المستوطنات المذكورة آنفا فى تلك المناطق ؟ » .

إن التصويت على هذا الموضوع يا سيادة الرئيس سيكون متحررا كليا من القواعد الحزبية البرلمانية المألوفة من حيث أن الائتلاف رغم أنه يلقى الآن تأييدا من ٧٠ عضوا من أصل ١٢٠ عضوا ، فإن كل عضو فى الكنيست ، حسبما أعتقد ، من مؤيد للحكومة ومعارض لها ، سيتمكن من التصويت حسبما يمليه عليه ضميره .

المخلص
التوقيع
مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس المصرى أنور السادات ،

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس :

أنقل إليكم هنا نسخة من رسالة وردت إلىّ من رئيس الوزراء بيجين يشرح فيها كيف يقترح عرض قضية مستوطنات سيناء على الكنيست لكى يتخذ الأخير قراره .

وفى هذا الصدد أفهم من رسالتكم أن موافقة الكنيست على سحب جميع المستوطنين من سيناء وفق جدول زمنى ضمن المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام هى شرط أساسى لأية مفاوضات حول معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق : رسالة من رئيس الوزراء مناحم بيجين

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر ،

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيز السيد الرئيس :

بصدد « إطار العمل لتسوية فى سيناء » يجرى توقيعه هذا المساء ، أود أن أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى المستوطنات :

١ – جميع المستوطنين الإسرائيليين يجب أن يسحبوا من سيناء وفق جدول زمنى خلال المهلة المحددة لتنفيذ معاهدة السلام .

٢ – إن موافقة الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها الدستورية على هذا المبدأ الأساسى هى لذلك شرط أساسى لبدء مفاوضات السلام من أجل عقد معاهدة سلام .

٣ – إذا تعذر على إسرائيل تلبية هذا التعهد سيصبح « إطار العمل » لاغيا وباطلا .

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ،

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء :

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتى تشرح كيف تنوى أن تطرح مسألة مستقبل المستوطنات الإسرائيلية فى سيناء أمام الكنيست من أجل قراره بشأنها .

مرفق طيه نسخة من كتاب الرئيس السادات إلىّ حول هذا الموضوع .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

مرفق : رسالة من الرئيس السادات

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر ،

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى الرئيس :

أكتب إليكم لكى أعيد تأكيد موقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى القدس :

١ – إن القدس العربية هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ، وإن الحقوق العربية القانونية والتاريخية فى المدينة يجب أن تحترم وتستعاد .

٢ – إن القدس العربية يجب أن تكون تحت سيادة عربية .

٣ – إن السكان الفلسطينيين للقدس العربية يحق لهم ممارسة حقوقهم الوطنية الشرعية كونهم جزءا من الشعب الفلسطيني فى الضفة العربية .

٤ – إن قرارات مجلس الأمن المتصلة بالموضوع ، وعلى الأخص القراران ٢٤٢ و ٢٦٧ يجب أن تطبق فيما يختص بالقدس . وإن جميع الاجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة هى لاغية وباطلة ويجب نفضها .

٥ – جميع الشعوب يجب أن تكون لها حرية الوصول إلى المدينة والتمتع بالممارسة الحرة للعبادة وبحق الزيارة والعبور إلى الأماكن المقدسة بدون تمييز أو تفرقة .

٦ – إن الأماكن المقدسة لكل ديانة يمكن أن توضع تحت إدارة وإشراف ممثليها .

٧ – إن المهام الجوهرية فى المدينة يجب أن تكون غير مجزأة وفى استطاعة مجلس بلدى مشترك مؤلف من عدد متساو من الأعضاء العرب والإسرائيليين أن يشرف على تنفيذ هذه المهام . وبهذه الطريقة ستبقى المدينة غير مجزأة .

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى الرئيس جيمى كارتر ،

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس :

لى الشرف أن أبلغك يا فخامة الرئيس أن البرلمان الإسرائيلى (الكنيست) نشر فى ٢٨ يونيو ١٩٦٧ وأبرم قانونا يقضى بأن : « الحكومة مخولة الصلاحية بمرسوم لأن تطبق القانون والسلطات التشريعية والإدارية للدولة على أى جزء من أرض إسرائيل (أرض إسرائيل - فلسطين) ، كما حدد في ذلك المرسوم » .

وعلى أساس هذا القانون أصدرت حكومة إسرائيل مرسوما فى يوليو ١٩٦٧ يقضى بأن القدس هى مدينة واحدة غير مجزأة وعاصمة دولة إسرائيل .

المخلص

التوقيع

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس المصرى أنور السادات ،

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الرئيس :

تلقيت رسالتك المؤرخة ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ التى تحدد الموقف المصرى حول القدس . وإنى مرسل نسخة من تلك الرسالة إلى رئيس الوزراء مناحم بيجين لاطلاعه .

إن موقف الولايات المتحدة حول القدس لايزال كما أعلنه السفير جولدبيرج فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو ١٩٦٧ ، وفى وقت لاحق السفير يوست فى مجلس الأمن الدولى فى أول يوليو ١٩٦٩ .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

رسالة من الرئيس المصرى أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر ،

١٧ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى الرئيس :

بصدد « إطار العمل للسلام فى الشرق الأوسط » أكتب إليك هده الرسالة لأعلمك بموقف جمهورية مصر العربية بالنسبة إلى تنفيذ التسوية الشاملة .

لضمان تنفيذ النصوص المتصلة بالضفة الغربية وغزة ولكى تضمن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى ، ستكون مصر مستعدة للقيام بالدور العربى المنبثق من هذه النصوص بعد مشاورات مع الأردن وممثلين عن الشعب الفلسطينى .

المخلص

التوقيع

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ،

٢٢ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى رئيس الوزراء :

أثبت هنا أنك أبلغتنى ما يلى :

(أ) فى كل فقرة من وثيقة إطار العمل المتفق عليه ، التعبيران « الفلسطينيون » أو « الشعب الفلسطينى » يجرى تفسيرهما وفهمهما ، وسيفسران ويفهمان من قبلكم على أنهما يعنيان « فلسطينيين عربا » .

(ب) فى كل فقرة يظهر فيها التعبير « الضفة الغربية » يفهم وسيفهم من قبل حكومة إسرائيل على أنه يهودا والسامرا .

المخلص

التوقيع

جيمى كارتر

رسالة من هارولد براون وزير الدفاع إلى عزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى ، مرفقة بالوثائق التى اتفق عليها فى كامب ديفيد ، نشرت فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٨

٢٨ سبتمبر ١٩٧٨

عزيزى السيد الوزير :

تدرك الولايات المتحدة أنه فى ارتباط بتنفيذ الاتفاقيتين التى تم التوصل إليهما فى كامب ديفيد ؛ فإن إسرائيل تنوى بناء قاعدتين جويتين عسكريتين فى مواقع مناسبة فى النقب لتحلا محل القاعدتين الجويتين فى ايتام وإتريون اللتين ستجلو إسرائيل عنهما بمقتضى معاهدة السلام المبرمة بين مصر وإسرائيل . وندرك أيضا العجلة والأولوية الخاصتين اللتين توليهما إسرائيل لإعداد القاعدتين الجديدتين فى ضوء اقتناعها بأنها لا تستطيع أن تترك قاعدتى سيناء الجويتين وهى آمنة إلا إذا أصبحت القاعدتان الجديدتان جاهزتين للتشغيل .

واقترح أن تتشاور حكومتانا حول حجم وتكاليف القاعدتين الجويتين الجديدتين ، وكذلك حول أشكال المساعدة المرتبطة بذلك ، والتى تستطيع الولايات المتحدة تقديمها بصورة ملائمة فى ضوء المشكلات الخاصة التى قد يثيرها تنفيذ مثل هذا المشروع على أساس عاجل . والرئيس مستعد لالتماس موافقات الكونجرس الضرورية على مثل هذه المساعدة حسبما يوافق عليه الجانب الأمريكى نتيجة لمثل هذه المشاورات .

هارولد براون

الملحق « و »

■ ردود كارتر على الملك حسين ، أكتوبر ١٩٧٨(*)

س ١ - هل تعتزم الولايات المتحدة ، أن تكون شريكا كاملا فى المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ، والمتصلة بالقضية الفلسطينية عامة ؟ وفى أية مرحلة من مراحل المفاوضات ستشترك الولايات المتحدة ، وبأى دور ؟

ج - أجل ، أن الولايات المتحدة ، سوف تكون شريكا كاملا فى كافة مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية التى تؤدى إلى تحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط .

وستستخدم الولايات المتحدة ، كل نفوذها من أجل أن تصل المفاوضات إلى خاتمة ناجحة ، وسوف يستمر الرئيس كارتر فى القيام بدور شخصى نشيط فى المفاوضات .

س ٢ - ماذا يعنى إطار الاتفاق فى فقرته (أ) ١ ، التى يشار فيها إلى ممثلى الشعب الفلسطينى ؟

ج - لم تجر محاولة لوضع تعريف شامل فى هذا الشأن . ففى بعض الحالات ، كانت الإشارة تحديدا إلى ممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة . وفى حالة واحدة ، كان من الواضح أن عبارة « فلسطينيين آخرين حسب الاتفاق المتبادل » ، تشير إلى ممثلين من خارج الضفة الغربية وغزة ، وليس من الضرورى أن يكونوا مواطنين من مصر أو الأردن . ويمكن ، بالطبع ، أن يكون فلسطينيون من مواطنى مصر أو الأردن أعضاء فى وفدى المفاوضات اللذين يمثلان هذين البلدين . وفى حالات أخرى ورد ذكر سلطة الحكم الذاتى نفسها .

ولا تفسر الولايات المتحدة عبارة « ممثلى الشعب الفلسطينى » على أنها تعنى مجموعة واحدة ، أو منظمة واحدة ، تمثل الشعب الفلسطينى ، إنما تفسرها على أنها تضم الأشخاص المنتخبين أو المختارين للاشتراك فى المفاوضات ، فمن المتوقع أن يوافق هؤلاء الأشخاص على أهداف المفاوضات على نحو ما جاء فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وأن يكونوا مستعدين ، لأن يعيشوا فى سلام فى ظل علاقات حسن جوار مع إسرائيل ، فى إطار التسوية .

(*) النص مأخوذ من نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة وفرتها حكومة الأردن ، والنقطة الوحيدة الناقصة فى هذه الصيغة هى توقيع كارتر أسفل الصفحة الأخيرة .

س ٣ - لماذا تم اختيار مدة خمس سنوات كفترة انتقالية فى الضفة الغربية وغزة ؟

ج - إن فكرة السنوات الخمس الانتقالية فى الضفة الغربية وغزة ، كانت اقتراحا أمريكيا ، طرح على الأطراف لأول مرة فى صيف ١٩٧٧ . والنقطة الأساسية فى الاقتراح هى مفهوم الفترة الانتقالية ، وليست فترة الخمس سنوات التى اقترحت وتمت الموافقة عليها .

ونحن نعتقد أن عملية انتقالية من عدة سنوات والتى تنسحب فى بدايتها الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية ، وتتم إقامة سلطة حكم ذاتى فى الضفة الغربية وغزة - من الممكن أن تبين أن المشاكل العملية التى تنشأ خلال الانتقال إلى السلام يمكن حلها بصورة مرضية . ونحن نرى أن الفترة الانتقالية هامة بالنسبة لبناء وكسب قوة دفع ، وتحقيق تغييرات فى المواقف ، ويمكن أن تضمن الوصول إلى تسوية نهائية ، تحقق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، وتضمن أمن إسرائيل والأطراف الأخرى .

س ٤ (أ) - ما هو التعريف الجغرافى للضفة الغربية وغزة من وجهة نظر الحكومة الأمريكية ؟ وهل القدس العربية والمناطق العربية المحيطة بها والتى أدمجت فى إسرائيل بعد يونيو ١٩٦٧ ، تندرج فى تعريف الضفة الغربية ؟

ج - ترى الولايات المتحدة أن اصطلاح الضفة الغربية وغزة ، يشمل كل المنطقة الواقعة غربى نهر الأردن والتى كانت تقع تحت الإدارة الأردنية قبل حرب ١٩٦٧ ، وكل المنطقة الواقعة شرق الحدود الغربية لفلسطين تحت الانتداب البريطانى والتى كانت تقع قبل حرب ١٩٦٧ تحت الإدارة المصرية ، وتعرف باسم قطاع غزة .

وفيما يتعلق بالمفاوضات التى تم تصورها فى إطار الاتفاق ، فنحن نعتقد أنه يتعين أن يكون هناك تمييز بين القدس ، وبين بقية الضفة الغربية ، نظرا للظروف والوضع الخاص بالمدينة . ولذلك فنحن نتصور التوصل إلى حل عن طريق التفاوض ، بشأن الوضع النهائى للقدس . والذى يمكن أن يكون وضعا مختلفا فى طبيعته من عدة نواح عن الوضع فى بقية الضفة الغربية .

ولا يتعين الحكم المسبق على الوضع النهائى للقدس على ضوء الأعمال التى تمت من جانب واحد فى القدس منذ حرب ١٩٦٧ . ولايزال الموقف الكامل للولايات المتحدة تجاه القدس هو الموقف الذى أعلنه السفير جولدبيرج فى الخطاب الذى ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٤ يوليو ١٩٦٧ ، وما أعلنه السفير يوست أمام مجلس الأمن فى أول يوليو ١٩٦٩ .

س ٤ (ب) - فى نهاية ترتيبات فترة السنوات الخمس الانتقالية ، ماذا سيكون الوضع فى الضفة الغربية وغزة من وجهة نظر السيادة ؟

ج - يتعين تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، بما فى ذلك مشكلة السيادة ، على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه ، وذلك فى مفاوضات بين الأردن ومصر وإسرائيل والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة ، والتى ينبغى أن تبدأ فى فترة لا تتجاوز العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية .

وبمقتضى بنود اتفاق إطار العمل ، فإن نتائج هذه المفاوضات ـ ومن بينها تحديد مسألة السيادة ـ سوف تطرح للتصويت عليها من جانب الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة للتصديق عليها أو رفضها .

ومن حيث أنه توجد علاقة تبادل بين المفاوضات الخاصة بمعاهدة السلام بين إسرائيل والأردن ، وبين المفاوضات حول الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، فإن إطار العمل يقضى بأنه يتعين على ممثلى سكان الضفة الغربية وغزة ، أن يشاركوا فى كل هذه المفاوضات .

وهكذا ، سوف يشترك الفلسطينيون فى كل عملية تفاوض لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة .

س ٤ (جـ) ـ ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه هاتين المسألتين ؟

ج ـ إن وجهة نظر الولايات المتحدة تجاه التعريف الجغرافى ، قد وردت فى الفقرة ٤ (أ) السالفة الذكر ، وقد عبرت الولايات المتحدة عن موقفها تجاه مشكلة السيادة فى الضفة الغربية وغزة فى الفقرة ٤ (ب) السالفة الذكر .

س ٤ (د) ـ هل تبقى أى قوات إسرائيلية فى أى جزء من الضفة الغربية وغزة بعد فترة السنوات الخمس الانتقالية ، وإذا ما كان الأمر كذلك ، فبأى حق يستمر وجود هذه القوات ، وما هو تبرير ذلك ؟

ج ـ يتعين أن تتناول المفاوضات الخاصة بتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، والتى تبدأ فى فترة لا تزيد على العام الثالث بعد بداية الفترة الانتقالية ، ترتيبات الأمن بعد فترة السنوات الخمس المرحلية فى الضفة الغربية وغزة ، بما فى ذلك مسألة احتمال بقاء قوات أمن إسرائيلية ، ومدة وجودها .

س ٤ (هـ) ـ ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه هذه المسائل ؟

ج ـ تعتقد الولايات المتحدة أن الاتفاق بشأن الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، ينبغى أن يلبى الأمانى المشروعة للشعب الفلسطينى ، وأن يوفر احتياجات الأمن الإسرائيلى ، ولن تعترض الولايات المتحدة ، فى حالة اتفاق الأطراف ، على أن ترابط فى الضفة الغربية وغزة ، أعداد محدودة من قوات أمن إسرائيلية ، فى أماكن معينة ، وأن يكون لها دور محدد ، باعتبارها عاملا فى توفير الأمن الإسرائيلى .

س ٥ ـ تحت أية سلطة إشرافية عليا ، ستعمل سلطة الحكم الذاتى خلال الفترة الانتقالية فى الضفة الغربية وغزة ؟ هل ستكون هذه السلطة ، هى الأمم المتحدة ، أو سلطة إشرافية دولية محايدة مماثلة ؟ وما هو مصدر تمويل احتياجات ميزانية سلطة الحكم الذاتى ؟ وما هى حدود سلطاتها ؟ ومن سيشكل الحدود على سلطاتها ؟

ج ـ يقضى إطار العمل بأن الأطراف ، أى مصر وإسرائيل والأردن ، إلى جانب الفلسطينيين

المشتركين في الوفدين المصرى والأردنى ، « سيتفاوضون حول اتفاقية لتحديد مسؤوليات سلطة الحكم الذاتى التى ستمارس فى الضفة الغربية وغزة » . ومن ثم ، فإن سلطة الحكم الذاتى تقام فى الفترة الانتقالية بمقتضى اتفاق دولى من جانب الأطراف الثلاثة . وستحدد الاتفاقية سلطات الحكم الذاتى ، وتوفر الاستقلال الذاتى الكامل للسكان .

ولا يوجد في إطار العمل ما يستبعد ، إذا ما اتفقت الأطراف ، تقرير تخويل سلطة إشرافية أو أى دور آخر للأمم المتحدة ، أو لسلطة دولية محايدة مماثلة ، أو تقرير عدم وجود سلطة إشرافية . وفضلا عن ذلك ، فإن ممثلى مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى ، سيشكلون خلال الفترة الانتقالية ، لجنة تعقد جلساتها باستمرار لمعالجة المسائل ذات الاهتمام المشترك . أما وسائل تمويل سلطة الحكم الذاتى فلم تناقش فى كامب ديفيد ، وهى متروكة لكى يتفق الأطراف بشأنها .

س ٦ (أ) - هل تمتد السلطة القضائية والتشريعية لسلطة الحكم الذاتى والتى أشارت الوثيقة إلى أنها ستقام فى الضفة الغربية وغزة ، إلى الجزء الواقع تحت الاحتلال الإسرائيلى فى الضفة الغربية ، وكذا إلى المناطق المحيطة بالضفة الغربية التى تضمها إسرائيل ، سواء بالنسبة للأراضى أو الأشخاص ؟

ج - كما أشرنا فيما سلف فإن مشكلة وضع القدس ، لم يتم حلها فى كامب ديفيد ، وأنه ينبغى تناولها فى مفاوضات تالية . كما أن الأسئلة المتعلقة بكيفية ارتباط السكان العرب فى القدس الشرقية بسلطة الحكم الذاتى ، من المطلوب تحديدها فى المفاوضات الخاصة بالترتيبات الانتقالية .

س ٦ (ب) - ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه هذه المسألة ؟

ج - إن الولايات المتحدة ستؤيد فى تلك المفاوضات ، المقترحات التى من شأنها السماح للسكان العرب فى القدس الشرقية الذين هم ليسوا مواطنين إسرائيليين ، بالاشتراك فى الانتخابات الخاصة بتشكيل سلطة الحكم الذاتى ، وفى عمل سلطة الحكم الذاتى نفسها . غير أنه من المرجح ألا يكون أمرا واقعيا أن نتوقع أن يمتد نطاق سلطة الحكم الذاتى إلى القدس الشرقية ، خلال الفترة الانتقالية . ومع ذلك ، لا ينبغى أن تؤثر هذه النتيجة على الوضع النهائى للقدس ، والذى يجب أن يتحدد خلال المفاوضات التى يتعين أن تبدأ فى وقت لا يتجاوز السنة الثالثة من بداية الفترة الانتقالية .

س ٧ (أ) - ماذا سيكون الوضع فى القدس العربية المحتلة عند نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية ؟

ج - إن وضع الضفة الغربية وقطاع غزة ، وعلاقتهما مع جيرانهما ، وكذلك السلام بين إسرائيل والأردن ، سيتم تحديدهما فى المفاوضات التى أشير إليها فى الفقرة أ - ١ - (جـ) من إطار العمل . وتعتقد الولايات المتحدة ، أن وضع هذا الجزء من القدس الذى احتلته إسرائيل عام ١٩٦٧ ، ينبغى إيجاد حل له خلال هذه المفاوضات(*) . ويتصور إطار العمل ، أن تشترك فى هذه المفاوضات ،

(*) يمكن إدراج الأحكام المتعلقة بالقدس فى الاتفاقات التى تنتهى إليها إحدى المفاوضات أو كلتاهما (هذه الحاشية واردة فى النص الأصلى) .

مصر وإسرائيل والأردن والممثلون المنتخبون لسكان الضفة الغربية وغزة .

س ٧ (ب) ـ ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه هذه المسألة ؟

ج ـ إن موقف الولايات المتحدة تجاه القدس ، قد ورد فى الفقرة ٤ (أ) السالفة الذكر . وينبغى ألا تؤثر الأحكام المسبقة على الأعمال التى تم القيام بها من جانب واحد فى القدس منذ حرب ١٩٦٧ على وضع القدس . وأيا كان الحل الذى يتم الاتفاق عليه ، فإنه ينبغى الحفاظ على القدس غير مقسمة ماديا . كما يجب أن يوفر هذا الحل ، حرية المرور للأماكن المقدسة لليهود والمسلمين والمسيحيين دون تمييز أو تفرقة بالنسبة لممارسة شعائر العبادة بحرية . كما ينبغى أن يؤكد الحل ، على الحقوق الأساسية لجميع المقيمين فى المدينة . كما يجب أن تكون الأماكن المقدسة لكل دين تحت السيطرة الكاملة لممثليه .

س ٨ (أ) ـ ماذا سيحدث للمستوطنات الإسرائيلية فى المناطق المحتلة خلال الفترة الانتقالية وبعدها ؟ وماذا سيحدث للعقارات المملوكة والمبانى التى تشيد فى هذه المناطق ، وماذا سيكون وضعها ؟

ج ـ إن إطار العمل لم يتناول وضع المستوطنات الإسرائيلية فى المناطق المحتلة ، ولا العقارات المملوكة أو المبانى التى تشيد فيها . وسيتم تحديد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى ، التى ستمارس الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وغزة ، خلال الفترة الانتقالية ، فى المعاهدة التى سيتم التفاوض بشأنها بين مصر وإسرائيل والأردن وفلسطينيين من الضفة الغربية وغزة ، أو فلسطينيين آخرين يشتركون ضمن الوفدين المصرى والأردنى ، وفقا لما نص عليه إطار العمل . وسيتم تناول مسألة المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية وغزة ، وعلاقاتها بسلطة الحكم الذاتى خلال الفترة الانتقالية ، أثناء سير المفاوضات . كما أن إطار العمل يقضى بإنشاء لجنة تعقد جلساتها باستمرار ، وتضم ممثلين من مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى . ويمكن لهذه اللجنة أن تتناول المسائل المعلقة ذات الاهتمام المشترك خلال الفترة الانتقالية ، وستطرح مسألة المستوطنات الإسرائيلية ووضعها بعد الفترة الانتقالية للمناقشة خلال المفاوضات الخاصة بتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، كما أشير إلى ذلك فى الفقرة أ ـ ١ ـ (جـ) .

س ٨ (ب) ـ ماذا سيكون التزام إسرائيل خلال الفترة القادمة ، وحتى نهاية الفترة الانتقالية بالنسبة لسياسة المستوطنات ؟

ج ـ إن موقف الولايات المتحدة ، هو أنه يتعين على إسرائيل أن تكف عن إقامة مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية فى الوقت الذى تجرى فيه المفاوضات بشأن إقامة سلطة الحكم الذاتى . وسوف تحدد هذه المفاوضات مسألة المستوطنات القائمة ، وكذا أى نشاط استيطانى جديد ، خلال الفترة الانتقالية .

س ٨ (جـ) ـ ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه المسألتين السابقتين ؟

ج ـ إن موقف الولايات المتحدة ، هو أن المستوطنات التى أقيمت خلال فترة الاحتلال العسكرى

تعد انتهاكا لمعاهدة جنيف الرابعة الخاصة بحماية الأفراد فى وقت الحرب . ومع ذلك ، فإنه فى ظل علاقات السلام ، فإن الأطراف الملتزمة بإقرار السلام يجب أن تحدد الحقوق المتبادلة للسكان ، بالنسبة لممارسة الأعمال ، والعمل ، والعيش ، وممارسة المعاملات التجارية الأخرى ، فى أراضى الطرف الآخر .

س ٩ (أ) . هل يحق للمواطنين الإسرائيليين الذين يقيمون فى الوقت الحاضر فى المستوطنات ، أن يشتركوا فى إقامة سلطة الحكم الذاتى وفى نشاطاته اللاحقة ؟

ج . لا يمكن للمواطنين الإسرائيليين الذين يقيمون فى المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة أن يشتركوا فى إقامة سلطة الحكم الذاتى إلا باعتبارهم أعضاء فى وفد التفاوض الإسرائيلى . ولا يوجد أى بند ينص على اشتراكهم بصفة منفصلة . وأن اشتراكهم فى سلطة الحكم الذاتى ، إذا ما حدث ، يجب أن يتم تحديده فى المفاوضات الخاصة بالنظام الانتقالى .

س ٩ (ب) . ماذا سيكون عليه وضع المواطنين الإسرائيليين الذين يقيمون فى الضفة الغربية وغزة ، خلال الفترة الانتقالية ، وهل سيكون هناك إسرائيليون ؟ وإذا ما كان الأمر كذلك ، فماذا سيكون وضعهم بعد نهاية الفترة الانتقالية ؟

ج . ستتناول المفاوضات التى ستجرى بمقتضى الفقرة أ . ١ . (ب) ، والخاصة بتحديد سلطات ومسؤوليات سلطة الحكم الذاتى ، وضع المستوطنات الإسرائيلية فى الضفة الغربية وغزة ، وبناء عليه ، وضع المواطنين الإسرائيليين المقيمين فيها . ومهما يكن العدد الذي قد يبقى بعد الفترة الانتقالية وأوضاعهم ، فإن ذلك سيتم الاتفاق عليه خلال المفاوضات الخاصة بتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، تبعا للفقرة أ . ١ . (جـ) .

س ١٠ (أ) . هل يمارس سكان الضفة الغربية وغزة ، فى نهاية فترة السنوات الخمس الانتقالية بحرية ، حق تقرير المصير من أجل تحديد مستقبلهم السياسى ؟

ج . يقضى إطار العمل بأن يشترك الممثلون المنتخبون لسكان الضفة الغربية وغزة ، اشتراكا كاملا فى المفاوضات التى تحدد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة . كما يقضى إطار العمل بأن الحل الذى يتم التوصل إليه خلال المفاوضات ينبغى أن يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة . ويعتبر القبول الواسع النطاق لنتائج هذه العملية فى مصلحة كافة الأطراف ، ويتصل اتصالا مباشرا بأن تتم العملية فى حرية . وفى هذا الصدد ، وفى الوقت الذى يتم فيه تنفيذ العملية التى وصفناها فيما سلف ، فإن قوة بوليس محلية قوية ستكون موجودة ، وتكون مسؤولة أمام سلطة الحكم الذاتى ، لضمان عدم وجود أى تدخل فى العملية السياسية ، ولضمان هذه الحقوق .

س ١٠ (ب) . ما هو موقف الولايات المتحدة تجاه هذه المسألة ؟

ج . إن الولايات المتحدة تؤيد حق الفلسطينيين فى الاشتراك فى تحديد مستقبلهم ، وتعتقد أن إطار العمل يقضى باشتراكهم هذا فى كافة الخطوات الهامة المتعلقة بتحديد مستقبل الضفة الغربية وغزة .

وتعتقد الولايات المتحدة ، أن الفقرة أ - ١ - (جـ) (٢) ، لا تستبعد إجراء الانتخابات من جانب سكان الضفة الغربية وغزة ، بعد التوصل إلى اتفاق حول الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة ، من أجل الغرض الذى تم الإعراب عنه ، والخاص بانتخاب ممثلين تطرح عليهم الاتفاقية للتصويت عليها .

س ١١ (أ) - ما هو الحل الذى يتصوره إطار العمل بالنسبة لمشكلة الفلسطينيين الذين يعيشون خارج الأراضى المحتلة كلاجئين ، وبالنسبة لاستعادة حقوقهم ؟

ج - تقضى الفقرة أ - ٤ - من إطار العمل ، بأن مصر وإسرائيل ، سيعملان مع بعضهما بعضا ، ومع الأطراف المعنية الأخرى ، للاتفاق على قرار بشأن حل مشكلة اللاجئين . وينبغى تنفيذ الإجراءات التى يتفق عليها على نحو عاجل وعادل ودائم .

وتقضى الفقرة أ - ٣ - من إطار العمل ، بإقامة لجنة تعقد جلساتها باستمرار ، لتقرير الترتيبات الخاصة بعودة الأشخاص الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة فى ١٩٦٧ إليهما .

وبالإضافة إلى ذلك ، وبما أن المؤسسات السياسية للحكم الذاتى تأخذ شكلها فى الضفة الغربية وغزة ، من خلال المفاوضات بين الأطراف ، فإن العلاقة بين تلك المؤسسات والفلسطينيين الذين يعيشون خارج المنطقة ، سيتم تناولها .

س ١١ (ب) - ما الذى تعتبره الولايات المتحدة أساسا لحل هذه المشكلة ؟ وكيف تحدد هذه الحقوق ؟

ج - تعتقد الولايات المتحدة ، أن الحل الخاص بمشكلة اللاجئين ، يجب أن يعكس قرارات الأمم المتحدة القابلة للتطبيق . ويتعين على أى برنامج لتنفيذ هذه القرارات أن يوفر لهؤلاء اللاجئين الذين يعيشون خارج الضفة الغربية وغزة الخيار وفرصة الإقامة بصورة دائمة ، فى إطار الحقائق والظروف الراهنة .

س ١٢ - ما هو تصور إتفاق إطار العمل بالنسبة لمستقبل بقية الأراضى العربية المحتلة ؟ وما هو موقف حكومة الولايات المتحدة تجاه هذه المسألة ؟

ج - ينص إطار العمل ، على أن الهدف منه ، إقامة أسس سلام بين إسرائيل وكل من جيرانها الآخرين ، كما ينص على أن الهدف هو إقرار السلام الدائم والشامل والعادل ، وأن أية مفاوضات ينبغى أن تنفذ كل بنود ومبادىء قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ . وتنص الفقرة ج - ١ - بصفة خاصة على أنه ينبغى تطبيق مبادىء إطار العمل على المعاهدات بين إسرائيل والأردن وسوريا ولبنان ، بالإضافة إلى مصر . وفيما يتعلق بالضفة الغربية ، بصفة خاصة ، فإن الفقرة أ - ١ - (جـ) تقضى بإجراء مفاوضات على أساس كافة بنود ومبادىء القرار ٢٤٢ والتى تحدد ، ضمن مسائل أخرى ، موقع الحدود . وأن الولايات المتحدة مستمرة فى تأييد إقرار سلام شامل لكل جيران إسرائيل . وفيما يتصل باحتمال إجراء مفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية

بين إسرائيل وسوريا ، فإن الولايات المتحدة ، ستؤيد تطبيق كافة مبادىء وبنود القرار ٢٤٢ بالنسبة لهذه التسوية .

س ١٣ - بالنسبة لتعريف متطلبات الأمن فى المنطقة ، هل توافق حكومة الولايات المتحدة ، على مبدأ المعاملة بالمثل تجاه هذه المتطلبات ، أم أن حكومة الولايات المتحدة ترى تطبيقها من جانب واحد فقط ؟

ج - إن الولايات المتحدة ، تقر إقرارا كاملا مبدأ المعاملة بالمثل ، بالنسبة لمتطلبات الأمن ، فى إطار مفاوضات الشرق الأوسط . وتشير ديباجة إطار العمل ، بصفة خاصة ، إلى المعاملة بالمثل ، باعتبارها الأساس الذى يمكن أن يتفق بشأنه الأطراف بالنسبة لترتيبات الأمن الخاصة . كما يشير إطار الاتفاق ، إلى اهتمامات الأمن لدى كافة الأطراف ، وأمن إسرائيل وجيرانها .

س ١٤ - حيث إن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قد تقرر أن يكون أساس أية مفاوضات خاصة بالتسوية فى الضفة الغربية وغزة وغيرهما من جوانب النزاع ، ماذا ستفعل الولايات المتحدة ، فى حال تضارب التفسيرات بين الأطراف المتفاوضة ، وخاصة على ضوء التفسيرات السابقة للحكومة الأمريكية للقرار رقم ٢٤٢ والالتزامات المترتبة عليها ، والتى كانت أساس قبول الأردن للقرار السالف الذكر ؟

ج - إن الولايات المتحدة ، ستلتزم أولا بتفسيرها الثابت للقرار ٢٤٢ ، وخاصة تفسيرها بأن بند الانسحاب فى هذا القرار ينطبق على جميع الجبهات . وفى حالة ظهور تفسيرات متضاربة بين الأطراف المتفاوضة ، فإن الولايات المتحدة ، ستسعى ، مثلما فعلت أثناء المفاوضات المكثفة فى كامب ديفيد ، إلى تحقيق اتفاق الآراء بين الأطراف . كما ستعلن تفسيرها للوصول إلى حل للنزاع . ولايزال تفسير الولايات المتحدة للقرار ، هو التفسير الذى أعلنته منذ ١٩٦٧ .

الملحق « ز »

■ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية ، ٢٦ مارس ١٩٧٩

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل

إن حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل ؛

الديباجة

اقتناعا منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم فى الشرق الأوسط وفقا لقرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ؛ .

إذ تؤكدان من جديد التزامهما بإطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد المؤرخ فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ ؛

وإذ نلاحظان أن الإطار إليه إنما قصد به أن يكون أساسا للسلام ، ليس بين مصر وإسرائيل فحسب بل أيضا بين إسرائيل وأى من جيرانها العرب ، كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس ؛

ورغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب بينهما وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة فى المنطقة أن تعيش فى أمن ؛

واقتناعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل يعتبر خطوة هامة فى طريق السلام الشامل فى المنطقة والوصل إلى تسوية للنزاع العربى الإسرائيلى بكافة نواحيه ؛

وإذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى فى النزاع إلى الاشتراك فى عملية السلام مع إسرائيل على أساس مبادىء إطار العمل المشار إليها آنفا واسترشادا بها ؛

وإذ ترغبان أيضا فى إنماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولى التى تحكم العلاقات الدولية فى وقت السلم ؛

قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستهما الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الإطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل :

المادة الأولى

١ - تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ، ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة .

٢ - تسحب إسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء .

٣ - عند إتمام الانسحاب المرحلي المنصوص عليه في الملحق الأول ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة ٣) .

المادة الثانية

إن الحدود الدائمة بين مصر وإسرائيل ، هي الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة في الملحق الثاني ، وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة . ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ، ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر بما في ذلك مياهه الإقليمية ومجاله الجوي .

المادة الثالثة

١ - يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادىء القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في وقت السلم ، وبصفة خاصة :

(أ) يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيه واستقلاله السياسي ؛

(ب) يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر في أن يعيش في سلام داخل حدوده الآمنة والمعترف بها ؛

(جـ) يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها أحدهما ضد الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر ، وبحل كافة المنازعات التي تنشأ بينهما وبالوسائل السلمية .

٢ - يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها من داخل أراضيه أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرته أو مرابطة على أراضيه ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر ، كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان . كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

٣ - يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل

والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحواجز ذات الطابع التمييزى المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع ، كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطنى الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائى بكافة الضمانات القانونية ، ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التى يتعهد الطرفان بمقتضاها بالتوصل إلى إقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازى مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة .

المادة الرابعة

١ - بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين ، وذلك على أساس التبادل ، تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما فى ذلك مناطق محدودة التسليح فى الأراضى المصرية والإسرائيلية ، وقوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة ، وهذه الترتيبات موضحة تفصيلا من حيث الطبيعة والتوقيت فى الملحق الأول ، وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يتفق عليها الطرفان .
٢ - يتفق الطرفان على تمركز أفراد الأمم المتحدة فى المناطق الموضحة بالملحق الأول ، ويتفق الطرفان على ألا يطلبا سحب هؤلاء الأفراد ، وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم إلا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، بما فى ذلك التصويت الإيجابى للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس ، وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك .
٣ - تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقا لما هو منصوص عليه فى الملحق الأول .
٤ - يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر فى ترتيبات الأمن المنصوص عليها فى الفقرتين ١ ، ٢ من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين .

المادة الخامسة

١ - تتمتع السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها بحق المرور الحر فى قناة السويس ومداخلها فى كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا إسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها معاملة لا تتسم بالتمييز فى كافة الشؤون المتعلقة باستخدام القناة .
٢ - يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوى . كما يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من وإلى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

المادة السادسة

١ - لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أى نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة .

٢ – يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر ، وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة .

٣ – كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكى تنطبق فى علاقاتهما أحكام الاتفاقيات المتعددة الأطراف التى يكونان من أطرافها ، بما فى ذلك تقديم الإخطار المناسب للأمين العام للأمم المتحدة وجهات الإيداع الأخرى لمثل هذه الاتفاقيات .

٤ – يتعهد الطرفان بعدم الدخول فى أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة .

٥ – مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة ، يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتهما الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة .

المادة السابعة

١ – تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة .

٢ – إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم .

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على إنشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية .

المادة التاسعة

١ – تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها .

٢ – تحل هذه المعاهدة محل الاتفاق المعقود بين مصر وإسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ .

٣ – تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .

٤ – يتم إخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقا لأحكام المادة ١٠٢ من ميثاق الأمم المتحدة .

حررت فى واشنطن دى . سى ، فى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ م ، ٢٧ ربيع الثانى سنة ١٣٩٩ هـ ، من ثلاث نسخ باللغات العربية والعبرية والإنجليزية . وتعتبر جميعها متساوية الحجية ، وفى حالة الخلاف فى التفسير فيكون النص الإنجليزى هو الذى يعتد به .

عن حكومة
جمهورية مصر العربية
(توقيع) **محمد أنور السادات**

عن حكومة
إسرائيل
(توقيع) **مناحم بيجين**

شهد التوقيع
جيمى كارتر
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

محضر متفق عليه للمواد الأولى والرابعة والخامسة والسادسة وللملحقين الأول والثالث لمعاهدة السلام

المادة الأولى

إن استئناف مصر لممارسة السيادة الكاملة على سيناء المنصوص عليها فى الفقرة الثانية من المادة الأولى يتم بالنسبة لكل منطقة بمجرد انسحاب إسرائيل من هذه المنطقة .

المادة الرابعة

من المتفق عليه بين الأطراف أن تتم إعادة النظر المنصوص عليها فى المادة ٤ فقرة (٤) عندما يطلب ذلك أحد الأطراف ، وعلى أن تبدأ فى خلال ثلاثة أشهر من طلبها ولكن لا يجرى أى تعديل إلا باتفاق كلا الطرفين .

المادة الخامسة

لا يجوز تفسير الجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة على أنها تنقص مما جاء بالجملة الأولى من تلك الفقرة ، ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لما جاء بالجملة الثانية من الفقرة الثانية من المادة الخامسة التى تقضى بما يلى :

« يحترم الطرفان حق كل منهما فى الملاحة والعبور الجوى من وإلى أراضيه عبر مضيق تيران وخليج العقبة » .

المادة السادسة

(فقــرة ٢)

لا تفسر أحكام المادة السادسة بما يخالف أحكام إطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالف لأحكام المادة السادسة (فقرة٢) من المعاهدة التى تقضى بما يلى :

« يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أى فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أى وثيقة خارج هذه المعاهدة » .

المادة السادسة

(فقــرة ٥)

من المتفق عليه بين الأطراف أنه لا توجد أى دعاوى بأن لهذه المعاهدة أولوية على المعاهدات والاتفاقات الأخرى ، أو للمعاهدات والاتفاقات الأخرى أولوية على هذه المعاهدة .

ولا يفسر ما تقدم على أنه مخالفة لأحكام المادة السادسة (فقرة ٥) من هذه المعاهدة التى تنص على ما يلى :

« مع مراعاة المادة ١٠٣ من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه فى حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتهما الأخرى ، فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافذة » .

الملحق الأول

تقضى المادة السادسة (فقرة ٨) من الملحق الأول بما يلى :

« يتفق الطرفان على الدول التى تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة ، ويتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة » .

وقد اتفق الطرفان على ما يلى :

« فى حالة عدم الوصول إلى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فإنهما يتعهدان بقبول أو تأييد ما تقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين » .

الملحق الثالث

تنص معاهدة السلام والملحق الثالث لها على إقامة علاقات اقتصادية طبيعية بين الأطراف ، ووفقا لهذا فقد اتفق على أن هذه العلاقات سوف تشمل مبيعات تجارية عادية من البترول من مصر إلى إسرائيل ، وأن يكون من حق إسرائيل الكامل التقدم بعطاءات لشراء البترول المصرى الأصل والذى لا تحتاجه مصر لاستهلاكها المحلى ، وأن تنظر مصر والشركات التى لها حق استثمار بترولها فى العطاءات المقدمة من إسرائيل على نفس الأسس والشروط المطبقة على مقدمى العطاءات الآخرين لهذا البترول .

عن حكومة جمهورية مصر العربية
(توقيع) **محمد أنور السادات**

عن حكومة إسرائيل
(توقيع) **مناحم بيجين**

شهد التوقيع : **جيمى كارتر**
رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

رسالة من مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل ومن الرئيس المصرى أنور السادات

إلى الرئيس جيمى كارتر ، ٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس :

يؤكد هذا الخطاب أن كلا من مصر وإسرائيل قد اتفقتا على ما يلى :

تستذكر حكومتا مصر وإسرائيل أنهما قد اتفقتا فى كامب ديفيد ووقعتا فى البيت الأبيض يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الوثائق المرفقة والمعنونة « إطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب ديفيد » و « إطار لعقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل » .

وبغية التوصل إلى تسوية سلمية شاملة - وفقا للإطارين المشار إليهما آنفا - تشرع مصر وإسرائيل فى تنفيذ النصوص المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . وقد اتفقتا على بدء المفاوضات خلال شهر من تبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام . ووفقا « لإطار السلام فى الشرق الأوسط » فإن المملكة الأردنية الهاشمية مدعوة للاشتراك فى المفاوضات . ولكل من وفدى مصر والأردن أن يضم فلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة أو فلسطينيين آخرين باتفاق مشترك .

وهدف المفاوضات هو الاتفاق قبل إجراء الانتخابات على الترتيبات الخاصة بإقامة سلطة الحكم الذاتى المنتخبة (المجلس الإدارى) ، وتحديد سلطاتها ومسؤولياتها ، والاتفاق على ما يرتبط بذلك من مسائل أخرى . وفى حالة إذا ما قرر الأردن عدم الاشتراك فى المفاوضات فستجرى المفاوضات بين مصر وإسرائيل .

وتتفق الحكومتان على أن تتفاوضا - بصفة مستمرة وبحسن نية - من أجل الانتهاء من هذه المفاوضات فى أقرب تاريخ ممكن . كما تتفق الحكومتان على أن الغرض من المفاوضات هو إقامة سلطة الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة من أجل تحقيق الحكم الذاتى الكامل للسكان .

ولقد حددت مصر وإسرائيل لنفسيهما هدفا للانتهاء من المفاوضات خلال عام واحد بحيث يتم إجراء الانتخابات بأسرع ما يمكن بعد أن يكون الأطراف قد توصلوا إلى اتفاق . وتنشأ سلطة الحكم الذاتى المشار إليها فى « إطار السلام فى الشرق الأوسط » وتبدأ عملها خلال شهر من انتخابها ، واعتبارا من هذا التاريخ تبدأ فترة الخمس سنوات الانتقالية ، ويتم سحب الحكومة العسكرية الإسرائيلية وإدارتها المدنية لتحل سلطة الحكم الذاتى محلها كما هو منصوص عليه فى « إطار السلام فى الشرق الأوسط » ، وحينئذ يتم انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة وإعادة توزيع القوات الإسرائيلية المتبقية فى مواقع أمن محددة .

ويؤكد هذا الخطاب أيضا مفهومنا بأن حكومة الولايات المتحدة ستشترك اشتراكا كاملا فى كافة مراحل المفاوضات .

مع خالص التحية ،

عن حكومة جمهورية مصر العربية	عن حكومة إسرائيل
محمد أنور السادات	**مناحم بيجين**

ملحوظة : لدى تلقيه الخطاب المشترك الموجه إليه من الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجين ، أضاف الرئيس كارتر إلى النسختين الأمريكية والإسرائيلية الملاحظة التالية :

« لقد تمت إفادتى بأن تعبير « الضفة الغربية » تفهمه حكومة إسرائيل على أنه يعنى « يهودا والسامرا » . »

هذه الملاحظة تتفق مع إجراءات مماثلة تقررت فى كامب ديفيد(*) .

رسالة من الرئيس أنور السادات إلى الرئيس جيمى كارتر ،

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس :

استجابة لطلبكم ، أستطيع أن أؤكد أن مصر ، فى غضون شهر واحد بعد استكمال الانسحاب الإسرائيلى إلى الخط المرحلى المنصوص عليه فى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، ستوفد سفيرا مقيما إلى إسرائيل وستستقبل سفيرا إسرائيليا مقيما لدى مصر .

المخلص ،

محمد أنور السادات

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين ،

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد رئيس الوزراء :

تلقيت خطابا من الرئيس السادات بأن مصر ، فى غضون شهر واحد بعد استكمال إسرائيل انسحابها إلى الخط المرحلى فى سيناء والمنصوص عليه فى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، ستوفد سفيرا مقيما إلى إسرائيل وستستقبل فى مصر سفيرا إسرائيليا مقيما .

وأكون ممتنا إذا أكدتم أن هذا الإجراء مقبول لحكومة إسرائيل .

المخلص ،

جيمى كارتر

(*) **مذكرة تفسيرية مع الوثائق الأصلية .**

رسالة من رئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجين إلى الرئيس جيمى كارتر ،

٢٦ مارس ١٩٧٩

عزيزى السيد الرئيس :

يسعدنى أن أؤكد أن حكومة إسرائيل توافق على الإجراء الوارد فى خطابكم المؤرخ ٢٦ مارس ١٩٧٩ الذى قلتم فيه :

« تلقيت خطابا من الرئيس السادات بأن مصر ، فى غضون شهر واحد بعد استكمال إسرائيل انسحابها إلى الخط المرحلى فى سيناء والمنصوص عليه فى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ستوفد سفيرا مقيما إلى إسرائيل وستستقبل فى مصر سفيرا إسرائيليا مقيما .

المخلص ،

مناحم بيجين

رسالة من الرئيس جيمى كارتر إلى الرئيس المصرى أنور السادات

ورئيس وزراء إسرائيل مناحم بيجين ، ٢٦ مارس ١٩٧٩(*)

عزيزى السيد الرئيس : [رئيس الوزراء] :

أود أن أؤكد لكم أنه رهنا بالإجراءات الدستورية للولايات المتحدة :

أن الولايات المتحدة ستقوم ، فى حالة الخرق الفعلى أو التهديد بخرق معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، وبطلب من أحد الطرفين أو من الطرفين معا ، بالتشاور مع الطرفين فى هذا الخصوص ، وستقوم بأى عمل آخر وفق ما تراه ملائما ومفيدا لتحقيق الالتزام بالمعاهدة .

وستقوم الولايات المتحدة بأعمال الرقابة الجوية وفقا لما طالب به الجانبان وتبعا للملحق الأول للمعاهدة .

وتعتقد الولايات المتحدة أن النص الوارد فى المعاهدة بوضع أفراد تابعين للأمم المتحدة فى المنطقة المقررة ذات القوات المحدودة ، يمكن وينبغى تطبيقه من جانب مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة . وستبذل الولايات المتحدة قصارى جهدها لتأمين العمل اللازم من جانب مجلس الأمن . وفى حالة عدم قيام مجلس الأمن بإنشاء واستمرار الترتيبات المنصوص عليها فى المعاهدة ، فإن الرئيس سيكون مستعدا لاتخاذ الخطوات اللازمة لضمان إنشاء واستمرار وجود قوة متعددة الجنسيات كبديل مقبول .

المخلص ،

جيمى كارتر

(*) أرسل خطابان منفصلان بذات النص إلى كل من الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيجين .

الملحق « ح »

■ خطاب الرئيس رونالد ريجان ونقاط المحادثات ، أول سبتمبر ١٩٨٢(*)

نص خطاب الرئيس ريجان ، أذيع بالتليفزيون من المكتب البيضاوى

بنى وطنى الأمريكيين ، كان اليوم ، يوما يدعونا جميعا إلى الفخر ، لأنه سجل نهاية جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت ، لبنان بنجاح . وما كان لهذه الخطوة السلمية أن تتحقق على الإطلاق لولا المساعى الحميدة للولايات المتحدة ، وعلى الأخص العمل البطولى بالفعل الذى قام به الدبلوماسى الأمريكى الكبير السفير فيليب حبيب . فبفضل جهوده ، يسرنى أن أعلن أن فرقة مشاة البحرية الأمريكية التى ساعدت فى الإشراف على عملية الجلاء قد أنجزت مهمتها . ويتعين بعد ذلك أن يغادر شبابنا لبنان فى غضون أسبوعين . وقد أدى هؤلاء الشبان أيضا خدمة لقضية السلام بجدارة وبشكل يدعونا جميعا إلى الاعتزاز بهم .

إلا أن الوضع فى لبنان ليس سوى جزء من المشكلة الشاملة لنزاع الشرق الأوسط . ومع أن الأحداث فى بيروت قد هيمنت على الصفحات الأولى فى وسائل الإعلام خلال الأسبوعين الماضيين ، فقد تمكنت الولايات المتحدة بهدوء وخلف الستار من بذل مجهود يرمى إلى وضع أساس لسلام أشمل فى المنطقة . ولم يحدث فى هذه المرة تسرب للأنباء قبل الأوان فيما كانت البعثات الدبلوماسية الأمريكية تجوب عواصم الشرق الأوسط ، واجتمعت هنا بطائفة واسعة من الخبراء لوضع أساس مبادرة سلام أمريكية لشعوب الشرق الأوسط التى تعانى منذ زمن طويل ، أى الشعوب العربية والشعب الإسرائيلى على السواء .

لقد ثبت لى بالاتفاق الذى تم التوصل إليه فى لبنان أن لدينا فرصة لبذل مجهود سلمى بعيد الأثر فى المنطقة ، ولقد صممت على انتهاز هذه الفرصة . وكما جاء فى كلمات الكتاب المقدس ، فإن الوقت قد حان « للسعى وراء الأشياء التى تحقق السلام » .

(*) ورد نص الخطاب فى النيويورك تايمز ، ٢ سبتمبر ١٩٨٢ . وقد صحبت نقاط المحادثات رسالة بعث بها الرئيس ريجان إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل . وقد قدمت نفس النقاط للحكومات العربية . انظر النيويورك تايمز ، ٩ سبتمبر ١٩٨٢ .

وبودى الليلة أن أطلعكم على الخطوات التى اتخذناها والاحتمالات التى يمكن أن تتيحها للتوصل إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط . إن أمريكا ملتزمة منذ أمد بعيد بإحلال السلام فى هذه المنطقة المضطربة . وقد سعت الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ أكثر من جيل إلى تطوير عملية عادلة وقابلة للتطبيق يمكن أن تؤدى إلى سلام حقيقى ودائم ، بين العرب والإسرائيليين . إن دورنا فى البحث عن إحلال السلام فى الشرق الأوسط ليس مسألة تتعلق بالتفضيلات ، وإنما هو واجب أخلاقى حتمى . ذلك أن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط بالنسبة للولايات المتحدة معروفة تماما .

إلا أن الدافع وراء سياستنا يتعدى المصالح الاستراتيجية . إذ أن لدينا أيضا التزاما لا رجوع فيه إزاء بقاء ووحدة أراضى دول صديقة . كما أنه ليس بوسعنا أن نتجاهل حقيقة أن ازدهار الجزء الأكبر من الاقتصاد العالمى مرتبط باستقرار منطقة الشرق الأوسط التى تمزقها النزاعات . وأخيرا ، فإن اهتماماتنا الإنسانية التقليدية تملى علينا ضرورة مواصلة الجهود لحل النزاعات بصورة سلمية .

وعندما تولت حكومتنا مقاليد السلطة فى شهر يناير عام ١٩٨١ قررت أن يتبع الإطار العام لسياستنا فى الشرق الأوسط الخطوط العريضة التى وضعها أسلافى .

كان من الضرورى معالجة قضيتين رئيسيتين . الأولى ، التهديد الاستراتيجى للمنطقة الذى يمثله الاتحاد السوفيتى والدول العميلة له ، والذى اتضح على خير وجه فى الحرب الوحشية فى أفغانستان . والثانية ، عملية السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب . وفيما يتعلق بالتهديد السوفيتى ، فقد قمنا بدعم جهودنا بهدف تطوير سياسة مشتركة مع أصدقائنا وحلفائنا لردع السوفيت وعملائهم عن القيام بمزيد من التوسع فى المنطقة ، والتصدى له إذا لزم الأمر . وفيما يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى ، تبنينا إطار كامب ديفيد بصفته السبيل الوحيد للتقدم للأمام . غير أننا أدركنا أيضا أن حل النزاع العربى الإسرائيلى ذاته وفى حد ذاته لا يمكن أن يضمن تحقيق سلام فى أرجاء منطقة شاسعة ومليئة بالاضطرابات مثل الشرق الأوسط .

وكان هدفنا الأول بموجب عملية كامب ديفيد هو ضمان التطبيق الناجح لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية . وقد تحقق هذا بعودة سيناء إلى مصر بطريقة سلمية فى شهر أبريل من عام ١٩٨٢ . وحتى نحقق هذا الهدف ، بذلنا جهودا شاقة مع أصدقائنا المصريين والإسرائيليين ، وأخيرا مع بلدان أخرى صديقة من أجل إنشاء قوة متعددة الجنسيات تمارس الآن مهامها فى سيناء .

وخلال هذه الفترة من المفاوضات الصعبة والتى استهلكت وقتا طويلا ، لم تغب عن بصرنا أبدا الخطوة التالية فى كامب ديفيد ، وهى محادثات الحكم الذاتى لتمهيد السبيل على نحو يسمح للشعب الفلسطينى بممارسة حقوقه المشروعة . غير أنه بسبب حادث الاغتيال المفجع للرئيس السادات والأزمات الأخرى فى المنطقة ، لم نستطع بذل جهد رئيسى لاستئناف تلك المحادثات حتى يناير عام ١٩٨٢ . لقد قام وزير الخارجية هيج والسفير فيربانكس بثلاث زيارات لإسرائيل ومصر فى مطلع هذا العام لمتابعة محادثات الحكم الذاتى . وقد تحقق تقدم كبير فيما يتعلق بتطوير المخطط الرئيسى للنهج الأمريكى الذى كان سيعرض على مصر وإسرائيل بعد شهر أبريل .

إن استكمال انسحاب إسرائيل من سيناء بنجاح ، والشجاعة التى أبداها فى هذه المناسبة كل من رئيس الوزراء بيجين والرئيس مبارك بالارتفاع إلى مستوى الالتزام بما بينهما من اتفاقات ، أقنعانى أن الوقت قد حان لبدء سياسة أمريكية جديدة تستهدف محاولة تخطى الخلافات المتبقية بين مصر وإسرائيل بشأن عملية الحكم الذاتى . ولذلك فقد دعوت فى شهر مايو إلى اتخاذ إجراءات محددة ووضع جدول زمنى محدد للمشاورات مع حكومتى مصر وإسرائيل بشأن الخطوات التالية فى عملية السلام . غير أنه قبل الانطلاق فى هذا الجهد الجديد ، أدى الصراع فى لبنان إلى إجهاض جهودنا . وتجمدت محادثات الحكم الذاتى أساسا فى الوقت الذى كنا نسعى فيه إلى فك الاشتباك بين الأطراف وإسكات مدافع الحرب .

إن الحرب فى لبنان بكل ما فيها من مآس قد أتاحت لنا فرصة جديدة لإحلال السلام فى الشرق الأوسط . وعلينا أن نغتنم هذه الفرصة الآن ونحقق السلام فى تلك المنطقة التى تعانى من الاضطرابات ، والتى تمثل أهمية حيوية لاستقرار العالم حيث لا يزال الوقت متاحا لذلك . وبهذا الإيمان القوى ، أصدرت تعليمات منذ أكثر من شهر ، قبل إتمام المفاوضات الحالية فى بيروت ، إلى وزير الخارجية شولتز ليجرى استعراضا جديدا لسياستنا ، ويجرى المشاورات مع طائفة واسعة النطاق من الأمريكيين البارزين حول أفضل الطرق لتعزيز فرص السلام فى الشرق الأوسط . ولقد تشاورنا مع الكثيرين من المسؤولين الذين كان لهم دور فى العملية من الناحية التاريخية ، ومع أعضاء فى الكونجرس ، ومع أفراد من القطاع الخاص ، كما أجريت مشاورات موسعة مع مستشاريى حول المبادىء التى سوف أحددها لكم الليلة .

لقد اكتمل الآن جلاء منظمة التحرير الفلسطينية عن بيروت . ونستطيع الآن مساعدة اللبنانيين على إعادة تعمير بلادهم التى مزقتها الحرب . وعلينا واجب إزاء أنفسنا وتجاه ذريتنا من بعدنا أن نتحرك بسرعة لتعزيز هذا الإنجاز والبناء إنطلاقا منه . إن وجود لبنان الذى يتمتع بالاستقرار والازدهار من جديد أمر ضرورى لتحقيق كل آمالنا فى السلام فى المنطقة . إن شعب لبنان يستحق من المجتمع الدولى بذل أفضل الجهود لتحويل ذلك الكابوس الذى جثم على أنفاسه خلال السنوات العديدة الماضية إلى فجر جديد من الأمل .

غير أن فرص إحلال السلام فى الشرق الأوسط لا تبدأ وتنتهى فى لبنان . فبينما نساعد لبنان على إعادة بناء نفسه ، علينا أيضا أن نتحرك نحو معالجة أسباب النزاع بين العرب ، والإسرائيليين من جذورها . لقد أظهرت الحرب فى لبنان أشياء عديدة ، غير أن اثنتين من النتائج لهما أهمية كبرى بالنسبة لعملية السلام :

أولا ، إن الخسائر العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تقض على تطلع الشعب الفلسطينى إلى حل عادل لمطالبه .

ثانيا ، إنه فى حين أن النجاحات العسكرية الإسرائيلية فى لبنان أظهرت أن القوات المسلحة الإسرائيلية لا تضاهيها قوة فى المنطقة ، فإنه لا يمكن لهذه القوة وحدها أن تحقق السلام الدائم والعادل لإسرائيل وجيرانها .

وتتلخص المسألة الآن فى كيفية التوفيق بين المطالب الأمنية المشروعة لإسرائيل ، وبين الحقوق المشروعة للفلسطينيين . ولن تتم الإجابة على هذا السؤال ، إلا على مائدة المفاوضات . فعلى كل طرف أن يسلم بضرورة أن تكون النتائج مقبولة للجميع وأن السلام الحقيقى سيتطلب حلولا وسطا من الجميع .

لذلك فإننى الليلة أدعو إلى بداية جديدة . فهذه هى اللحظة المناسبة لتقوم كل الأطراف المعنية للمشاركة فى وضع أساس عملى للسلام أو لدعمه . إن اتفاقات كامب ديفيد مازالت تشكل أساس سياستنا . فلغتها توفر لكافة الأطراف المهلة التى تحتاج إليها للمفاوضات الناجحة .

وإننى أدعو إسرائيل أن توضح أن الأمن الذى تتطلع إليه لا يمكن تحقيقه إلا من خلال سلام حقيقى ، سلام يتطلب شهامة وبعد نظر وشجاعة .

وأدعو الشعب الفلسطيني إلى التسليم بأن تطلعاته السياسية مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بالاعتراف بحق إسرائيل فى مستقبل آمن .

وأدعو الدول العربية إلى قبول إسرائيل كحقيقة واقعة ، وحقيقة أن السلام والعدل لا يمكن تحقيقهما إلا عن طريق المفاوضات الشاقة والمباشرة والمنصفة .

وإننى أعترف وأنا أوجه هذه الدعوات للآخرين بأن على الولايات المتحدة مسؤولية خاصة ، فلا توجد أمة غيرها فى وضع يمكنها من التعامل مع الأطراف الرئيسية للنزاع على أساس من الثقة والاطمئنان .

لقد حان الوقت لتتحلى جميع شعوب الشرق الأوسط بنزعة واقعية جديدة ، فدولة إسرائيل حقيقة راسخة ، تستحق شرعية لا نزاع فيها داخل المجتمع الدولى . غير أنه لم يعترف بشرعية إسرائيل حتى الآن سوى عدد قليل من البلدان ، كما أن جميع الدول العربية ما عدا مصر أنكرت هذه الشرعية . إن إسرائيل موجودة ، ولها الحق فى الوجود فى سلام وراء حدود آمنة يمكن الدفاع عنها ، ولها الحق فى مطالبة جاراتها بالاعتراف بهذه الحقائق .

لقد تابعت شخصيا وأيدت كفاح إسرائيل البطولى من أجل البقاء منذ تأسيس دولة إسرائيل قبل ٣٤ سنة . لقد كان عرض إسرائيل عند أضيق نقاطها لا يتعدى العشرة أميال فى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ . وكانت أغلبية سكان إسرائيل تعيش على مرمى مدفعية الجيوش العربية المعادية . إننى لن أطلب من إسرائيل أن تعيش بتلك الطريقة مرة أخرى .

لقد أظهرت الحرب فى لبنان واقعا آخر فى المنطقة . فقد عبر رحيل الفلسطينيين عن بيروت ، أكثر من أى وقت مضى ، عن مأساة تشرد الشعب الفلسطينى . فالفلسطينيون يشعرون بقوة أن قضيتهم أكثر من مسألة لاجئين . وأنا أوافق على ذلك . إن اتفاقات كامب ديفيد اعترفت بهذه الحقيقة عندما تحدثت عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومطالبه العادلة . ولكى يبقى السلام ثابتا يجب أن يشمل كل الذين تضرروا من النزاع على نحو أعمق من غيرهم . ولن يمكن لإسرائيل أن تثق فى أن جاراتها ستحترم أمنها ووحدة أراضيها إلا بتوسيع نطاق المشتركين فى عملية

السلام ، وخاصة الأردن والفلسطينيين على وجه السرعة . فمن خلال عملية التفاوض فقط يمكن لجميع الأمم فى الشرق الأوسط أن تحقق سلاما آمنا .

تلك إذن هى أهدافنا العامة . فما هى المواقف الأمريكية الجديدة على وجه التحديد ، ولماذا نتخذها ؟

من خلال محادثات كامب ديفيد استطاعت كل من إسرائيل ومصر حتى الآن التعبير عن آرائهما بحرية فيما يتعلق بالنتيجة التى يجب التوصل إليها . والمفهوم أن آراءهما كانت مختلفة فى العديد من النقاط .

وقد سعت الولايات المتحدة حتى الآن إلى القيام بدور الوسيط . وقد تجنبنا التعليق علنا على القضايا الأساسية . لقد اعترفنا دوما ، وسنواصل الاعتراف بأن الاتفاق الطوعى للأطراف المشتركة اشتراكا مباشرا فى النزاع هو وحده القادر على تحقيق الحل الدائم . غير أنه اتضح لى أن توضيح الموقف الأمريكى حول القضايا الأساسية بقدر أكبر ضرورى للتشجيع على حشد تأييد أوسع لعملية السلام .

أولا ، وكما جاء فى اتفاقات كامب ديفيد ، يجب أن تكون هناك فترة من الزمن ينمتع خلالها السكان الفلسطينيون فى الضفة الغربية وقطاع غزة باستقلال ذاتى كامل فى شؤونهم الخاصة . ويجب أن يعطى اعتبار كاف لمبدأ الحكم الذاتى لسكان الأراضى المحتلة وللمشاغل الأمنية المشروعة للأطراف المعنية .

وهدف الفترة الانتقالية التى تستمر خمسة أعوام ، والتى ستبدأ بعد إجراء انتخابات حرة لاختيار سلطة فلسطينية للحكم الذاتى ، هو أن تثبت للفلسطينيين أن فى وسعهم إدارة شؤونهم ، وأن مثل هذا الاستقلال الذاتى الفلسطينى لا يشكل تهديدا لأمن إسرائيل .

إن الولايات المتحدة لن تؤيد استغلال أية أراض إضافية بغرض إقامة مستوطنات خلال الفترة الانتقالية . والواقع أن قيام إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات على وجه السرعة يمكنه ، أكثر من أى إجراء آخر ، أن يخلق الثقة التى يتطلبها توسيع نطاق المشاركة فى هذه المحادثات . فالمزيد من النشاط الاستيطانى غير ضرورى على الإطلاق لأمن إسرائيل ، ويقلل فقط ثقة العرب فى إمكانية التفاوض بإنصاف وحرية حول النتيجة النهائية .

إننى أريد أن يُفهم الموقف الأمريكى فهما جيدا : إن الهدف من هذه الفترة الانتقالية هو انتقال السلطة بصورة سلمية ومنظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة . وفى الوقت ذاته يجب ألا يتعارض هذا النقل مع متطلبات إسرائيل الأمنية .

وفيما وراء هذه الفترة الانتقالية ، ونحن ننظر إلى مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، يتضح لى أنه لا يمكن تحقيق السلام عن طريق إقامة دولة فلسطينية مستقلة فى هاتين المنطقتين . كما لا يمكن تحقيقه عن طريق ممارسة إسرائيل لسيادتها أو سيطرتها الكاملة على الضفة الغربية وقطاع غزه .

ولذلك فإن الولايات المتحدة لن تؤيد إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولن تؤيد ضمهما أو السيطرة الكاملة عليهما من جانب إسرائيل .

غير أن هناك سبيلا آخر إلى السلام . إذ يجب بطبيعة الحال أن يتم الاتفاق على تحديد الوضع النهائى لهاتين المنطقتين عن طريق مفاوضات تقوم على الأخذ والعطاء . إلا أن الولايات المتحدة ترى بحزم أن حكما ذاتيًا من جانب الفلسطينيين للضفة الغربية وقطاع غزة مرتبط بالأردن يوفر أفضل فرصة لسلام دائم وعادل وثابت .

ونحن نبنى موقفنا بصورة متوازنة على مبدأ أن النزاع العربى الإسرائيلى يجب أن يحل بمفاوضات تنطوى على مبادلة الأرض بالسلام . وهذه المبادلة منصوص عليها فى قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ الذى تم دمجه بدوره بجميع جوانبه فى اتفاقات كامب ديفيد . وما زال قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ صالحا فى مجمله كحجر الأساس لجهود السلام التى تبذلها الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

إن موقف الولايات المتحدة يقوم على أساس أنه فى مقابل إحلال السلام تنطبق المادة الخاصة بالانسحاب فى القرار رقم ٢٤٢ على جميع الجبهات ، بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة .

وعندما يجرى التفاوض بين الأردن وإسرائيل حول مسألة الحدود ، فإن رأينا حول المدى الذى ينبغى به مطالبة إسرائيل بالتخلى عن الأرض سيتأثر إلى حد كبير بمدى السلام الحقيقى والتطبيع والترتيبات الأمنية المعروضة فى المقابل .

وأخيرا ، فإننا مازلنا مقتنعين بضرورة أن تظل القدس غير مجزأة ، إلا أن وضعها النهائى يجب أن يتقرر بالتفاوض .

وخلال عملية المفاوضات المقبلة ، ستؤيد الولايات المتحدة المواقف التى تبدو لنا منصفة وحلولا وسطا معقولة ينتظر أن تؤدى إلى اتفاق سليم . كما سنتقدم باقتراحاتنا المفصلة الخاصة عندما نعتقد أنها يمكن أن تكون مفيدة .

وليعلم الجميع دون أى لبس أن الولايات المتحدة سوف تعارض أى اقتراح ـ من أى طرف وفى أية مرحلة من مراحل عملية التفاوض ـ من شأنه أن يهدد أمن إسرائيل . فالتزام أمريكا بأمن إسرائيل التزام راسخ ، وقد أضيف أن التزامى أنا هو كذلك بالمثل .

خلال الأيام القليلة الماضية ، قدم سفراؤنا فى إسرائيل ومصر والأردن والمملكة العربية السعودية إلى حكومات الدول المضيفة المقترحات التى عرضتها الليلة هنا بتفصيل كامل . وإننى مقتنع الآن بأن هذه المقترحات يمكن أن تحقق العدل والأمن والثبات لسلام عربى إسرائيلى . إن الولايات المتحدة ستتمسك بهذه المبادىء بتفان كامل . وهى مبادىء تتمشى كلية مع متطلبات إسرائيل الأمنية ومع تطلعات الفلسطينيين . وسنعمل جاهدين على توسيع نطاق المشاركة حول مائدة السلام كما استهدفت عملية كامب ديفيد . وإننى آمل بقوة أن يقبل الفلسطينيون والأردن ، بدعم من إخوتهم العرب ، هذه الفرصة .

إن الاضطرابات المفجعة فى الشرق الأوسط تعود إلى فجر التاريخ . وفى وقتنا الحاضر ، اقتضى نزاع تلو الآخر ، ضريبة وحشية هناك بالمنطقة . وفى عصر التحدى النووى والتكافل الاقتصادى ، تشكل مثل هذه النزاعات تهديدا لكل شعوب العالم ، لا للشرق الأوسط فحسب . وقد حان الوقت لنا جميعا ، فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء العالم ، أن ندعو إلى وضع حد للنزاع والكراهية والتعصب ، لقد حان الوقت لكى نقوم جميعا بجهد مشترك للتعمير وإحلال السلام والتقدم .

لقد قيل فى أحيان كثيرة - وهو قول غالبا ما كان صحيحا مع الأسف - إن قصة البحث عن السلام والعدالة فى الشرق الأوسط هى مأساة الفرص الضائعة . وفى أعقاب التسوية التى تم التوصل إليها فى لبنان ،نواجه الآن فرصة لإحلال سلام أوسع نطاقا . ويتعين علينا هذه المرة ألا ندع الفرصة تفلت من أيدينا . ويجب علينا أن نتخطى صعوبات وعقبات الحاضر ، ونتحرك بإنصاف وحزم نحو مستقبل أكثر إشراقا . إننا مسؤولون أمام أنفسنا وأمام الأجيال القادمة ألا نفعل أقل من ذلك .. ذلك أننا إذا ضيعنا الفرصة لتحقيق بداية جديدة ، فقد ننظر إلى هذه الفترة بعد فوات الوقت وندرك مدى الثمن الذى سندفعه لإخفاقنا جميعا .

هذه إذن هى المبادىء التى تستند إليها سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العربى الإسرائيلى . لقد قطعت على نفسى التزاما شخصيا لأرى هذه المبادىء تسود ، وبعون الله سوف تنظر جميع الشعوب التى تتحلى بالمنطق والإنسانية إلى هذه المبادىء على أنها منصفة وقابلة للتحقيق وأنها لصالح جميع الذين يرغبون فى أن يروا السلام يتحقق فى الشرق الأوسط .

والليلة ، عشية ما يمكن أن يكون بزوغ أمل جديد لشعوب منطقة الشرق الأوسط التى يسودها الاضطراب ، ولجميع شعوب العالم التى تحلم بمستقبل يسوده السلام والعدالة ، أطلب منكم جميعا أيها المواطنون الأمريكيون تأييدكم وصلواتكم لنجاح هذا التعهد .

نص نقاط المحادثات التى أرسلها الرئيس ريجان إلى مناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل

مبادىء عامة :

(أ) سنحافظ على التزامنا بكامب ديفيد .

(ب) سنحافظ على التزامنا بالشروط التى نطالب بها للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والتفاوض معها .

(جـ) يمكننا تقديم ضمانات للموقف الذى سنتخذه فى المفاوضات . ومع ذلك ، فلن نكون قادرين على أن نضمن مقدما نتائج هذه المفاوضات .

تدابير انتقالية :

(أ) موقفنا هو أن هدف الفترة الانتقالية يتمثل فى نقل السلطة سلميا ، وبطريقة منظمة من إسرائيل إلى السكان الفلسطينيين .

(ب) سنؤيد : قرار الاستقلال الذاتى الكامل باعتباره يعطى للسكان الفلسطينيين سلطة حقيقية على أنفسهم ، وعلى الأرض ومواردها ، بشرط وجود ضمانات عادلة بشأن المياه .

علاقات اقتصادية وتجارية وثقافية بين الضفة الغربية وغزة والأردن .

مشاركة سكان القدس الشرقية الفلسطينيين فى انتخابات سلطة الضفة الغربية - غزة .

تجميد حقيقى للمستوطنات .

تزايد المسؤولية الفلسطينية عن الأمن الداخلى استنادا إلى القدرة والأداء .

(جـ) وسنعارض : إزالة المستوطنات القائمة .

الأحكام التى تمثل تهديدا مشروعا لأمن إسرائيل ، المحدد بطريقة معقولة .

عزل الضفة الغربية وغزة عن إسرائيل .

التدابير التي تعطى إما للفلسطينيين أو للإسرائيليين حقوق سيادة معترف بها بصفة عامة باستثناء الأمن الخارجى ، الذى ينبغى أن يظل فى أيدى إسرائيل خلال فترة الانتقال .

القضايا المتعلقة بتحديد الوضع النهائى :

(أ) قرار مجلس أمن الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ :

موقفنا هو أن القرار ٢٤٢ ينطبق على الضفة الغربية وغزة ويقتضى انسحاب إسرائيل مقابل السلام . وينبغى أن تحدد المفاوضات الحدود . وموقف الولايات المتحدة فى هذه المفاوضات بشأن نطاق الانسحاب سيتأثر كثيرا بنطاق وطبيعة ترتيبات السلام والأمن المقدمة فى مقابله .

(ب) السيادة الإسرائيلية :

فى اعتقادنا أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن حلها (من خلال) السيادة أو السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية وغزة . وبالتالى ، فلن نؤيد مثل هذا الحل .

(جـ) الدولة الفلسطينية :

إن التفضيل الذى سنسعى من أجله فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى هو ارتباط الضفة الغربية وغزة بالأردن . ولن نؤيد تكوين دولة فلسطينية فى تلك المفاوضات . فليس هناك أساس للتأييد السياسى لمثل هذا الحل فى إسرائيل ، أو الولايات المتحدة . ومع ذلك ، فإن النتيجة ينبغى أن تحددها المفاوضات .

(د) تقرير المصير :

فى سياق الشرق الأوسط ، يعادل تعبير تقرير المصير على وجه الحصر ، تكوين دولة فلسطينية . ونحن لن نؤيد هذا التعريف لتقرير المصير . ونعتقد أنه ينبغى للفلسطينيين أن يقوموا بالدور القيادى فى تحديد مستقبلهم ، وأن يؤيدوا بالكامل الحكم الوارد فى اتفاقات كامب ديفيد والذى ينص على انتخاب ممثلين لسكان الضفة الغربية وغزة ليقرروا كيف سيحكمون أنفسهم اتفاقا مع

أحكام ما يتفقون عليه فى المفاوضات المتعلقة بتحديد الوضع النهائى .

(هـ) القدس :

سنؤيد بالكامل الموقف القائل بأن وضع القدس ينبغى تحديده من خلال المفاوضات .

(و) المستوطنات :

ينبغى تحديد وضع المستوطنات الإسرائيلية فى خلال مفاوضات تحديد الوضع النهائى . ولن نؤيد استمرارها كقواعد أمامية فى أراضى الغير .

نقاط إضافية للمحادثات :

١ – مفاتحة حسين :

قام الرئيس بمفاتحة حسين لتحديد مدى اهتمامه بالمشاركة .

وقد تلقى الملك حسين نفس التحديد لموقف الولايات المتحدة مثلكم .

ويرى حسين أن مقترحاتنا جادة وهو يوليها اهتماما جادا .

ويدرك حسين أن كامب ديفيد هى الأساس الوحيد الذى سنقبله للمفاوضات .

كما أننا نناقش هذه المقترحات مع السعودية .

٢ – الالتزام العلنى :

أيا كان التأييد من هذين البلدين العربيين أو غيرهما ، فإن هذا هو ما توصل الرئيس إلى أنه ينبغى القيام به .

والرئيس مقتنع بأن مواقفه عادلة ومتوازنة وتحمى أمن إسرائيل حماية كاملة . وبالإضافة إلى هذا ، فإنها تتيح فرصا عملية للتوصل فى نهاية المطاف إلى معاهدات السلام التى ينبغى أن تربط إسرائيل بجيرانها .

وسيلقى خطابا يعلن فيه هذه المواقف ، ربما خلال أسبوع .

٣ – خطوات إجرائية تالية :

لو كانت الاستجابة لاقتراح الرئيس إيجابية ، فستتخذ الولايات المتحدة خطوات مباشرة لبدء مفاوضات الاستقلال الذاتى بأوسع مشاركة ممكنة كما هو منصوص عليه فى اتفاقات كامب ديفيد .

كما نبحث قيام الوزير شولتز بزيارة قريبة للمنطقة .

وإن لم تكن الاستجابة إيجابية ، فإن الرئيس كما قال فى رسالته إليكم ، سيدافع رغم ذلك عن موقفه بالإخلاص المناسب .

الملحق « ط »

■ مبادرة شولتز ، ٤ مارس ١٩٨٨(*)

أعرض لكم أدناه مذكرة تفاهم أعتقد أنها ضرورية لبدء فورى لمفاوضات حول سلام شامل . ومذكرة التفاهم هذه نابعة من المناقشات التى أجريتها معكم ومع قادة المنطقة الآخرين . إننى أتطلع إلى رسالة رد من حكومة إسرائيل تأكيدا لهذه المذكرة .

إن الهدف المتفق عليه هو سلام دائم يضمن أمن جميع الدول فى المنطقة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

تبدأ مفاوضات فى موعد قريب محدد بين إسرائيل وكل من جيرانها الذين يرغبون فى ذلك . هذه المفاوضات يمكن أن تبدأ فى أول مايو ١٩٨٨ . كل من هذه المفاوضات سوف يرتكز على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ بكل بنودهما . والأطراف المشاركون فى كل من المفاوضات الثنائية هم الذين سيحددون الإجراء والجدول الزمنى لمفاوضاتهم . وعلى جميع المشاركين أن يعلنوا رغبتهم فى التفاوض كل مع الآخر .

وفيما يتعلق بالمفاوضات بين إسرائيل ووفد أردنى ـ فلسطينى ، تبدأ المفاوضات حول ترتيبات لتحديد فترة انتقالية على أن يكون هدفها إنجاز هذه الترتيبات خلال ستة أشهر . وبعد سبعة أشهر من بدء المفاوضات الانتقالية ، تبدأ مفاوضات تحديد الوضع النهائى للأراضى المحتلة بهدف استكمالها خلال عام واحد . وهذه المفاوضات سترتكز على جميع بنود ومبادىء قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ . وتبدأ محادثات تحديد الوضع النهائى قبل بدء سريان الفترة الانتقالية . وتبدأ الفترة الانتقالية بعد ثلاثة أشهر من إبرام الاتفاق الانتقالى ، وتستمر مدة ثلاث سنوات . وستشترك الولايات المتحدة فى مرحلتى المفاوضات ، وستسعى إلى أن ينتهيا سريعا إلى اتفاق . وستعرض الولايات المتحدة بصفة خاصة مسودة اتفاق على الأطراف المعنيين للنظر فيها عند بدء المفاوضات الخاصة بالترتيبات الانتقالية .

ويعقد قبل أسبوعين من افتتاح المفاوضات ، مؤتمر دولى . ويطلب من الأمين العام للأمم

(*) نص خطاب كتبه جورج ب. شولتز وزير الخارجية الأمريكى إلى إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل يلخص اقتراح السلام الأمريكى . وقد تم إرسال خطاب مماثل للملك حسين ملك الأردن ، انظر : نيويورك تايمز ، ١٠ مارس ١٩٨٨ .

المتحدة توجيه دعوات إلى الأطراف المعنيين بالنزاع العربى - الإسرائيلى ، والدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن . وينبغى على جميع الأطراف المشاركين فى المؤتمر الدولى قبول القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ الصادرين عن مجلس أمن الأمم المتحدة ، والتخلى عن العنف والإرهاب . ويستطيع الأطراف المشاركون فى كل مفاوضة ثنائية إبلاغ المؤتمر بحال مفاوضتهم وفقا لصيغة يتفق عليها . ولن يكون فى مقدور المؤتمر فرض حلول ، أو الاعتراض على الاتفاقات التى يتم التوصل إليها .

يكون التمثيل الفلسطينى فى إطار وفد أردنى - فلسطينى . وتعالج المسألة الفلسطينية فى المفاوضات بين الوفد الأردنى الفلسطينى والوفد الإسرائيلى . وتجرى المفاوضات بين الوفد الأردنى - الفلسطينى والوفد الإسرائيلى مستقلة عن أى مفاوضات أخرى .

أن مذكرة التفاهم هذه هى كل متكامل . والولايات المتحدة تدرك أن موافقتكم ضرورية لتطبيق كل عنصر فيها بحسن نية .

المخلص

جورج ب . شولتز

الملحق « ى »

■ رسالة من وزير الخارجية جورج ب . شولتز إلى وزير خارجية السويد شتن أندرسون ، ٣ ديسمبر ١٩٨٨

ملحوظة : مرفق بخطاب شولتز ملحقان ، الأول هو نص البيان الذى يتعين على منظمة التحرير الفلسطينية إصداره استجابة للشروط الأمريكية المعروفة . وتتضمن النسخة الواردة هنا التعديلات التى وافقت عليها منظمة التحرير الفلسطينية بعد الوساطة السويدية ، وهى مكتوبة بخط اليد . وقد وقع ياسر عرفات على النص المعدل ، الوارد هنا ، وسلمه إلى أندرسون مع مذكرة جاء فيها أنه وافق عليه ، « وإننا سنعمل على إصداره رسميًا بعد عرضه على اللجنة التنفيذية » .

وتضمن الملحق الثانى بيانا توافق الولايات المتحدة على إصداره ردا على بيان منظمة التحرير الفلسطينية المقترح . والنص الأصلى لهذا البيان غير متاح ، غير أن هناك ترجمة له من العربية ، متضمنة ملحوظة من منظمة التحرير الفلسطينية .

ســـرى

وزارة الخارجية

واشنطن

٣ ديسمبر ١٩٨٨

عزيزى شتن :

تلقيت عن طريق السفير واتشمايستر رسالتك بشأن الاجتماع الذى سيعقد فى ستوكهولم الثلاثاء القادم . وإننى أقدر عظيم التقدير النهج البناء الذى تتبعه إزاء هذه المسألة . وتشكل الأوراق المرفقة ردى على السؤال الذى أثرته فى رسالتك . وأود أن أقدم ثلاث نقاط فى هذا الشأن :

- أولا ، إننا لن نشارك فى أى جهد يجعل من تبادل الرسائل بداية لمفاوضات حول الصياغة . وبعبارة أخرى ، فإننا لن نقبل صياغات مقابلة .
- ثانيا ، إننى أدرك أن منظمة التحرير الفلسطينية قد ترغب فى أن تضيف ، بعد البيان الذى اقترحناه ، بعض المواقف التى تشعر أنها ملتزمة بها والتى ترى أنها استمدت بيانها الأساسى منها . وليس لدينا اعتراض على قيامها بذلك ، على ألا تمثل هذه المواقف شرطا لقبولها لشروطنا ، أو تتناقض معها .
- ثالثا ، إن شيئا مما ورد هنا لن يؤخذ على أنه يعنى قبول الولايات المتحدة أو اعترافها بدولة فلسطينية مستقلة .

ويمكنكم إطلاع زائركم على هذه الرسالة إذا اعتقدتم أن ذلك سيكون مفيدا .

المخلص

جورج ب . شولتز

مرفقات :

كما سبق ذكره

إلى صاحب السعادة

شتـــن أنـــدرسون

وزير خارجية السويد

ستوكهولم

ســـرى

سرى / شديد الحساسية

مشروع بيان منظمة التحرير الفلسطينية

بوصفها القائمة بدور الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين

مساهمة منها فى السعى إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، تود اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أن تصدر البيان الرسمى التالى :

١ – إنها على استعداد للتفاوض مع إسرائيل حول تسوية سلمية شاملة للنزاع العربى الإسرائيلى ، على أساس قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ .

فى إطار المؤتمر الدولى

x x

٢ – إنها تتعهد بالعيش فى سلام مع إسرائيل وجيرانها الآخرين ، وأن تحترم حقهم فى الوجود فى سلام وداخل حدود آمنة ومعترف بها دوليا ، مثلها مثل دولة فلسطين الديمقراطية التى

x تسعى لإقامتها فى ~~الضفة الغربية وقطاع غزة~~ . الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ .

٣ – إنها تدين الإرهاب الفردى والجماعى وإرهاب الدولة بكافة أشكاله ، وإنها لن تلجأ إليه .

x ٤ – ~~إنها ستمتنع عن كل أشكال العنف على أساس متبادل بمجرد بدء المفاوضات~~ .

سرى / شديد الحساسية

(ترجمة المشروع الأمريكى لبيان منظمة التحرير الفلسطينية المقترح ، الذى قدمه وزير الخارجية جورج شولتز إلى وزير خارجية السويد شتن أندرسون ، والتعديلات بخط اليد من الجانب الفلسطينى . ٦ ديسمبر ١٩٨٨)

البيان الأمريكى المقترح

أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية اليوم بيانا وافقت فيه على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، واعترفت فيه بحق إسرائيل فى الوجود ونبذت استخدام القوة . وإزاء ذلك فإن الولايات المتحدة مستعدة لبدء مناقشات مضمونية مع ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية . وتعتقد الولايات المتحدة أن المفاوضات التى تهدف إلى التوصل إلى تسوية سلمية للنزاع العربى الإسرائيلى ينبغى أن تقوم على أساس القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وتدعو جميع الأطراف إلى تجديد جهودها فى السعى من أجل السلام بدون تأخير . وتعترف الولايات المتحدة بأن لممثلى الشعب الفلسطينى الحق فى إثارة كافة الموضوعات التى تهمهم فى المفاوضات .

أسئلة ليجيب عليها الوزير شولتز(*) :

س : هل يعنى بيانكم أن للفلسطينيين أن يعرضوا موقفهم من الدولة الفلسطينية على مائدة المفاوضات ؟

ج : نعم - إن الفلسطينيين ، فيما يتعلق بنا ، يحق لهم طرح رغبتهم فى إقامة دولة مستقلة من خلال المفاوضات . ويمكن من خلال عملية المفاوضات والتبادل المباشر للآراء بين الأطراف المعنية التوصل إلى نتيجة دائمة .

(بعد الوساطة السويدية وافقت الولايات المتحدة على الإجابة عن سؤال آخر)

س : هل توافقون على إجراء المفاوضات فى إطار مؤتمر دولى ؟

ج : أيدت الولايات المتحدة بوضوح ومنذ أمد طويل قيام مفاوضات مباشرة ، ولكننا مازلنا على استعداد للنظر فى أى اقتراح قد يؤدى إلى مفاوضات مباشرة تستهدف السلام الشامل . وإن المبادرة التى اقترحها الوزير شولتز فى بداية العام تدعو إلى عقد مؤتمر دولى للبدء فى مفاوضات مباشرة . وأن عقد هذا المؤتمر يتطلب إعدادا جيدا حتى لا يصبح بديلا للمفاوضات المباشرة .

(*) تشير ملحوظات منظمة التحرير الفلسطينية إلى أنه كان يتعين على الوزير شولتز تقديم هذه الإجابات شخصيًا ، الأمر الذى رفضه الجانب الأمريكى . وحقيقة الأمر أن السفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة هو الذى قدم هذه التوضيحات .

سرى

مساهمة منها فى السعى إلى سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، تود اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بوصفها القائمة بدور الحكومة المؤقتة لدولة فلسطين ، أن تصدر البيان الرسمى التالى :

١ - إنها على استعداد للتفاوض مع إسرائيل حول تسوية سلمية شاملة للنزاع العربى الإسرائيلى ، فى إطار المؤتمر الدولى ، على أساس قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

٢ - إنها تتعهد بالعيش فى سلام مع إسرائيل والجيران الآخرين ، وأن تحترم حقهم فى الوجود فى سلام وداخل حدود آمنة ومعترف بها دوليا ، مثلها مثل دولة فلسطين الديمقراطية التى تسعى لإقامتها فى الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ .

٣ - إنها تدين الإرهاب الفردى والجماعى وإرهاب الدولة بكافة أشكاله ، وإنها لن تلجأ إليه .

ياسر عرفات

٧ / ١٢ / ١٩٨٨

الملحق « ك »

■ بيانان لياسر عرفات وجورج شولتز ، ١٤ ديسمبر ١٩٨٨(*)

بيان ياسر عرفات ، جنيف

دعوني أوضح آرائي أمامكم : إن رغبتنا في السلام هي استراتيجية وليست تاكتيكا مؤقتا . إننا مصممون على السلام مهما يحدث .

إن حصولنا على دولة يقدم الخلاص إلى الفلسطينيين والسلام إلى الفلسطينيين والإسرائيليين . إن تقرير المصير يعنى « البقاء » للفلسطينيين . وإن بقاءنا لا يدمر بقاء الإسرائيليين ، كما يدعى حكامهم .

أشرت أمس في كلمتي إلى قرار الأمم المتحدة ١٨١ (الخاص بتقسيم فلسطين) كأساس للاستقلال الفلسطيني ؛ وكذلك أشرت إلى قبولنا بالقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ كأساس للمفاوضات مع إسرائيل ضمن إطار المؤتمر الدولي . ولقد تبنى مجلسنا الوطني الفلسطيني ، في دورته ، في الجزائر ، هذه القرارات الثلاثة .

وكان من الواضح في خطابي أمس أننا نعني حق شعبنا في الحرية والاستقلال الوطني وفقا للقرار ١٨١ ، وحق جميع الأطراف في نزاع الشرق الأوسط في الوجود في سلام ؛ بما فيها دولة فلسطين وإسرائيل والدول المجاورة الأخرى وفقا للقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

وفيما يتعلق بالإرهاب ، فأنا رفضته أمس بعبارات واضحة ؛ ولكن أعيده مرة أخرى وأسجل أننا نرفض تماما ، وبالمطلق جميع أشكال الإرهاب ، بما فيها إرهاب الأفراد والجماعات والدولة .

بين الجزائر وجنيف أعلنا موقفنا بوضوح تام .

أي حديث آخر ، مثل « إن على الفلسطينيين أن يقدموا أكثر » ، أو « هذا ليس كافيا » ، أو « الفلسطينيون يقومون بلعبة دعائية وتمارين في العلاقات العامة » ، سيكون ضارا وغير مجد .

(*) أخذ نص البيانين من جريدة واشنطن بوست ، ١٥ ديسمبر ١٩٨٨ .

كفى . كفى . كل الأمور المتبقية يجب أن تتم حول المائدة وضمن المؤتمر الدولى .

لیکن واضحا تماما أنه لا عرفات ، ولا غيره ، يمكن أن يوقف الانتفاضة . ستتوقف الانتفاضة فقط عندما تتخذ خطوات عملية وملموسة تجاه حصولنا على أهدافنا الوطنية وإقامة دولة فلسطين المستقلة .

فى هذا المجال ، أتوقع من السوق الأوروبية المشتركة أن تلعب دورا أكثر فعالية فى تعزيز السلام فى المنطقة . إنها تتحمل مسؤولية سياسية ومسؤولية أدبية ، وهى قادرة على النهوض بهما .

أخيرا ، أعلن أمامكم ، وأرجو أن تنقلوا عنى ذلك : أننا نريد السلام ؛ وأننا ملتزمون بالسلام ؛ وأننا نريد أن نعيش فى دولتنا الفلسطينية وندع الآخرين يعيشون .

بيان من جورج شولتز ، واشنطن العاصمة

أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية اليوم بيانا وافقت فيه على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، واعترفت بحق إسرائيل فى الوجود فى سلام وأمن ونبذت الإرهاب . ونتيجة لذلك فإن الولايات المتحدة مستعدة لإجراء حوار مضمونى مع ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية .

وإننى أعين سفيرنا لدى تونس باعتباره القناة الوحيدة المخولة بإجراء هذا الحوار . وسيبقى هدف الولايات المتحدة كما كان دائما هو السلام الشامل فى الشرق الأوسط .

وفى ضوء ذلك ، فإننى أرى فى هذا التطور خطوة أخرى نحو بدء المفاوضات المباشرة بين الأطراف ، فهى وحدها التى يمكن أن تقود إلى هذا السلام .

وإن شيئا مما ورد هنا لن يؤخذ على أنه يعنى قبول الولايات المتحدة أو اعترافها بدولة فلسطينية مستقلة .

وإن موقف الولايات المتحدة هو أن وضع الضفة الغربية وغزة لا يمكن أن يتقرر بأعمال منفردة لأى من الجانبين ، وإنما فقط من خلال عملية مفاوضات . وإن الولايات المتحدة لا تعترف بإعلان دولة فلسطينية مستقلة .

ومن الأهمية بمكان أيضا التأكيد على أن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل سيبقى ثابتا .

الملحق « ل »

■ مقتطفات من خطاب الرئيس جورج بوش ، ٦ مارس ١٩٩١(*)

... إن التزامنا بالسلام فى الشرق الأوسط لا ينتهى بتحرير الكويت . ولهذا اسمحوا لى هذه الليلة أن ألخص أربعة تحديات رئيسية تنبغى مواجهتها :

أولا ، يجب أن نعمل معا على إيجاد ترتيبات أمنية مشتركة فى المنطقة . ويدرك أصدقاؤنا وحلفاؤنا فى الشرق الأوسط أنهم سيتحملون الشطر الأكبر من مسؤولية الأمن فى المنطقة . غير أننا نريدهم أن يعرفوا أنه كما وقفنا معهم لرد العدوان ، فإن أمريكا تقف الآن أيضا على أهبة الاستعداد للعمل معهم لتأمين السلام .

وهذا لا يعنى مرابطة قوات برية أمريكية فى شبه الجزيرة العربية ، ولكنه يعنى مشاركة أمريكية فى تدريبات مشتركة تشمل القوات الجوية والبرية على السواء . وهو يعنى الحفاظ على وجود بحرى أمريكى قادر فى المنطقة ، تماما كما كنا نفعل طوال أربعين عاما . وليكن واضحا أن مصالحنا القومية الحيوية تعتمد على أن تكون منطقة الخليج مستقرة وآمنة .

ثانيا ، علينا أن نعمل على ضبط انتشار أسلحة الدمار الشامل والصواريخ التى تستخدم لإطلاق هذه الأسلحة . وسيكون من المأساوى إذا عمدت دول الشرق الأوسط والخليج الفارسى الآن ، فى أعقاب الحرب ، إلى بدء سباق تسلح جديد . وينبغى أن يكون العراق موضع انتباه خاص . وإلى أن يقنع العراق العالم بنواياه السلمية - بأن زعماءه لن يستخدموا العائدات الجديدة لإعادة التسلح وإعادة بناء آلة حرب خطيرة - ينبغى ألا يتاح للعراق الحصول على أدوات الحرب .

ثالثا ، علينا أن نعمل فى سبيل إيجاد فرص جديدة للسلام والاستقرار فى الشرق الأوسط . ففى الليلة التى أعلنت فيها بدء عملية عاصفة الصحراء ، أعربت عن أملى فى أن يبرز من مآسى الحرب زخم جديد فى سبيل السلام . ولقد تعلمنا فى العصر الحديث أن الجغرافيا لا تستطيع ضمان الأمن وأن الأمن لا توفره القوة العسكرية وحدها .

كلنا يعرف مدى عمق المرارة التى جعلت النزاع بين إسرائيل وجيرانها مؤلما وشائكا بهذا القدر . ومع ذلك ، ففى النزاع الذى انتهى لتوه ، وجدت إسرائيل وكثير من الدول العربية نفسها

(*) النص مأخوذ من جريدة واشنطن بوست ، ٧ مارس ١٩٩١ .

للمرة الأولى تواجه نفس المعتدى . وينبغى أن يكون واضحا الآن لكل الأصدقاء أن صنع السلام فى الشرق الأوسط يتطلب حلولا وسطى . وفى نفس الوقت يجلب السلام منافع للجميع . ويتوجب علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا من أجل تضييق الهوة بين إسرائيل والدول العربية ، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين . إن أساليب الإرهاب لا تقود إلى نتيجة ، ولا يمكن أن يكون هناك بديل للدبلوماسية .

ولابد أن يقوم السلام الشامل على أساس قرارى مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ و ٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام . ويجب التوسع فى هذا المبدأ حتى يكفل أمن إسرائيل والاعتراف بها ، ويكفل فى نفس الوقت الحقوق السياسية الفلسطينية المشروعة . وأى شىء غير ذلك سوف يفشل من ناحيتى تأمين العدالة والأمن . لقد حان الوقت لوضع حد للنزاع العربى - الإسرائيلى .

إن الحرب مع العراق قد انتهت . وإن السعى من أجل حلول لمشكلات لبنان ، والنزاع العربى - الإسرائيلى ، والخليج يجب أن يسير قدما بقوة وإصرار جديدين . وأؤكد لكم أن ما من أحد سيعمل بكد من أجل سلام مستقر فى المنطقة أكثر منا .

رابعا ، يجب أن نشجع التنمية الاقتصادية من أجل السلام والتقدم . إن الخليج الفارسى والشرق الأوسط يشكلان منطقة غنية بالموارد الطبيعية وبالإمكانات الإنسانية التى لم تستغل ، ولابد من إعادة توجيه الموارد التى هدرت فى الماضى على القوة العسكرية نحو غايات سلمية . وها نحن بالفعل نعالج الآثار الاقتصادية الناجمة عن عدوان العراق . إن الهدف الآن هو الارتقاء إلى أعلى لتشجيع الحرية الاقتصادية والرخاء الاقتصادى لجميع شعوب المنطقة .

وبمواجهة هذه التحديات الأربعة ، نستطيع بناء إطار للسلام ....

الملحق « م »

■ رسالة التطمينات التى بعث بها جيمس بيكر إلى الفلسطينيين ، ١٨ أكتوبر ١٩٩١

إن القرار الفلسطينى بحضور مؤتمر السلام للبدء فى مفاوضات مباشرة مع إسرائيل يمثل خطوة مهمة فى السعى نحو سلام شامل وعادل ودائم فى المنطقة . وتعتقد الولايات المتحدة منذ زمن طويل بأن المشاركة الفلسطينية حيوية لنجاح مجهوداتنا .

وضمن إطار العملية التى ننطلق فيها ، نرغب فى الرد على طلبكم تطمينات معينة تتعلق بهذه العملية . هذه التطمينات تمثل فهم ونوايا الولايات المتحدة حيال المؤتمر والمفاوضات الناجمة عنه .

إن هذه التطمينات منسجمة مع سياسة الولايات المتحدة ، ولا تقوض أو تناقض قرارى مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ . إضافة لذلك لن يتم تزويد أحد الأطراف بتطمينات لا تعرفها جميع الأطراف الأخرى ، وبهذا نستطيع أن ننمى شعورا بالثقة ونقلل من فرص سوء التفاهم .

وكما قال الرئيس جورج بوش فى خطابه فى ٦ مارس ١٩٩١ أمام الكونجرس ، لا تزال الولايات المتحدة تعتقد بقوة بأن السلام الشامل يجب أن يتأسس على قرارى مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام . كما أن حلا كهذا يجب أن يوفر الأمن والاعتراف لجميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل ، والحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطينى . وأى شىء غير ذلك ، وكما أشار الرئيس ، سوف يفشل أمام الامتحان المزدوج للعدالة والأمن .

إن العملية التى نحاول خلقها تقدم للفلسطينيين طريقا لتحقيق هذه الأهداف ، ونعتقد الولايات المتحدة أنه يجب أن تكون هناك نهاية للاحتلال الإسرائيلى ، وهذا يمكن أن يتم فقط عبر المفاوضات الصادقة والجادة . كما تعتقد الولايات المتحدة أن هذه العملية يجب أن تخلق علاقة جديدة من التبادل حيث يستطيع كل من الفلسطينيين والإسرائيليين أن يحترم كل منهما أمن الآخر وهويته وحقوقه السياسية . ونعتقد أن الفلسطينيين يجب أن يحصلوا على السيطرة على قراراتهم السياسية والاقتصادية وغيرها من القرارات التى تمس حياتهم ومصيرهم .

إن المفاوضات الثنائية المباشرة ستبدأ بعد أربعة أيام من افتتاح المؤتمر . وستجتمع الأطراف التى ترغب فى حضور المفاوضات المتعددة الأطراف بعد أسبوعين من افتتاح المؤتمر لتنظيم هذه المفاوضات . وبهذا الخصوص ، ستؤيد الولايات المتحدة مشاركة الفلسطينيين فى أية مفاوضات

ثنائية أو متعددة الأطراف حول اللاجئين وفى جميع المفاوضات المتعددة الأطراف . وسيستند المؤتمر والمفاوضات التى تليه على قرارى مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

إن هذه العملية سوف تسير بمسارين من خلال المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والدول العربية وإسرائيل والفلسطينيين . إن الولايات المتحدة مصممة على تحقيق تسوية شاملة للنزاع العربى ـ الإسرائيلى وستبذل أقصى جهودها لتؤمن تقدم العملية فى كلا المسارين للوصول إلى هذا الهدف .

وسعيا نحو تسوية شاملة يجب أن تتقدم جميع المفاوضات بأسرع ما يمكن نحو الاتفاق . ومن جانبها فإن الولايات المتحدة سوف تعمل من أجل مفاوضات جادة وسوف تسعى أيضا لتجنب التطويل والتلكؤ من جانب أى طرف .

سيكون المؤتمر برعاية مشتركة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وستكون المجموعة الأوروبية مشاركة فى المؤتمر إلى جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وتمثل برئاستها . ويمكن للمؤتمر أن ينعقد ثانية فقط بموافقة جميع الأطراف .

وبخصوص دور الأمم المتحدة ، سيبعث الأمين العام للأمم المتحدة ممثلا للمؤتمر بصفة مراقب ، وستبقى الدولتان الراعيتان للمؤتمر الأمين العام على اطلاع حول تقدم المفاوضات . والاتفاقات التى يتم التوصل إليها بين الأطراف سيتم تسجيلها لدى سكرتارية الأمم المتحدة وتبلغ إلى مجلس الأمن ، وستسعى الأطراف لنيل مصادقة المجلس على هذه الاتفاقات . ولما كان من مصلحة كافة الأطراف أن تنجح هذه العملية ، فإن الولايات المتحدة لن تدعم أية عملية منافسة أو موازية فى مجلس الأمن خلال الاستمرار النشيط لهذه العملية .

لا تسعى الولايات المتحدة لأن تحدد من يتحدث باسم الفلسطينيين فى هذه العملية . نحن نسعى لإطلاق عملية تفاوض سياسية تشرك الفلسطينيين مباشرة ، وتوفر طريقا لتحقيق الحقوق السياسية المشروعة للشعب الفلسطينى وللمشاركة فى تقرير مستقبلهم . ونعتقد بأن وفدا أردنيا ـ فلسطينيا مشتركا يوفر أفضل الطرق الواعدة لتحقيق هذه الغاية .

الفلسطينيون وحدهم يستطيعون اختيار أعضاء وفدهم الذين لا يخضعون لفيتو من أى كان . وتفهم الولايات المتحدة أن أعضاء الوفد سيكونون فلسطينيين من الأراضى يوافقون على التفاوض بمسارين ، وعلى مراحل ، ومستعدين للعيش بسلام مع إسرائيل . ولا يمكن إلزام طرف بالجلوس مع أى أحد لا يريد الجلوس معه .

سيكون الفلسطينيون أحرارا فى إعلان المكون الفلسطينى فى الوفد المشترك ولإلقاء بيان أثناء افتتاح المؤتمر . كما يمكنهم أن يثيروا أى قضية تتعلق بصلب المفاوضات خلال المفاوضات .

إن الولايات المتحدة تفهم الأهمية التى يعلقها الفلسطينيون على مسألة القدس الشرقية . ولهذا نريد أن نطمئنكم إلى أن لا شىء مما سيقوم به الفلسطينيون لاختيار أعضاء وفدهم فى هذه المرحلة من العملية سيؤثر على مطالبهم بالقدس الشرقية ، أو يشكل حكما مسبقا أو سابقة لما سينتج عن المفاوضات . ويبقى الموقف الثابت للولايات المتحدة متمثلا فى أنه لا يجب أن تعود مدينة القدس

مفسمة مرة أخرى ، وأن وضعها النهائى يجب أن يتم تحديده بالمفاوضات . ولهذا لا نعترف بضم إسرائيل القدس الشرقية أو توسيع حدودها البلدية . ونشجع كل الأطراف على تجنب الإجراءات من جانب واحد والتى قد تزيد من حدة التوتر المحلى أو تصعب من المفاوضات ، أو تستبق تقرير نتائجها النهائية . ويتمثل موقف الولايات المتحدة أيضا فى أن أى فلسطينى مقيم فى الأردن وذى روابط بعائلة مقدسية بارزة يصلح للمشاركة فى الجانب الأردنى من الوفد .

إضافة إلى ذلك فإن موقف الولايات المتحدة يتمثل أيضا فى أنه بإمكان فلسطينيى القدس الشرقية المشاركة بالتصويت فى انتخابات سلطة حكم ذاتى مرحلى . وتعتقد الولايات المتحدة أيضا أنه يجب أن يكون بإمكان فلسطينيى القدس الشرقية والفلسطينيين خارج الأراضى المحتلة الذين تنطبق عليهم المقاييس الثلاثة ، المشاركة فى المفاوضات حول الوضع النهائى . وتساند الولايات المتحدة حق الفلسطينيين فى طرح أية مسألة ، بما فى ذلك مسألة القدس الشرقية ، على المائدة .

ونظرا لشدة تعقد المسائل المطروحة وعمق المشاعر ، فإن الولايات المتحدة ما أنفكت منذ زمن ترى أن وجود مرحلة انتقالية مطلوب لتهديم جدران الشك وعدم الثقة ووضع أسس مفاوضات قابلة للاستمرار حول الوضع النهائى للأراضى المحتلة . إن هدف المفاوضات حول الإجراءات الانتقالية هو تحقيق الانتقال المنظم والسلمى للسلطة من إسرائيل للفلسطينيين . ويحتاج الفلسطينيون لتحقيق السيطرة السريعة على القرارات السياسية والاقتصادية وغيرها التى تمس حياتهم ، وللتكيف مع وضع جديد يمارس فيه الفلسطينيون السلطة فى الضفة الغربية وقطاع غزة . ومن جانبها ستعمل الولايات المتحدة جاهدة منذ البداية ، وستشجع كل الأطراف على اتخاذ خطوات قادرة على خلق جو من الثقة والثقة المتبادلة بما فى ذلك احترام حقوق الإنسان .

وكما تعلمون بخصوص المفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين ، سيتم إجراء المفاوضات حسب مراحل تبدأ بالمحادثات حول ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى ، وستجرى هذه المباحثات بهدف الوصول إلى اتفاق فى غضون سنة واحدة . وما إن يتم الاتفاق تستمر ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى لمدة خمس سنوات . وفى بداية السنة الثالثة من فترة ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى ، ستجرى المفاوضات حول الوضع الدائم . ويتمثل هدف الولايات المتحدة فى أن تختتم مفاوضات الوضع الدائم مع نهاية المرحلة الانتقالية .

لقد كان موقفنا منذ زمن طويل أن المفاوضات المباشرة والمستندة إلى قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ فقط قادرة على إيجاد سلام حقيقى ، ولا أحد يمكنه إملاء النتيجة مسبقا . وتفهم الولايات المتحدة أن الفلسطينيين يجب أن يكونوا أحرارا فى إثارة أية قضية مهمة بالنسبة لهم فى كلمات الافتتاح فى المؤتمر أو فى المفاوضات التى تليه . وهكذا فإن الفلسطينيين أحرار فى المناقشة من أجل أى نتيجة يعتقدون أنها الأفضل بالنسبة لتحقيق متطلباتهم ، وتقبل الولايات المتحدة أى نتيجة يتفق عليها الأطراف . وفى هذا الصدد وانسجاما مع السياسات الأمريكية القائمة منذ زمن بعيد ، فإننا لا نستثنى الكونفدرالية كنتيجة ممكنة للمفاوضات حول الوضع النهائى .

إن الولايات المتحدة ما انفكت تعتقد منذ زمن طويل أنه لا ينبغى لأى طرف أن يقوم بأفعال من جانب واحد بهدف البت المسبق فى قضايا لا يمكن أن تحل إلا من خلال المفاوضات . وفى

هذا الصدد عارضت الولايات المتحدة وستواصل معارضتها للنشاط الاستيطانى فى الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ والذى يظل يمثل عقبة أمام السلام .

وستعمل الولايات المتحدة كوسيط أمين فى محاولة حل النزاع العربى - الإسرائيلى . وتتمثل نيتنا ونية الاتحاد السوفيتى فى لعب دور القوة الدافعة فى هذه العملية لمساعدة الأطراف على التقدم فى اتجاه سلام شامل . ولأى طرف أن يتصل بالراعيين فى أى وقت . والولايات المتحدة مستعدة للمشاركة فى كل مراحل المفاوضات بموافقة الأطراف المشاركة فى كل مفاوضة .

هذه هى التطمينات التى تقدمها الولايات المتحدة بخصوص تنفيذ المبادرة التى ناقشناها . وإننا مقتنعون بأنه أمامنا فرصة حقيقية لتحقيق شىء مهم جدا فى عملية السلام ، ومستعدون للعمل الشاق معكم فى الفترة المقبلة لتعزيز التقدم الذى أحرزناه . ستكون هناك تحديات صعبة أمام جميع الأطراف . ولكن مع تواصل التزام الفلسطينيين ، أمامنا فرصة حقيقية للتحرك نحو مؤتمر سلام ، وإلى مفاوضات ، ومن ثم نحو السلم الأوسع الذى نصبو إليه جميعا .

الملحق « ن »

■ الدعوة الأمريكية السوفيتية لمؤتمر مدريد ، ١٨ أكتوبر ١٩٩١(*)

بعد مشاورات مكثفة مع الفلسطينيين ودول عربية وإسرائيل ، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يعتقدان بأن هناك فرصة تاريخية قد نشأت للتقدم بمشروع سلام حقيقي في كل المنطقة .

إن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على استعداد لمعاونة أطراف النزاع على التوصل إلى حل سلمي عادل ودائم وشامل ومقبول من خلال مفاوضات مباشرة ذات مسارين ، بين إسرائيل وكل من الدول العربية ، وبين إسرائيل والفلسطينيين ، تستند إلى قراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و ٣٣٨ ، والهدف من هذه العملية هو السلام الحقيقي .

وتحقيقا لهذا الغرض فإن رئيس الولايات المتحدة ورئيس الاتحاد السوفيتي يدعوانكم إلى مؤتمر السلام المشمول برعاية دولتيهما والمتبوع مباشرة بمفاوضات مباشرة . وسيعقد المؤتمر في مدريد يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ .

إن الرئيس الأمريكي جورج بوش والرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ينشدان موافقتكم على هذه الدعوة في موعد أقصاه الساعة السادسة مساء بتوقيت واشنطن يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٩١ في سبيل ضمان تنظيم محكم للمؤتمر .

إن المفاوضات الثنائية المباشرة ستبدأ بعد أربعة أيام من افتتاح المؤتمر . وسوف تجتمع الأطراف التي ترغب في المشاركة في المفاوضات متعددة الأطراف بعد أسبوعين من افتتاح المؤتمر لتنظيم هذه المفاوضات . ويعتقد راعيا المؤتمر أن هذه المفاوضات يجب أن تتركز على القضايا التي تهم المنطقة بوجه عام مثل ضبط التسلح ، والأمن الإقليمي ، والمياه ، وشؤون اللاجئين ، والبيئة ، والتنمية الاقتصادية ، والقضايا الأخرى ذات الاهتمام المشترك .

وسوف يتولى الراعيان رئاسة المؤتمر الذي سيعقد على المستوى الوزاري ، وستدعى للحضور حكومة كل من إسرائيل وسوريا ولبنان والأردن ، وسيدعى الفلسطينيون وسيشاركون كجزء من وفد أردني فلسطيني مشترك . وستدعى مصر إلى المؤتمر بصفة مشارك ، وستحضر المجموعة

(*) هذا هو النص الكامل للدعوة إلى مؤتمر مدريد الذي عقد في ٣٠ أكتوبر ١٩٩١ ، كما حصلت عليه جريدة الجيروزاليم بوست . وقد اشتركت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في توجيه الدعوة إلى إسرائيل وسوريا والأردن ولبنان والفلسطينيين .

الأوروبية أيضا بصفة مشارك جنبا إلى جنب مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وستكون ممثلة برئاستها ، وسيدعى مجلس التعاون الخليجى إلى إرسال سكرتيره العام إلى المؤتمر كمراقب ، وستدعى الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى إلى المشاركة فى تنظيم المفاوضات المتعلقة بالقضايا متعددة الأطراف ، وستدعى الأمم المتحدة لإرسال مراقب يمثل أمينها العام .

ولن يكون للمؤتمر صلاحية فرض الحلول على الأطراف ، كما لن يكون بوسعه منع اتفاقات توصلت إليها هذه الأطراف . وسوف لا يكون للمؤتمر سلطة صنع القرارات بالنسبة للأطراف . كما لن يكون من حقه التصويت على المشكلات أو على النتائج . ولا يجوز للمؤتمر أن يعود إلى الانعقاد إلا بموافقة جميع الأطراف .

وفيما يتعلق بالمفاوضات بين إسرائيل والفلسطينيين الذين يشكلون جزءا من الوفد الأردنى الفلسطينى المشترك ، فإن المفاوضات سوف تنقسم إلى مراحل ، تبدأ بمحادثات حول ترتيبات حكم ذاتى مرحلى . وتستهدف هذه المحادثات الوصول إلى اتفاق خلال عام واحد . وفى هذه الحالة فإن ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى سوف تدوم مدة خمسة أعوام . وبداية من السنة الثالثة للحكم الذاتى المرحلى ستعقد مفاوضات حول الوضع الدائم . وتستند مفاوضات الوضع الدائم هذه والمفاوضات بين إسرائيل والدول العربية إلى القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ومن المفهوم أن الدولتين الراعيتين للمؤتمر قد أخذتا على عاتقهما عهدا بإنجاح هذه العملية . وتعتزم الدولتان عقد المؤتمر وإجراء المفاوضات بحضور الأطراف التى توافق على المشاركة .

وتعتقد الدولتان الراعيتان للمؤتمر أن هذه العملية تعد بإنهاء عقود من المواجهة والصراع والأمل فى سلام دائم . ولذا فإنهما تأملان أن تقترب الأطراف من المفاوضات بروح من النية الحسنة والاحترام المتبادل . وبهذه الطريقة يمكن لعملية السلام أن تبدأ بكسر حاجز الشك وانعدام الثقة الذى غذى الصراع وتسمح للأطراف بأن تبدأ فى حل خلافاتها . فالواقع أنه من خلال عملية كهذه فقط يمكن لسلام حقيقى ومصالحة حقيقية أن تقوما بين الدول العربية وإسرائيل والفلسطينيين . ومن خلال هذه العملية فقط يمكن لشعوب الشرق الأوسط أن تحقق ما هى جديرة به من السلام والأمن .

الملحق « س »

■ مقتطفات من خطاب الرئيس جورج بوش أمام مؤتمر السلام فى الشرق الأوسط ، مدريد ، أسبانيا ، ٣٠ أكتوبر ١٩٩١(*)

إن السلام سوف يتحقق فقط نتيجة للمفاوضات المباشرة والحلول الوسط والأخذ والعطاء . والسلام لا يمكن فرضه من الخارج من قبل الولايات المتحدة أو أى طرف آخر . وفى حين أننا سنواصل بذل كل ما فى وسعنا لمساعدة الأطراف فى التغلب على العقبات ، فإن السلام لا بد أن يأتى من الداخل .

لقد جئنا لمدريد كدعاة للواقعية . فنحن لا نتوقع أن يتم التفاوض على السلام فى يوم أو أسبوع أو شهر أو حتى عام . فالواقع أن ذلك سوف يستغرق وقتا . وقتا تتعلم فيه كل الأطراف التى طال أمد الحروب بينها أن تتحدث إلى بعضها البعض وأن تسمع لبعضها البعض ، وقتا لالتئام الجراح القديمة وبناء الثقة . وفى هذا المسعى ، ينبغى ألا يصبح الوقت نقيضا للتقدم .

إن ما نتوخاه هو عملية مفاوضات تمضى فى مسارين ، أحدهما بين إسرائيل والدول العربية ، والآخر بين إسرائيل والفلسطينيين . وستجرى المفاوضات على أساس قرارى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

إن العمل الحقيقى لن يتم هنا فى جلسات علنية موسعة ، وإنما فى مفاوضات ثنائية مباشرة . وهذا المؤتمر لا يمكنه أن يفرض تسوية على الأطراف أو يحق له الاعتراض على اتفاقاتهم . ومن المهم أيضا أن المؤتمر يمكن إعادة عقده فقط بموافقة كل المشتركين . إن التقدم فى أيدى الأطراف الذين سيعايشون نتائجه .

وفور بداية المحادثات الثنائية ، ستعقد الأطراف وتنظم مفاوضات متعددة الأطراف . وستركز هذه الأخيرة على القضايا التى تتجاوز الحدود الوطنية وتعد قضايا مشتركة بالنسبة للمنطقة كلها : الحد من السلاح ، المياه ، هموم اللاجئين ، التنمية الاقتصادية . والتقدم فى هذه المحافل لا يقصد به أن يكون بديلا لما ينبغى تقريره فى المحادثات الثنائية . على النقيض من ذلك ، فإن التقدم فى القضايا متعددة الأطراف قد يساعد فى خلق مناخ يمكن فيه تسهيل تسوية المنازعات الثنائية طويلة الأمد .

(*) النص مأخوذ من النيويورك تايمز ، ٣١ أكتوبر ١٩٩١ .

وبالنسبة لإسرائيل والفلسطينيين ، هناك بالفعل إطار للدبلوماسية . فستجرى المفاوضات على مراحل ، تبدأ بالمحادثات بشأن ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى . ونحن نهدف إلى الوصول لترتيب خلال عام واحد . وعند الاتفاق على ترتيبات الحكم الذاتى المرحلى فإنها تستمر لمدة خمس سنوات . وابتداء من السنة الثالثة ، تبدأ المفاوضات حول الوضع الدائم .

ولا يمكن لأحد أن يحدد على وجه الدقة ما ستكون عليه النتيجة النهائية . وفى رأينا أنه يجب التوصل لشىء ما ، شىء ما مقبول لإسرائيل والفلسطينيين والأردن ، يوفر للشعب الفلسطينى سيطرة لها معناها على حياته، ومصيره وينص على قبول وجود إسرائيل وأمنها .

وفى مقدورنا جميعا إدراك أن الإسرائيليين والفلسطينيين قلقون بشأن الحلول الوسط ، قلقون من عملية التوصل للحلول الوسط حتى فيما يتعلق بأقل النقاط شأنا ، خوفا من أن تصبح سابقة للأمور المهمة حقا . لكن لا يمكن لأحد أن يتفادى الحل الوسط بشأن الترتيبات المرحلية لسبب بسيط : أنه لا شىء مما سيتم الاتفاق عليه سيلحق ضررا بمفاوضات الوضع الدائم . على النقيض من ذلك ، فإن هذه المفاوضات اللاحقة ستتحدد وفق مسارها الخاص بها .

إن السلام لا يمكن أن يعتمد على الوعود وحدها ، إذ ينبغى أن يستند السلام الحقيقى ـ السلام الدائم ، على توفير الأمن لكل الدول والشعوب ، بما فى ذلك إسرائيل . لأن الشعب الإسرائيلى عاش طويلا فى خوف ، محاطا بعالم عربى رافض له . وقد حانت الآن اللحظة المثلى للعالم العربى لإثبات أن المواقف قد تغيرت ، وأن العالم العربى مستعد للعيش فى سلام مع إسرائيل وتفهم احتياجاتها الأمنية المعقولة .

ونحن ندرك أيضا أن السلام يجب أن يقوم على العدل . ففى غيبة العدل لن تكون هناك مشروعية ولا استقرار . وينطبق هذا فى المحل الأول على الشعب الفلسطينى ، الذى شهد الكثيرون من أبنائه اضطرابا وإحباطا أكثر من أى أحد غيرهم . ولدى إسرائيل الآن فرصة لإثبات إنها مستعدة للدخول فى علاقة جديدة مع جيرانها الفلسطينيين : علاقة تقوم على الاحترام المتبادل والتعاون .

ونحن نسعى إلى تحقيق تسوية مستقرة ودائمة فى الشرق الأوسط كله . ونحن لم نحدد ما الذى يعنيه ذلك . والواقع أنى وضعت هذه النقاط دون خريطة تبين أين ينبغى رسم الحدود النهائية . ومع ذلك ، فنحن نعتقد أن الحل الوسط بالنسبة للأراضى أمر جوهرى للسلام . ولابد أن تكون الحدود انعكاسا لكل من ترتيبات الأمن والترتيبات السياسية . والولايات المتحدة مستعدة لقبول ما تجده الأطراف المعنية نفسها مقبولا ، أيا كان ، فما نسعى إليه ، كما أعلنت فى ٦ مارس ، هو حل يصمد للاختبار المزدوج للعدل والأمن .

الحواشي

الفصل الأول

١ . الاعمال التى تتناول السياسات البيروقراطية وجرى الاستناد إليها هى : Graham Allison, *Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis* (Little, Brown, 1971); وكذلك Morton Halperin, *Bureaucratic Politics and Foreign Policy* (Brookings, 1974).
وللوقوف على دراسة انتقادية ممتازة انظر : Robert Art, "Bureaucratic Politics and American Foreign Policy: A Critique," *Policy Sciences*, vol. 4 (1973), PP. 467-90.

٢ . انظر Mitchell Geoffrey Bard, *The Water's Edge and Beyond: Defining the Limits to Domestic Influence on United States Middle East Policy* (New Brunswick, N.J.: Transaction Publishers, 1991).

٣ . انظر William B. Quandt, *Camp David: Peacemaking and Politics* (Brookings, 1986). PP, 6-29.

٤ . للوقوف على مناقشة أوفى حول هذه الاتجاهات الثلاثة انظر : William B. Quandt, *Decade of Decisions: American Policy towards the Arab-Israeli Conflict, 1967-1976* (University of California Press, 1977), PP. 3-28

٥ . انظر Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power* (Simon and Schuster, 1991).

٦ . انظر Raymond A. Bauer and Kenneth J. Gergen, eds., *The Study of Policy Formulation* (Free Press, 1968), P. 15.

٧ . Charles E. Lindblom, "The Science of 'Muddling Through,' " *Public Administration Review*, vol. 19 (Spring 1959), PP. 79-88.

٨ . John Steinbruner, *The Cybernetic Theory of Decision: New Dimensions of Political Analysis* (Princeton University Press, 1974), PP. 100 ...

٩ . Ernest May "*Lessons*" *of the Past: The Use and Misuse of History in American Foreign Policy* (Oxford University Press, 1973).

١٠ . Merle Miller, *Plain Speaking: An Oral Biography of Harry S. Truman* (Berkley Publishing, 1974).

١١ . Lynn E. Davis, *The Cold War Begins: Soviet-American Conflict over Eastern Europe* (Princeton University Press, 1974).

١٢ . Alexander L. George, "The Case for Multiple Advocacy in Making Foreign Policy," *American Political Science Review*, vol. 66 (September 1972), PP. 751-85; and Irving L. Janis, *Victims of Groupthink: A Psychological Study of Foreign Policy Decisions and Fiascoes* (Houghton Mifflin, 1972,

الفصل الثانى

١ . Abba Eban, *An Autobiography* (Random House, 1977), PP. 3...-55. يبين هذا الكتاب الاهتمام المبكر باسرائيل من جانب جونسون . ومن أصدق أصدقاء جونسون الحميمين المؤيدين لاسرائيل تأييدا قويا

آرثر كريم ، رئيس يونيتد آرتستس ورئيس اللجنة المالية للحزب الديمقراطى الوطنى وزوجته ماتيلده ، وابراهام فينبرج ، رئيس أمريكان بنك آند ترست فى نيويورك ، وابراهام فورتاس ، قاضى المحكمة العليا ، وآرثر جولدبيرج ، سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة . انظر : **Donald Neff,** ***Warriors for Jerusalem. The Six Days That Changed the Middle East*** **(Simon and Schuster, 1984), PP. 80-85, 156-58.**

٢ - تضمن التقرير الذى أعده السفير جوليوس هولمز فى خريف ١٩٦٦ هذا الموضوع .

٣ - مكتبة ليندون بينز جونسون ، مشروع التاريخ الشفوى ، مقابلة مع لوشيوس باتل أجراها بيج مولهولان ، ١٤ نوفمبر ١٩٦٨ ، ص ٣٦ ، وأحاديث المؤلف مع باتل . كتب ديفيد نيس الذى كان قائما بأعمال السفارة فى القاهرة بين رحيل باتل ووصول ريتشارد نولت إلى زميل له فى وزارة الخارجية فى ١١ مايو ١٩٦٧ يقول : « يبدو أننا قد دفعنا بعبد الناصر إلى درجة من عدم الرشد تقرب من الجنون تغذيها طبعا مشاعر الاحباط والمخاوف الناشئة عن فشله محليا وخارجيا . إن مناقشاتنا هنا تدور حول أين يضرب ضربته التالية - ليبيا ، لبنان ؟ ... وصفوة القول أننا نواجه الآن جميع المخاطر التى لا معدى عن أن تترتب على دفع عبد الناصر إلى مأزق مالى وغذائى ، ومن محاولة اعتراضه فى أول « دائرتيه المتحدتى المركز » . ولدينا الآن عملية الحسم التى أشرت إليها فى أكتوبر الماضى » . من ديفيد نيس إلى رودجر ديفيز ، ١١مايو ١٩٦٧ ، سرى (لم يعد من المصنفات السرية فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٤) .

٤ - للوقوف على هذه التهديدات انظر : **Michael Brecher,** ***Decisions in Israel's Foreign Policy*** **(Yale University Press, 1975), PP. 359-61,** وأفضل تقرير موثق نقلته وكالة اليونيتدبرس انترناشونال وظهر فى جريدة النيويورك تايمز فى ١٣ مايو هو بيان موجز عن الأوضاع الأساسية تاريخه ١٢ مايو ١٩٦٧ من جانب رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلى أهارون ياريف . وهناك اقتباس من شريط مسجل لهذا البيان الموجز ورد فى **John Cooley,** ***Green March, Black September The Story of the Palestinian Arabs*** **(London· Frank Cass, 1973), P. 160,** وقد ورد فى الاقتباس : « فى وسعى أن أقول إنه يجب علينا التوسل بالقوة حتى يتمكن المصريون من إقناع السوريين بأنه ليست هناك جدوى (من ترك الفلسطينيين يشنون هجمات عبر الحدود السورية) .... وأعتقد أن الرد الوحيد المؤكد والمأمون إزاء هذه المشكلة هو عملية عسكرية من حجم وقوة كبيرين » . وقد أخطأ بعض المحللين فى افتراض أن رئيس الأركان إسحق رابين هو الذى قام « بالتهديد » ضد سوريا . انظر : ***Middle East Record, 1967,*** **vol. 3 (Jerusalem: Israel Universities Press, 1971), P. 187.**

٥ - مع أن التهديدات الاسرائيلية باتخاذ اجراء ضد سوريا لم تكن محددة بدقة فى هذه الفترة ، فالبادى أن التفكير انصرف إلى بعض الأعمال الانتقامية . ويؤخذ مما جاء فى **Michael Brecher,** ***Decisions in Crisis· Israel, 1967 and 1973,*** **(University of California Press, 1980), P. 36,** أنه فى يوم ٧ مايو ١٩٦٧ ، « قرر مجلس الوزراء الاسرائيلى أنه إذا لم تصغ سوريا للتحذيرات العلنية لها ، وإذا فشلت جميع الطرق الأخرى غير القهرية فى إقناعها ، فستشن إسرائيل غارة انتقامية محدودة » . وبالنسبة لرد الفعل لدى المصريين ، انظر محمد حسنين هيكل ، « ١٩٦٧ : *الانفجار* » (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٠) ، الصفحات ٤٤٥ - ٤٥٦ .

٦ - إن هيكل فى كتابه « ١٩٦٧ : الانفجار » ، الصفحات ٣٧١ - ٣٧٢ يبالغ كثيراً عندما يقول ضمنا إن جونسون كان يتسلط عليه هاجس عبد الناصر ، وكان ضالعاً فى مؤامرة للاطاحة به .

٧ - **Stephen Green,** ***Taking Sides: America's Secret Relations with a Militant Israel*** **(William Morrow, 1984), PP. 204-11.**

٨ - بشأن هذه الحادثة التى أمسكت اسرائيل « وقد سقط سروالها » على حد تعبير إسحق رابين ، انظر : **Avner Yaniv,** ***Deterrence without the Bomb: The Politics of Israeli Strategy*** **(Lexington, Mass. Lexington Books, 1987), PP. 84-85.**

٩ - فى رأى البعض ، ومنهم محمود رياض وزير خارجية مصر إذ ذاك ، أن مصر لم تطلب إلا أن تسحب قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة من منطقة الحدود ، وليس من شرم الشيخ . وربما كانت هذه هى النية وراء الطلب الأصلى ، ولكن القادة المصريين فى الميدان أوضحوا بجلاء أن على الفصيلة العسكرية

التابعة لقوة الطوارىء فى شرم الشيخ أن تغادر المنطقة أيضا . وفى الخطاب الذى وجهه رياض بنفسه إلى يوثانت فى ١٨ مايو طلب إخراج قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة من أراضى جمهورية مصر العربية . انظر : Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (Quartet Books, 1981), P. 18; and "Report of the Secretary-General on the Withdrawal of the United Nations Emergency Force, June 26, «1967, وقد أعيد نشر هذا التقرير فى : John Norton Moore, ed., *The Arab-Israeli Conflict*, vol. 3: *Documents* (Princeton University Press, 1974), P. 756 . وقد تم انتقاد يو ثانت لأنه تسرع فى الموافقة على الطلب المصرى ، ولم يحل القضية إلى الجمعية العامة ، وبالايجاز ، لأنه لم يكشف « خداع » عبدالناصر . انظر مثلاً : Nadav Safran, *Israel· The Embattled Ally (Harvard University Press, 1978), 394-95* . ويقول هيكل (فى كتابه « ١٩٦٧ : *الانفجار* » ، الصفحات ٤٥٧ - ٤٧٤) إن عبد الناصر كان يحبذ أصلاً انسحاباً جزئيا فقط لقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة ، فى حين أن عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة كان يرغب فى رحيل قوة الطوارىء بكاملها . وهناك أمارات كثيرة مستمدة من مصادر مصرية على أن المنافسة بين عبد الناصر وعامر كانت مشكلة خطيرة طوال هذه الفترة . وللوقوف على عرض جيد للحقائق المتعلقة بهذا الموضوع انظر : Richard B. Parker, "The June 1967 War: Some Mysteries Explored," *Middle East Journal*, vol. 46 (Spring 1992), 184-96.

١٠ - Lyndon Baines Johnson, *The Vantage Point*: *Perspectives of the Presidency 1963-1969* (Rinehart, Holt and Winston, 1971), P. 290; and M. Gilboa, *Six Years Six Days* (in Hebrew) (Tel Aviv: Am Oved, 1968), P. 144.

١١ - كان هارولد سوندرز ، عضو هيئة العاملين فى مجلس الأمن القومى فى ذلك الوقت ، مسؤولا عن تجميع وثائق البيت الأبيض بشأن أزمة عام ١٩٦٧ لايداعها فى مكتبة جونسون . وقد أرفق المستندات بمذكرة بالرأى عنوانها « أزمة الشرق الأوسط : مقدمة » ، ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨ ، سرى جدا (لم تعد من المصنفات السرية فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٣) أشار فيها سوندرز « إلى أننا » قررنا « فى بداية الأزمة أن نحاول حمل إسرائيل على ضبط النفس لكيلا تحاول تسوية مشكلاتها الخاصة عسكريًا .... أما البديل ، فهو ترك الاسرائيليين يعملون ما درجوا كثيراً على عمله من قبل - وهو الرد عسكريًا على مسؤوليتهم . وقد رفض البديل ، على الفور تقريبا .... وكان لدىّ انطباع بأن الرئيس جونسون نفسه ، وإن كان راغبا فى تفادي الحرب ، إلا أنه كان متشككاً تشككا عميقا من نجاحنا فى حشد تأييد دولى عملى للابقاء على المضيق مفتوحا . فإن أخفقنا ، كان أملنا الأخير هو التفاوض مع نائب الرئيس عبد الناصر . فإن لم تنجح هذه الخطوة ، فلا يبقى لنا إلا أن نفتح المضيق فى مواجهة مباشرة مع العالم العربى بأسره » .

١٢ - Gilboa, *Six Years, Six Days,* P. 145; and *Middle East Record, 1967,* vol. 3, PP. 194, 196.

١٣ - يمكن الوقوف على نص المذكرة المؤرخة ١١ فبراير ١٩٥٧ فى Moore, *Arab-Israeli Conflict*, vol. 3: *Documents*, PP. 638-39 . وفى ٢٤ فبراير ١٩٥٧ طلب إيبان إيضاحاً من دالاس مؤداه أن فى وسع إسرائيل التمسك بحق الدفاع عن النفس المنصوص عليه فى المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة إذا ما هوجمت سفنها . واتفق دالاس مع رأى إيبان . أما التعبير العلنى عن هذه « الموافقة » فكان غامضاً بعض الشىء ، وتحدثت جولدا مائير فى الأمم المتحدة فى أول مارس قائلة إن إسرائيل ستمارس حقها الأصيل فى الدفاع عن النفس إذا ما استخدمت قوة مسلحة للتعرض للملاحة الاسرائيلية فى مضيق تيران . وأحاط هنرى كابوت لودج السفير الأمريكى لدى الأمم المتحدة علماً بهذا التصريح قائلاً إنه لايبدو « غير معقول » . ولم يكن إيبان راضياً عن هذه الصياغة ، ومن ثم كتب أيزنهاور إلى بن جوريون فى ٢ مارس ١٩٥٧ يخبره بأن إسرائيل « لن يكون لديها سبب للأسف » على انسحابها من سيناء ، وأن الآراء الاسرائيلية المعبر عنها « معقولة » . ويمكن الوقوف على جميع النصوص المتعلقة بهذا الموضوع فى : Nina J. Noring, ed., *Foreign Relations of the United States, 1955-1957*: *Arab-Israeli Dispute, 1957* (Government Printing Office, 1990); PP. 254-348.

١٤ - عبارة السفير أفراهام هارمان إلى مساعد وزير الخارجية باتل واردة فى : Michael Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy, P. 375,*

١٥ - حديث روستو إلى هارمان بتاريخ ٢٠ مايو وارد فى : *Gilboa, Six Years, Six Days*, P. 123 . وقد ورد تأكيد لذلك فى : Michael Bar-Zohar, *Embassies in Crisis: Diplomats and Demagogues behind the Six-Day War* (Prentice-Hall, 1970), P. 56.

١٦ - النص الكامل لخطاب جونسون وارد فى برقية وزارة الخارجية رقم ١٩٨٩٥٥ بتاريخ ٢١ مايو ١٩٦٧ ، سرى (لم يعد من المصنفات السرية فى ٢٤ مايو ١٩٩٠) وهو ثابت فى : Gilboa, *Six Years, Six Days*, P. 145; Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*. P. 375; Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 68.

١٧ - فى أواسط أكتوبر ١٩٦٩ قدم أبا إيبان مقالا إلى ، نيويورك تايمز ماجازين ، أعد للنشر ولكن تم سحبه فى اللحظة الأخيرة . ولدى المؤلف نسخة من تجربة المطبعة . وهى تختلف فى نواح هامة عما رواه إيبان بعد ذلك فى سيرة حياته . أما عبارته المتعلقة بخطاب ٢١ مايو الواردة فى المشروع فهى : ، ما كان شيء حريا بان يكون اقل ايذانا بالخير من هذه التقارير المبكرة . والواقع أن افتقارها إلى غاية قوية وإلى الأصالة المميزة لجونسون هو الذى فرض على القرار بأن اذهب إلى واشنطن . فما هذه اللغة بلغة جونسون : إنها لغة بيروقراطى رعديد يغمغم فى كل سطر . ويبدو أنه ليس فى الخطاب مايتصل بالشخصية الحازمة الصريحة التى احترمتها إسرائيل فى جميع صروف دهرها ودهرنا فى الداخل وفى العالم إلا التوقيع

١٨ - مشروع الخطاب الأصلى بتصحيحات جونسون وإضافاته الخاصة موجود فى مكتبة جونسون (لم يعد من المصنفات السرية فى ٨ مايو ١٩٨١) . انظر ايضا : Mohamed Heikal, The Cairo Documents: *The Inside Story of Nasser and His Relationship with World Leaders, Rebels, and Statesmen* (Doubleday, 1973), P 243 . سلم نوفت الخطاب زائدا ، مذكرة شفوية ، أكثر موضوعية حذرت من حرب تقع بسبب خطأ الحساب ، إلى وزير الخارجية المصرى محمود رياض . وقد تم التأكيد على ثلاثة موضوعات هى مثار قلق : النشاط المستمر للفدائيين ضد اسرائيل من الاراضى السورية . وانسحاب قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة وحشود القوات . ومضت المذكرة تقول : ، اننا لمقتنعون بأن أى تعرض من اى نوع كان لهذه الحقوق الدولية (الخاصة بالمرور الحر والبرىء فى المضيق بالنسبة لسفن جميع الأمم) يمكن أن تكون له أخطر العواقب الدولية ، . وللوقوف على ، المذكرة الشفوية ، ، انظر برقية وزارة الخارجية رقم ١٩٩٧١٠ بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٦٧ ، سرى (لم تعد من المصنفات السرية فى ٤ اذار ١٩٩٠) .

١٩ - اضاف راسك رسالة الى الاسرائيليين اقترح فيها نقل قوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة إلى الجانب الاسرائيلى من الحدود .

٢٠ - Johnson, *Vantage Point*, PP. 290-91.

٢١ - اتخذ جونسون فعلا خطوة بتاريخ ٢٣ مايو كانت لها أهمية متصلة خلال الأزمة ، اذ أمر الاسطول السادس مع حاملتى الطائرات ، ساراتوجا ، و ، امريكا ، بالتوجه إلى شرقى البحر المتوسط .

٢٢ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 378

٢٣ - قرارات الرئيس بشأن صفقة المعونة لاسرائيل بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٦٧ . سرى للغاية (لم تعد من المصنفات السرية فى ٩ مايو ١٩٨٣) . وقد اتخذ قرار لاحق بالموافقة على بيع اقنعة الوقاية من الغازات . انظر : *The Department of State during the Administration of President Lyndon B. Johnson*, *November 1963-January 1969*, vol. 1: *Administrative History*, Pt. 4, chap. 4, section H-2, secret (declassified September 10, 1983), PP. 29, 33 . يؤخذ من نفس المصدر (ص ٤٥) ان يوجين روستو كان يعتقد بان الولايات المتحدة نصحت الاسرائيليين من الخلف حتى لايضربوا ضربة وقائية فى ٢٣ مايو كما طلبت الولايات المتحدة من إسرائيل ألا تختبر اغلاق المضيق بارسال سفن تحمل رايتها عبره . [illegible] ثم كان روستو يعتقد بان هناك مسؤولية هائلة وقعت على عاتق الولايات المتحدة

٢٤ - The United States Calls for Restraint in the Near East: Statement by President Johnson, *Department of State Bulletin*, vol. 56 (June 12, 1967), P. 870.

٢٥ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 38[illegible] . فى هذا الكتاب إشارة إلى برقية إيفرون بسان المرتبة الذى ادعى الولايات المتحدة الى التخطيط للذهاب بقضيتها الى الامم المتحدة

٢٦ ـ Johnson, *Vantage Point*, PP. 291-92.

٢٧ ـ المصدر السابق ص ٢٩١ ، وانظر Eugene V. Rostow, *Peace in the Balance: The Future of American Foreign Policy* (Simon and Schuster, 1972), PP. 259-60 . وكان السفير الاسرائيلى قد زار أيزنهاور فى ٢٤ مايو ، والمفروض أن ذلك لتذكير الرئيس السابق بالالتزامات التى قدمت فى عام ١٩٥٧ بشأن المضيق .

٢٨ ـ « سجل اجتماع مجلس الأمن القومى المعقود فى ٢٤ مايو ١٩٦٧ ، الساعة ١٢ ظهراً ـ مناقشة أزمة الشرق الأوسط ، » سرى للغاية (لم يعد من المصنفات السرية فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٣) . وفى ١٠ سبتمبر ١٩٩٢ لم تعد أجزاء إضافية من هذه الوثيقة من المصنفات السرية . والنقاط المثيرة تتمثل فى أن مدير وكالة المخابرات المركزية هلمز أكد تأكيداً جازما بأنه لاتوجد أسلحة نووية فى المنطقة ، فى حين أن الجنرال إيرل ويلر ، رئيس أركان الحرب المشتركة كان « أكثر تشككا » . وفى مرحلة تالية من المناقشة ، عاد الرئيس إلى موضوع « ما الذى نعمله بعد الاعتماد على القوات الاسرائيلية .. وأشار الجنرال ويلر إلى أن أى حرب طويلة من شأنها الاضرار بالاقتصاد الاسرائيلى . وعند هذه النقطة علينا أن نقرر هل نبعث بقوات ونواجه عبدالناصر رأساً » . أما الجزء التالى من الوثيقة فمازال من المصنفات السرية .

٢٩ ـ Johnson, *Vantage Point*, P. 292; Gilboa, *Six Years, Six Days*, P. 143; and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 98.

٣٠ ـ Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 123; Gilboa, *Six Years, Six Days*, PP. 145-46 ؛ ومقابلة مع يوجين روستو فى ١٧ فبراير ١٩٦٩

٣١ ـ Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 125.

٣٢ ـ أثناء اجتماع مجلس الأمن القومى فى ٢٤ مايو قال ويلر « إن فتح خليج العقبة سيكون أشق مما حسبناه أصلاً . وبسبب وجود غواصتين مصريتين فى البحر الأحمر سنحتاج إلى وحدة حربية مضادة للغواصات ، وأقرب وحدة موجودة الآن فى سنغافورة . على بعد أسبوعين » وبعد ذلك بقليل « جرت مناقشة موجزة حول احتمال وجود أسلحة غير تقليدية » . . « سجل اجتماع مجلس الأمن القومى المعقود فى ٢٤ مايو ١٩٦٧ ، الساعة ١٢ ظهرا ـ مناقشة أزمة الشرق الأوسط » ، ص ٣ ، سرى للغاية (لم يعد من المصنفات السرية فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٣) .

٣٣ ـ أرسلت هذه الرسائل بإيعاز من رئيس الأركان إسحق رابين الذى كان متلهفاً على حمل الأمريكيين على اتخاذ قرار . فإما أن يقطع جونسون على نفسه التزاماً بعمل محدد ، أو تصبح إسرائيل حرة فى التصرف على مسؤوليتها . انظر : Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), PP. 86-89; Gideon Rafael, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy. A Personal Memoir* (Stein and Day, 1981), PP. 144-45; Eban, *Autobiography*, PP. 348-49; and Steven L. Spiegel, *The Other Arab Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Regan* (University of Chicago Press, 1985), P. 450, note 95, حيث وردت رواية مختلفة اختلافاً يسيراً .

٣٤ ـ Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 386 وانظر لمزيد من التفصيل Brecher, *Decisions in Crisis*, PP. 130-32; Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 109; and Moshe Dayan, *Moshe Dayan: Story of My Life* (William Morrow, 1976), P. 329.

٣٥ ـ Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, PP. 386-87; and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, PP. 112-13 . استدعى يوجين روستو السفير المصرى مصطفى كامل محذراً بأن على مصر ألا تهاجم إسرائيل . كما طلب من السوفيت أن يستخدموا نفوذهم لحمل عبدالناصر على ضبط النفس ، وهو ماقيل بأنهم فعلوه . انظر : Heikal, *Cairo Documents*, P. 244; Gilboa, *Six Years, Six Days*, PP. 145-46; Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 387; and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, PP. 111-12.

٣٦ ـ بينما كان إيبان يجعجع فى وزارة الخارجية تلقت وكالة المخابرات المركزية تقريراً ينذر بالخطر قدمه مسؤول مخابرات إسرائيلى إلى رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية فى تل أبيب ، تضمن تحذيراً من أن السوفيت سيستولون على المنطقة إن لم يكره عبد الناصر على التراجع . مقابلة مع ريتشارد هلمز فى ٨ يونيو ١٩٩٢ .

٣٧ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, PP. 387-88 . وقد قابل هارمان كلا من يوجين روستو وجوزيف سيسكو .

٣٨ - Bar-Zohar, *Embassies in Crisis, P. 114-15* نعرف اليوم أن العسكريين المصريين ، ولاسيما عبدالحكيم عامر ، قد أصدروا أوامر للسلاح الجوى المصرى بالقيام بضربات جوية فى صباح ٢٧ مايو . ولابد أن الاسرائيليين علموا بذلك . ويؤخذ من مصادر مصرية أن عبدالناصر ألغى الأمر فى ٢٦ مايو . انظر محمد فوزى ، « *حرب الثلاث سنوات ، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ : مذكرات الفريق أول محمد فوزى* » (القاهرة : دار المستقبل العربى ، ١٩٨٤) ، ص ١٢٣ ، وكذلك عبدالمحسن كامل مرتجى ، « *الفريق مرتجى يروى الحقائق* » (بيروت : الوطن العربى ، ١٩٧٦) الصفحات ٧٩ ـ ٨١ . وانظر أيضاً هيكل ، « *١٩٦٧ : الانفجار* » ، الصفحات ٥٧٣ ـ ٥٧٥ .

٣٩ - انظر Tom Wicker, *JFK* and *LBJ· The Influence of Personality upon Politics* (William Morrow, 1968), PP. 195-99.

٤٠ - Eban, *Autobiography*, PP. 349-51; Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, PP. 389-90; and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 115.

٤١ - فى الليلة السابقة ، ٢٥ مايو ١٩٦٧ ، اجتمع جونسون بهلمز وويلر لمناقشة تقييم المخابرات الاسرائيلية الأخير الذى اعتبر أنه ينذر بالخطر . وطلب الرئيس إجراء « تمحيص دقيق » للتقييم الاسرائيلى . وفى ٢٦ مايو كان التقييم المشترك لوكالة المخابرات المركزية ووكالة مخابرات وزارة الدفاع جاهزاً ، وقد خلص هذا التقييم إلى أن اسرائيل ستفوز بالتفوق فى سيناء خلال أربع وعشرين ساعة إذا اتخذت زمام المبادرة ، وخلال يومين إلى ثلاثة أيام إذا قامت مصر بالضربة الأولى . ومضى التقييم إلى الاستنتاج بأن خطوط الدفاع المصرية سيتم اختراقها خلال بضعة أيام . مقابلة مع ريتشارد هلمز ، ٥ يونيو ١٩٩٢ .

٤٢ - Gilboa, *Six Years, Six Days*, PP. 146-47; and Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 390.
ويزعم بار ـ زوهار فى كتابه *Embassies in Crisis* (ص ١١٧) أن مكنمارا أعرب عن اعتراضه فى هذا الاجتماع على الأسطول البحرى المتعدد الأطراف .

٤٣ - تحوى ملفات مكتبة جونسون عن أزمة عام ١٩٦٧ عرضاً وافياً للالتزامات التى قطعت فى عام ١٩٥٧ . ومن المفترض أن هذه الوثيقة المؤرخة ٢٦ فبراير ١٩٥٧ (لم تعد من المصنفات السرية فى ١٩ أكتوبر ١٩٨٢) ، مقدمة من جانب الاسرائيليين وتجمل ماتم التوصل إليه من تفاهمات مع دالاس . ولابد أن هذه الوثيقة كانت ضمن الوثائق التى استعرضها راسمو السياسة الذين يبدو أنهم لم يكونوا على دراية كاملة بمدى الالتزام الأمريكى ، ولاسيما الاعتراف بأن لاسرائيل الحق فى استخدام القوة لاعادة فتح مضيق تيران إذا ماحدث فى أى وقت أن تم إغلاقه بالقوة .

٤٤ - « مذكرة إلى الرئيس : محادثاتك مع وزير الخارجية الاسرائيلى » ، ٢٦ مايو ١٩٦٧ ، سرية (لم تعد من المصنفات السرية فى ٣٠ أغسطس ١٩٨٢) .

٤٥ - إلا أن مكنمارا لم يعترض على سياسة الرئيس .

٤٦ - انظر المشروع المكتوب بخط يد راسك الذى استخدم هذه الألفاظ ، مكتبة جونسون (لم يعد من المصنفات السرية ، فى ٢٧ يونيو ١٩٨٣) . وقد استخدمت هذه الجملة الأساسية بصورة متواترة فى المحررات التالية ، وأحيانا فى أشكال مختلفة اختلافاً يسيراً . وقد أنفق الاسرائيليون كثيراً من الوقت فى محاولة استخلاص ما إذا كانت الرسالة تشكل ضربا ضمنيا من ضروب التشجيع على التصرف من تلقاء أنفسهم . ويبدو أنها لم تشكل هذا المعنى بالنسبة لراسك . والمسودة التى أعدها راسك بخط يده جرى تنقيحها من جانب جونسون الذى أضاف عبارة « لايسعنا أن نتصور أنها ستتخذ هذا القرار » بعد عبارة « تمضى بمفردها » مباشرة . وقد صارت هذه الوثيقة مذكرة شارحة سلمت باليد إلى إيبان أثناء الاجتماع الذى عقد فى نفس المساء ، انظر مسودة المذكرة المؤشر على أعلاها ، مكتبة جونسون ، ٢٦ مايو ١٩٦٧ ، سرية (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢١ سبتمبر ١٩٨٣) .

٤٧ - تم الاعراب عن الرأى القائل بأنه لم يقع حتى الان عمل صريح من أعمال العدوان . ومؤدى هذا الرأى أنه لايجوز الاعتداد بالالتزام الأمريكى لاسرائيل إلى أن تلجأ مصر إلى استخدام القوة المسلحة .

٤٨ - الملخص الوارد أعلاه مأخوذ من مسودة الملاحظات عن الاجتماع التى دونها سوندرز فى ٢٦ مايو

١٩٦٧ . انظر أيضا : Neff, *Warriors for Jerusalem*, PP. 142-43 ، ولاسيما نص مذكرة روستو إلى الرئيس استعدادا لهذا الاجتماع . ومما قاله روستو ، ضمن أشياء أخرى ، أن إيبان يهمه أن يعرف « ما الذى نستطيع تقديمه حالاً أفضل من ضربة (إسرائيلية) وقائية » .

٤٩ - Jonathan Trumbull Howe, *Multicrisis: Sea Power and Global Politics in the Missile Age* (MIT Press, 1971), PP. 362-67 . أجرى هاو مقابلة مع مصدر فى البيت الأبيض لم يعلن اسمه (جون روش) الذى قال إن جونسون كان يحايل إيبان لأنه كان قد اطلع حالاً على مذكرة عن محادثات دالاس - إيبان فى عام ١٩٥٧ وكان يرغب فى التحقق من صحتها .

٥٠ - يذكر إيفرون أن جونسون قال إنه بدون موافقة الكونجرس على أى إجراء يتخذ ، يصبح جونسون « مجرد صديق لاسرائيل طوله ستة أقدام وأربع بوصات » . واستطرد فقال إن « إسرائيل ليست تابعا للولايات المتحدة ولا الولايات المتحدة تابع لاسرائيل » . وقد اعتقد إيفرون ، وهو يسترجع أحداث الماضى ، أن هذه العبارة كانت تمثل أسلوب جونسون فى القول بأن على اسرائيل أن تعتمد على نفسها . وكان يعتقد بأن الرسالة أقل من ذلك وضوحاً عندما تحدث جونسون إلى إيبان - وهو يعتمد على أوراق التلخيص التى أعدتها وزارة الخارجية بعد هذا الاجتماع بوقت قصير . مقابلة مع إفرايم إيفرون فى ٤ يونيو ١٩٩٢ .

٥١ - النص الكامل لتقرير إيفرون الرسمى عن اجتماعه بجونسون وارد فى : Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, PP. 390-91.

٥٢ - « مذكرة عن محادثات ، ٢٦ مايو ١٩٦٧ » سرية / لاتوزع (أعدها جوزيف سيسكو ، وأخضعت للرقابة ولم تعد من المصنفات السرية فى ٢١ سبتمبر ١٩٨٣) . انظر أيضا : Brecher, *Decision in Israel's Foreign Policy*, P. 392. ويقول جونسون فى كتابه Johnson, *Vantage Point*, P. 293 أنه أخبر إيبان بأن الولايات المتحدة ستستخدم « أى وسيلة وكل الوسائل » لفتح المضيق . وتروى النسخة الرسمية على الصفحتين ٧ - ٨ أن إيبان قال وهو يختار ألفاظه بعناية « لن أكون على خطأ إذا ماقلت لرئيسة الوزراء أن استعدادك ينصرف إلى بذل كل جهد ممكن للتأكد من أن المضيق والخليج سيبقيان مفتوحين أمام المرور الحر البرىء ؟ فرد الرئيس بقوله : نعم » . إلا أن جونسون كان قد قال فى وقت سابق من الحديث إن الولايات المتحدة ستتخذ « أى وسيلة وكل الوسائل » لاعادة فتح المضيق . والفرق بين هاتين الصياغتين وهما - « كل جهد ممكن » و « أى وسيلة وكل الوسائل » - صار مثار جدل بين الحكومتين بعد ذلك ببضعة أيام .

٥٣ - مقابلة مع يوجين روستو ، ١٧ فبراير ١٩٦٩ ، Howe, *Multicrisis*, PP. 362-67. وينقل هاو عن جون روش المعاون فى البيت الأبيض مامعناه أن جونسون قال بعد اجتماعه مع إيبان : [إن إسرائيل] ستضربهم » . ويمكن مراجعة تقرير روش فى مقابلة أجريت مع مكتبة جونسون لتسجيل التاريخ الشفوى ، ١٦ يوليو ١٩٧٠ ، الشريط ، ص ٦٨ . وعقب اجتماع جونسون مع إيبان مباشرة تلقى مكالمة من السفير جولدبيرج من نيويورك . ولعل هذا الحديث أفضى بجولدبيرج إلى طلب مقابلة عاجلة لنفسه مع إيبان الذى كان يمر بنيويورك فى طريق عودته إلى تل أبيب . وقد اجتمع كلاهما فى فندق والدروف استوريا . وتحدث جولدبيرج حديث من له سلطان ، فأكد النقطة التى أوردها الرئيس حول ضرورة الحصول على تأييد الكونجرس لأى إجراء من جانب الولايات المتحدة . وأعرب جولدبيرج عن رأيه الشخصى ، وهو أن هذا يعنى أن الولايات المتحدة لاتستطيع عمل أى شىء من الناحية العسكرية لمساعدة إسرائيل . ويروى رافائيل فى كتابه Rafael, *Destination Peace*, (ص ١٤٥) طرفاً من هذه الرواية . وانظر بالاضافة إلى ذلك مقابلة لتسجيل التاريخ الشفوى أجريت مع آرثر جولدبيرج فى مكتبة ليندون جونسون بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٨٣ ، ص ٢٢ . وزعم جولدبيرج فى نفس المقابلة أن جونسون طلب منه تولى موضوع الأزمة لأن راسك أساء إلى وضعه بالملاحظات المعادية لاسرائيل التى أبداها فى وقت سابق من حياته العملية (ص ١٦) .

٥٤ - فى كتاب Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, PP. 398, نص هذه الرسالة : « أعلن السوفيت أنه إذا بدأت إسرائيل عملاً عسكرياً فإن الاتحاد السوفيتى سيقدم العون للدول التى هوجمت .... ويوصفى صديقكم ، أكرر ماقلته أمس إلى السيد إيبان بصورة أقوى وهو : أنه يتعين على إسرائيل ألا تقوم بعمل

عسكرى وقائى ، وألا تجعل من نفسها بذلك مسؤولة عن بدء القتال » . ثم طلب جونسون مهلة من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع قبل لجوء إسرائيل إلى القوة لفتح المضيق . وجاء فى المشروع الأصلى للرسالة : « من الضرورى ألا تقدم إسرائيل .... » وعزز جونسون هذه العبارة من ضيعته فى تكساس ليكون نصها « يتعين على إسرائيل ألا تقوم .... » كما أشار باضافة العبارة التالية : « إن زعماءنا فى الكونجرس قد أوضحوا دون استثناء أن الأعمال الوقائية لن تلقى تأييداً هنا » . مذكرة من جيم جونز إلى والت روستو ، ٢٧ مايو ١٩٦٧ (لم تعد من المصنفات السرية وجرى تنظيمها فى ٢١ سبتمبر ١٩٨٣) .

٥٥ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy,* P. 400. ويزعم بريتشر فى كتابه *Decisions in Crisis,* (ص ١٤٦) أنه كان لهذه الرسالة وقع شديد على تفكير أشكول ، وربما حالت دون موافقة مجلس الوزراء فى ذلك اليوم على خوض الحرب .

٥٦ - مقابلة مع دانيال ب . ليفيت ، الكاتب القانونى للقاضى فورتاس فى عام ١٩٦٧ ، وقد جرت فى ٨ أغسطس ١٩٩١ . وقد أشار ليفيت إلى اعتقاده - وإن لم يستطع تأكيد ذلك - بأن جونسون طلب من فورتاس القيام بدور « الوسيط غير الرسمى » مع إسرائيل .

٥٧ - انظر : Laura Kalman, *Abe Fortas A Biography* (Yale University Press, 1990), p. 301; ونقلا عن نفس المصدر (ليفيت) انظر : Robert Shogan, *A Question of Judgment. The Fortas Case and the Struggle for the Supreme Court* (Bobbs-Merrill, 1972), P. 139.

٥٨ - بالنسبة لموقف روبرت كنيدى ، انظر Dean Rusk, *As I Saw It* (Norton, 1990), P. 385. وفى هذا يقول راسك : أن بوبى كنيدى - الذى كان إذ ذاك عضوا بمجلس الشيوخ عن نيويورك ، أخبر مكنمارا وأخبرنى بقوله : لا أدرى ما الذى تعتقدونه فى واشنطن حول موقف إصدقائى اليهود فى نيويورك ولكنهم لايريدون أى شىء من هذا (الأسطول المتعدد الأطراف بقيادة الولايات المتحدة) .

٥٩ - المحفوظات الوطنية ، اليوميات الرئاسية ، أول أبريل ١٩٦٧ إلى ٣٠ يونيو ١٩٦٧ (ميكروفيلم ، الجزء الثانى ، البكرة ٩) ، ولاسيما ٢٧ - ٣١ مايو ١٩٦٧ .

٦٠ - مقابلة مع والت روستو ، ١٦ أكتوبر ١٩٩١ ، وأيضا Walt Rostow, *The Diffusion of Power An Essay in Recent History* (Macmillan, 1972), PP. 417-19.

٦١ - فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ أعد راسك ومكنمارا مذكرة مشتركة قدمت إلى الرئيس ، وأوصت باتخاذ طائفة من الخطوات « لاختبار » نوايا المصريين بازاء الحصار البحرى . ومن ذلك مثلا النظر فى خطة لارسال سفينة مملوكة لاسرائيل داخل خليج العقبة . « فإذا مرت دون تعرض لها ، فقد نحاول المرور بحمولة أكثر استراتيجية (كالنفط) . وخلال هذه الفترة لاتتضمن هذه الاختبارات خفارة مسلحة ولا أى عمل مضاد فى حالة رفض مرورها . والغرض من ذلك هو استيضاح حدود سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، وتكوين رأى عام يؤيد قضية حرية الملاحة » (ص ٤) . كما نظر فى خيار أقوى من الناحية العسكرية . وفى الحالتين ، لابد من التشاور مع الكونجرس . « صحيح أن فى الكونجرس حمائم كثيرة ربما كانت فى طريقها إلى التحول إلى صقور ، ولكن ماحدث فى خليج تونكين ، مازال له آثار خطيرة » (ص ٦) . وانتهت المذكرة بإشارة إلى أن خطط الطوارىء العسكرية مع المملكة المتحدة سيجرى تنفيذها بنهاية الأسبوع الذى يبدأ فى ٥ يونيو . مكتبة ليندون جونسون ، « مذكرة إلى الرئيس » ، سرى ، ٣٠ مايو ١٩٦٧ (لم تعد جزئياً من المصنفات السرية فى ٢٧ سبتمبر ١٩٩١) .

٦٢ - Johnson, *Vantage Point,* P. 294; Bar-Zohar, *Embassies in Crisis,* PP. 159-60; and Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy,* PP. 338, 413 . النص الكامل لرسالة اشكول التى وصفها والت روستو بأنها « كئيبة » المرسلة إلى جونسون مع مذكرة مرفقة لم ينشر مطلقاً . ويؤخذ من أحد المصادر أن اشكول أشار فعلا . إلى « تعاون المخابرات الذى أننتم به » . أما بريتشر ، الذى اطلع على الخطاب ، فقد نقل منه العبارات التالية : « من الصعوبات التى أواجهها أننى مضطر إلى مناشدة شعبى بأن يتحمل التضحيات والمخاطر ، دون أن أكون قادراً على أن أوضح بعض العوامل التعويضية مثل الالتزام من جانب الولايات المتحدة والمدى الكامل لاصراركم بشأن موضوع مضيق تيران » (ص ٣٣٨) . كما أشار اشكول إلى الحاجة إلى التصدى لعبد الناصر دون إبطاء ، مشيراً إلى ما كان له من تأثير فى الأردن . « إن هيبة

عبدالناصر المتزايدة لها فعلا آثار خطيرة فى الأردن .... وقد آن الأوان لمواجهة عبدالناصر بسياسة مقاومة أكثر شدة وفعالية . » (ص ٤١٣) وهذه النقطة الأخيرة كان لها صدى قوى لدى روستو . وربما لدى الرئيس أيضا . وكرد فعل لرسالة اشكول نفسها ، كتب هارولد سوندرز إلى والت روستو فى ٣١ مايو ، وحثه على ان ينظر فى « بديل مختلف تماما . والمفروض أنه بديل للأسطول المتعدد الأطراف . وقد تبين من جزء من الرسالة لم يعد من المصنفات السرية مؤخرا . أن سوندرز لاحظ أن البريطانيين والكنديين « مترددون » وأن « رسالة إشكول توحى بأننا لن نلبث أن نعارض هذا الخيار عاجلا وليس آجلا » . « مذكرة لوالت روستو » سرية (لم تعد من المصنفات السرية فى ١٤ أكتوبر ١٩٩٢) .

٦٣ - Brecher, *Decisions in. Israel's Foreign Policy*, P. 414; Gilboa, *Six Years, Six Days*, P. 197; and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 160 ويؤخذ مما رواه رابين فى مذكراته *Rabin Memoirs*, (ص ٩٥) أن التقرير المتعلق بهذا الحديث بين روستو وإيفرون كان له وقع كبير على إشكول الذى فسره بما معناه أنه لايستطيع الاعتماد على جونسون فى اتخاذ اجراء حازم .

٦٤ - قام والت روستو بإرسال « أول تقرير ليوست » إلى الرئيس . فتم تسلمه فى مركز ليندون جونسون للاتصالات فى تكساس فى ٣٠ مايو ١٩٦٧ . فى الساعة الثانية وسبع عشرة دقيقة مساء ، سرى (لم يعد من المصنفات السرية فى ٢٧ يونيو ١٩٨٣) .

٦٥ - Heikal, *Cairo Documents*, P. 245; Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy P. 420;* and Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, P. 168. وصل تقرير أندرسون عن محادثاته مع عبدالناصر إلى واشنطن فى ٢ يونيو . انظر برقية وزارة الخارجية ، لشبونة ١٥١٧ ، ٢ يونيو ١٩٦٧ ، سرى للغاية (لم تعد من المصنفات السرية فى ٣ سبتمبر ١٩٨٢) . وقد قال عبدالناصر لأندرسون إنه لن يهاجم . ولكنه يتوقع الضرب من جانب إسرائيل . وقال عبدالناصر إنه « واثق من نتيجة النزاع بين العرب والاسرائيليين » .

٦٦ - Bar-Zohar, *Embassies in Crisis*, PP. 160-61.

٦٧ - مقابلة مع إيفرون ، ٥ نوفمبر ١٩٩١ .

٦٨ - يقول بار - زوهار فى كتابه *Embassies in Crisis*, (ص ١٥٧) إن والت روستو أعرب فى ٣٠ مايو ، بعد أن انضم الأردن إلى جانب مصر ، عن رأى مؤداه أنه لم يعد يرى أى حل سياسى .

٦٩ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, P. 417 وانظر أيضاً : Ian Black and Benny Morris, *Israel's Secret Wars: A History of Israel's Intelligence Services* (Grove Weidenfield, 1991 P. 537. وقد أشار مؤلفا هذا الكتاب إلى مقابلة مع آميت زعم فيها إنه ذهب إلى واشنطن لكى « يقول (للأمريكيين) إننا ماضون إلى الحرب ، ولكى نسمع رد فعلهم » .

٧٠ - خطاب إلى وليام ب . كوانت من أبا إيبان بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٩٠ . وقد أورد ايبان فى سيرته الذاتية *Autobiography*, على الصفحتين ٣٨٤ - ٣٨٥ ، حديثا أكثر إسهابا عن هذه الرسالة ، ولكن دون أن يذكر إيفرون أو فورتاس بالاسم . ويؤخذ مما قاله إيبان أن أمريكيا على صلة وثيقة بجونسون (فورتاس) قد روى عنه قوله : « لو أن إسرائيل تصرفت بمفردها دون استنفاد المساعى السياسية ، لاقترفت بذلك خطأ مدمرا كالكارثة ، وعندئذ يكاد يكون من المستحيل على الولايات المتحدة أن تساعد إسرائيل ، كما تصبح العلاقات المترتبة على ذلك متوترة . والحرب إذا اندلعت ، فقد تكون طويلة ومكلفة لاسرائيل . وإذا أطلقت إسرائيل الطلقة الأولى قبل إجراء مناقشة فى الأمم المتحدة ، لألغت بذلك أى احتمال فى أن تلقى مساعدة من جانب الولايات المتحدة . وعلى الاسرائيليين ألا ينتقدوا أشكول وإيبان ، وعليهم أن يدركوا أن مايتذرعان به من ضبط النفس ومن الاجراءات المدروسة جيداً سيكون له تأثير حاسم عندما تأخذ الولايات المتحدة فى النظر فى مدى مشاركتها » . وقد قيل إن فورتاس فهم « بأن الوقت آخذ فى النفاد ، وبأن المسألة هى مسألة أيام أو حتى ساعات » . ولكن فورتاس كان يعتقد بأنه « إذا ما ثبت بأن الاجراءات التى تقوم بها الأمم المتحدة هى إجراءات غير فعالة ، فستؤازر الولايات المتحدة إسرائيل الآن » . وقد كرر إيبان هذه الرواية ، مع ذكر اسم فورتاس . فى هذه المرة فى كتابه : Abba Eban, *Personal Witness: Israel through My Eyes* (Putnam's, 1993), P. 405. ويؤخذ من مفكرة مواعيد الرئيس اليومية أن جونسون وفورتاس تحدثا فى الساعة الثامنة وثلاث وأربعين دقيقة من مساء يوم ٢٨ مايو . وحاول جونسون الاتصال مرة أخرى بفورتاس يوم ٣١ مايو ، ولكن فورتاس كان فى

بورتوريكو . انظر أيضا Shimon Peres, *David's Sling* (Random House, 1970), P. 236. وقد كتب بيريز فى هذا الكتاب : « مع اقتراب شهر مايو من نهايته ، أصبح واضحاً أنه لم يعد هناك أى أمل فى عملية بحرية عبر المضيق . وحتى فى دوائر معينة فى واشنطن فإن الرأى الذى كان يسمع هو أن الوحيد القادر على التماس مخرج من هذا الطريق المسدود هو إسرائيل نفسها . وقد بلغ هذا الرأى إلى مسامع القدس .

٧١ - يشير بريتشر فى صفحة ٤١٧ من كتابه Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy*, إلى أن إيبان قد اطلع بدوره على تقرير آميت بما ورد فيه من تقدير مؤداه « أن هناك فرصة متزايدة للحصول على تأييد سياسى أمريكى إذا ماتصرفنا من تلقاء أنفسنا » . أما إيتان هابر Eitan Haber, فهو يشير فى كتابه *Today War Will Break Out: The Reminiscences of Brigadier General Israel Lior* (Jerusalem: Edanim/Yediot Aharonot, 1987) الصادر باللغة العبرية (ص ٢١٣) إلى أن إيبان انتهى فى أول يونيو إلى أنه لم تعد هناك أى حاجة إلى انتظار إجراء تتخذه الولايات المتحدة . وارتأى البعض فى تغييره لرأيه بأنه يمثل الضوء الأخضر للعمل العسكرى . ويؤخذ من أقوال هابر أن ياريف كان قد انتهى فعلاً إلى نتيجة مؤداها أن الولايات المتحدة ليست جادة فى موضوع الأسطول البحرى ومن ثم ، فان إسرائيل حرة فى أن تتصرف على مسؤوليتها الخاصة (ص ٢٠٥ - ٢٠٦) .

٧٢ - أماط جونسون اللثام فى كتابه *Vantage Point*, (ص ٢٩٤) دون أن يذكر إيفرون بالاسم عن جزء من هذه الحادثة . أما بقية الأجزاء فتستند إلى مقابلات مع المشاركين فيها .

٧٣ - على النقيض من ذلك ، فان السفارة الأمريكية فى القاهرة كانت تعتقد اعتقاداًقوياً بأن المصريين سيقابلون أى محاولة لاعادة فتح المضيق برد فعل عسكرى . انظر البرقية المؤرخة ٢٦ مايو ١٩٦٧ (القاهرة ٨٠٠٧ ، سرى) والبرقية المؤرخة ٢٨ مايو ١٩٦٧ (القاهرة ٨٠٩٣ ، سرى) والبرقية المؤرخة ٣ يونيو ١٩٦٧ (القاهرة ٨٤٣٢ ، سرى) ولم تعد كلها من المصنفات السرية فى ٤ يناير ١٩٩٠ .

٧٤ - مقابلة مع إيفرون فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٤ . والملاحظات الخاصة بهذا الاجتماع دونها هارولد سوندرز الذى كان حاضراً كما أنه استشير أيضا .

٧٥ - كان إيفرون مشغولاً يوم ٣ يونيو . ففى الصباح المبكر قدم قائمة طويلة باحتياجات إسرائيل العسكرية إلى مكنمارا الذى أفهمه ضمناً أن الأسلحة لايمكن مطلقا أن تصل إلى اسرائيل فى الوقت المطلوب لأن الحرب لن تلبث أن تنتهى سريعا . وقد فهم إيفرون هذه العبارة على أنها إشارة إلى أن الولايات المتحدة واثقة من أن إسرائيل ستنتصر ، وأنه لاحاجة إلى إجراء أمريكى . وفى فترة تالية من النهار اجتمع ايفرون براسك الذى سلمه أثناء اجتماع ودى للغاية خطابا من جونسون إلى اشكول . وفى مساء نفس اليوم تناول ايفرون العشاء مع والت روستو الذى تحدث باستفاضة عما ينبغى عمله فى المنطقة بعد انتهاء الحرب . وكان من رأى ايفرون أن هؤلاء المسؤولين الأمريكيين الثلاثة - وكلهم على دراية برسالته هو وآميت - أتيحت لهم فى هذا اليوم عدة فرص لتحذير إسرائيل من الاقدام على إجراء عسكرى ، ولكنهم تكلموا عوضاً عن ذلك كما لو أن الحرب كانت امراً مقضياً . مقابلة مع إيفرون ، ٥ نوفمبر ١٩٩١ .

٧٦ - يؤخذ مما قاله إيفرون ، أن هذا كان أقرب مايكون من استجابة جونسون لرسائله ورسائل آميت ، وفحواها أن الوقت آخذ فى النفاد ، وأن إسرائيل قد تضطر إلى اتخاذ إجراء حالاً . وكان من رأيه أن جونسون ، باعترافه بهذه الاشارات ، إنما يقول لاسرائيل « إن الضوء الأحمر قد تحول إلى اللون الكهرمانى » . مقابلة مع إيفرون - ٢٢ أكتوبر ١٩٩١ .

٧٧ - مقابلة مع ريتشارد هلمز ، ٨ يونيو ١٩٩٢ . قال آميت لهلمز إن إسرائيل لا تحتاج من الولايات المتحدة ألاّ إلى إمدادات السلاح التى اتفق عليها فعلاً ، وإلى التأييد الديبلوماسي ، وإلى التصدى للسوفيت إن لزم الأمر . وفسر آميت استدعاءه هو والسفير هارمان إلى القدس فى أول يونيو باعتباره أمارة على أن قرار الحرب بات وشيكا . وفى رأى آميت أن عبدالناصر لم يكن يخطط لهجوم برى ، ولكن لم يكن فى وسع إسرائيل انتظار خطوته التالية ، فالتكاليف الاقتصادية ضخمة جدا ، والضغوط السياسية شديدة على إشكول . يضاف إلى هذا أن هناك احتمالاً بقيام المصريين بضربة جوية ، ربما على مفاعل ديمونة النووى . ويؤخذ مما قاله شلومو آرونسون فى كتابه : Shlomo Aronson, *The Politics and Strategy*

of Nuclear Weapons in the Middle East: Opacity, Theory, and Reality, 1960-1991. An Israeli Perspective (State University of New York Press, 1992). P. 109, أن طائرة مصرية حلقت فوق ديمونة فى ١٧ مايو ١٩٦٧ فى مهمة استطلاع جوى . ويسوق آرونسون حججاً مسهبة مؤداها أن الهدف الرئيسى لعبد الناصر فى الأزمة التى أفضت إلى حرب يونيو ١٩٦٧ ، هو جعل مصر فى وضع يطوّع لها أن تضرب ديمونة قبل أن تحصل إسرائيل على صواريخ أرض ـ أرض ذات رؤوس نووية . ويقال إن إشكول كان فى شغل شاغل بالتهديد المحتمل لديمونة . انظر : Haber, *Today War Will Break Out, P. 161.*

٧٨ ـ خطاب من الرئيس جونسون إلى رئيس الوزراء إشكول . وهو متاح فى مكتبة جونسون مع مذكرة مرفقة بتاريخ ٣ يونيو ، سرى (لم يعد من المصنفات السرية فى ٥ إبريل ١٩٨٢) ومع مذكرة طريفة من والت روستو بأنه « قد يتعين علينا على وجه عاجل أن نسجل هذا الخطاب حالاً » . انظر أيضا : Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy, P. 420.* كما أن بار ـ زوهار نشر جزءاً من هذا النص فى كتابه *Bar-Zohar, Embassies in Crisis,* P. 175, أما موشى ديان فيقول فى كتابه *Moshe Dayan,* (ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦) إن خطاباً من جونسون قرىء فى اجتماع لجنة الدفاع الوزارية فى ٤ يونيو ، وهو الاجتماع الذى اتخذ فيه قرار الحرب .

٧٩ ـ برقية وزارة الخارجية رقم ٢٩٧٩٧٧ بتاريخ ٣ يونيو ١٩٦٧ ، ص ٣ ، سرى (لم تعد من المصنفات السرية فى ٩ يناير ١٩٩٠) .

٨٠ ـ خطاب ليفيت إلى كوانت بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٩١ ، Kalman, *Abe Fortas,* P. 301.

٨١ ـ بعث عبدالناصر بخطاب إلى جونسون فى ٢ يونيو وصل إلى الرئيس فى اليوم التالى ، ووافق فيه على زيارة محيى الدين ، ولكنه ـ بعبارة والت روستو ـ كان فيما عدا ذلك خطابا « ليس فيه أى تساهل » . انظر مذكرة روستو إلى جونسون بتاريخ ٣ يونيو ١٩٦٧ مع نص خطاب عبدالناصر ، سرى (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢٧ أغسطس ١٩٨٢) ، مكتبة جونسون . كما وصل تقرير آندرسون غير المشجع عن حديثه مع عبدالناصر إلى الرئيس فى نفس هذا الوقت تقريبا .

٨٢ ـ Gilboa, *Six Years, Six Days,* P. 199. أشار واحد من المشاركين فى الاجتماع إلى ما قاله آميت من أن الولايات المتحدة ستبارك ما تفعله إسرائيل أياً كان إن هى نجحت فى التخلص من عبدالناصر . انظر أيضاً مانقل عن سكرتير مجلس وزراء إشكول فى كتاب : Andrew Cockburn and leslie Cockburn, *Dangerous Liaison: The Inside Story of the U.S. Israeli Covert Relationship* (Harper Collins Publishers, 1991), PP. 145-46 . وللرجوع إلى المصدر الأصلى انظر : Haber, *Today War Will Break Out,* PP. 216-18 . أما رواية آميت نفسه فتتضمن أنه قال إن الولايات المتحدة لن تحزن إذا ماقامت إسرائيل بضرب مصر (مقابلة ، ٤ يونيو ١٩٩٢) . كما قال آميت لأعضاء مجلس الوزراء إن الأسطول الصغير المعروف باسم « ريجاتا البحر الأحمر » ينبغى ألا يؤخذ مأخذ جد . وفى أثناء اجتماع تال لمجلس الوزراء فى ٤ يونيو ، وهو الاجتماع الذى أتخذ فيه قرار خوض الحرب بصورة رسمية ، قال إشكول إن جونسون قد لطّف الآن من موقفه وإنه سيمنح إسرائيل تأييده السياسى . انظر Brecher, *Decisions in Crisis,* P. 167.

٨٣ ـ برقية صادرة ، وزارة الخارجية ، كتاب دورى للعواصم العربية ، من وزير الخارجية إلى السفراء ولايطلع عليه سواهم ، ٣ يونيو ١٩٦٧ الساعة السابعة والدقيقة السابعة عشرة مساء ، سرى (لم يعد من المصنفات السرية ، فى ٤ يناير ١٩٩٠) . « لايسعكم أن تفترضوا بأن فى وسع الولايات المتحدة أن تأمر إسرائيل بعدم القتال فى سبيل ماتعده مصالح على أقصى درجة من الحيوية بالنسبة لها . لقد توسّلنا بالحد الأقصى من ضبط النفس ، وقد تمكنا حتى الآن من منع إسرائيل من التحرك . ولكن سيكولوجية « الجهاد » ـ أو الحرب المقدسة ـ فى العالم العربى تضاهيها سيكولوجية سفر الرؤيا داخل اسرائيل . وقد تقدم إسرائيل على اتخاذ قرار بضرورة اللجوء إلى القوة لحماية مصالحها الحيوية . ولذا فعلينا عند معالجة القضايا الداخلة فى هذا الأمر أن نضع نصب العينين ضرورة التماس حل يمكن بفضله حمل إسرائيل على ضبط النفس .... ولن تفيد مطالبة إسرائيل بقبول الوضع الراهن الحالى فى المضيق ، لأن إسرائيل ستحارب ولن نستطيع حملها على ضبط النفس . ولايسعنا أن ننفض اليدين ونقول فى هذه الحالة دعوهم يقاتلوا ، وسنحاول البقاء على الحياد » .

٨٤ ـ Merle Miller, *Lyndon: An Oral Biography* (Putnam's, 1980), P. 480. اتخذ مجلس الوزراء الاسرائيلى

القرار الرسمى بدخول الحرب فى ختام اجتماع استغرق سبع ساعات عقد فى ٤ يونيو ، وانتهى تقريبا بعد الظهر بتوقيت إسرائيل . فإن صحت هذه الرواية ـ فلا بد أن فينبرج قد اعتمد فى تقريره إلى جونسون على القرار السابق من حيث المبدأ الخاص بدخول الحرب فى ٥ يونيو الذى اتخذه « مجلس الوزراء الداخلى » الاسرائيلى ، أولاً فى ٢ يونيو ثم فى ٣ يونيو . وقد وصف إيفرون رواية فينبرج بأنها « هراء » وكان ذلك فى مقابلة تمت فى ٢٢ أكتوبر ١٩٩١ . وقال : لم يعرف أحد فى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت متى تبدأ الحرب على وجه التحديد .

الفصل الثالث

١ ـ فى ثانى أيام الحرب نقل آرثر جولدبيرج إلى البيت الأبيض رسالة من رئيس الوزراء الاسرائيلى إشكول أرسلت إليه عن طريق كبير القضاة فى اسرائيل : « فإشكول يأمل أن تتفهموا ، العمل الذى أقدمت عليه إسرائيل ، فقد ترتب هذا العمل على تقدير بأن وضع الأمن قد تدهور تدهوراً أصبح فيه وجودها الوطنى مهدداً . وإشكول يأمل ألا تتخذ أى إجراء من شأنه الحد من العمل الاسرائيلى للتوصل إلى حرية الملاحة عبر خليج العقبة . وهم يدركون صعوباتكم فى التوصل إلى هذه النتيجة ، وهم على استعداد لتولى الأمر بأنفسهم » . انظر مذكرة من روستو إلى جونسون ، ٦ يونيو ١٩٦٧ ، الساعة الحادية عشرة صباحا ، سرى (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢٣ أغسطس ١٩٨٢) .

٢ ـ مذكرة للاحتفاظ بها فى السجلات ، اجتماع مجلس الأمن القومى ، ٧ يونيو ١٩٦٧ ، سرى ، (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢٧ أغسطس ١٩٨٢) . « قال الرئيس أنه ليس واثقا من أننا قد تخلصنا من متاعبنا . ولم يسعه أن يتصور أن يقول الاتحاد السوفيتى إنه أخطأ فى الحساب ثم يمضى فى سبيله . ويجب أن يكون هدفنا هو أن « نبدو فى صورة تضم أقل عدد من الأبطال وأقل عدد من السفلة يكون فى استطاعتنا » . ومن الأهمية بمكان أن يدرك الجميع أننا لانؤيد العدوان . ونحن آسفون لأن هذا قد حدث . ووضعنا هو أحسن وضع فى طاقتنا فى ضوء تعقيدات الموقف . لقد كنا نظن أن لدينا التزاما من تلك الحكومات ، ولكنه لم يلبث أن تبدد دخاناً فى الهواء . وقال الرئيس إنه متى حل الوقت الذى نكون قد انتهينا فيه من المشكلات المتقيحة ، فسنتمنى لو أن الحرب لم تقع » .

٣ ـ « مذكرة للاحتفاظ بها فى السجلات : ذكريات والت روستو عن ٥ يونيو ١٩٦٧ »، ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ ، سرى للغاية (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢٣ أكتوبر ١٩٨٤) ، ص ٣ : « لعلّى اقتصر على القول بين قوسين إن الرئيس جونسون لم يعتقد مطلقاً بأن الحرب لم تكن سوى خطأ من جانب الاسرائيليين ، ولم ير مطلقا فى النصر السريع الباهر مناسبة للاغتباط أو للارتياح ، وهو ما قاله لممثلى اسرائيل فى عدد من المناسبات . على أنه يتعين على أن أقول إنه على الرغم من أن الحرب فى ذلك الوقت قد بدئت على خلاف مشورتنا ، فقد كان هنا قدر من الارتياح لأن الأمور تسير بالنسبة للاسرائيليين سيراً طيباً .... فقد لاح وكأننا لن نكون فى وضع يجعلنا نختار بين المشاركة بأنفسنا ، أو رؤية الاسرائيليين وقد ألقى بهم فى البحر أو هزموا . تلك كانت لحظة حريّة بأن تكون مؤلمة للغاية ، وهى طبعا مع وجود السوفيت فى الشرق الأوسط تعتبر لحظة خطر عام عارم » .

٤ ـ مقابلة مع ماك جورج باندى ، ١١ ديسمبر ١٩٦٨ .

٥ ـ استدعى كلارك كليفورد لكى يساعد على تقرير الكيفية التى بدأت بها الحرب . ولم يلبث أن خلص إلى الرأى القائل بأن إسرائيل أقدمت على عمل وقائى . وبعبارة والت روستو ، كان من رأيه أن الاسرائيليين قفزوا انطلاقا من أدنى حد من الاستفزاز باذلين جهداً متعمداً للتعامل مع القوة الجوية للجمهورية العربية المتحدة ثم مطاردة جيوشها التى كانت قد احتشدت طبعاً فى سيناء . وكان فى تقديره فى ذلك الوقت ـ على ما أذكر ـ أن الأمر كان يتحصل فى قرار إسرائيلى مباشر بالتعامل مع الأزمة بشن الحرب ، على الرغم من أننا كنا جميعا نفطن إلى الاستفزازات فى مضيق تيران والتعبئة فى سيناء » . « مذكرة للاحتفاظ بها فى السجلات : ذكريات والت روستو عن ٥ يونيو ١٩٦٧ » ، ص ٣ .

٦ ـ Jonathan Trumbull Howe, ***Multicrises: Sea Power and Global Politics in the Missile Age*** (MIT Press, 1971), P. 70.

٧ - المرجع السابق ، ص ٩٠ (مقابلة مع راسك) .
٨ - المرجع السابق ، ص ٩١ ، ٩٣ . جاء فى هذا المصدر أن راسك قال إن من شأن وقف إطلاق النار على الفور بتأييد من الولايات المتحدة ، أن يجعل إسرائيل على مسافة خمسين ميلاً فقط داخل سيناء .
٩ - تم فى ٧ يونيو ١٩٦٧ إبلاغ جونسون بآراء مسؤول إسرائيلى من مستوى عال كان قد قال لنظيره الأمريكى « بأن السوريين سينالون ضربتهم ، إذ أننا نتعامل مع كل بلد بالدور » . وأثار نفس المسؤول سؤالاً عما الذى يجول فى خاطر الولايات المتحدة بالنسبة لعبد الناصر بعد انتهاء الحرب . وقد فهم هذا السؤال على أنه أكثر من إشارة مستترة إلى أن إسرائيل تود أن تدرس اتخاذ عمل مشترك لخلع عبدالناصر من السلطة .
١٠ - طلب من كلارك كليفورد ، وهو عضو فى المجلس الاستشارى للمخابرات الخارجية التابع للرئيس ، أن يقرر مَنْ هو المسؤول عن مهاجمة الباخرة « ليبرتى » . ويؤخذ من الملاحظات التى دونت عن اجتماع اللجنة الخاصة لمجلس الأمن القومى فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، أن كليفورد قرر بأنه « من غير المتصور أن يكون هذا حادثا غير مقصود » . وهناك إشارة هامشية تقول إن « الرئيس وافق ١٠٠٪ » (لم تعد من المصنفات السرية فى ١٢ أغسطس ١٩٨٥) . وللوقوف على مزيد من المعلومات عن مسألة « ليبرتى » انظر : James M. Ennes, Jr., *Assault on the Liberty· The True Story of the Israeli Attack on an American Intelligence Ship* (Random House, 1979); James Bamford, *The Puzzle Palace: A Report on America's Most Secret Agency* (Houghton Mifflin, 1982), PP. 217-29; Hirsh Goodman and Ze'ev Schiff, "The Attack on the *Liberty*," *Atlantic Monthly*, September 1984, PP. 78-84; and letters to the editor, *Atlantic Monthly*, December 1984, PP. 7-8.
وكان كثير من المسؤولين الأمريكيين وقت الهجوم على ليبرتى يعتقدون أن إسرائيل تصرفت عامدة. وفى سنوات تالية زعم بعض الذين شاركوا فى الأزمة أن معلومات المخابرات أوضحت أن الطيارين الإسرائيليين كانوا يعرفون أنهم يهاجمون سفينة ترفع الراية الأمريكية . وأشار الذين اعتقدوا بأن الاعتداء كان متعمدا إلى عدة دوافع . أما الدافع الذى يُذكر بصورة أكثر تواتراً فهو أن إسرائيل كانت تخطط للعدوان على مرتفعات الجولان ، ولم تشأ أن يكون لدى الولايات المتحدة دليل على أن إسرائيل تتعمد خرق وقف إطلاق النار الذى قررته الأمم المتحدة .
١١ - Lyndon Baines Johnson, *The Vantage Point· Perspective of the Presidency, 1963-1969* (Holt, Rinehart and Winston, 1971), PP. 301-02.
١٢ - انظر « مذكرة للاحتفاظ بها فى السجلات : اجتماع الخط الساخن ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ » ، سرى للغاية ، ٢٢ أكتوبر ١٩٦٨ (لم تعد من المصنفات السرية جزئيا فى ٢٢ فبراير ١٩٨٢ و ٢ فبراير ١٩٩٣) .
١٣ - Dean Rusk, *As I Saw It* (Norton, 1990), PP. 386-87) .
١٤ - محمد حسنين هيكل ، « *١٩٦٧ : الانفجار* » (القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٠) الصفحات ٣٧١ - ٣٧٥ و ٤٣٩ و ٦٥١ ، و Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (Quartet Books, 1981) P. 37 . بمجرد نشوب الحرب خلص بعض الاسرائيليين - على مايبدو إلى أن الولايات المتحدة إنما كانت تريد من إسرائيل أن « تنتهى من عبدالناصر إلى الأبد » . انظر : Eitan Haber, *Today War Will Break Out: The Reminiscences of Brigadier General Israel Lior* (Jerusalem· Edanim/ Yediot Aharonot, 1987) الصادر باللغة العبرية ، ص ٢٣٨ . وفى هذا الكتاب استشهاد بآراء يوسف تيكواه من وزارة الخارجية الاسرائيلية .
١٥ - Stephen Green, *Taking Sides: America's Secret Relations with a Militant Israel* (William Morrow, 1984) PP. 204-11; and Green, *Living by the Sword. America and Israel in the Middle East, 1968-87* (Brattleboro, Vt.· Amana Books, 1988), P. 235.
١٦ - أورد ويلبور كرين إيفلاند ، وهو من العملاء السابقين لوكالة المخابرات المركزية تقريراً هو بدوره لا برهان عليه حول قيام جونسون باعطاء الاسرائيليين شيئا من التشجيع لدخول الحرب ، وذلك فى كتابه *Ropes of Sand· America's Failure in the Middle East* (Norton, 1980), P. 324. فقد قال إن جونسون طلب من جيمس أنجلتون ، وهو شخصية غامضة فى وكالة المخابرات المركزية كانت مكلفة بمكافحة

التجسس وأيضا بالشؤون الاسرائيلية ، « أن يبلغ إيفرون بأن الولايات المتحدة تفضل أن تنصرف الجهود الاسرائيلية إلى التخفيف من حدة التوتر ، ولكنها لن تتدخل لوقف هجوم يقع على مصر . وقد اشترط هذا الموقف الأمريكي عدم اتخاذ إجراء إسرائيلي عسكرى ضد الأردن أو سوريا أو لبنان » . وقد كان أنجلتون ممالئا لاسرائيل بدرجة قوية ، ولايستبعد أن يكون قد اضطلع بدور فى الأزمة ، ولاسيما أثناء زيارة مائير آميت ، ولكن للمرة الثانية لا يوجد أى دليل على ذلك ، كما أن ايفرون ينكر هذه الرواية انكارا باتاً .

١٧ - تلقت وكالة المخابرات المركزية تقريراً فى يونيو ١٩٦٧ له مصداقية غير حاسمة ورد من « مسؤول سوفيتى متوسط المنزلة » قال فيه إن « الاتحاد السوفيتى أراد خلق نقطة متاعب أخرى للولايات المتحدة بالاضافة إلى نقطة المتاعب الموجودة حاليا فى فيتنام . وهدف السوفيت هو خلق وضع من شأنه أن تتورط فيه الولايات المتحدة تورطاً جدياً اقتصاديا وسياسيا ، وربما حتى عسكريا ، وتعانى فيه من نتائج سياسية معاكسة من جراء وقوفها ضد العرب . وهذه الخطة الكبرى التى كانت تتصور حربا طويلة فى الشرق الأوسط قد أخفقت لأن العرب فشلوا فشلاً ذريعاً ، ولأن الهجوم الاسرائيلى الخاطف كان حاسما » . ولتحقيق هذه الغاية فإن الاتحاد السوفيتى « شجع العرب فى موقفهم المعادى إزاء إسرائيل » (روجع ولم يعد من المصنفات السرية فى ٢٨ فبراير ١٩٨٤) .

١٨ - انظر كتاب سيدنى بيلى الذى يستند إلى رسائل من راسك إلى المؤلف . وعنوان الكتاب : Sydney D. Bailey, *Four Arab-Israeli Wars and the Peace Process* (St. Martin's, 1990), P. 211 . وقد قال راسك : « إن تصوير أى شيء قاله الرئيس جونسون لآبا إيبان على أنه يوحى بأن الرئيس قد أعطى إسرئيل « شيكا على بياض » أو أن لاسرائيل الحق فى الاعتقاد بأنها ستظفر بتأييد الولايات المتحدة أيا كان ما تقرر الاقدام عليه ، هو تشويه خطير » . وانظر أيضا « المعلومات الأساسية » الحافلة بالبيانات الكاشفة التى أفضى بها راسك إلى الصحافة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ ، الساعة الخامسة وخمس دقائق مساء ، وهى متاحة فى مكتبة جونسون . ويؤخذ من الملاحظات المدونة عن اجتماع اللجنة الخاصة لمجلس الأمن القومى فى ١٤ يونيو ١٩٦٧ (لم تعد من المصنفات السرية فى ١٢ أغسطس ١٩٨٥) أن راسك تحدث عن تقرير المصير بالنسبة للضفة الغربية فقال « إن احتفاظ إسرائيل بالأراضى سيخلق نزعة انتقامية لاسترداد الأراضى المفقودة تستمر إلى بقية القرن العشرين » . وفى كتاب راسك المعنون *As I Saw It,* أقرّ فعلاً فى الصفحة ٣٨٥ بأن الاسرائيليين كانوا على دراية تامة بالتفكير السائد فى واشنطن ، حيث قال : « هناك أمر واحد لدى الاسرائيليين هو المخابرات الجيدة . ولو أن أى بلد آخر اخترق الحكومة الأمريكية فى أى وقت كما فعلوا ، فالأرجح أننا كنا نقطع العلاقات معه » .

١٩ - كانت لدى الاسرائيليين عدة مصادر يعتمدون عليها فى استخلاص نتائجهم بشأن آراء جونسون فى هذه الفترة الحرجة : فهارمان وايفرون كانا على اتصال متواتر مع فورتاس الذى كان وسيطا موثوقاً به لدى جونسون ، واجتمع إيفرون بوالت روستو فى هذه الفترة الحرجة لاستيضاح السيناريو الخاص بقيام إسرائيل بالضرب لفتح المضيق ، وجاء آميت إلى واشنطن لمراجعة الأمور مع المسؤولين فى المخابرات والدفاع ، كما كان عدد من أصدقاء إسرائيل الآخرين ، وبصورة خاصة كريم وزوجته على دراية وثيقة بتفكير الرئيس فى هذه الأيام الحرجة بحكم الساعات الطويلة التى كانوا ينفقونها معه كل يوم . يضاف إلى هذا أن آرثر جولدبيرج كان على اتصال تليفونى منتظم مع الرئيس ، وارتأى أن عليه مسؤولية فى إفساد تحيزات راسك المزعومة . وصفوة القول أن الاسرائيليين تمتعوا بالقدرة على الوصول إلى جونسون وإلى دائرته الداخلية على نحو لاتستطيع أى حكومة أخرى أن تعتمد عليه . وقد كانوا على صواب فى استنتاجهم أن جونسون لن يلومهم إذا ما خاضوا الحرب . وجميع التقارير الاسرائيلية توضح بجلاء أن هذا كان اعتباراً حاسماً بالنسبة لاشكول وإيبان ، إن لم يكن لبعض الجنرالات . فلقد كانوا يريدون قبل تقرير موضوع الحرب أن يتأكدوا من أن حرب السويس لن تتكرر .

٢٠ - فى وقت مبكر يرجع إلى ٦ يونيو ١٩٦٧ ، أوضح والت روستو للرئيس أن مجرد وقف لاطلاق النار يدع إسرائيل مسيطرة على الأراضى يعنى أننا « نستطيع أن نستخدم الوضع الفعلى القائم على الساحة لمحاولة التفاوض لا حول العودة إلى خطوط الهدنة فقط بل لتحقيق سلام نهائى فى الشرق الأوسط » (لم تعد من المصنفات السرية فى ٣ مارس ١٩٨٢) . وفى اليوم التالى بعث والت روستو بمذكرة مكتوبة

بخط اليد إلى الرئيس كتب فيها « إن بيل مويرز يروى عن طريق فينبرج (كذا) نقلاً عن إيبان : (١) عندما يطلب الاتحاد السوفيتى الانسحاب من خطوط وقف إطلاق النار ، فإن إيبان سيقول : « لا *انسحاب إلى الوراء دون سلام نهائى* .... (٣) ويقول فينبرج إن هذا مخرج للرئيس لكى يصحح موقفه بعد « الحياد » وما إليه » . وكان روستو يشير إلى بيان صدر فى اليوم الأول للحرب من ناطق بلسان وزارة الخارجية قال فيه إن الولايات المتحدة « محايدة فى التفكير والقول والفعل » . فأحدث هذا عاصفة نارية فى الجالية الموالية لاسرائيل التى فسرته باعتباره بيانا بعدم المبالاة .

٢١ - نقل إيفرون هذه النقطة إلى والت روستو فى ٥ يونيو .

٢٢ - وبالمصادفة قرر مجلس الوزراء الاسرائيلى فى نفس هذا اليوم أنه على استعداد للانسحاب إلى الحدود الدولية مع مصر وسوريا فى مقابل السلام ونزع السلاح . وقام رابين بنقل هذا القرار إلى راسك يوم ٢٢ يونيو ١٩٦٧ . انظر Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown; 1975), P. 135. وستكون الضفة الغربية موضوع مفاوضات ، ولكن إسرائيل لن تقطع على نفسها التزاماً بالانسحاب الكامل ، أما القدس الشرقية فقد ضمت فعلاً داخل الحدود البلدية الموسعة للقدس الكبرى .

٢٣ - للوقوف على تلخيص ممتاز لدبلوماسية هذه الفترة فى الأمم المتحدة انظر : David A. Korn, *Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967-1970* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1992), PP. 31-45.

٢٤ - المرجع السابق ، ص ٨٤ - ٨٦ .

٢٥ - تم إرسال نص « المحضر المتفق عليه » إلى وزارة الخارجية بالبرقية رقم ١٢٧٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٦٧ ، من مكتب الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة (سرى / لا يوزع) ويمكن العثور على إشارة إليه فى : Nina j. Noring and Walter B. Smith "The Withdrawal Clause in UN Security Council Resolution. 242 of 1967: Its Legislative History and the Attitudes of the United States and Israel since 1967, "February 4, 1978 (secret), P. 5.

٢٦ - قال راسك فى صفحة ٣٨٩ من كتابه *As I Saw It,* « إننا لم نفكر مطلقا فى أن تحصل إسرائيل على أى جزء ذى بال من الأراضى نتيجة لحرب يونيو ١٩٦٧ » . انظر أيضا Donald Neff, "The Differing Interpretations of Resolution 242," *Middle East International,* September 13, 1991, PP. 16-17, ويعتمد هذا الكتاب على وثائق سرية ترجع إلى ذلك الوقت ، من بينها التزام السفير جولدبيرج للملك حسين ، وقد تم نقله إليه فى ٣ نوفمبر ١٩٦٧ . ففى سبيل الحصول على موافقة الأردن على القرار ، قدم جولدبيرج تطمينات للأردنيين مؤداها أن الولايات المتحدة ستعمل على عودة الضفة الغربية إلى السلطة الأردنية . وعندما زار جورج بول ، الذى أصبح سفيرا للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة فى يونيو ١٩٦٨ ، منطقة الشرق الأوسط فى أواسط يوليو ، فوضه الاسرائيليون فى أن ينقل إلى الملك حسين استعدادهم لاعادة الضفة الغربية ، مع تعديلات يسيرة ، إلى سلطته فى مقابل السلام .

٢٧ - فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ ، أعلنت وزارة الخارجية أن ثمانى وأربعين نفاثة من طراز سكاى هوك « أ - ٤ » التى اتفق عليها فى فبراير ١٩٦٦ ، ستسلم إلى إسرائيل . جاء هذا بعد يوم من إغراق المصريين للسفينة الحربية الاسرائيلية « إيلات » . وقد وافقت إدارة جونسون فيما بعد على بيع مائة طائرة من طراز « أ - ٤ » إلى اسرائيل .

٢٨ - قال رئيس الوزراء الاسرائيلى اشكول فى جريدة « دافار » فى ٢٤ يناير ١٩٦٩ إن جونسون قد أعطاه عمليا حق الاعتراض (الفيتو) على بيع الدبابات إلى الأردن .

٢٩ - روى أن جونسون أرجأ الاعلان عن قراره التمهيدى بشأن الطائرات « اف - ٤ » أملاً فى إثارة اهتمام السوفيت بعقد اتفاقية للحد من توريد الأسلحة للشرق الأوسط . وكان الموقف السوفيتى مطردا وسلبياً : فقبل إجراء تسوية سلمية لاسبيل إلى اتفاق على الحد من الأسلحة المرسلة إلى المنطقة وقبيل ترك جونسون لمنصبه فى يناير ١٩٦٩ ، رخص أخيرا ببيع الطائرات من طراز « اف - ٤ » . انظر Korn, *Stalemate, P. 66,* للاطلاع على الروايات الأمريكية والاسرائيلية المتضاربة بشأن ما الذى وعد به جونسون .

٣٠ - جاء الاعلان بعد محادثات غير ناجحة جرت فى أوائل أكتوبر بين راسك وجروميكو حول الحد من الأسلحة

المرسلة إلى الشرق الأوسط . وكان الجو الناشىء عن الغزو السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا فى شهر أغسطس قد جعل من غير المحتمل التوصل إلى اتفاق فى مثل هذه المحادثات . يضاف إلى هذا أن وزير الخارجية الاسرائيلى إيبان تقدم فى ٨ أكتوبر « بخطة سلام » قوامها تسع نقاط إلى الأمم المتحدة . وفى وقت لاحق قلل إيبان من أهمية الحاجة إلى إجراء مفاوضات مباشرة - تمشياً منه مع التفضيلات الأمريكية - وأيد القرار ٢٤٢ باعتباره مجموعة مفيدة من المبادىء « التى يمكن أن تساعد الأطراف وترشدهم فى بحثهم عن حل » .

٣١ - Riad, *Struggle for Peace,* PP. 90-92; and Rabin, *Rabin Memoirs,* P. 140.

٣٢ - للوقوف على أدلة عن مشاعر فورتاس القوية الممالئة لاسرائيل ، انظر : Laura Kalman, *Abe Fortas*: *A Biography* (Yale University Press, 1990), P. 302.

٣٣ - انظر : Joseph. A. Califano, Jr., *The Triumph and Tragedy of Lyndon johnson The White House Years* (Simon and Schuster, 1991), PP. 204-05. لم تحل مشاعر جونسون الممالئة لاسرائيل دون غضبه عندما كان يظن أن مساعيه لصالح الدولة اليهودية لم تصادف تقديرا من جانب أصدقاء إسرائيل . وقد غضب كثيرون من اليهود الأمريكيين من بيان وزارة الخارجية بتاريخ ٥ يونيو الذى حدد موقف الولايات المتحدة بأنه « محايد فى الفكر والقول والعمل » وتعرض جونسون لضغط هائل لكى ينأى بنفسه عن هذا البيان ، وحثه بعض مستشاريه على أن يخطب فى حشد ممالىء لاسرائيل اجتمع أمام البيت الأبيض فى ٧ يونيو . وقال البعض إنه إن لم يفعل ذلك ، لانقلب الأمر إلى معاداة لجونسون . وعندما لمح جونسون واحداً من هؤلاء المساعدين فى القاعة خارج المكتب البيضاوى صرخ فيه قائلاً : « انت ياصهيونى غرير ! إنك أنت و (بن) واتنبرج أغرار صهيونيون فى البيت الأبيض ! لم لا ترون أننى أعمل كل ما فى طاقتى لمصلحة إسرائيل . هذا هو ماينبغى أن تقولوه للناس عندما يطلبون رسالة من الرئيس لاجتماعهم الحاشد » .

٣٤ - يؤخذ مما قاله مسؤول مخابرات من مستوى عال أن أنجلتون ورئيس محطة وكالة المخابرات المركزية فى عمان حاولا فى اليوم الثانى أو الثالث للحرب ، تحذير القادة السياسيين فى واشنطن حول ضرورة عمل شىء حالاً لتحقيق تفاهم إسرائيلى أردنى حول القدس . وإلا أصبحت المشكلة مستعصية على الحل - وهو ما كانا يخشيانه . ولكن مشورتهما قوبلت بالتجاهل .

٣٥ - لم تكن الولايات المتحدة تعتمد على النفط العربى اعتماداً شديداً فى عام ١٩٦٧ . وقد أصاب والتر ليفى ، الذى كان يعمل مستشارا لوزارة الخارجية ، عندما تكهن بأن فرض حظر على النفط العربى لن يكون كبير التأثير .

٣٦ - بمجرد اندلاع نيران الحرب ، أضيفت إلى حلقة مستشارى جونسون بعض الوجوه الجديدة ، وبصورة خاصة ماك جورج باندى الذى عين رئيساً للجنة التنفيذية لمجلس الأمن القومى لمعالجة شؤون الشرق الأوسط فى ٦ يونيو ١٩٦٧ .

الفصل الرابع

١ - مكتبة ليندون جونسون ، ٥ يونيو ١٩٦٧ (لم تعد من المصنفات السرية فى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٢) .

٢ - Richard M. Nixon, *RN· The Memoirs of Richard Nixon* (Grosset and Dunlap 1978), P. 435 . حصل نيكسون فى انتخابات عام ١٩٦٨ على نحو ١٧ فى المائة من أصوات اليهود ، بالمقارنة بحوالى ٨٠ فى المائة حصل عليها هيوبرت همفرى .

٣ - للوقوف على صورة عن مجلس الأمن القومى فى عهد نيكسون ، انظر : I. M. Destler, *Presidents, Bureaucrats and Foreign Policy. The Politics of Organizational Reform* (Princeton University Press, 1972), PP. 121-27.

٤ - كان يطلق عليها أصلاً اسم « المجموعة المشتركة بين الوزارات » .

٥ - كان قوام العاملين مع كيسنجر عدذا من المساعدين الشخصيين المقربين ، وأيضا من المتخصصين فى مجالات جغرافية ووظيفية معينة . أما الذين شاركوا فى سياسة الشرق الأوسط فمنهم نائبه ألكسندر

هيج ، ومساعدان خاصان هما بيتر رودمان وونستون لورد ، وكبير المتخصصين في شوون الشرق الأوسط هارولد سوندرز الذى كان من العاملين فى مجلس الأمن القومى منذ عهد ادارة كنيدى .

٦ - Nixon, *RN*, P. 477 . أعرب نيكسون عن قلقه من أن كيسنجر سيصادف صعوبة في العمل مع العرب لكونه من أصل يهودى . وقال هنرى كيسنجر فى كتابه *White House Years* (Little, Brown, 1979), P.348 إن نيكسون « شك » في أن أصلى اليهودى قد يحدو بى إلى الميل ميلا شديدا نحو اسرائيل » .

٧ - Kissinger, *White House Years*, P. 348 « كان نيكسون يعتقد أن اى سياسة نشيطة مآلها الفشل . يضاف إلى هذا أنها ستنطوى بكل تأكيد تقريبا على إثارة نقمة مؤيدى اسرائيل . ومن هنا ارتأى ان من المفيد إبقاء البيت الأبيض بعيدا بقدر الإمكان عن الخط المباشر للنار » .

٨ - فى تلك الفترة كان هناك مديران آخران فى المكتب لهما نفوذ فى تشكيل سياسة الشرق الأوسط هما : ريتشارد باركر المسؤول عن الشؤون المصرية ، وتالكوت سيلى مدير مكتب شؤون الجمهوريات العربية ، وهى تشمل الأردن ولبنان وسوريا والعراق . كما شارك نائب مساعد وزير الخارجية رودجر ديفيز فى معظم المداولات الخاصة بالسياسة فى تلك الفترة .

٩ - قبل تعيين كيسنجر فى منصبه فى البيت الأبيض ، كان قد حدد استراتيجية وسط الطريق لاتباعها فى المفاوضات ، وفى فض اشتباك القوات الأمريكية فى فيتنام . فقد اعرب فى مقال نشر فى يناير ١٩٦٩ عن همّ كان يستحوذ على إدارة نيكسون طوال فترتها الأولى ، ان المناط الآن هو الثقة فى الوعود الأمريكية . وأيا كان العرف الدارج فى السخرية من عبارات مثل « المصداقية » و « الهيبة » ، فما هذه العبارات بألفاظ جوفاء ، فالأمم الأخرى تستطيع توجيه تصرفاتها بما يتواءم مع تصرفاتنا إن هى استطاعت فقط أن تعتمد على مدى ثباتنا » . انظر : "The Viet Nam Negotiations," *Foreign Affairs*, vol. 47 (January 1969), PP. 211-34.

١٠ - Richard M. Nixon, "Asia after Viet Nam, "*Foreign Affairs*, vol. 46 (October 1967), PP. 111-25.

١١ - يتضمن كتاب كيسنجر Kissinger, *White House Years*, PP. 562-64, أوضح تقييم أجراه للاختلافات بين آرائه الخاصة بشأن الشرق الأوسط وآراء نيكسون . وأبرزها أن نيكسون كان يعتقد أن السوفيت يعززون موقفهم فى المنطقة فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، وكان كيسنجر يعتقد بأن موقفهم مقضى عليه طالما تم الإبقاء على إسرائيل قوية ، وتكرر إظهار عجز السوفيت عن تلبية مطالب العرب .

١٢ - Kissinger, *White House Years*, P. 347.

١٣ - لخص الرئيس « مبدأ نيكسون » خلال مؤتمر صحفى عقد فى جوام فى ٢٥ يوليو ١٩٦٩ . وأول بيان عملى لسياسة « الفتنمة » هذه أعلنه نيكسون فى خطبة ألقاها فى ٣ نوفمبر ١٩٦٩ .

١٤ - انظر التشبيه الخاص « ببرميل البارود » فى كتاب : Nixon, *RN*, P. 343,

١٥ - من الطبيعى أن يكون نفط الشرق الأوسط مصدرًا هامًا للقلق ، ولكن اعتماد الولايات المتحدة على النفط العربى كان لا يزال اعتمادًا منعدمًا من الناحية العملية فى الفترة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ . وكانت الأسعار منخفضة انخفاضا نسبيًا ، كما بدا أن هناك مصادر بديلة متاحة . أما المصدر الرئيسى للانزعاج فهو استمرار إمداد أوروبا واليابان بالنفط ، وبدرجة أقل ، تحويل أرباح شركات النفط الأمريكية ومساهمتها المواتية فى ميزان المدفوعات الأمريكى .

١٦ - كانت هناك خشية من أن يؤدى الضغط المفرط على اسرائيل ، مثل الامتناع عن تقديم الأسلحة التقليدية ، إلى تصعيد عمليات بحثها عن الخيار النووى . كما أن عدم المبالاة - من الناحية الأخرى - قد يشجع الاسرائيليين أيضا على أن يسيروا قدمًا فى برنامجهم .

١٧ - كان اعتراض الادارة على إجراء تسوية مفروضة اعتراضًا مزدوجًا : أن الأرجح أنها لن تدوم طويلاً لأن الأطراف ستكون قليلة الإحساس بالالتزام بشروطها ، كما أن القوى الخارجية ستتعب فى محاولة فرضها ؛ وأن مثل هذه التسوية ستقابل مقابلة غير طيبة فى هذا البلد .

١٨ - قال كيسنجر فى كتابه *White House Years*, PP. 349-52. « أشك ... فى صواب استخدام الضغط الأمريكى لتحقيق تسوية عامة ريثما نرى بصورة أوضح ماهية التنازلات التى يتقدم بها العرب . وريثما نرى أن الذين ينتفعون منها سيكونون أصدقاء لأمريكا وليس عملاء للسوفيت ... وكان فى اعتقادى أن الحدّ من النفوذ السوفيتى هو شرط مسبق لاتباع دبلوماسية فعالة فى الشرق الأوسط ، حتى لا يتسنى عزو التقدم المحرز إلى ضغوطه ، وحتى تكتسب الحكومات المعتدلة شيئاً من المجال تناور فيه » .

١٩ ـ مؤتمر نيكسون الصحفى فى ٢٧ يناير ١٩٦٩ . انظر *Department of State Bulletin*. vol. 60 (February 17, 1969), PP. 142-43.

٢٠ ـ تم الحصول على هذه التفاصيل فى مقابلات أجريت مع الذين شاركوا فى أول استعراض للسياسة فى الشرق الأوسط أجراه مجلس الأمن القومى ، أما ردّ فعل كيسنجر إزاء هذه المبادرات من جانب وزارة الخارجية ، فيمكن الوقوف عليه فى كتابه *White House Years,* على الصفحتين ٣٥٢ ـ ٣٥٣ . وللوقوف على معلومات أساسية عن مقترحات وزارة الخارجية ، بما فى ذلك الأدلة على أن الموقف السوفيتى بدأ يظهر أمارات على المرونة فى أواسط عام ١٩٦٩ ، انظر David A. Korn, *Stalemate*: *The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967-1979* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1992), PP. 150-56.

٢١ ـ توفى رئيس الوزراء إشكول فى ٢٦ فبراير ، وخلفته جولدا مائير فى رئاسة الحكومة فى ١٧ مارس .

٢٢ ـ Hedrick Smith, "Big Four May Meet on Mideast Soon," *New York Times*, March 26, 1969, P. 11.

٢٣ ـ انظر : Yaacov Bar-Siman-Tov, *The Israeli-Egyptian War of Attrition, 1969-1970 A Case Study of a Limited War* (Columbia University Press, 1980); and Korn, *Stalemate*, PP. 165-88.

٢٤ ـ انظر : Kissinger, *White House Years*, P. 362-63 ويؤخذ مما قاله كيسنجر أن الملك حسين كان مستعدًا للموافقة على إجراء عمليات تصحيح هامة فى حدود الضفة الغربية إذا ما استطاع الحصول على غزة .

٢٥ ـ المرجع السابق ، ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢ .

٢٦ ـ اجمل الموقف الأمريكى فى شهر أبريل بإزاء شروط التسوية فى تسع نقاط تم تقديمها إلى السفير يارنج . وفى وقت لاحق ، تم التوسع فى هذه النقاط ، ولكنها شملت من حيث الجوهر القضايا الرئيسية التالية :

- الاتفاق على الصفقة الشاملة ضرورى قبل تنفيذ أى جزء .
- على الأطراف أن تقوم باتصال مباشر بصورة أكبر ، وذلك فى المراحل التالية من المحادثات .
- لابد من وجود سلام ملزم تم التعاقد عليه مع مشاركة دولية .
- لابد من أن تؤخذ فى الحسبان اعتبارات الأمن على الجانبين ، كما أن الحدود النهائية لا ينبغى أن يتراءى فيها ثقل الغزو .
- يشترط إجراء ترتيبات خاصة فى غزة .
- يتعين وجود دور اقتصادى ومدنى ودينى أردنى فى مدينة القدس الموحدة .
- ينبغى تسوية مشكلة اللاجئين من خلال التفاوض مع وجود ضوابط وشروط ، ويتم ذلك على مدى فترة طويلة ، أو من خلال التعويض وإعادة التوطين .
- ينبغى أن تكون هناك ملاحة حرة فى قناة السويس وخليج العقبة .
- سيكون من الضرورى وضع ترتيبات أمن خاصة فى شرم الشيخ .

وقد أعرب كيسنجر عن تحفظات شديدة حول هذه النقاط ، ولكنه لم يفلح إلا فى حمل نيكسون على الموافقة على إجراء بعض التعديلات بقصد التجميل .(*White House Years*, PP. 364-65) أما التنازل الرئيسى بالنسبة لكيسنجر فكان عدم قيام سيسكو بتقديم جميع هذه النقاط إلى السوفيت دفعة واحدة ، بل يقدمها على مراحل . كما اتفق على أن يكون الموقف الأمريكى متمثلاً فى أن الانسحاب الإسرائيلى إلى الحدود المصرية الإسرائيلية لعام ١٩٦٧ « لا يكون مستبعدًا بالضرورة » انظر Korn, *Stalemate*, PP. 155-56.

٢٧ ـ هذا ما أماط عنه اللثام وزير الخارجية روجرز فى مؤتمر صحفى فى ٥ يونيو ١٩٦٩ . انظر : "Excerpts from Transcript of News Conference by Secretary of State Rogers," *News York Times*, June 6, 1969, P. 8

٢٨ ـ بحلول هذا الوقت ، كان موقف الولايات المتحدة بإزاء عدة قضايا قد أصبح أكثر وضوحًا :

- جميع الأراضى التى ينسحب منها الاسرائيليون يتم نزع السلاح منها .
- يتم تسوية الوضع الخاص بغزة فى مفاوضات تضم إسرائيل ومصر والأردن .
- تكون الأطراف فى اتفاقية السلام مسؤولة عن الحيلولة دون أعمال القوة من جانب قوات عسكرية أو قوات شبه عسكرية فى أراضيها (ومن ذلك مثلاً أن تكون لمصر والأردن سيطرة على الفدائيين) .

- تنتهى حالة الحرب فى تاريخ سريان الاتفاق .
- « لا يتم بالضرورة استبعاد » الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل باعتبارها الحدود النهائية للسلام .
انظر تلخيصا للمقترحات الأمريكية والسوفيتية فى : "U.S. and Soviet Plans on Mideast Show Some Accord but Many Differences," *New York Times*, October 19, 1969, P. 16.

٢٩ - بين ٣١ يوليو و ٢٥ أغسطس علق السوفيت على مقترحات سيسكو بتاريخ ١٥ يوليو وذلك فى محادثات جرت فى موسكو مع السفير بيم . لكن السوفيت لم يتخذوا موقفا جديدا .

٣٠ - تقدمت إسرائيل بطلب رسمى للحصول على مائة طائرة من طراز « أ - ٤ » وخمس وعشرين طائرة من طراز « اف - ٤ » فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٩ .

٣١ - Kissinger, *White House Years*, PP. 368-69.

٣٢ - المرجع السابق ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، و Golda Meir, *My Life. The Autobiography of Golda Meir* (London: Futura, 1976), PP. 326-30; and Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), PP. 150-57 . ذكرت مائير أن الطلب كان يتعلق بثمانين طائرة من طراز سكاى هوك ، ولكن الواقع أن العدد كان مائة طائرة .

٣٣ - Rabin, *Rabin Memoirs*, PP. 156-57; Abba Eban, *An Autobiography* (Random House, 1977), PP. 464-65; and Gideon Rafael, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy. A Personal Memoir* (Stein and Day, 1981), PP. 210-11.

٣٤ - Kissinger, *White House Years*, P. 372 . ورواية نيكسون الخاصة تختلف عن ذلك ، حيث قال : « كنت أعرف أن خطة روجرز لن تنفذ أبدا ، ولكننى اعتقدت بأن من الأهمية بمكان جعل العالم العربى يعرف أن الولايات المتحدة لم ترفض بصورة تلقائية مطالبه المتعلقة بالأراضى المحتلة ، وأنها لم تستبعد التوصل إلى تسوية الحل الوسط بشأن الادعاءات المتعارضة . وكنت أعتقد مع وجود خطة روجرز ، أنه سيكون من الأيسر على الزعماء العرب أن يقترحوا إعادة فتح العلاقات مع الولايات المتحدة دون أن يتعرضوا للهجوم من جانب الصقور والعناصر الموالية للسوفيت فى بلادهم » . Nixon, *RN*, *P. 479*.

٣٥ - Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (Quartet Books, 1981), PP. 110-11.

٣٦ - تضمنت خطبة روجرز فى ٩ ديسمبر ١٩٦٩ معظم النقاط الواردة فى وثيقة ٢٨ أكتوبر . ووصف فيها سياسة الولايات المتحدة بأنها « متوازنة » ، مؤكدا روابط الصداقة مع كل من العرب والإسرائيليين ، وأشار إلى ثلاثة عناصر أساسية فى اتفاقية منتظرة للسلام :
- أن تكون هناك التزامات بالسلام من جانب الأطراف ، بما فى ذلك الالتزام بالحيلولة دون الأعمال المعادية التى تنشأ من أراضى كل منها .
- إجراء مفاوضات بأسلوب رودس لإعداد التفاصيل المتعلقة باتفاقية . والقضايا التى يجرى التفاوض عليها بين مصر وإسرائيل تشمل الضمانات فى منطقة شرم الشيخ ، وإقامة مناطق منزوعة السلاح ، وعمل الترتيبات النهائية فى غزة .
- فى إطار السلام والاتفاقيات المتعلقة بالأمن ، يشترط انسحاب القوات الإسرائيلية إلى الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل .

ويمكن الوقوف على النص الكامل للخطبة فى : "Text of Speech by Secretary Rogers on U.S. Policy in Middle East," *New York Times*, December 10, 1969, P. 8. See also Korn, *Stalemate*, PP. 158-61.

٣٧ - كان نيكسون قد سمح بتقديم مقترحات لاتفاقية إسرائيلية أردنية فى ١٧ ديسمبر ، ولكن يؤخذ مما قاله كيسنجر (فى كتاب *White House Years*, P. 376) أنه بعث فى نفس الوقت بتأكيد لجولدا مائير عن طريق ليونارد جارمنت « بأننا لن نذهب إلى أبعد من ذلك ، وبأننا لن نلح على مقترحنا » .

٣٨ - النقاط ١ و ٢ و ٤ و ٥ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ من وثيقة ٢٨ أكتوبر قد كررت بصورة أساسية فى مقترح ١٨ ديسمبر .

٣٩ - ملخص نص وثيقة ١٨ ديسمبر وارد فى *Arab Report and Record*, December 16-31, 1969.

٤٠ - *Arab Report and Record*, December 16-31, 1969, P. 549.

٤١ ـ نشرت المذكرة السوفيتية في جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ١٧ ابريل ١٩٧٠ . ويؤخذ مما قاله وزير خارجية مصر ، انه بالنظر الى رفض اسرائيل المقترحات الامريكية فالسبب قوى يدعو مصر لقبولها « لان معنى هذا تقديم مزيد من التنازلات في اطار تسوية كانت اهدافنا تتحول الى ان تحمل الولايات المتحدة اسرائيل على قبولها » Riad, *Struggle for Peace*, P. 114. وقد اجرى زعماء موسكو اثناء روجرز بعد مشاورات مستفيضة مع المسؤولين المصريين في موسكو ، ومنهم نائب الرئيس انور السادات ، ووزير الحربية فوزي ، ووزير الخارجية رياض . ويؤخذ مما قاله رياض ، ان السوفييت كانوا منزعجين من تصاعد القتال بطول قناة السويس ، ولكنهم لم يروا اى تناقض بين تقديم المساعدة لمصر لتحرير سيناء وبين السعي الى التوصل الى تسوية سياسية . والواقع انه قد روى عن ليونيد بريجنيف انه بذل خلال هذه الاجتماعات وعودا بعيدة المدى ، وعرض ارسال ستين طيارا سوفيتيا وصواريخ « سام ٣ » وبطاريات بأطقمها . Riad, *Struggle for Peace*, P. 113.

٤٢ ـ Korn, *Stalemate*, PP. 174-92.

٤٣ ـ نقل رايموند اندرسون عن ديان في مقاله المنشور في جريدة « النيويورك تايمز » . Raymond H. Anderson, "Israeli Jets Raid Suburbs of Cairo, Shoppers Watch," *New York Times, January 29, 1970*, P. 1, قوله ان من أغراض قصف مصر بالطائرات ايقاف الشعب المصري في عقر داره على حقيقة الحرب « فنحن نقول لهم : « انظروا الان . ان زعماءكم لا يفعلون بكم خيرا » . وقد التقطت نفس هذه الفكرة في التعليقات التي أفضت بها رئيسة الوزراء مائير لجريدة « لوموند » بتاريخ ١٨ ـ ١٩ يناير ١٩٧٠ .

٤٤ ـ هناك جدل حول ما تقرر فعلا أثناء زيارة السادات لموسكو في ديسمبر ، وحول ما احرزه عبد الناصر بزيارته في الشهر التالي . انظر Mohamed Heikal, *The Road to Ramadan* (Quadrangle Books, 1975), PP. 89-90 . وانظر أيضا : Uri Ra'anan, "The USSR and the Middle East: Some Reflections on the Soviet Decision-Making Process," ORBIS, vol. 17 (Fall 1973), PP. 946-77 . ففي هذا المرجع ما يرجح أن قرار إرسال القوات السوفيتية قد اتخذ قبل زيارة عبد الناصر . وأيا كانت الحقيقة ، فالبادى أن معظم المسؤولين في واشنطن كانوا يعتقدون بأن القصف الإسرائيلي في العمق كان هو السبب في تعظيم الدور السوفيتي في القتال . ومن هنا كانوا مترددين في تأييد الطلب الإسرائيلي للحصول على مزيد من طائرات « اف ـ ٤ » في الربيع ، على الرغم من الحشد السوفيتي . انظر Korn, *Stalemate*, PP. 189-97.

٤٥ ـ النص الكامل للمذكرة السوفيتية وارد في : "Nixon-Kosygin Letters," *Arab Report and Record*, March 1-15, 1970, P. 167.

٤٦ ـ Kissinger, *White House Years*, PP. 560-61.

٤٧ ـ "Nixon-Kosygin Letters," P. 168.

٤٨ ـ *U.S. Foreign Policy for the 1970s: A New Strategy for Peace*, A Report to the Congress by Richard Nixon, February 18, 1970 (Government Printing Office, 1970), PP. 80-81.

٤٩ ـ كان من رأى رئيس الاركان المشتركة ان الطائرات المائة من طراز « ا ـ ٤ » ينبغي بيعها ، دون الطائرات « اف ـ ٤ » .

٥٠ ـ انظر Robert H. Trice, Jr., "Domestic Political Interests and American Policy in the Middle East: Pro-Israel, Pro-Arab and Corporate Non-governmental Actors and the Making of American Foreign Policy, 1966-1971," Ph. D. dissertation, University of Wisconsin, 1974, PP. 274-11.

٥١ ـ Tad Szulc, "Rogers and Dobrynin Confer for 70 Minutes on Mideast," *New York Times*, March 26, 1970, P. 3 . يضاف إلى ذلك أنه ساد بطول القناة سكون في القتال في اوائل شهر مارس ، وهو ما فُسر في بعض الدوائر بأنه نتيجة للضغط السوفيتي على عبد الناصر . انظر Raymond H. Anderson, "Suez Lull Linked to Moves by the Big Four," *New York Times*, March 12, 1970, P. 5.

٥٢ ـ Rabin, *Rabin Memoirs*, PP. 169-72; and Kissinger, *White House Years*, PP. 568-70.

٥٣ ـ كما أن عبد الناصر حذر في أواسط فبراير من أن الولايات المتحده ، ستخسر مصالحها الاقتصادية في

العالم العربى خلال عامين إذا هى وافقت على بيع طائرات نفاثة إضافية من طراز الفانتوم إلى إسرائيل .
انظر : James Reston, "Excerpts from Interview with President Gamal Abdel Nasser of the U.A.R.,"
New York Times, February 15. 1970, P. 18.

٥٤ - يؤخذ من تقرير سيسكو عن الاجتماع بعبد الناصر يوم ١٢ أبريل ١٩٧٠ أن الزعيم المصرى فى حالة ذهنية شديدة المرارة . وقد جاء فى تقرير سيسكو إن عبد الناصر قال إنه ، ليس لدى ثقة فى حكومة الولايات المتحدة . والولايات المتحدة قوية ، ولا ترى الجمهورية العربية المتحدة أمانا لها إلا فى الاتحاد السوفيتى الذى ينبغى أن نعتمد عليه اعتمادًا تامًا . وقال عبد الناصر إنه لذلك يؤثر إجراء حوار من خلال السوفيت بدلا من أن يكون مباشرة مع الولايات المتحدة ، . وبرغم العبارات الجافة ، كان عبد الناصر - كمألوف عادته - ودودًا تجاه سيسكو ، وقال إنه يريد الابقاء على الباب مفتوحاً ، وأضاف إنه على استعداد لإبرام سلام مع إسرائيل ، ولكن ذلك لن يتم إلا إذا تمت تلبية جميع مطالب العرب . انظر برقية سيسكو التى تضمنت تقريرًا عن اجتماع ١٢ أبريل ١٩٧٠ . برقية وزارة الخارجية ، القاهرة ٨٠٣ ، ١٣ إبريل ١٩٧٠ ، سرية / لا توزع (لم تعد من المصنفات السرية فى ٣ ابريل ١٩٩٠) .

٥٥ - جاء فى نداء « أخير » من عبد الناصر ردده فى خطاب إلى الرئيس نيكسون فى اليوم التالى قوله : « إن الولايات المتحدة إذ تتخذ خطوة واحدة أخرى فى الطريق إلى تأكيد التفوق العسكرى لإسرائيل ، تفرض على الأمة العربية مسارأ لا رجعه فيه وعلينا أن نستخلص منه النتيجة الضرورية . إن هذا سيؤثر فى علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعقود من الزمان ، وربما لمئات من السنين ... ولن نغلق الباب بصورة نهائية أمام الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من الاساءات إلينا ، وعلى الرغم من القنابل والنابالم وطائرات الفانتوم .. أقول للرئيس نيكسون إن لحظة حاسمة فى العلاقات العربية الأمريكية أصبحت وشيكة . فإما أن تكون هناك قطيعة إلى الأبد ، وإما أن تكون هناك بداية أخرى جادة ومحددة . إن التطورات الوشيكة لن تؤثر فى العلاقات العربية الأمريكية وحسب ، ولكنها ستكون ذات آثار أوسع وأبعد مدى » . يظهر جزء من النص فى : "Nasser Appeals to Nixon on U.S. Arab Relations," *Arab Report and Record*, May 1-15, 1970, P. 276.

٥٦ - كررت هذه النقطة فى خطاب من الرئيس نيكسون إلى رئيسة الوزراء مائير بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٧٠ ، بعد طرح مبادرة روجرز الثانية بوقت قصير . انظر : Eban, *Autobiography*, P. 466

٥٧ - كان فى اعتقاد مائير أن إسرائيل لم تقبل مطلقًا قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، على الرغم من أن سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة فعل ذلك علانية فى عام ١٩٦٨ . انظر : Rafael, *Destination Peace*, P. 215.

٥٨ - اندلعت فى الأسبوع الثانى من يونيو أزمة صغيرة فى الأردن ، عندما قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش باحتجاز رهائن ، منهم أمريكيون ، فى فندقين فى عمان . وفى ١٢ يونيو أمر الرئيس نيكسون الفرقة الثانية والثمانين المحمولة جوًا بأن تكون فى حالة تأهب .

٥٩ - انظر نص خطاب روجرز إلى وزير الخارجية المصرى رياض بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٧٠ فى جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ، ص ٢ . وانظر أيضا : "U.S. Initiative toward Peace in the Middle East," *Department of State Bulletin*, vol. 63 (August 10, 1970), PP. 178-79.

٦٠ - للوقوف على تفاصيل الرد الإسرائيلى انظر : Michael Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy* (Yale University Press, 1975), chap. 8,

٦١ - Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger* (Little, Brown, 1974), P. 193.

٦٢ - "A Conversation with The President," Interview by John Chancellor and Howard K. Smith, July 1, 1970, *Department of State Bulletin*, vol. 63 (July 27. 1970), PP. 112-13.

٦٣ - اتخذ هذا القرار استجابة لخطاب من رئيسة الوزراء مائير تاريخه ٢ يوليو ١٩٧٠ ، وجهت فيه نداء للمعاونة فى التعامل مع الخطر المتمثل فى صواريخ سام التى كان يجرى تحريكها بالقرب من القناة . وقد استخدمت معدات التدابير الالكترونية المضادة لأول مرة من جانب السلاح الجوى الإسرائيلى فى ١٨ يوليو .

٦٤ - تم تسليم جميع الطائرات النفاثة بموجب عقد ديسمبر ١٩٦٨ قبل نهاية شهر أغسطس ١٩٧٠ . انظر : Tad Szulc, "U.S. Mideast Plan Urges Both Sides to 'Start Talking,' *New York times*, June, 26,

1970, P. 1 . ويؤخذ مما جاء فى هذا المقال أن تطمينات مجددة أعطيت للإسرائيليين بأنه سيسمح لهم بشراء طائرات إضافية إذا فشل اقتراح وقف إطلاق النار بتاريخ ١٩ يونيو ، أو إذا انهار .

٦٥ - Heikal, *Road to Ramadan*, PP. 93-95.

٦٦ - قبلت مصر شفاهة الاقتراح الأمريكى « بلا قيد أو شرط » . أما الرد التحريرى الرسمى اللاحق فقد اتسم بالتحفظ نوعًا ما .

٦٧ - مادام الأردن وإسرائيل يحترمان وقف إطلاق النار بصورة رسمية ، فللمرء أن يسأل عن السبب ، فى أن الأردن قد أدرج ضمن مبادرة روجرز الثانية . ويبدو أن الرد هو أن الولايات المتحدة كانت ترغب فى أن تتأكد من أن كلا من مصر والأردن سيلتزم بالسيطرة على الفدائيين ، الذين كان يتوقع منهم معارضة أى تسوية سلمية تستند إلى خطة روجرز . وعند قبول الملك حسين لاقتراح روجرز بتاريخ ١٩ يونيو ، كان يفهم بكل وضوح بأنه سيعتبر مسؤولا عن منع جميع أعمال العنف الناشئة من أراضيه . وقد أفهم مجلس وزرائه قبل قبوله للاقتراح أن هذا قد يعنى مزيدًا من المصادمات العسكرية مع الفدائيين .

٦٨ - Michael Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy* (Yale University Press, 1975), PP. 493-94; and Ariyeh Tsimaqi, "The Message That Tipped the Balance," *Yedi'ot Aharonot*, July 31, 1970, P. 4. وقد وصل الخطاب إلى إسرائيل فى ٢٤ يوليو .

٦٩ - Brecher, *Decisions in Israel's Foreign Policy, P. 495* . يضاف إلى هذا أن الرئيس نيكسون قال فى مؤتمر صحفى فى ٣٠ يوليو أن الولايات المتحدة « ملتزمة بالمحافظة على توازن القوى فى الشرق الأوسط . وقد أيد هذا التصريح واحد وسبعون عضوا فى مجلس الشيوخ فى خطاب موجه إلىّ تلقيته اليوم » . ومضى نيكسون فأكد لإسرائيل من جديد أنها لن تواجه خطر حشد عسكرى خلال وقف إطلاق النار ، إذ سيكون هناك توقف عسكرى تام خلال هذه الفترة . نص المقابلة الصحفية وارد فى : "President Nixon's News Conference of July 30," *Department of State Bulletin*, vol. 63 (August 17, 1970), PP. 185-87 . وهناك خطاب موقع عليه من ثلاثة وسبعين عضوا فى مجلس الشيوخ أرسل إلى وزير الخارجية روجرز فى أول يونيو يحث على بيع مائة طائرة من طراز « أ - ٤ » وطراز « اف - ٤ » . ونص هذا الخطاب والتوقيعات منشور فى : Congressional Quarterly Weekly Report, vol. 28 (June 5, 1970), P. 1475.

٧٠ - انظر خطبة رئيسة الوزراء مائير فى الكنيست ، ٤ أغسطس ١٩٧٠ ، منشورة فى جريدة الجيروزاليم بوست ، ٥ أغسطس ١٩٧٠ ، ص ٣ .

٧١ - انظر نص اتفاقية وقف إطلاق النار فى : *Arab Report and Record*, August 1-15, 1970, P. 457 أما الردود المصرية الأردنية والإسرائيلية على اقتراح روجرز بتاريخ ١٩ يونيو ، فمنشورة فى المصدر السابق على الصفحات ٤٥٨ - ٤٦٠ .

٧٢ - من ذلك مثلاً أن نيكسون اكد فى مؤتمره الصحفى بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٧٠ أهمية مبادرة السلام التى كان يجرى إعدادها وقتذاك بقوله « هذا هو السبب الذى من أجله لم نعلن عن أى بيع للطائرات أو تسليم للطائرات إلى إسرائيل فى هذا الوقت ، لأننا نريد إتاحة كل فرصة للنجاح أمام مبادرة السلام المذكورة » . جريدة « النيويورك تايمز » ، ٢١ يوليو ١٩٧٠ ، ص ١٦ .

٧٣ - انظر : William Safire, *Before the Fall. An Inside View of the Pre-Watergate White House* (Doubleday, 1975), P. 394.

الفصل الخامس

١ - يقول رابين على صفحة ١٨٢ من مذكراته Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), إن الولايات المتحدة استأذنت من إسرائيل للقيام بطلعات جوية بطائرة الاستطلاع « يو - ٢ » بطول القناة ، « ولكن الملحق العسكرى الإسرائيلى فى واشنطن تلقى أمرًا - دون أى شرح - من شخصية مرموقة فى مؤسسة الدفاع الإسرائيلية باخطار الأمريكيين باعتراض إسرائيل على التقاط صور جوية قبل سريان

وقف إطلاق النار مباشرة ! قد تضمنت هذه البرقية الغربية إشارة أشد استعصاء على الفهم مؤداها : إذا حاولت الطائرات الأمريكية التقاط صور فوتوغرافية لمنطقة المعركة ، فستقوم إسرائيل باعتراضها » . انظر أيضًا : Gideon Raefael, *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy* (Stein and Day, 1981), P. 230 . ففى هذا المرجع حديث عن ديان وعدم احتفاله الظاهر بقضية التحقق ، وعن افتراضه أنه ، يتوقع على أى حال أن يقوم المصريون بتحريك صواريخهم داخل المنطقة المحظورة » . انظر أيضًا : David A. Korn, *Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967-1979* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1992), PP. 264-68.

٢ - فى ١٢ أغسطس ١٩٧٠ وصفت وزارة الخارجية الأدلة الإسرائيلية على الانتهاكات المصرية بأنها « غير حاسمة » . وبعد ذلك بعدة أيام ، فى ١٩ أغسطس ، حث السفير وولورث باربور الإسرائيليين على وضع حد للمناقشات العامة حول انتهاكات وقف إطلاق النار وتعيين ممثل فى محادثات يارنج .

٣ - يشير هنرى كيسنجر فى كتابه *The White House Years* (Little, Brown, 1979), على الصفحات ٥٨٢ - ٥٨٥ إلى أن السفير السوفيتى دوبرينين كان قد أبلغ روجرز بأن السوفيت وافقوا على وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه ، ولكن فى حين حددت الولايات المتحدة وإسرائيل ما هو المعنى « بالتوقف عن اطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه » ، فإن المصريين لم يخطروا بهذا الفهم إلى ما بعد وقف إطلاق النار بيوم واحد ، أما السوفيت فلم يُجعلوا مطلقًا طرفا فى الاتفاق بصورة رسمية .

٤ - يؤخذ مما نشرته جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٠ على صفحة ١٩ ، بعنوان "U.S. Affirms Report of Israeli Breaches," أن إسرائيل قد انتهكت بدورها النص الخاص بالتوقف عن إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول اليه بقيامها بتعزيزات بالقرب من القناة . انظر أيضًا : Korn, *Stalemate*. P. 269.

٥ - فى أوائل سبتمبر ١٩٧٠ رصدت مصادر المخابرات الأمريكية ما لاح أنه استعدادات لإنشاء قاعدة سوفيتية للغواصات فى سينفيوجوس فى كوبا . وكان وزير الخارجية روجرز ميالاً إلى إهمال هذا التقرير باعتباره بلا أهمية ، ولكن كيسنجر أخذه بجدية شديدة ، والمح إليه فى استعراض موجز للأحداث فى شيكاغو يوم ١٦ سبتمبر ، عشية المرحلة الحادة من أزمة الأردن . وقد شاعت القصة بما نشره روبرت سميث فى جريدة « النيويورك تايمز » فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ١ ، بعنوان "U.S. Warns Soviets Not to Build Base for Subs in Cuba," . ويبدو واضحا أن حادث سينفيوجوس زاد من شكوك نيكسون وكيسنجر بازاء نوايا السوفيت فى هذه الفترة ، انظر : Marvin Kalb and Bernard Kalb. *Kissinger* (Little, Brown, 1974), PP. 209-12.

٦ - يؤخذ مما قاله كيسنجر على الصفحتين ٥٨٩ - ٥٩٠ من كتابه *"White House Years"* أن علاقته بروجرز كانت قد أصبحت ضعيفة جدا بحلول هذا الوقت . وعندما كان نيكسون يواجه بهذا الخلاف ، كان يعمد عادة إلى التسويف ، غير أن وتيرة الأحداث لم تلبث أن جعلت هذا الخيار امرًا لا يمكن الدفاع عنه .

٧ - فشلت محاولة رابعة لاختطاف طائرة العال فى لندن قادتها ليلى خالد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٨ - انظر : William B. Quandt and others, *The Politics of Palestinian Nationalism* (University of California Press, 1973), PP. 124-28.

٩ - علّقت منظمة التحرير الفلسطينية عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فى اللجنة المركزية بصورة مؤقتة بسبب إقدامها دون إذن على خطف الطائرات ، ولكنها رحبت بعودتها بمجرد اندلاع نيران القتال فى ١٦ سبتمبر .

١٠ - Kissinger, *White House Years,* P. 597.

١١ - المرجع السابق ص ٦٠٢ - ٦٠٦ ، و Seymour M. Hersh, *The Price of Power. Kissinger in the Nixon White House* (Summit Books, 1983), P. 235.

١٢ - Kissinger, *White House Years,* P. 606.

١٣ - انظر : Elmo R. Zumwalt, Jr., *On Watch A Memoir* (Quadrangle, 1976), PP. 295-96, وفى هذا

المرجع يورد المؤلف تقريرًا عن اجتماع فريق العمل الخاص فى واشنطن يوم ١٠ سبتمبر ، وهو الاجتماع الذى عارض فيه ديفيد باكارد أى شكل من أشكال التدخل البرى من جانب القوات الأمريكية فى الأزمة .

١٤ - Kalb and Kalb, *Kissinger*, P. 197, Henry Brandon, *The Retreat of American Power: The Inside Story of How Nixon and Kissinger Changed American Foreign Policy for Years to Come* (Doubleday, 1973), P. 133; Frank Van der Linden, *Nixon's Quest for Peace* (Robert B. Luce, 1972), P. 77; and Kissinger, *White House Years*, PP. 610-12.

١٥ - *Chicago Sun-Times*, September 17, 1970; and Hedrick Smith, "Nixon Hints He May Act If Outsiders Join the Fight," *New York Times*, September 19, 1970, P. 1.

١٦ - Brandon, *Retreat of American Power*, P. 134.

١٧ - Terence Smith, "Washington Reported Weighing $ 500-Million in Aid for Israelis," *New York Times*, Septemper 18, 1970, P. 1.

١٨ - Kissinger, *White House Years*, P. 618 . حرص السوريون على إظهار تدخلهم فى صورة عمل من قبل وحدات من جيش التحرير الفلسطينى ، وتم طلاء الدبابات على وجه السرعة برموز جيش التحرير الفلسطينى .

١٩ - استمدّ أكبر الأدلة ضررًا عن التواطؤ السوفيتى فى عملية التدخل من الأنباء القائلة بأن المستشارين العسكريين السوفيت رافقوا وحدات الدبابات السورية حتى الحدود الأردنية .

٢٠ - Kalb and Kalb, *Kissinger*, PP. 200-01; and Kissinger, *White House Years*, P. 619.

٢١ - انظر : Kissinger, *White House Years*, P. 619, فقد ورد فى هذا الكتاب نص جزئى للمذكرة .

٢٢ - Hedrick Smith, "Rogers Calls for End of 'Invasion'-Note Sent to Moscow," *New York Times*, September 21, 1970, P. 1; and Kalb and Kalb Kissinger, P. 202 . كانت اراء روجرز الشخصية أقل تشددا . فكان مشهورًا عنه أنه يحبذ بذل جهد أمريكى سوفيتى مشترك لإنهاء القتال ، ولكن نيكسون وكيسنجر أهدرا رأيه .

٢٣ - كانت الاتصالات فى عمان بين السفارة الأمريكية والقصر الملكى شديدة الصعوبة . فاستخدمت أجهزة اللاسلكى والتليفون اللاسلكى المتنقل ، وكثيرًا ما كان الفدائيون يتنصتون على المحادثات الحساسة .

٢٤ - Kissinger, *White House Years*, P. 620.

٢٥ - Van der Linden, *Nixon's Quest for Peace*, PP. 81-82; and Kissinger, *White House Years*, P. 621.

٢٦ - Kissinger, *White House Years*, P. 622.

٢٧ - المرجع السابق ص ٦٢٣ . ولكن رابين فى مذكراته (Rabin, *Rabin Memoirs*, P. 187.) يسوق رواية مختلفة بعض الشىء ، إذ يزعم أن كيسنجر نقل طلب الملك بشأن الضربات الجوية الإسرائيلية ، وطلب ردًا إسرائيليًا مباشرًا . وعندئذ سأل رابين عما توصى به الولايات المتحدة ، فقال كيسنجر إنه سيعود إلى الاتصال به . ويقول رابين إن كيسنجر اتصل بعد ساعة قائلاً : « إن حكومة الولايات المتحدة تقر الطلب وتؤيده » . وسأل رابين : « هل تنصح *أنت* إسرائيل بالإقدام على ذلك ؟ » فرد عليه كيسنجر قائلا : « نعم ، بشرط دراستكم الخاصة للموضوع » .

٢٨ - Kissinger, *White House Years*, P. 623. See also Kalb and Kalb, *Kissinger*, PP. 202-07, and Benjamin Welles, "U.S. Israeli Military Action on Jordan Was Envisioned," *New York Times*, October 8, 1970, P. 1.

٢٩ - Kissinger, *White House Years*, P. 625.

٣٠ - لم تكن لدى الولايات المتحدة قدرات مستقلة على جمع الاستخبارات الجوية حتى تتابع سير المعركة . وكان عليها أن تعتمد على الطلعات الجوية الاستطلاعية الإسرائيلية ، وعلى التقارير الإسرائيلية الأردنية بشأن ما يجرى على ساحة المعركة .

٣١ - Kissinger , *White House Years*, P. 626. يؤكد كيسنجر أنه لم يكن سعيدا كل السعادة بهذا القرار ، إذ قد يكون من المستحيل الاتصال بالملك حسين لتحديد ارائه إذا ما تدهور الموقف تدهورًا حادا .

٣٢ ـ طلبت إسرائيل توضيحا لموقف الولايات المتحدة بشأن سبع نقاط ، فأعطى هذا التوضيح شفاهة . ولكن يبدو أن آدم جارفينكل كان على صواب عندما تحدى الحكمة التقليدية . كما ورد فى صفحة ٢٠٦ من كتاب Kalb and Kalb, *Kissinger*, - حيث زعم المؤلفان بأنه قد تم فعلاً التوصل إلى اتفاق . انظر : Adam H. Garfinkle, "U.S. Decision Making in the Jordan Crisis: Correcting the Record," *Political Science Quarterly*, vol. 100 (Spring 1985), PP. 117-38 . ويقول جارفينكل : « ومن هنا فإن نيكسون وإن كان قد أيد بالتأكيد الضربات الجوية الاسرائيلية داخل الأردن ، إلا أنه لم « يرخص » مطلقًا بهجوم برى إسرائيلى من أى نوع ـ وإن يكن حريًا بعمل ذلك لولا اعتراض كيسنجر صباح اليوم الحادى والعشرين . ولم يتعهد نيكسون مطلقًا بعبارات قاطعة بأن الولايات المتحدة ستحمى الجناح الخلفى الاسرائيلى من أى تدخل سوفيتى أو مصرى محتمل ، كما هو الزعم الشائع بصورة عامة فى المؤلفات الأكاديمية » (ص ١٣١) . انظر أيضا : Alan Dowty, *Middle East Crisis: U.S. Decision-Making in 1958, 1970, and 1973* (University of California Press, 1984), P. 172 . وكما يشير داوتى ، لم يحدث أى « تطبيق عملى » للالتزام الأمريكى يتجاوز بعض التدابير الروتينية لوزارة الدفاع (ص ١٧٣) .

٣٣ ـ لم يتدخل السلاح الجوى السورى بقيادة اللواء حافظ الأسد ، ولا تدخلت القوات العراقية فى الأردن التى كانت تواجه فعلاً فرقة كاملة من الجيش الأردنى .

٣٤ ـ أسىء تفسير معنى هذه الرسالة فى : Kalb and Kalb, *Kissinger*, P. 204,

٣٥ ـ كان ألكسندر هيج هو الوحيد من محللى أزمة الأردن الذى قال إن الضربات الجوية الإسرائيلية حدثت فعلاً ، وكانت مجدية فى تحويل مجرى المعركة . ويقول هيج فى البداية إن إسرائيل « ربما » تكون قد دمرت بعض الدبابات السورية ، ولكنه يقرر بعد ذلك بفقرتين « أن الضربات الجوية الإسرائيلية زائدًا الدبلوماسية الأمريكية القوية المعززة بمناورات عسكرية ذات مصداقية والتى أوحت بأن قوات جوية وبحرية وبرية أمريكية طاغية ستدخل المعركة إذا لزم الأمر ، حفظت نظام الملك حسين ، وحفظت معه السلام الهش فى المنطقة » . انظر : Alexander M. Haig, Jr., with Charles McCarry, *Inner Circles: How America Changed the World, A Memoir* (Warner Books, 1992), P. 251 . وأكدت جميع المقابلات التى أجريت مع جوزيف سيسكو وألفريد آثرتون وهارولد سوندرز وريتشارد هلمز والمعلومات المستمدة من الجنرال الاسرائيلى أهارون ياريف أنه لم تقع أى ضربات جوية إسرائيلية .
أما نيكسون فتتراءى ذكرياته المستعادة عن أزمة الأردن فى الحكاية التالية : فإذ كان نيكسون يتحدث تليفونيا مع كيسنجر أثناء حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ قال عن أزمة الأردن : « لقد لعبنا حقا لعبة جهنمية ـ دون أى أوراق لعب على الإطلاق » . انظر Walter Isaacson, *Kissinger: A Biography* (Simon and Schuster, 1992), P. 517.

٣٦ ـ وردت فى المرجع Elmo R. Zumwalt, Jr., *On Watch: A Memoir* (Quadrangle, 1976), P. 299, صورة من المذكرة التى أرسلت إلى الرئيس فى هذا الوقت ، وفيها تفصيل للقدرة العسكرية الأمريكية على العمل فى شرقى البحر المتوسط .

٣٧ ـ Kissinger, *White House Years*, PP. 628-29; and Brandon, *Retreat of American Power*, P. 137 . قرر كيسنجر حضور حفل الاستقبال المصرى ، وذلك راجع فى جزء منه إلى رغبته فى تحسين صورته لدى العرب .

٣٨ ـ يؤخذ مما قاله كيسنجر فى ص ٦٣١ من كتابه *White House Years* أنه تم إخطار إسرائيل رسميا فى ٢٥ سبتمبر بأن « جميع جوانب الآراء المتبادلة فيما بيننا بشأن هذا الغزو السورى للأردن لم تعد قابلة للتطبيق .... فإن نشأ موقف جديد ، وجب إجراء تبادل جديد للآراء » .

٣٩ ـ انظر : Dowty, *Middle East Crisis*, PP. 138, 142-43 حيث يورد دلائل كافية على أن ليرد لم يكن متحمسا للتدخل العسكرى الأمريكى فى أزمة الأردن ، وهذا راجع فى جزء منه إلى رد الفعل الذى سببته الأزمة الكمبودية لدى الرأى العام فى أوائل السنة .

٤٠ ـ فى عام ١٩٦٨ أعلن البريطانيون أنهم سينهون وجودهم العسكرى شرقى السويس بنهاية عام ١٩٧١ . وقد أدى هذا إلى تخطيط مسهب داخل البيروقراطية حول كيفية سد الفراغ الناشىء عن ذلك .

٤١ ـ خطبة للرئيس بودجورنى ، ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ . للوقوف على أدلة على أن السوفيت ألحوا على مصر

بأن تتذرع ، باقصى حد من ضبط النفس ، أثناء أزمة الأردن انظر : Mohamed Heikal, *The Road to Ramadan* (Quadrangle Books, 1975), PP. 98-100,

٤٢ - انظر : Rabin, *Rabin Memoirs* . يعلق آدم جارفينكل في مقاله المعنون "U.S. Decision Making," بقوله إن النص العبرى لمذكرات رابين يقول إن الولايات المتحدة بحثت الطلب الاسرائيلى للالتزام بمظلة ، بصعوبة ، (الصفحة ١٣١ ، ملاحظة ٣٧) . وفى مقابلة أجريت مع جوزيف سيسكو فى ١٨ أكتوبر ١٩٩١ قال إنه لم يدر بوجود أى التزام مكتوب ، فقد بقيت المسألة معلقة . وكان هناك غموض حول طبيعة أى التزام أمريكى . وعلى أى حال ، فقد لاح أن الاتصالات الدبلوماسية مع السوفيت تؤدى مهمتها ، وأن السوفيت يبدون قدرًا كبيرًا من الحذر إزاء ضغوط أمريكية شديدة الفظاظة .

الفصل السادس

١ - انظر : Henry Kissinger, *The White House Years* (Little, Brown, 1979), حيث يقول كيسنجر فى صفحة ١٢٨٥ ، إن الذى جعلنى انغمس فى تنفيذ ديبلوماسية الشرق الأوسط فى خاتمة المطاف هو أن نيكسون لم يكن يعتقد بأن فى وسعه المخاطرة بتكرار أزمة الشرق الأوسط فى سنة الانتخاب ، ولهذا طلب منى أن أتولى الأمر ، ولو فى سبيل الإبقاء على الأمور هادئة ، .

٢ - فى ١٢ أكتوبر ١٩٧٠ أفضى كيسنجر وسيسكو إلى الصحافة بموجز بيانات أساسية عن الوضع فى الشرق الأوسط بعد أزمة الأردن . وقد تحدث سيسكو عن مسألة الفلسطينيين بقوله : « إن الفلسطينيين يفكرون بصورة أكبر فأكبر تفكيرًا ينصرف إلى كيان ما ، حيثما كان ذلك ... بحيث إذا ما تطلعت إلى السنين الخمس المقبلة - وعلى فرض أننا قادرون على حفظ الاستقرار فى هذه المنطقة - فسيكون ذلك عملاً على أساس اتخاذ العرب لموقف مؤداه عش ودع غيرك يعيش ، بمعنى أن يكونوا مستعدين للعيش إلى جوار إسرائيل ، وأن تلبى إسرائيل ولو جزءا من المطالب العربية فيما يتعلق بالأراضى المحتلة ، وأخيرًا إعطاء الحركة الفلسطينية القدرة على التعبير ، والأرجح أن يكون ذلك فى شكل كيان ما » .

٣ - سعت الإدارة إلى تحقيق تفاهم حول الشروط التى يجوز لإسرائيل بمقتضاها استخدام الأسلحة الجديدة .

٤ - William Beecher, "U.S. Officials Say Israelis Will let 180 Modern Tanks". *New York Times*, October 24, 1970, P. 1 . وقع نيكسون الاعتماد الإضافى للدفاع ، بما فى ذلك قروض لإسرائيل قدرها ٥٠٠ مليون دولار فى ١١ يناير ١٩٧١ .

٥ - أعلن عضو مجلس الشيوخ وليام فولبرايت ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ والمعروف بأنه صديق حميم لإسرائيل ، صراحة أنه يؤيد فكرة عقد معاهدة أمن أمريكية إسرائيلية كجزء من تسوية تنطوى على الانسحاب الإسرائيلى الكامل .

٦ - Hedrick Smith, "Mrs. Meir Sends a Note to Nixon," *New York Times*, December 2, 1970, P. 6.

٧ - Peter Grose, "Israel Still Asks Pledges by U.S.," *New York Times*, December 7, 1970, P. 11; and Hedrick Smith, "A Firm U.S. Stand on Mideast Likely," *New York Times*, December 8, 1970, P. 17.

٨ - Terence Smith, "U.S. Says It Would Join a Mideast Peace Force," *New York Times*, December 15, 1970, P. 3.

٩ - خطبة مائير فى الكنيست كما وردت فى : Lawrence L. Whetten, *The Canal War: Four-Power Conflict in the Middle East* (MIT Press, 1974), P. 142; and Tad Szulc, "U.S. Officials Say a Series of Commitments Won Israelis Return to Mideast Peace Talks at the U.N.," *New York Times, January 1, 1971, P. 8.* وانظر أيضًا : Shlomo Aronson, *The Politics and Strategy of Nuclear Weapons in the Middle East: Opacity, Theory, and Reality, 1960-1991. An Israeli Perspective* (State University of New York Press, 1992), P. 146 . لعل آرونسون مؤلف هذا الكتاب كان يضع هذه التفاهمات نصب عينيه عند إشارته إلى اتفاقية عام ١٩٧١ بشأن « الحدود الآمنة » التى تضمنت الاعتراف الأمريكى بالقدرة النووية لإسرائيل . ولكن آرونسون لم يستند إلا إلى مقابلة أجراها مع السفير السابق سيمحا دينيتز ، ولم ترد إشارة فى أى مصدر آخر إلى الأسلحة النووية .

١٠ - أثيرت فكرة التخفيض المتبادل للقوات بطول قناة السويس للمرة الأولى فى واشنطن بصورة رسمية من جانب السفير الإسرائيلى رابين والجنرال أهارون ياريف ، وكان ذلك فى ١٩ سبتمبر ١٩٧٠ .

١١ - لم يكن الكثير معروفا فى واشنطن عن السادات عندما أصبح رئيسا . أما ترجمة حياته التى أعدتها وكالة المخابرات المركزية فكانت أقل مدعاة للفخار . فقد أبرزت أن السادات توجه إلى السينما ليلة قيام الثورة المصرية فى عام ١٩٥٢ ، مما يعنى ضمنا بأن هذا هو أسلوبه السياسى النمطى . وقد تناول السادات هذه الحادثة بصراحة فى كتابه : *Revolt on the Nile* (John Day, 1957)

١٢ - *Arab Report and Record*, January 16-31, 1971, P. 75.

١٣ - "Cairo Sees No Progress," *New York Times*, February 2, 1971, P. 2.

١٤ - يمكن الوقوف على نص خطبة السادات فى ٤ فبراير ١٩٧١ فى : *New Middle East*, March 1971, PP. 32-35.

١٥ - فيما يتعلق بمذكرة يارنج ومعها الردود المصرية والإسرائيلية انظر : *Arab Report and Record*, March 1-15, 1971, PP. 158-59 . وقد حثت الولايات المتحدة إسرائيل بقوة على ألا تدرج العبارة المتعلقة برفض الانسحاب إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .

١٦ - خطبة مائير بتاريخ ٩ فبراير ١٩٧١ أعيد نشرها فى : *New Middle East*, March 1971, PP. 35-39.

١٧ - فى مقابلة أجرتها مجلة *نيوزويك* فى ١٥ فبراير مع السادات حدد بمزيد من التفصيل فكرته المتعلقة بالاتفاقية المرحلية . فاذا كانت إسرائيل على استعداد للانسحاب إلى خط يمتد من العريش إلى رأس محمد ، وهو يمثل ثلثى الطريق عبر سيناء ، فسيقوم بإعادة فتح القناة خلال ستة أشهر ويمد أجل وقف إطلاق النار ويسمح ببقاء القوات الدولية فى شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة . وكانت فكرة السادات عن الاتفاقية الجزئية بعيدة كل البعد عن الفكرة الأصلية لديان ، ولكن كان فى الوسع افتراض أن هذا التحديد الأولى لخط الانسحاب الإسرائيلى يمكن تلطيفه مع الوقت ، انظر . Arnaud de Borchgrave "A Talk with Sadat on Peace Terms," *Newsweek*, February 22, 1971, PP. 40-41.

ويبدو أن السادات كان يدرك أن إسرائيل لن توافق على شروطه ، ولكن لعله حسب أن فى وسعه أن يضم الولايات المتحدة إلى صفه . وعلى مدى بضعة الأسابيع التالية أخذ يستفسر من واشنطن تكرارًا عن موقفها إزاء مبادرته فى شهر فبراير ، وشجع نيكسون على أن يضطلع بدور دبلوماسى نشيط التماسا لتسوية .

١٨ - *U.S. Foreign Policy for the 1970's*: *Building for Peace*, A Report to the Congress by Richard Nixon, February 25, 1971 (Government Printing Office, 1971), PP. 129-30.

١٩ - لم يلبث رئيس تحرير « الأهرام » محمد حسنين هيكل أن بدأ سلسلة من المقالات عن الحاجة إلى « تحييد » الولايات المتحدة .

٢٠ - Hedrick Smith, "Israel Denounces Plans of Jarring and U.S. on Sinai," *New York Times*, March 11, 1971, P. 1.

٢١ - Meir interview in *The Times* (London), March 13, 1971, P. 1 . أثارت تعليقات مائير مناقشة مثيرة داخل إسرائيل ، واتهمها حزب جاحال اليمينى بأنها شديدة التساهل .

٢٢ - Raymond H. Anderson, "Egypt Proposes Truce If Israelis Pledge Pullback," *New York Times*, April 2, 1971, P. 1.

٢٣ - William Beecher, "U.S. Selling Israel 12 More F-14 Jets; Weighs New Bid," *New York Times*, April 20, 1971, P. 1.

٢٤ - Arnaud de Borchgrave, "Sadat: 'We Are Now Back to Square One,' " *Newsweek*, December 13, 1971, PP. 43-47.

٢٥ - Whetten, *Canal War*, PP. 182-83; Peter Grose, "Israeli Cabinet Briefed on Rogers Talks," *New York Times, May 10, 1971, P. 3* . وقد وردت خطبة مائير بتاريخ ٩ يونيو ١٩٧١ فى : *"Israel Asks* U.S. for New Arms Deal," *New York Times*, June 10, 1971, P. 9.

٢٦ ـ قال السادات فى وقت لاحق فى حديث له مع دى بورشجراف الذى نشر بعنوان "Sadat: We Are Now Back to Square One" ، أن سيسكو قام من قبيل التوضيح برسم خطوط على خارطة سيناء تبين عمق الانسحاب الإسرائيلى . واقترح السادات مرابطة قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة بين الخطين المصرى والإسرائيلى .

٢٧ ـ كان من ضمن هؤلاء الوزراء سامى شرف المسؤول عن أمن الرئاسة ، وشعراوى جمعة وزير الداخلية ، والفريق محمد فوزى وزير الدفاع .

٢٨ ـ انظر الصفحات ١٢٧٨ ـ ١٢٨٠ من كتاب كيسنجر *White House Years* للوقوف على انتقاد كيسنجر للجهد المبذول لإحياء محادثات يارنج . وقد وصف هذا الجهد بأنه « نشاط مقصود لذاته يهدف إلى وضع مواعيد نهائية محددة تحديدًا ذاتيًا ، ولا يمكن الوفاء بها إلا بالتجاوز عن خلافات لا سبيل إلى التوفيق بينها ، وهذه بدورها تجعل حدوث الانفجار أمرًا لا مفر منه بدرجة أكبر ... والهدف الذى أتوخاه هو الوصول إلى حالة توقف ريثما تحث موسكو على التوصل إلى حل وسط ، أو ريثما يقرر نظام عربى معتدل أن الطريق إلى التقدم هو عبر واشنطن . وهذا أفضل » .

٢٩ ـ للوقوف على رأى محمود رياض السلبى إزاء فكرة التسوية المرحلية ومذكرة برجيس انظر : Mahmoud Riad, *The Struggle for Peace in the Middle East* (Quartet Books, 1981), PP. 203-04.

٣٠ ـ أعرب كيسنجر على الصفحتين ١٢٨٣ ـ ١٢٨٤ من كتابه *White House Years* عن قنوطه من عملية برجيس . وانتهى إلى أن السادات لا بد قد ظن أن الولايات المتحدة غير مرنة وأنها مضللة . وقد شكا السادات فيما بعد فى مناسبات شتى من أنه قبل ٩٠ فى المائة من المقترح الأمريكى الوارد فى ورقة برجيس ، وأن الولايات المتحدة تجاهلت إذ ذاك الرد عليه . وهناك قليل من الشك فى أن السادات قد اعتبر الورقة بيانًا رسميًا عن سياسة الولايات المتحدة . انظر Mohamed Heikal, *The Road to Ramadan* (Quadrangle Books, 1975), P. 146.

٣١ ـ حاول سيسكو إقناع الإسرائيليين بقبول اتفاقية من مرحلتين ، مع عبور قوة مصرية رمزية للقناة . انظر : "Sisco Is Reported to Suggest a 2-Phased Israeli Withdrawal," *New York Times*, August 9, 1971, P. 2.

٣٢ ـ يبدو أن روجرز وصف عام ١٩٧١ أولاً بأنه « عام الحسم » فى الشرق الأوسط . انظر : "Secretary Rogers News Conference of December 23" *Department of State Bulletin*, vol. 64 (January 11, 1971), P. 43.

٣٣ ـ فى الصفحة ١٢٨٥ من كتاب كيسنجر المعنون *White House Years* يؤرخ فى سيطرته العملية على سياسة الشرق الأوسط من هذا الوقت . ويشير إلى أن رابين اتصل به فى أكتوبر ١٩٧١ للحث على أن تكون له مشاركة شخصية فى مفاوضات الاتفاق المرحلى ، حيث يقول : « قال لى بصورة سرية إن إسرائيل قد تكون أكثر مرونة فى شروطها لو كنت مشتركا ، وكانت لديها تطمينات رئاسية بأن الطلبات لن تكون بلا حدود » (ص ١٢٨٧) . وفى نفس الوقت كان مبعوث مصرى يطلب من كيسنجر مقابلة هيكل .

٣٤ ـ Henry Tanner, "U.S. Assures Israel on Sinai Memo,' *New York Times*, June 30, 1971, P. 3.

٣٥ ـ Kissinger, *White House Years*, PP. 1280-89.

٣٦ ـ انظر : Heikal, *Road to Ramadan*, PP. 140, 152-55. ويؤرخ كيسنجر بدء الاتصالات مع السادات عن طريق القناة الخلفية بربيع عام ١٩٧٢ . انظر Kissinger, *White House Years*, P. 1276.

٣٧ ـ De Borchgrave. "Sadat: 'We Are Now Back to Square One.' "

٣٨ ـ William Beecher, "U.S. Said to Plan to Help Israelis Make Own Arms," *New York Times*, January 14, 1972, P. 1.

٣٩ ـ Paul Erdman, "The True Story of a Spy Coup: How Israel Got Blueprints for France's Hottest Fighter Plane," *New York*, August 30, 1976, PP. 35-45.

٤٠ ـ على صفحة ٢٠٩ من مذكرات إسحق رابين المعنونة *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), يسجّل موافقة ماثير ، ويقول إن الرئيس أكدها بعد ذلك ببضعة أيام . إلا أن رابين يقول فى صفحة ٢١١ إنه

لم يسمع مطلقا عن موافقة الرئيس الصريحة على وضع خطة روجرز على الرف ، أو على مطالبة إسرائيل بإجراء تعديلات فى حدود سيناء .

٤١ ـ Kissinger, *White House Years*, P. 1289 وانظر أيضا : Rabin, *Rabin Memoirs*, PP. 206-09. يبدو أن الإسرائيليين فهموا من هذه المراسلات أن خطة روجرز قد انتهى أمرها .

٤٢ ـ Peter Grose, "Israelis Approve Talks with Egypt on Opening Canal," *New York Times*, February 3, 1972, P. 1. يؤخذ من أقوال السفير رابين ، المنشورة فى جريدة « معاريف » بتاريخ أول ديسمبر ١٩٧٢ ، أن مذكرة التفاهم اعترفت أيضاً بأنه لن ينتظر من إسرائيل أن تتقدم بأى التزام بالانسحاب الكامل باعتباره جزءًا من الاتفاقية المرحلية .

٤٣ ـ نقلت تصريحات نيكسون لوسائل الإعلام فى ١٨ يونيو ١٩٧١ فى : *U.S. Foreign Policy for the 1970's*: *The Emerging Structure of Peace*, A Report to the Congress by Richard Nixon on February 9, 1972 (GPO, 1972), P. 133.

٤٤ ـ المرجع السابق .

٤٥ ـ Tad Szule, "Behind the Vietnam Cease-Fire Agreement," *Foreign Policy*, no. 15 (Summer 1974), PP. 34-41.

٤٦ ـ للوقوف على نص الاتفاقية ، انظر صفحة ١٤٩٤ من كتاب كيسنجر *White House Years* وفى غير هذا الموضع قلل كيسنجر من أهمية هذه المبادىء قائلاً إنه اتبع فى محادثاته مع جروميكو « تاكتيك التأخير » (الصفحتان ١٢٤٧ ـ ١٢٤٨) . وانطباعى هو أن كيسنجر أخذ هذا الأسلوب مأخذا أكثر جدية إلى حد ما ، ويكاد يكون من المؤكد أن نيكسون عمل نفس الشىء . والمبادىء وإن كتبت بعبارات عامة ، فإنها ـ على ما يقول كيسنجر ضمناً ـ لم تردِّد قرارات الأمم المتحدة كالببغاء .

٤٧ ـ « المبادىء الأساسية للعلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية » ، ٢٩ مايو ١٩٧٢ .

٤٨ ـ أدرجت نصوص كل من المبادىء الأساسية والبيان المشترك فى : *United States Foreign Policy, 1972*: *A Report of the Secretary of State* (April 1973), PP. 598-603.

٤٩ ـ Heikal, *Road to Ramadan*, PP. 183-84; and "Arab Aide's Talk with Nixon Called Factor in Sadat's Decision," *New York Times*, July 24, 1972, P. 2.

٥٠ ـ Uri Ra'anan, "The USSR and the Middle East: Some Reflections on the Soviet Decision-Making Process," *ORBIS*, vol. 17 (Fall 1973), PP. 946-77, أثار هذا المرجع التساؤل عما إذا كان السادات قد اتخذ المبادرة بمطالبة المستشارين بالخروج . وقد أثار رعنان بعض النقاط المحيرة ، ولكن يبدو أنه قلل من تقدير مدى نقمة السادات على السوفيت . انظر أيضا : David Kimche, *The Last Option*. *After Nasser, Arafat and Saddam Hussein. The Quest for Peace in the Middle East* (Scribner's 1991), PP. 22-24. ففى هذا المرجع كلام آخر عن أن السادات والسوفيت اتفقا على سحب المستشارين السوفيت باعتبار ذلك خطوة فى سبيل الخطة المصرية لخوض الحرب .

٥١ ـ مقابلة صحفية أجراها جارنيت د . هورنر مع نيكسون فى جريدة « واشنطن ستار » فى ٥ نوفمبر ١٩٧٢ ، وأيضا : "Statements from Pre-Election Interview with Nixon Outlining 2d-Term Plans," *New York Times*, November 10, 1972, P. 20

٥٢ ـ Heikal, *Road to Ramadan*, PP. 200-02; and Henry Kissinger, *Years of Upheaval* (Little, Brown, 1982), P. 213.

٥٣ ـ Heikal, *Road to Ramadan*, PP. 202-03. كانت الضيعة مملوكة لدونالد كندال رئيس مجلس إدارة بيبسى كولا الذى كان من المناصرين المتحمسين لنيكسون ، وكان داعية إلى تحسين العلاقات الأمريكية المصرية .

٥٤ ـ Kissinger, *Years of Upheaval*, PP. 214-15.

٥٥ ـ المرجع السابق ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضا الصفحات ٢١٥ ـ ٢١٨ من Rabin, *Rabin Memoirs*

٥٦ ـ الرواية السابقة لأوانها ظهرت فى : Marilyn Berger, "Nixon Assures Mrs. Meir of Aid," *Washington*

William Beecher, : وهناك رواية أوفى عن قرار نيكسون ظهرت فى *Post*, March 2, 1973, P. A21.
"Israelis Will Buy More Jets in U.S.; Total Is Put at 48," *New York Times*, March 14, 1973, P. 1.

٥٧ - درج عرفات وكبار المسؤولين فى « فتح » على الدوام على إنكار أى مشاركة فى عمليات الاغتيال .

٥٨ - Kissinger, *Years of Upheaval*, P. 225 . ألف السادات فى ٢٦ مارس ١٩٧٣ « وزارة حرب » كان هو رئيس الوزراء فيها . وبعد ذلك بثلاثة أيام قال لأرنو دى بورشجراف مراسل النيوزويك إن الحرب وشيكة . وهرع دى بورشجراف بنص الحديث إلى كيسنجر قبل نشره فى ٩ أبريل ١٩٧٣ .

٥٩ - U.S. Foreign Policy for the 1970'S: Shaping a Durable Peace, A Report to the Congress by Richard Nixon, May 3, 1973 (GPO, 1973), P. 138.

٦٠ - بعد عودة كيسنجر من موسكو ، تشاور مع المسؤولين الإسرائيليين بشأن رد فعل إسرائيل إزاء مبادىء مايو ١٩٧٢ . فقيل له إن إسرائيل تعترض على الفكرة كلها ، ولكن إذا ما أعلنت هذه المبادىء فسيطالبون بمفاوضات ، ولن يتحدثوا عن الانسحاب الإسرائيلى إلا للحصول على حدود آمنة ومعترف بها .

٦١ - Kissinger, *Years of Upheaval*, PP. 226-27. كان الرأى الذى انتهى اليه كيسنجر هو أن السادات قد اتخذ فعلاً قراره الخاص بالحرب فى صيف عام ١٩٧٢ ، وأن الاجتماعات مع حافظ إسماعيل كانت أساسًا تاكتيكاً لصرف النظر . ويؤخذ من مصدر إسرائيلى حسن الاطلاع أن كيسنجر كانت لديه الأسباب الداعية إلى الاعتقاد بأن مصر قررت دخول الحرب . ويؤخذ من موسى زاك أن الملك حسن أخبره بخطة مصرية سورية لدخول الحرب ، وأن كيسنجر أخبر الإسرائيليين بذلك . وفى ٢١ مايو ١٩٧٣ أبلغ ديان رئاسة الأركان : « على قوة الدفاع الإسرائيلية أن تكون مستعدة قبل نهاية الصيف لأن مصر وسوريا ستشنان حربا على إسرائيل دون الأردن » . انظر جريدة « الجيروزاليم بوست » ، ٢٢ سبتمبر ١٩٩١ ، ص ٥ .

٦٢ - Richard Nixon. *RN*: *The Memoirs of Richard Nixon* (Grosset and Dunlap, 1978), PP. 884-86.

٦٣ - "U.S.-U.S.S.R. Joint Communiqué, June 25, 1973," *Department of State Bulletin*, Vol. 69 (July 23, 1973), P. 132.

٦٤ - انزعج كيسنجر من الامارات الدالة على ازدياد مشاركة فيصل فى النزاع العربى الإسرائيلى . وخشى من أن يؤدى التشدد السعودى فى آخر الأمر إلى الاطاحة بالملكية ، وربما حلّ محلها بعد ذلك نظام شبيه بنظام القذافى . على أن الذى كان يحدث فى كل مرة يبدى فيها الملك فيصل إشارة إلى استخدام النفط كسلاح ضد الغرب ، هو أن يبادر واحد من أعوانه بإبلاغ المسؤولين الأمريكيين بأن أمثال هذه الملاحظات يراد بها الاستهلاك العربى المحلى فقط .

٦٥ - Edward R.F. Sheehan, *The Arabs, Israelis, and Kissinger* (Reader's Digest Press, 1976), PP. 27-28.

٦٦ - للمقارنة بين آراء كيسنجر ونيكسون ، انظر : Kissinger, *Years of Upheaval*, PP. 202-03, 211-12, ويؤخذ مما قاله كيسنجر أن نيكسون « كان فى قرارة نفسه يريد ... أن يفرض تسوية شاملة فى وقت ما خلال مدته فى الحكم » (ص ٢٠٢) . وللوقوف على بيان مفصل عن نظرة نيكسون إلى النزاع العربى الإسرائيلى فى أوائل عقد التسعينات ، وهو ما يميل إلى تأكيد الرأى القائل بأنه كان يحبذ تسوية شاملة. انظر : Richard M. Nixon, *Seize the Moment*: *America's Challenge in a One-Superpower World* (Simon and Schuster, 1992), PP. 217-30.

٦٧ - من قبيل المفارقة أن نيكسون كان يتلهف على الضغط من أجل السلام فى الشرق الأوسط ، وحذر فى إحدى المناسبات فى أوائل عام ١٩٧٣ « بأن هذا الأمر قد بات على أهبة الانفجار » . انظر : Kissinger, *Years of Upheaval*, P. 211.

الفصل السابع

١ - Roberta Wohlstetter, *Pearl Harbor*: *Warning and Decision* (Stanford University Press. 1962) وفيه يقدم المؤلف دراسة كلاسيكية لسوء تفسير الأدلة التى تشير إلى هجوم مفاجىء مرتقب . أنظر : Alan Dowty, *Middle East Crisis*: *U.S. Decision-Making in 1958, 1970, and 1973* (University of California Press, 1984), PP. 207-13 للوقوف على الأسباب وراء فشل المخابرات الأمريكية ، وكذلك Michael

Brecher, *Decisions in Crisis: Israel, 1967 and 1973* (University of California Press, 1980), PP. 174-91 حول « الفكرة » التى منعت صناع القرار الإسرائيليين من الوصول إلى التفسير الصحيح للإجراءات العربية . ويمكن الوقوف على أسباب كيسنجر للمفاجأة فى كتاب *Years of Upheaval* (Little, Brown, 1982), PP. 459-67, مع المعلومة المثيرة بأن الملك حسين حذّر فى مايو بأن الاستعدادات العسكرية السورية والمصرية كانت « من الواقعية بحيث لا يمكن أن تعتبر مناورات » (ص ٤٦١) .

٢ - فى حديث مع أرنو دى بورشجراف ، "The Battle Is Now Inevitable," *Newsweek*, April 9, 1973, PP.44-49.

٣ - انظر مقتطفات من تقرير لجنة مجلس النواب الخاصة بشوون المخابرات برئاسة النائب أوتيس بايك ، التى أعيد نشرها فى : "The Mid-East War: The System Breaks Down," *Village Voice*, February 16, 1976, PP. 78-79. (أطلق عليه فيما بعد اسم تقرير لجنة بايك) . يمكن الاطلاع على التقرير الكامل فى : *U.S. Intelligence Agencies and Activities: The Performance of the Intelligence Community* ، جلسات استماع أمام اللجنة الخاصة بشؤون المخابرات فى أيام ١١ و ١٢ و ١٨ و ٢٥ و ٣٠ سبتمبر ، و ٧ و ٣٠ و ٣١ أكتوبر ١٩٧٥ ، الكونجرس ٩٤ ، الدورة الأولى (مكتب المطبوعات الحكومية - ١٩٧٥) . وانظر أيضاً التقرير الذى كتبه راى س . كلاين ، مدير مكتب المخابرات والأبحاث بوزارة الخارجية ، بعنوان "Policy without Intelligence", *Foreign Policy*, no. 17 (Winter 1974-75), PP. 121-35.

٤ - اجتمع السادات والأسد وحسين فى القاهرة فى ١٠ سبتمبر . ووافقت سوريا والأردن على إعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما . والتزم الأردن ، دون إبلاغه بخطط محددة للحرب ، بمنع القوات الإسرائيلية من مهاجمة سوريا عن طريق شمال الأردن فى حالة نشوب قتال فى المستقبل .

٥ - بعد المعارك الجوية فى ١٣ سبتمبر ، نشرت الصحف العربية ، خاصة فى بيروت ، قصصًا عن عدم رضاء سوريا عن المعدات العسكرية السوفيتية والخبراء السوفيت .

٦ - توصلت لجنة المراقبة إلى نفس النتائج . ومهمة هذه اللجنة تقييم معلومات المخابرات للوقوف على مؤشرات بشأن عمليات قتالية مرتقبة . انظر تقرير لجنة بايك .

٧ - يذكر : Conor Cruise O'Brien, *The Siege: The Saga of Israel and Zionism* (Simon and Schuster, 1986), PP. 512-17. بإسهاب أن كيسنجر ، شجع السادات على الدخول فى حرب ربما بصورة ضمنية أو غير مباشرة . ودليله على ذلك ضعيف ، ولكنه يعتمد بشدة على كتاب Mohamed Heikal, *Autumn of Fury. The Assassination of Sadat* (Random House, 1983), PP. 49-50. - وقد صدرت منه طبعة عربية عن مركز الأهرام للترجمة والنشر سنة ١٩٨٨ . ويقول هيكل بأن معلومات وصلت إلى مصر عن طريق قنوات المخابرات السعودية بأن كيسنجر يفضل « تسخين » الموقف قبل أن يكون مستعدًا للتصدى له . والمفترض أن ذلك تأكد فى الاجتماعات التى عقدت بين حافظ إسماعيل وكيسنجر . وإنى لا أعتقد أن كيسنجر أراد لمصر أن تشن الحرب ، وإن كان كيسنجر قد تحدث أحياناً عن الظروف التى يمكن أن تقنعه بالتصدى للنزاع العربى الإسرائيلى . وكان من هذه الظروف تردى الوضع إلى الحد الذى يهدد المصالح الأمريكية ، أو ظهور فرصة تجعل من بذل جهد دبلوماسى أمرا مثمرا . كما أن نيكسون كتب بالطبع كتابا كاملا ، *Six Crises* (Doubleday, 1962) ، وبه موضوع فرعى يقول إن الأزمات قد توفر الفرص لحل المشكلات . وبالرغم من أنه قد يكون حقًّا أن السادات قدر تقديرا سليما أن اللجوء إلى الحرب سيفك عقدة الجمود على الساحة الدبلوماسية ، فإننى لا أعتقد أن أيا من نيكسون أو كيسنجر شجع السادات عن عمد على شن الحرب .

٨ - يتردد أن بعض المحللين فى وكالة المخابرات المركزية قللوا من شأن الأدلة التى توضح الاستعدادات المصرية والسورية للقتال ، خوفا من أن يجرى نقل مثل هذه النتائج للإسرائيليين ، وأن تستخدم كذريعة لهجوم وقائى .

٩ - يقول Richard M. Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon* (Grosset and Dunlap, 1978), PP. 920-21. نيكسون « لقد خاب أملى بسبب قصور مخابراتنا ، كما أدهشنى فشل المخابرات الإسرائيلية . لقد كانوا ضمن الأفضل فى العالم ، ولكنهم أيضاً أخذوا على غرة » .

١٠ - يتضمن Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step-by-Step Diplomacy in the Middle East* (Quadrangle Books, 1976), PP. 37-39 ، تقريرا مفصلا عن الرسالة الإسرائيلية . ويناقش Kissinger, *Years of Upheaval*, PP. 465-66 ، هذه الرسالة التى يقول كيسنجر إنه لم يطلع عليها حتى صباح اليوم التالى .

١١ - لقاء مع مسؤول كبير فى المخابرات الإسرائيلية ، ديسمبر ١٩٧٥ .

١٢ - تلقت إسرائيل تأكيدا بأن العرب يعتزمون الهجوم فى حوالى الساعة الرابعة صباحا بتوقيت إسرائيل - يوم ٦ أكتوبر . وكان من المنتظر أن يبدأ القتال فى حوالى السادسة مساء . انظر : Chaim Herzog, *The War of Atonement, October 1973* (Little, Brown, 1975), PP. 52-54.

١٣ - رأس هذا الاجتماع الجنرال برنت سكوكروفت ، نائب كيسنجر ، وحضره وزير الدفاع جيمس شليزنجر ، ورئيس الأركان المشتركة الأميرال توماس مورر ، ونائب وزير الخارجية كينيث راش ، ومدير وكالة المخابرات المركزية وليام كولبى ، ونائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى ألفريد آثرتون ، ونائب مساعد وزير الدفاع لشؤون الأمن الدولى جيمس نوييس ، وعدد من العاملين . وقد اشتركتُ فى غالبية اجتماعات فريق العمل الخاص فى واشنطن بصفتى عضواً فى هيئة موظفى مجلس الأمن القومى فى هذه الفترة . وتعتمد التقارير الواردة هنا بشأن هذه الاجتماعات على الذاكرة ، وعلى لقاءات مع المشتركين فيها ، وعلى مذكرات موجزة حول الموضوعات الرئيسية الهامة التى نوقشت فى كل اجتماع . كما تتناول مذكرات كيسنجر *Years of Upheaval* ، هذه الاجتماعات بقدر من التفصيلات . أما النص الكامل فلا يزال بالطبع محظور التداول ، والمصادر التى أمكننى استخدامها ليست حاسمة بأى حال . وقد حاولت التركيز على تسجيل الموضوعات التى ترددت فى المناقشات ، وعلى المفاهيم الرئيسية التى اعتمد عليها المشتركون فى الوصول إلى أحكامهم ، وعلى المزاج السائد فى كل يوم من أيام الأزمة . ولم تكن القرارات تتخذ عادة فى اجتماعات فريق العمل الخاص فى واشنطن . وتكمن قيمتها الحقيقية فى وضع كبار صانعى القرار على نفس الخط . وكان التباين أو الخلاف بسيطا جدا فى كل هذه الاجتماعات .

١٤ - انظر نفس الرواية فى تقرير لجنة المراقبة ، ٦ أكتوبر ، الساعة التاسعة صباحاً ، طبع فى *Village Voice*, February 16, 1976, P. 78, note 305 . « نحن لا نجد دليلا قويا على احتمال وقوع هجوم مصرى سورى كبير ومنسق عبر القناة ، وفى منطقة مرتفعات الجولان . وإنما تشير الأدلة المتاحة إلى وضع يقوم على الفعل ورد الفعل ، تؤدى فيه سلسلة الاستجابات من قبل كل جانب للتهديدات المتصورة سلفا إلى خلق إمكانية متزايدة الخطورة للمواجهة » .

١٥ - أثار كيسنجر هذه النقطة فى مناقشاته مع محمد حسنين هيكل ، ٧ نوفمبر ١٩٧٣ ، على نحو ما ترجمته جريدة « الأنوار » فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ : "Interviews: Kissinger Meets Haikal," *Journal of palestine Studies*, Vol. 3 (Winter 1974), p. 213.

١٦ - لا يظهر فى سجلات المحادثات التليفونية الخاصة بالرئيس أى محادثة مع كيسنجر فى ٦ أكتوبر ، كما أن كيسنجر لا يشير إلى ذلك فى مذكراته . ولكن كيسنجر كان ماهرا فى التذرع بسلطة الرئيس أمام أعضاء الإدارة الآخرين . والمفترض أنه كان على اتصال مع هيج ، ولكن هيج نفسه لم يتحدث مع نيكسون بعد ظهر ذلك اليوم . انظر : President Richard Nixon's daily diary, October 6, 1973.

١٧ - كان منح السوفيت وضع الدولة الأولى بالرعاية تجاريا مسألة أساسية فى خريف ١٩٧٣ . وقد تقدم عضو مجلس الشيوخ ، هنرى جاكسون ، بتعديل يدعو إلى وقف معاملة الاتحاد السوفيتى على أساس الدولة الأولى بالرعاية إلى أن يسمح بحرية الهجرة لليهود السوفيت . وعارض نيكسون وكيسنجر هذا التعديل بدعوى أن الدبلوماسية الهادئة ستكون أكثر فعالية ، وأن السوفيت سيرفضون التدخل فى شؤونهم الداخلية . ورفض السوفيت بالفعل ربط وضع الدولة الأولى بالرعاية بحرية الهجرة .

١٨ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, P. 64; and Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger* (Little, Brown, 1974), PP. 462-63.

١٩ - قال كيسنجر للمسؤولين المصريين فيما بعد إنه تأثر جدا عندما بدأوا فى توجيه الرسائل عبر القناة الخلفية بعد بدء الحرب بقليل . لقاء مع دبلوماسى مصرى كبير ، أبريل ١٩٧٦ . وعلق نيكسون وكيسنجر أهمية كبرى على إمكان تحسين العلاقات الأمريكية العربية بعد انتهاء الحرب . انظر : Kissinger, *Years of*

Upheaval, PP. 481-82. ويقول كيسنجر إنه حتى تسلم هذه الرسالة الواردة من القناة الخلفية ، فإننى لم أنظر إلى السادات بجدية » .

٢٠ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger,* P. 45.

٢١ - تنوعت عضوية فريق العمل الخاص فى واشنطن ، لكن الأعضاء التالين كانوا يشاركون عادة : كيسنجر ، شليزنجر ، مورر ، كولبى ، سكوكروفت ، راش ، سيسكو ، كليمنتس وعدد من الموظفين المساعدين . وعند مناقشة المسائل المتعلقة بالنفط ، ربما كان يتم إشراك نائب الوزير وليام سايمون ومحافظ كولورادو السابق جون لوف وتشارلز دى بونا .

٢٢ - يبدو أن كيسنجر كان يدرك أن السوفيت ، بعد ست ساعات من بدء الحرب ، اقترحوا على السادات أن يقبل مجرد وقف إطلاق النار فى تاريخ مبكر . وكرر السوفيت طلبهم فى ٧ أكتوبر . أنظر : William B. Quandt, "Soviet Policy in the October Middle East War," *International Affairs,* vol. 53 (July 1977), PP. 377-89, and vol. 53 (October 1977), PP. 587-603. وكذلك رواية السادات نفسه فى مجلة « الحوادث » ، ١٩ مارس ١٩٧٥ ، وجريدة « الجمهورية » ، ٢٤ أكتوبر ١٩٧٥ . وأنظر أيضا : Mohamed Heikal, *The Road to Ramadan* (Quadrangle Books, 1975), PP. 209, 212-15.

٢٣ - كانت ليبيا قد أصدرت مؤخرًا قرارًا بأنه لا يجوز للعاملين فى شركات البترول الأمريكية أن يغادروا البلاد بدون تصريح حكومى . وقد أدى هذا التصرف غير المدروس من جانب الرئيس معمر القذافى إلى إثارة مخاوف المسؤولين الأمريكيين من أن يصدر أوامره بمهاجمة المصالح الأمريكية والمواطنين الأمريكيين . وبدلاً من ذلك تعاونت ليبيا بالسماح للأمريكيين المغادرين مصر بالعبور عن طريق ليبيا ، الأمر الذى تلقى القذافى عليه رسالة شكر .

٢٤ - اعترض عدد من السفراء الأمريكيين فى البلدان العربية على موقف الولايات المتحدة الذى يؤيد وقف إطلاق النار على أساس الوضع القائم سابقا . ورد كيسنجر بأنه إذا طالبت الولايات المتحدة بالتصويت على أى قرار لوقف إطلاق النار غير مرتبط بانسحاب إسرائيلى كامل فإن القرار سيرفض ؛ ويعقب ذلك طلب التصويت على وقف إطلاق النار مرتبطاً بالانسحاب وهو ما ستضطر الولايات المتحدة إلى الاعتراض عليه باستخدام الفيتو . وهذا فى وجهة نظره سيضر بالعلاقات الأمريكية العربية بصورة أسوأ من مطلب سكالى المؤقت بوقف إطلاق النار على أساس خطوط ما بعد ١٩٦٧ . وفوق كل ذلك ، كان كيسنجر يريد تجنب التصويت فى مجلس الأمن حتى يتأكد من أن التصويت سيؤدى إلى نتيجة مرضية . وكان هذا يتطلب موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، بينما كانت الموافقة السوفيتية تستلزم ، فيما يبدو ، قبول العرب .

٢٥ - Kalb and Kalb, *Kissinger,* P.466. وانظر أيضا : Edward N. Luttwak and Walter Laqueur, "Kissinger and the Yom Kippur War," *Commentary,* vol . 58 (September 1974). P. 36 . وقال كيسنجر فى Kissinger, *Years of Upheaval,* P. 485 : « عندما تلقيت أنباء سيئة من دينيتز ، فإننى لم أستبعد إسنادها إلى الجمود البيروقراطى أو القرارات المؤسفة من جانب الرؤساء » .

٢٦ - وصل كيسنجر فى الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة مساء ، وكان قد تلقى بياناً وافيا عن سير القتال فى ذلك اليوم .

٢٧ - Henry A. Kissinger, "The Nature of the National Dialogue," address delivered to the Pacem in Terris III Conference, Washington, D.C., October 8, 1973, printed in *Department of State Bulletin,* vol. 69 (October 29, 1973), PP. 525-31 . وتحدث كيسنجر فى خطابه بإسهاب عن الانفراج حيث قال (ص ٥٢٨) : « إن التعايش بالنسبة لنا لا يزال يحمل معنى محدداً للغاية :

- إننا سنعارض محاولة أى بلد لتحقيق وضع الهيمنة سواء على النطاق العالمى أو الاقليمى .
- إننا سنرد إذا استخدم استرخاء التوترات كغطاء لمفاقمة النزاعات فى مناطق الاضطراب الدولية .

إن الاتحاد السوفيتى لا يمكنه التغاضى عن هذه المبادىء فى أى منطقة من العالم دون تعريض علاقاته كلها مع الولايات المتحدة للخطر .. إن سياستنا إزاء الانفراج واضحة : إننا سنقاوم السياسات الخارجية العدوانية . إن الانفراج لا يستطيع التعايش مع اللامسؤولية فى أى منطقة ، بما فى ذلك الشرق الأوسط .

٢٨ - Kissinger, *Years of Upheaval,* PP. 491-93; and Kalb and Kalb, *Kissinger,* PP. 466-67.

٢٩ ـ استنتج البعض من استخدام كيسنجر لكلمة « *الابتزاز* » أن دينيتز لابد أنه قد أثار احتمال لجوء إسرائيل إلى الأسلحة النووية إذا لم تتم الاستجابة لطلباتها . انظر بصفة خاصة : Seymour M. Hersh, *The Samson Option Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy* (Random House, 1991), PP. 228-30 . وإننى أشك فى أنه قد تم توجيه تهديد سافر ، غير أنه كان هناك عامل ابتزاز نووى دفين فى الوضع العسكرى ، إذ كان الاعتقاد السائد هو أن الإسرائيليين يمتلكون أسلحة نووية ووسائل إطلاقها بما فى ذلك صواريخ أرض ـ أرض . وإذا كانت إسرائيل على حافة الهزيمة ، فإنه من الصعوبة بمكان أن يستبعد المرء استخدام تلك الأسلحة . وبالإضافة إلى ذلك ، ففى وقت ما فى بداية الأزمة ، التقطت المخابرات الأمريكية إشارات بأن صواريخ أريحا وضعت فى حالة استعداد . وإجمالاً ، فإن هذه الحقائق كانت ستقود أى مسؤول أمريكى إلى استنتاج أن هناك نوعا من العلاقة بين ما يحتمل من اعتماد إسرائيل على التهديدات النووية والقرارات الأمريكية المتعلقة بإعادة تزويدها بالأسلحة التقليدية . وبالنسبة لتأكيد مائير أنها كانت تفكر فى السفر إلى واشنطن ، انظر Golda Meir, *My Life · The Autobiography of Golda Meir* (London: Futura, 1976), P. 362.

٣٠ ـ انظر : Kissinger, *Years of Upheaval*, PP. 495-96 بما فى ذلك موضوع رسالته إلى دينيتز لإبلاغه قرار الرئيس بشأن إعادة التزويد بالأسلحة . وحتى هذه اللحظة لم يكن هناك حديث عن الجسر الجوى الأمريكى إلا إذا نشأت حاجة ملحة للدبابات . وقام كيسنجر بإبلاغ دينيتز بالموافقة على كل ما ورد فى قائمة إسرائيل فيما عدا قنابل الليزر ، وبأنه سيجرى تعويض كل الخسائر فى الطائرات والدبابات . وطبقا لما ورد فى Dowty, *Middle East Crisis*, P. 238 فقد ذكر كيسنجر لدينيتز أن الولايات المتحدة تعتزم عدم البروز فى الصورة ، وأنه يمكن لإسرائيل استخدام الطائرات المؤجرة فى عملية نقل الامدادات .

٣١ – Insight Team of the London Sunday Times, *Yom Kippur War* (Doubleday 1974), P.279 يقول كيسنجر فى *Kissinger, Years of Upheaval*, P.499 إنه تحدث إلى « دينيتز حوالى ظهر ١٠ أكتوبر ، الذى أبلغه شكر مائير على قرار نيكسون بإعادة الإمداد . وحث كيسنجر إسرائيل على العودة إلى خطوط ما قبل الحرب « بأسرع وقت ممكن ، أو فيما وراءها ، ولو فى جبهة واحدة . وإننا لا نستطيع تعطيل مشروع وقف إطلاق النار إلى الأبد » .

٣٢ – Mohamed Heikal, *The Road to Ramadan* (Quadrangle Books, 1975), PP. 223-24 ; and Kissinger, *Years of Upheaval*, PP.499-500.

٣٣ – Kissinger, *Years of Upheaval*, p.498.

٣٤ – يلخص كوانت فى ''Quandt, "Soviet Policy in the October Middle East 1973 War (جزءان) البيانات المتوافرة عن قيام السوفيت بتسليم المعدات العسكرية جوا وبحرا أثناء الحرب .

٣٥ – Kalb and Kalb, *Kissinger*, PP. 468-70 ; and Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p.65. ويذكر كيسنجر فى Kissinger, *Years of Upheaval*, p.501. أن سكوكروفت أخطر دينيتز بالاقتراح السوفيتى بأن تمتنع الدولتان العظميان عن التصويت فى الأمم المتحدة على وقف إطلاق النار ، وحثّ الإسرائيليين على الإسراع فى جهودهم الحربية على مدى الثمانى والأربعين ساعة القادمة . كما يدافع كيسنجر بقوة عن أن التأخير فى ترتيب رحلات الطائرات المؤجرة لم يكن مقصودا كنوع من الضغط على إسرائيل لتوافق على وقف إطلاق النار . وإننى لست مقتنعا بذلك تماما . ومهما كانت نوايا كيسنجر ، فقد شعر الإسرائيليون بأنهم يتعرضون للضغط لإنهاء العمليات الحربية بسرعة وبدون الاستعانة بجسر جوى أمريكى واسع النطاق .

٣٦ – Richard M. Nixon, remarks at a Medal of Science presentation ceremony, October 10, 1973, *Weekly Compilation of Presidential Documents*, vol. 9 (October 15, 1973), pp. 1236-37 كانت وجهة نظر نيكسون بشأن فكرة وقف القتال فى المكان الذى تم الوصول إليه غير معروفة . ولقد كان يفضل حالة الجمود على جبهة القتال (Nixon, *RN*, P.927) ، وكثيرا ما تحدث إلى كيسنجر حول الحاجة إلى فرض تسوية بالاتفاق مع السوفيت . وبذلك ، ليس من المؤكد أن نيكسون كان محجما عن الضغط على الإسرائيليين ، ولكن ليس هناك دليل محدد على أنه حاول تأخير إعادة الإمداد خلال هذه الفترة كشكل من أشكال الضغط المتعمد .

٣٧ – Insight Team, *Yom Kippur war*, p. 279 . تأكد ذلك من مصدر إسرائيلى رفيع المستوى .

٣٨ – Nixon, *RN*, pp. 926-27.

٣٩ – Kissinger, *Years of Upheaval*, p.509 . لقد قيل للإسرائيليين إن التصويت فى الأمم المتحدة لن يجرى قبل ساعة متأخرة من بعد ظهر ١٣ أكتوبر .

٤٠ – Brecher, *Decisions in Crisis*, p. 214 . اتخذ القرار يوم ١٢ أكتوبر بعد الظهر بتوقيت إسرائيل . وفى وقت سابق من هذا اليوم قرر مجلس الوزراء المصغر تأجيل القرار الخاص بمحاولة عبور القناة . المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

٤١ – "Secretary Kissinger's News Conference of October 12," *Department of State Bulletin*, vol. 69 (October 29, 1973), pp. 532-41.

٤٢ – يصف كيسنجر فى Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.512-13 بالتفصيل لقاءه مع دينيتز فى الساعة الحادية عشرة والثلث مساء يوم ١٢ أكتوبر . وقد فوجىء كيسنجر بأن إسرائيل لم تشن هجومها . وعزى دينيتز ذلك إلى قلة الإمدادات . وفى الواحدة مساء ، وبدون توجيه من نيكسون (لا تشير سجلات الرئيس إلى وجود اتصالات سواء من كيسنجر أو هيج فى هذه الفترة) ، قرر كيسنجر اتخاذ بعض الخطوات الأولية للإسراع بتوريد السلاح . Kalb and Kalb, *Kissinger*, p. 474 ; Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, pp. 53, 61, 66-67 ; and Insight Team, *Yom Kippur War*, pp. 279-80 . وطبقًا لوزير الدفاع شليزنجر ، « اتصل بى كيسنجر مساء الجمعة ... وأشار إلى أن إسرائيل تعانى من نقص السلاح . وأقل ما يمكن قوله ، إنه كان قلقًا » . Interview with James Schlesinger, *Jewish Telegraphic Agency Daily Bulletin*, July 1, 1974, P.4 وقال شليزنجر فى مؤتمره الصحفى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ إنه فى يوم ١٣ أكتوبر « كان البعض يعتقد أن بقاء دولة إسرائيل تعرض للخطر بصورة شديدة » . وهناك مؤلف واحد على الأقل ، Nadav Safran, *Israel : The Embattled Ally* (Harvard University Press, 1978), p.483 ، يفترض أن كيسنجر تحرك بدافع من الخوف من احتمال لجوء إسرائيل إلى الأسلحة النووية .

٤٣ – Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.516-19. انظر أيضا حديث كيسنجر إلى هيكل فى ٧ نوفمبر ١٩٧٣ ، "Interview : Kissinger Meets Haikal," pp.210-15 ، وفيه يشير إلى اقتراح وقف إطلاق النار فى المكان الذى تم الوصول إليه الذى أبلغ إلى السوفيت والمصريين فى ١٠ أكتوبر ، والرفض المصرى اللاحق الذى أبلغ بواسطة السوفيت والبريطانيين . ويصف كيسنجر الإسرائيليين بأنهم استشاطوا غضبا ، « ولكنهم رضخوا فى النهاية » لاقتراحه . أنظر أيضا Insight Team, *Yom Kippur War*, pp. 280-82 حيث يرد بأن السفير البريطانى التقى مع السادات مرة ثانية فى الساعة الرابعة من بعد ظهر ١٣ أكتوبر ، حينما أعطى السادات كلمته النهائية برفض الاقتراح الأمريكى . كما أشارت صحيفة الواشنطن بوست فى عددها الصادر فى ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ بصفحتها الأولى إلى الارتباط بين قرار توريد الأسلحة وموافقة إسرائيل على وقف إطلاق النار . وفى مؤتمر صحفى عقد فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، قال شليزنجر « لقد عطلت الولايات المتحدة ، عطلت عن عمد ، بدء عملية إعادة الإمداد بالأسلحة ، على أمل أن يتم تنفيذ وقف إطلاق النار سريعا » . "Secretary of Defense Schlesinger's News Conference of October 26," *Department of State Bulletin*, vol. 69 (November 19, 1973), p.624.

٤٤ – انظر Walter Isaacson, *Kissinger : A Biography* (Simon and Schuster, 1992) P.521 ، نقلا عن نص المحادثة التليفونية بين كيسنجر وهيج فى ساعة مبكرة من يوم ١٣ أكتوبر . قال هيج : « إنه (أى شليزنجر) على استعداد لإرسال طائرات قيادة المساعدات العسكرية إلى هناك فورًا ، واعتقد أن ذلك سيكون حماقة » . وأجاب كيسنجر : « بل إن ذلك سيكون كارثة ، إذ كيف استطاع أن يعطل كل شىء لمدة أسبوع – إنه لا يستطيع الآن أن يعوضها فى اليوم الذى يفترض أن تبدأ فيه الجهود الدبلوماسية . » وهذا الحوار المتبادل يميل إلى تأكيد وجهة النظر القائلة بأن كيسنجر رأى بالفعل ارتباطا بين الجسر الجوى واحتمال وقف إطلاق النار مبكرا .

٤٥ – Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.514, 515. فى الساعة الثانية عشرة والنصف من مساء ١٣ أكتوبر استطاع كيسنجر إبلاغ دينيتز بأن طائرات « سى – ٥ أ » العملاقة ستطير مباشرة إلى إسرائيل لحين ترتيب مسألة تأجير الطائرات . كما أن ١٤ طائرة من طراز « اف – ٤ » ستكون فى طريقها حالا . انظر أيضا

Edward N. Luttwak and Walter Laqueur, "Kissinger and the Yom Kippur War," *Commentary*, vol. 58 (September 1974), p. 37 ; and Isaacson, *Kissinger*, p.522.

٤٦ – تمت رحلة طائرة « اس آر – ٧١ » الأخرى الوحيدة يوم ٢٥ أكتوبر ، انظر Pike Committee report, p.78.

٤٧ – من الصعوبة بمكان تحديد درجة التأثير الذى أحدثه الجسر الجوى الأمريكى فى الاستراتيجية الإسرائيلية . ولقد توصلت من خلال لقاءات مع مسؤولين إسرائيليين كبار إلى أن تأثير الجسر الجوى على القرارات الاستراتيجية كان فى أدنى حد على الجبهة السورية ، وإن كان له أثر أكبر بصورة طفيفة على الجبهة المصرية . وكان عبور القناة يوم ١٢ أكتوبر بتوصية جادة من بارليف . (انظر Herzog, *War of Atonement*, pp. 202-07.) وبعد النصر الإسرائيلى فى سيناء فى ١٤ أكتوبر ، كانت الأوامر ستصدر بذلك حتى بدون إعادة الإمداد بالأسلحة من الولايات المتحدة . ولكن العبور ما كان ليستخدم بمثل هذا الإقدام إن لم تكن الأسلحة آتية فى طريقها . وقد استخدمت بعض البنود ، مثل صواريخ تاو ومافريك استخداما مؤثرا تماما فى الأيام الأخيرة للقتال ، وكادت تهدد بالهزيمة الكاملة للجيش الثالث . ومن المفارقات أن الإمدادات الأمريكية جعلت إسرائيل فى وضع يمكنها من القيام بعمل كان كيسنجر يصر على منعه .

٤٨ – وجهت إلى فيصل والسادات رسائل تشرح عملية الجسر الجوى فى إطار تلك الشروط ، وذلك قبل أن تصبح علنية . واستخدم كيسنجر نفس الحجة فيما بعد مع هيكل . انظر "Interviews : Kissinger Meets Haikal." كما تم إبلاغ السوفيت مقدما بالجسر الجوى ، وقيل لهم إن الولايات المتحدة ستتوقف إذا أوقفوا إمداداتهم للعرب .

٤٩ – من ١٤ أكتوبر وحتى وقف إطلاق النار فى ٢٥ أكتوبر ، بلغ ما قدمته جهود إعادة الإمداد نحو ١١ ألف طن من المعدات ، وأربعين طائرة فانتوم « اف – ٤ » ، وست وثلاثين طائرة سكاى هوك « أ – ٤ » ، واثنتى عشرة طائرة نقل « سى – ١٣٠ » . ولم تشمل جهود إعادة الإمداد سوى أربع دبابات فى الرحلات الأولى لطائرات « سى – ٥ » ، وأقل من عشرين دبابة أخرى تم إرسالها خلال عملية الجسر الجوى كلها . ومن ٢٦ أكتوبر إلى نهاية الجسر الجوى فى ١٥ نوفمبر ، تم نقل ١١ ألف طن أخرى من المعدات . وإجمالاً قامت الطائرات « سى – ٥ » بـ ١٤٧ طلعة على متنها ١٠٨٠٠ طن ، وقامت طائرات « سى – ١٤١ » بـ ٤٢١ طلعة حاملة ١١٥٠٠ طن . وفى نفس الفترة نقلت طائرات العال نحو ١١ ألف طن من الإمدادات العسكرية إلى إسرائيل فى أكثر من ٢٠٠ رحلة . وبحلول ١٥ نوفمبر بدأت طلائع السفن تصل إلى إسرائيل حاملة الإمدادات ، وأصبح الجسر الجوى غير ضرورى . ويتضمن *Aviation Week and Space Technology*, vol. 99 (December 10, 1973), pp. 16-19 معلومات عن عملية الجسر الجوى .

٥٠ – Heikal, *Road to Ramadan*, p. 224.

٥١ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 67.

٥٢ – أبدى نيكسون تعليقات ارتجالية يوم ١٥ أكتوبر فى احتفال وسام الشرف نتج عنها بعض الذعر فى الدوائر الدبلوماسية العربية ، إذ قال إن السياسة الأمريكية هى « مثل السياسة التى انتهجناها عام ١٩٥٨ عندما كان الأمر يتعلق بلبنان ، وهى مثل السياسة التى انتهجناها عام ١٩٧٠ عندما كان الأمر يتعلق بالأردن . إن سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط هى ببساطة كما يلى : إننا نقف مع حق كل أمة فى الشرق الأوسط فى المحافظة على استقلالها وأمنها . إننا نريد لهذا القتال أن ينتهى . إننا نريد أن ينتهى القتال على أساس يمكننا معه بناء سلام دائم » . *Weekly Compilation of Presidential Documents*, vol. 9 (October 22, 1973), p.1251 . وقد أثارت إشارة الرئيس إلى لبنان والأردن شبح التدخل العسكرى الأمريكى . والأرجح أن نيكسون كان يشير ببساطة إلى الأزمتين الأخريين فى الشرق الأوسط اللتين تدخل فيهما شخصيًا .

٥٣ – يقدم كتاب Heikal, *Road to Ramadan*, pp.232-34 رواية محرفة بعض الشيء لهذه الأحاديث ، ولكنها تغطى غالبية النقاط الرئيسية .

٥٤ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p.70.

٥٥ – المصدر السابق ، ص ٧٢ .

٥٦ – غادر كوسيجين القاهرة فى الساعة الثانية وخمس وخمسين دقيقة صباحا بتوقيت واشنطن يوم ١٩ أكتوبر .

٥٧ - Kissinger, *Years of Upheaval,* p.542.

٥٨ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger,* p.75.

٥٩ - Kalb and Kalb, *Kissinger,* pp.481, 483 ; and Ze'ev Schiff, *October Earthquake : Yom Kippur, 1973* (Tel Aviv : University Publishing Projects, 1974), p.264.

٦٠ - كان بصحبته جوزيف سيسكو ، والفريد آثرتون ، ووليام هايلاند ، وونستون لورد ، وبيتر رودمان ، وانضم إليهم هيلموت سوننفلد أثناء التوقف فى كوبنهاجن للتزود بالوقود . كما سافر السفير دوبرينين إلى موسكو على طائرة الوزير .

٦١ - Kissinger, *Years of Upheaval,* pp.546-48.

٦٢ - انظر Theodore White, *Breach of Faith : The Fall of Richard Nixon* (Atheneum, 1975), pp.328-42.

٦٣ - أرسل نيكسون تعليمات إضافية إلى كيسنجر بالسعى إلى اتفاق مع الاتحاد السوفيتى بشأن استراتيجية لفرض سلام شامل فى الشرق الأوسط . وتجاهل كيسنجر هذه التعليمات . انظر Kissinger, *Years of Upheaval,* pp.550-52.

٦٤ - وافق الطرفان فى اتفاقية جانبية على أن « الرعاية الملائمة » تعنى أن « المفاوضات بين الأطراف المعنية ستجرى بالمشاركة الايجابية من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى البداية ، ثم بعد ذلك عندما يجرى تناول المسائل الرئيسية الخاصة بالتسوية » . انظر المصدر السابق ، ص ٥٥٩ .

٦٥ - Insight Team, *Yom Kippur War,* p.380. لم يتحدث نيكسون تليفونيًا مع أى من زعماء الشرق الأوسط فى أى وقت من الأوقات خلال الأزمة .

٦٦ - عندما علم السادات بأن كيسنجر سيتوقف فى إسرائيل ، وجه له الدعوة للقدوم إلى مصر أيضا . واعتذر كيسنجر ، ولكنه أعرب عن أمله فى أن يتمكن من زيارة القاهرة قريبا . Heikal, *Road to Ramadan,* pp. 248-49.

٦٧ - يقول Golan, *Secret Conversations of kissinger,* pp. 84-87 إن كيسنجر ألمح إلى أن إسرائيل لن تكون مطالبة بالالتزام الصارم بوقف إطلاق النار . وجاء فى Kissinger, *Years of Upheaval,* p.569 أن كيسنجر أبلغ الإسرائيليين بأن « تفويت » الموعد النهائى لوقف إطلاق النار بضع ساعات أثناء عودته بالطائرة لبلاده ، لن يكون مشكلة . ويقول جوزيف سيسكو فى شهادته أمام لجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب فى ٣ ديسمبر ١٩٧٣ ، « إن الإسرائيليين كانوا مثل المصريين يتوقون لوقف إطلاق النار فى الوقت الذى تقرر فيه ذلك (٢٢ أكتوبر) » . *Emergency Security Assistance Act of 1973,* Hearings before the Committee of Foreign Affairs of the House of Representatives, 93 Cong. 1 sess. (GPO, 1973), p.56. وانظر أيضا Walter Laqueur Confrontation (Quadrangle, 1974), p. 194 ؛ و*Maariv,* October 26,1973

٦٨ - اتصل كيسنجر أثناء توقفه فى لندن بالسوفيت ، يحثهم على الضغط على سوريا لإلغاء هجوم مزمع فى اليوم التالى .

٦٩ - Kalb and Kalb, *Kissinger,* p.486.

٧٠ - نشر كتاب Heikal, *Road to Ramadan,* pp. 251-52 نص خطابين من نيكسون إلى السادات فى ٢٤ أكتوبر . وبالإضافة إلى ذلك ، كتب نيكسون إلى السادات فى ٢٣ أكتوبر ليوضح أن الولايات المتحدة ألزمت نفسها فقط بالاشتراك فى عملية تستهدف تحقيق تسوية سياسية ، ولكنها لا تضمن أية نتيجة محددة لهذه العملية .

٧١ - Kalb and Kalb, *Kissinger,* p.488.

٧٢ - المصدر السابق ، ص ٤٨٩ .

٧٣ - انظر Kissinger, *Years of Upheaval,* pp.575-83

٧٤ - Nixon, *RN,* p.938.

٧٥ - لوحظت لأول مرة فى ١١ أكتوبر حالة الاستنفار القصوى لسبع فرق سوفيتية محمولة جوا . وتم تغيير حالة الاستنفار فى ٢٣ أكتوبر . انظر "Secretary of Defense Schlesinger's News Conference of October 26," PP.617-26.

٧٦ - كان من الاعتبارات الأخرى التى ربما تكون قد أسهمت فى قرار إعلان الاستنفار العالمى ، وصول تقرير

من المخابرات مساء ٢٤ أكتوبر بأن سفينة سوفيتية مشتبه فى أمرها أطلقت عادم النيوترون أثناء عبورها مضيق البوسفور فى ٢٢ أكتوبر وهى فى طريقها إلى الاسكندرية . واعتقد البعض أن ذلك قد يشير إلى أن السوفيت يدخلون رؤوسًا نووية إلى مصر . ويشير كيسنجر فى *Years of Upheaval,* p.584 إلى بعض « المؤشرات المنذرة بالسوء » ، ولعله كان يومىء إلى هذا التقرير . انظر أيضًا "Secretary Schlesinger's News Conference of October 26" ; Raymond L. Garthoff, *Détente and Confrontation : American-Soviet Relations form Nixon to Reagan* (Brookings, 1985), p.378 ; and Dowty, *Middle East Crisis,* p.275.

٧٧ – نقل عن ديان بعد ذلك قوله إن كيسنجر هدد بإرسال قوات أمريكية لإعادة تزويد قوات الجيش الثالث بالمؤن . وأكد إسرائيليون آخرون بما فى ذلك إيبان بأن كيسنجر قال إن السوفيت قد يحاولون توفير الإمدادات للقوات المصرية . ويبدو أن القول الأخير أقرب إلى المعقولية ، ولعل ذلك بإضافة تهديد ضمنى بعدم مساعدة الإسرائيليين إذا وجدوا أنفسهم فى مواجهة مع السوفيت بشأن مصير قوات الجيش الثالث . وقد نوقش هذا فى : Theodore Draper, "The United States and Israel : Tilt in the Middle East, "*Commentary,* vol. 59 (April 1975), pp. 29-45, and the exchange of letters in *Commentary,* vol. 60 (September 1975), pp. 18-24. وجاء فى Moshe Dayan, *Moshe Dayan Story of My Life* (William Morrow, 1976), p.544 أن الأمريكيين « تقريبًا » وجهوا للإسرائيليين إنذارًا بالسماح بمرور المؤن إلى قوات الجيش الثالث ، ولكنه لا يدخل فى التفاصيل .

٧٨ – انظر Richard Ned Lebow and Janice Gross Stein, "We All Lost the Cold War," draft, April 1992, chap. 12, p.21. (تنشره دار جامعة برنستون فى ١٩٩٤) .

٧٩ – طبقًا للمصدر السابق ، الفصل ١٢ ، رفض كيسنجر التعليق عندما سئل فى حديث معه عما إذا كان نيكسون ، وفق الاعتقاد السائد ، عاجزًا عن المشاركة فى الاجتماع لأنه أفرط فى الشراب ذلك المساء .

٨٠ – Kissinger, *Years of Upheaval,* p.593 . كان ذلك هو الاجتماع الأول الذى علم فيه نيكسون بالإجراءات التى اتخذت فى الليلة السابقة .

٨١ – انظر "Secretary Kissinger's News Conference of October 25," *Department of State Bulletin,* vol. 69 (November 12, 1973), pp. 585-94. للحصول على النص الكامل . وفى اليوم التالى ، ٢٦ أكتوبر ، عقد نيكسون مؤتمرًا صحفيًا ناقش فيه الاستنفار ، وقال : « لقد حصلنا على معلومات قادتنا إلى الاعتقاد بأن الاتحاد السوفيتى يعتزم إرسال قوة كبيرة جدًا إلى الشرق الأوسط ، قوة عسكرية ... وعندما تلقيت تلك المعلومات أصدرت أوامرى ، بعد منتصف الليل بقليل فى صباح الخميس ، باستنفار جميع القوات الأمريكية فى سائر أنحاء العالم . كان ذلك استنفارًا وقائيًا . وكان الغرض منه إبلاغ الاتحاد السوفيتى أننا لا يمكننا قبول أى تحرك منفرد من جانبهم بتحريك قوات عسكرية إلى الشرق الأوسط ... وأن احتمال سلام دائم هو أفضل مما كان على مدى عشرين عامًا ... وبدون الانفراج ، فربما كنا دخلنا فى نزاع هائل فى الشرق الأوسط . وبفضل الانفراج تجنبنا ذلك » . "The President's News Conference of October 26, 1973," *Weekly Compilation of Presidential Documents,* vol. 9 (October 29, 1973) pp.1287-94.

٨٢ – أفرزت المناقشات حول دور كيسنجر فى حرب أكتوبر كمًا هائلا من الكتابات المتحيزة ، فإن كالب وكالب فى كتابهما Kalb and Kalb, *Kissinger,* ، يقفان إلى جانب كيسنجر ، ويصوران شليزنجر خطأ بوصفه العقبة فى طريق الجسر الجوى إلى إسرائيل . ويشير Tad Szulc, "Is He Indispensable ? Answers to the Kissinger Riddle" *New York,* July 1, 1974, pp. 33-39. إلى كيسنجر بإصبع الاتهام بدلا من ذلك . ويحاول Luttwak and Laqueur, "Kissinger and the Yom Kippur War" وضع الأمر فى نصابه ، ولكنه يتغاضى عن أهمية جهود وقف إطلاق النار فى الفترة من ١٠ إلى ١٣ أكتوبر . أما Gil Carl AlRoy, *The Kissinger Experience : American Policy in the Middle East* (Horizon Press, 1975) فيعد مجادلا عنيفا معاديا لكيسنجر بصورة مريرة . لكن Golan, *Secret Conversations of Kissinger* ، أكثر علمًا ببواطن الأمور ولكنه معاد بنفس القدر لكيسنجر . ويتعاطف معه Edward R.F. Sheehan, *The Arabs, Israelis, and Kissinger : A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (Reader's Digest Press, 1976) . وقد تمكن عدد قليل جدًا من الكتّاب من تحديد دور نيكسون فى تشكيل السياسة الأمريكية إبان

الحرب ، أو التفرقة بين جوانب السياسة التى تستهدف المحافظة على الانفراج وتلك التى تهدف إلى تنمية العلاقة الجديدة مع مصر .

٨٣ - تحوى المفكرة اليومية للرئيس سجلا تفصيليًا لجميع المقابلات والمكالمات التليفونية . وطوال أيام الأزمة السبعة عشر التى قضاها كيسنجر فى واشنطن أمضى فى المتوسط أربعًا وثلاثين دقيقة كل يوم فى لقاءات على انفراد مع نيكسون ، أو بحضور عدد قليل جدا من الأفراد (مع استبعاد اجتماعات مجلس الوزراء واللقاءات مع زعماء الكونجرس التى حضرها كيسنجر) . وكانا بالإضافة إلى ذلك يتحدثان تليفونيًا حوالى مرتين كل يوم ، وتستغرق كل مكالمة فى المتوسط ست دقائق . وإجمالاً ، كان كيسنجر على اتصال مباشر مع الرئيس نحو ثلاثة أرباع الساعة كل يوم ، أو ما يقرب من ساعة يوميًا إذا ما احتسبت الاجتماعات الموسعة . ولعل هيج ، بوصفه رئيسًا لهيئة الموظفين . كان يمضى وقتًا أطول مع نيكسون ، ولكن جانبًا كبيرًا من ذلك لا بد أنه كان يتعلق بورطة ووترجيت .

الفصل الثامن

١ - كان نيكسون أكثر ميلاً من كيسنجر إلى بحث القيام بدور أمريكى فعال لفرض تسوية فى المنطقة ، ولم يكن يتردد فى الحديث عن الضغط على إسرائيل . إلا أنه لم يكن قادرًا أو عازمًا على المضى فى هذه الآراء حتى النهاية .

٢ - أعرب عن مخاوفه هذه لمحمد حسنين هيكل فى ٧ نوفمبر بالقاهرة ، طبقًا لرواية مطولة لهيكل عن محادثاته مع كيسنجر نشرت بجريدة « الأنوار » فى ١٦ نوفمبر وترجمت فى "interviews : Kissinger Meets Haikal," *Journal of Palestine Studies,* vol. 3 (Winter 1974), pp.210-15.

٣ - انظر "Interviews : Kissinger Meets Haikal," pp.211-12. وورد أن كيسنجر أخبر هيكل أنه لم يتدخل فى أزمة الشرق الأوسط قبل أكتوبر ١٩٧٣ لخوفه من الفشل ، حيث لم يكن تحت سيطرته ما يكفى من عناصر الموقف ليضمن النجاح .

٤ - المصدر السابق ، ص ٢١٤ . « بإمكان الاتحاد السوفيتى أن يعطيكم سلاحًا ، ولكن الولايات المتحدة بإمكانها أن تعطيكم حلاً عادلاً يعيد إليكم أراضيكم ، خاصة وأنكم [أى العرب] استطعتم حقًا تغيير الموقف فى الشرق الأوسط ... فالسياسة فى عصرنا ليست مسألة مشاعر وإنما هى حقائق القوة » .

٥ - يشير كتاب Edward R. F. Sheehan, *The Arabs, Israelis, and Kissinger : A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (Reader's Digest Press, 1976), p.51 إلى سياسة عربية متماسكة تقوم على « شبه تحالف » بين واشنطن والقاهرة ، وكذا ترويج التكنولوجيا الأمريكية كوسيلة لزيادة التأثير الأمريكى فى العالم العربى .

٦ - William B. Quandt, "Soviet Policy in the October Middle East War," *International Affairs,* vol. 53 (July 1977), pp. 377-89, and vol. 53 (October 1977), pp.587-603.

٧ - ربما أغضب نيكسون وكيسنجر أيضًا عدم استعداد موسكو للوفاء بالتزامها الذى تعهدت بموجبه فى يومى ٢٠ ، ٢١ أكتوبر بالعمل على الإفراج الفورى عن الأسرى الإسرائيليين المحتجزين لدى مصر وسوريا .

٨ - William B. Quandt, "Domestic Influences on U.S. Foreign Policy in the Middle East : The View form Washington," in Willard A. Beling, ed., *The Middle East : Quest for an American Policy* (State University of New York Press, 1973), pp. 263-85.

٩ - انظر Kissinger, *Years of Upheaval,* pp. 615-16.

١٠ - William B. Quandt, "Kissinger and the Arab-Israeli Disengagement Negotiations," *Journal of International Affairs,* vol. 29 (Spring 1975), pp. 33-48.

١١ - وافق فهمى فى أول لقاء له بكيسنجر على أن يتم إمداد الجيش الثالث بمواد غير عسكرية لا غير إذا ما وافقت إسرائيل على الانسحاب إلى خطوط ٢٢ أكتوبر . وكان فهمى يشغل منصب وزير الخارجية بالإنابة فى هذا الوقت ، وتم تعيينه وزيرًا للخارجية فى ٣١ أكتوبر .

١٢ - وعد كيسنجر بالفعل ألا تقوم إسرائيل بشن هجوم عسكرى Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 616-17 من موقعها بالضفة الغربية لقناة السويس ، كما وافق على إرسال ممثل على مستوى عال إلى القاهرة فى موعد مبكر .

١٣ - المصدر السابق ، الصفحات ٦١٩ - ٦٢٤ .

١٤ - التقى كيسنجر ثانية برئيسة الوزراء جولدا مائير فى ٣ نوفمبر . وفى اليوم التالى ورد أن الكسندر هيج رئيس هيئة موظفى نيكسون اتصل بها هو ونيلسون روكفلر حيث أبلغاها استياء نيكسون من موقفها .
Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger : Step-by-Step Diplomacy in the Middle East* (Quadrangle Books, 1976), p.111.

١٥ - كان كيسنجر قد التقى بممثل سوريا لدى الأمم المتحدة يوم ٢ نوفمبر ، ولكن لم تكن هناك قنوات فى ذلك الوقت لمواصلة الاتصالات بين واشنطن ودمشق .

١٦ - Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 636-41. انظر أيضا Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp. 48-51.

١٧ - تم تعيين الدبلوماسى المحنك هيرمان ايلتس سفيرًا لأمريكا لدى مصر ، كما تم تعيين أشرف غربال الذى تلقى تعليمه بأمريكا سفيرًا لمصر لدى الولايات المتحدة .

١٨ - يوجد نص الاتفاقية بكتاب كيسنجر Kissinger, *Years of Upheaval*, p.641.

١٩ - يذكر المصدر السابق ، ص ٦٦٤ ، « لو تسنى لى فهم أفضل لآلية تسعير النفط لأدركت أن الخفض فى الإنتاج السعودى كان أكثر خطرا من الحظر ، حيث أثر بصورة حاسمة على الإمداد العالمى ، ومن ثم وفر الشرط المسبق لرفع الأسعار على نحو يجلب الخراب .

٢٠ - يحوى Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp. 70-73 نصا جزئيا لاجتماع كيسنجر وفيصل . انظر أيضًا Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 659-66.

٢١ - بعد ذلك بأيام تحدث كيسنجر فى بكين عن « انسحابات » إسرائيلية كجزء من تسوية ، فى محاولة مقصودة لإظهار نواياه الطيبة تجاه السعوديين . ولم يكن الإسرائيليون مسرورين بذلك بصفة خاصة لقلقهم من إشارة كيسنجر إلى الضمانات الأمريكية ، وخشيتهم من أن تصبح الضمانات الخارجية بديلاً لتنازلات عربية . انظر "Secretary Kissinger's News Conference of November 12, 1973," *Department of State Bulletin*, vol. 69 (December 10, 1973), p.713.

٢٢ - Moshe Dayan, *Moshe Dayan : Story of My Life* (William Morrow, 1976), p.556, refers to Yariv's November 22 proposals.

٢٣ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, pp. 120-21. ، ذكر أن كيسنجر لم يمارس الضغط المباشر وإنما أخبر الإسرائيليين بما يفضله . انظر أيضًا : Kissinger, *Years of Upheaval*, p.752.

٢٤ - ينقل كتاب Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 634 عن نيكسون قوله لمجلس الوزراء إنه « قد يكون ضروريًا ممارسة الضغط على إسرائيل لتجنب حدوث نقص خطير فى النفط » .

٢٥ - يذكر Dayan, *Moshe Dayan*, p. 548 أنه عارض محادثات الكيلو ١٠١ حيث شعر بضرورة إشراك الولايات المتحدة فى المفاوضات .

٢٦ - كتب نيكسون للسادات فى الأول من ديسمبر يقترح أن تحضر مصر مؤتمرًا فى جنيف فى ١٨ ديسمبر .

٢٧ - أكد السادات فى رده على دعوة نيكسون بتاريخ ٨ ديسمبر استعداد مصر للذهاب إلى جنيف ، ولكنه لم يشر بشىء إلى سوريا .

٢٨ - خطاب كيسنجر أمام حجاج بريطانيا العظمى فى ١٢ ديسمبر حيث ناقش حرب أكتوبر وأزمة الطاقة ، ويتضمن الاعتراف الصريح بأنه « من الإنصاف أن أقرر .. أن الولايات المتحدة لم تقم بكل ما كانت تستطيع القيام به قبل الحرب تجاه التوصل إلى تسوية دائمة فى الشرق الأوسط » Department of State Bulletin, vol. 69 (December 31, 1973), p.780.

٢٩ - أمضى كيسنجر أربع ساعات مع السادات يوم ١٣ ديسمبر ، وخمس ساعات يوم ١٤ ديسمبر حيث بحثا ما يمكن عمله إذا رفضت إسرائيل حضور مؤتمر جنيف . وقد وعد السادات أيضًا بالعمل على رفع حظر النفط فى أوائل يناير .

٣٠ - يقتبس Kissinger, *Years of Upheaval*, p.759 من الخطاب .

٣١ - تراءت لهجة نيكسون فى هذه الخطابات ، فى الملاحظات التى ورد أنه أدلى بها لمجموعة تضم سبعة عشر من حكام الولايات يوم ١٣ ديسمبر . « إن الطريق الوحيد الذى سنتبعه لحل الأزمة هو إنهاء حظر النفط ، والطريق الوحيد الذى سنتبعه لإنهاء حظر النفط هو جعل الإسرائيليين يتصرفون بصورة معقولة . إننى أكره استخدام كلمة ابتزاز ، ولكن يتعين علينا فعل بعض الأشياء لجعلهم يسلكون سلوكًا حسنًا » . Thomas O'Toole and Lou Cannon, "Jobs, Oil Put Ahead of Environment, Israel," *Washington Post*, December 22, 1973, p. A1.

٣٢ - تم تجميع هذه الدعوة فى مذكرة تفاهم ، انظر David Landau, "Kissinger Obtains Jerusalem's Consent to Attend Geneva Parley," *Jerusalem Post*, December 18, 1973, p. 1.

٣٣ - Kissinger, *Years of Upheaval*, pp. 777-86 ؛ ويتضمن Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp. 95-97, نصوصًا لفقرات من هذه المحادثات .

٣٤ - وافق الأسد بالفعل على فتح قسم لرعاية المصالح يديره أمريكيون فى دمشق . وقد تم إرسال توماس سكوتس ليرأس البعثة .

٣٥ - Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger* (Little, Brown, 1974), pp.526-27 أخبر كيسنجر جولدا مائير أيضًا أن السادات يتجه نحو أفكار معتدلة ، وأن إسرائيل بالحديث عن فض الاشتباك يمكنها تأجيل المفاوضات بشأن الحدود النهائية .

٣٦ - يعيد كيسنجر فى Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.1249-50 نشر المذكرة التى بعث بها إلى نيكسون فى ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ ، لتلخص مواقف الأطراف عشية المؤتمر .

٣٧ - المصدر السابق ، الصفحات ٨٢١ - ٨٢٩ ؛ و Kalb and Kalb, *Kissinger*, pp. 534-35

٣٨ - Kalb and Kalb, *Kissinger*, p.539.

٣٩ - النص والخريطة منشوران فى "The Agreement : New Deployment of Forces along the Suez Canal," *Jerusalem Post*, January 20, 1974, p.1. ، وفى Kissinger, *Years of Upheaval*, p.839 (map) and p. 1250.

٤٠ - تم وصف مذكرة التفاهم بعبارات عامة فى Bernard Gwertzman, "Congressmen Get Mideast Briefing," *New York Times*, January 22, 1974, p.1.

٤١ - يقدم Kissinger, *Years of Upheaval*, p.1251 النص . وأصبح الشرط المتعلق بست بطاريات مدفعية قصيرة المدى فيما بعد مصدرًا للخلاف . ففى الجيش الإسرائيلى تضم البطارية ستة مدافع ، أما فى الجيش المصرى فتضم اثنى عشر مدفعًا . وقد اكتشفت الطلعات الاستطلاعية الأولى بعد تنفيذ اتفاقية فض الاشتباك وجود اثنتين وسبعين قطعة مدفعية على الجانب المصرى ، وست وثلاثين قطعة على الجانب الإسرائيلى . وبعد شكاوى إسرائيل الغاضبة فى أواخر مارس ، وافق السادات على خفض قواته إلى المستوى الإسرائيلى ، وهو ستة وثلاثون مدفعًا .

٤٢ - يتضمن Ze'ev Schiff, "After Accord Signed on Friday, Separation of Forces Begins Next Sunday, will End in 40 Days," *Jerusalem Post*, January 20, 1974, p.1 وصفا دقيقا بوجه عام للشروط السرية للاتفاقية . انظر أيضًا "Secretary Kissinger's News Conference of January 22, 1974," *Department of State Bulletin*, vol. 70 (February 11, 1974), p. 137.

٤٣ - "Secretary Kissinger's News Conference of January 3, 1974," *Department of State Bulletin*, vol. 70 (January 28, 1974), p.78. وفى ٦ يناير ١٩٧٤ أثار وزير الدفاع شليزنجر للمرة الأولى احتمال استخدام القوة إذا ما استمر حظر النفط إلى ما لا نهاية .

٤٤ - بالنسبة لتفاصيل الاقتراحات الأردنية انظر Bernard Gwertzman, "U.S Laying Groundwork for Syrian-Israeli Talks," *New York Times*, February10, 1974, p.1 and Terence Smith, "Hussein Said to Urge an Israeli Pullback to Western Edge of the Jordan Valley," *New York Times*, February 15, 1974, p.3.

٤٥ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p.182.

٤٦ - هذه الرسائل التى يبدو أنها تلمح إلى أن نيكسون يرغب فى رفع الحظر لأسباب سياسية داخلية ، ثبت فيما بعد أنها كانت أمرًا محرجًا بالنسبة له . فحين قصرت السعودية فى الوفاء بوعودها بأن ترفع الحظر ،

ألمح كيسنجر إلى أنه قد يضطر إلى نشر نصوص الالتزامات التى تعهد بها فيصل . وردت السعودية بأنها أيضًا ربما كانت لديها بعض الرسائل المحرجة لتنشرها . وسرعان ما تم إسقاط هذا الموضوع . انظر Kissinger, *Years of Upheaval*, p.947. : « كان (نيكسون) فى الشهر العاشر لعذابه ما زال أسيرًا لفكرة أن رفع الحظر بصورة مثيرة تحت قيادته شخصيًا سيكون الدواء الناجع لمعاناته من فضيحة ووترجيت » .

٤٧ – Bernard Gwertzman, "Israel and Syria to Confer in U.S.," *New York Times*, March 3, 1974, p.1.
تضمنت القائمة خمسة وستين ، اسمًا ، أى أكثر مما كان يتوقعه بعض المراقبين .

٤٨ – طلب الملك حسين خلال زيارته لواشنطن فى ١٢ مارس ، ١٣٠ مليون دولار دعمًا لميزانيته بالإضافة إلى مبالغ أخرى كمساعدات عسكرية . وكانت الإدارة الأمريكية تبحث فى ذلك الوقت منحه مائة مليون دولار ، أى حوالى ضعف ما قدمته له فى العام السابق . وقد تم إرسال الطلب الرسمى لمساعدات الشرق الأوسط للعام المالى ١٩٧٥ إلى الكونجرس فى ٢٤ أبريل متضمنًا مبلغ مائة مليون دولار لم يتم التعهد بها ، تقدم فيما يعتقد كمعونة لسوريا إذا ما تم استئناف العلاقات الدبلوماسية .

٤٩ – أوشكت زيارة ديان على أن تلغى من جانب الإسرائيليين احتجاجًا على ما اعتبروه انتهاكًا من مصر لشروط اتفاقية فض الاشتباك . ووردت الإشارة إلى النزاع حول هذه الانتهاكات فى "Arabs Assess Talks Progress," *Washington Post*, March 26, 1974, p. A13.

٥٠ – Joseph Alsop, "American Arms Sales to Egypt ?" *Washington Post*, April 26, 1974, p.A31.

٥١ – التقى نيكسون مع بومدين فى البيت الأبيض فى ١١ أبريل ، وأقام له مأدبة عشاء صغيرة خاصة فى المساء . وقد مضت المحادثات بينهما على نحو طيب رغم ممارسة بومدين لضغط شديد على نيكسون حول فض الاشتباك بين سوريا وإسرائيل وحول الفلسطينيين .

٥٢ – بعث كيسنجر بسوندرز إلى السعودية والجزائر لاطلاع فيصل وبومدين على نتائج المحادثات والحصول على تأييدهما .

٥٣ – يقدم Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.1052-1110 بيانًا مفصلاً للجولات المكوكية بين دمشق والقدس . ويغطى Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp.94-106. هذه الفترة ، بما فيها نصوص لبعض المحادثات التى دارت بين كيسنجر ومائير . انظر أيضًا Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p.194.

٥٤ – بيد أن البرافدا حذرت الأسد فى ٢٠ مايو ١٩٧٤ ألا يقنع بأنصاف الحلول .

٥٥ – أقر السادات للأسد تمامًا بهذا النهج .

٥٦ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 196 ; and Bernard Gwertzman, "Syria-Israel Gain Seen by Kissinger," *New York Times*, May 9, 1974, p. 1.

٥٧ – أرسل نيكسون خطابًا إلى مائير يوم ١٠ مايو يعرب فيه عن اهتمامه بالتوصل إلى اتفاق .

٥٨ – كان الأمريكيون يتوقعون مفاوضات صعبة حول القنيطرة . وقد حضروا مسلحين بصور جوية كبيرة للمنطقة . وقد استخدمت هذه الصور بالفعل فى رسم الخطوط النهائية بدلاً من الخرائط نظرًا لتفاصيلها التى اتسمت بدقة غير عادية .

٥٩ – يروى Kissinger, *Years of Upheaval*, p.1078 أوامر نيكسون بقطع كافة المعونات عن إسرائيل . إلا أنه فى سياق الهجوم الإرهابى الفلسطينى على الإسرائيليين الذى وقع فى معلوت يوم ١٥ مايو ، أحس كيسنجر أن مثل هذا الإجراء سيكون غير ملائم وأعرب عن معارضته له .

٦٠ – أبلغ كيسنجر نيكسون بعد أربع ساعات قضاها مع رئيسة الوزراء مائير وثمانى ساعات مع الرئيس الأسد ، أن يوم ١٦ مايو كان أصعب أيام حياته . فقد كانت إسرائيل فى اليوم السابق فى صدمة من جراء مذبحة معلوت التى لقى فيها العديد من تلاميذ المدارس مصرعهم مما أسهم فى خلق مزاج معارض فى إسرائيل تجاه تقديم تنازلات لسوريا ، وزاد من صعوبة مهمة كيسنجر .

٦١ – "Two Issues Said to Delay Troop-Separation Accord," *New York Times*, May 23, 1974, p.1.

٦٢ – Sheehan, *Arabs, Israelis*, p. 126.

٦٣ – ظلت سوريا تحاول حتى ٢ يونيو إحداث تغييرات فى خط فض الاشتباك ، ورفضت إسرائيل ذلك .

٦٤ – بالنسبة لنص الاتفاقية ، انظر *Arab Report and Record*, May 16-31, 1974, p. 215.

٦٥ – Kissinger, *Years of Upheaval*, pp.1123-43 ; and Richard M. Nixon, *RN : The Memoirs of Richard Nixon* (Grosset and Dunlap, 1978), pp. 1007-18.

٦٦ – Sheehan, *Arabs, Israelis,* p.132.

٦٧ – لم يستطع نيكسون مطلقًا التغلب على إيمانه بخطة ايزنهاور – شتراوس الخاصة بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط عن طريق جعل الصحراء زاهرة من خلال توفير المياه العذبة التى تنتجها محطات لتحلية المياه تعمل بالطاقة النووية . ومثل العديد من الأفكار الرديئة ، فإن هذه الفكرة كان من الصعب التخلص منها ، وكان عرض تزويد مصر وإسرائيل بمحطات للطاقة النووية صورة أخرى لهذه الفكرة .

٦٨ – Kissinger, *Years of Upheaval,* p.1134.

٦٩ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger,* pp. 214-17.

٧٠ – لم يصحب كيسنجر نيكسون فى زيارته للأردن ، بل توجه إلى كندا لحضور اجتماع لحلف شمال الأطلنطى .

٧١ – يدعى Golan, *Secret Conversations of Kissinger,* pp.220-21 أنه تم تأجيل شحنات السلاح كنوع من الضغط على إسرائيل .

٧٢ – البيان المصرى الأردنى المشترك ، ١٩ يوليو ١٩٧٤ ، فى Foreign Broadcast Information Service, *Daily Report : Middle East and North Africa,* July 19, 1974, p. D 1.

٧٣ – صرح أهارون ياريف وزير الإعلام فى يوليو ١٩٧٤ بأنه « من الممكن إجراء مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية شريطة أن تعلن المنظمة استعدادها للدخول فى مفاوضات ، مع الاعتراف بوجود الدولة اليهودية فى إسرائيل وإيقاف كافة الأعمال العدائية ضدها » "Israel for the First Time, Gives Basis of Talks with Palestinians," *New York Times,* July 13, 1974, p. 1.

٧٤ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger,* pp.220-22.

٧٥ – بيد أن سيمون وزير الخزانة سافر بالفعل فى يوليو ١٩٧٤ إلى مصر وإسرائيل والسعودية لبحث التعاون الاقتصادى . ولم يكن لديه الكثير ليقدمه ، ولكنه علم أن المصريين أصبحت شهيتهم مفتوحة للغاية للمعونات والتكنولوجيا الأمريكية ، وأن إسرائيل تفكر فى برنامج تحديث عسكرى مدته خمس سنوات يتكلف ٤ مليارات دولار سنويًا يتم تخصيص ما لا يقل عن ١,٥ مليار دولار منها كمعونة منح أمريكية . إن السلام فى الشرق الأوسط لن يتحقق بثمن رخيص .

٧٦ – هناك اعتراف فى Kissinger, *Years of Upheaval,* p.1247, note 1 بصحة هذا النقد ، ولكنه يرى أنه فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ مباشرة لم يكن هناك ما يصلح سوى نهج الخطوة خطوة . وإننى أتفق بالنسبة لتلك الفترة ، ولكنى أعتقد أنه كان من الممكن أن نفعل أكثر مما فعلنا تأسيسًا على اتفاقية فض الاشتباك الثانية لو لم تكن سلطة الرئاسة قد ضعفت إلى هذا الحد . خلاصة القول أن التأثير الأمريكى كان من الممكن أن يغير من الأمر ، ولكنه لم يكن موجودًا اعتبارًا من منتصف عام ١٩٧٤ .

الفصل التاسع

١ – كان فورد يشاطر كيسنجر تشككه فى الاتحاد السوفيتى . انظر Gerald R. Ford, *A Time to Heal : The Autobiography of Gerald R. Ford* (Harper and Row, 1979), p. 183 : « قبل أن أصبح رئيسًا ، كان كيسنجر قد حقق نجاحًا كبيرًا فى إخراج السوفيت من الشرق الأوسط . لقد كنت أعتقد أنهم لا يريدون تسوية صادقة هناك ، وأن هدفهم الوحيد هو زيادة عدم الاستقرار ، ومن ثم أردت أن أبقيهم خارجًا .

٢ – للاطلاع على أفضل تقرير مفصل عن هذه المفاوضات انظر Cecilia Albin and Harold H. Saunders, "Sinai II : The Politics of International Mediation," FPI Case Study 17, Johns Hopkins University, School of Advanced International Studies, Washington, 1991 ويشير المؤلفان إلى أن فورد نفسه كان يميل إلى التركيز على الجبهة المصرية الإسرائيلية . ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن هذه الجبهة كانت تبدو أكثر ملاءمة من الناحية السياسية . (الصفحات ٣٧ – ٣٨) .

٣ – أخبر فهمى فورد أن مصر مستعدة للمضى نحو اتفاقية جزئية أخرى مع إسرائيل قبل التوصل إلى اتفاق إسرائيلى أردنى . كما أعرب عن اعتقاده بأن إجراء مفاوضات متزامنة على هاتين الجبهتين أمر مستحيل ، المصدر السابق . الصفحات ٢٩ – ٣٠ .

٤ – المصدر السابق ، ص ٣٠ ، يشير إلى قيام الملك حسين بتقديم تنازل هام بقبوله فكرة إمكان أن تبقى

القوات الإسرائيلية فى الخلف فى مواقع محددة على طول نهر الأردن بعد اتفاقية فض الاشتباك . ويشار إلى ذلك بفكرة « البقع على جسم الفهد » .

٥ – انظر ، على سبيل المثال ، William Safire, "Arab Council of War," *New York Times*, October 31, 1974, p. 41. وهناك تحليل أكثر عمقًا فى Richard H. Ullman "After Rabat : Middle East Risks and American Roles," *Foreign Affairs*, vol. 53 (January 1975), pp.284-96.

٦ – فى نوفمبر ١٩٧٤ تم إنشاء وكالة الطاقة الدولية تحت إشراف منظمة التعاون والتنمية فى الميدان الاقتصادى . وتم الاتفاق على برنامج لتكوين احتياطى النفط ، والتخطيط للحد من الطلب فى حالة حدوث انقطاع فى إمدادات النفط ، واقتسام النفط فى حالة تعرض أى عضو فى المجموعة لحظر انتقائى . وبالموافقة على هذه الشروط أصبحت الولايات المتحدة من الناحية النظرية عرضة لخطر الحظر شأنها شأن أوروبا واليابان .

٧– لبحث الارتباط بين النزاع العربى الإسرائيلى وأزمة الطاقة ، انظر William B. Quandt, "U.S. Energy Policy and the Arab-Israeli Conflict," in Naiem A. Sherbiny and Mark A. Tessler, eds., *Arab Oil : Impact on the Arab Countries and Global Implications* (Praeger, 1976), pp. 279-94. وفى خطاب هام حول الطاقة بجامعة شيكاغو فى ١٤ نوفمبر ، أعرب كيسنجر عن اعتقاده بأن أسعار النفط لن تنخفض إلا بتغيير الموقف الموضوعى ، أو بعبارة أخرى إن قوى السوق وليست الرغبات السياسية ستكون الوسيلة لخفض الأسعار .

٨ – اضطر كيسنجر تحت ضغط محاور مقدام ومشاكس إلى الإقرار بأن استخدام القوة ضد منتجى النفط لم يكن مستبعدًا إذا حدث « خنق » فعلى للاقتصادات الغربية "Kissinger on Oil, Food, and Trade," *Business Week*, January 13, 1975, pp. 66-76. وتوجد مناقشات مفصلة حول الظروف التى يمكن أن يكون استخدام القوة فيها مناسبًا فى Robert Tucker, "Oil : The Issue of American Intervention," *Commentary*, vol. 59 (January 1975), pp. 21-31 ; and Miles Ignotus [Presumably Edward Luttwak]. "Seizing Arab Oil." *Harper's*, March 1975, pp. 45-62.

٩ – يمثل مقال هوليس شنرى ، نائب رئيس البنك الدولى ، نقطة تحول هامة فى المناقشات حول أسعار النفط . انظر "Restructuring the World Economy," *Foreign Affairs*, vol. 53 (January 1975), pp. 242-63.

١٠ – يقول البيان المشترك الصادر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٧٤ إنه يتعين أن يقوم البحث عن السلام فى الشرق الأوسط على قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٨ « أخذًا فى الاعتبار المصالح المشروعة لكافة شعوب المنطقة بمن فيها الشعب الفلسطينى ، واحترام الحق فى الوجود المستقل لكافة الدول فى المنطقة » . *Department of State Bulletin*, vol. 71 (December 23, 1974), p. 880.

١١ – Matti Golan, *The Secret Conversations of Henry Kissinger : Step-by-Step Diplomacy in the Middle East* (Quadrangle Books, 1976), p.229.

١٢ – المصدر السابق ، الصفحات ٢٢٩ – ٢٣٠ ؛ و *Haaretz*, December 17, 1974

١٣ – تدخل فورد أيضًا بنصح الإسرائيليين أن يكونوا أكثر مرونة . انظر Ford, *Time to Heal*, pp. 245-46. حيث كان يرى أن الإسرائيليين من القوة بحيث يمكنهم تقديم تنازلات .

١٤ – *Le Monde*, January 21, 1975.

١٥ – فى ٣ فبراير ١٩٧٥ أصدرت سوريا والاتحاد السوفيتى بيانًا مشتركًا يدعو إلى إعادة انعقاد مؤتمر جنيف .

١٦ – Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 232.

١٧ – ظل موقف الأسد من اتخاذ خطوة ثانية بشأن مرتفعات الجولان غامضًا . فلم يكن يبدو متلهفًا بشكل خاص على مثل هذه الاتفاقية إلا أنه لم يعمل على إعاقتها .

١٨ – Wolf I. Blitzer, "Kissinger Reveals Sadat's Twelve Concessions,' " *Jerusalem Post*, May 12, 1975, p. 1. وطبقًا لـ Albin and Saunders, "Sinai II," p.58 ، فإن السادات قدم لكيسنجر خطًا ثانيا أقل تشددا لاستخدامه إذا اقتضت الضرورة . وقد أصبح ذلك هو التاكتيك النمطى للسادات فى المفاوضات التالية .

١٩ – Edward R. F. Sheehan, *The Arabs, Israelis, and Kissinger : A Secret History of American Diplomacy in the Middle East* (Reader's Digest Press, 1976), p. 156. انظر أيضًا ملخص لهذه النقاط فى Albin and Saunders, "Sinai II," pp. 56-58.

٢٠ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 236-38 وإن كان يعطى تاريخا غير دقيق للخطاب بأنه فى ١٩ مارس . ويقدم Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), p. 256 نصًا جزئيًا للخطاب الذى يهدد فيه فورد ، بإعادة تقييم ، السياسة الأمريكية ، بما فيها العلاقات مع إسرائيل . ويقول Ford, *Time to Heal*, p. 247 إنه كان ، غاضبًا إلى حد الجنون ، من الإسرائيليين لتاكتيكاتهم فى المفاوضات .

٢١ - يحوى Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp. 160-62 أجزاء من نص هذه المحادثات . ويتعين ملاحظة أن هذه النصوص ليست تسجيلات حرفية ، وإنما إعادة تركيب المحادثات فى شكل حوار يقوم على النقاط التى تم تدوينها خلال الجلسات من جانب أحد مساعدى كيسنجر . وهناك نسخة مختلفة اختلافًا طفيفًا من حديث كيسنجر فى Albin and Saunders, "Sinai II," pp. 69-70

٢٢ - قام كيسنجر قبل مغادرته بزيارة جولدا مائير ، ورغم أنها كانت تؤيد رابين علانية فإنها ألمحت سرًا لكيسنجر أن رابين أخطأ فى معالجة المفاوضات ، وأنه كان بإمكانها أن تعرف كيف تجعل مجلس الوزراء والكنيست يؤيدان الاتفاقية .

٢٣ - التقى فورد مع ماكس فيشر فى ٢٧ مارس ١٩٧٥ ، ليعرب له عن غضبه إزاء السياسة الإسرائيلية . كان فيشر رجل أعمال ثريًا من ديترويت ، من الجمهوريين ، وأحد زعماء الطائفة اليهودية فى أمريكا . وعادة ما كان يعمل كقناة غير رسمية للاتصال بين الولايات المتحدة وإسرائيل . انظر Ford, *Time to Heal*, pp.247, 286.

٢٤ - لقاء فورد مع مجموعة صحف هيرست فى ٢٧ مارس ١٩٧٥ ، انظر Bernard Gwertzman, "Ford Says Israel Lacked Flexibility in Negotiations," *New York Times*, March 28 1975, p.I.

٢٥ - George Ball, "How to Avert a Middle East War," *Atlantic Monthly*, January 1975,pp.6-11.

٢٦ - خلال هذه الفترة أوضح ستانلى هوفمان ببراعة أنه من مصلحة إسرائيل نفسها أن تتقدم بمبادرة سلام شاملة . وكان العيب الرئيسى فى هذا الرأى أن هذه السياسة تتطلب وجود حكومة إسرائيلية قوية يدعمها توافق واسع فى الرأى العام . ومن الواضح أن هذا لم يكن موجودا ، انظر "A New Policy for Israel,"*Foreign Affairs*, vol. 53 (April 1975), pp.405-31.

٢٧ - Sheehan, *Arabs, Israelis*, p.166 ; and Albin and Saunders, "Sinai II," p.79.

٢٨ - يشير أيضًا إلى السياسة الأمريكية على أنها ، منصفة ، .

٢٩ - يقول Ford, *Time to Heal*, p.287. إنه يرحب علنًا بالخطاب الوارد إليه من أعضاء مجلس الشيوخ ، ولكن ، فى الحقيقة فإن هذا الخطاب أزعجنى . فقد ادعى الشيوخ أن الخطاب كان تلقائيًا ، ولكن لم يكن لدىّ أدنى شك فى أنه جاء بإيعاز من إسرائيل . لقد زودنا إسرائيل لسنوات طوال بكميات هائلة من المساعدات العسكرية والاقتصادية دون أن نطلب منها مطلقًا شيئًا فى المقابل ، .

٣٠ - Sheehan, *Arabs, Israelis*, pp. 176-77 .

٣١ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 59 ; and Ford, *Time to Heal* pp.290-91

٣٢ - يقول Ford, *Time to Heal*, p.291 إنه قدم أيضًا للسادات كميات كبيرة من المساعدات الاقتصادية (٨٠٠ مليون دولار) وطائرات نقل ، سى - ١٣٠ ، . وقد تم استبعاد المعدات العسكرية الهجومية نظرًا لمعارضة إسرائيل القوية .

٣٣ - خطاب فورد إلى رابين أول سبتمبر ١٩٧٥ ، يشير إلى اجتماعهما فى ١٢ يونيو ١٩٧٥ ، نشر مجددا فى Michael Widlanski, ed., *Can Israel Survive a Palestinian State ?* (Jerusalem : Institute for Advanced Strategic and Political Studies, 1990), pp. 120-21. وحسب كتاب Albin and Saunders, "Sinai II," p. 92 ، فإن فورد أخبر رابين أنه يميل إلى طرح خطة أمريكية .

٣٤ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 245 ; and Terence Smith, "Israel Offers Compromise to Egyptian sinai Accords," *New York Times*, June 25, 1975, p. I. ويذكر رابين فى Rabin, *Rabin Memoirs*, p. 267. أنه تم إرسال الخريطة المقترحة والتى وافق عليها فريق التفاوض الإسرائيلى إلى مصر حيث رفضت .

٣٥ - Golan, *Secret Conversations of Kissinger*, p. 248 ، وإن كان قد أخطأ فى تحديد تاريخ الاجتماع بأنه كان فى مطلع أغسطس . Bernard Gwertzman, "Kissinger Visited by Israeli Envoy for Secret Talks," *New York Times*, July 4, 1975, p.I.

٣٦ - يشير Albin and Saunders, "Sinai II," p. 86 إلى أن إسرائيل كانت شديدة الحرص على الحصول على مزيد من المساعدات العسكرية لتمويل برنامج التحديث العسكرى بها الذى يسمى « ماتمون - ب » .

٣٧ - التقى رابين وفورد فى بون يوم ١٢ يوليو ، وبعدها أجاز مجلس الوزراء الإسرائيلى موقفًا تفاوضيًا جديدًا . انظر *Arab Report and Record*, July 1-15, 1975, p. 401 ; Terence Smith, "U.S. Is Considering Proposal That It Man Posts in Sinai," *New York Times*, July 13, 1975, p. 1 ; and Kathleen Teltsch, "Kissinger Warns Majority in UN on U.S. Support," *New York Times*, July 15, 1975, p. 1. وجاء رد مصر فى ٢١ يوليو ، إلا أن إسرائيل رفضته فى ٢٧ يوليو حيث قدمت وقتها موقفًا « نهائيًا بصورة قاطعة » لكيسنجر الذى نقله إلى السادات عن طريق آيلتس فى ٣١ يوليو . وقد وصل الرد المصرى إلى كيسنجر فى بلجراد يوم ٣ أغسطس . وبحلول ٧ أغسطس كان دينتيز قد رد بالموقف الإسرائيلى . وخلال الأيام القليلة التالية حدث تبادل آخر للآراء . وفى منتصف أغسطس كان مسؤولو الولايات المتحدة وإسرائيل قد استكملوا وضع مسودة للإتفاقية . وهنا أصدر فورد تعليماته لكيسنجر بالقيام برحلة أخرى إلى الشرق الأوسط لوضع تفاصيل الاتفاقية .

٣٨ - Sheehan, *Arabs, Israelis*, p. 184

٣٩ - يمكن الاطلاع على نص الاتفاقية فى *Department of State Bulletin*, vol. 73 (September 22, 1975), pp.466-70. وقد تم نشر الجزء السرى من الاتفاقية "U.S. Documents Accompanying the Sinai Accord," *New York Times*, September 17, 1975, p.4, and "U.S.-Israeli Pact on Geneva," *New York Times*, September 18, 1975, p. 16. ، كما قامت وزارة الخارجية بنشر الخريطة .

٤٠ - عمل كيسنجر على اطلاع السادات على معظم التعهدات التى قدمها لإسرائيل لكنه لم يشر إلى موضوع صواريخ بيرشنج . وهذا ما أغضب المصريين ، وأثار لديهم الشكوك حول ما إذا كانت هناك اتفاقات سرية أخرى لم يشر كيسنجر إليها .

٤١ - جاء فى Albin and Saunders, "Sinai II," p.100 أن الإسرائيليين سعوا إلى استخدام لهجة أكثر قوة . وقد قام فريق التفاوض الأمريكى فى ذلك الوقت بتفسير هذا الالتزام على أنه يفسح الطريق أمام إجراء اتصالات بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٤٢ - ظل هذا الخطاب سرًا حتى تم نشره فى Widlanski, ed., *Can Israel Survive ?* pp.120-21.

٤٣ - فى ٢٩ سبتمبر ١٩٧٥ تحدث كيسنجر إلى المندوبين العرب بالأمم المتحدة حيث قال إن الولايات المتحدة على استعداد للعمل من أجل خطوة سورية إسرائيلية ثانية ، إذا كان ذلك مطلوبًا ، وأن الولايات المتحدة سوف تبحث سبل العمل من أجل التوصل إلى تسوية شاملة ، وأنه سيبدأ فى استكمال أفكاره حول كيفية تحقيق المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى . "Furthering Peace in the Middle East," Toast by Secretary Kissinger *Department of State Bulletin*, vol. 73 (October 20, 1975), pp.581-84.

٤٤ - يمكن الاطلاع على تصريح سوندرز فى "Department Gives Position on Palestinian Issue," *Department of State Bulletin*, vol. 73 (December 1, 1975), pp.797-800.

٤٥ - قام فورد فى ٢ نوفمبر ١٩٧٥ بإقالة شليزنجر ليحل محله دونالد رامسفيلد . كما حل جورج بوش محل كولبى مدير وكالة المخابرات المركزية وتم إعفاء كيسنجر من منصبه كمستشار لشؤون الأمن القومى ليحل محله برنت سكوكروفت واستقال موينيهان فى ٢ فبراير ١٩٧٦ .

٤٦ - كان مستوى المساعدات لإسرائيل ومصر سيصبح كبيرًا بالطبع حتى دون سيناء الثانية . ويتعين تقدير التكاليف الحدية لسيناء الثانية ببضع مئات من ملايين الدولارات وليس بضعة مليارات . للاطلاع على تقرير عن مناقشات الكونجرس حول اتفاقية سيناء الثانية ، انظر Bernard Gwertzman, "Senate Unit Asks Word from Ford," *New York Times*, October 1, 1975, p.14. وقد صوت مجلسا النواب والشيوخ لصالح وضع الفنيين الأمريكيين فى سيناء بأغلبية كبيرة ، وذلك فى ٨ و٩ أكتوبر على التوالى . ويوضح فورد فى Ford, *Time to Heal*, pp.308-09 المبرر الذى استند إليه فى زيادة المساعدات لإسرائيل : « إذا قدمنا المعدات الثقيلة فإننا نستطيع أن نقنع الإسرائيليين بأنهم فى أمان . وحينئذ ربما يكونون مستعدين لقبول بعض المخاطر فى البحث عن السلام » .

٤٧ - Bernard Gwertzman, "Israel Indicates a Cool Reaction to Egypt's Ideas," *New York Times*, March 15, 1975, p. 1.

٤٨ - فى أواخر مارس حذرت وزارة الخارجية سوريا مرارًا من التدخل العسكرى فى لبنان . وفى ٣١ مارس تم إرسال دين براون السفير السابق فى الأردن إلى لبنان لمحاولة تشجيع التوصل إلى تسوية سياسية ، وبعدها بقليل دخل لبنان بالفعل عدد متواضع من القوات السورية . وقد زادت الولايات المتحدة وإسرائيل من قدراتهما العسكرية كإجراء وقائى . وطوال أبريل ، وبينما كانت سوريا تعمل على التوصل إلى اتفاق لإحلال الياس سركيس محل الرئيس سليمان فرنجية ، تفجرت أحداث الشغب فى الضفة الغربية عقب فوز القوميين الفلسطينيين بالانتخابات البلدية فى ١٢ أبريل . ورغم زيادة التوتر بدأت كل من الولايات المتحدة وإسرائيل فى النظر إلى الدور السورى فى لبنان باعتباره عامل استقرار . وقد تم انتخاب سركيس فى ٨ مايو كرئيس جديد للبنان ، ولكنه لم يكن ليشغل المنصب حتى سبتمبر . ومع استمرار القتال زادت سوريا من تدخلها العسكرى فى لبنان فى أواخر مايو وأوائل يونيو . وفى ٥ يونيو سحبت كل من سوريا ومصر الممثل الدبلوماسى لكل منهما لدى الأخرى .

٤٩ - حل سفير جديد هو فرانك ميلوى محل براون فى أواخر أبريل . ووجه براون فيما بعد انتقادات لكيسنجر لإثنائه سوريا عن إرسال قوات إلى لبنان . « لقد قيدنا السوريين بصورة بالغة من أجل إرضاء إسرائيل . وقد أسفر ذلك عن المزيد من القتلى » *Arab Report and Record,* May 16-31, 1976, p.321. وفى يوم ١٦ يونيو ١٩٧٦ تم اختطاف ميلوى واغتياله ، ويقال إن ذلك تم على يد منشقين فلسطينيين . وحل محله أمريكى من المتخصصين فى الشؤون العربية واسع الخبرة ، هو تالكوت سيلى . ولكن بعد فترة وجيزة تم تخفيض البعثة الدبلوماسية الأمريكية فى بيروت إلى قوة رمزية ، وعاد سيلى إلى واشنطن . وقد تم تنفيذ عمليتى إجلاء عن طريق البحر بنجاح يومى ٢٠ يونيو و٢٧ يوليو ١٩٧٦ بمعاونة منظمة التحرير الفلسطينية . وطوال هذه الفترة جرت اتصالات سرية بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية بهدف الترتيب للأمن المحلى .

الفصل العاشر

١ - *Toward Peace in the Middle East.* تقرير فريق بحث (Brookings, 1975) . نسب إلى هذا التقرير فيما بعد أنه وجه حكومة كارتر صوب نهج شامل إزاء اتفاقية السلام العربية الإسرائيلية ، على أن يكون مؤتمر جنيف هو حجر الزاوية فى هذه الاستراتيجية . ومن الثابت أن كلاً من فانس وكارتر قد قرأ التقرير وأن الكثير من الاقتراحات التى وردت فيه قد ضمنت فى السياسات ، إلا أنه من قبيل المبالغة أن يقال إن التقرير استخدم كأساس للسياسات فى السنة الأولى .

٢ - تكوّن بقية فريق الشرق الأوسط من : ألفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وفيما بعد السفير المتجول لشؤون محادثات السلام ؛ وهارولد سوندرز مدير الاستخبارات والبحوث فى الوزارة وفيما بعد مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى ؛ ومن المؤلف بوصفه عضو هيئة موظفى مجلس الأمن القومى . وكنا كلنا قد شاركنا فى دبلوماسية كيسنجر المكوكية ، وكنا نعرف بعضنا البعض معرفة جيدة بصورة شخصية مما ساعد على تقليل الاحتكاكات المعتادة بين الخارجية والمجلس ، وكفل قدرًا كبيرًا من الاستمرارية مع الجهود التفاوضية السابقة . وأخذ شخصان آخران فى الاضطلاع بدورين هامين مع بدء عملية التفاوض هما : هيرمان ايلتس السفير فى القاهرة والخبير المحنك فى شؤون الشرق الأوسط ، وصمويل لويس السفير فى إسرائيل الذى كانت لديه خبرة كبيرة بالأمم المتحدة وثبت أنه مبعوث إلى إسرائيل ذو شعبية ونفوذ كبيرين .

٣ - للاطلاع على مزيد من التفاصيل ، انظر William B. Quandt, *Camp David : Peacemaking and politics,* (Brookings, 1986), pp. 38-40.

٤ - المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٣ .

٥ - Cyrus Vance, *Hard Choices : Critical Years in America's Foreign Policy* (Simon and Schuster, 1983), p. 171.

٦ - انظر Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Little, Brown, 1979), pp. 292-99, وذلك للاطلاع على روايته للاجتماع . وانظر أيضًا Jimmy Carter, *Keeping Faith : Memoirs of a President* (Bantam Books), 1982,

p. 280 ; Zbigniew Brzezinski, *Power and Principle : Memoirs of the National Security Adviser, 1977-1981* (Farrar, Strauss, Giroux, 1983), pp. 90-91 ; and Vance, *Hard Choices*, p. 173.

٧ – “Clinton, Massachusetts : Remarks and a Question-and -Answer Session at the Clinton Town Meeting, March 16, 1977,” *Public Papers of the President : Carter, 1977*, vol. 1 (Government Printing Office, 1977), p.387.

٨ – Quandt, *Camp David*, p. 51.

٩ – انظر Carter, *Keeping Faith*, pp. 284-88 ، لمعرفة رد فعله إزاء بيجين .

١٠ – انظر Quandt, *Camp David*, pp. 77-82 ; Moshe Dayan, *Breakthrough : A Personal Account of the Egypt-Israel Peace Negotiations* (Knopf, 1981), pp. 19-20 ; and Carter, *Keeping Faith*, P.290.

١١ – Ismail Fahmy, *Negotiating for Peace in the Middle East* (Johns Hopkins University Press, 1983), pp.216-19.

١٢ – Quandt, *Camp David*, p.90.

١٣ – المرجع السابق ، ص ٩١ .

١٤ – المرجع السابق ، ص ١٠١ – ١٠٣ .

١٥ – Fahmy, *Negotiating for Peace*, P. 252.

١٦ – Quandt, *Camp David*, pp. 122-23.

١٧ – Dayan, *Breakthrough*, pp.38-54.

١٨ – للاطلاع على استعراض للأدلة انظر Martin Indyk, *“To the Ends of the Earth” : Sadat's Jerusalem Initiative* (Harvard University, Center for Middle Eastern studies, 1984), pp. 41-43 ; and Quandt, *Camp David*, pp. 123-25.

١٩ – انظر الرسالة التى كتبها السفير هيرمان ايلتس ، “The Syrians Have Been Their Own Worst Enemies,” *New York Times*, January 12, 1982, p. A14.

٢٠ – Quandt, *Camp David*, pp. 125-31.

٢١ – Dayan, *Breakthrough*, p. 71.

٢٢ – المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .

٢٣ – Quandt, *Camp David*, pp. 139-141.

٢٤ – Fahmy, *Negotiating for Peace*, pp.262-63.

٢٥ – انظر Steven L. Spiegel, *The Other Arab-Israeli Conflict : Making America's Middle East Policy, from Truman to Reagan* (University of Chicago Press, 1985), pp. 341-44.

٢٦ – Quandt, *Camp David*, p. 152.

٢٧ – المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ و Vance, *Hard Choices*, p. 199

٢٨ – Brzezinski, *Power and Principle*, pp. 115-20.

٢٩ – انظر Quandt, *Camp David*, p. 158 ; Carter, *Keeping Faith*, P. 300 ; and Dayan, *Breakthrough*, pp. 359-61. ، للاطلاع على النص المعدل لمقترحات الحكم الذاتى .

٣٠ – فى ٥ أغسطس ١٩٧٠ ، شرح بيجين أمام الكنيست الأسباب التى تدعوه إلى الاستقالة من الحكومة : « وبقدر ما يعنينا الأمر ، فماذا تعنى كلمات « الانسحاب من الأراضى التى تتولى إسرائيل إدارتها منذ ١٩٦٧ » سوى التخلى عن يهودا والسامرا . ليس من جميع الأراضى ، ولكن فى أغلب الظن ، معظمها » .

٣١ – Quandt, *Camp David*, pp. 171-72.

٣٢ – المرجع السابق ، ص ١٧٣ – ١٧٦ .

٣٣ – المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

٣٤ – المرجع السابق ، ص ٢١٢ – ٢١٤ .

٣٥ – المرجع السابق ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

٣٦ – المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

٣٧ – المرجع السابق ، الملحق « و » ، ص ٣٦٩ .
٣٨ – المرجع السابق ، ص ٢٢٢ – ٢٢٥ .
٣٩ – المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
٤٠ – انظر Shibley Telhami, *Power and Leadership in International Bargaining : The Path to the Camp David Accords* (Columbia University Press, 1990), pp. 162-67.
٤١ – Quandt, *Camp David*, pp.242-47.
٤٢ – المرجع السابق ، ص ٢٤٧ – ٢٥١ .

الفصل الحادى عشر

١ – للاطلاع على موقف السادات فى ذلك الوقت ، انظر : William B. Quandt, *Camp David . Peacemaking and Politics* (Brookings, 1986), p. 262.

٢ – "President As-Sadat Addresses U.S. News Media," Foreign Broadcast Information Service (FBIS), *Daily Report : Middle East and Africa,* September 20, 1978, pp. D1-D4. وقد دأب الإسرائيليون على الاقتباس من ملاحظة السادات لإثبات أن بيجين كان محقًا فى تفسيره لما تم الاتفاق عليه . إلا أن السادات لم يكن حاضرا عندما نوقشت القضية بين كارتر وبيجين . وعندما تحدث السادات فى ١٩ سبتمبر ، كان قد أحيط علمًا بأن بيجين لم يوافق على التجميد إلا لمدة ثلاثة أشهر . والسادات أخطأ أيضا فى القول بأن بيجين وافق على عدم توسيع المستوطنات . فقد أسقطت هذه العبارة بناء على إصرار الإسرائيليين . ووفقا لما ذكره مساعدو السادات ، فإن الرئيس المصرى اختار أن يقلل من شأن قضية المستوطنات فى الضفة الغربية لكيلا يمارس ضغطا على كارتر . وقد افترض أن كارتر سيجد حلاً لها فى الوقت المناسب .

٣ – فى ١٩ سبتمبر ١٩٧٨ ، أذاعت وكالة الأنباء السعودية بيانا رسميًا صادرًا عن مجلس الوزراء السعودى ينتقد اتفاقات كامب ديفيد لأنها لا تدعو إلى انسحاب إسرائيلى كامل ، ولا تنص على تقرير المصير للفلسطينيين . ورغما عن ذلك ، فإن البيان الحكومى مضى إلى القول بأنه لا ينازع فى حق مصر فى استرداد سيناء . انظر : FBIS, *Daily Report : Middle East and Africa,* September 20, 1978, p. C3.

٤ – انظر Jimmy Carter, *Keeping Faith : Memoirs of a President* (Bantam Books, 1982), p. 405. ويشير فيها إلى أنه يبدو أن بيجين يريد الاحتفاظ بالسلام مع مصر ويريد الاحتفاظ كذلك بالضفة الغربية ؛ وأيضا Cyrus Vance, *Hard Choices : Critical Years in America's Foreign Policy* (Simon and Schuster, 1983), p. 229. وكان بيجين قد أدلى ببعض التعليقات العامة المتشددة للغاية فى اليوم التالى لتوقيع اتفاقات كامب ديفيد . وقد غضب كارتر من ذلك بحيث إنه انتحى ببيجين جانبًا أثناء مثولهما سويًا أمام الكونجرس الأمريكى ، وأخبره فى وجود السادات أن ملاحظاته يمكن أن تتسبب فى مشاكل وخيمة . مقابلة إعلامية مع الرئيس جيمى كارتر ، بلينز ، جورجيا ، ٢٢ مايو ١٩٨٥ .

٥ – كان لدى السادات انطباع من كارتر بأن الولايات المتحدة ستحصل له على تأييد سعودى لكامب ديفيد . انظر : Hermann Frederick Eilts, "Improve the Framework," *Foreign Policy*, no. 41 (Winter 1980-81), p. 9.

٦ – Zbigniew Brzezinski, *Power and Principle : Memoirs of the National Security Adviser, 1977-1981* (Farrar, Straus and Giroux, 1983), p. 274.

٧ – Vance, *Hard Choices*, pp. 230-31 حيث يعرض ملخص الردود على أسئلة الملك حسين ، إلا أنها تضم خطأ نقطة تفيد أن السيادة ملك للشعب فى الضفة الغربية وغزة .

٨ – Vance speech in "United Nations : 33d General Assembly Convenes, Statement at the Opening Session of the U.N. General Assembly on September 29, 1978," *Department of State Bulletin*, vol. 78 (November 1978), p. 49.

٩ – يقول بريجينسكى فى Brzezinski, *Power and Principle*, p.276 ، إن كارتر كان يأمل فى أن توقع المعاهدة فى يوم إجراء الانتخابات .

١٠ – وفقا لما ذكره السفير ايلتس ، كان السادات مستثارًا من الطريقة التى تناول بها وفده التفاوضى فى واشنطن صياغة المادة السادسة من المعاهدة . وكان هذا أحد الأسباب التى دعته إلى إشراك مصطفى خليل بشكل مباشر بدرجة أكبر فى المفاوضات منذ ذلك الحين . مقابلة مع هيرمان ايلتس فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٤ .

١١ – وفقًا لما ذكره كمال حسن على ، كان السادات حساسًا جدًا بعد قمة بغداد لقضية أولوية الالتزامات . وأدى هذا إلى إبطاء المفاوضات من الجانب المصرى . مقابلة أجريت فى القاهرة فى ٤ فبراير ١٩٨٥ .

١٢ – Carter, *Keeping Faith*, p. 409 ; Brzezinski, *Power and Principle*, pp. 276-77 ; and Vance, *Hard Choices*, p.238.

١٣ – قام المصريون والإسرائيليون بتسريب النص الذى أعد فى ١١ نوفمبر ١٩٧٨ لمشروع المعاهدة إلى الصحافة ، وهو متاح فى : Meron Medzini, ed., *Israel's Foreign Relations : Selected Documents, 1977-1979*, vol. 5 (Jerusalem : Ministry of Foreign Affairs, 1981), pp.577-81.

١٤ – Ezer Weizman, *The Battle for Peace* (Bantam Books, 1981), p.375, يتفق أساسًا مع كارتر والسادات ، عندما يكتب بأن من السذاجة أن يعتقد أحد بأنه لا توجد رابطة بالمرة بين الاتفاقين . وعلى كل حال ، فقد وقع الاتفاقان معًا .

١٥ – Brzezinski, *Power and Principle*, pp. 277-78.

١٦ – انظر Gary Sick, *All Fall Down : America's Tragic Encounter with Iran* (Random House. 1985) pp. 130-40.

الفصل الثانى عشر

١ – Jimmy Carter. *Keeping Faith : Memoirs of a President* (Bantam Books, 1982), p.412.

٢ – مذكرة مرفوعة من بريجينسكى لكارتر ، ٢٣ يناير ١٩٧٩ .

٣ – انظر Zbigniew Brzezinski, *Power and Principle : Memoirs of the National Security Adviser, 1977-1981* (Farrar, Straus and Giroux, 1983), p. 279. يعتقد بريجينسكى أن إيران جعلت من المستحيل على كارتر أن يتنحى جانبًا ، فهو يقول « إن السماح بضياع اتفاقات كامب ديفيد يعنى تحويل نصر إلى كارثة ، بما فى ذلك من عواقب لا يمكن التنبؤ بها بالنسبة للشرق الأوسط ككل » . وكان كارتر فى ذلك الوقت قد خلص أيضًا إلى أن كل ما يمكن تحقيقه هو سلام منفصل ، تعقبه مفاوضات مطولة بشأن الضفة الغربية وغزة . Carter, *Keeping Faith*, p.413. وكان بريجينسكى قد ذكر فى مذكرة مرفوعة إلى كارتر حررت فى ٢٨ فبراير ١٩٧٩ أن بيجين يعتقد بأنه يستطيع تحمل الفشل وأن كارتر لا يستطيع ذلك . « إنه يعتقد أن حقائق السنة الانتخابية ستغل أيدينا فى المفاوضات بشكل متزايد » . وكان من الواضح أيضًا أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تكون سخية جدًا فى معونتها لحمل إسرائيل على التزحزح عن موقفها بشأن القضايا المتبقية فى المعاهدة ، فقد أصبحت القضايا الثنائية حينئذ على نفس القدر من الأهمية كالخلافات المصرية الإسرائيلية .

٤ – Cyrus Vance, *Hard Choices : Critical Years in America's Foreign Policy* (Simon and Schuster, 1983), p.244. الصيغة التى يقتبسها فانس هى النص بالشكل الذى اتفق عليه أخيرًا ، إلا أن الأمريكيين كانوا قد اقترحوا فى هذه المرحلة صيغة احتج عليها المصريون فيما بعد .

٥ – Carter, *Keeping Faith*, p. 416.

٦ – Brzezinski, *Power and Principle*, p. 282. لم يتذكر كارتر فى مقابلة أجريت معه فى ٢٢ مايو ١٩٨٥ أنه بعث بأى رسالة من هذا القبيل إلى السادات . وتذكر بريجينسكى فى مقابلة أجريت معه فى ٣ يونيو ١٩٨٥ بشىء من التفصيل محادثته مع كارتر . ونظرًا لأن بريجينسكى كان يحمل رسالة « سياسية » من كارتر إلى السادات ، فإن فانس لم يعترض على ذهابه إلى القاهرة .

٧ – كان كارتر قد اتصل بالسادات هاتفيا فى ٥ مارس ليخبره بزيارة بريجينسكى ، ووعده السادات بأن تحقق رحلة الرئيس نجاحًا كبيرًا . وشعر كارتر بأن لديه ضمانًا من السادات بأن المفاوضات لن تفشل بسبب أى خلافات أمريكية مصرية . وكما كتب كارتر فيما بعد « مرة أخرى ، أردت أن يحقق بيجين ما يريده

بشأن عبارات معينة ، واعتمدت على السادات فى أن يبدى مرونة بشأن الصياغة وأن ينظر نظرة بعيدة إلى الآثار المترتبة على الاتفاق » .Carter, *Keeping Faith,* p. 417

عقد كارتر أثناء وجوده فى القاهرة اجتماعًا متوترًا مع جون وست سفيره فى المملكة العربية السعودية . وقال له بعبارات لا لبس فيها أنه قد خاب أمله فى السعوديين ، وأمره بأن يكون قاطعًا فى إخبار ولى العهد فهد بأنه يتوقع تأييدًا سعوديًا فى المستقبل .

Jody Powell, *The Other Side of the Story* (William Morrow, 1984), pp. 93-97.

- عندما طلب مصطفى خليل من كارتر أن يحاول تغيير نص الاتفاق فى مواضع عديدة ، رد الرئيس قائلاً : « على مدى الثمانية عشر شهرًا الماضية ، عملت ، أنا رئيس أقوى دولة على ظهر الأرض ، ساعيًا للبريد ، إننى لست رجلاً متكبرًا - لقد بذلت ما بوسعى - لكنى لا أستطيع العودة إلى محاولة تغيير الصياغة » .

- Ezer Weizman, *The Battle for Peace* (Bantam Books, 1981), p.381 ; and Leon H. Charney, *Special Counsel* (New York : Philosophical Library, 1984), pp.147-54.

- للاطلاع على نص المذكرتين ، انظر Moshe Dayan, *Breakthrough : A Personal Account of the Egypt-Israel Peace Negotiations* (Knopf, 1981), pp.356-58.

- يمكن الاطلاع على هذه الرسائل التى كتبها مصطفى خليل فى *White Paper on Treaty of Peace Between Egypt and Israel* (Cairo : Ministry of Foreign Affairs, 1979), pp.155-77.

- من المفارقة أن كارتر ، وفقًا لاستطلاعات الرأى العام ، لم يظفر بشىء يذكر نتيجة لمعاهدة السلام . انظر : Powell, *Other Side of the Story,* p.102.

- Dayan, *Breakthrough,* pp.303-04.

- للاطلاع على تقرير موثوق به ، يتضمن نصوص الاقتراحات الإسرائيلية والمصرية ، انظر Harvey Sicherman, *Palestinian Self-Government (Autonomy) . Its Past and Its Future* (Washington : Washington Institute for Near East Policy, 1991), pp. 21-34, and appendixes 6 and 7. ويتضمن كتاب شيرمان أيضًا نص تقرير لينوفيتش للرئيس بشأن محادثات الحكم الذاتى والمؤرخ فى ١٤ يناير ١٩٨١ (الملحق ٧) . ويقدم لينوفيتش منظورًا إضافيًا فى "The Prospects for the Camp David Peace Process," *SAIS Review,* no.2 (Summer 1981), pp.93-100. وزعم لينوفيتش فى مؤتمر صحفى فى ٦ سبتمبر ١٩٧٩ أن « نحو ٨٠ فى المائة من مجالات المسؤولية التى ستنقل إلى سلطة الحكم الذاتى قد تم الاتفاق عليها . انظر "Ambassador Sol M. Linowitz's Press Conference : Middle East Peace Negotiations," *Department of State Bulletin,* vol. 80 (December 1980), p. 51.

- أظهر كارتر فيما بعد أنه يفهم قضية الربط تمامًا . وقد كتب فى ص ٤٥ من *The Blood of Abraham* (Houghton Mifflin, 1985). : « من وجهة نظر بيجين ، فإن اتفاق السلام مع مصر هو العمل الهام بالنسبة لإسرائيل ؛ وكان يتعين تخفيف الإشارات إلى الضفة الغربية والفلسطينيين . وبعقد المعاهدة الثنائية فإن بيجين أخرج قوة مصر الكبيرة من المعادلة العسكرية فى الشرق الأوسط ، فأعطى الإسرائيليين بذلك حرية متجددة فى السعى من أجل أهدافهم فى تقوية الأراضى المحتلة واستيطانها وإزالة الأخطار المتصورة بواسطة ضربات عسكرية وقائية ضد البعض من جيرانهم » .

الفصل الثالث عشر

- Ronald Reagan, "Recognizing the Israeli Asset," *Washington Post,* August 15, 1979, p.A25. توحى الزخارف البلاغية وخط التفكير بتأثير جوزيف شوربا ، الذى أصبح مستشارًا لريجان أثناء حملته الانتخابية للرئاسة فى عام ١٩٨٠ . وقد يكون شوربا هو الكاتب المجهول لهذه المقالة . انظر Joseph Churba, *The Politics of Defeat : America's Decline in the Middle East* (Cyrco Press, 1977), p.97 وفيها يتحدث المؤلف عن « النزاع والتوتر المستوطنين فى المنطقة [الشرق الأوسط] . وهذه الحالة يمكن أن تعزى بصورة عامة إلى الطبيعة الطائفية والمفككة لمجتمع الشرق الأوسط » . وتقول مقالة ريجان

إنه « يتعين على حكومة كارتر ان تفهم أنه فى هذه المنطقة يعتبر النزاع والتوتر مستوطنين ، وهى حالة تعزى بصورة عامة إلى الطبيعة الطائفية والمفككة لمجتمع الشرق الأوسط » . انظر أيضًا Ronald Reagan, *An American Life* (Simon and Schuster, 1990), p.410 ، للاطلاع على أسبابه لتأييد إسرائيل . وهو فيها يشدد على « المسؤولية الأخلاقية » ، وليس على أهمية إسرائيل كرصيد استراتيجى .

٢ – حصل ريجان على نسبة غير عادية من أصوات اليهود الأمريكيين ، أكثر من ٣٩ فى المائة ، فى انتخابات عام ١٩٨٠ . انظر Steven L. Spiegel, *The Other Arab-Israeli Conflict : Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan* (University of Chicago Press, 1985), p.397. ويستطيع المرشحون الديمقراطيون للرئاسة أن يعتمدوا فى الظروف العادية على الفوز بنحو ٨٠ فى المائة من أصوات اليهود .

٣ – وفقا لما قاله Lou Cannon, *President Reagan : The Role of a Lifetime* (Simon and Schuster, 1991), pp. 288-91. ، كان ريجان مفتونا أيضا بقصة هرمجدون (المعركة الفاصلة) فى التوراة ، وكان يعلق أهمية خاصة على تأسيس الدولة اليهودية فى عام ١٩٤٨ مما يبشر بأن هرمجدون قد اقتربت .

٤ – المرجع السابق ص ٣٥ ، حيث يقول كانون إنه : « يستطيع أن يتصرف بشكل حازم عندما تعرض عليه خيارات واضحة ، إلا أنه نادرا ما كان يبادر إلى عقد اجتماع ، أو إجراء مكالمة هاتفية ، أو تقديم اقتراح أو فكرة . وكان يعتقد أنه يتعين على موظفيه أن يبلغوه بأى شىء ينبغى أن يعرفه . وقد استثمر معظم طاقته واهتمامه فى الاحتفالات العامة للرئاسة ... وكان يعتقد أنه رجل مبادىء ، وأنه من الصعب استحثاثه بالنسبة إلى المسائل التى تهمه بشكل خاص . وهو كرئيس ، أكثر الرجال قابلية للتطويع وأقلهم قابلية للتحريك فى الوقت ذاته » .

٥ – انظر Raymond Tanter, *Who's at the Helm ? Lessons of Lebanon* (Boulder, Colo. : Westview Press, 1990) ، وهو كتاب ألفه أحد أعضاء مجلس الأمن القومى . ولم يذكر ريجان كأحد المشاركين فى عملية صنع السياسات ، إلا بصورة نادرة .

٦ – عرضت آراء واينبرجر بشأن الشرق الأوسط فى أفضل صورة لها فى كتاب "Defense Chief Weinberger on Peace Prospects Now," *U.S. News & World Report*, September 27, 1982, pp. 26-28. ومن بين نقاط أخرى ، قال واينبرجر « إننا نحتاج إلى العديد من الأصدقاء فى الشرق الأوسط – وليس إسرائيل وحدها ، ولكن من الواضح أن علاقتنا مع إسرائيل يجب الحفاظ عليها » .

٧ – اجتذبت جان كيركباتريك ، وهى عضو سابق فى الحزب الديمقراطى اهتماما كبيرًا فى الدوائر المحافظة بمقالتها "Dictatorship and Double Standards," *Commentary*, vol. 68 (November 1979), pp. 34-45.

٨ – انظر Bob Woodward, *Veil : The Secret Wars of the CIA, 1981-1987* (Simon and Schuster, 1987), pp. 35-49, 71-88.

٩ – من مقابلة مستشهد بها فى كتاب من تأليف Karen Elliott House, "Reagan's World," *Wall Street Journal*, June 3, 1980, p.1.

١٠ – بالنسبة لآراء هيج بصفة عامة ، انظر Alexander M. Haig, Jr., *Caveat : Realism, Reagan and Foreign Policy* (Macmillan, 1984), especially pp. 20-33.

١١ – فيما يتعلق بالمشاجرة المتعلقة بطائرات الأواكس ، وغضب ريجان من بيجين لاستخدامه أسلوب المناورة فى كابيتول هيل ضد سياسة الرئيس ، بعد أن وعد بالا يفعل ذلك ، انظر Spiegel, *Other Arab-Israeli Conflict*, pp.407-11 ; and Reagan, *American Life*, pp.412, 415-16.

١٢ – Helena Cobban, *The Superpowers and the Syrian-Israeli Conflict : Beyond Crisis Management ?* (Praeger, 1991), pp. 83-84 وبالنسبة لنص مذكرة التفاهم ، انظر Nimrod Novik, *Encounter with Reality : Reagan and the Middle East (The First Term)* (Boulder, Colo. : Westview Press for the Jaffee Center for Strategic Studies, 1985), pp. 86-88.

١٣ – انظر Ze'ev Schiff and Ehud Ya'ari, *Israel's Lebanon War* (Simon and Schuster, 1984) ; Itamar Rabinovich, *The War for Lebanon, 1970-1983* (Cornell University Press, 1984) ; and Yair Evron, *War and Intervention in Lebanon : The Israeli-Syrian Deterrence Dialogue* (Johns Hopkins University Press, 1987).

Haig, *Caveat*, pp. 332-35.

١٥ - انظر أيضًا Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, pp. 62-77. David Kimche, *The Last Option : After Nasser, Arafat and Saddam Hussein. The Quest for Peace in the Middle East* (Scribner's, 1991), p.145 : « لقد أصبح الزعماء السياسيون لإسرائيل ، ولاسيما رئيس الوزراء بيجين ووزير الدفاع شارون ، مقتنعين فى شهور الربيع من عام ١٩٨٢ بأن حكومة ريجان لا تمانع فى القيام بعملية تكون بمثابة درس لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وربما أيضا للسوريين المنحازين للسوفيت » . ويقول كيمحى بصراحة ، وعلى مسؤوليته الخاصة ، إنه لم تكن هناك مقاومة قوية لخطط شارون فى واشنطن . وينقل عن كل من هيج وريجان أنهما كانا متفهمين لأهداف إسرائيل . « فعندما بعث بيجين برسالة شفهية إلى ريجان فى مايو ١٩٨٢ محذرًا من أنه قد يصبح من « الضرورى والمحتم » القضاء على هذا التهديد الذى تمثله منظمة التحرير الفلسطينية ، كان رد فعل هيج هو أن الولايات المتحدة لن تستطيع منع إسرائيل من الهجوم . وعندما قابل شارون هيج فى واشنطن فى وقت لاحق من ذلك الشهر ، ورد أن هيج أبلغه : « اننا نفهم أهدافكم . ولا نستطيع أن نقول لكم لا تدافعوا عن مصالحكم . » .

١٦ - قبل أسبوع فقط من الغزو الإسرائيلى ، يوم ٢٦ مايو ١٩٨٢ ، ألقى هيج خطابًا هامًا بشأن الشرق الأوسط ركز فيه على النزاع الإيرانى العراقى ، ومفاوضات الحكم الذاتى ، والحالة المتفجرة فى لبنان .

١٧ - انظر Cobban, *Superpowers*, pp. 35-40.

١٨ - Allan Gerson, *The Kirkpatrick Mission : Diplomacy without Apology. America at the United Nations, 1981-1985* (Free Press, 1991), pp.138-55.

١٩ -- المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

٢٠ - مترجم عن النسخة العبرية للرسالة الموجهة من ريجان إلى بيجين ، فى ٩ يونيو ١٩٨٢ ، كما نشرها Arye Naor, *Cabinet at War* (in Hebrew) (Tel Aviv : Luhav, 1986) p.76. وقد أكد المسؤولون الأمريكيون دقة هذا النص بوجه عام ، ولكنهم أضافوا أن رسالة بريجنيف لم تكن تشكل تهديدًا على وجه الخصوص . والمحوا بصورة ضمنية إلى أن ريجان قد تعمد المبالغة فى تقدير خطر التصعيد وذلك للتأثير على بيجين .

٢١ - Alexander M. Haig, Jr., *Inner Circles : How America Changed the World. A Memoir* (Warner Books, 1992), p. 547.

٢٢ - Cannon, *President Reagan*, pp.202-04 ; and Haig, *Inner Circles*, pp. 547-48 يدعى هيج أنه كان على وشك التوصل إلى اتفاق بشأن انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان فى وقت مبكر من شهر يوليو ، وأن هذه المحاولة قد انهارت عندما أقيل فجأة من منصبه .

٢٣ Cannon, *President Reagan*, pp. 202-05.

٢٤ Bernard Gwertzman, "Shultz Declares Palestinian Needs Must Be Resolved," *New York Times*, July 14, 1982, p. A1.

٢٥ George Shultz, *Turmoil and Triumph : My Years as Secretary of State* (Scribner's 1993), pp. 85-86. وقد تألف فريق العمل من روبرت ماكفرلين ، ولورانس إيجلبرجر ، ونيكولاس فيليوتس ، وروبرت أمس ، وبول ولفوويتز ، وتشارلز هيل ، ووليام كيربى ، وآلان كريشكو .

٢٦ المرجع السابق ص ٨٧ .

٢٧ Reagan, *American Life*, pp. 425-29 ; and Michael Deaver, *Behind the Scenes : In Which the Author Talks about Ronald and Nancy Reagan... and Himself* (William Morrow, 1987), pp. 165-66. ويعزى لديفر الفضل فى إقناع ريجان ، رغم مشورة موظفى مجلس الأمن القومى ، بأن يتصل ببيجين ليبلغه بأن يوقف قصف بيروت . وعندما وافق بيجين ، قيل إن ريجان التفت إلى ديفر قائلاً : « لم أكن أعرف ان لدى هذه الدرجة من السلطة » . انظر أيضًا Gerson, *Kirkpatrick Mission*, pp. 164-69, بشأن دبلوماسية الأمم المتحدة فى هذه المرحلة ، ولاسيما تاكتيكات التأجيل بشأن الاقتراح الفرنسى المصرى المشترك ، والذى طالب بالاعتراف المتبادل بين إسرائيل والمنظمة .

٢٨ انظر Rashid Khalidi, *Under Siege : P.L.O. Decisionmaking during the 1982 War* (Columbia University Press, 1986), p.177.

٢٩ Shultz *Turmoil and Triumph*, p.92.

٣٠ – انظر Kimche, *Last Option*, p. 157, حيث ينقل عن بيجين وهو يتحدث إلى زملائه الإسرائيليين يوم أول سبتمبر . « لقد خاننا الأمريكيون ، إنها أكبر خيانة منذ إنشاء الدولة – لقد طعنونا فى الظهر . إننا نواجه الآن معركة مختلفة تمامًا » .

٣١ – قام فيليوتس بزيارة سرية لعمان لإطلاع الملك حسين يوم ٢٠ أغسطس على الموقف . كذلك أبلغ عرفات بتلخيص مسبق عن الخطاب بينما كان لا يزال فى بيروت . وأحيط بيجين علمًا من جانب السفير لويس يوم ٣١ أغسطس فقط . ويكشف شولتز فى : *Turmoil and Triumph*, p.92 ، عن مهمة فيليوتس ، ويصف الأساس الذى استند إليه شولتز فى المضى بمشروعه فى مواجهة معارضة إسرائيلية محتملة .

٣٢ – طبقا للمذكرات التى اتيح للمؤلف الاطلاع عليها عن اجتماع شارون مع بيير الجميل فى بكفايا يوم ١٦ سبتمبر ١٩٨٢ ، أشار شارون إلى مناقشاته مع بشير ، وطالب مرة ثانية « بضرورة اتخاذ إجراء فورى للحيلولة دون خلق حقائق جديدة من جانب الحكومة الحالية فى أيامها الأخيرة ، والخطر المتمثل فى محاولة قيام العناصر المعادية بتعديل العمليات السياسية المستصوبة لنا ونجاحها فى هذا » . وترد بعض المعلومات الأساسية ذات الصلة عن هذا الاجتماع فى كتاب Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*, pp. 246-58.

٣٣ – للاطلاع على نتائج التحقيق الإسرائيلى الرسمى ، انظر *The Beirut Massacre : The Complete Kahan Commission Report* (Princeton, N.J. : Karz-Cohl, 1983).

٣٤ – للاطلاع على المناقشات التى دارت حول دور القوة المتعددة الجنسيات من سبتمبر ١٩٨٢ حتى انسحاب القوة الأمريكية فى شهر فبراير ١٩٨٤ ، انظر Geoffrey Kemp, "Lessons of Lebanon : A Guideline for Future U.S. Policy," *Middle East Insight*, vol. 6 (Summer 1988), pp.57-68.

٣٥ – انظر William B. Quandt, "Reagan's Lebanon Policy : Trial and Error," *Middle East Journal*, vol. 38 (Spring 1984), pp.241-42.

٣٦ – Shultz, *Turmoil and Triumph*, p.440.

٣٧ – يمكن العثور على أفضل تقرير عن خلفية قرار الملك فى مقالتين فازتا بجائزة بوليتزر فى The best account of the background to the king's decision can be found in two Pulitzer-prize-winning articles by Karen Elliott House : "Hussein's Decision : King Had U.S. Pledges on Peace Talks but Met a Maze of Arab Foes," *Wall Street Journal*, April 14, 1983, p.1, and "Hussein's Decision : Fears for His Kingdom, Sense of History Drove Monarch to Seek Talks," *Wall Street Journal*, April 15, 1983, p.1. ووفقا لما قاله الملك ، فقد انتحى الأمين العام يورى اندروبوف به جانبًا أثناء زيارته لموسكو ، فى أوائل ديسمبر ١٩٨٢ ، لكى يحذره قائلاً « إننى سأعارض خطة ريجان ، وسوف نستخدم كل مواردنا لمعارضتها . ومع كل الاحترام الذى تستحقونه عن جدارة ، سيقع كل العبء على منكبيكم وهما ليسا بالعرض الذى يمكّنهما من تحمله » .

٣٨ – "Jordan's Statement on Its Refusal to Join the Reagan Peace Initiative," *New York Times*, April 11, 1983, p. A12.

٣٩ – كان من بين ضحايا القصف روبرت آمس ، وهو من كبار المسؤولين بوكالة المخابرات المركزية عن الشرق الأوسط ، ومن المجموعة الأساسية من المسؤولين الذين عملوا بصورة وثيقة مع وزير الخارجية شولتز عند بدء مبادرة ريجان .

٤٠ – للاطلاع على بحث فى أسباب تعرض مجمع مشاة البحرية الأمريكية للخطر ، انظر ، *Report of the DOD Commission on Beirut International Airport Terrorist Act, October 23, 1983* (Department of Defense, 1983). وقبل تفجير مجمع مشاة البحرية ، كان الإسرائيليون قد بدأوا فى الانسحاب من منطقة الشوف ، وكانت تلك خطوة تجاه السياسة الإسرائيلية الجديدة الرامية إلى دعم الوجود الأمنى فى الجنوب اللبنانى فقط .

٤١ – Gobban, *Superpowers*, pp. 87-88.

٤٢ – بالنسبة لشامير ، انظر Avishai Margalit, "The Violent Life of Yitzhak Shamir," *New York Review of Books*, May 14, 1992, pp. 18-24.

٤٣ – انظر John K. Cooley, *Payback : America's Long War in the Middle East* (Brassey's, 1991), pp. 94-97.

٤٤ – Kemp, "Lessons of Lebanon," p. 67 يخلص كيمب إلى أنه لا يمكن إلا لرئيس قوى أن يوقف الشجار بين أعضاء مجلس الوزراء الأقوياء من أمثال شولتز ووانيبرجر . وحسب كلماته ، « فى حالة لبنان ، لم يحدث مطلقًا أن أصدر الرئيس أوامره إلى وزير الدفاع حتى يقوم بدور حاسم فى تأييد السياسة الأمريكية فى لبنان . والواقع أنه عندما بلغت المناقشات ذروتها فى البيت الأبيض حول ما إذا كان سيعاد توزيع مشاة البحرية على السفن أم لا فى شهر فبراير ١٩٨٤ ، كان من الصعب التعرف على وجهة نظر ريجان . وقد اتخذ القرار المؤيد للانسحاب بالأغلبية البسيطة فى إطار الدائرة الداخلية للمستشارين » .

٤٥ – انظر William B. Quandt, *Camp David : Peacemaking and Politics* (Brookings, 1986), pp. 25-27.

٤٦ – Shultz, *Turmoil and Triumph*, p. 440.

٤٧ – للاطلاع على الاتفاق المؤرخ فى ١١ فبراير ، انظر Quandt, ed., *Middle East*, p. 473, وتقول المصادر الأردنية والفلسطينية على حد سواء إن بعض التعديلات قد أدخلت فى وقت لاحق على النص الأساسى . وتدعو الترجمة الانجليزية المعتمدة للمبدأ الأول إلى « الانسحاب الكامل من الأراضى التى احتلت فى عام ١٩٦٧ من أجل تحقيق سلام شامل » . أما النص العربى فقد ذكر ببساطة « الأرض مقابل السلام » .

٤٨ – Shultz, *Turmoil and Triumph, p. 445.*

٤٩ – بالنسبة للاتصالات الإسرائيلية الأردنية أثناء هذه الفترة ، انظر Adam Garfinkle, *Israel and Jordan in the Shadow of War : Functional Ties and Futile Diplomacy in a Small Place* (St. Martin's Press, 1992), pp. 109-20.

٥٠ – نص "President's News Conference on Foreign and Domestic Issues," *New York Times*, March 22, 1985, p. A12.

٥١ – Shultz, *Turmoil and Triumph*, p.446.

٥٢ – المرجع السابق ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

٥٣ – ترد فى : Garfinkle, *Israel and Jordan*, p.120. أربعة من الأسماء : حنا سنيورا (رئيس تحرير جريدة الفجر ، المقيم فى القدس) ، وفايز أبو رحمة (محام من غزة) ، والشيخ عبدالحميد السايح (رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى) ، ونبيل شعث (مستشار سياسى لعرفات ، وعضو بارز فى المجلس الوطنى الفلسطينى) . وبالإضافة إلى ذلك ، ذكرت القائمة خالد الحسن (عضو بارز فى منظمة فتح ومبعوث فى بعض الأحيان إلى واشنطن) ، وحاتم الحسينى (الممثل السابق لمنظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطن) ، وصلاح التعمرى (أحد مناضلى منظمة فتح ، اقترن بالأميرة دينا الزوجة السابقة للملك حسين ، وسجنته إسرائيل) . Jerusalem Domestic Service, July 19, 1985, in Foreign Broadcast Information Service (FBIS), *Daily Report : Middle East and Africa*, p. I1. ولم يعترض الأمريكيون ولا الإسرائيليون على حنا سنيورا وفايز أبو رحمة . وكان نبيل شعث يمثل أصعب حالة . فبالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية ،كان ضمه إلى القائمة مهمًا ، وبالنسبة لإسرائيل ، كان ذلك مستحيلا . أما الأمريكيون فلم يكن لهم رأى قاطع .

٥٤ – Shultz, *Turmoil and Triumph*, p.454.

٥٥ – انظر نص خطبة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ ، والتى أذيعت فى إذاعة عمان المحلية . : FBIS, *Daily Report : Middle East and Africa*, September 30, 1985, p. F3.

٥٦ – Garfinkle, *Israel and Jordan*, pp.122-23.

٥٧ – توترت العلاقات الأمريكية المصرية نتيجة لأزمة السفينة أكيلى لاورو ، وذلك عندما اعترضت طائرات « اف – ١٤ » أمريكية طائرة شركة مصر للطيران التى كانت تحمل المختطفين إلى تونس ، حيث كان يزعم أن منظمة التحرير الفلسطينية ستقدمهم للمحاكمة ، وقد أرغمت الطائرة المصرية على الهبوط فى قاعدة حلف الأطلنطى بصقلية ، مما تسبب فى اندلاع موجة من الغضب فى القاهرة ، وتهنئة النفس والافتخار فى الولايات المتحدة . وبالنسبة لأزمة أكيلى لاورو ونتائجها ، انظر David C. Martin and John Walcott, *Best Laid Plans : The Inside Story of America's War against Terrorism* (Harper and Row, 1988), pp.235-57 ; and Woodward, *Veil*, pp.414-16.

٥٨ – يعزو Garfinkle, *Israel and Jordan*, p.124, الفضل إلى الملك حسين فى شروعه فى اتخاذ خطوة تجاه سوريا كوسيلة للحيلولة دون فوز عرفات بالتأييد السورى بينما كان الأردن ينتهج استراتيجية جديدة مع إسرائيل . ويقال إن بيريز قبل فكرة عقد مؤتمر دولى بغية إعطاء الملك شيئًا ما يستخدمه مع سوريا .

٥٩ – يوجد النص الكامل فى هيئة التليفزيون فى عمان ، ١٩ فبراير ١٩٨٦ ، FBIS, *Daily Report : Middle East and North Africa*, February 20, 1986, pp.F1-F16. ووفقا للمصادر الأمريكية التى كانت على اتصال وثيق بديبلوماسية مطلع عام ١٩٨٦ ، جرت محاولة الملاذ الأخير لإيجاد صيغة تقبل بها منظمة التحرير الفلسطينية القرار ٢٤٢ بصورة لا لبس فيها كأساس للمفاوضات مع إسرائيل ، ثم تحدد بعد ذلك مطالبها الإضافية . وقد أبلغ الملك حسين الأمريكيين أن منظمة التحرير الفلسطينية تحتاج إلى مقابل لهذه الخطوة ، ولذلك قدمت الولايات المتحدة بعض التنازلات بشأن كيفية توجيه الدعوة إلى منظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر الدولى ، وكيفية تمثيلها فيه . ولم تكن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة بعد لقبول القرار ٢٤٢ . وأصر عرفات على أن تؤيد الولايات المتحدة الحق الفلسطينى فى تقرير المصير ، وأن تفتح قنوات اتصال مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية بدلاً من التفاوض عن طريق الأردنيين . وقد أبلغ الأردنيون المنظمة أن الولايات المتحدة لن تتزحزح عن موقفها بشأن مسألة تقرير المصير ، وحثوا المنظمة على قبول القرار ٢٤٢ عل أى حال . وانتهى الاجتماع الأخير بين حسين وعرفات بشكل حاد . وخلص الأردنيون والأمريكيون إلى أن المنظمة ليست جادة وليست محلاً للثقة . وكان لهذا الاستنتاج تأثير هام على الخطوات الديبلوماسية التالية . ولا تغطى روايات الملك حسين العلنية جميع هذه النقاط ، إلا أن لهجة ملاحظاته وجوهرها قد أضفت مصداقية على هذا التفسير .

٦٠ – يقول Garfinkle, *Israel and Jordan*, p.121 ، إن الأردن كان يريد أن يضم عرفات ضعيفا إليه ، وكانت إسرائيل ، مثلها مثل الولايات المتحدة ، تريد القضاء عليه .

٦١ – Shultz, *Turmoil and Triumph*, pp.461-62.

٦٢ – وفقًا لما ذكره كيمب فى كتابه Kemp, "Lessons of Lebanon," p.67. فقد أقنع الخلاف بين شولتز ووانبرجر بشأن لبنان ، بعض أنصار ريجان ولاسيما كيسى ، وأحد أعضاء مجلس الأمن القومى ، أوليفر نورث ، بأنه ينبغى تطوير القدرة على تنفيذ أعمال سرية « خارج النظام » .

٦٣ – تطرح مصادر كثيرة التسلسل الزمنى الأساسى لما أصبح يعرف باسم قضية إيران – كونترا . انظر على وجه الخصوص *The Tower Commission Report : The Full Text of the President's Special Review Board* (Random House, 1987). ويوفر Woodward, *Veil, pp.413-501* تفصيلات لا يعرفها مطلع على بواطن الأمور ، مثلما يفعل Martin and Walcott, *Best Laid Plans*, pp.227-34, 323-61. وللاطلاع على دور كيمحى ودور إسرائيل فى الانفتاح على إيران ، انظر أيضا Kimche, *Last Option*, pp.208-20.

٦٤ – عمل ماكفرلين مستشارا للأمن القومى فى الفترة من أكتوبر ١٩٨٢ حتى نهاية عام ١٩٨٥ . وبعد تقاعده ، ظل منغمسا فى قضية « الأسلحة مقابل الرهائن » ، وعندما قام برحلته سيئة السمعة إلى طهران فى شهر مايو ١٩٨٦ ، لم يكن يتولى منصبا رسميًا فى الحكومة . وفى ذلك الوقت ، كان مستشار الأمن القومى هو جون بويندكستر الشديد التكتم . انظر Martin and Walcott, *Best Laid Plans*, p.331.

٦٥ – Kimche, *Last Option*, pp.211-13.

الفصل الرابع عشر

١ – انظر Thomas L. McNaugher, "Walking Tightropes in the Gulf," in Efraim Karsh, ed., *The Iran-Iraq War : Impact and Implications* (St. Martin's Press, 1989), pp.171-99.

٢ – للاطلاع على الأسباب الإضافية التى تدفع إلى الارتياب فى عقد مؤتمر دولى ، انظر Peter W. Rodman, "Middle East Diplomacy after the Gulf War," *Foreign Affairs*, vol.70 (Spring 1991), pp.10-18

٣ – George Shultz, *Turmoil and Triumph: My Years as Secretary of State* (Scribner's, 1993), pp.454-57, and chap. 44.

٤ – Adam Garfinkle, *Israel and Jordan in the Shadow of War : Functional Ties and Futile Diplomacy in a Small Place* (St. Martin's Press, 1992), pp. 128-29.

٥ - للحصول على مزيد من المعلومات عن الجهود الرامية إلى إقامة نوع من الحكم المشترك الإسرائيلى الأردنى انظر Yossi Melman and Dan Raviv, *Behind the Uprising : Israelis, Jordanians, and Palestinians* (Greenwood Press, 1989), pp. 187-200.

٦ - Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap. 44.

٧ - للاطلاع على نص وثيقة لندن ، انظر William B. Quandt, ed., *The Middle East : Ten Years after Camp David* (Brookings, 1988), pp. 475-76.

٨ - Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap. 44

٩ - المرجع السابق .

١٠ - المرجع السابق .

١١ - المرجع السابق .

١٢ - انظر William Safire, "The Little King," *New York Times*, January 13, 1988, p. A23.

١٣ - تعنى كلمة الانتفاضة فى اللغة العربية « النفض عن أو التخلص من » ، مثل التخلص من الاحتلال .

١٤ - كتب اثنان من الصحفيين الإسرائيليين المحتلين روايتهما عن المرحلة الأولى من « الانتفاضة » فى Ze'ev Schiff and Ehud Ya'ari, *Intifada : The Palestinian Uprising. Israel's Third Front* (Simon and Schuster, 1989).

١٥ - انظر Helena Cobban, "The PLO and the Intifada," *Middle East Journal*, vol. 44 (Spring 1990), pp.207-33.

١٦ - وفى هذا الوقت كان شولتز مسؤولاً مسؤولية كاملة عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، وكان واينبرجر قد ترك منصبه فى شهر نوفمبر ١٩٨٧ ، ليحل محله فرانك كارلوتشى - ثم تولى جنرال كولين باول منصب مستشار الأمن القومى ، وهو المستشار السادس لريجان خلال سبع سنوات . وقد توفى كيس أيضًا فى شهر يناير ١٩٨٧ .

١٧ - Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap 47.

١٨ - يشير استعمال كلمة « أطراف » بدلا من كلمة « دول » لإمكان دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر .

١٩ - حفز بيان شامير عضوى مجلس الشيوخ السناتور رودى بوشويتز ، والسناتور كارل ليفين ، بالإضافة إلى ثمانية وعشرين من أعضاء مجلس الشيوخ الآخرين ، من بينهم كثير من أصدقاء إسرائيل ، إلى كتابة رسالة إلى شولتز ، مؤرخة فى ٣ مارس ١٩٨٨ ، يعربون فيها عن قلقهم إزاء الموقف الإسرائيلى . وقد نشر رد شامير فى "Text of Letter from Shamir on Criticism from Senators," *New York Times*, March 10, 1988, p. A10.

٢٠ - جاء فى Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap. 47, « لقد أصبت بإحباط بسبب عدم مرونة شامير ، ولأن وجود حكومة منقسمة كما كان عليه الحال فى إسرائيل منذ أواخر عام ١٩٨٤ ، معناه أنه لن يكون هناك شخص مسؤول ويمكن محاسبته » . وكانت تعليقاته على الملك حسين أنه « كان صريحا وعابسًا : ومرة أخرى لم يعطنى شيئا ولكنه طلب منى أن « أثابر » . » أما مقابلة الأسد ، فكانت « قطعة من العذاب ، لشولتز ، واختتم حديثه معه قائلاً : « لا أستطيع أن أقدم لك شيئًا لكن استمر » .

٢١ - انظر نص خطبة الملك يوم ٣١ يوليو ١٩٨٨ ، فى برنامج Foreign Broadcast Information Service, *Daily Report : Middle East and North Africa*, August 1, 1988, pp. 39-41.

٢٢ - فى اجتماع القمة العربية بالجزائر المعقود فى شهر يونيو ١٩٨٨ ، قامت منظمة التحرير الفلسطينية بتعميم وثيقة معنونة « وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية : آفاق تسوية فلسطينية - إسرائيلية » . وسرعان ما أعلن بسام أبو شريف ، وهو مستشار مقرب لعرفات ، أنه كاتبها . وقد شعر معظم المسؤولين الإسرائيليين الذين أحيطوا علمًا بهذه الوثيقة بالتشجيع بسبب محتواها ولهجتها ؛ إلا أنهم لم يكونوا واثقين مما إذا كانت تمثل فعلاً اتجاهًا أكثر اعتدالاً داخل منظمة التحرير الفلسطينية . وللاطلاع على النص ، انظر Quandt, ed., *Middle East*, pp. 490-93.

٢٣ - أجرى جون مروز من الاكاديمية الدولية للسلام فى نيويورك أحاديث عديدة مع عرفات فى الفترة ١٩٨١ -

١٩٨٢ . وقد ارسلت إلى وزارة الخارجية . ووفقا لكتاب Harvey Sicherman, *Palestinian Self-Government (Autonomy) : Its Past and Its Future* (Washington : Washington Institute for Near East Policy, 1991), p. 37 ، لم يستخدم هيج هذه القناة مطلقًا فى أية رسائل رسمية .

٢٤ – أضاف الكونجرس فى أغسطس ١٩٨٥ ، شرطًا آخر من جانبه . لا يمكن لأى مسؤول أمريكى أن يتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية إلا إذا لبّت المنظمة الشروط الموضوعة فى عام ١٩٧٥ – قبول قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ ، وحق إسرائيل فى الوجود – ونبذ الإرهاب . Public Law 99-83, section 1302, August 8, 1985.

٢٥ – وكان من بين الشخصيات اليهودية المشتركة : ريتا هاوزر ، محامية في نيويورك ؛ وستانلى شاينباوم ، خبير اقتصادى وناشر من لوس انجيلوس ؛ ومناحم روزينسافت ، أحد الناجين من عملية الإبادة (المحرقة) ، وكان قد أعرب فيما بعد عن أسفه لمشاركته ؛ ودرورا كاس ، من الفرع الأمريكى للمركز الإسرائيلى الدولى لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط ؛ وأ .ل . يودوفيتش أستاذ تاريخ الشرق الأوسط بجامعة برنستون ، والذى انضم لهذه المجموعة قبل اجتماع ستوكهولم مباشرة .

٢٦ – مقابلة شولتز مع الصحفية السويدية سوزان بالم ، ٣٠ مارس ١٩٩٢ ، (والتى أتيحت للمؤلف) .

٢٧ – محمد ربيع هو خبير اقتصادى بالخبرة ، وهو مؤلف لبعض الكتب من بينها *The New World Order : A Perspective on the Post-Cold War Era* (Vantage Press, 1992).

٢٨ – وقد فاتحنى محمد ربيع يوم ٢ أغسطس ١٩٨٨ بفكرته . وكما عرفت في ذاك الوقت أو كما أعرف الآن ، فقد كان الاقتراح اقتراحه هو ، وليس اقتراحًا من جانب منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس . وفى هذا الاجتماع الأولى ، اتفقنا على محاولة ايجاد لغة تفى بمتطلبات الجانبين . وكان ربيع يفترض أن لى اتصالات فى وزارة الخارجية ، وأكد لى من ناحية أخرى ، أنه يستطيع الاتصال بسهولة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية . وعلى مدى الشهور العديدة التالية ، اقتصر تعامله على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ولاسيما أبو مازن ، وتعاملت أنا مع بضعة أشخاص فى وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومى ، الذين كانوا على علم بمبادرته . وكان من المتفق عليه أن نتبادل أنا وربيع معًا ، ما نكون قد علمنا به من أمور ذات أهمية لنجاح المبادرة . وأعتقد أن النتيجة الأساسية لهذه المحاولة كانت إثبات أن الجانبين يهتمان ببدء حوار قبل انتهاء فترة حكم إدارة ريجان ، وإظهار أنه لن يكون من الصعب إيجاد لغة تحظى بالقبول المتبادل . انظر : Mohamed Rabie ; "The U.S. -PLO Dialogue : The Swedish Connection," *Journal of Palestine Studies,* vol. 21 (summer 1992), pp. 54-66.

٢٩ – كان النص المقترح لما يمكن أن تقوله منظمة التحرير الفلسطينية ، حسبما أرسل إلى وزارة الخارجية يوم ١٢ أغسطس ، كما يلى :

« إسهامًا منها فى السعى لتحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقررت إصدار البيان الرسمى التالى :

١ – إنها مستعدة للتفاوض بشأن تسوية سلمية شاملة للنزاع العربى الإسرائيلى على أساس قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ .

٢ – إنها تعتبر انعقاد مؤتمر دولى تحت رعاية الأمم المتحدة إطارًا مناسبًا للتفاوض بشأن تسوية سياسية ، وتحقيق السلام فى الشرق الأوسط فى نهاية الأمر .

٣ – إنها تسعى إلى إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية فى الضفة الغربية وغزة ، وأن تعيش فى سلام مع جيرانها ، وأن تحترم حقهم فى العيش فى سلام .

٤ – إنها تدين الإرهاب فى جميع أشكاله ، وإنها مستعدة لأن توقف جميع أشكال العنف ، على أساس متبادل ، حال بدء المفاوضات تحت رعاية المؤتمر الدولى .

وتنبع هذه النقاط من التزام منظمة التحرير الفلسطينية بالمبادىء التالية : يحق لجميع الدول فى المنطقة – بما فى ذلك إسرائيل ودولة للفلسطينيين – أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها دوليًا ، وينبغى أن تحظى جميع الشعوب فى المنطقة – بما فى ذلك الإسرائيليون والفلسطينيون – بحق تقرير المصير ؛ وأنه لا يجوز لأى دولة أن تنتهك حقوق الدول الأخرى ، أو تستحوذ على الأرض بالقوة ، أو تقرر مستقبلها عن طريق الإكراه .

ويعتبر قبول إسرائيل لهذه المبادىء نفسها شرطًا مسبقًا لبدء مفاوضات ذات مغزى » .

وبعد حديث طويل مع محمد ربيع ، أدخلت منظمة التحرير الفلسطينية بعض التعديلات الطفيفة ، أهمها هو إضافة فكرة « أن جميع أطراف النزاع ، بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، سوف تشترك على قدم المساواة فى المؤتمر الدولى » .

٣٠ - قمت بإبلاغ هذه النقاط ، نيابة عن وزارة الخارجية ، إلى محمد ربيع يوم ١٣ أغسطس ١٩٨٨ - وأبلغت أنه قد تمت الموافقة عليها من جانب مكتب شولتز ، مما يعنى على أقل تقدير أن تشارلز هيل مساعد شولتز قد وافق عليها ، وأن شولتز قد أبلغ بذلك . ولم أكن أتعامل مباشرة مع شولتز أو هيل فى أى مرحلة ، مع أن وسطائى كانوا يفعلون ذلك بشكل منتظم . انظر : Shultz, *Turmoil and Triumph,* chap. 47 . وذلك للاطلاع على روايته عن هذه التطورات .

٣١ - وقد أرادت منظمة التحرير الفلسطينية من الولايات المتحدة ، أن تقول :

« إن حكومة الولايات المتحدة ترحب بمبادرة منظمة التحرير الفلسطينية الجديدة ، وترغب فى إصدار البيان التالى :

١ - تعتبر الولايات المتحدة بيان منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة التزام بالسعى من أجل تسوية سياسية للنزاع العربى الإسرائيلى عن طريق الوسائل السلمية .

٢ - وإذ تسلم الولايات المتحدة بحق جميع الشعوب فى تقرير المصير ، كما طالب بذلك ميثاق الأمم المتحدة ، فإنها تؤمن بأن الشعب الفلسطينى له الحق فى تقرير المصير ، وأنه ينبغى تمكينه من ذلك عن طريق المفاوضات التى تفضى إلى تسوية سلمية شاملة .

٣ - تعتقد الولايات المتحدة أن قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ يجسدان المبدأ الأساسى الذى يمكن أن تقوم عليه أى تسوية سياسية للنزاع العربى الإسرائيلى .

٤ - إن الولايات المتحدة تعتبر مصادقة منظمة التحرير الفلسطينية على قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و٣٣٨ ، وإدانتها للإرهاب ، والتزامها بالتوصل إلى تسوية سياسية عن طريق الوسائل السلمية ، قد أزال العقبات التى حالت فى الماضى دون أن يكون للولايات المتحدة اتصالات رسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية .

وبالتالى فإن حكومة الولايات المتحدة مستعدة للاجتماع مع ممثلين معينيين من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى ، حالما تسمى اللجنة التنفيذية ممثليها . وأخيراً ، تدعو الولايات المتحدة جميع الأطراف لاغتنام هذه الفرصة لتجدد سعيها من أجل السلام دون إبطاء » .

٣٢ - شعر شولتز بخيبة أمل بسبب خطبة عرفات فى ستراسبورج يوم ١٣ سبتمبر . وكانت منظمة التحرير الفلسطينية قد ألمحت من قبل إلى أن هذه الخطبة لن تحتوى على الموقف الجديد للمنظمة ، إلا أن شولتز انتقد الخطبة رغم ذلك . وللاطلاع على ملاحظات شولتز ، انظر : "The First George P. Shultz Lecture on Middle East Diplomacy," Washington Institute for Near East Policy, September 16, 1988.

٣٣ - جرت فى ذلك الوقت مشاورات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأوضح السوفيت أنهم يؤيدون مبادرة شولتز . وألمح شولتز فى كتابه Shultz, *Turmoil and Triumph,* chap. 47, إلى أنه لم يأذن ببعث رسالة إلى منظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن الواقع أن رسالة قد بُعث بها .

٣٤ - يلاحظ Shultz, *Turmoil and Triumph,* chap. 47 أن منظمة التحرير الفلسطينية كانت تستطيع الاتصال به عن طريق وكالة المخابرات المركزية . وأن عرفات استخدم هذه القناة فى بعض الأحيان من أجل توضيح بعض النقاط ، ولكن ليس لإجراء مفاوضات مستمرة .

٣٥ - للاطلاع على ترجمة بالإنجليزية لقرارات الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى ، انظر *Journal of Palestine Studies,* vol. 18 (Winter 1989), pp. 213-23.

٣٦ - قال شولتز فى حواره الصحفى مع سوزان بالم ، يوم ٣٠ مارس ١٩٩٢ : « لقد جاء [السفير السويدى] إلىّ [يوم ٢ ديسمبر] ، واستفسر قائلاً : إن شتن أندرسون يريد أن يعرف ما الذى يمكن أن تقوله منظمة التحرير الفلسطينية ويجعلنا مستعدين لإجراء حوار معها ، وما نوع الاستجابة التى ستصدر عنا إذا ما أصدرت هذه البيانات . ومن ثم ، فقد أعددت بيانا وردًا ، وجاء [السفير السويدى] إلى بيتى وتسلمه وأبلغته أن هذه الرسالة خاصة بشتن أندرسون وحده . وأنه لا علاقة لى بالأمريكيين اليهود الموجودين هناك ، ولا أريد أن يطلعوا عليها ، إذ أن الحوار بينهم وبين الفلسطينيين هو شيء يدور بمعرفتكم ، وهو

أمر منفصل تماما عن هذا ... كان شتن شخصا ائتمنته ، وأثق به ، ولذلك فقد كان اعتقادى أنه إذا كان سيتحدث إلى عرفات ، وأنه يعتقد أن تلك فرصة جادة ، فلنقدم له بيانا . فلقد علمنا بعض الأشياء عن بعض حساسيات منظمة التحرير الفلسطينية من الحوار المتبادل بين كوانت [ومحمد ربيع] . وهذا ما ساعد حسب ما أعتقد بقدر ضئيل فى تحديد العبارات التى استخدمناها » . وللاطلاع على مزيد من هذه التطورات ، ولاسيما المنطق الذى استند إليه فى رفض إعطاء تأشيرة دخول لعرفات للحضور إلى الأمم المتحدة ، انظر Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap. 47,

٣٧ – كانت هذه الوثيقة قريبة جدًا من المسودة التى عاد بها محمد ربيع من تونس فى شهر سبتمبر بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية ، مع إضافة العديد من الكلمات الرئيسية التى تشير إلى عدم الانخراط فى الإرهاب مستقبلاً . ولأسباب غير واضحة ، فقد اعترضت منظمة التحرير الفلسطينية على النقطة الرابعة المتعلقة بالتوقف عن العنف – بعد أن كانت قد قبلتها فى شهر سبتمبر السابق – وقد قبل شولتز هذا الحذف . كذلك تمت الموافقة على تغيير بضع كلمات أخرى عن طريق السويديين ، منها الإضافة التى أدخلت على النقطة الأولى بأن المفاوضات ستجرى « فى إطار مؤتمر دولى » .

٣٨ – وهذا ما أفضى بالمسؤولين الأمريكيين إلى الاعتقاد ، للحظة قصيرة يوم ٧ ديسمبر ، أن اختراقًا قد تحقق .

٣٩ – ترد فيما يلى رواية داخلية لمنظمة التحرير الفلسطينية عن هذه الحادثة : « لقد ارتفعت أصوات كثيرة تحذر من نتيجة الشروع فى هذه الخطوة . وهنا أيضا قام حواتمة بدور معرقل . فقد حاول الاتصال بالكويت وآخرين من أجل تحريض أشقائنا على رفضها . وفعل الشىء نفسه داخل منظمته ؛ وبدأ فى إرسال الرسائل وإيفاد الرسل . وأدى كل ذلك بأبى عمار (عرفات) إلى أن يعمل على أن ينأى بنفسه عن هذه الخطوة ، ولذا فقد أعاد النظر فى خطابه ليحذف منه معظم التعليقات التى احتواها والتى تتوافق مع النص المقترح من الأمريكيين . كان أبو عمار يخشى على الوحدة الوطنية ، ويتصور أن الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين [وهى مجموعة حواتمة] والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين [وهى مجموعة جورج حبش] قد تتركان منظمة التحرير الفلسطينية مما قد يؤثر على الانتفاضة ، ويؤثر أيضا على المصداقية الكاملة لمنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت ترغب فى الظهور بمظهر ديمقراطى مقبول » . من وثيقة داخلية لمنظمة التحرير الفلسطينية باللغة العربية ، ص ١٩٥ .

٤٠ – وقد استخدم باللغة العربية الفعل *يأبى* والفعل *يرفض* (Condemn and reject) بدلا من الفعل ينبذ (renounce, abandon or forsake) . وقد شعر شولتز أن رفض المرء أو إدانته الإرهاب لا يتضمن الاعتراف بأنه كان منخرطا فيه . وبطريقة أو بأخرى ، كان يريد من منظمة التحرير الفلسطينية أن تقول إنها سوف تتوقف عن فعل شىء كانت تفعله من قبل .

٤١ – ويكشف شولتز فى ملاحظاته فى Shultz, *Turmoil and Triumph*, chap. 47 عن أنه أبلغ ريجان أن عرفات كان فى خطابه يبعثر ما يود قوله ، ولم تواته الجرأة ليقوله كاملا متصلا .

٤٢ – انظر Eugene Rostow, "Palestinian Self-Determination : Possible Futures for the Unallocated Territories of the Palestine Mandate," *Yale Law Studies in World Public Order*, vol. 5 (1979), p. 147 . وقد أبدى روستو الرأى نفسه إزاء شرعية المستوطنات الإسرائيلية فى عدد من مطبوعات أخرى . وقد اختار جورج ويل هذا الموضوع وروج له فى عموده الموحد الذى كان ينشر فى العديد من الصحف فى السنوات الأولى من الثمانينات .

٤٣ – كتب ميرون بينفيستى فى عام ١٩٨٣ يقول إن الليل قد انتصف . وللاطلاع على نموذج لتفكيره . انظر مقالته : "Demographic, Economic, Legal, Social and Political Developments in the West Bank," in *The 1987 Report : The West Bank Data Base Project* (Boulder, Colo. : Westview Press, 1987), pp. 67-80 وانظر أيضا Meron Benvenisti, *Conflicts and Contradictions* (Villard Books, 1986), pp. 169-82.

٤٤ – يرد فى كتاب ريجان : Reagan's memoirs, *An American Life* (Simon and Schuster, 1990), أمثلة كثيرة عن عدم اهتمامه بالتفاصيل عند مناقشة الشرق الأوسط . وعلى سبيل المثال ، يقول ريجان إن قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ قد طالب إسرائيل « بأن تنسحب من جميع الأراضى التى ادعت ملكيتها بعد حرب عام ١٩٦٧ ، بما فى ذلك الضفة الغربية » (ص ١١٤) ؛ وهو يفسر من غير اهتمام مبادرته المؤرخة فى

أول سبتمبر ١٩٨٢ ، بأنها تؤيد حق الفلسطينيين فى « تقرير المصير والحكم الذاتى » (ص ٤٣٠) .
ويقول إن المستوطنات الإسرائيلية ، التى كان قد وصفها بأنها ليست غير شرعية ، تمثل « انتهاكا مستمرا
لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ » (ص ٤٤١) . وجميع هذه التصريحات الثلاثة غير دقيقة .

٤٥ – انظر Wolf Blitzer, *Territory of Lies : The Exclusive Story of Jonathan Jay Pollard. The American Who Spied on His Country for Israel and how He Was Betrayed* (Harper and Row, 1989).

٤٦ – ظهرت أول رواية عن المعلومات التى أعلنها مورديخاى فانونو فى : Peter Hounam and others, "Revealed : The Secrets of Israel's Nuclear Arsenal," *Sunday Times* (London), October 5, 1986, p. 1. وانظر أيضا Seymour M. Hersh, *The Samson OPtion : Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy* (Random House, 1991), pp. 307-12.

٤٧ – انظر Karen L. Puschel, *US-Israeli Strategic Cooperation in the Post-Cold War Era : An American Perspective* (Boulder, Colo. : Westview Press, 1992), chaps. 2-4.

٤٨ – أظهرت نتائج استطلاع الرأى لأول مرة ، فى شهر نوفمبر ١٩٩١ ، أن كثيرين من الأمريكيين يحمّلون إسرائيل ، أكثر مما يحمّلون العرب ، المسؤولية عن عدم إحراز تقدم فى عملية صنع السلام . انظر Gerald F. Seib, "On day One of Mideast talks, Calm Prevails amid Ceremony," *Wall Street Journal*, October 31, 1991, p. A 18.

الفصل الخامس عشر

١ عن العلاقة بين بوش وبيكر انظر : Marjorie Williams, "His Master's Voice," *Vanity Fair*, October 1992 : and John Newhouse, "Shunning the Losers," *New Yorker*, October 26, 1992, pp. 40-52.

٢ رأى بعض الإسرائيليين فى هذه المقالة عن بيكر علامة مبكرة على عداوته لإسرائيل . وقد نقل عن بيكر أنه كان فى مرحلة مبكرة من مسار تأملاته الواعية ، يتساءل فى نفسه عما إذا كان من الممكن تحقيق السلام فى الشرق الأوسط فى وقت من الأوقات . ثم ذكر ، بعد التعليق على تاكتيكات إصابة الهدف ، إسرائيل ، وقال إنها منقسمة داخليًا . وأضاف أن « التوصل إلى شىء منتج فى وقت تنقسم فيه إسرائيل داخليًا ، سيكون أمرًا عسيرًا . ومن يعرف ؟ » انظر : Michael Kramer, "Playing for the Edge," *Time*, February 13, 1989, p. 44 . وللحصول على تفسير إسرائيل عن كيف أظهرت هذه العبارة عداوة بيكر تجاهها ، انظر : Dore Gold, "US and Israel Enter New Era," *Jerusalem Post*, February 28, 1992, p. 9A.

٣ – Kramer, "Playing for the Edge," p. 30.

٤ لم يكن من المعروف أن لوزير الدفاع ريتشارد تشينى ، ومستشار الأمن القومى برنت سكوكروفت ، وهما ضمن التعيينات الرئيسية الأخرى لبوش فى مجال السياسة الخارجية ، آراء محددة بشأن الشرق الأوسط . وكان الأرجح على ما يبدو أن لهما تأثير قوى على العلاقات الأمريكية السوفيتية والقضايا المتعلقة بالحد من التسلح .

٥ – Washington Institute's Presidential Study Group, *Building for Peace : An American Strategy for the Middle East* (Washington : Institute for Near East Policy, 1988).

٦ Richard Haass, *Conflicts Unending : The United States and Regional Disputes* (Yale University Press, 1990), pp. 30-56.

٧ وقد تطورت وجهات نظر هاس إلى حد ما . ففى ١٣ سبتمبر ١٩٩١ ، قال : « إن أحد الأشياء التى تعلمناها ، والتى أثرت تأثيرًا كبيرًا على تفكيرى ، أنه حتى عندما تحاول التفكير فى المسائل الصغيرة ، متفاديًا بعض المسائل الأكثر حساسية والمتعلقة بالوضع النهائى ، وهو نوع من نهج الخطوة خطوة ، تجد أن الناس يرون أن هناك سوابق لذلك فى كل مكان » . انظر "The Impact of Global Developments on U.S. Policy in the Middle East," *From War to Peace in the Middle East ?* Sixth Annual Policy Conference (Washington : Washington Institute for Near East Policy, 1991), p.10.

٨ – وقد تزايدت الشكوك العربية أيضا نتيجة لكون المستشارين الأربعة الكبار للرئيس بوش وبيكر بشأن الشرق الأوسط ، كانوا جميعًا من اليهود – دنيس روس ، ريتشارد هاس ، آرون ميلر من هيئة تخطيط السياسات ، ودانيال كورتزر بمكتب الشرق الأدنى . ومن المفارقات أن وجود اليهود فى مراكز بارزة كهذه لم يكن على ما يبدو باعثا لاطمئنان بعض الإسرائيليين ، ولاسيما مؤيدو الليكود ، الذين لم يلبثوا أن تحدثوا بطريقة فجة عن « صبيان بيكر اليهود » باعتبارهم مسؤولين عن التوتر فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . انظر Margaret G. Warner, "Whose side Are You On ?" *Newsweek*, June 1, 1992, p.57.

٩ – وقد حدث تطور هام بعد نشر تقرير فريق الدراسة الرئاسى المعنون « البناء من أجل السلام » . فقد كان هذا التقرير بداية للحوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية . واتخذ أولئك الذين أسهموا فى إعداد التقرير موقفًا متشككًا للغاية تجاه منظمة التحرير الفلسطينية ، موضحين أن احتمال العثور على شريك فلسطينى للتفاوض مع إسرائيل من داخل الضفة الغربية وغزة أفضل كثيرًا ، لأن الظروف الموضوعية تفرض نوعًا من الواقعية والبرجماتية . إلا أنه فى شهر ديسمبر ١٩٨٨ ، وافق شولتز ، بتأييد من بوش وبيكر على حد سواء ، على فتح حوار بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية . ومنذ البداية ، أوضح بوش وبيكر أنهما يريدان للحوار أن يستمر وإن كان ذلك حسب الاقتضاء . وبالإضافة إلى ذلك ، رفض بوش وبيكر الاقتراح الذى تضمنه التقرير بأن يتم تعيين مفاوض خاص للشرق الأوسط .

١٠ – وأكدت النقاط الثلاث الأخرى فى الاقتراح الإسرائيلى ، والتى حظيت باهتمام أقل لأنها كانت أقل إبداعًا ، الحاجة إلى إجراء مفاوضات مع الدول العربية لابرام معاهدات سلام ، وأهمية تسوية مشكلة اللاجئين ، وضرورة أن يجدد شركاء كامب ديفيد التزاماتهم تجاه الاتفاقات والسلام . وللاطلاع على الخطة الأولية ، انظر *Jerusalem Post*, April 14, 1989, p. 8. وفى ١٥ مايو ١٩٨٩ ، نشرت جيروزاليم بوست فى صفحتها الثانية النص الموسع الذى يتألف من عشرين نقطة لخطة السلام الخاصة بالحكومة . ويشار إلى هذه الوثيقة فى بعض الأحيان باسم مبادرة ١٤ مايو ١٩٨٩ .

١١ – خطاب وزير الخارجية بيكر "Principles and Pragmatism : American Policy toward the Arab-Israeli Conflict," *Department of State Bulletin*, vol. 89 (July 1989), p. 24 . وقد وصف أحد أعضاء فريق بيكر المعنى بالشرق الأوسط هذه الخطبة بأنها « العلاج بالواقع » . وقال آخر إن « التوتر الخفيف مع إسرائيل هو الثمن الذى ندفعه لكى تكون لنا مصداقية مع الجانب العربى » .

١٢ – ربما لم يكن شامير مستعدًا للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، إلا أنه أقام اتصالاً بها فى وقت مبكر من عام ١٩٨٩ . ووفقًا لما قاله صلاح خلف (أبو اياد) فى مقابلة مع المؤلف فى شهر فبراير ١٩٨٩ ، فإن شامير قد بعث برسالة إليه عن طريق زعيم عربى ، وكان شامير يريد أن يعرف ما إذا كان أبو إياد لايزال يعتقد أن قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية لن يكون سوى مرحلة على الطريق إلى القضاء على إسرائيل . وقد أتبع شامير ذلك بأن أوفد أحد حلفائه السياسيين إلى المغرب لكى يدخل فى مناقشات مطوّلة مع أبو إياد . وكان من المتوخى عقد اجتماعات تالية ، إلا أن ذلك لم يحدث .

١٣ – انظر ، على سبيل المثال ، Salah Khalaf (Abu Iyad), "Lowering the Sword," *Foreign Policy*, no. 78 (Spring 1990), pp. 91-112 . وفى وقت قيل ذلك بفترة ، بعث أبو أياد ببيان مُسجّل على شريط فيديو إلى الإسرائيليين ، أظهر تحولاً فى آرائه إزاء قبول تسوية تنطوى على إقامة دولتين ، وقد عرض هذا الشريط فى إسرائيل وأسفر عن تعليقات واسعة ، ولاسيما فى معسكر السلام .

١٤ – حاول بيكر أيضا أن يحصل على مساعدة الحكومة العراقية . وفى ٩ نوفمبر ١٩٨٩ ، بعث برسالة إلى وزير الخارجية العراقى يبلغه فيها أن الحكومة قررت أن تتخذ إجراء إيجابيًا بشأن ائتمانات الحبوب للعراق ، ومضى بيكر قائلاً : « إننا الآن فى مرحلة حرجة من دبلوماسيتنا ، إذ أن حكومة مصر تعمل بصورة وثيقة مع الفلسطينيين لكى يردوا بشكل إيجابى على الإطار الخاص بنا الذى يتألف من خمس نقاط ، مما يمكننا من البدء فى حوار إسرائيلى فلسطينى – وقد يكون من المفيد إلقاء ثقلكم معهم ، وحثّهم على إعطاء رد إيجابى على اقتراحات مصر » . Elaine Sciolino, "Baker Telling Iraqis of Loan Aid, Asks Help on Palestinian Talks," *New York Times*, October 26, 1992, p.A6.

١٥ – للاطلاع على نص النقاط الخمس الخاصة ببيكر ، انظر Thomas L. Friedman, "Advance Reported on Mideast Talks," *New York Times*, December 7, 1989, p. A11.

١٦ - انظر David Makovsky, *Jerusalem Post* (International Edition), March 24, 1990, p.2.

١٧ - فى رسالة مرفقة باتفاقات كامب ديفيد ، كرر جيمى كارتر (وإن كان ذلك بصورة غير مباشرة) السياسة الرسمية بأن الولايات المتحدة تعتبر أن القدس الشرقية أرض محتلة ، تنطبق عليها اتفاقية جنيف الرابعة ، انظر : William B. Quandt, *Camp David : Peacemaking and Politics* (Brookings, 1986), p.386.

١٨ - للاطلاع على نص خطبة صدام حسين ، انظر Foreign Broadcast Information Service (FBIS), *Daily Report : Near East and South Asia*, February 27, 1990, pp. 1-5.

١٩ - انظر خطبة صدام حسين التى قال فيها إن العراق يمتلك أسلحة كيميائية ثنائية ، وهدد باستعمالها ضد إسرائيل إذا هاجمت العراق ، انظر : FBIS, *Daily Report : Near East and South Asia*, April 3, 1990, pp. 32-35.

٢٠ - ذكر بعض الفلسطينيين ومؤيديهم أن الهدف المقصود كان هدفًا عسكريًا ، وأن أحدًا لم يصب ، وأن هذا الإجراء لم يأذن به عرفات ، ولذلك فإنه لا ينبغى اعتباره انتهاكًا لتعهد منظمة التحرير الفلسطينية بعدم الانخراط فى الإرهاب . وقد لاقت هذه الآراء آذانا صماء فى واشنطن ، لأنه فى نفس الوقت تقريبًا ، قُتل إسرائيلى فى انفجار قنبلة نسبته مصادر المخابرات مباشرة إلى منظمة فتح .

٢١ - مقابلة المؤلف مع أبو أياد ، يوم ١٥ يونيو ١٩٩٠ .

٢٢ - وللاطلاع على رواية مقنعة بشكل عام ، انظر : Bob Woodward, *The Commanders* (Simon and Schuster, 1991).

٢٣ - انظر خطبة بوش أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والتى أعيد طبعها فى النيويورك تايمز يوم ٢ أكتوبر ١٩٩٠ ، ص أ ١٢ ، حيث يقول إنه « فى أعقاب الرحيل غير المشروط للعراق من الكويت ، اعتقد بصدق أنه قد تكون هناك فرصة أمام العراق والكويت لتسوية خلافاتهما بصورة دائمة ، وأمام دول الخليج نفسها فرصة لوضع ترتيبات جديدة من أجل الاستقرار ، وفرصة أمام جميع الدول والشعوب فى المنطقة لتسوية النزاعات التى تفصل العرب عن إسرائيل » .

٢٤ - كان من الصعب تقييم مدى تأثر الميزانية بمنح ضمانات القرض . وكان من المقرر تخصيص نسبة مئوية صغيرة من القيمة الإجمالية للقرض - وهو مبلغ يحدد على أساس تقييم المخاطر - وتنحيتها جانبًا فى صندوق احتياط . وهذا المبلغ يمكن أن يتراوح بين ٥٠ مليون دولار و ٨٠٠ مليون دولار . ومع افتراض أن إسرائيل سوف تسدد جميع القروض فى موعدها ، فلن تكون هناك تكاليف أخرى يتحملها دافعو الضرائب . إلا أنه إذا تأخرت إسرائيل فى السداد ، فستكون التكاليف بطبيعة الحال كبيرة فى موعد لاحق .

٢٥ - أبرم بيكر مع وزير الخارجية الإسرائيلى ليفى إتفاقًا بشأن ضمان قرض للإسكان قيمته ٤٠٠ مليون دولار ، وذلك بعد مناقشات مطولة دارت فى شهر أكتوبر ١٩٩٠ . بيد أنه بات واضحًا خلال أيام أن إسرائيل لم تقبل الشرط الأمريكى بعدم استخدام أى جزء من هذه الأموال فى إقامة مساكن بالقدس الشرقية ، انظر : "Israel Retracts Pledges to U.S. on East Jerusalem Housing," *New York Times*, October 19, 1990, p. A16. وفى ربيع ١٩٩٢ ، نقل عن أحد موظفى مجلس الأمن القومى ، وهو ريتشارد هاس ، قوله إن إسرائيل لم تقدم للحكومة ردًا مرضيًا عن كيفية إنفاقها لضمانات القرض الذى بلغ ٤٠٠ مليون دولار ، انظر : Haaretz, April 15, 1992, P.A1 كما أذيع فى FBIS, *Daily Report : Near East and South Asia*, April 16, 1992, p. 36 . وللحصول على أدلة أخرى على أن الحكومة الإسرائيلية قد امتنعت عن عمد عن التعاون فى تقديم معلومات عن كيفية استخدامها للقرض الذى بلغت قيمته ٤٠٠ مليون دولار ، انظر أيضا David Makousky and Allison Kaplan, "What Went Wrong with the U.S. Aliya Loan Guarantees," *Jerusalem Post*, March 20, 1992, p. 5A.

٢٦ - Thomas L. Friedman, "Baker Cites Israel for Settlements," *New York Times*, May 23, 1991, p. A5. Thomas L. Friedman, "Bush Backs Baker View of Mideast Peace Barriers," *New York Times*, May 24, 1991, p. A3 . ووفقًا لأحد المصادر ، قدم شامير لبيكر تعهدًا فى شهر فبراير ١٩٩١ ، بألا يتجاوز معدل « الحد الأدنى » لبناء المستوطنات فى الضفة الغربية . انظر *Report on Israeli Settlement in the Occupied Territories*, vol. 2 (Washington, July 1992), p. 1, ، والذى استشهد بتقرير من وكالة البرق اليهودية تضمن تعليقات بيكر لوفد من زعماء المؤتمر اليهودى الأمريكى يوم ١٠ مايو ١٩٩٢ .

٢٧ – انظر Martin Indyk, "Israel's Grand Bargain," *New York Times*, July 24, 1991, p. A21 . ويمكن الاطلاع على نص رسالة فورد فى الملحق « ج » .

٢٨ – Linda Gradstein, "Shamir Bars Losing Territory," *Washington Post*, July 25, 1991 p. A27.

٢٩ – انظر "Excerpts from President Bush's News Session on Israeli Loan Guarantees," *New York Times*, Septemher 13, 1991, p. A10 . وفيما بعد وصف توماس داين من « آيباك » ، يوم ١٢ سبتمبر بأنه « يوم شائن » .

٣٠ – للاطلاع على نص « رسالة التفاهم » الأمريكية التى أعطيت للإسرائيليين ، انظر : *Yedi'ot Aharonot*, September 17, 1991, p.17, كما أذيعت فى FBIS, *Daily Report : Near East and South Asia*, September 17, 1991, p. 28 . وللاطلاع على الرد الفلسطينى على بيكر ، انظر : *Al-Dusture* (Amman), October 26, 1991, p. 26, كما أذيعت فى FBIS, *Daily Report : Near East and South Asia*, October 28, 1991, p. 1.

٣١ – وللاطلاع على مقتطفات من الخطب ، انظر : "3 Speeches : The Area Is a 'Dangerous Battleground,' " *New York Times*, November 1, 1991, p. A10 . وقد أظهر استطلاع للرأى أجرته جريدة وول ستريت بالاشتراك مع محطة التليفزيون ABC ، أن ٣٧ فى المائة من الأمريكيين قد وصفوا إسرائيل بأنها العقبة الرئيسية فى طريق السلام ، فى حين وصف ٣٥ فى المائة العرب بهذا الوصف . انظر : Gerald F. Seib, "On Day One of Mideast Talks, Calm Prevails amid Ceremony," *Wall Street Journal*, October 31, 1991, p. A8.

٣٢ – قدم الفلسطينيون اقتراحًا أوليًا لسلطة الحكم الذاتى المرحلى يوم ١٤ يناير ١٩٩٢ ، ثم وضعوا نصًا أكثر تفصيلاً يوم ٣ مارس ١٩٩٢ .

٣٣ – Leslie H. Gelb, "Bush's Ultimatum to Shamir," *New York Times*, January 17, 1992, P. A29.

٣٤ – Thomas L. Friedman, "U.S. Details Terms Israel Must Meet for Deal on Loans," *New York Times*, February 25, 1992, p. A1.

٣٥ – Tomas L. Friedman, "Bush Rejects Israel Loan Guarantees," *New York Times*, March 18, 1992, p. A11. وفى الوقت نفسه ، اجتمع بيكر مع آرينز يوم ١٧ مارس ١٩٩٢ ، لمناقشة تقارير عن عمليات نقل التكنولوجيا العسكرية من إسرائيل إلى الصين . وقد نشر شيرمان م . فونك ، المفتش العام بوزارة الخارجية ، تقريرا عن الموضوع نفسه فى شهر مارس ١٩٩٢ . A General Accounting Office report, *Report of Audit : Department of State Defense Trade Controls*, ورأى البعض أن هناك حملة متصاعدة من جانب بوش وبيكر ضد إسرائيل ، إلا أن الحكومة سرعان ما تراجعت ، ربما لأنها خشيت من أن يحتشد الناخبون الإسرائيليون حول شامير لو أنه تعرض لضغط أشد من اللازم . وللاطلاع على تحليل تفصيلى للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية فى مطلع عام ١٩٩٢ ، انظر : Leon T. Hadar, "The Last Days of Likud : The American-Israeli Big Chill," *Journal of Palestine Studies*, vol. 21 (Summer 1992), pp. 80-94.

٣٦ – أجريت المحادثات فى واشنطن فى أبريل ١٩٩٢ ، دون أن تحقق نتائج ، ولكنه أصبح شيئا مألوفا آنذاك ، وجود شخص ذى صلة بمنظمة التحرير الفلسطينية بعيد عن الأضواء ، للتنسيق مع تونس . وفى مايو ١٩٩٢ ، أجريت محادثات متعددة الأطراف : بشأن المسائل البيئية فى طوكيو ، وبشأن الحد من التسلح فى واشنطن ، وبشأن القضايا الاقتصادية فى بروكسل ، وبشأن المياه فى فيينا ، وبشأن اللاجئين فى أتاوا .

٣٧ – انظر Clyde Haberman, "Arens Faults Prime Minister's 'Greater Israel' Concept," *New York Times*, June 29, 1991, p.A3.

٣٨ – وكان مما يدل على لهجة رابين الجديدة ، ملاحظاته التى أبداها يوم ٣ سبتمبر ١٩٩٢ ، إذ قال : « ينبغى لنا أن نتراجع عن الأوهام وأن نلتمس الحلول الوسط بغية التوصل إلى السلام ، أو على الأقل اتخاذ خطوات عملية من أجل تعزيزه . وينبغى أن نتخلى عن أوهام عقيدة إسرائيل الكبرى ، وأن نتذكر أننا يجب أن نعتنى بشعب إسرائيل ، ومجتمعها ، وثقافتها ، واقتصادها . وينبغى أن نتذكر أن قوة أى أمة لا تقاس بما لديها من أراض بل بإيمانها وقدرتها على تطوير نظمها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية » . FBIS,

كذلك كان مما يدل على لهجة . *Daily Report : Near East and South Asia,* September 3, 1992, p. 26.
رابين الجديدة ، رأيه فى أهمية إسرائيل للولايات المتحدة . فقد شدد رابين - بدلاً من تأكيده فكرة « الرصيد الاستراتيجى » - على دور « شريك السلام » . إذ أنه « كلما كثر حديث الولايات المتحدة عن أنها تعمل على تحقيق السلام فى المنطقة - بمساعدة إسرائيل التى تتصرف بما يلائم مصالحها - زاد ما تستطيع إسرائيل أن تفعله لخدمة المصلحة المشتركة فى خلق الاستقرار ، وعدم إتاحة الفرصة لنشاط المتطرفين » . Leslie H. Gelb, "America in Israel," *New York Times,* June 15, 1992, p. A19.

٣٩ - انظر Clyde Haberman, "Shamir Is Said to Admit Plan to Stall Talks 'for 10 Years," *New York Times,* June 27, 1992, p. A1 . وفيما بعد ، زعم شامير أنه قد أسيء فهمه . إلا أنه حتى ايضاحاته قد أشارت إلى أنه كان يهدف إلى أن يستمر الاتفاق المرحلى لفترة زمنية غير محددة ، تواصل إسرائيل أثناءها بناء المستوطنات .

٤٠ - أشار بوش وبيكر إلى أنهما سيبقيان مشتركين اشتراكًا عميقًا فى المفاوضات ، وذلك برغم تغيير وظيفة بيكر . إلا أنه وفقًا لما قاله ايجلبرجر ، أصبح بيكر يقوم بدور صغير فى مجال السياسة الخارجية بعد انتقاله إلى البيت الأبيض . انظر : Don Oberdorfer, "Baker-less State Department Not in Idle, Officials Say," *Washington Post,* October 16,1992, p. A23.

٤١ - حديث الأسد مع وفد من مرتفعات الجولان ، أذيع من الإذاعة السورية يوم ٩ سبتمبر ١٩٩٢ ، فى :
FBIS, Daily Report : Near East and South Asia, September 9, 1992, p.41.

٤٢ - نشر Newhouse, "Shunning the Losers," pp.50-51. مقالة كانت لولا هذا ، ستعتبر انتقادًا لسياسة بوش الخارجية . كما عزا Michael Kramer, "Bush's Reward for Courage," *Time,* August 3, 1992, p. 44, أيضا إلى بوش وبيكر « فضلاً كبيرًا » لطريقة معالجتهما لمسألة ضمانات القرض ، والمفاوضات بصفة عامة .

٤٣ - أعرب كيسنجر عن الرأى القائل بأنه ينبغى للولايات المتحدة ألاّ تبذل مثل هذا الجهد الكبير من أجل تنظيم مفاوضات سيكون مصيرها الفشل . وقد لجأ إلى تلطيف آرائه فيما بعد إلى حد ما . انظر Henry Kissinger, "Land for Time in the Middle East," *Washington Post,* June 2, 1991, p. D7, and "If Not Peace, at Least Progress," *Washington Post,* October 31. 1991, p.A21. وانظر أيضًا الحكم القاسى للمفكر ذى الاتجاه المحافظ الجديد Irving Kristol, " 'Peace Process That Heads Newhere," *Wall Street Journal,* June 18, 1992, p. A16.

الفصل السادس عشر

١ - Trude B. Feldman, "On the First Anniversary of the Peace Talks in Madrid Bill Clinton Pledges to Maintain the Momentum," *Middle East Insight,* vol. 9 (November-December 1992), pp. 10-15.

٢ - Karen L. Puschel, *US-Israeli Strategic Cooperation in the Post-Cold War Era : An American Perspective* (Boulder, Colo. : Westview Press, 1992), pp. 153-54, . وهو يستنتج بشكل صحيح أن « السلام هو المسألة الفاصلة التى ستقرر ما إذا كان التعاون الاستراتيجى قد اتسع نطاقه بصورة هامة من حيث المعونة والالتزامات . ومن المؤكد أنه عندما حدث تقدم ظاهر على جبهة السلام ، فقد تدفقت المعونة الأمريكية فى أعقابه ... إلا أنه فى غياب السلام ، وخصوصًا عندما يبدو أن إسرائيل هى العقبة ، يصبح من الصعب توقع إتخاذ قرار أمريكى بتوسيع نطاق التعاون الاستراتيجى الأمريكى الإسرائيلى » .

ببيلوغرافيا مختارة

Albin, Cecilia, and Harold H. Saunders. "Sinai II: The Politics of International Mediation." FPI Case Study 17. Johns Hopkins University, School of Advanced International Studies, Foreign Policy Institute, Washington, D.C., 1991.

Bailey, Sydney Dawson. *Four Arab-Israeli Wars and the Peace Process*. New York: St. Martin's Press, 1990.

Bard, Mitchell Geoffrey. *The Water's Edge and Beyond: Defining the Limits to Domestic Influence on United States Middle East Policy*. New Brunswick, N.J.: Transaction Publishers, 1991.

Bar-Siman-Tov, Yaacov. *The Israeli-Egyptian War of Attrition, 1969–1970: A Case Study of a Limited War*. New York: Columbia University Press, 1980.

Bar-Zohar, Michael. *Embassies in Crisis: Diplomats and Demagogues behind the Six-Day War*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1970.

Beling, Willard A., ed. *The Middle East: Quest for an American Policy*. Albany: State University of New York Press, 1973.

Black, Ian, and Benny Morris. *Israel's Secret Wars: A History of Israel's Intelligence Services*. New York: Grove Weidenfeld, 1991.

Blitzer, Wolf. *Territory of Lies: The Exclusive Story of Jonathan Jay Pollard. The American Who Spied on His Country for Israel and How He Was Betrayed*. New York: Harper and Row, 1989.

Brandon, Henry. *The Retreat of American Power: The Inside Story of How Nixon and Kissinger Changed American Foreign Policy for Years to Come*. New York: Doubleday and Co., 1973.

Brecher, Michael. *Decisions in Crisis: Israel, 1967 and 1973*. Berkeley: University of California Press, 1980

———. *Decisions in Israel's Foreign Policy*. New Haven: Yale University Press, 1975.

Brzezinski, Zbigniew. *Power and Principle: Memoirs of the National Security Adviser, 1977–1981*. New York: Farrar, Straus and Giroux, 1983.

Cannon, Lou. *President Reagan: The Role of a Lifetime*. New York: Simon and Schuster, 1991.

Carter, Jimmy. *The Blood of Abraham*. Boston: Houghton Mifflin Co., 1985.

———. *Keeping Faith: Memoirs of a President*. New York: Bantam Books, 1982.

Cobban, Helena. "The P.L.O. and the Intifada." *Middle East Journal*, vol. 44 (Spring 1990), pp. 207–33.

———. *The Superpowers and the Syrian-Israeli Conflict: Beyond Crisis Management?* New York: Praeger, 1991.

Cockburn, Andrew, and Leslie Cockburn. *Dangerous Liaison: The Inside Story of the U.S.-Israeli Covert Relationship.* New York: HarperCollins Publishers, 1991.
Cooley, John K. *Payback: America's Long War in the Middle East.* New York: Brassey's, 1991.
Dayan, Moshe. *Breakthrough: A Personal Account of the Egypt-Israel Peace Negotiations.* New York: Alfred A. Knopf, 1981.
———. *Moshe Dayan: Story of My Life.* New York: William Morrow and Co., 1976.
Dowty, Alan. *Middle East Crisis: U.S. Decision-Making in 1958, 1970, and 1973.* Berkeley: University of California Press, 1984.
Eban, Abba. *An Autobiography.* New York: Random House, 1977.
———. *Personal Witness: Israel through My Eyes.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1993.
Eilts, Hermann Frederick. "Improve the Framework." *Foreign Policy,* no. 41 (Winter 1980–81), pp. 3–20.
Ennes, James M., Jr. *Assault on the Liberty: The True Story of the Israeli Attack on an American Intelligence Ship.* New York: Random House, 1979.
Fahmy, Ismail. *Negotiating for Peace in the Middle East.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1983.
Ford, Gerald R. *A Time to Heal: The Autobiography of Gerald R. Ford.* New York: Harper and Row, 1979.
Friedman, Thomas L. *From Beirut to Jerusalem.* New York: Farrar, Straus and Giroux, 1989.
Garfinkle, Adam. *Israel and Jordan in the Shadow of War: Functional Ties and Futile Diplomacy in a Small Place.* New York: St. Martin's Press, 1992.
———. "U.S. Decision Making in the Jordan Crisis: Correcting the Record." *Political Science Quarterly,* vol. 100 (Spring 1985), pp. 117–38.
Garthoff, Raymond L. *Détente and Confrontation: American-Soviet Relations from Nixon to Reagan.* Washington, D.C.: Brookings Institution, 1985.
Gerson, Allan. *The Kirkpatrick Mission: Diplomacy without Apology. America at the United Nations, 1981–1985.* New York: Free Press, 1991.
Golan, Matti. *The Secret Conversations of Henry Kissinger: Step-by-Step Diplomacy in the Middle East.* New York: Quadrangle Books, 1976.
Goodman, Hirsch, and Ze'ev Schiff. "The Attack on the Liberty." *Atlantic Monthly,* September 1984, pp. 78–84.
Green, Stephen. *Living by the Sword: America and Israel in the Middle East, 1968–87.* Brattleboro, Vt.: Amana Books, 1988.
———. *Taking Sides: America's Secret Relations with a Militant Israel.* New York: William Morrow and Co., 1984.
Haass, Richard. *Conflicts Unending: The United States and Regional Disputes.* New Haven: Yale University Press, 1990.
Haig, Alexander M., Jr *Caveat: Realism, Reagan and Foreign Policy.* New York: Macmillan, 1984.
Haig, Alexander M., Jr., with Charles McCarry. *Inner Circles. How America Changed the World. A Memoir.* New York: Warner Books, 1992.

Heikal, Mohamed. *Autumn of Fury: The Assassination of Sadat*. New York: Random House, 1983.
———. *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationship with World Leaders, Rebels, and Statesmen*. New York: Doubleday and Co., 1973.
———. *1967: Al-Infijar*. Cairo: Markaz al-Ahram, 1990.
———. *The Road to Ramadan*. New York: Quadrangle Books, 1975.
Hersh, Seymour M. *The Price of Power: Kissinger in the Nixon White House*. New York: Summit Books, 1983.
———. *The Samson Option: Israel's Nuclear Arsenal and American Foreign Policy*. New York: Random House, 1991.
Indyk, Martin. *"To the Ends of the Earth": Sadat's Jerusalem Initiative*. Cambridge, Mass.: Harvard University, Center for Middle Eastern Studies, 1984.
Insight Team of the London Sunday Times. *The Yom Kippur War*. New York: Doubleday and Co., 1974.
Isaacson, Walter. *Kissinger: A Biography*. New York: Simon and Schuster, 1992.
Johnson, Lyndon Baines. *The Vantage Point: Perspectives of the Presidency, 1963–1969*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971.
Kalb, Marvin, and Bernard Kalb. *Kissinger*. Boston: Little, Brown and Co., 1974.
Kalman, Laura. *Abe Fortas: A Biography*. New Haven: Yale University Press, 1990.
Kemp, Geoffrey. "Lessons of Lebanon: A Guideline for Future U.S. Policy" *Middle East Insight*; vol. 6 (Summer 1988), pp. 57–68.
Kimche, David. *The Last Option: After Nasser, Arafat and Saddam Hussein. The Quest for Peace in the Middle East*. New York: Charles Scribner's Sons, 1991.
Kissinger, Henry. *White House Years*. Boston: Little, Brown and Co., 1979.
———. *Years of Upheaval*. Boston: Little, Brown and Co., 1982.
Korn, David A. *Stalemate: The War of Attrition and Great Power Diplomacy in the Middle East, 1967–1970*. Boulder, Colo.: Westview Press, 1992.
Lebow, Richard Ned, and Janice Gross Stein. "We All Lost the Cold War." [To be published by Princeton University Press in 1994.]
Linowitz, Sol. "The Prospects for the Camp David Peace Process." *SAIS Review*, no. 2 (Summer 1981), pp. 93–100.
Luttwak, Edward N., and Walter Laqueur. "Kissinger and the Yom Kippur War." *Commentary*, vol. 58 (September 1974), pp. 33–40.
Martin, David C., and John Walcott. *Best Laid Plans: The Inside Story of America's War against Terrorism*. New York: Harper and Row, 1988.
Meir, Golda. *My Life: The Autobiography of Golda Meir*. London: Futura, 1976.
Melman, Yossi, and Dan Raviv. *Behind the Uprising: Israelis, Jordanians, and Palestinians*. New York: Greenwood Press, 1989.
Miller, Merle. *Lyndon: An Oral Biography*. New York: G. P. Putnam's Sons, 1980.
———. *Plain Speaking: An Oral Biography of Harry S. Truman*. New York: Berkley Publishing Corporation, 1973.
Neff, Donald. *Warriors against Israel*. Brattleboro, Vt.: Amana Books, 1988.
———. *Warriors for Jerusalem: The Six Days That Changed the Middle East*. New York: Linden Press/ Simon and Schuster, 1984.

Nixon, Richard M. *RN: The Memoirs of Richard Nixon*. New York: Grosset and Dunlap, 1978.

———. *Seize the Moment: America's Challenge in a One-Superpower World*. New York: Simon and Schuster, 1992.

Novik, Nimrod. *Encounter with Reality: Reagan and the Middle East (The First Term)*. Boulder, Colo.: Westview Press for the Jaffee Center for Strategic Studies, 1985.

O'Brien, Conor Cruise. *The Siege: The Saga of Israel and Zionism*. New York: Simon and Schuster, 1986.

Parker, Richard B. "The June 1967 War: Some Mysteries Explored." *Middle East Journal*, vol. 46 (Spring 1992), pp. 177–97.

Powell, Jody. *The Other Side of the Story*. New York: William Morrow and Co., 1984.

Puschel, Karen L. *U.S.-Israeli Strategic Cooperation in the Post-Cold War Era: An American Perspective*. Boulder, Colo.: Westview Press, 1992.

Quandt, William B. *Camp David: Peacemaking and Politics*. Wahington, D.C.: The Brookings Institution, 1986.

———. *Decade of Decisions: American Policy toward the Arab-Israeli Conflict, 1967–1976*. Berkeley: University of California Press, 1977.

———. "Kissinger and the Arab-Israeli Disengagement Negotiations." *Journal of International Affairs*, vol. 29 (Spring 1975), pp. 33–48.

———. "Reagan's Lebanon Policy: Trial and Error." *Middle East Journal*, vol. 38 (Spring 1984), pp. 237–54.

Rabie, Mohamed. "The U.S.-PLO Dialogue: The Swedish Connection." *Journal of Palestine Studies*, vol. 21 (Summer 1992), pp. 54–66.

Rabin, Yitzhak. *The Rabin Memoirs*. Boston: Little, Brown and Co., 1979.

Rafael, Gideon. *Destination Peace: Three Decades of Israeli Foreign Policy. A Personal Memoir*. New York: Stein and Day, 1981.

Reagan, Ronald. *An American Life*. New York: Simon and Schuster, 1990.

Riad, Mahmoud. *The Struggle for Peace in the Middle East*. New York: Quartet Books, 1981.

Rostow, Eugene V. *Peace in the Balance: The Future of American Foreign Policy*. New York: Simon and Schuster, 1972.

Rostow, Walt. *The Diffusion of Power: An Essay in Recent History*. New York: Macmillan Co., 1972.

Rusk, Dean. *As I Saw It*: New York: W. W. Norton and Co., 1990.

Safran, Nadav. *Israel: The Embattled Ally*. Cambridge, Mass.: Belknap Press of Harvard University Press, 1978.

Schiff, Ze'ev, and Ehud Ya'ari. *Intifada: The Palestinian Uprising. Israel's Third Front*. New York: Simon and Schuster, 1989.

———. *Israel's Lebanon War*. New York: Simon and Schuster, 1984.

Sheehan, Edward R. F. *The Arabs, Israelis, and Kissinger: A Secret History of American Diplomacy in the Middle East*. New York: Reader's Digest Press, 1976.

Shultz, George. *Turmoil and Triumph: My Years as Secretary of State*. New York: Charles Scribner's Sons, 1993.

Sicherman, Harvey. *Palestinian Self-Government(Autonomy): Its Past and Its Future.* Washington, D.C.: Washington Institute for Near East Policy, 1991.
Sick, Gary. *All Fall Down: America's Tragic Encounter with Iran.* New York: Random House, 1985.
Spiegel, Steven L. *The Other Arab-Israeli Conflict: Making America's Middle East Policy from Truman to Reagan.* Chicago: University of Chicago Press, 1985.
Tanter, Raymond. *Who's at the Helm? Lessons of Lebanon.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1990.
Telhami, Shibley. *Power and Leadership in International Bargaining: The Path to the Camp David Accords.* New York: Columbia University Press, 1990.
Vance, Cyrus. *Hard Choices: Critical Years in America's Foreign Policy.* New York: Simon and Schuster, 1983.
Wallach, Janet, and John Wallach. *Arafat: In the Eyes of the Beholder.* New York: Carol Publishing Group, 1990.
Washington Institute's Presidential Study Group. *Building for Peace: An American Strategy for the Middle East.* Washington, D.C.: Washington Institute for Near East Policy, 1988.
Weizman, Ezer. *The Battle for Peace.* New York: Bantam Books, 1981.
Whetten, Lawrence L. *The Canal War: Four-Power Conflict in the Middle East.* Cambridge, Mass.: MIT Press, 1974.
Woodward, Bob. *The Commanders.* New York: Simon and Schuster, 1991.
———. *Veil: The Secret Wars of the CIA, 1981–1987.* New York: Simon and Schuster, 1987.
Yergin, Daniel. *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money and Power.* New York: Simon and Schuster, 1991.

الفهـــرس

(ح)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

رقـــم الإيـــداع

٢٨٠٤ / ٩٤
I.S.B.N: 977-5514-06-1

مطابع الأهرام التجارية – قليوب – مصر